بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : صفوة التفاسير

المؤلف : سماحة الشيخ / محمد علي الصابوني

عدد الأجزاء / 3

التعريف بالكتاب ومؤلفه

تفسير القران الكريم , جامع بين المأثور والمعقول , مستمد من أوثق كتب التفسير (الطبري , الكشاف , القرطبي , الآلوسي , ابن كثير ,البحر المحيط) وغيرها بأسلوب ميسر , وتنظيم حديث , مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية

المجلد الأول :

تأليف : سماحة الشيخ / محمد علي الصابوني ، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز ، دار الصابوني .

كلمة سماحة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين وبعد :

فقد أطلعني الأخ الأستاذ محمد علي الصابوني على شئ من كتابه الجديد " صفوة التفاسير " وهو كتاب تحرى فيه المؤلف ذكر اصح الاراء في تفسير كتاب الله تعالى مع الاختصار والسهولة, واذا كان اختيار المرء قطعة من عقله, فانه لا شك ان المؤلف وفق توفيقا كبيرا في الاختيار من امهات كتب التفسير التي رجع اليها على علم وبصيرة.

و ليس هذا هو الكتاب الاول للمؤلف في موضوع القران الكريم فقد سبق ان اختصر كتاب " تفسير ابن كثير " وكان اختصاره لهذا الكتاب العظيم مفيدا نافعا خلا من كل تعقيد.

و لقد اختص ايات الاحكام في القران الكريم بمؤلف مستقل سماه " روائع البيان في تفسير ايات الاحكام " ,

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو كتاب يبين الاحكام في المرجع الاول لها وهو الكتاب الكريم.

وسبق ايضا ان الف في علوم القران الكريم تحت عنوان : " التبيان في علوم القران " ,وهو ما يتوج كل هذه الدراسات بكتاب نفيس هو زهور رائعة لكثير مما انتجته قرائح اسلافنا رضوان الله عليهم في التفسير .

و نرجو الله سبحانه له التوفيق وان يهدي سبحانه لكتابه ويهدي به انه سميع قريب مجيب .

عبد الحليم محمود

شيخ الجامع الازهر

مكة المكرمة 27 صفر 1396 ه

27فبراير 1976 م

كلمة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الاعلى الرئيس العام للاشراف الديني على المسجد الحرام

الحمد لله وحده ,و بعد بناء على طلب الاخ فضيلة الاستاذ الشيخ محمد علي الصابوني المدرس بجامعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ان اكتب تقريظا لكتابه " صفوة التفاسير " بعد ان قرا علي بنفسه بعد المواضع من هذا الكتاب ولم يتسع الوقت لسماعه كله.

فقد اجاد المؤلف وافاد فيما سمعته من كتابه جزاه الله خيرا, كما اجتهد في جمعه واختار اصح الاقوال وارجحها في تفسير كتاب الله وجمع في هذا التفسير بين الماثور والمعقول, باسلوب واضح, وطريقة حديثة سهلة, يذكر بين يدي السورة خلاصة للمقاصد الاساسية لها . يوضح معاني الكلمات وبيان اشتقاقها . والمناسبة بين الايات السابقة والايات اللاحقة, ويبين السبب الذي نزلت من اجله الايات . يبدا بتفسير الايات دون وجوه الاعراب, ويدكر الفوائد التي لها علاقة بالايات والمستنبطة منها, ويوضح بيان الصور البيانية والنكات البلاغية .

نسال الله لنا وله التوفيق والسداد وان يعم النفع بهذا الكتاب ويجزي المؤلف على ما بذل من جهد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الله الموفق وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم ...

عبد الله بن حميد

رئيس مجلس القضاء الاعلى

الرئيس العام للاشراف الديني على المسجد الحرام

7-4-1397 ه

كلمة سماحة الشيخ أبى الحسن علي الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء بلكنهو الهند

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله وصحبه اجمعين, وبعد :

فقد كان الاتجاه العلمي السائد في عصور التاليف الاسلامي الاولى هو الاستيعاب الشامل لكل ما قيل وروي في الموضوع, فكانت كتب المؤلفين في التفسير, والحديث, والسيرة, والتاريخ اشبه بموسوعات علمية . وان كانت لهذا الاتجاه والاسلوب الشائع فوائد اعظمها صيانة هذه الثروة العلمية من الضياع, وتمكين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القارئ من اختيار ما هو اوفق واقرب الى ذوقه فقد احدث مشكلة -خصوصا في هذا العصر- وهي ان الطالب المبتدئ والمتوسط يحار في اختيار اقرب الاقوال الى الصواب ,و يتشتت ذهنه فلا يرسخ فيه قول واحد ويجد نفسه في غابة ملتفة من الاقوال والاراء والمذاهب, ولذالك مال كثير من المؤلفين في كل عصر الى الانتقاء من هذه الكتب الموسوعية, واختيار اقرب الاقوال واقواها, فكانت لهذه الكتب فائدة عظيمة وفضل كبير على طلبة العلم .

و كان هذا العصر من احوج العصور الى هذا الاسلوب من التاليف لقصر الوقت وضعف الهمم وتشتت الاذهان, لذالك كان صديقنا الفاضل فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني موفقا كل التوفيق في وضع كتابه " صفوة التفاسير " فقد وفر على طلبة علم التفسير وقتا طويلا واخذ بيدهم الى ما هو عصارة دراسته وخلاصة التفاسير, لا يقدر على ذلك الا من توسعت دراسته وسلم ذوقه وحسنت ممارسته لفن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التدريس, فاستحق بذلك شكر طلبة العلم والمشتغلين بفن التفسير جزاه الله خيرا واثابه وتقبل عمله.

ابو الحسن علي الحسني الندوي

مكة المكرمة 9-4-1396 ه

كلمة معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز

الحمد لله وحده, والصلاة والسلام على عبده ونبيه ورسوله نبينا الامين, محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين, وعلى اله وصحبه اجمعين ... وبعد :

فان اشرف ما يقدمه الباحثون, واسمى ما يسعى اليه المؤلفون , في بحوثهم وتاليفهم, ما كان في خدمة القران العظيم, وعلومه الجليلة الزاهرة ... وشرف الانسان بشرف الرسالة التي يحملها, والغاية التي يسعى من اجل تحقيقها .. وليس ثمة جهد يضاهي جهد العلماء, فانهم مشاعل النور والضياء, في كل زمان ومكان, ولهذا رفع الله قدرهم, واعلى شانهم بقوله جل ثناؤه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب)

و ان هذا العمل الجليل, الذي قام به فضيلة الاخ العزيز الشيخ محمد علي الصابوني استاذ التفسير وعلوم القران بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة, من استخلاص لمجموعة من تفاسير القران الكريم , لعدد من جهابذة الائمة المفسرين, لتكون في متناول العلماء وطلاب العلم على حد سواء , لهو توفيق من الله سبحانه وتعالى للمؤلف, فقد مكنه جل وعلا من تقديم هذه الكنوز العظيمة, في سفر واحد هو " صفوة التفاسير " ليسهل على الباحثين مهمة الاطلاع والفهم لكتاب الله عز وجل .

والله اسال ان يثيب فضيلة المؤلف على عمله, وان ينفع به المسلمين, وان يجزيه عنهم خير الجزاء انه ولي ذلك والقادر عليه, والله من وراء القصد, وهو الهادي الى سواء السبيل .

الدكتور عبد الله عمر نصيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدير جامعة الملك عبد العزيز

جدة : 15 صفر 1400 ه

الموافق : 3 يناير 1980 م

كلمة سعادة الدكتور راشد بن راجح عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

و بعد لقد اطلعت على كتاب " صفوة التفاسير " لفضيلة الاستاذ محمد علي الصابوني وقرات بعض صفحاته فالفيته كتابا ثمينا حوى خلاصة ما قاله ائمة المفسرين ليسهل فهمه على طلبة العلم باسلوب مبسط وعبارات ميسرة وايضاحات جيدة مع العناية بالجوانب اللغوية والبيانية ... فهو بذلك كتاب جيد يستحق الطبع والنشر لتعم الفائدة .

جزى الله مؤلفه خير الجزاء ونفع به الاسلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمسلمين, انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه الفقير الى عفو مولاه راشد بن راجح الشريف

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة.

مكة المكرمة 15-10-1396 ه

كلمة فضيلة الشيخ عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام

كتاب صفوة التفاسير - كنت اجد في نفسي رغبة ملحة لتفسير للقران الكريم في متناول طالب العلم, يجمل ما تفرق في كتب التفسير المعتبرة, ويغنيه عن المراجع المطولة, ويعطيه فكرة واضحة عن لغة القران, وسبب النزول, وييسر له المعاني فيكون زاده وعدته, فكان كتاب " صفوة التفاسير " هو الضالة المنشودة والحلقة المفقودة, اذ قد عني مؤلفه فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني بكل ما اشرت اليه مما حقق الرغبة, ولبى الحاجة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الله اسال ان ينفع به ويأجر مؤلفه على ما بذله من جهد وتضحية, وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى اله وصحبه .

و كتبه الفقير الى الله عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال سنة 1395 هجرية.

كلمة فضيلة الشيخ محمد الغزالي رئيس قسم الدعوة واصول الدين بكلية الشريعة بمكة المكرمة

الحمد لله اهل التقوى والمغفرة ,و الصلاة والسلام على منار العلم والهدى في الدنيا والاخرة , وبعد :

فان الثقافة القرانية تحتاج الى قلم سهل العبارة , فياض الاداء , بعيد عن المصطلحات الفنية , والمناقشات الفلسفية , همه الاكبر ابراز السياق السماوي , والوصول به الى نفوس الجماهير دون تكلف او التواء .

و قد نجح فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني في تحقيق هذه الغاية , اذ يسر تفسير الكتاب العزيز ,

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجمع في تفسيره جملا من اقوال الائمة تتضمن خلاصات علمية وادبية جعلته غنيا بالحقائق , والحكم النافعة . وقد لاحظنا ان الشيخ محمد علي الصابوني قرن في تفسيره بين كثير من ماثورات السلف واجتهادات الخلف , اي انه جمع بين المنقول والمعقول - كما يقولون - فيستطيع القارئ ان يرى امامه اللونين معا , وان ينتفع بخير ما في الطريقتين .

كما لاحظنا ان التفاسير الاخرى قد تجنح الى احد الطرفين , فاما ايجاز شديد او اطناب لا يطيقه العصر , ولكن الشيخ محمد علي الصابوني - جزاه الله خيرا - استطاع ان يتوسط في مسلكه العلمي فأفاد واجمل كما ابتعد عن الشطط الذي وقع فيه البعض حين جازف بذكر نظريات علمية او احاديث نبوية لا بد في سوقها من التثبت والتمحيص .

نفع الله به وشرح الصدور له وجزاه عن الامة كل خير .

محمد الغزالي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رئيس قسم الدعوة واصول الدين بكلية الشريعة بمكة المكرمة

في 06-04-1396 ه

" الجزء الاول من المقدمة "

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي انار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين , وجعل القران شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين , والصلاة والسلام على خاتم الانبياء واشرف المرسلين , سيدنا محمد النبي العربي الامين , الذي فتح الله به اعينا عميا , واذانا صما , وقلوبا غلفا , واخرج به الناس من الظلمات الى النور , صلاة وسلاما دائمين الى يوم البعث والنشور وعلى اله الطيبين الاطهار , واصحابه الهادين الابرار , ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين , وبعد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلا يزال القران الكريم بحرا زاخرا بانواع العلوم والمعارف , يحتاج من يرغب الحصول على لآلئه ودرره , ان يغوص في اعماقه , ولايزال القران يتحدى اساطين البلغاء , ومصاقيع العلماء , بانه الكتاب المعجز , المنزل على النبي الامي شاهدا بصدقه , يحمل بين دفتيه برهان كماله , واية اعجازه , ودليل انه تنزيل الحكيم العليم : (نزل به الروح الامين.على قلبك لتكون من المنذرين .بلسان عربي مبين)

و على كثرة ما كتب العلماء والفوا - وعلى كثرة ما تحويه المكتبة الاسلامية من اسفار ضخمة , وكتب نفيسة , خدم بها العلماء كتاب الله الجليل- يبقى القران زاخرا بالعجائب , مملوءا بالدرر والجواهر , بما يبهر العقول ويحير الالباب , بما فيه من الاشراقات الالهية , والفيوضات القدسية , والنفحات النورانية , بما هو كفيل لتخليص الانسانية , من شقاء الحياة وجحيمها المستعر ... وكل علم شاط واحترق الا " علم التفسير " فانه لا يزال بحرا لجيا , يحتاج الى من يغوص في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعماقه , لاستخراج كنوزه الثمينة , واستنباط روائعه واسراره , ولا يزال العلماء يقفون عند ساحله , يرتشفون من معينه الصافي ولا يرتوون ... ومن ذا الذي يستطيع ان يحيط علما بكلام رب العزة جل وعلا , وان يدرك اسراره , ودقائقه , واعجازه ! وان يزعم انه اوفى او وصل الى درجة الكمال !!

انه الكتاب المعجز , الذي سيظل يمنح الانسانية , من علومه ومعارفه , ومن اسراره وحكمه , ما يزيدهم ايمانا واذعانا بانه " المعجزة الخالدة " للنبي العربي الامي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وانه تنزيل الحكيم الحميد .

واذا كان المسلم قد اضطرته الدنيا ليشغل وقته في تحصيل معاشه , وضاقت ايامه عن الرجوع الى التفاسير الكبيرة , التي خدم بها اسلافنا -رضوان الله عليهم- كتاب الله تعالى , تبيانا وتفصيلا لاياته , واظهارا لبلاغته , وايضاحا لاعجازه , وابرازا لما حواه الكتاب المجيد من تشريع وتهذيب , واحكام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واخلاق , وتربية وتوجيه ... فان من واجب العلماء اليوم ان يبذلوا جهدهم لتيسير فهمه على الناس , باسلوب واضح , وبيان ناصع , لاحشو فيه ولا تطويل , ولا تعقيد ولا تكلف , وان يبرزوا ما في القران من روعة الاعجاز والبيان , بما يتفق وروح العصر الحديث , ويلبي حاجة الشباب المثقف , المتعطش الى التزود من علوم ومعارف القران الكريم .

ولم اجد تفسيرا لكتاب الله عز وجل -على ما وصفت- رغم الحاجة اليه , وسؤال الناس عنه , ورغبتهم فيه , فعزمت على القيام بهذا العمل , رغم ما فيه من مشقة وتعب , واحتياجه لوقت لا يتاح في هذا الزمان , مستعينا بالله الكريم , متوكلا عليه , سائلا اياه ان يعينني على اتمام هذا الواجب , وان يوفقني لاخراجه بشكل يليق بكتاب الله تعالى , يعين المسلم على فهم ايات القران , والتزود من بيانه , ما يزيده ايمانا ويقينا , ويدفعه الى العمل الجاد الموفق الى مرضاة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرب جل وعلا .

و قد اسميت كتابي " صفوة التفاسير " وذلك لانه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة , مع الاختصار والترتيب , والوضوح والبيان , وكلي امل ان يكون اسمه مطابقا لمسماه , وان تستفيد منه الامة الاسلامية , بما يوضح لها السبيل الاقوم , والصراط المستقيم.

و قد سلكت في طريقي لتفسير الكتاب العزيز الاسلوب الاتي :

اولا : بين يدي السورة , وهو بيان اجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها الاساسية .

ثانيا : المناسبة بين الايات السابقة والايات اللاحقة .

ثالثا : اللغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية .

رابعا : سبب النزول .

خامسا : التفسير .

سادسا : البلاغة .

سابعا : الفوائد واللطائف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و قد مكثت في تاليف هذا التفسير خمس سنوات , اواصل فيه الليل بالنهار , وما كنت اكتب شيئا حتى اقرأ ما كتبه المفسرون في امهات كتب التفسير الموثوقة , مع التحري الدقيق لاصح الاقوال وارجحها , وانني اشكر المولى جل وعلا ان سهل لي هذا العمل , فقد كنت اشعر ان الزمن يطوى لي , وكل ذلك ببركات جوار البيت العتيق الذي اكرمني الله وشرفني بجواره , منذ ان انتدبت للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة عام الف وثلاثمائة واحدى وثمانين من هجرة سيد المرسلين .

و الله تعالى اسال ان يسدد خطاي , ويجزل لي الثواب يوم المآب , فما عملت الا املا بنيل رضاه , راجيا منه ان يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم , ويبقيه ذخرا لي يوم الدين , وارجوا ممن قرا فيه فاستفاد ان يخصني بدعوة صالحة تنفعني يوم المعاد , وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتبه الفقير الى عفو ربه

محمد علي الصابوني

الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

مكة المكرمة_جامعة الملك عبد العزيز

مكة المكرمة_غرة ذي الحجة 1399 ه .

سورة الفاتحة

مكية وآياتها سبع آيات باتفاق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

تفسير الاستعاذة :

المعنى : أستجير بجانب الله ، وأعتصم به من شر الشيطان العاتي المتمرد ، أن يضرني فى دينى أو دنياى ، أو يصدنى عن فعل ما أمرت به ، وأحتمى بالخالق السميع العليم من همزه ولمزه ووساوسه ، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان ، إلا الله رب العالمين.

عن النبى (ص) أنه كان إذا قام من الليل ، استفتح صلاته بالتكبير ، ثم يقول : (أعوذ الله السميع العليم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه. (أخره أصحاب السنن).

تنبيه :

لفظة " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " ليست آية قرآنية ، وإنما هو أدب أدبنا الله به ، عند إرادة قراءة القرآن بقوله سبحانه

[فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم]

فلهذا لم تكتب فى القرآن الكريم بخلاف البسملة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير البسملة :

أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شئ ، مستعيناً به جل وعلا فى جميع أموري ، طالباً منه وحده العون ، فإن الرب المعبود ، ذو الفضل والجود ، واسع الرحمة كثير التفضل والإحسان ، الذى وسعت رحمته كل شئ ، وعم فضله جميع الأنام.

تنبيه :

[بسم الله الرحمن الرحيم] افتتح الله بهذه الآية سورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفاتحة وكل سورة من سور القرآن - ما عدا سورة التوبة - ليرشد المسلمين إلى أن يبدأوا أعمالهم وأقوالهم باسم الله الرحمن الرحيم ، التماساً لمعونته وتوفيقه ، ومخالفة للوثنيين الذين يبدأون أعمالهم بأسماء آلهتهم أو طواغيتهم فيقولون : باسم اللات ، أو باسم العزى ، أو باسم الشعب ، أو باسم هبل.

قال الطبرى : " إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ، أدب نبيه محمداً (ص) بتعليمه ذكر أسمائه الحسنى ، أمام جميع أفعاله ، وجعل ذلك لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلاً يتبعونه عليها ، فقول القائل : بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح تالياً سورة ، ينبئ عن أن مراده : أقرأ بسم الله ، وكذلك سائر الأفعال " .

تفسير سورة الفاتحة

بين يدى السورة الكريمة :

هذه السورة الكريمة مكية ، وآياتها سبع بالإجماع ، وتسمى " الفاتحة " لافتتاح الكتاب العزيز بها ، حيث إنها أول القرآن فى (الترتيب) لا فى (النزول) ، وهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- على قصرها ووجازتها - قد حوت معانى القرآن العظيم ، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال ، فهى تتناول أصول الدين وفروعه ، تتناول العقيدة ، والعباد ، والتشريع ، والاعتقاد باليوم الآخر ، والإيمان بصفات الله الحسنى ، وإفراده بالعبادة ، والاستعانة والدعاء ، والتوجه إليه جل وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق ، والصراط المستقيم ، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين ، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين ، وفيها الأخبار عن قصص الأمم السابقين ، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء ، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه ، إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف ، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ، ولهذا تسمى " أم الكتاب " لأنها جمعت مقاصده الأساسية.

فضلها :

أ - روى الإمام أحمد فى المسند أن " أبي بن كعب " قرأن على النبى (ص) أم القرآن فقال رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) : " والذى نفسى بيده ما أنزل فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته " فهذا الحديث الشريف يشير إلى قوله تعالى فى سورة الحجر :

[ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم] .

ب- وفى صحيح البخارى أن النبى (ص) قال لأبى سعيد بن المعلى : " لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن : الحمد لله رب العالمين ، هى السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذى أوتيته " .

التسمية :

تسمى " الفاتحة ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، والشافية ، والوافية ، والكافية ، والأساس ، والحمد " وقد عددها العلامة القرطبي وذكر أن لهذه السورة الكريمة اثنى عشر اسماً.

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الحمد] الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل ، مقروناً بالمحبة ، وهو نقيض الذم وأعم من الشكر ، لأن الشكر يكون مقابل النعمة بخلاف الحمد

[الله] اسم علم للذات المقدسة لا يشاركه فيه غيره ، قال القرطبي : هذا الاسم

[الله] أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها ، وهو اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه

[رب] الرب : مشتق من التربية وهى إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره ، قال الهروي : " يقال لمن قام بإصلاح شئ وإتمامه : " قد ربه ، ومنه الربانيون لقيامهم بالكتب " (تفسير القرطبى 133/1) والرب يطلق على عدة معان وهى " المالك ، والمصلح ، والمعبود ، والسيد المطاع "

[العالمين] العالم : اسم جنس لا واحد له من لفظه كالرهط ، وهو يشمل : الإنس والجن والملائكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشياطين كذا قال الفراء ، وهو مشتق من العلامة
لأن " العالم " علامة على وجود الخالق جل وعلا
[الرحمن الرحيم] صفتان مشتقتان من الرحمة ، وقد روعى في كل من
[الرحمن] و
[الرحيم] معنى لم يراع فى الآخر ، فالرحمن بمعنى عظيم الرحمة لأن " فعلان " صيغة مبالغة فى كثرة الشيء وعظمته ، ولا يلزم منه الدام كغضبان وسكران ، والرحيم بمعنى دائم الرحمة لأن صيغة " فعيل " تستعمل فى الصفات الدائمة ، ككريم وظريف فكأنه قيل : العظيم الرحمة ، الدائم الإحسان.
قال الخطابي : الرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر ، والرحيم خاص بالمؤمن كما قال تعالى :
[وكان بالمؤمنين رحيما] ٍ ،
[الدين] الجزاء ومنه الحديث " كما تدين تدان " أى كما تفعل تجرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نعبد] قال الزمخشري : العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ولذلك لم تستعمل إلا فى الخضوع لله تعالى ، لأنه مولي أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى الخضوع

[الصراط] الطريق وأصله بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع ، كأن الطريق يبتلع السالك ، قال الشاعر :

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط

[المستقيم] الذي لا عوج فيه ولا انحراف " آمين " أى استجب دعاءنا ، وهي ليست من القرآن الكريم إجماعاً ، ولهذا لم تكتب فيه ، وإنما هى من تعليم رسول الله وهديه.

التفسير :

علمنا البارى جل وعلا كيف ينبغى أن نحمده تعالى ونقدسه ، ونثني عليه بما هو أهله فقال

[الحمد لله رب العالمين] أي قولوا يا عبادي إذا أردتم شكري وثنائي الحمد لله ، اشكروني على إحساني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجميلي إليكم ، فأنا الله ذو العظمة والمجد والسؤدد ، المتفرد بالخلق والإيجاد ، رب الإنس والجن والملائكة ، ورب السموات والأرضين ، فالثناء والشكر لله رب العالمين ، دون ما يعبد من دونه

[الرحمن الرحيم] أي الذي وسعت رحمته كل شئ وعم فضله جميع الأنام ، بما أنعم على عباده من الخلق ، والرزق ، والهداية إلى سعادة الدارين ، فهو الرب الجليل عظيم الرحمة دائم الإحسان

[مالك يوم الدين] أي هو سبحانه المالك للجزاء والحساب ، المتصرف فى يوم الدين تصرف المالك في ملكه

[يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله]

[إياك نعبد وإياك نستعين] أي نخصك يا ألله بالعبادة ، ونخصك بطلب الإعانة ، فلا نعبد أحدا سواك ، لك وحدك ربنا نذل ونخضع ، ونستكين ونخشع ، وإياك ربنا نستعين على طاعتك ومرضاتك ، فإنك المستحق لكل إجلال وتعظيم ، ولا يملك القدرة على عوننا أحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سواك

[إهدنا الصراط المستقيم] أي دلنا وأرشدنا يا رب إلى طريقك الحق ، ودينك المستقيم وثبتنا على الإسلام الذي بعثت به أنبياءك ورسلك ، وأرسلت به خاتم المرسلين ، واجعلنا ممن سلك طريق المقربين

[صراط الذين أنعمت عليهم] أي طريق من تفضلت عليهم بالجود والإنعام ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

[غير المغضوب عليهم ولا الضالين] أي لا تجعلنا يا ألله من زمرة أعدائك الحائدين عن الصراط المستقيم السالكين غير المنهج القويم ، من اليهود المغضوب عليهم ، أو النصارى الضالين ، الذين ضلوا عن شريعتك القدسية ، فاستحقوا الغضب واللعنة الأبدية.

اللهم آمين.

البلاغة :

1- [الحمد لله] الجملة خبرية لفظاً ، إنشائية معنى أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قولوا " الحمد لله " وهى مفيدة لقصر الحمد عليه تعالى كقولهم : الكرم فى الرعب.

2- [إياك نعبد وإياك نستعين] فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، ولو جرى الكلام على الأصل لقال : إياه نعبد ، وتقديم المفعول يفيد القصر – أعني الاختصاص – أي لا نعبد سواك كما فى قوله تعالى [وإياي فارهبون] .

3- قال فى البحر المحيط : وفى هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع :

الأول : حسن الافتتاح وبراعة المطلع ، حيث بدأ بجوامع الشكر والثناء.

الثانى : المبالغة فى الثناء لإفادة " ال " الاستغراق.

الثالث : تلوين الخطاب إذ صيغته الخبر ، ومعناه الأمر ، أي قولوا الحمد لله.

الرابع : الاختصاص فى قوله [لله] أي الحمد كله خاص به جل وعلا.

الخامس : الحذف كحذف " صراط " من قوله [غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المغضوب عليهم] تقديره غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين ، أى غير طريق الفريقين.

السادس : التقديم والتأخير فى [إياك نعبد] .

السابع : التصريح بعد الإبهام [الصراط المستقيم] ثم فسره بقوله :

[صراط الذين أنعمت عليهم] .

الثامن : الالتفات فى [إياك نعبد وإياك نستعين] .

التاسع : طلب الشئ ، والمراد به دوامه واستمراره فى [إهدنا الصراط] أى ثبتنا عليه ، كقوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله] أى اثبتوا على الإيمان.

العاشر : السجع المتوازى فى قوله : [الرحمن الرحيم ، الصراط المستقيم] وقوله : [نستعين.. الضالين] .

الفوائد :

الأولى : الفرق بين [الله] و[الإله] أن الأول اسم علم للذات المقدسة ذات البارى جل وعلا ، ومعناه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعبود بحق ، والثاني معناه المعبود بحق أو باطل ، فهو اسم يطلق على الله تعالى وعلى غيره ، بخلاف " الله " فإنه المعبود بحق.

الثانية : وردت الصبغة بلفظ الجمع " نعبد ونستعين " ولم يقل " إياك أعبد وإياك أستعين " بصيغة المفرد ، وذلك للاعتراف بقصور العبد عن الوقوف فى باب ملك الملوك ، فكأنه يقول : أنا يا رب العبد الحقيق الذليل ، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف فى مناجاتك بمفردي ، بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحدين ، فتقبل دعائى فى زمرتهم ، فنحن يا رب جميعا نعبدك ونستعين بك.

الثالث : نسب النعمة إلى الله عز وجل [أنعمت عليهم] ولم ينسب إليهم الإضلال والغضب ، فلم يقل : غضبت عليهم أو الذين أضللتهم ، وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى ، فالشر لا ينسب إلى الله تعالى أدباً ، وإن كان منه تقديراً ، كما ورد فى الدعاء المأثور " الخير كله بيديك " والشر لا ينسب إليك " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة فى بيان الأسرار القدسية فى فاتحة الكتاب العزيز

يقول شهيد الإسلام الشيخ حسن البنا في رسالته القيمة " مقدمة فى التفسير " ما نصه : " لا شك أن من تدبر الفاتحة الكريمة رأى من غزارة المعاني وجمالها ، وروعة التناسب وجلاله ، ما يأخذ بلبه ، يضيء جوانب قلبه ، فهو يبتدئ ذاكراً تالياً متيمناً باسم الله ، الموصوف بالرحمة التى تظهر آثار رحمته متجددة فى كل شيء ، فإذا استشعر هذا المعنى ، ووقر فى نفسه انطلق لسانه بحمد هذا الإله

[الرحمن الرحيم] وذكره الحمد بعظيم نعمه ، وكريم فضله ، وجميل آلائه ، البادية فى تربيته للعوالم جميعاً ، فأجال بصيرته فى هذا المحيط الذى لا ساحل له ، ثم تذكر من جديد أن هذه النعم الجزيلة والتربية الجليلة ، ليست من رغبة ولا رهبة ، ولكنها عن تفضل ورحمة ، فنطق لسانه مرة ثانية بـــ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الرحمن الرحيم] ومن كمال هذا الإله العظيم أن يقرن الرحمن بـــ " العدل " ويذكر بالحساب بعد " الفضل " ، فهو مع رحمته السابغة المتجددة سيدين عباده ويحاسب خلقه يوم الدين

[يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله] فتربيته لخلقه قائمة على الترغيب بالرحمة ، والترهيب بالعدالة والحساب

[مالك يوم الدين] وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح العبد مكلفاً بتحري الخير ، والبحث عن وسائل النجاة ، وهو فى هذا أشد ما يكون حاجة إلى من يهديه سواء السبيل ، ويرشده إلى الصراط المستقيم ، وليس أولى به في ذلك من خالقه وولاه ، فليلجأ إليه وليعتمد عليه وليخاطبه بقوله :

[إياك نعبد وإياك نستعين] وليسأله الهداية من فضله إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق واتباعه ، غير المغضوب عليهم بالسلب بعد العطاء ، والنكوص بعد الاهتداء ، وغير الضالين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التائهين ، الذي يضلون عن الحق أو يريدون الوصول إليه فلا يوفقون للعثور عليه ، آمين. ولا جرم أن " آمين " براعة مقطع فى غاية الجمال والحسن ، وأي شيء أولى بهذه البراعة من فاتحة الكتاب ، والتوجه إلى الله بالدعاء ؟ فهل رأيت تناسقا أدق ، أو ارتباطاً أوثق ، مما تراه بين معاني هذه الآية الكريمة ؟ وتذكر وأنت تهيم فى أودية هذا الجمال ما يرويه رسول الله (ص) عن ربه فى الحديث القدسي (قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل..) الحديث وأدم هذا التدبر والإنعام ، واجتهد أن تقرأ فى الصلاة وغيرها على مكث وتمهل ، وخشوع وتذلل ، وأن تقف على رؤوس الآيات ، وتعطي التلاوة حقها من التجويد أو النغمات ، من غير تكلف ولا تطريب ، واشتغال بالألفاظ عن المعاني ، فإن ذلك يعين على الفهم ، ويثير ما غاض من شآبيب الدمع ، وما نفع القلب شئ أفضل من تلاوة فى تدبر وخشوع " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة البقرة

سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، وهى من أوائل ما نزل ، وآياتها مائتان وثمانون وسبع آيات .

بين يدي السورة

- سورة البقرة أطول سور القرآن على الإطلاق ، وهي من السور المدنية التي تعني بجانب التشريع ، شأنها كشأن سائر السور المدنية ، التى تعالج النظم والقوانين التشريعية ، التى يحتاج إليها المسلمون فى حياتهم الاجتماعية.

- اشتملت هذه السورة الكريمة على معظم الأحكام التشريعية : فى العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، وفى أمور الزواج ، والطلاق ، والعدة ، وغيرها من الأحكام الشرعية.

- وقد تناولت الآيات فى البدء الحديث عن (صفات المؤمنين) ، و(الكافرين) ، و(المنافقين) ، فوضحت حقيقة الإيمان ، وحقيقة الكفر والنفاق ، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبي البشر " آدم " عليه السلام ، وما جرى عند خلقه وتكوينه ، من الأحداث والمفاجآت العجيبة ، التى تدل على تكريم الله جل وعلا للنوع البشري.

- ثم تناولت السورة الحديث بالإسهاب عن أهل الكتاب ، وبوجه خاص بني إسرائيل " اليهود " لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين فى المدينة المنورة ، فنبهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم ، وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم ، والغدر ، والخيانة ، ونقض العهود والمواثيق ، إلى غير ما هنالك من القبائح والجرائم التى ارتكبها هؤلاء المفسدون ، مما يوضح عظيم خطرهم ، وكبير ضررهم على البشرية ، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد على نصف السورة الكريمة ، بدءاً من قوله تعالى : [يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم] إلى قوله تعالى : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن] .

- أما بقية السورة الكريمة فقد تناولت جانب التشريع ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأن المسلمين كانوا فى بداية تكوين (الدولة الإسلامية) وهم فى أمس الحاجة إلى المنهاج الرباني ، والتشريع السماوي ، الذى يسيرون عليه فى حياتهم ، سواء ما كان منها فى العبادات أو المعاملات ، ولذا فإن جماع السورة يتناول الجانب التشريعي ، وهو باختصار كما يلي :

" أحكام الصوم " مفصله بعض التفصيل ، أحكام الحج والعمرة ، أحكام الجهاد في سبيل الله ، شؤون الأسرة ، وما يتعلق بها ، من (الزواج ، والطلاق ، والرضاعه ، والعدة) ، تحريم نكاح المشركات ، والتحذير من معاشرة النساء فى حالة الحيض ، إلى غير ما هنالك من أحكام تتعلق بالأسرة ، لأنها النواة الأولى للمجتمع الأكبر ، وفى صلاح الأسرة صلاح المجتمع !!.

- ثم تحدثت السورة الكريمة عن " جريمة الربا " التى تهدد كيان المجتمع وتقوض بنيانه ، وحملت حملة عنيفة شديدة على المرابين ، بإعلان الحرب السافرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الله ورسوله ، على كل من يتعامل بالربا أو يقدم عليه [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين - فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون] .

- وأعقبت آيات الربا بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب ، الذى يجازى فيه الإنسان على عمله إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم ، وآخر وحي تنزل من السماء إلى الأرض ، وبنزول هذه الآية انقطع الوحي ، وانتقل الرسول الأعظم (ص) إلى جوار ربه ، بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين!.

- وختمت السورة الكريمة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة والإنابة ، والتضرع إلى الله جل وعلا برفع الأغلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآصار ، وطلب النصرة على الكفار ، والدعاء لما فيه سعادة الدارين [ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين] وهكذا بدأت السورة بأوصاف المؤمنين ، وختمت بدعاء المؤمنين ليتناسق البدء مع الختام ، ويلتئم شمل السورة أفضل التئام!!.

التسمية :

سميت السورة الكريمة " سورة البقرة " إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة ، التي ظهرت فى زمن موسى الكليم ، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله ، فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل ، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة ، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل ، وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا فى إحياء الخلق بعد الموت ، وستأتي القصة مفصلة فى موضعها إن شاء الله.

فضلها :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن رسول الله (ص) أنه قال : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة). وقال (ص) : (اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة) يعنى السحرة.

قال الله تعالى : [ألم – ذلك الكتاب لا ريب فيه.. إلى .. وأولئك هم المفلحون] . من آية (1) إلى نهاية آية (5).

اللغة :

[ريب] الريب : الشك وعدم الطمأنينة يقال : ارتاب ، وأمر مريب إذا كان فيه شك وريبة ، قال الزمخشري : الريب مصدر رابه إذا أحدث له الريبة وهى قلق النفس واضطرابها ، ومنه ريب الزمان لنوائبه

[المتقين] أصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزاً بينك وبينه ، قال النابغة : سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالمتقى هو الذي يقي نفسه مما يضرها ، وهو الذى يتقى عذاب الله بطاعته ، وجماع التقوى أن يمتثل العبد الأوامر ، ويجتنب النواهي

[الغيب] ما غاب عن الحواس ، وكل شئ مستور فهو غيب ، كالجنة ، والنار ، والحشر والنشر قال الراغب : الغيب ما لا يقع تحت الحواس

[المفلحون] الفلاح : الفوز والنجاح قال أبو عبيدة : كل من أصاب شيئا من الخير فهو مفلح وقال البيضاوي : المفلح : الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ، وأصل الفلح فى اللغة : الشق والقطع ، ومنه قولهم فى الأمثال " إن الحديد بالحديد يفلح " أي يشق ، ولذلك سمى الفلاح فلاحاً ، لأنه يشق الأرض بالحراثة

[كفروا] الكفر لغة : ستر النعمة ولهذا يسمى الكافر كافراً لأنه يجحد النعمة ويسترها ، ومنه قيل للزارع والليل كافر ، قال تعالى [أعجب الكفار نباته] أي أعجب الزراع ، وسمى الليل كافرا لأنه يغطي كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء بسواده

[أنذرتهم] الإنذار : الإعلام مع التخويف ، فإن خلا من التخويف فهو إعلام وإخبار ، لا إنذار

[ختم] الختم : التغطية على الشئ والطبع عليه حتى لا يدخل شيء ، ومنه ختم الكتاب.

[غشاوة] الغشاوة : الغطاء من غشاه إذا غطاه ، ومنه الغاشية وهى القيامة ، لأنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها!!.

التفسير :

ابتدأت السورة الكريمة بذكر أوصاف المتقين ، وابتداء السورة بالحروف المقطعة [ألم] وتصديرها بهذه الحروف الهجائية ، يجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن ، إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ، ألفاظ غير مألوفة فى تخاطبهم ، فينتبهوا إلى ما يلقى إليهم من آيات بينات ، وفى هذه الحروف وأمثالها تنبيه على " إعجاز القرآن " فإن هذا الكتاب منظوم من عين ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينظمون منه كلامهم ، فإذا عجزوا عن الاتيان بمثله ، فذلك أعظم برهان على (إعجاز القرآن)!! يقول العلامة ابن كثير رحمه الله : إنما ذكرت هذه الحروف فى أوائل السور بيانا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقد قرره الزمخشري فى تفسيره الكشاف ، ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الإمام " ابن تيمية " ثم قال : ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف ، فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ، وبيان إعجازه وعظمته ، مثل [الم ، ذلك الكتاب] [المص ، كتاب أنزل إليك] ، [الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم] ، [حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين] وغير ذلك من الآيات الدالة على إعجاز القرآن. ثم قال تعالى :

[ذلك الكتاب لا ريب فيه] أي هذا القرآن المنزل عليك يا محمد ، هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب [لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ريب فيه] أي لا شك في أنه من عند الله ، لمن تفكر وتدبر ، أو ألقى السمع وهو شهيد

[هدى للمتقين] أي هاد للمؤمنين المتقين ، الذين يتقون سخط الله ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ويدفعون عذابه بطاعته ، قال ابن عباس : المتقون هم الذين يتقون الشرك ، ويعملون بطاعة الله ، وقال الحسن البصري : اتقوا ما حرم عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم.. ثم بين تعالى صفات هؤلاء المتقين فقال :

[الذين يؤمنون بالغيب] أي يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم ، من البعث ، والجنة ، والنار ، والصراط ، والحساب ، وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن أو النبى عليه الصلاة والسلام

[ويقيمون الصلاة] أي يؤدونها على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها ، وخشوعها وآدابها قال ابن عباس : إقامتها : إتمام الركوع والسجود ، والتلاوة والخشوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومن الذي أعطيناهم من الأموال ينفقون ويتصدقون ، في وجوه البر والإحسان ، والآية عامة تشمل الزكاة ، والصدقة ، وسائر النفقات ، وهذا اختيار ابن جرير ، وروي عن ابن عباس أن المراد بها زكاة الأموال ، قال ابن كثير : كثيرا ما يقرن تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ، لأن الصلاة حق الله ، وهى مشتملة على توحيده وتمجيده والثناء عليه ، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين وهو حق العبد ، فكل من النفقات الواجبة ، والزكاة المفروضة داخل الآية الكريمة

[والذين يؤمنون بما أنزل إليك] أى يصدقون بكل ما جئت به عن الله تعالى

[وما أنزل من قبلك] أى وبما جاءت به الرسل من قبلك ، لا يفرقون بين كتب الله ، ولا بين رسله

[وبالآخرة هم يوقنون] أي ويعتقدون اعتقاداً جازماً لا يلابسه شك أو ارتياب بالدار الآخرة التى تتلو الدنيا ، بما فيها من بعث ، وجزاء وجنة ، ونار ، وحساب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وميزان ، وإنما سميت الدار الآخرة لأنها بعد الدنيا

[أولئك على هدى من ربهم] أى أولئك المتصفون بما تقدم من الصفات الجليلة ، على نور وبيان وبصيرة من الله

[وأولئك هم المفلحون] أي وأولئك هم الفائزون بالدرجات العالية الرفيعة فى جنات النعيم.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1- المجاز العقلي [هدى للمتقين] أسند الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب ، والهادي فى الحقيقة هو (الله رب العالمين) ففيه مجاز عقلي.

2- الإشارة بالبعيد عن القريب [ذلك الكتاب] ولم يقل : هذا الكتاب ، للإيذان بعلو شأنه ، وبعد مرتبته فى الكمال ، فنزل بعد المرتبة منزلة البعد الحسى.

3- تكرير الإشارة [أولئك على هدى] [وأولئك هم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفلحون] للعناية بشأن المتقين ، وجئ بالضمير [هم] ليفيد الحصر كأنه قال : هم المفلحون لا غيرهم.

قال الله تعالى :

[إن الذين كفروا سواء عليهم.. إلى .. ولهم عذاب عظيم] من آية (6) إلى نهاية آية (7).

المناسبة :

لما ذكر تعالى صفات المؤمنين فى الآيات السابقة ، أعقبها بذكر صفات الكافرين ، ليظهر الفارق الواضح بين الصنفين ، على طريقة القرآن الكريم فى المقارنة بين الأبرار والفجار ، والتمييز بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ، فبالمقارنة تظهر الحقائق ، كما قيل : " وبضدها تتميز الأشياء " .

التفسير :

[إن الذين كفروا] أي إن الذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسالة محمد (ص)

[سواء عليهم] أي يتساوى عندهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أأنذرتهم أم لم تنذرهم] أي سواء أحذرتهم يا محمد من عذاب الله وخوفتهم منه أم لم تحذرهم

[لا يؤمنون] أي لا يصدقون بما جئتهم به ، فلا تطمع فى إيمانهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وفى هذا تسلية للنبى (ص) حول تكذيب قومه له.

ثم بين تعالى العلة فى سبب عدم الإيمان فقال

[ختم الله على قلوبهم] أي طبع على قلوبهم فلا يدخل فيها نور ، ولا يشرق فيها إيمان. قال المفسرون : الختم : التغطية والطبع ، وذلك أن القلوب إذا كثرت عليها الذنوب ، طمست نور البصيرة فيها ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها مخلص كما قال تعالى : (بل طبع الله عليها بكفرهم).

[وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة] أي وعلى أسماعهم وعلى أبصارهم غطاء ، فلا يبصرون هدى ، ولا يسمعون ، ولا يفقهون ، ولا يعقلون!! لأن أسماعهم وأبصارهم كأنها مغطاة بحجب كثيفة ، لذلك يرون الحق فلا يتبعونه ، ويسمعونه فلا يعونه. قال أبو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيان : شبه تعالى قلوبهم لتأبيها عن الحق ، وأسماعهم لإضرابها عن سماع داعي الفلاح ، وأبصارهم لامتناعها عن تلمح نور الهداية ، بالوعاء المختوم عليه ، المسدود منافذه ، المغطى بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه ، وذلك لأنها كانت - مع صحتها وقوة إدراكها - ممنوعة عن قبول الخير وسماعه ، وتلمح نوره ، وهذا بطريق الاستعارة

[ولهم عذاب عظيم] أي ولهم فى الآخرة عذاب شديد لا ينقطع ، بسبب كفرهم وإجرامهم ، وتكذيبهم بآيات الله.

البلاغة :

1- التيئيس من إيمان الكفار [سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون] فالجملة سيقت للتنبيه على غلوهم فى الكفر والطغيان ، وعدم استعدادهم للإيمان ، ففيها تيئيس وإقناط من إيمانهم ، وفي الآية طباق السلب.

2- الاستعارة التصريحية اللطيفة [ختم الله على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلوبهم] شبه تعالى قلوبهم لتأبيها عن الحق ، وأسماعهم وأبصارهم لامتناعها عن تلمح نور الهداية ، بالوعاء المختوم عليه ، المسدود منافذه ، المغشى بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه ، واستعار لفظ (الختم والغشاوة) لذلك ، بطريق الاستعارة التصريحية.

قال الله تعالى : [ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر.. إلى .. إن الله على كل شئ قدير] من آية (8) إلى نهاية آية (20).

المناسبة :

لما ذكر تعالى فى أول السورة صفات المؤمنين ، وأعقبها بذكر صفات الكافرين ، ذكر هنا " المنافقين " وهم الصنف الثالث ، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، وأطنب بذكرهم فى ثلاث عشرة آية ، لينبه إلى عظيم خطرهم ، وكبير ضررهم ، ثم عقب ذلك بضرب مثلين ، زيادة فى الكشف والبيان ، وتوضيحا لما تنطوى عليه نفوسهم من ظلمة الضلال والنفاق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما يئول إليه حالهم من الهلاك والدمار.

اللغة :

[يخادعون] الخداع : المكر ، والاحتيال ، وإظهار خلاف الباطن ، وأصله الإخفاء ومنه سمى الدهر خادعاً لما يخفي من غوائله ، وسمى المخدع مخدعا لتستر أصحاب المنزل فيه

[مرض] المرض : السقم وهو ضد الصحة وقد يكون حسيا كمرض الجسم ، أو معنوياً كمرض النفاق ، ومرض الحسد والرياء ، قال ابن فارس : المرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة ، أو نفاق ، أو تقصير فى أمر

[تفسدوا] الفساد : العدول عن الاستقامة وهو ضد الصلاح

[السفهاء] جمع سفيه وهو الجاهل ، الضعيف الرأى ، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ، وأصل السفه : الخفة ، والسفيه : الخفيف العقل. قال علماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة : السفه : خفة وسخافة رأي ، يقتضيان نقصان العقل والحلم يقابله.

[طغيانهم] الطغيان : مجاوزة الحد فى كل شيء ، ومنه قوله تعالى : [إنا لما طغى الماء] أي ارتفع وعلا وجاوز حده ، والطاغية : الجبار العنيد

[يعمهون] العمه : التحير والتردد فى الشيء ، يقال : عمه يعمه فهو عمه. قال رؤبة : " أعمى الهدى بالحائرين العمه " . قال الفخر الرازي : العمه مثل العمى ، إلا أن العمى عام فى البصر والرأي ، والعمه فى الرأي خاصة ، وهو التردد والتحير ، بحيث لا يدري أين يتوجه

[اشتروا] حقيقة الاشتراء : الاستبدال ، وأصله بذل الثمن لتحصيل الشئ المطلوب ، والعرب تقول لمن استبدل شيئا بشئ اشتراه ، قال الشاعر :

فإن تزعمينى كنت أجهل فيكم فإنى اشتريت الحلم بعدك بالجهل

[صم] جمع أصم وهو الذى لا يسمع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بكم] جمع أبكم وهو الأخرس الذي لا ينطق

[عمي] جمع أعمى وهو الذى فقد بصره

[صيب] الصيب : المطر الغزير مأخوذ من الصوب وهو النزول بشدة ، قال الشاعر : " سقتك روايا المزن حيث تصوب "

[الصواعق] جمع صاعقة وهى نار محرقة لا تمر بشيء إلا أتت عليه ، مشتقة من الصعق وهو شدة الصوت

[السماء] السماء فى اللغة : كل ما علاك فأظلك ، ومنه قيل لسقف البيت سماء ، ويسمى المطر سماء لنزوله من السماء قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

[يخطف] الخطف : الأخذ بسرعة ومنه قوله تعالى : (إلا من خطف الخطفة) وسمى الطير خطافا لسرعته ، والخاطف الذي يأخذ الشئ بسرعة شديدة.

سبب النزول :

قال ابن عباس : نزلت هذه الآيات فى المنافقين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمثال " عبد الله بن أبي ابن سلول ، ومعتب بن قشير ، والجد بن قيس " كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ويقولون : إنا لنجد فى كتابنا نعته وصفته.

التفسير :

[ومن الناس من يقول آمنا بالله] أي ومن الناس فريق يقولون بألسنتهم : صدقنا بالله ، وبما أنزل على رسوله من الآيات البينات

[وباليوم الآخر] أي وصدقنا بالبعث والنشور

[وما هم بمؤمنين] أي وما هم على الحقيقة بمصدقين ولا مؤمنين لأنهم يقولون ذلك قولاً دون اعتقاد ، وكلاماً دون تصديق. قال البيضاوي : هذا هو القسم الثالث المذبذب بين القسمين ، وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله ، لأنهم موهوا الكفر ، وخلطوا به خداعا واستهزاءً ، ولذلك أطال القرآن فى بيان خبثهم وجهلهم ، واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم ، وسجل عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطغيان والضلال ، وضرب لهم الأمثال

[يخادعون الله والذين آمنوا] أي يعملون عمل المخادع ، بإظهار ما أظهروه من الإيمان مع إصرارهم على الكفر ، يعتقدون – بجهلهم – أنهم يخدعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين ، وما علموا أن الله لا يُخدع ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، قال ابن كثير : النفاق هو إظهار الخير ، وإسرار الشر وهو أنواع : (اعتقادي) وهو الذي يخلد صاحبه فى النار ، و(عملى) وهو من أكبر الذنوب والأوزار ، لأن المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، وإنما نزلت صفات المنافقين في (السور المدنية) ، لأن مكة لم يكن بها نفاق بل كان خلافه

[وما يخدعون إلا أنفسهم] أي وما يخدعون في الحقيقة إلا أنفسهم لأن وبال فعلهم راجع عليهم

[وما يشعرون] أي ولا يحسون بذلك ولا يفطنون إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لتمادى غفلتهم ، وتكامل حماقتهم

[في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا] أي فى قلوبهم شك ونفاق ، فزادهم الله رجساً فوق رجسهم ، وضلالا فوق ضلالهم ، والجملة دعائية ، قال ابن أسلم : هذا مرض فى الدين ، وليس مرضا فى الجسد ، وهو الشك الذى دخلهم فى الإسلام ، فزادهم الله رجسا وشكا

[ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون] أي ولهم عذاب مؤلم بسبب كذبهم في دعوى الإيمان ، واستهزائهم بآيات الرحمن.

ثم شرع تعالى في بيان قبائحهم ، وأحوالهم الشنيعة فقال :

[وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض] أي وإذا قال لهم بعض المؤمنين : لا تسعوا في الأرض بالإفساد بإثارة الفتن ، والكفر والصد عن سبيل الله ، قال ابن مسعود : الفساد فى الأرض الكفر ، والعمل بالمعصية ، فمن عصى الله فقد أفسد فى الأرض

[قالوا إنما نحن مصلحون] أي ليس شأننا الإفساد أبداً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وإنما نحن أناس مصلحون ، نسعى للخير والصلاح ، فلا يصح مخاطبتنا بذلك ، قال البيضاوي : تصوروا الفساد بصورة الصلاح ، لما فى قلوبهم من المرض فكانوا كمن قال الله فيهم (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) ولذلك رد الله عليهم أبلغ رد ، بتصدير الجملة بحرفي التأكيد [ألا] المنبهة ، و[إن] المقررة ، وتعريف الخبر ، وتوسيط الفصل ، والاستدراك بعدم الشعور فقال :

[ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون] أي ألا فانتبهوا أيها الناس ، إنهم هم المفسدون حقاً لا غيرهم ، ولكن لا يفطنون ولا يحسون ، لانطماس نور الإيمان فى قلوبهم

[وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس] أي وإذا قيل للمنافقين : آمنوا إيمانا صادقا ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ، كما آمن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخلصوا فى إيمانكم وطاعتكم لله

[قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء] ؟ الهمزة للإنكار مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السخرية والاستهزاء ، أي قالوا : أنؤمن كإيمان هؤلاء الجهلة ، أمثال " صهيب ، وعمار ، وبلال " ناقصي العقل والتفكير ؟! قال البيضاوي : وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم ، أو لتحقير شأنهم ، فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ، ومنهم موالى كصهيب ، وبلال

[ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون] أي ألا إنهم هم السفهاء ، حقاً ، لأن من ركب متن الباطل ، كان سفيهاً بلا امتراء ، ولكن لا يعلمون بحالهم فى الضلالة والجهل ، وذلك أبلغ فى العمى ، والبعد عن الهدى.. أكد ونبه وحصر السفاهة فيهم ، ثم قال تعالى منبهاً إلى مصانعتهم ونفاقهم

[وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا] أي وإذا رأوا المؤمنين وصادفوهم ، أظهروا لهم الإيمان والموالاة نفاقاً ومصانعة

[وإذا خلوا إلى شياطينهم] أي وإذا انفردوا ورجعوا إلى رؤسائهم وكبرائهم ، أهل الضلال والنفاق

[قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون] أي قالوا لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نحن على دينكم ، وعلى مثل ما أنتم عليه من الاعتقاد ، وإنما نستهزئ بالقوم ونسخر منهم بإظهار الإيمان ، قال تعالى رداً عليهم :

[الله يستهزئ بهم] أي الله يجازيهم على استهزائهم بالإمهال ثم بالنكال.. قال ابن عباس : يسخر بهم للنقمة منهم ويملي لهم كقوله : [وأملي لهم إن كيدي متين] قال ابن كثير : هذا إخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فأخرج الخبر عن الجزاء مخرج الخبر عن الفعل الذي استحقوا العقاب عليه ، فاللفظ متفق والمعنى مختلف ، وإليه وجهوا كل ما في القرآن من نظائر مثل [وجزاء سيئة سيئة مثلها] ومثل [فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه] فالأول ظلم ، والثاني عدل

[ويمدهم فى طغيانهم يعمهون] أي ويزيدهم – بطريق الإمهال والترك – فى ضلالهم وكفرهم يتخبطون ويترددون حيارى ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لأن الله طبع على قلوبهم وأعمى أبصارهم ، فلا يبصرون رشداً ، ولا يهتدون سبيلا

[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى] أي استبدلوا الكفر بالإيمان ، وأخذوا الضلالة ودفعوا ثمنها الهدى

[فما ربحت تجارتهم] أي ما ربحت صفقتهم فى هذه المعاوضة والبيع

[وما كانوا مهتدين] أي وما كانوا راشدين فى صنيعهم ذلك ، لأنهم خسروا سعادة الدارين.. ثم ضرب تعالى مثلين ، وضح فيهما خسارتهم الفادحة فقال :

[مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً] أى مثالهم فى نفاقهم وحالهم العجيبة فيه ، كحال شخص أوقد ناراً ليستدفئ بها ويستضئ ، فما اتقدت حتى انطفأت ، وتركته فى ظلام دامس ، وخوف شديد

[فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم] أى فلما انارت المكان الذى حوله فابصر وامن ، واستانس بتلك النار المشعه المضيئه [ذهب الله بنورهم] اى أطفأها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله بالكلية ، فتلاشت النار وعدم النور

[وتركهم فى ظلمات لا يبصرون] أي وأبقاهم فى ظلمات كثيفة ، وخوف شديد ، يتخبطون فلا يهتدون ، قال ابن كثير : ضرب الله للمنافقين هذا المثل ، فشبههم فى اشترائهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى ، بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها ، واستأنس بها وأبصر ما عن يمينه وشماله. فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، وصار فى ظلام شديد ، لا يبصر ولا يهتدى ، فكذلك هؤلاء المنافقون فى استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى ، واستحبابهم الغي عن الرشد ، وفى هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، ولذلك ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات الشك والكفر والنفاق لا يهتدون إلى سبيل خير ، ولا يعرفون طريق النجاة

[صم] أي هم كالصم لا يسمعون خيرا

[بكم] أي كالخرس لا يتكلمون بما ينفعهم

[عمى] أى كالعمى لا يبصرون الهدى ولا يتبعون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيله

[فهم لا يرجعون] أي لا يرجعون عما هم فيه من الغي والضلال.. ثم ثنى تعالى بتمثيل آخر لهم ، زيادة فى الكشف والإيضاح فقال :

[أو كصيب من السماء] أي أو مثلهم فى حيرتهم وترددهم كمثل قوم أصابهم مطر شديد ، أظلمت له الأرض ، وأرعدت له السماء ، مصحوب بالبرق والرعد والصواعق

[فيه ظلمات ورعد وبرق] أي فى ذلك السحاب ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف

[يجعلون أصابهم فى آذانهم من الصواعق] أي يضعون رؤوس أصابعهم فى آذانهم لدفع خطر الصواعق ، وذلك من فرط الدهشة والفزع ، كأنهم يظنون أن ذلك ينجيهم

[حذر الموت] أى خشية الموت من تلك الصواعق المدمرة

[والله محيط بالكافرين] جملة اعتراضية أي والله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى محيط بهم بقدرته ، وهم تحت إرادته ومشيئته لا يفوتونه ، كما لا يفوت من أحاط به الأعداء من كل جانب

[يكاد البرق يخطف أبصارهم] أي يقارب البرق لشدته وقوته وكثرة لمعانه ، أن يذهب بأبصارهم فيأخذها بسرعة

[كلما أضاء لهم مشوا فيه] أي كلما أنار لهم البرق الطريق مشوا فى ضوئه

[وإذا أظلم عليهم قاموا] أي وإذا اختفى البرق وفتر لمعانه ، وقفوا عن السير وثبتوا فى مكانهم.. وفي هذا تصوير لما هم فيه من غاية التحير والجهل ، فإذا صادفوا من البرق لمعة – مع خوفهم أن يخطف أبصارهم – انتهزوها فرصة فخطوا خطوات يسيرة ، وإذا خفي وفتر لمعانه وقفوا عن السير ، وثبتوا فى أماكنهم خشية التردى فى حفرة

[ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم] أي لو أراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله لزاد فى قصف الرعد ، فأصمهم وذهب بأسماعهم ، وفى ضوء البرق فأعماهم وذهب بأبصارهم

[إن الله على كل شئ قدير] أي إنه تعالى قادر على كل شئ ، لا يعجزه أحد فى الأرض ولا فى السماء ، قال ابن جرير : إنما وصف تعالى نفسه بالقدرة على كل شئ فى هذا الموضع ، لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قادر.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلى :

أولا : المبالغة فى تكذيب المنافقين فى دعوى الإيمان [وما هم بمؤمنين] وكان الأصل أن يقول : " وما آمنوا " ليطابق قوله [من يقول آمنا] ولكنه عدل عن الفعل إلى الاسم ، لإخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ، وأكده بالباء للمبالغة فى نفي الإيمان عنهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً : الاستعارة التمثيلية [يخادعون الله] شبه حالهم مع ربهم فى إظهار الإيمان وإخفاء الكفر ، بحال رعية تخادع الملك ، واستعير اسم المشبه به للمشبه بطريق الاستعارة ، أى يعملون عمل المخادع الذى يضحك على نفسه.

ثالثا : صيغة القصر [إنما نحن مصلحون] وهذا من نوع " قصر الموصوف على الصفة " أى نحن مصلحون ليس إلا.

رابعا : الكناية اللطيفة [فى قلوبهم مرض] المرض فى الأجسام حقيقة وقد كنى به عن النفاق لأن المرض فساد للبدن ، والنفاق فساد للقلب.

خامسا : تنويع التأكيد [ألا إنهم هم المفسدون] جاءت الجملة مؤكدة بأربع تأكيدات [ألا] التى تفيد التنبيه ، و[إن] التى هى للتأكيد ، وضمير الفصل [هم] ثم تعريف الخبر [المفسدون] ومثلها فى التأكيد [ألا إنهم هم السفهاء] وهذا رد من الله تعالى بأبلغ رد وأحكمه.

سادسا : المشاكلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الله يستهزئ بهم] سمى الجزاء على الاستهزاء استهزاء بطريق (المشاكلة) وهى الاتفاق فى اللفظ ، مع الاختلاف فى المعنى.

سابعاً : الاستعارة التصريحية [اشتروا الضلالة بالهدى] المراد استبدلوا الغي بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم ، فاستعار لفظ الشراء للاستبدال ثم زاده توضيحاً بقوله : [فما ربحت تجارتهم] وهذا هو الترشيح الذى يبلغ بالاستعارة الذروة العليا من البيان.

ثامنا : التشبيه التمثيلى [مثلهم كمثل الذى استوقد نارا] وكذلك فى [أو كصيب من السماء فيه ظلمات] شبه فى المثال الأول المنافق بالمستوقد للنار ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، وفى المثال الثانى شبه الإسلام بالمطر ، لأن القلوب تحيا به كحياة الأرض بالماء ، وشبه شبهات الكفار بالظلمات ، وما فى القرآن من الوعد والوعيد بالرعد والبرق... الخ ((قال الفخر الرازي : والتشبيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ههنا فى غاية الصحة ، لأنهم بإيمانهم أولا اكتسبوا نورا ، ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور ، ووقعوا فى حيرة عظيمة ، لأنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين ، لخسران نفسه أبد الآبدين)).

تاسعاً : التشبيه البليغ [صم بكم عمي] أي هم كالصم ، وكالبكم وكالعمى ، في عدم الاستفادة من هذه الحواس ، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا ، كقول القائل : هو بدر ، وقول الشاعر :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهم كوكب

عاشرا : المجاز المرسل [يجعلون أصابعهم فى آذانهم] وهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء ، أى رؤوس أصابعهم ، لأن دخول الأصبع كلها فى الأذن لا يمكن ، ففيه مجاز بالجزئية.

الحادى عشر : توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات ، وهذا له وقع فى الأذن حسن ، وأثر فى النفس رائع ، مثل [بما كانوا يكذبون] [إنما نحن مصلحون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويمدهم فى طغيانهم يعمهون] إلخ وهو من المحسنات البديعية.

الفوائد :

الأولى : الغاية من ضرب المثل : تقريب البعيد ، وتوضيح الغامض حتى يصبح كالأمر المشاهد المحسوس ، وللأمثال تأثير عجيب فى النفس ، كما قال تعالى [وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون]

الثانية : وصف تعالى المنافقين فى هذه الآيات بعشرة أوصاف ، كلها شنيعة وقبيحة ، تدل على رسوخهم فى الضلال وهى (الكذب ، الخداع ، المكر ، السفه ، الاستهزاء ، الإفساد فى الأرض ، الجهل ، الضلال ، التذبذب ، السخرية بالمؤمنين) أعاذنا الله من صفات المنافقين.

الثالثة : حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين ، مع أنهم كفار وعلمه (ص) بأعيان بعضهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ما أخرجه البخاري أن النبي (ص) قال لعمر : " أكره أن يحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه " .

لطيفة :

قال العلامة ابن القيم : تأمل قوله تعالى [ذهب الله بنورهم] ولم يقل : " ذهب الله بنارهم " مع أنه مقتضى السياق ليطابق أول الآية [استوقد نارا] فإن النار فيها إشراق وإحراق ، فذهب الله بما فيها من الإشراق وهو " النور " وأبقى ما فيها من الإحراق وهو " النارية " !! وتأمل كيف قال : [بنورهم] ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء زيادة فى النور ، فلو قيل : (ذهب الله بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل!! وتأمل كيف قال : [ذهب الله بنورهم] فوحد النور ثم قال : [وتركهم فى ظلمات] فجمعها ، فإن الحق واحد ، هو (صراط الله المستقيم) ، الذى لا صراط يوصل سواه ، بخلاف طرق الباطل ، فإنها متعددة ومتشعبة ، ولهذا أفرد سبحانه " الحق " وجمع " الباطل " فى آيات عديدة مثل قوله تعالى : [يخرجونهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الظلمات إلى النور] وقوله : [وجعل الظلمات والنور] وقوله : [وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] فجمع سبل الباطل ، ووحد سبيل الحق.

قال الله تعالى :

[يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم.. إلى .. وهم فيها خالدون] من آية (21) إلى نهاية آية (25).

المناسبة :

لما ذكر تعالى الأصناف الثلاثة (المؤمنين ، والكافرين ، والمنافقين) وذكر ما تميزوا به من سعادة أو شقاوة ، أو إيمان أو نفاق ، وضرب الأمثال ، ووضح طرق الضلال ، أعقبه هنا بذكر الأدلة والبراهين ، على وحدانية رب العالمين ، وعرف الناس بنعمه ليشكروه عليها ، وأقبل عليهم بالخطاب فقال : [يا أيها الناس] وهو خطاب لجميع الفئات ممتناً عليهم بما خلق ورزق ، وأبرز لهم (معجزة القرآن) بأنصع بيان وأوضح برهان ، ليقتلع من القلوب جذور الشك والارتياب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[خلقكم] الخلق : الإيجاد والاختراع بلا مثال ، وأصله فى اللغة التقدير ، يقال : خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس ، وخلق الأديم للسقاء إذا قدره ، قال الحجاج : " ما خلقت إلا فريت ، ولا وعدت إلا وفيت " أى ما قدرت شيئا إلا أمضيته ، ولا وعدت بشيء إلا وفيت به.

[فراشا] الفراش : الوطاء والمهاد الذى يقعد عليه الإنسان وينام

[بناء] البناء : ما يبنى من قبة أو خباء أو بيت

[أندادا] جمع ند وهو الكفء والمثيل والنظير ، ومنه قول علماء التوحيد " ليس لله ند ولا ضد " قال حسان : أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء . وقال الزمخشري : " الند : المثل ، ولا يقال إلا للمخالف المناوئ " ، قال جرير : أتيما تجعلون إليّ ندا ؟

[وقودها] الوقود : الحطب الذى توقد به النار ، قال القرطبي : الوقود بالفتح الحطب ، وبالضم مصدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمعنى التوقد

[أعدت] هيئت ، وأعددنا : هيأنا ، قال البيضاوي :

[أعدت] هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم

[وبشر] البشارة : الخبر السار الذى يتغير به بشرة الوجه من السرور ، وإذا استعمل فى الشر فهو تهكم ، مثل [فبشرهم بعذاب أليم]

[أزواج] جمع زوج ، ويطلق على الذكر والأنثى

[اسكن أنت وزوجك الجنة] فالمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة ، قال الأصمعي : لا تكاد العرب تقول زوجة ، وإنما يقولون زوج ، لكل من الذكر والأنثى

[خالدون] باقون دائمون ، لا يخرجون منها.

التفسير :

يقول تعالى منبهاً العباد إلى دلائل القدرة والوحدانية

[يا أيها الناس اعبدوا ربكم] أي يا معشر بني أدم اذكروا نعم الله الجليلة عليكم ، واعبدوا الله ربكم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذى رباكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا ، اعبدوه بتوحيده ، وشكره ، وطاعته

[الذى خلقكم والذين من قبلكم] أي الذي أوجدكم بقدرته من العدم ، وخلق من قبلكم من الأمم

[لعلكم تتقون] أي لتكونوا فى زمرة المتقين ، الفائزين بالهدى والفلاح ، قال البيضاوي : لما عدد تعالى فرق المكلفين ، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات ، هزا للسامع ، وتنشيطا له ، واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها ، وإنما كثر النداء فى القرآن بـــ [يا أيها] لاستقلاله بأوجه من التأكيد ، وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام ، من حقها أن يتفطنوا لها ، ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون ، حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ ، ثم عدد تعالى نعمه عليهم فقال

[الذى جعل لكم الأرض فراشا] أي جعلها مهادا وقرارا ، تستقرون عليها وتفترشونها كالبساط المفروش مع كرويتها ، وإلا ما أمكنكم العيش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستقرار عليها ، قال البيضاوي : جعلها مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط ، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة ، لأن (كروية) شكلها مع عظم حجمها ، لا يأبى الافتراش عليها

[والسماء بناء] أي سقفا للأرض مرفوعا فوقها ، كهيئة القبة والبناء

[وأنزل من السماء ماء] أي مطرا عذباً فراتا ، أنزله بقدرته من السحاب

[فأخرج به من الثمرات رزقا لكم] أي فأخرج بذلك المطر ، أنواع الثمار والفواكه والخضار غذاء لكم

[فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون] أي فلا تتخذوا معه شركاء من الأصنام والبشر ، تشركونهم مع الله فى العبادة ، وأنتم تعلمون أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق ، وأن الله هو الخالق الرازق وحده ، ذو القوة المتين ، قال ابن كثير : شرع تعالى فى بيان وحدانية ألوهيته بأنه هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم ، وإسباغه عليهم النعم ، والمراد بالسماء هنا (السحاب)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهو تعالى الذى أنزل المطر من السحاب فى وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به أنواع الزروع والثمار ، رزقاً لهم ولأنعامهم ، ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره . ثم ذكر تعالى الحجة على النبوة ، بعد ذكر أدلة التوحيد ، وأقام البرهان على إعجاز القرآن فقال :

[وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا] أي وإذا كنتم أيها الناس فى شك وارتياب من صدق هذا القرآن ، المعجز فى بيانه ، وتشريعه ، ونظمه ، الذي أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد (ص)

[فأتوا بسورة من مثله] أي فأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن ، في البلاغة والفصاحة والبيان

[وادعوا شهداءكم من دون الله] أي وادعوا أعوانكم وأنصاركم الذين يساعدونكم على معارضة القرآن ، غير الله سبحانه ، والمراد استعينوا بمن شئتم غيره تعالى. قال البيضاوي : المعنى : ادعوا للمعارضة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى ، فإنه لا يقدر أن يأتى بمثله إلا الله

[إن كنتم صادقين] أي أنه مختلق ، وأنه من كلام البشر ، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله

[فإن لم تفعلوا] أي فإن لم تقدروا على الاتيان بمثل سورة من سوره ، وعجزتم فى الماضي عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ، مع استعانتكم بالفصحاء والعباقرة والبلغاء

[ولن تفعلوا] أي ولن تقدروا فى المستقبل ايضا على ا?تيان بمثله والجمله [ولن تفعلوا] اعتراضيه للاشاره بعجز البشر فى الحاضر والمستقبل كقوله تعالى : [لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] أي معيناً. قال ابن كثير : تحداهم القرآن ، وهم أفصح الأمم ومع هذا عجزوا ، و[لن] لنفي التأبيد فى المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا ، وهذه أيضا معجزة أخرى ، وهو أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخبر خبرا جازماً قاطعاً ، غير خائف ، ولا مشفق ، أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وكذلك وقع الأمر لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ، ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ، والقرآن جميعه فصيح فى غاية نهايات الفصاحة والبيان عند من يعرف كلام العرب ، ويفهم تصاريف الكلام

[فاتقوا النار] أي فخافوا عذاب الله ، واحذروا نار الجحيم التي جعلها الله جزاء المكذبين

[التي وقودها الناس والحجارة] أي اتقوا النار التي مادتها التى تشعل بها وتضرم لإيقادها هى : الكفار ، والأصنام التي عبدوها من دون الله كقوله تعالى :

[إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم] قال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة يعذبون بها مع النار

[أعدت للكافرين] أي هيئت تلك النار وأرصدت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للكافرين الجاحدين ، ينالون فيها ألوان العذاب المهين.
تنبيه :
لما ذكر ما أعده لأعدائه ، عطف عليه بذكر ما أعده لأوليائه ، على طريقة القرآن فى الجمع بين الترغيب والترهيب ، للمقارنة بين حال الأبرار والفجار فقال
[وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي وبشر يا محمد المؤمنين المتقين ، الذين كانوا فى الدنيا محسنين ، والذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح
[أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار] أي بأن لهم حدائق وبساتين ذات أشجار ومساكن ، تجري من تحت قصورها ومساكنها أنهار الجنة ((جاء فى الحديث أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود ، أي تجري على سطحها وتحت قصورها)).
[كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً] أي كلما أعطوا عطاء ورزقوا من ثمار الجنة
[قالوا هذا رزقنا من قبل] أي هذا مثل الطعام الذي قدم إلينا قبل هذه المرة. قال المفسرون : إن أهل الجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرزقون من ثمارها ، تأتيهم به الملائكة ، فإذا قدم لهم مرة ثانية قالوا : هذا الذي أتيتمونا به من قبل ، فتقول الملائكة : كل يا عبد الله ، فاللون واحد والطعم مختلف ((ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله : [هذا الذي رزقنا من قبل] أي فى الدنيا ، ,هذا قول مرجوح ، والصحيح ما روي عن ابن عباس وغيره أن هذا فى الجنة ، عندما يقدم لهم الفاكهة مرة ثانية ، يقولون : قد جاءنا هذا الرزق من قبل ، لأن الكثيرين من فقراء المؤمنين ، لم يتنعموا بها فى الدنيا ، وليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء)) قال تعالى

[وأتوا به متشابها] أى متشابها فى الشكل والمنظر ، لا فى الطعم والمخبر. قال ابن جرير : يعني فى اللون والمرأى وليس يشبهه فى الطعم. قال ابن عباس : لا يشبه شئ مما فى الجنة ما فى الدنيا إلا فى الأسماء

[ولهم فيها أزواج مطهرة] أي ولهم فى الجنة زوجات من الحور العين ، مطهرات من الأقذار والأدناس ، الحسية ، والمعنوية ، قال ابن عباس : مطهرة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القذر والأذى. وقال مجاهد : مطهرة من الحيض والنفاس ، والغائط والبول والنخام ، وورد أن نساء الدنيا المؤمنات يكن يوم القيامة أجمل من الحور العين كما قال تعالى [إنا أنشأنهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا]

[وهم فيها خالدون] أي دائمون ، وهذا هو تمام السعادة ، فإنهم مع هذا النعيم فى مقام أمين ، يعيشون مع زوجاتهم فى هناء خالد لا يعتريه انقطاع ، كما قال تعالى : [وما هم منها بمخرجين] .

البلاغة :

1- ذكر الربوبية [اعبدوا ربكم] مع إضافته إلى المخاطبين للتفخيم والتعظيم لذات الرب الجليل.

2- الإضافة [على عبدنا] للتشريف والتكريم ، وهذا أشرف وصف لرسول الله (ص).

3- التعجيز [فأتوا بسورة] خرج الأمر عن صيغته إلى معنى التعجيز ، وتنكير السورة لإرادة العموم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشمول ، كأنه قال : أى سورة من القرآن.
4- المقابلة اللطيفة [جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء] فقد قابل بين الأرض والسماء ، والفراش والبناء ، وهذا من المحسنات البديعية.
5- الجملة الاعتراضية [ولن تفعلوا] لبيان التحدي فى الماضي والمستقبل ، وبيان العجز التام في جميع العصور والأزمان.
6- الإيجاز البديع بذكر الكناية [فاتقوا النار] أي فإن عجزتم فخافوا نار جهنم بتصديقكم بالقرآن ، لئلا تعذبوا بنار جهنم.
قال الله تعالى : [إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا.. إلى .. وهو بكل شئ عليم] من آية (26) إلى نهاية آية (29).
المناسبة :
لما بين تعالى بالدليل الساطع ، والبرهان القاطع ، أن القرآن كلام الله لا يتطرأ إليه شك ، وأنه كتاب معجز أنزله الله على خاتم المرسلين ، وتحداهم أن يأتوا بمثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة من أقصر سوره ، ذكر هنا شبهة أوردها الكفار للقدح فيه ، وهي أنه جاء فى القرآن ذكر " النحل ، والذباب ، والعنكبوت ، والنمل " إلخ وهذه الأمور لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء ، فضلا عن كلام رب العالمين ، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة ، ورد عليهم بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح فى فصاحة القرآن وإعجازه ، إذا كان ذكر المثل مشتملا على حكم بالغة.

اللغة :

[لا يستحيي] الحياء : تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم ، والمراد به هنا لازمه وهو الترك ، قال الزمخشري : أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي من ذكرها لحقارتها

[فما فوقها] فما دونها فى الصغر

[الفاسقين] أصل الفسق فى كلام العرب : الخروج عن الشيء ، والمنافق فاسق لخروجه عن طاعة ربه ، قال الفراء : الفاسق مأخوذ من قولهم فسقت الرطبة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قشرها أى خرجت ، ويسمى الفاسق فاسقا لخروجه عن طاعة الله ، وتسمى الفأرة فويسقة لخروجها لأجل المضرة.

[ينقضون] النقض : فسخ التركيب وإفساد ما أبرمته من بناء ، أو حبل ، أو عهد قال تعالى : [ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها] وقال [فبما نقضهم ميثاقهم] أي فبنقضهم الميثاق

[عهد] العهد : الموثق الذى يعطيه الإنسان لغيره ويقال عهد إليه أي أوصاه

[الميثاق] العهد المؤكد باليمين وهو أبلغ من العهد.

[استوى] الاستواء في الأصل : الاعتدال والاستقامة يقال : استوى العود إذا قام واعتدل ، واستوى إليه كالسهم إذا قصده قصداً مستويا ، وقال ثعلب : الاستواء : الإقبال على الشيء.

[فسواهن] خلقهم وأتقنهن وقيل معناه : صيرهن.

سبب النزول :

لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه العزيز ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله ، وما أراد بذكر هذه الأشياء الخسيسة ؟ فأنزل الله الآية.

التفسير :

يقول تعالى فى الرد على مزاعم اليهود والمنافقين [إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما] أي إن الله لا يستنكف ولا يمتنع عن أن يضرب أي مثل كان ، بأي شيء كان ، صغيراً كان أو كبيرا

[بعوضة فما فوقها] أي سواء كان هذا المثل بالبعوضة ، أو بما هو دونها فى الحقارة والصغر ، فكما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها

[فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم] أي أما المؤمنون فيعلمون أن الله حق ، لا يقول غير الحق ، وأن هذا المثل من عند الله

[وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا] ؟ وأما الذين كفروا فيتعجبون ويقولون : ماذا أراد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ضرب الأمثال بمثل هذه الأشياء الحقيرة ؟ قال تعالى فى الرد عليهم

[يضل به كثيرا ويهدى به كثير] أي يضل بهذا المثل كثيرا من الكافرين لكفرهم به ، ويهدي به كثيرا من المؤمنين لتصديقهم به ، فيزيد أولئك ضلالة ، وهؤلاء هدى

[وما يضل به إلا الفاسقين] أي ما يضل بهذا المثل أو بهذا القرآن إلا الخارجين عن طاعة الله ، الجاحدين لآياته.. ثم عدد تعالى أوصاف هؤلاء الفاسقين فقال

[الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه] أي ينقضون ما عهده إليهم فى الكتب السماوية ، من الإيمان بمحمد (ص) بعد توكيده عليهم ، أو ينقضون كل عهد وميثاق من الإيمان بالله ، والتصديق بالرسل ، والعمل بالشرائع

[ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل] من صلة الأرحام والقرابات ، واللفظ عام فى كل قطيعة لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرضاها الله ، كقطع الصلة بين الأنبياء ، بالإيمان بالبعض ، والكفر بالبعض ، وقطع الأرحام ، وترك موالاة المؤمنين

[ويفسدون في الأرض] بالمعاصي ، والفتن ، والمنع عن الإيمان ، وإثارة الشبهات حول القرآن

[أولئك هم الخاسرون] أي أولئك المذكورون ، الموصوفون بتلك الأوصاف القبيحة ، هم الخاسرون لأنهم استبدلوا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فصاروا الى النار المؤبدة

[كيف تفكرون بالله] استفهام للتوبيخ والإنكار ، والمعنى : كيف تجحدون الخالق وتنكرون الصانع ؟

[وكنتم أمواتا] أي وقد كنتم فى العدم نطفا فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات

[فأحياكم] أي أخرجكم إلى الدنيا

[ثم يميتكم] عند انقضاء الآجال

[ثم يحييكم] بالبعث من القبور

[ثم إليه ترجعون] للحساب والجزاء يوم النشور.. ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر تعالى برهانا على البعث فقال

[هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا] أي خلق لكم الأرض وما فيها لتنتفعوا بكل ما فيها ، وتعتبروا بأن الله هو الخالق الرازق

[ثم استوى إلى السماء] أي ثم قصد إلى السماء ((قال ابن كثير : والاستواء ههنا متضمن معنى القصد والإقبال ، لأنه عدي بـــ " إلى ")).

[فسواهن سبع سموات] أي صيرهن وقضاهن سبع سموات محكمة البناء ، وذلك دليل القدرة الباهرة

[وهو بكل شيء عليم] أي وهو عالم بكل ما خلق وذرأ ، أفلا تعتبرون بأن القادر على خلق ذلك – وهى أعظم منكم – قادر على إعادتكم ؟ بلى إنه على كل شيء قدير.

البلاغة :

1- قوله [لا يستحيي] من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم ، والمعنى : لا يترك فعبر بالحياء عن الترك ، لأن الترك من ثمرات الحياء ، ومن استحيا من فعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء تركه.

2- قوله [ينقضون عهد الله] فيه (استعارة مكنية) حيث شبه العهد بالحبل ، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكنية.

3- قوله [كيف تكفرون بالله] في الآية حسن بيان ، فهي من باب (الالتفات) للتوبيخ والتقريع ، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة ، ثم التفت فخاطبهم بصيغة الحضور ، وهو ضرب من ضروب البديع.

4- قوله [عليم] من صيغ المبالغة ، ومعناه الواسع العلم الذي أحاط علمه بجميع الأشياء ، قال أبو حيان : وصف تعالى نفسه بـــ (عالم وعليم وعلام) وهذان للمبالغة ، وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة في (علامة) ولا يجوز وصفه به تعالى ، لأن أسماءه توقيفية ، حسب النص الشرعي الوارد.

الفوائد :

الأولى : قال الزمخشري : التمثيل إنما يصار إليه لما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه من كشف المعنى الغامض ، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له ، ألا ترى إلى الحق لما كان أبلج اضحا جليا ، كيف تمثل له بالضياء والنور ؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ؟ ولما كان حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله تعالى ليس أحقر منها وأقل ، لذلك ضرب لها المثل ببيت العنكبوت فى الضعف والوهن

[كمثل العنكبوت اتخذت بيتا] وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا [لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه] والعجب منهم كيف أنكروا ذلك ؟ وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم ، والطيور ، والحشرات والهوام ، وهذه أمثال العرب بين أيديهم سائرة فى حواضرهم وبواديهم.
الثانية : قدم الإضلال على الهداية [يضل به كثيرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويهدي به كثيرا] ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعاً يسوءهم ويفت فى أعضادهم ، وأوثرت صيغة الاستقبال إيذاناً بالتجدد والاستمرار ، أفاده العلامة أبو السعود.

الثالثة : قال ابن جزي فى التسهيل : وهذه الآية [خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء] تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله تعالى : [والأرض بعد ذلك دحاها] ظاهره خلاف ذلك ، والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون [ثم] لترتيب الأخبار.

قال الله تعالى :

[وإذا قال ربك للملائكة... إلى ... وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون] من آية (30) إلى نهاية آية (33).

المناسبة :

لما امتن تعالى على العباد بنعمة الخلق والإيجاد وأنه سخر لهم ما في الأرض جميعا ، وأخرجهم من العدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى الوجود ، أتبع ذلك ببدء خلقهم ، وامتن عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه ، بجعله خليفة ، وإسكانه دار الكرامة ، وإسجاد الملائكة تعظيما لشأنه ، ولا شك أن الإحسان على الأصل إحسان إلى الفرع ، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء ، ولهذا ناسب أن يذكرهم بذلك ، لأنها من وجوه النعم التي أنعم بها عليهم.

اللغة :

[إذ] ظرف زمان منصوب بفعل محذوف تقديره : أذكر حين أو اذكر وقت ، وقد يصرح بالمحذوف كقوله تعالى [واذكروا إذ أنتم قليل] قال المبرد : إذا جاء " إذ " مع مستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله [وإذ يمكر بك] معناه إذ مكروا ، وإذا جاء " إذا " مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله [فإذا جاءت الطامة] و[إذا جاء نصر الله] أي يجيء.

[خليفة] الخليفة : من يخلف غيره وينوب منابه ، (فعيل) بمعنى (فاعل) والتاء للمبالغة ، سمي خليفة لأنه مستخلف عن الله عز وجل في إجراء الأحكام وتنفيذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوامر الربانية قال تعالى [يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض] الآية

[يسفك] السفك : الصب والإراقة ، ولا يستعمل إلا فى الدم قال فى المصباح : وسفك الدم : أراقه ، وبابه ضرب .

[نسبح] التسبيح : تنزيه الله وتبرئته عن السوء ، وأصله من السبح وهو الجري والذهاب قال تعالى : [إن لك فى النهار سبحا طويلا] فالمسبح جار فى تنزيه الله تعالى

[ونقدس] التقديس : التطهير ومنه الأرض المقدسة وروح القدس ، وضده التنجيس ، وتقديس الله معناه : تمجيده وتعظيمه وتطهير ذكره عما لا يليق به ، وفي صحيح مسلم أن رسول الله (ص) كان يقول في ركوعه وسجوده (سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح)

[أنبئوني] أخبروني ، والنبأ : الخبر الهام ذو الفائدة العظيمة قال تعالى : [قل هو نبأ عظيم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتبدون] تظهرون

[تكتمون] تخفون ، ومنه كتم العلم أي إخفاؤه.

التفسير :

[وإذا قال ربك للملائكة] أي اذكر يا أيها الرسول واقصص على قومك ذلك

[إني جاعل في الأرض خليفة] أي خالق فى الأرض ومتخذ فيها خليفة ، هو آدم أبو البشر ، يكون له ذرية ونسل ، يخلف بعضهم بعضا ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل

[قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها] أي قالوا على سبيل التعجب والاستعلام : كيف تستخلف هؤلاء ، وفيهم من يفسد فى الأرض بالمعاصي

[ويسفك الدماء] أي يريق الدماء بالبغي والاعتداء !!

[ونحن نسبح بحمدك] أي ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك

[ونقدس لك] أي نعظم أمرك ونطهر ذكرك مما نسبه أليك الملحدون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال إني أعلم ما لا تعلمون] أي أعلم من المصالح ما هو خفي عليكم ، ولي حكمة في خلق الخليقة لا تعلمونها

[وعلم آدم الأسماء كلها] أي أسماء المسميات كلها قال ابن عباس : علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة

[ثم عرضهم على الملائكة] أي عرض المسميات على الملائكة وسألهم على سبيل التبكيت

[فقال أنبئوني] أي أخبروني

[بأسماء هؤلاء] أي بأسماء هذه المخلوقات التي ترونها

[إن كنتم صادقين] أي في زعمكم أنكم أحق بالخلافة ممن استخلفته ، والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة ، وخصه بالمعرفة التامة دونهم ، من معرفة الأسماء ، والأشياء ، والأجناس ، واللغات ، ولهذا اعترفوا بالعجز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقصور

[قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا] أي ننزهك يا الله عن النقص ونحن لا علم لنا إلا ما علمتنا إياه

[إنك أنت العليم] أي الذي لا تخفى عليه خافية

[الحكيم] الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة

[قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم] أي أعلمهم بالأسماء التى عجزوا عن علمها ، واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها

[فلما أنبأهم بأسمائهم] أي أخبرهم بكل الأشياء ، وسمى كل شئ باسمه ، وذكر حكمته التي خلق لها

[قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض] أي قال تعالى للملائكة : ألم أنبئكم بأني أعلم ما غاب فى السموات والأرض عنكم

[وأعلم ما تبدون] أي ما تظهرون

[وما كنت تكتمون] أي تسرون من دعواكم أن الله لا يخلق خلقاً أفضل منكم. روي أنه تعالى لما خلق آدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة ، وقالوا : ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه!!.

البلاغة :

1- التعرض بعنوان الربوبية [وإذ قال ربك] مع الإضافة إلى الرسول عليه السلام للتشريف والتكريم لمقامه ، وتقديم الجار والمجرور [للملائكة] للاهتمام بما قدم ، والتشويق إلى ما أخر.

2- الأمر في قوله تعالى [أنبئوني] خرج عن حقيقته إلى التعجيز والتبكيت.

3- [فلما أنبأهم بأسمائهم] فيه مجاز بالحذف والتقدير : فأنبأهم بها فلما أنبأهم ، حذف لفهم المعنى.

4- [ثم عرضهم] هو من باب التغليب لأن الميم علامة الجمع للعقلاء الذكور ، ولو لم يغلب لقال [ثم عرضها] أو عرضهن.

5- إبراز الفعل فى قوله [إني أعلم غيب السموات] ثم قال [وأعلم ما تبدون] للاهتمام بالخبر والتنبيه على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء ، ويسمى هذا بالإطناب.

6- تضمنت آخر هذه الآية من علم البديع ما يسمى بـــ " الطباق " وذلك فى كلمتي [تبدون] و[تكتمون] كقوله تعالى عن أصحاب الكهف [وتحسبهم أيقاظا وهم رقود] .

الفوائد :

الأولى : قال بعض العلماء : في إخبار الله تعالى للملائكة عن خلق آدم واستخلافه في الأرض ، تعليم لعباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها.

الثانية : الحكمة من جعل آدم عليه السلام خليفة هي الرحمة بالعباد – لا لافتقار الله – وذلك أن العباد لا طاقة لهم على تلقي الأوامر والنواهي من الله مباشرة ، ولا بواسطة ملك ، فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر.

الثالثة : قال الحافظ ابن كثير : وقول الملائكة : [أتجعل فيها من يفسد فيها] الآية ليس هذا على وجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ، يقولون : ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ؟ وقال فى التسهيل : وإنما علمت الملائكة أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك ، وقيل : كان في الأرض جن فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم ، فقاس الملائكة بني آدم عليهم.

الرابعة : سئل الشعبي : هل لإبليس زوجة ؟ قال : ذلك عرس لم أشهده ؟ قال : ثم قرأت قوله تعالى : [أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني] فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجة ، فقلت : نعم.

قال الله تعالى : [وإذ قلنا لملائكة اسجدوا لآدم .. إلى .. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] من آية (34) إلى نهاية آية (39) .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أشارت الآيات السابقة إلى أن الله تعالى خص آدم عليه السلام بالخلافة ، كما خصه بعلم غزير ، وقفت الملائكة عاجزة عنه ، وأضافت هذه الآيات الكريمة بيان نوع آخر من التكريم أكرمه الله به ، ألا وهو أمر الملائكة بالسجود له ، وذلك من أظهر وجوه التشريف والتكريم ، لهذا النوع البشري ، ممثلا في أصل البشرية آدم عليه السلام.

اللغة :

[اسجدوا] أصل السجود : الانحناء لمن يسجد له والتعظيم ، وهو في اللغة : التذلل والخضوع ، وفي الشرع : وضع الجبهة على الأرض

[إبليس] اسم للشيطان وهو أعجمي ، وقيل إنه مشتق من الإبلاس وهو الإياس

[أبى] امتنع ، والإباء : الامتناع مع التمكن من الفعل

[استكبر] الاستكبار : التكبر والتعاظم فى النفس

[رغدا] واسعا كثيرا لا عناء فيه ، والرغد : سعة العيش ، يقال : رغد عيش القوم إذا كانوا في رزق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واسع ، قال الشاعر :

بينما المرء تراه ناعما يأمن الأحداث في عيش رغد

[فأزلهما] أصله من الزلل وهو عثور القدم يقال : زلت قدمه أي زلقت ثم استعمل في ارتكاب الخطيئة مجازاً ، يقال : زل الرجل إذا أخطأ وأتى ما ليس له إتيانه ، وأزله غيره : إذا سبب له ذلك

[مستقر] موضع استقرار

[ومتاع] المتاع ، ما يتمتع به من المأكول ، والمشروب ، والملبوس ، ونحوه

[فتلقى] التلقي فى الأصل : الاستقبال تقول خرجنا نتلقى الحجيج أي نستقبلهم ، ثم استعمل في أخذ الشيء وقبوله ، تقول : تلقيت رسالة من فلان أي أخذتها وقبلتها

[فتاب] التوبة فى أصل اللغة : الرجوع ، وإذا عديت بعن كان معناها الرجوع عن المعصية ، وإذا عديت بعلى كان معناها قبول التوبة ، كما هنا [فتاب عليه] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[وإذ قلنا للملائكة] أي اذكر يا أيها الرسول لقومك حين قلنا للملائكة

[اسجدا لآدم] أي سجود (تحية وتعظيم) ، لا سجود عبادة

[فسجدوا إلا إبليس] أي سجدوا جميعا له غير إبليس

[أبى واستكبر] أي امتنع مما أمره الله به وتكبر عنه

[وكان من الكافرين] أي صار بإبائه واستكباره من الكافرين ، حيث استقبح أمر الله بالسجود لآدم

[وقلنا يا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة] أي اسكن في جنة الخلد مع زوجك حواء

[وكلا منها رغدا] أي كلا من ثمار الجنة أكلا رغدا واسعا هنيئا

[حيث شئتما] أي من أي مكان في الجنة أردتما الأكل فيه

[ولا تقربا هذه الشجرة] أي لا تأكلا من هذه الشجرة ، قال ابن عباس : هي الكرم يعني العنب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فتكونا من الظالمين] أي فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله

[فأزلهما الشيطان عنها] أي أوقعهما فى الزلة بسببها وأغواهما بالأكل منها ، هذا إذا كان الضمير عائدا إلى الشجرة ، أما إذا كان عائدا إلى الجنة فيكون المعنى : أبعدهما وحولهما من الجنة

[فأخرجهما مما كانا فيه] أي من نعيم الجنة

[وقلنا اهبطوا] أي اهبطوا من الجنة إلى الأرض ، والخطاب لآدم وحواء وإبليس

[بعضكم لبعض عدو] أي الشيطان عدو لكم فكونوا أعداء له كقوله سبحانه [إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا]

[ولكم فى الأرض مستقر] أي لكم فى الدنيا موضع استقرار بالإقامة فيها

[ومتاع إلى حين] أي تمتع بنعيهما إلى وقت انقضاء آجالكم

[فتلقى آدم من ربه كلمات] أي استقبل آدم دعوات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ربه ألهمه إياها فدعاه بها وهذه الكلمات مفسرة فى موطن آخر فى سورة الأعراف في قوله جل ذكره

[قالا ربنا ظلمنا أنفسنا] الآية

[فتاب عليه] أي قبل ربه توبته

[إنه هو التواب الرحيم] أي إن الله كثير القبول للتوبة ، واسع الرحمة للعباد

[قلنا اهبطوا منها جميعا] كرر الأمر بالهبوط للتأكيد ، ولبيان أن إقامة آدم وذريته في الأرض لا فى الجنة

[فإما يأتينكم منى هدى] أي رسول أبعثه لكم ، وكتاب أنزله عليكم

[فمن تبع هداي] أي من آمن بي وعمل بطاعتي ، واتبع رسلى

[فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أي لا ينالهم خوف ولا حزن في الآخرة

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا] أي جحدوا بما أنزلت وبما أرسلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي هم مخلدون في الجحيم أعاذنا الله منها.

البلاغة :

- أولا : صيغة الجمع [وإذ قلنا] للتعظيم وهي معطوفة على قوله : [وإذ قال ربك] وفيه التفات من الغائب إلى المتكلم لتربية المهابة وإظهار الجلالة.

- ثانيا : أفادت الفاء في قوله [فسجدوا] أنهم سارعوا فى الامتثال ولم يتثبطوا فيه ، وفي الآية إيجاز بالحذف أي " فسجدوا لآدم " وكذلك [أبى] مفعوله محذوف أي أبى السجود.

- ثالثا : قوله : [ولا تقربا هذه الشجرة] المنهي عنه هو الأكل من ثمار الشجرة ، وتعليق النهي بالقرب منها [ولا تقربا] لقصد المبالغة في النهي عن الأكل ، إذ النهي عن القرب نهي عن الفعل بطريق أبلغ ، كقوله تعالى : [ولا تقربوا الزنى] فنهى عن القرب من الزنى ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه ، من النظرة ، والملامسة ، والمصافحة ، والخلوة ، والمغازلة.. الخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- رابعا : التعبير بقوله : [مما كانا فيه] أبلغ فى الدلالة على فخامة الأمر ، وكثرة الخيرات مما لو قيل : من النعيم أو الجنة ، فإن من أساليب البلاغة في الدلالة على عظم الشيء أن يعبر عنه بلفظ مبهم نحو [مما كانا فيه] لتذهب نفس السامع في تصور عظمته وكماله ، إلى أقصى ما يمكنها أن تذهب إليه.

- خامسا : [التواب الرحيم] من صيغ المبالغة أي كثير التوبة واسع الرحمة.

الفوائد :

الأولى : كيف يصبح السجود لغير الله ؟ والجواب أن سجود الملائكة لآدم كان للتحية ، وكان سجود (تشريف وتكريم) ، لا سجود (صلاة وعبادة) ، قال الزمخشري : السجود لله تعالى على سبيل العبادة ، ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم ، ويعقوب وأبناؤه ليوسف عليه السلام.

الثانية : قال بعض الصالحين : سابق العناية لا يؤثر فيه حدوث الجناية ، ولا يحط عن رتبة الولاية ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمخالفة آدم التى أوجبت له الإخراج من دار الكرامة ، لم تخرجه عن حظيرة القدس ، ولم تسلبه رتبة الخلافة ، بل أجزل الله له فى العطية فقال : [ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى] وقال الشاعر :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

الثالثة : هل كان إبليس من الملائكة ؟ الجواب :

اختلف المفسرون على قولين : ذهب بعضهم إلى أنه من الملائكة بدليل الاستثناء [فسجدوا إلا إبليس] وقال آخرون : الاستثناء منقطع وإبليس من الجن وليس من الملائكة وإليه ذهب الحسن وقتادة واختاره الزمخشري ، قال الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، ونحن نرجح القول الثاني للأدلة الآتية :

-أولا : الملائكة منزهون عن المعصية [لا يعصون الله ما أمرهم] وإبليس قد عصى أمر ربه.

-ثانيا : الملائكة خلقت من نور ، وإبليس خلق من نار فطبيعتهما مختلفة.

-ثالثا : الملائكة لا ذرية لهم وإبليس له ذرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني] ؟

-رابعا : النص الصريح الواضح فى سورة الكهف على أنه من الجن وهو قوله تعالى : [إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه] وكفى به حجة وبرهانا.

-خامسا : قول الحسن البصري وهو من كبار التابعين : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وهذا هو الصحيح ، والله أعلم.

قال الله تعالى : [يا بني إسرائيل.. إلى .. واركعوا مع الركعين] من آية (40) إلى نهاية آية (43).

المناسبة :

من بداية هذه الآية إلى آية (142) ورد الكلام عن بني إسرائيل ، وقد تحدث القرآن الكريم بالإسهاب عنهم فيما يقرب من جزء كامل ، وذلك يدل على عناية القرآن بكشف حقائق اليهود ، وإظهار ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة ، من خبث ، وكيد ، ومكر ، حتى يحذرهم المسلمون ، أما وجه المناسبة فإن الله تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما دعا البشر إلى عبادته وتوحيده ، وأقام للناس الحجج الواضحة على وحدانيته ووجوده ، وذكرهم بما أنعم به على أبيهم آدم عليه السلام ، دعا بني إسرائيل خصوصا – وهم اليهود – إلى الإيمان بخاتم الرسل ، وتصديقه فيما جاء به عن الله ، لأنهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، وقد تفنن القرآن فى مخاطبتهم ، فتارة دعاهم بالملاطفة ، وتارة بالتخويف ، وتارة بالتذكير بالنعم عليهم وعلى آبائهم ، وأخرى بإقامة الحجة والتوبيخ على سوء أعمالهم ، وهكذا انتقل من التذكير بالنعم العامة على البشرية ، إلى التذكير بالنعم الخاصة على بني إسرائيل.

اللغة :

[إسرائيل] اسم أعجمي ومعناه : عبد الله ، وهو اسم [يعقوب] عليه السلام ، والد يوسف الصديق ، وإليه ينتسب اليهود ، وقد صرح به فى آل عمران [إلا ما حرم إسرائيل على نفسه] الآية

[أوفوا] الوفاء : الإتيان بالشيء على التمام والكمال ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقال أوفى ووفى أي أداه وافيا تاما.

[تلبسوا] اللبس : الخلط ، تقول العرب : لبست الشيء بالشيء خلطته ، والتبس به اختلط ، قال تعالى : [وللبسنا عليهم ما يلبسون] وفي المصباح : لبس الثوب من باب تعب لبسا بضم اللام ، ولبست عليه الأمر لبسا من باب ضرب خلطته ، والتبس الأمر : أشكل

[الزكاة] مشتقة من زكا الزرع يزكو أي نما ، لأن إخراجها يجلب البركة ، أو هي من الزكاة أي الطهارة لأنها تطهر المال قال تعالى : [خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها] الأية.

التفسير :

[يا بني إسرائيل] أي يا أولاد النبي الصالح يعقوب

[اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم] اذكروا ما أنعمت به عليكم وعلى أبائكم من نعم لا تعد ولا تحصى

[وأوفوا بعهدي] أي أدوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أوف بعهدكم] بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب

[وإياي فارهبون] أي اخشوني دون غيري

[وآمنوا بما أنزلت] من القرآن العظيم

[مصدقا لما معكم] أي من التوراة فى أمور التوحيد والنبوة

[ولا تكونوا أول كافر به] أي أول من كفر من أهل الكتاب ، فحقكم أن تكونوا أول من آمن ، وأول المسارعين إلى الإيمان

[ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا] أي لا تستبدلوا بآياتي البينات التي أنزلتها عليكم حطام الدنيا الفانية

[وإياي فاتقون] أي خافون دون غيرى

[ولا تلبسوا الحق بالباطل] أي لا تخلطوا الحق المنزل من الله ، بالباطل الذي تخترعونه ، ولا تحرفوا ما فى التوراة بالبهتان الذي تفترونه

[وتكتمون الحق] أي ولا تخفوا ما فى كتابكم من أوصاف محمد (ص)

[وأنتم تعلمون] أنه حق أو حال كونكم عالمين بضرر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتمان

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين] أي أدوا ما وجب عليكم من الصلاة والزكاة ، وصلوا مع المصلين بالجماعة ، وفي زمرة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام.

البلاغة :

أولا : فى إضافة النعمة إليه سبحانه [نعمتي] إشارة إلى عظم قدرها ، وسعة برها ، وحسن موقعها ، لأن الإضافة تفيد التشريف كقوله : [بيت الله] و[ناقة الله] .

ثانيا : قوله [ولا تشتروا بآياتي] الشراء هنا على سبيل الاستعارة كما تقدم في قوله : [أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى] .

ثالثا : تكرير الحق فى قوله : [تلبسوا الحق] وقوله : [وتكتموا الحق] لزيادة تقبيح المنهي عنه ، إذ في التصريح ما ليس فى الضمير من التأكيد ، ويسمى هذا (بالإطناب) ، وهو من المحسنات البديعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعا : قوله : [واركعوا مع الراكعين] هو من باب تسمية الكل باسم الجزء أى صلوا مع المصلين ، اطلق الركوع وأراد به الصلاة ففيه مجاز مرسل.

خامسا : [وإياي فارهبون] و[إياي فاتقون] تقديم الضمير يفيد الاختصاص.

فائدة :

قال بعض العارفين : عبيد النعم كثيرون ، وعبيد المنعم قليلون ، فالله تعالى ذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم ، حتى يعرفوا نعمة المنعم فقال : [اذكروا نعمتي] وأما أمة محمد (ص) فقد ذكرهم بالمنعم فقال : [فاذكروني أذكركم] ليتعرفوا من المنعم على النعمة ، وشتان بين الأمرين!!.

قال الله تعالى : [أتأمرون الناس بالبر.. إلى .. ولا هم ينصرون] من آية (44) إلى نهاية آية (48).

اللغة :

[بالبر] البر : عمل الخير والمعروف ، ومنه البر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبرية للسعة ، وهو اسم جامع لأعمال الخير ، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وفي الحديث " البر لا يبلى والذنب لا ينسى "

[وتنسون] : تتركون والنسيان يأتي بمعنى الترك كقوله تعالى [نسو الله فنسيهم] وهو المراد هنا ، ويأتي بمعنى ذهاب الشيء من الذاكرة كقوله : [فنسي ولم نجد له عزما]

[تتلون] : تقرءون وتدرسون

[الخاشعين] الخاشع : المتواضع وأصله من الاستكانة والذل ، قال الزجاج ، الخاشع الذي يرى أثر الذل والخشوع عليه ، وخشعت الأصوات : سكنت

[يظنون] الظن هنا بمعنى اليقين لا الشك ، وهو من الأضداد ، قال أبو عبيدة : العرب تقول لليقين ظن ، وللشك ظن وقد كثر استعمال الظن بمعنى اليقين ومنه [إنى ظننت أنى ملاق حسابيه] [فظنوا أنهم مواقعوها] ، أي أيقنوا وتحققوا من دخول الجحيم.

[شفاعة] الشفاعة مأخوذة من الشفع ضد الوتر ، وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، ولهذا سميت شفاعة ، فهي إذا إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع

[عدل] بفتح العين فداء ، وبكسرها معناه : المثل ، يقال : عدل وعديل للذي يماثلك.

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن بني إسرائيل ، وفي هذه الآيات ذم وتوبيخ لهم على سوء صنيعهم ، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون الناس إلى الهدى والرشاد ولا يتبعونه.

سبب النزول :

نزلت هذه الآية في بعض علماء اليهود ، كانوا يقولون لأقربائهم الذين أسلموا : اثبتوا على دين محمد فإنه حق ، فكانوا يأمرون الناس بالإيمان ولا يفعلونه.

التفسير :

يخاطب الله أحبار اليهود فيقول لهم على سبيل التقريع والتوبيخ [أتأمرون الناس بالبر] أي أتدعون الناس إلى الخير ، وإلى الإيمان بمحمد (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتنسون أنفسكم] أي تتركونها فلا تؤمنون ولا تفعلون الخير

[وأنتم تتلون الكتاب] أي حال كونكم تقرءون التوراة ، وفيها صفة ونعت محمد عليه الصلاة والسلام

[أفلا تعقلون] أي أفلا تفطنون وتفقهون أن ذلك قبيح ؟ فترجعون عنه ؟! ثم بين لهم تعالى طريق التغلب على الأهواء والشهوات ، والتخلص من حب الرياسة وسلطان المال فقال :

[واستعينوا] أي اطلبوا المعونة على أموركم كلها

[بالصبر والصلاة] أي بتحمل ما يشق على النفس من تكاليف شرعية ، وبالصلاة التى هي عماد الدين

[وإنها] أي الصلاة

[لكبيرة] أي شاقة وثقيلة

[إلا على الخاشعين] أي المتواضعين المستكينين ، الخاضعين لأمر الله ، الذين صفت نفوسهم لله

[الذين يظنون] أي يعتقدون اعتقادا جازما لا يخالطه شك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أنهم ملاقوا ربهم] أي سيلقون ربهم يوم البعث فيحاسبهم على أعمالهم

[وأنهم إليه راجعون] أي معادهم إليه يوم الدين !! ثم ذكرهم تعالى بنعمه وآلائه العديدة مرة أخرى فقال :

[يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم] بالشكر عليها بطاعتي

[وأني فضلتكم] أي فضلت آباءكم

[على العالمين] أي عالمي زمانهم ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وجعلهم سادة وملوكاً ، وتفضيل الآباء شرف للأبناء

[واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا] أي خافوا ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا تقضي نفس عن أخرى شيئا من الحقوق

[ولا يقبل منها شفاعة] أي لا تقبل شفاعة فى نفس كافرة بالله أبدا

[ولا يؤخذ منها عدل] أي لا يقبل منها فداء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا هم ينصرون] أي ليس لهم من يمنعهم وينجيهم من عذاب الله.

البلاغة :

أولا : [أتأمّرون] الاستفهام خرج عن حقيقته إلى معنى التوبيخ والتقريع.

ثانيا : أتى بالمضارع [أتأمرون] وإن كان قد وقع ذلك منهم ، لأن صيغة المضارع تفيد التجدد والحدوث ، وعبر عن ترك فعلهم بالنسيان [وتنسون أنفسكم] مبالغة فى الترك ، فكأنه لا يجري لهم على بال ، وعلقه بالأنفس توكيدا للمبالغة في الغفلة المفرطة ، ولا يخفى ما في الجملة الحالية [وأنتم تتلون الكتاب] من التبكيت والتقريع والتوبيخ ، على سوء الفعل والصنيع!!

ثالثا : [وأني فضلتكم على العالمين] هو من باب عطف الخاص على العام لبيان الكمال ، لأن النعمة اندرج تحتها التفضيل المذكور ، فلما قال : [اذكروا نعمتي] عم جميع النعم فلما عطف [وأني فضلتكم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان من باب عطف الخاص على العام ، اعتناء بشأن الخاص ، لأنه نعمة أكبر.

رابعاً : [واتقوا يوما] التنكير للتهويل أي يوما شديد الهول ، وتنكير النفس [نفس عن نفس] ليفيد العموم والإقناط الكلي.

الفوائد :

الفائدة الأولى : قال القرطبي : إنما خص الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات ، تنويهاً بذكرها ، وقد كان عليه السلام إذا حز به أمر (أغمه) فزع إلى الصلاة ، وكان يقول (أرحنا بها يا بلال).

الثانية : قال علي كرم الله وجهه : " قصم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك " ومن دعا غيره إلى الهدى ولم يعمل به ، كان كالسراج يضئ للناس ويحرق نفسه ، قال الشاعر :

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالرأي منك وينفع التعليم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال أبو العتاهية : وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى
وريح الخطايا من ثيابك تسطع
وقال آخر : وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى
الناس وهو عليل

قال الله تعالى : [وإذ نجيناكم من آل فرعون.. إلى .. إنه هو التواب الرحيم] من آية (49) غلى نهاية آية (54).

المناسبة :

لما قدم تعالى ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً ، بين بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل ، ليكون أبلغ فى التذكير ، وأدعى إلى الشكر ، فكأنه قال : اذكروا نعمتي ، واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون ، واذكروا إذ فرقنا بكم البحر.. إلى آخره ، وكل هذه النعم تستدعي شكر المنعم جل وعلا ، لا كفرانه وعصيانه!!

اللغة :

[آل فرعون] أصل " آل " أهل ، ولذلك يصغر بأهيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فأبدلت هاؤه ألفا ، وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم ، فلا يقال آل الإسكاف والحجام ، و[فرعون] علم لمن ملك العمالقة ، كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ، ولعتوا الفراعنة اشتقوا منه " تفرعن " : إذا عتا وتجبر

[يسومونكم] يذيقونكم من سامه إذا أذاقه وأولاه ، قال الطبري : يوردونكم ويذيقونكم.

[يستحيون] يستبقون الإناث على قيد الحياة

[بلاء] اختبار ومحنة ، ويستعمل في الخير والشر كما قال تعالى : [ونبلوكم بالشر والخير فتنة]

[فرقنا] الفرق : الفصل والتمييز ، ومنه قوله سبحانه [وقرآنا فرقناه] أي فصلناه وميزناه بالبيان

[بارئكم] الباري هو الخالق للشئ على غير مثال سابق ، والبرية : الخلق.

التفسير :

[وإذ نجيناكم] أي اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم حين نجيت آباءكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من آل فرعون] أي من بطش فرعون وأشياعه العتاة ، والخطاب للأبناء المعاصرين للنبى (ص) ، لأن النعمة على الآباء نعمة على الأبناء

[يسومونكم سوء العذاب] أي يولونكم ويذيقونكم أشد العذاب وأفظعه

[يذبحون أبناءكم] أي يذبحون الذكور من الأولاد

[ويستحيون نساءكم] أي يستبقون الإناث على قيد الحياة للخدمة

[وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم] أي فيما ذكر من العذاب المهين ، من الذبح والاستحياء ، محنة واختبار عظيم لكم من جهته تعالى ، بتسليطهم عليكم ، ليتميز البر من الفاجر

[وإذ فرقنا بكم البحر] أي اذكروا أيضا إذ فلقنا لكم البحر ، وصار لكم فيه طرق عديدة ، فمشيتم عليها

[فأنجينا كم وأغرقنا آل فرعون] أي نجيناكم من الغرق ، وأغرقنا فرعون وقومه الطغاة المتجبرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنتم تنظرون] أي وأنتم تشاهدون ذلك ، فقد كان إغراقهم آية باهرة من آيات الله ، وعبرة للمعتبرين في إنجاء أوليائه وإهلاك أعدائه

[وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة] أي وعدنا موسى أن نعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ، وكان ذلك بعد نجاتكم وإهلاك فرعون

[ثم اتخذتم العجل] أي عبدتم العجل

[من بعده] أي بعد غيبته عنكم ، حين ذهب لميقات ربه

[وأنتم ظالمون] أي معتدون فى تلك العبادة ظالمون لأنفسكم

[ثم عفونا عنكم] أي تجاوزنا عن تلك الجريمة الشنيعة

[من بعد ذلك] أي من بعد ذلك الاتخاذ المتناهي فى القبح

[لعلكم تشكرون] أي لكي تشكروا نعمة الله عليكم ، وتستمروا بعد ذلك على الطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان] أي واذكروا نعمتي أيضا حين أعطيت موسى (التوراة) الفارقة بين الحق والباطل ، وأيدته بالمعجزات

[لعلكم تهتدون] أي لكي تهتدوا بالتدبر فيها ، والعمل بمقتضى ما فيها من أحكام ، شرعها الله لسعادتكم وفلاحكم! ثم بين تعالى كيفية وقوع العفو المذكور فى الآية السابقة [ثم عفونا عنكم] بقوله :

[وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم] أي اذكروا حين قال موسى لقومه ، بعدما رجع من الموعد الذى وعده ربه ، فرآهم قد عبدوا العجل : يا قوم لقد ظلمتم أنفسكم

[باتخاذكم العجل] أي بعبادتكم للعجل

[فتوبوا إلى بارئكم] أي توبوا إلى من خلقكم بريئا من العيب والنقصان

[فاقتلوا أنفسكم] أي ليقتل البريء منكم المجرم

[ذلكم] أي القتل

[خير لكم عند بارئكم] أي رضاكم بحكم الله ونزولكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند أمره ، خير لكم عند الخالق العظيم

[فتاب عليكم] أي قبل توبتكم

[إنه هو التواب الرحيم] أي عظيم المغرفة ، واسع التوبة.

البلاغة :

أولا : قال ابن جزي : [يسومونكم سوء العذاب] أي يلزمونكم به وهو استعارة من السوم في البيع ، وفسر سوء العذاب بقوله : [يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم] ولذلك لم يعطفه هنا بالواو ، وعطفه في إبراهيم [ويذبحون أبناءكم] لأنه هناك نوع العذاب ، أي أنه نوع آخر غير الذبح.

ثانيا : التنكير في كل من [بلاء] و[عظيم] للتفخيم والتهويل.

ثالثا : صيغة المفاعلة في قوله : [وإذ واعدنا] ليست على بابها ، لأنها لا تفيد المشاركة من الطرفين ، وإنما هي بمعنى الثلاثي [وإذ وعدنا] .

رابعاً : قال أبو السعود : [فتوبوا إلى بارئكم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعرض بذكر البارئ للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ، ومن الغواية منتهاها ، حيث تركوا عبادة العليم الحكيم ، الذي خلقهم بلطيف حكمته ، إلى عبادة البقر الذي هو مثل فى الغباوة.. أقول : لا عجب فى ذلك ، فالجنس يألفه الجنس.

الفوائد :

الأولى : العطف فى قوله : [الكتاب والفرقان] هو من باب عطف الصفات بعضها على بعض ، لأن الكتاب هو التوراة ، والفرقان هو التوراة أيضا ، وحسن العطف لكون معناه أنه أتاه إياه جامعاً بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل.

الثانية : سبب تقتيل الذكور من بنى إسرائيل ما رواه المفسرون (أن فرعون رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس ، وأحاطت بمصر ، وأحرقت كل قبطي بها ، ولم تتعرض لبني إسرائيل ، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا : يولد في بني إسرائيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غلام يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل.

الثالثة : قال القشيري : من صبر في الله ، على قضاء الله ، عوضه الله صحبة أوليائه الصالحين ، هؤلاء بنو إسرائيل ، صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه ، فجعل الباري منهم أنبياء ، وجعل منهم ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين.

قال الله تعالى : [وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهة.. إلى .. بما كانوا يفسقون] من آية (55) إلى نهاية آية (59).

المناسبة :

بعد أن ذكرهم تعالى بالنعم ، بين لونا من ألوان طغيانهم وجحودهم ، وتبديلهم لأوامر الله ، وهم مع الكفر والعصيان ، يعاملون باللطف والإحسان ، فما أقبحهم من أمة وما أخزاهم !! قال الطبري : لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل ، أمر الله تعالى موسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يختار من قومه رجالا ، يعتذرون إليه من عبادتهم العجل ، فاختار موسى سبعين رجلا من خيارهم كما قال تعالى : [واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا] وقال لهم : صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم ففعلوا ، وخرج بهم إلى " طور سيناء " فقالوا لموسى : اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام ، حتى تغشى الجبل كله ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا ، فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه ، فلما انكشف عن موسى الغمام ، أقبل إليهم فقالوا لموسى مقالتهم الشنيعة [لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة] .

اللغة :

[جهرة] علانية ، وأصل الجهر : الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة والجهر بالمعاصي يعني المظاهرة بها ، تقول : رأيت الأمير جهاراً أي غير مستتر بشئ ، وقال ابن عباس : جهرة : عيانا ، [الصاعقة] صيحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب أو هي نار محرقة

[بعثناكم] أحييناكم ، قال الطبري : وأصل البعث : إثارة الشيء من محله

[الغمام] جمع غمامه كسحابة وسحاب ، وزنا ومعنى ، لأنها تغم السماء أي تسترها ، وكل مغطى فهو مغموم ، وغم الهلال : إذا غطاه الغيم فلم ير.

[حطة] : مصدر أي حط عنا ذنوبنا ، وهي كلمة استغفار ومعناها : اغفر خطايانا.

[رجزا] عذابا ومنه [لئن كشفت عنا الرجز] أي العذاب

[يفسقون] الفسق : الخروج من الطاعة.

التفسير :

[وإذ قلتم يا موسى] أي اذكروا يا بني إسرائيل ، حين خرجتم مع موسى ، لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل ، فقلتم

[لن نؤمن لك] أي لن نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حتى نرى الله جهرة] أي حتى نرى الله علانية

[فأخذتكم الصاعقة] أي أرسل الله عليهم نارا من السماء فأحرقهم بها

[وأنتم تنظرون] أي ما حل بكم ، حيث كان يموت الواحد أمام الآخر.. ثم لما ماتوا قام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم! ؟ وما زال يدعو ربه حتى أحياهم الله له ، قال تعالى :

[ثم بعثناكم من بعد موتكم] أي أحييناكم بعد أن مكثتم ميتين يوما وليلة ، فقاموا وعاشوا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون

[لعلكم تشكرون] أي لتشكروا الله على إنعامه عليكم ، بالبعث بعد الموت ، وقد رأيتم هذه الآية الباهرة بأعينكم. ثم ذكرهم تعالى بنعمته عليهم وهم فى الصحراء ، في أرض التيه ، لما امتنعوا من دخول مدينة (الجبارين) وقتالهم ، وقال لموسى [اذهب أنت وربك فقاتلا] فعوقبوا على ذلك بالضياع أربعين سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، يتيهون في الأرض ، ثم قال تعالى :
[وظللنا عليكم الغمام] أي سترناكم بالسحاب من حر الشمس ، وجعلناه عليكم كالظلة
[وأنزلنا عليكم المن والسلوى] أي أنعمنا عليكم بأنواع من الطعام والشراب ، من غير كد ولا تعب ، والمن كان ينزل عليهم مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه ، والسلوى : طير يشبه " السماني " لذيذ الطعم كرامة من الله لهم
[كلوا من طيبات ما رزقناكم] أي وقلنا لهم كلوا من لذائذ نعم الله
[وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي أنهم كفروا هذه النعم الجليلة ، وما ظلمونا ولكن ظلموا أنفسهم ، لأن وبال العصيان راجع عليهم

[وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية] أي واذكروا أيضا نعمتى عليكم ، حين قلنا لكم بعد خروجكم من التيه ، ادخلوا بلدة بيت المقدس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فكلوا منها حيث شئتم رغدا] أي كلوا منها أكلا واسعا هنيئا من حيث أردتم

[وادخلوا الباب سجدا] أي وادخلوا باب القرية ، ساجدين لله ، شكرا على خلاصكم من التيه

[وقولوا حطة] أي قولوا يا ربنا حط عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا

[نغفر لكم خطاياكم] أي نمح عنكم ذنوبكم ، ونكفر سيئاتكم

[وسنزيد المحسنين] أي نزيد من أحسن إحسانا ، بالثواب العظيم ، والأجر الجزيل

[فبدل الذين ظلموا] أي غير الظالمون أمر الله فقالوا :

[قولا غير الذي قيل لهم] حيث دخلوا يزحفون على أستاهم أعنى " أدبارهم " وقالوا على سبيل السخرية والاستهزاء : " حبة فى شعيرة " وسخروا من أوامر الله

[فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنزلنا عليهم طاعونا وبلاء

[بما كانوا يفسقون] أي بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله !! روي أنه مات بالطاعون في ساعة واحدة منهم سبعون ألفا ، وكان ذلك عقوبة لهم على إجرامهم.

البلاغة :

أولا : إنما قيد البعث بعد الموت [ثم بعثناكم من بعد موتكم] لزيادة التأكيد على أنه موت حقيقي ، ولدفع ما عساه يتوهم أن بعثهم كان بعد إغماء أو بعد نوم.

ثانيا : في الآية إيجاز بالحذف في قوله : [كلوا] أي قلنا لهم كلوا وفي قوله : [وما ظلمونا] تقديره فظلموا أنفسهم بأن كفروا وما ظلمونا بذلك ، دل على هذا الحذف قوله : [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] والجمع بين صيغتى الماضي والمضارع [ظلمونا] و[يظلمون] للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر.

ثالثا : وضع الظاهر مكان الضمير في قوله [فأنزلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الذين ظلموا] ولم يقل " فأنزلنا عليهم " لزيادة التقبيح ، والمبالغة في الذم والتقريع ، وتنكير [رجزا] للتهويل والتفخيم.

تنبيه :

قال الرغب : تخصيص قوله : [رجزا من السماء] هو أن العذاب ضربان : ضرب قد يمكن دفاعه ، وهو كل عذاب جاء على يد آدمي ، أو من جهة المخلوقات كالهدم والغرق ، وضرب لا يمكن دفاعه بقوة آدمي كالطاعون والصاعقة والموت وهو المراد بقوله : [رجزا من السماء] .

قال الله تعالى : [وإذ استسقى موسى لقومه .. إلى .. ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] من آية (60) إلى نهاية آية (62).

المناسبة :

لا تزال الآيات تعدد النعم على بني إسرائيل ، وهذه إحدى النعم العظيمة عليهم ، حين كانوا فى التيه ، وعطشوا عطشا شديداً كادوا يهلكون معه ، فدعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى ربه أن يغيثهم ، فأوحى الله إليه أن يضرب بعصاه الحجر ، فتفجرت منه عيون بقدر قبائلهم ، وكانوا اثنتى عشرة قبيلة ، فجرى لكل منهم جدول خاص ، يأخذون منه حاجتهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، وكان موضوع السقيا آية باهرة ، ومعجزة ظاهرة لسيدنا موسى عليه السلام ، ومع ذلك كفروا وجحدوا.

اللغة :

[استسقى] طلب السقيا لقومه لأن السين والتاء للطلب مثل : استنصر واستخبر ، قال أبو حيان : الاستسقاء : طلب الماء عند عدمه ، أو قلته ، ومفعوله محذوف أي استسقى موسى ربه.

[فانفجرت] الانفجار : الانشقاق ومنه سمي الفجر لانشقاق ضوئه ، وانفجر وانبجس بمعنى واحد قال تعالى : [فانبجست منه] .

[مشربهم] جهة وموضع الشرب

[تعثوا] العيث : شدة الفساد ، يقال : عثي يعثى ، وعثا يعثو إذا أفسد فهو عاث ، قال الطبري : معناه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تطغوا وأصله شدة الإفساد

[فومها] الفوم : الثوم ، وقيل : الحنطة

[أتستبدلون] الاستبدال : ترك شيء لآخر وأخذ غيره مكانه

[أدنى] أخس وأحقر ، يقال رجل دنيء إذا كان يتتبع الخسائس

[الذلة] الذل والهوان والحقارة

[والمسكنة] الفاقة والخشوع مأخوذة من السكون ، لأم المسكين قليل الحركة لما به من الفقر

[باءوا] رجعوا وانصرفوا قال الرازي : ولا يقال باء إلا إذا كان بشر

[يعتدون] الاعتداء : تجاوز الحد فى كل شيء ، واشتهر فى الظلم والمعاصي.

التفسير :

[وإذ استسقى موسى لقومه] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين طلب موسى السقيا لقومه ، وقد عطشوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى التيه

[فقلنا اضرب بعصاك الحجر] أي اضرب أي حجر كان ، تتفجر بقدرتنا العيون منه

[فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا] أي فضرب فتدفق الماء منه بقوة ، وخرجت منه اثنتا عشرة عينا بقدر قبائلهم

[قد علم كل أناس مشربهم] أي علمت كل قبيلة مكان شربها لئلا يتنازعوا

[كلوا واشربوا من رزق الله] أي قلنا لهم : كلوا من المن والسلوى ، واشربوا من هذا الماء ، من غير كد منكم ولا تعب ، بل هو من خالص إنعام الله وفضله

[ولا تعثوا ي الأرض مفسدين] أي ولا تطغوا فى الأرض بأنواع البغي والفساد.

[وإذ قلتم يا موسى] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين قلتم لنبيكم موسى ، وأنتم في الصحراء تأكلون من المن والسلوى

[لن نصبر على طعام واحد] أي على نوع واحد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطعام ، وهو " المن والسلوى "
[فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض] أي ادع الله أن يرزقنا غير ذلك الطعام ، فقد سئمنا المن والسلوى ، وكرهناه ونريد ما تخرجه الأرض من الحبوب والبقول
[من بقلها] من خضرتها كالنعناع والكرفس والكراث
[وقثائها] يعني القثة التي تشبه الخيار
[وفومها] أي الثوم
[وعدسها وبصلها] أي العدس والبصل المعروفين
[قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير] أي قال لهم موسى منكرا عليهم : ويحكم أتستبدلون الخسيس بالنفيس ؟ وتفضلون البصل والبقل والثوم ، على المن والسلوى ؟
[اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم] أي ادخلوا مصرا من الأمصار ، وبلدا من البلدان أيا كان لتجدوا فيه مثل هذه الأشياء !! ثم قال تعالى منبهاً على ضلالهم وفسادهم ، وبغيهم وعدوانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وضربت عليهم الذلة والمسكنة] أي لزمهم الذل والهوان ، وضرب عليهم الصغار والخزي الأبدي ، لا يفارقهم مدى الحياة

[وباءوا بغضب من الله] أي انصرفوا ورجعوا بالغضب ، والسخط الشديد من الله

[ذلك] أي ما نالوه من الذل والهوان والسخط والغضب ، بسبب ما اقترفوه من الجرائم الشنيعة

[بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق] أي بسبب كفرهم بآيات الله ، جحودا واستكبارا ، وقتلهم رسل الله ظلماً وعدوانا

[ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] أي بسبب عصيانهم وطغيانهم ، وتمردهم على أحكام الله. ثم دعا تعالى أصحاب الملل والنحل (المؤمنين ، واليهود ، والنصارى ، والصابئين) إلى الإيمان الصادق وإخلاص العمل لله ، وساقه بصيغة الخبر فقال :

[إن الذين آمنوا] أي المؤمنون أتباع محمد (ص)

[والذين هادوا] اليهود أتباع موسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والنصارى] أتباع عيسى
[والصابئين] قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة
[من آمن بالله واليوم الآخر] أي من آمن من هذه الطوائف إيماناً صادقا ، فصدق بالله ، وأيقن بالآخرة
[وعمل صالحا] أي عمل بطاعة الله في دار الدنيا
[فلهم أجرهم عند ربهم] أي لهم ثوابهم عند الله ، لا يضيع منه مثقال ذرة
[ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أي ليس على هؤلاء المؤمنين خوف في الآخرة ، حين يخاف الكفار من العقاب ، ولا حزن وتفجع حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب!
البلاغة :
أولا : في إضافة الرزق إلى الله تعالى [كلوا واشربوا من رزق الله] تعظيم للمنة والإنعام ، وإيماء إلى أنه رزق حاصل من غير تعب ولا مشقة.
ثانيا : في التصريح بذرك الأرض [ولا تعثوا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض] مبالغة فى تقبيح الفساد وقوله : [مفسدين] حال مؤكدة ، ووجه فصاحة هذا الأسلوب ، أن المتكلم قد تشتد عنايته ، ومن مظاهر هذه العناية التوكيد ، فقوله : (مفسدين) يكسو النهي عن الفساد قوة ، ويجعله بعيدا من أن يغفل عنه أو ينسى.

ثالثا : قوله تعالى : [مما تنبت الأرض] المنبت الحقيقي هو الله سبحانه ففيه مجاز يسمى (المجاز العقلي) وعلاقته السببية ، لأن الأرض لما كانت سببا للنبات أسند إليها ، كما يقال : بنى الملك البلدة ، لأنه أمر ببنائها.

رابعا : قوله : [وضربت عليهم الذلة والمسكنة] كناية عن إحاطتهما بهم كما تحيط القبة بمن ضربت عليه كما قال الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

خامساً : تقييد قتل الأنبياء بقوله : [بغير الحق] مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن قتلهم لا يكون بحق البتة ، إنما هو لزيادة التشنيع بقبح عدوانهم.

الفوائد :

الأولى : حكى المفسرون أقوالاً كثيرة فى الحجر الذي ضربه موسى فجرت منه العيون ما هو ؟ وكيف وصفه ؟ والذي يكفي في فهم معنى الآية ، أن واقعة (انفجار الماء) إنما كان على وجه " المعجزة " وأن الحجر الذى ضربه موسى كان من الصخر الأصم الذى ليس من شأنه الانفجار بالماء ، وهنا تكون المعجزة أوضح ، والبرهان أسطع ، قال الحسن البصري : لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه ، قال : وهذا أظهر في الحجة ، وأبين فى القدرة.

الثانية : فإن قيل ما الحكمة في جعل الماء اثنتى عشرة عينا ؟ والجواب : أن قوم موسى كانوا كثيرين ، وكانوا في الصحراء ، والناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه ، فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع ، فأكمل الله هذه النعمة ، بأن عين لكل سبط منه ماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معيناً على عددهم ، لأنهم كانوا اثنى عشر سبطا ، وهم ذرية أبناء يعقوب الاثنى عشر ، والله أعلم.

الثالثة : ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفوم في قوله : [وفومها] الحنطة ، والأرجح أن المراد به (الثوم) بدليل قراءة ابن مسعود [وثومها] وبدليل اقتران البصل بعده بها.. قال الفخر الرازي : الثوم أوفق للعدس والبصل من الحنطة ، واستدل القرطبي على ذلك بقول حسان : وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل ، يعنى الثوم والبصل.

قال الله تعالى : [وإذ أخذنا ميثاقكم .. إلى .. وما خلفها وموعظة للمتقين] من آية (63) إلى نهاية آية (66).

المناسبة :

لما ذكرهم تعالى بالنعم الجليلة العظيمة ، أردف ذلك ببيان ما حل بهم من نقم ، جزاء كفرهم وعصيانهم وتمردهم على أوامر الله ، فقد كفروا النعمة ، ونقضوا الميثاق ، واعتدوا فى السبت ، فمسخهم الله إلى قردة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا شأن كل أمة عتت عن أمر ربها وعصت رسله.

اللغة :

[ميثاقكم] الميثاق : العهد المؤكد بيمين ونحوه ، والمراد هنا العمل بأحكام التوراة

[الطور] هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام

[بقوة] بحزم وعزم

[توليتم] التولي : الإعراض عن الشيء والإدبار عنه

[خاسئين] جمع خاسئ وهو الذليل المهين ، قال أهل اللغة : الخاسئ : الصاغر المبعد المطرود ، كالكلب إذا دنا من الناس قيل له : اخسأ أي تباعد وانطرد صاغرا

[نكالا] النكال : العقوبة الشديدة الزاجرة ، ولا يقال لكل عقوبة نكال حتى تكون زاجرة رادعة.

التفسير :

[وإذ أخذنا ميثاقكم] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا منكم العهد المؤكد على العمل بما في التوراة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ورفعنا فوقكم الطور] أي نتقناه حتى أصبح كالظلة فوقكم وقلنا لكم

[خذوا ما آتيناكم بقوة] أي اعملوا بما في التوراة بجد وعزيمة

[واذكروا ما فيه] أي احفظوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه

[لعلكم تتقون] أي لتتقوا الهلاك في الدنيا والعذاب فى الآخرة ، أو رجاء منكم أن تكونوا من فريق المتقين

[ثم توليتم من بعد ذلك] أي أعرضتم عن الميثاق بعد أخذه

[فلولا فضل الله عليكم] أي بقبول التوبة

[ورحمته] بالعفو عن الزلة

[لكنتم من الخاسرين] أي لكنتم من الهالكين في الدنيا والآخرة

[ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت] أي عرفتم ما فعلناه بمن عصى أمرنا ، حين خالفوا واصطادوا يوم السبت ، وقد نهيناهم عن ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين] أي مسخناهم قردة بعد أن كانوا بشرا مع الذلة والإهانة

[فجعلناها] أي المسخة

[نكالا لما بين يديها] أي عقوبة زاجرة لمن يأتي بعدها من الأمم

[وما خلفها] أي جعلنا مسخهم قردة عبرة لمن شهدها وعاينها ، وعبرة لمن جاء بعدها ولم يشاهدها

[وموعظة للمتقين] أي عظة وذكرى لكل عبد صالح ، متق لله سبحانه وتعالى!.

البلاغة :

أولا : [خذوا ما آتيناكم بقوة] فيه إيجاز بالحذف أي قلنا لهم : خذوا ، فهو كما قال الزمخشري على إرادة القول.

ثانيا : [كونوا قردة خاسئين] خرج الأمر عن حقيقته إلى معنى الإهانة والتحقير ، وقال بعض المفسرين : هذا أمر تسخير وتكوين ، فهو عبارة عن تعلق القدرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بنقلهم من حقيقة البشرية إلى حقيقة القردة.

ثالثا : [لما بين يديها وما خلفها] كناية عمن أتى قبلها أو أتى بعدها من الأمم والخلائق ، أو عبرة لمن تقدم ومن تأخر.

الفوائد :

الأولى : قال القفال : إنما قال :

[ميثاقكم] ولم يقل " مواثيقكم " لأنه أراد ميثاق كل واحد منكم كقوله : [ثم يخرجكم طفلا] أي يخرج كل واحد منكم طفلا.

الثانية : قال بعض أهل اللطائف : كانت نفوس بنى إسرائيل من ظلمات عصيانها ، تخبط فى عشواء حالكة الجلباب ، وتخطر من غلوائها وعلوها في حلتي كبر وإعجاب ، فلما أمروا بأخذ التوراة ورأوا ما فيها من أثقال ، ثارت نفوسهم فرفع الله عليهم الجبل فوجدوه أثقل مما كلفوه ، فهان عليهم حمل التوراة قال الشاعر :

إلى الله يدعى بالبراهين من أبى فإن لم يجب نادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيض الصوارم

الثالثة : إنما خص المتقين بإضافة الموعظة إليهم [وموعظة للمتقين] لأنهم هم الذين ينتفعون بالعظة والتذكير قال تعالى : [وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين] .

قال الله تعالى : [وإذ قال موسى لقومه.. إلى .. وما الله بغافل عما تعملون] من آية (67) إلى نهاية آية (74).

المناسبة :

لما ذكر تعالى بعض قبائح اليهود وجرائمهم ، من نقض المواثيق ، واعتدائهم في السبت ، وتمردهم على الله عز وجل فى تطبيق شريعته المنزلة ، أعقبه بذكر نوع آخر من مساوئهم ، ألا وهو مخالفتهم للأنبياء وتكذيبهم لهم ، وعدم مسارعتهم لامتثال الأوامر التي يوحيها الله إليهم ، ثم كثرة اللجاج والعناد للرسل صلوات الله عليهم ، وجفاؤهم فى مخاطبة نبيهم الكريم (موسى) عليه السلام ، إلى آخر ما هنالك من قبائح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومساوئ اتصف بها اليهود.

اللغة :

[هزوا] الهزؤ : السخرية بضم الزاي وقلب الهمزة واوا [هزوا] مثل [كفوا أحد] والمعنى على حذف مضاف أي أتتخذنا موضع هزؤ ، أو يحمل المصدر على معنى اسم المفعول أي أتجعلنا مهزوءاً بنا

[فارض] الفارض : الهرمة المسنة التي كبرت وطعنت في السن ، (البكر) الفتية السن التي لم تحمل بعد ، ولم يلقحها الفحل لصغرها قال الشاعر :

لعمري لقد أعطيت ضيفك " فارضا " تساق إليه ما تقوم على رجل

ولم تعطه " بكراً " فيرضى سمينة فكيف تجازى بالمودة والفضل ؟

[عوان] وسط ليست بمسنة ولا صغيرة ، وقيل هى التي ولدت بطنا أو بطنين ،

[فاقع] الفقوع : شدة الصفرة يقال : أصفر فاقع أي شديد الصفرة كما يقال : أحمر قان أي شديد الحمرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الطبري : وهو نظير النصوع في البياض

[ذلول] أي مذللة للعمل يقال : دابة ذلول أي ريضة زالت صعوبتها فقوله [لا ذلول] أي لم تذلل لإثارة الأرض أي لحرثها

[مسلمة] من السلامة أي خالصة ومبرأة من العيوب

[شية] الشية : اللمعة المخالفة لبقية اللون الأصلي ، قال الطبري : [لا شية فيها] أي لا بياض ولا سواد يخالف لونها

[فادارأتم] أي تدافعتم واختلفتم وتنازعتم ، وأصلها تدارأتم أدغمت التاء في الدال ، وأتي بهمزة الوصل ليتوصل بها إلى النطق بالساكن فصار ادارأتم ، ومعنى الدرء : الدفع ، لأن كلا من الفريقين كان يدرأ على الآخر أي يدفع التهمة عن نفسه ، ويلحقها بالآخر ، وفي الحديث " ادرءوا الحدود بالشبهات "

[قست] القسوة : الصلابة ونقيضها الرقة

[يشقق] التشقق : التصدع بطول أو عرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يهبط] الهبوط : النزول من أعلى إلى أسفل.

معجزة إحياء الميت وقصة البقرة

ذكر القصة : روى ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني قال : " كان رجل من بني إسرائيل عقيما لا يولد له ، وكان له مال كثير ، وكان ابن أخيه وارثه ، فقتله ثم احتمله ليلا ، فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض ، فقال ذوو الرأى منهم والنهى : علام يقتل بعضنا بعضا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال :

[إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة] قال : ولو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال : والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا ، فاشتروها بملء جلدها ذهبا ، فذبحوها فضربوه ببعضها فقام حيا ، فقالوا : من قتلك ؟ قال : هذا وأشار إلى ابن أخيه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم مال ميتا ، فلم يورث قاتل بعد " وفي رواية " فأخذوا الغلام فقتلوه " .

التفسير :

[وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة] أي اذكروا يا يني إسرائيل حين قال لكم نبيكم موسى : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة

[قالوا أتتخذنا هزوا] أي فكان جوابكم الوقح لنبيكم أن قلتم : أتهزأ بنا يا موسى

[قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] . أي ألتجئ إلى الله أن أكون فى زمرة المستهزئين الجاهلين

[قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي] أي ما هي هذه البقرة ؟ وأي شئ صفتها ؟

[قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر] أي لا كبيرة هرمة ، ولا صغيرة لم يلقحها الفحل

[عوان بين ذلك] أي وسط بين الكبيرة والصغيرة

[فافعلوا ما تؤمرون] أي افعلوا ما أمركم به ربكم ولا تتعنتوا ولا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد الله عليكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها] أي ما هو لونها هل هو أبيض أم أسود ؟ أم غير ذلك ؟

[قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين] أي أنها بقرة صفراء شديدة الصفرة ، حسن منظرها ، تسر كل من رآها.

[قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي] أعادوا السؤال عن حال البقرة بعد أن عرفوا سنها ولونها ، ليزدادوا بيانا لوصفها ، ثم اعتذروا بأن البقر الموصوف بكونه (عواناً) أو وسطا ، وبالصفرة الفاقعة كثير

[إن البقر تشابه علينا] أي التبس الأمر علينا فلم ندر ما البقرة المأمور بذبحها ؟

[وإنا إن شاء الله لمهتدون] أي سنهتدي إلى معرفتها إن شاء الله ، ولو لم يقولوا ذلك لم يهتدوا إليها أبدا ، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح.

[قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث] أي ليست هذه البقرة مسخرة لحراثة الأرض ، ولا لسقاية الزرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مسلمة لا شية فيها] أي سليمة من العيوب ، ليس فيها لون آخر يخالف لونها ، فهي صفراء كلها

[قالوا الآن جئت بالحق] أي الآن بينتها لنا بيانا شافيا ، لا غموض فيه ولا لبس ، قال تعالى إخباراً عنهم

[فذبحوها وما كادوا يفعلون] لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة.. ثم أخبر تعالى عن سبب أمرهم بذبح البقرة ، وعما شهدوه من آيات الله الباهرة ، فقال :

[وإذ قتلتم نفسا] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين قتلتم نفسا

[فادارأتم فيها] أي تخاصمتم وتدافعتم بشأنها ، وأصبح كل فريق يدفع التهمة عن نفسه وينسبها لغيره

[والله مخرج ما كنتم تكتمون] أي مظهر ما تخفونه

[فقلنا اضربوه ببعضها] أي اضربوا القتيل بشيء من البقرة ، يحيا ويخبركم عن قاتله

[كذلك يحي الله الموتى] أي كما أحيا هذا القتيل أمام أبصاركم ، كذلك يحي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويريكم آياته لعلكم تعقلون] أي يريكم دلائل قدرته ، لتتفكروا وتتدبروا وتعلموا أن الله على كل شيء قدير..

ثم أخبر تعالى عن جفائهم وقسوة قلوبهم فقال :

[ثم قست قلوبكم] أي صلبت قلوبكم يا معشر اليهود ، فلا يؤثر فيها وعظ ولا تذكير

[من بعد ذلك] أي من بعد رؤية المعجزات الباهرة

[فهي كالحجارة أو أشد قسوة] أي بعضها كالحجارة ، وبعضها أشد قسوة من الحجارة كالحديد

[وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار] أي تتدفق منها الأنهار الغزيرة

[وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء] أى من الحجارة ما يتصدع اشفاقا من عظمة الله ، فينبع منه الماء

[وإن منها لما يهبط من خشية الله] أي ومنها ما يتفتت ويتردى من رؤوس الجبال من خشية الله ، فالحجارة تلين وتخشع ، وقلوبكم يا معشر اليهود لا تتأثر ولا تلين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما الله بغافل عما تعملون] أي أنه تعالى رقيب على أعمالهم ، لا تخفى عليه خافية ، وسيجازيهم عليها يوم القيامة ، وفي هذا وعيد وتهديد شديد!.

البلاغة :

أولا : قوله تعالى : [فذبحوها وما كادوا يفعلون] من إيجاز القرآن وإبداعه أن حذف من صدر هذه الجملة ، جملتين مفهومتين من نظم الكلام والتقدير : فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة ، وحصلوها ، فلما اهتدوا إليها ذبحوها ، وهذا من الإيجاز بالحذف اللطيف ، لأن الفهيم يدركه.

ثانيا : قوله تعالى : [والله مخرج ما كنتم تكتمون] هذه الجملة اعتراضية بين قوله : [فادارأتم] وقوله : [فقلنا اضربوه] والجملة المعترضة بين ما شأنهما الاتصال ، تجيء تحلية يزداد بها الكلام البليغ حسناً ، وفائدة الاعتراض هنا إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستتجلي لا محالة.

ثالثا : [ثم قست قلوبكم] وصف القلوب بالصلابة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والغلظ ، يراد منه نبوها عن الاعتبار ، وعدم تأثرها بالمواعظ والنصائح ، ففيه استعارة تصريحية ، قال أبو السعود : القسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر ، استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات ، والقوارع التى تميع منها الجبال ، وتلين بها الصخور.

رابعا : [فهي كالحجارة] فيه تشبيه يسمى (مرسلا مجملا) لأن أداة التشبيه مذكورة وهي الكاف ، ووجه الشبه محذوف وهو الصلابة والقسوة.

خامسا : [لما يتفجر منه الأنهار] أي ماء الأنهار ، والعرب يطلقون اسم المحل كالنهر ، على الحال فيه كالماء ، والقرينة ظاهرة لأن التفجر إنما يكون للماء ويسمى هذا (مجازاً مرسلا).!

الفوائد :

الفائدة الأولى : نبه قوله تعالى : [قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] على أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير ، وقد منع المحققون من أهل العلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعمال الآيات ، كأمثال يضربونها في مقام المزاح والهزل ، وقالوا إنما أنزل القرآن للتدبر والخشوع ، لا للتسلي والتفكه والمزاح ، ويخشى على من فعل ذلك من الكفر ، لقوله تعالى : [قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] .

الثانية : الخطاب في قوله : [وإذ قتلتم نفسا] لليهود المعاصرين للنبى (ص) وقد جرى على الأسلوب المعروف في مخاطبة الأقوام ، إذ ينسب إلى الخلف ما فعل السلف ، إذا كانوا سائرين على نهجهم ، راضين بفعلهم ، وفيه توبيخ وتقريع للغابرين والحاضرين.

الثالثة : هذه الواقعة (واقعة قتل النفس) جرت قبل أمرهم بذبح البقرة ، وإن وردت في الذكر بعده ، والسر في ذلك : التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة ، والتكرير في التقريع والتوبيخ ، قال العلامة أبو السعود : وإنما غير الترتيب لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع ، فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستهزاء بموسى عليه السلام والافتيات على أمره ، جناية عظيمة جديرة بأن تنعى عليهم.

الرابعة : ذكر تعالى إحياء الموتى في هذه السورة الكريمة فى خمسة مواضع :

-الأول : في قوله : [ثم بعثناكم من بعد موتكم]

-الثاني : وفي هذه القصة [فقلنا اضربوه ببعضها]

-الثالث : في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت [فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم]

-الرابع : فى قصة عزير [فأماته الله مائة عام ثم بعثه]

-الخامس : في قصة إبراهيم [رب أرني كيف تحي الموتى] ؟.

الخامسة : [أو] في قوله تعالى : [فهي كالحجارة أو أشد قسوة] بمعنى " بل " أي بل أشد قسوة كقوله تعالى : [وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون] أي بل يزيدون.

السادسة : ذهب بعض المفسرين إلى أن الخشية هنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقيقية ، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار خشية بقدرها كقوله تعالى : [وإن من شيء إلا يسبح بحمده] وقال آخرون : بل هو من باب المجاز كقول القائل : قال الحائط للمسمار : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ؟ فهو بطريق التمثيل لروعة التأثير حتى على الجماد ، والله أعلم.

قال الله تعالى [أفتطمعون أن يؤمنوا لكم.. إلى.. فأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] من آية (75) إلى نهاية آية (82).

المناسبة :

لما ذكر تعالى عناد اليهود ، وعدم امتثالهم لأوامر الله تعالى ، ومجادلتهم للأنبياء الكرام ، وعدم الانقياد والإذعان ، عقب ذلك بذكر بعض القبائح والجرائم التى ارتكبوها ، كتحريف كلام الله تعالى ، وادعائهم بأنهم أحباب الله ، وأن النار لن تمسهم إلا بضعة أيام قليلة ، إلى آخر ما هم عليه من أماني كاذبة ، ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وقد بدأ تعالى الآيات بتيئيس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين من إيمانهم ، لأنهم فطروا على الضلال ، وجبلوا على العناد والمكابرة.

اللغة :

[أفتطمعون] الطمع : تعلق النفس بشيء مطلوب تعلقا قويا ، فإذا اشتد فهو طمع ، وإذا ضعف كان رجاء ورغبة

[فريق] الفريق : الجماعة وهو اسم جمع ، لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم.

[يحرفونه] التحريف : التبديل والتغيير وأصله من الانحراف عن الشيء

[عقلوه] عقل الشيء أدركه بعقله ، والمراد فهموه وعرفوه

[أميون] جمع أمي وهي وهو الذي لا يحسن القراءة والكتابة ، سمى بذلك نسبة إلى الأم ، لأنه باق على الحالة التي ولدته عليه أمه ، من عدم المعرفة

[أماني] جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويشتهيه ، أو يقدره في نفسه من منى ، ولذلك تطلق على الكذب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال أعرابي لإنسان : " أهذا شيء رأيته أم تمنيته " أي اختلقته ، وتأتي بمعنى قرأ ، قال حسان : تمنى كتاب الله أول ليله

[فويل] الويل : الهلاك والدمار ، وقيل : الفضيحة والخزي ، وهي كلمة تستعمل في الشر والعذاب ، قال القاضي : هي نهاية الوعيد والتهديد كقوله : [ويل للمطففين] وقال سيبويه : (ويل) لمن وقع في الهلكة ، و(ويح) لمن أشرف عليها.

سبب النزول :

1- نزلت فى الأنصار كانوا حلفاء لليهود ، وبينهم جوار ورضاعة ، وكانوا يودون لو أسلموا فأنزل الله تعالى [أفتطمعون أن يؤمنوا لكم..] الآية.

2- وروى مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون : إن عمر هذه الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً في انار ، وإنما هي سبعة أيام معدودة ، فأنزل الله تعالى : [وقالوا لن تمسنا الله أياما معدودة] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين فيقول : [أفتطمعون أن يؤمنوا لكم] أي أترجون يا معشر المؤمنين أن يسلم اليهود ، ويدخلوا في دينكم ؟

[وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله] أي والحال قد كان طائفة من أحبارهم وعلمائهم ، يتلون كتاب الله ويسمعونه بينا جليا

[ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه] أي يغيرون آيات التوراة بالتبديل أو التأويل ، من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم

[وهم يعلمون] أنهم يرتكبون جريمة ، أي إنهم يخالفون أوامره وأحكامه ، عن بصيرة ، لا عن خطأ أو نسيان

[وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا] أي إذا اجتمعوا بأصحاب النبي (ص) قال المنافقون من اليهود : آمنا بأنكم على الحق ، وأن محمداً هو الرسول المبشر به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا خلا بعضهم إلى بعض] أي إذا انفرد واختلى بعضهم ببعض

[قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم] أي قالوا عاتبين عليهم : أتخبرون أصحاب محمد بما بين الله لكم في التوراة ، من صفة محمد (ص)

[ليحاجوكم به عند ربكم] أي لتكون الحجة للمؤمنين عليكم فى الآخرة ، في ترك اتباع الرسول مع العلم بصدقه ؟

[أفلا تعقلون] أي أفليست لكم عقول تمنعكم ، من أن تحدثوهم بما يكون لهم فيه حجة عليكم ؟ والقائلون ذلك هم اليهود لمن نافق منهم ، قال تعالى ردا عليهم وتوبيخا

[أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون] أي ألا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم ما يخفون وما يظهرون ، وأنه تعالى لا تخفى عليه خافية ، فكيف يقولون ذلك ، ثم يزعمون الإيمان !! وفي هذا غاية التوبيخ لهم ، والتسفيه لعقولهم!. ولما ذكر تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلماء الذين حرفوا وبدلوا ، ذكر العوام الذين قلدوهم ، ونبه أنهم في الضلال سواء ، فقال سبحانه :

[ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب] أي ومن اليهود طائفة من الجهلة العوام ، الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، ليطلعوا على ما في التوراة بأنفسهم ، ويتحققوا بما فيها

[إلا أماني] أي ليس لهم علم بالتوراة ، إلا ما هم عليه من الأماني الخادعة ، التي مناهم بها أحبارهم ، من أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة ، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، إلى غير ما هنالك من الأماني الفارغة

[وإن هم إلا يظنون] أي وما هم على يقين ثابت من أمر دينهم ، بل هم مقلدون للآباء ، تقليد أهل العمى والغباء!! ثم ذكر تعالى جريمة أولئك الرؤساء المضلين ، الذين أضلوا العامة فى سبيل حطام الدنيا فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم] أي هلاك وعذاب لأولئك الأشقياء الفجار ، الذين حرفوا التوراة ، وكتبوا تلك الآيات المحرفة بأيديهم

[ثم يقولون هذا من عند الله] أي يقولون لأتباعهم الأميين : هذا الذي تجدونه هو من نصوص التوراة ، التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، مع أنهم كتبوها بأيديهم ، ونسبوها إلى الله كذبا وزورا

[ليشتروا به ثمنا قليلا] أي لينالوا به عرض الدنيا وحطامها الفاني

[فويل لهم مما كتبت أيديهم] أي فهلاك ودمار ، وشدة عذاب لهم ، على ما فعلوه من تحريف كلام الله

[وويل لهم مما يكسبون] أي وويل لهم مما يصيبون من الحرام والسحت

[وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة] أي لن ندخل النار إلا أياماً قلائل ، هي مدة عبادة العجل ، أو سبعة أيام فقط

[قل أتخذتم عند الله عهدا] ؟ أي قل لهم يا محمد على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل الإنكار والتوبيخ : هل أعطاكم الله الميثاق والعهد بذلك ؟ فإذا كان قد وعدكم بذلك

[فلن يخلف الله عهده] لأن الله لا يخلف الميعاد

[أم تقولون على الله ما لا تعلمون] أي أم تكذبون على الله ، فتقولون عليه ما لم يقله ، فتجمعون بين جريمة التحريف لكلام الله ، والكذب والبهتان عليه جل وعلا ؟! ثم بين تعالى كذب اليهود ، وأبطل مزاعمهم أن النار لن تمسهم ، وأنهم لا يخلدون فيها ، فقال :

[بلى من كسب سيئة] أي بلى تمسكم النار وتخلدون فيها ، كما يخلد الكافر الذي عمل الكبائر ، وكذلك كل من اقترف السيئة ، والمراد بها هنا : الشرك بالله ، لأنه هو المخلد في نار الجحيم

[وأحاطت به خطيئته] أي غمرته من جميع جوانبه ، وسدت عليه مسالك النجاة ، بأن فعل مثل فعلكم أيها اليهود

[فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي فالنار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملازمة لهم ، لا يخرجون منها أبدا

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي وأما المؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان ، والعمل الصالح ، فلا تمسهم النار ، بل هم في روضات الجنات يحبرون

[أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] أي مخلدون في الجنان ، لا يخرجون منها أبدا ، اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

البلاغة :

أولا : قوله تعالى : [وهم يعلمون] جملة حالية مفيدة لكمال قبح صنيعهم ، فتحريفهم للتوراة كان عن قصد وتصميم ، لا عن جهل أو نسيان ، ومن يرتكب المعصية عن علم ، يستحق الذم والتوبيخ ، أكثر ممن يرتكبها وهو جاهل بحكمها وبشناعتها.

ثانيا : قوله : [يكتبون الكتاب بأيديهم] ذكر الأيدى هنا لدفع توهم المجاز ، وللتأكيد بأن الكتابة باشروها بأنفسهم ، كما يقول القائل : كتبته بيميني ، وسمعته بأذني ، ورأيته بعيني ، فهي لزيادة التأكيد ، وتقرير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجناية.

ثالثا : قوله : [ما يسرون وما يعلنون] فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بـــ (الطباق) حيث جمع بين لفظتي " يسرون " و " يعلنون " وهو من نوع طباق الإيجاب ، وهو أن يأتي باللفظ وضده ، كقوله تعالى (أضحك وأبكى).

رابعا : التكرير في قوله : [فويل للذين يكتبون الكتاب] وقوله : [فويل لهم مما كتبت أيديهم] وقوله : [وويل لهم مما يكتبون] تكرار الويل : للتوبيخ والتقريع ، ولبيان أن جريمتهم بلغت من القبح والشناعة الغاية القصوى.

خامسا : قوله : [وأحاطت به خطيئته] فيه استعارة لطيفة ، حيث شبه (الذنوب) و(الخطايا) بجيش من الأعداء ، نزل على قوم من كل جانب ، فأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم ، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات ، فكأنها أحاطت بها من جميع الجهات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفوائد :

الفائدة الأولى : تحريف كلام الله ، يكون بتأويله تأويلا فاسدا ، ويكون بمعنى : التغيير وتبديل كلام بكلام ، وقد وقع من أحبار اليهود التحريف بالأمرين : بالتأويل ، وبالتغيير ، كما فعلوا في صفته (ص) ، قال العلامة أبو السعود : روي أن أحبار اليهود خافوا زوال رياستهم ، فعمدوا إلى صفة النبى (ص) في التوراة ، وكانت هي فيها (حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العينين ، أبيض ، ربعة) الخ ، فغيروها وكتبوا مكانها " طوال ، أزرق ، سبط الشعر " فإذا سألهم العامة عن ذلك قرءوا ما كتبوا فيجدونه مخالفا لما في التوراة ، فيكذبونه.

الثانية : التحريف بقسمية وقع في الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل كما قال تعالى : [يحرفون الكلم عن مواضعه] أما التحريف بمعنى التأويل الباطل فقد وقع في القرآن ، من الجهلة أو الملاحدة ، وأما التحريف بمعنى إسقاط الآية ووضع كلام بدلها ، فقد حفظ الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه كتابه العزيز بقوله سبحانه [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] والحمد لله أن الله تكفل بحفظه بنفسه ، ولم يتركه للخلق ، كما هو شأن التوراة والإنجيل.

الثالثة : روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " لما فتحت خيبر ، أهديت لرسول الله (ص) شاة فيها سم ، فقال رسول الله (ص) : اجمعوا لي من كان من اليهود هنا ، فقال لهم رسول الله (ص) : إني سائلكم عن شيء ، فهل أنتم صادقي فيه ؟ قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، فقال لهم (ص) : من أبوكم ؟ قالوا : فلان قال : كذبتم ، بل أبوكم فلان ، فقالوا صدقت وبررت يا أبا القاسم ، ثم قال لهم : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال لهم رسول الله (ص) : من أهل النار ؟ فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها!! فقال لهم رسول الله (ص) : اخسئوا والله لا نخلفكم فيها أبدا ، ثم قال لهم رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) : هل أنتم صادقي عن شئ إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟ فقالوا : نعم ، قال : فما حملكم على ذلك ؟ فقالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك ؟.

قال الله تعالى : [وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله.. إلى .. ولا هم ينصرون] من آية (83) إلى نهاية آية (86).

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمات تعدد جرائم اليهود ، وفي هذه الآيات الكريمة أمثلة صارخة على عدوانهم وطغيانهم وإفسادهم في الأرض ، فقد نقضوا الميثاق ، الذي أخذه الله عليهم في التوراة ، وقتلوا النفس التي حرم الله ، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل ، واعتدوا على إخوانهم في الدين ، فأخرجوهم من الديار ، فاستحقوا اللعنة والخزي والدمار.

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ميثاق] الميثاق : العهد المؤكد باليمين غاية التأكيد ، فإن لم يكن مؤكدا سمي عهدا

[حسنا] الحسن : اسم عام جامع لمعاني الخير ، ومنه لين القول ، والأدب الجميل ، والخلق الكريم ، وضده القبح ، والمعنى : قولوا قولا حسنا فهو صفة لمصدر محذوف

[توليتم] التولي عن الشيء : الإعراض عنه ورفضه وعدم قبوله كقوله : [فأعرض عمن تولى عن ذكرنا] وفرق بعضهم بين التولي والإعراض ، فقال : التولي بالجسم ، والإعراض بالقلب

[تظاهرون] تتعاونون وهو مضارع حذف منه أحد التاءين ، كأن المتظاهرين يسند كل واحد منهما ظهره الى الآخر ، والظهير : المعين

[الإثم] الذنب الذي يستحق صاحبه الملامة وجمعه آثام

[العدوان] تجاوز الحد في الظلم

[خزي] الخزي : الهوان والمقت والعقوبة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا على أسلافكم يا معشر اليهود ، العهد المؤكد غاية التأكيد

[لا تعبدون إلا الله] بأن لا تعبدوا غير الله تعالى

[وبالوالدين إحسانا] أي وأمرناهم بأن يحسنوا إلى الوالدين إحسانا

[وذي القربى واليتامى والمساكين] أي وأن يحسنوا أيضا إلى الأقرباء ، واليتامى الذين مات آباؤهم وهم صغار ، والمساكين الذين عجزوا عن الكسب لضعفهم

[وقولوا للناس حسنا] أي قولوا للناس قولا حسنا ، بخفض الجناح ، ولين الجانب ، مع الكلام الطيب

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي صلوا وزكوا كما فرض الله عليكم ، من أداء الركنين العظيمين (الصلاة ، والزكاة) لأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية

[ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون] أي ثم رفضتم وأسلافكم الميثاق رفضا باتا ، وأعرضتم عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمل بموجبه ، إلا قليلا منكم ثبتوا عليه

[وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم] أي واذكروا أيضا يا بني إسرائيل ، حين أخذنا عليكم العهد المؤكد ، بأن لا يقتل بعضكم بعضا

[ولا تخرجون أنفسكم من دياركم] ولا يعتدي بعضكم على بعض ، بالإخراج من الديار ، والإجلاء عن الأوطان

[ثم أقررتم وأنتم تشهدون] أي ثم اعترفتم بالميثاق ، وبوجوب المحافظة عليه ، وأنتم تشهدون بلزومه

[ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم] أي ثم نقضتم أيضا الميثاق يا معشر اليهود ، بعد إقراركم به ، فقتلتم إخوانكم في الدين ، وارتكبتم ما نهيتم عنه من القتل

[وتخرجون فريقا منكم من ديارهم] أي كما طردتموهم أيضا من ديارهم ، من غير التفات إلى العهد الوثيق الذي عاهدتم عليه ربكم

[تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان] أي تتعاونون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم بالمعصية والظلم
[وإن يأتوكم أسارى تفادوهم] أي إذا وقعوا في الأسر فاديتموهم ، ودفعتهم المال لتخليصهم من الأسر
[وهو محرم عليكم إخراجهم] أي وإخراجهم من أوطانهم حرام عليكم ، فكيف تستبيحون القتل والإخراج من الديار ، ولا تستبيحون ترك الأسرى في أيدي عدوهم ؟
[أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض] ؟ أي أفتؤمنون ببعض أحكام التوراة ، وتكفرون ببعض ؟ والغرض التوبيخ لهم ، لأنهم جمعوا بين الكفر والإيمان ، الكفر بقتلهم ، والإيمان بفدائهم من أيدي الأعداء ، والكفر ببعض آيات الله ، كفر بالكتاب كله ، ولهذا عقب تعالى على ذلك بقوله :
[فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا] أي ما عقوبة من يؤمن ببعض الكتاب ، ويكفر ببعض ، إلا ذل وهوان ، ومقت وغضب في الدنيا
[ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب] أي وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صائرون في الآخرة إلى عذاب أشد منه ، لأنه عذاب خالد ، لا ينقضي ولا ينتهي

[وما الله بغافل عما تعملون] أي وليس الله غافلا عن جرائمكم ، وأعمالكم القبيحة ، وفيه وعيد شديد ، لمن عصى أوامر العزيز الحميد.. ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك العصيان والعدوان فقال :

[أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة] أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف القبيحة ، هم الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة ، بمعنى : اختاروها وآثروها على الآخرة

[فلا يخفف عنهم العذاب] أي لا يفتر عنهم العذاب ساعة واحدة

[ولا هم ينصرون] أي وليس لهم ناصر ينصرهم ، ولا مجير ينقذهم من عذاب الله الأليم.

تنبيه :

كانت قبيلة (بنو قريظة) و(بنو النضير) من اليهود ، يسكنون في أطراف المدينة المنورة ، فحالفت بنو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قريظة (الأوس) ، وبنو النضير (الخزرج) ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم ، قاتل كل فريق من اليهود مع حلفائه ، فيقتل اليهودي أخاه اليهودي من الفريق الآخر ، ويخرجونهم من بيوتهم ، وينهبون ما فيها من الأثاث ، والمتاع ، والمال ، وذلك حرام عليهم في دينهم ، وفي نص التوراة ، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها افتكوا الأسارى من الفريق المغلوب ، عملا بحكم التوراة ، ولهذا وبخهم تعالى بقوله : [أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض] ؟

البلاغة :

1- [لا تعبدون إلا الله] خبر فى معنى النهي ، وهو أبلغ من صريح النهي ، كما قال أبو السعود لما فيه من إيهام أن المنهي ، حقه أن يسارع إلى الانتهاء ، فكأنه انتهى عنه ، فجاء بصيغة الخبر ، وأراد به النهي.

2- [وقولوا للناس حسنا] وقع المصدر موقع الصفة أي قولاً حسنا أو ذا حسن للمبالغة ، فإن العرب تضع المصدر مكان اسم الفاعل أو الصفة ، بقصد المبالغة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيقولون : هو عدل ، كأنه لشدة عدالته عين العدل.
3- التنكير فى قوله : [خزي في الحياة الدنيا] للتفخيم والتهويل.
4- [تقتلون أنفسكم] عبر عن قتل الغير بقتل النفس ، لأن من أراق دم غيره ، فكأنما أراق دم نفسه ، لأن الناس كأنهم جسد واحد ، فالعدوان عليهم عدوان على النفس الإنسانية.
5- [أفتؤمنون] ؟ الهمزة للإنكار التوبيخي ، والتوبيخ أسلوب من أساليب البيان.
الفوائد :
الفائدة الأولى : جاء الترتيب في الآية بتقديم الأهم فالأهم ، فقدم تعالى (حق الله) سبحانه ، لأنه المنعم في الحقيقة على العباد ، ثم قدم (حق الوالدين) لحقهما الأعظم في تربية الولد ، ثم (حق القرابة) لأن الواجب لهم صلة الرحم وأجر الإحسان ، ثم (حق اليتامى) لقلة حيلتهم ، ثم (المساكين) لضعفهم ومسكنتهم ، فبدأ بالأهم فالأهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : [وقولوا للناس حسنا] ولم يقل : وقولوا لإخوانكم أو قولوا للمؤمنين حسنا ، ليدل على أن الأمر بالإحسان ، عام لجميع الناس ، المؤمن منهم والكافر ، والبر والفاجر ، وفي هذا حض على مكارم الأخلاق ، بلين الكلام ، وبسط الوجه ، والأدب الجميل ، والخلق الكريم قال أحد الأدباء : بني إن البر شيء هين وجه طليق ولسان لين

قال الله تعالى : [ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل.. إلى .. ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون] من آية (87) إلى نهاية آية (92).

اللغة :

[الكتاب] التوراة

[وقفينا] أردفنا وأتبعنا ، وأصله من القفا يقال : قفاه إذا اتبعه ، وقفاه بكذا إذا اتبعه إياه

[البينات] المعجزات الباهرات كإبراء الأعمى والأبرص ، وإحياء الموتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أيدناه] قويناه مأخوذ من الأيد وهو القوة

[روح القدس] جبريل عليه السلام ، والقدس : الطهر والبركة

[تهوى] تحب من هوي إذا أحب ومصدره الهوى

[غلف] جمع أغلف ، والغلاف : الغطاء ، يقال : سيف أغلف إذا كان في غلافه ، وقلب أغلف أي مستور عن الفهم والتمييز ، مستعار من (الأغلف) وهو الذى لم يختن

[لعنهم] أصل اللعن فى كلام العرب : الطرد والإبعاد ، يقال : ذئب لعين أي مطرود مبعد ، والمراد : أقصاهم وأبعدهم عن رحمته

[يستفتحون] يستنصرون من الاستفتاح وهو طلب الفتح أي النصرة

[بئسما] أصلها بئس ما أي بئس الذي ، وبئس فعل للذم ، كما أن " نعم " للمدح

[بغيا] البغي : الحسد والظلم ، وأصله الفساد من بغى الجرح إذا فسد ، قاله الأصمعي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[باءوا] رجعوا ، وأكثر ما يستعمل في الشر ، كقولهم : باء بالخزي واللعنة.

[مهين] مخز مذل ، مأخوذ من الهوان بمعنى الذل.

المناسبة :

لا تزال الايات تتحدث عن بنى اسرائيل ، وفى هذه الايات الكريمة تذكير لهم بضرب من النعم ، التى أكرمهم الله بها ، ثم قابلوها بالكفر والاجرام ، كعادتهم فى مقابلة الاحسان بالاساءة ، والنعمة بالكفران والجحود.

التفسير :

[ولقد آتينا موسى الكتاب] أي أعطينا موسى التوراة

[وقفينا من بعده بالرسل] أي أتبعنا وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل

[وآتينا عيسى ابن مريم البينات] أي أعطينا عيسى الآيات البينات ، والمعجزات الواضحات الدالة على نبوته

[وأيدناه بروح القدس] أي قويناه وشددنا أزره بأمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السماء (جبريل) عليه السلام

[أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم] أي أفكلما جاءكم يا بني إسرائيل ، رسول بما لا يوافق هواكم

[استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون] أي تكبرتم عن اتباعه ، فطائفة منهم كذبتموهم ، وطائفة قتلتموهم ؟.

ثم أخبر تعالى عن اليهود المعاصرين للنبى (ص) وبين ضلالهم فى اقتدائهم بالأسلاف ، فقال حكاية عنهم

[وقالوا قلوبنا غلف] أي مغطاة في أكنة لا تفقه ولا تعي ما تقوله يا محمد ، والغرض إقناطه عليه السلام من إيمانهم ، قال تعالى ردا عليهم :

[بل لعنهم الله بكفرهم] أي طردهم وأبعدهم من رحمته ، بسبب كفرهم وضلالهم

[فقليلا ما يؤمنون] أي فقليل من يؤمن منهم ، أو يؤمنون إيمانا قليلا ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، وكفرهم بالبعض الآخر

[ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم] وهو القرآن العظيم الذي أنزل على خاتم المرسلين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصدقا لما في التوراة

[وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا] أي وقد كانوا قبل مجيئه يستنصرون به على أعدائهم ، ويقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان ، الذي نجد نعته في التوراة

[فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به] أي فلما بعث محمد (ص) الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالته

[فلعنة الله على الكافرين] أي لعنة الله على اليهود ، الذين كفروا بخاتم المرسلين

[بئسما اشتروا به أنفسهم] أي بئس الشئ التافه ، الذى باع به هؤلاء اليهود أنفسهم

[أن يكفروا بما أنزل الله] أي كفرهم بالقرآن الذي أنزله الله على خاتم رسله

[بغيا] أي حسدا وطلبا لما أكرم الله به غيرهم

[أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده] أي حسدا منهم ، من أجل أن ينزل الله وحيا من فضله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على من يشاء ويصطفيه من خلقه

[فباءوا بغضب على غضب] أي رجعوا بغضب من الله زيادة على سابق غضبه عليهم

[وللكافرين عذاب مهين] أي ولهم عذاب شديد مع الإهانة والإذلال ، لأن كفرهم سببه التكبر والحسد ، فقوبلوا بالإهانة والصغار

[وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله] أي آمنوا بما أنزل الله من القرآن العظيم ، وصدقوه واتبعوه

[قالوا نؤمن بما أنزل علينا] أي يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة

[ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم] أي يكفرون بالقرآن مع أنه هو الحق ، موافقا لما معهم من كلام الله

[قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين] ؟ أي قل لهم يا أيها الرسول ، إذا كنتم صادقين في دعوى الإيمان ، فلم قتلتم أنبياء الله ، الذين بعثهم الله لهدايتكم ، قبل بعثة محمد (ص) ؟ وهل يقتل مؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نبيا ، إذا كان صادقا في دعوى الإيمان ؟

[ولقد جاءكم موسى بالبينات] أي بالحجج الباهرات

[ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون] أي عبدتم العجل من بعد ذهابه إلى الطور ، وأنتم ظالمون لأنفسكم في هذا الصنيع القبيح!

البلاغة :

1- تقديم المفعول في الموضعين [فريقا كذبتم] و[فريقا تقتلون] للاهتمام وتشويق السامع إلى ما يلقى إليه.

2- التعبير بالمضارع [وفريقا تقتلون] ولم يقل " قتلتم " كما قال كذبتم ، لأن الفعل المضارع – كما هو المألوف في أساليب البلاغة – يستعمل فى الأفعال الماضية ، التي بلغت من الفظاعة مبلغاً عظيما ، فكأنه أحضر صورة قتل الأنبياء أمام السامع ، وجعله ينظر إليها بعينه ، فيكون إنكاره لها أبلغ ، واستفظاعه لها أعظم.

3- وضع الظاهر مكان الضمير [فلعنة الله على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين] ولم يقل " عليهم " ليشعر بأن سبب حلول اللعنة هو كفرهم الفظيع.

4- الإخبار في قوله : [ولقد جاءكم موسى بالبينات] يراد به التبكيت والتوبيخ على عدم اتباع الرسول (ص).

5- أسندت الإهانة إلى العذاب فقال : [عذاب مهين] لأن الإهانة تحصل بعذابهم ، ومن أساليب البيان إسناد الأفعال إلى أسبابها.

فائدة :

قال الحسن البصري : إنما سمى جبريل (روح القدس) لأن القدس هو الله ، وروحه جبريل ، فالإضافة للتشريف ، قال الرازي : ومما يدل على أن روح القدس جبريل ، قوله تعالى في سورة النحل : [قل نزله روح القدس من ربك بالحق] .

قال الله تعالى : [وإذ أخذنا ميثاقكم.. إلى .. فإن الله عدو للكافرين] من آية (93) إلى نهاية آية (98).

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه طائفة أخرى من جرائم اليهود الشنيعة ، فقد نقضوا الميثاق حتى رفع جبريل جبل الطور عليهم ، وأمروا أن يأخذوا بما في التوراة ، فأظهروا القبول والطاعة ، ثم عادوا إلى الكفر والعصيان ، فعبدوا العجل من دون الله ، وزعموا أنهم أحباب الله ، وأن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، لا يدخلها أحد سواهم ، وعادوا الملائكة الأطهار ، وعلى رأسهم جبريل عليه السلام ، وكفروا بالأنبياء والرسل ، وهكذا شأنهم فى سائر العصور والدهور ، البغي والعدوان.

اللغة :

[ميثاقكم] الميثاق : العهد المؤكد بيمين

[الطور] هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام

[بقوة] بعزم وجد

[أشربوا] أشرب : سقي أي جعلت قلوبهم تشربه ، يقال : أشرب قلبه حب كذا ، قال زهير :

فصحوت عنها بعد حب داخل والحب تشربه فؤادك داء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[خالصة] مصدر كالعافية والعاقبة بمعنى الخلوص ، أي خاصة بكم لا يشارككم فيها أحد

[أحرص] الحرص : شدة الرغبة في الشيء وفي الحديث " احرص على ما ينفعك "

[بمزحزحه] الزحزحة : الإبعاد والتنحية قال تعالى : [فمن زحزح عن النار] أي أبعد ، وقال الشاعر :

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح ؟

التفسير :

[وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور] أي اذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم العهد المؤكد ، على العمل بما في التوراة ، ورفعنا فوقكم جبل الطور ، قائلين :

[خذوا ما آتيناكم بقوة] أي بعزم وحزم ، وإلا طرحنا الجبل فوقكم

[واسمعوا] أي سماع طاعة وقبول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا سمعنا وعصينا] أي سمعنا قولك ، وعصينا أمرك

[وأشربوا في قلوبهم العجل] أي خالط حبه قلوبهم ، وتغلغل في سويدائها ، والمراد أن حب عبادة العجل ، امتزج بدمائهم ، ودخل في قلوبهم ، كما يدخل الصبغ في الثوب ، والماء في البدن

[بكفرهم] أي بسبب كفرهم

[قل بئسما يأمركم به إيمانكم] أي قل لهم على سبيل التهكم بهم : بئس هذا الإيمان الذى يأمركم بعبادة العجل

[إن كنتم مؤمنين] أي إن كنتم تزعمون الإيمان ، فبئس هذا العمل والصنيع!! والمعنى المقصود أن يقول لهم : لستم بمؤمنين ، لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل

[قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس] أي قل لهم يا محمد إن كانت الجنة لكم خاصة ، لا يشارككم في نعيمها أحد ، كما زعمتم

[فتمنوا الموت إن كنتم صادقين] أي اشتاقوا الموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يوصلكم إلى الجنة ، لأن نعيم هذه الحياة لا يساوي شيئا ، إذا قيس بنعيم الآخرة ، ومن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ، قال تعالى راداً عليهم تلك الدعوى الكاذبة

[ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم] أي لن يتمنوا الموت ما عاشوا ، بسبب ما اجترحوه من الذنوب والآثام

[والله عليم بالظالمين] أي عالم بظلمهم وإجرامهم ، وسيجازيهم على ذلك

[ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا] أي ولتجدن اليهود أشد الناس حرصا على الحياة ، وأحرص من المشركين أنفسهم ، وذلك لعلمهم بأنهم صائرون إلى النار لإجرامهم

[يود أحدهم لو يعمر ألف سنة] أي يتمنى الواحد منهم أن يعيش ألف سنة

[وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر] أي وما طول العمر – مهما عمر – بمبعده ومنجيه من عذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله

[والله بصير بما يعملون] أي مطلع على أعمالهم ، فيجازيهم عليها

[قل من كان عدوا لجبريل] أي قل لهم يا محمد : من كان عدوا لجبريل ، فإنه عدو لله ، لأن الله جعله واسطة بينه وبين رسله ، فمن عاداه فقد عادى الله

[فإنه نزله على قلبك بإذن الله] أي فإن جبريل الأمين ، نزل هذا القرآن على قلبك يا محمد ، بأمر الله تعالى

[مصدقا لما بين يديه] أي مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية

[وهدى وبشرى للمؤمنين] أي وفيه الهداية الكاملة ، والبشارة السارة للمؤمنين بجنات النعيم

[من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال] أي من عادى الله وملائكته ورسله ، وعادى على الوجه الأخص " جبريل وميكائيل " فهو كافر عدو لله

[فإن الله عدو للكافرين] لأن الله يبغض من عادى أحدا من أوليائه ، ومن عاداهم عاداه الله ، ففيه الوعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتهديد الشديد.

سبب النزول :

روي أن اليهود قالوا للنبى (ص) : إنه ليس نبي من الأنبياء ، إلا يأتيه ملك من الملائكة ، من عند ربه (بالرسالة وبالوحي) ، فمن صاحبك يا محمد حتى نتابعك ؟ قال : (جبريل) ، قالوا : ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدونا! لو قلت : ميكائيل الذى ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك!! فأنزل الله عز وجل هذه الآية : [قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك..] الآية.

البلاغة :

1- [وأشربوا فى قلوبهم العجل] فيه استعارة مكنية ، شبه حب عبادة العجل ، بمشروب لذيذ سائغ الشراب ، وطوى ذكر المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية. قال فى تلخيص البيان : " وهذه استعارة ، والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ " .

أقول : هذه صورة رائعة فريدة ، من روائع البيان ، فكأن حب العجل شراب حلو لذيذ ، خالطت حلاوته الأفواه والأمعاء ، فسرى فيها كما يسري الشراب في مسالك البدن.

2- [قل بئسما يأمركم به إيمانكم] إسناد الأمر إلى الإيمان ، تهكم بهم كقوله تعالى : [أصلاتك تأمرك] ؟ وكذلك إضافة الإيمان إليهم ، أفاده الزمخشري.

3- التنكير في قوله : [على حياة] للتنبيه على أن المراد بها حياة مخصوصة ، وهي الحياة المتطاولة التي يعمر فيها الشخص آلاف السنين.

4- [فإن الله عدو للكافرين] الجملة واقعة في جواب الشرط ، وجيء بها إسمية لزيادة التقبيح ، لأنها تفيد الثبات ، ووضع الظاهر موضع الضمير فقال : [عدو للكافرين] بدل عدو لهم ، لتسجيل صفة الكفر عليهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأنهم بسبب عداوتهم للملائكة أصبحوا من الكافرين.

5- [وجبريل وميكال] جاء اسمهما بعد ذكر (الملائكة) فهو من باب ذكر الخاص بعد العام ، للتشريف والتعظيم.

الفوائد :

الأولى : ليس معنى السمع في قوله : [واسمعوا] إدراك القول فقط ، بل المراد به سماع (تدبر وطاعة والتزام) ، فهو مؤكد ومقرر لقوله : [خذوا ما آتيناكم بقوة] .

الثانية : خص القلب بالذكر [نزله على قلبك] لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف ، كما قال تعالى : [لهم قلوب لا يعقلون بها] .

الثالثة : الحكمة في الإتيان هنا ب " لن " [ولن يتمنوه أبداً] وفي الجمعة بـــ " لا " [ولا يتمنونه أبدا] أن ادعاءهم هنا أعظم ، فإنهم ادعوا اختصاصهم بالجنة ، وهناك كونهم (أولياء لله) من دون الناس ، فناسب هنا التوكيد (بلن) المفيدة للتأبيد فى الحاضر والمستقبل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما هناك فاكتفى بالنفي.

الرابعة : الآية الكريمة من المعجزات ، لأنها إخبار بالغيب ، وكان الأمر كما أخبر ، ويكفي في تحقق (هذه المعجزة) أن لا يقع تمني الموت من اليهود ، الذين كانوا في عصره (ص) وفي الحديث الشريف " لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار " .

قال الله تعالى : [ولقد أنزلنا إليك آيات بينات.. إلى قوله : لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون] من آية (99) إلى نهاية آية (103).

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما جبل عليه اليهود ، من خبث السريرة ونقض العهود ، والتكذيب لرسل الله ، حتى انتهى بهم الحال إلى عداوة " جبريل " الأمين عليه السلام ، أعقب ذلك ببيان أن من عادة اليهود ، عدم الوفاء بالعهود ، وتكذيب الرسل ، واتباع طرق الشعوذة والضلال ، وفي ذلك تسلية لرسول الله (ص) حيث نبذوا الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وراء ظهورهم ، واتبعوا ما ألقت إليهم الشياطين ، من كتب السحر والشعوذة ، ونسبوها إلى سليمان عليه السلام ، وهو منها بريء ، وهكذا حالهم مع جميع الرسل الكرام ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

اللغة :

[نبذ] النبذ : الطرح والإلقاء ، ومنه سمي اللقيط منبوذا ، لأنه ينبذ على الطريق ، قال الشاعر :

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا نبذوا كتابك واستحلوا المحرما

[تتلو] تحدث وتروي ، من التلاوة بمعنى القراءة ، أو بمعنى الاتباع ، قال الطبري : ولقول القائل : " هو يتلو كذا " في كلام العرب معنيان : أحدهما الاتباع كما تقول : تلوت فلانا إذا مشيت خلفه وتبعت أثره ، والآخر : القراءة والدراسة ، كقولك : فلان يتلو القرآن أي يقرؤه

[السحر] قال الجوهري : كل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، وسحره أيضا بمعنى خدعه وفي الحديث "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن من البيان لسحرا "

[فتنة] الفتنة : الابتلاء والاختبار ، ومنه قولهم : فتنت الذهب إذا امتحنته بالنار لتعرف سلامته أو غشه

[خلاق] الخلاق : النصيب ، قال الزجاج : هو النصيب الوافر من الخير ، وأكثر ما يستعمل في الخير

[لمثوبة] المثوبة : الثواب والجزاء.

التفسير :

[ولقد أنزلنا إليك آيات بينات] أي والله لقد أنزلنا إليك يا محمد ، آيات واضحات دالات على نبوتك

[وما يكفر بها إلا الفاسقون] أي وما يجحد بهذه الآيات ، ويكذب بها إلا الخارجون عن الطاعة ، الماردون على الكفر

[أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم] أي أيكفرون بالآيات وهي في غاية الوضوح ؟ وكلما أعطوا عهدا نقضه جماعة منهم ؟

[بل أكثرهم لا يؤمنون] أي بل أكثر اليهود لا يؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتوراة ، الإيمان الصادق ، لذلك ينقضون العهود والمواثيق

[ولما جاءهم رسول من عند الله] وهو محمد (ص) خاتم النبيين

[مصدق لما معهم] أي مصدقا للتوراة ، وموافقا لها فى أصول الدين ، ومقررا لنبوة موسى عليه السلام

[نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم] أي طرح أحبارهم وعلماؤهم التوراة ، وأعرضوا عنها بالكلية ، لأنها تدل على نبوة محمد (ص) فجحدوا الوحي ، وأصروا على إنكار نبوته

[كأنهم لا يعلمون] أي كأنهم لا يعلمون من دلائل نبوته شيئا

[واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان] أى اتبعوا طرق السحر والشعوذه ، التى كانت تحدثهم بها الشياطين فى عهد ملك سليمان

[وما كفر سليمان] أي وما كان سليمان ساحرا ، ولا كفر بتعلمه السحر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر] أي ولكن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر ، حتى فشا أمره بين الناس

[وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت] أي وكما اتبع رؤساء اليهود السحر ، كذلك اتبعوا ما أنزل على الملكين وهما (هاروت وماروت) بمملكة بابل بأرض الكوفة ، وقد أنزلهما الله ابتلاء وامتحانا للناس

[وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر] أي إن الملكين لا يعلمان أحدا من الناس السحر ، حتى يبذلا له النصيحة ، ويقولا : إن هذا الذي نصفه لك ، إنما هو امتحان من الله وابتلاء ، فلا تستعمله للإضرار ولا تكفر بسببه ، فمن تعلمه ليدفع ضرره عن الناس فقد نجا ، ومن تعلمه ليلحق ضرره بالناس ، فقد هلك وضل.. قال تعالى :

[فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه] أي يتعلمون منهما من علم السحر ، ما يكون سببا في التفريق بين الزوجين ، فبعد أن كانت المودة والمحبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينهما يصبح الشقاق والفراق
[وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله] أي وما هم بما استعملوه من السحر يضرون أحدا إلا إذا شاء الله
[ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم] أي والحال أنهم بتعلم السحر ، يحصلون على الضرر لا على النفع ، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون
[ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق] أي ولقد علم اليهود الذين نبذوا كتاب الله ، وأستبدلوا به السحر ، أنهم ليس لهم حظ من رحمة الله ، ولا من الجنة ، لأنهم اثروا السحر على كتاب الله
[ولبئس ما شروا به أنفسهم ، لو كانوا يعلمون] أي ولبئس هذا الشيء الذي باعوا به أنفسهم ، لو كان لهم علم أو فهم وإدراك !!
[ولو أنهم آمنوا واتقوا] أي ولو أن أولئك الذين يتعلمون السحر ، آمنوا بالله وخافوا عذابه
[لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون] أي لأثابهم الله ثواباً أفضل ، مما شغلوا به أنفسهم من السحر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي لا يعود عليهم إلا بالويل ، والخسار ، والدمار!.

سبب النزول :

لما ذكر رسول الله (ص) سليمان في المرسلين ، قال بعض أحبار اليهود : ألا تعجبون لمحمد يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا!! والله ما كان إلا ساحرا ، فنزلت هذه الآية [وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر] .

البلاغة :

1- [رسول من عند الله] التنكير للتفخيم ، ووصف الرسول بأنه آت من عند الله ، لإفادة مزيد التعظيم والتكريم لشأن الرسول (ص).

2- [وراء ظهورهم] مثل يضرب للإعراض عن الشيء جملة ، تقول العرب : جعل هذا الأمر وراء ظهره ، أي تولى عنه معرضا ، لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه ، فهو كناية عن الإعراض عن التوراة بالكلية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- [لو كانوا يعلمون] هذا جار على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة ، من أن العالم بالشيء إذا لم يسر على موجب علمه ، قد ينزل منزلة الجاهل به ، وينفى عنه العلم ، كما ينفى عن الجاهلين.

4- [لمثوبة من عند الله] جيء بالجملة الأسمية بدل الفعلية ، للدلالة على الثبوت والاستقرار.

فائدة :

الحكمة من تعليم الملكين الناس السحر ، أن السحرة كثروا فى ذلك العهد ، واخترعوا فنونا غريبة من السحر ، وربما زعموا أنهم أنبياء ، فبعث الله تعالى الملكين ليعلما الناس وجوه السحر ، حتى يتمكنوا من التمييز بينه وبين المعجزة ، ويعرفوا أن الذين يدعون النبوة كذبة ، إنما هم سحرة لا أنبياء مرسلون.

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا.. إلى .. إن الله بما تعملون بصير] من آية (104) إلى نهاية آية (110).

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما ذكر تعالى قبائح اليهود ، وما اختصوا به من ضروب السحر والشعوذة ، أعقبه ببيان نوع آخر من السوء والشر ، الذين يضمرونه للنبي (ص) والمسلمين ، من الطعن والحقد والحسد ، وتمني زوال النعمة عن المؤمنين ، واتخاذهم الشريعة الغراء هدفا للطعن ، والتجريح ، بسبب النسخ لبعض الأحكام الشرعية.

اللغة :

[راعنا] من (المراعاة) وهي الإنظار والإمهال ، وأصلها من الرعاية ، وهي النظر في مصالح الإنسان ، وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة ، مشتقة من (الرعونة) وهي الحمق ، ولذلك نهي عنها المؤمنون

[انظرنا] من النظر أو الانتظار تقول : نظرت الرجل إذا انتظرته وارتقبته أي انتظرنا وتأن بنا [يود] يتمنى ويحب

[ننسخ] النسخ في اللغة : الإبطال والإزالة يقال : نسخت الشمس الظل أي أزالته ، وفي الشرع : رفع حكم شرعي وتبديله بحكم آخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ننسها] من أنسى الشيء جعله منسيا فهو من النسيان الذي هو ضد الذكر أي نمحها من القلوب

[ولي] الولي : من يتولى أمور الإنسان ومصالحه

[نصير] النصير : المعين مأخوذ من قولهم نصره إذا أعانه

[أم] بمعنى بل وهي تفيد الانتقال من جملة إلى جملة أخرى ، كقوله تعالى : [أم يقولون افتراه] أي بل يقولون

[يتبدل] يقال : بدل وتبدل واستبدل أي جعل شيئا موضع آخر ، وتبدل الكفر بالإيمان ، معناه : أخذ الكفر بدل الإيمان

[سواء السبيل] أي وسط الطريق ، والسواء من كل شيء : الوسط ، والسبيل معناه الطريق

[فاعفوا] العفو : ترك المؤاخذة على الذنب

[واصفحوا] والصفح : ترك التأنيب عنه.

سبب النزول :

روي أن اليهود قالوا : ألا تعجبون لأمر محمد ؟! يأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، فما هذا القرآن إلا كلام محمد ، يقوله من تلقاء نفسه ، يناقض بعضه بعضا فنزلت الآية [ما ننسخ من آية] .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا] هذا نداء من الله جل شأنه للمؤمنين يخاطبهم فيه فيقول :

[لا تقولوا راعنا] أي راقبنا وأمهلنا حتى نتمكن من حفظ ما تلقيه علينا

[وقولوا انظرنا] أي انتظرنا وارتقبنا

[واسمعوا] أي أطيعوا أوامر الله ، ولا تكونوا كاليهود حيث قالوا : سمعنا وعصينا

[وللكافرين عذاب أليم] أي ولليهود الذين نالوا من الرسول وسبوه ، عذاب فظيع موجع

[ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم] أي ما يحب الكافرين من (اليهود والنصارى) ، ولا المشركون الوثنيون أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينزل عليكم شيء من الخير ، بغضا فيكم وحسدا لكم
[والله يختص برحمته من يشاء] أي يختص بالنبوة والوحي ، والفضل والإحسان من شاء من عباده
[والله ذو الفضل العظيم] أي والله جواد كريم ، واسع الفضل والإحسان ، ثم قال تعالى ردا على اليهود حين طعنوا فى القرآن بسبب النسخ
[ما ننسخ من آية أو ننسها] أي ما نبدل حكم آية فنغيره بآخر ، أو ننسها يا محمد أي نمحها من قلبك

[نأت بخير منها أو مثلها] أي نأت بخير لكم منها أيها المؤمنون ، بما هو أنفع لكم فى العاجل أو الآجل ، إما برفع المشقة عنكم ، أو بزيادة الأجر والثواب لكم
[ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير] أي ألم تعلم أيها المخاطب ، أن الله عليم حكيم قدير ، لا يصدر منه إلا كل خير وإحسان للعباد!!
[ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض] أي ألم تعلم أن الله هو المالك المتصرف فى شؤون الخلق ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحكم بما شاء ويأمر بما شاء ؟

[وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير] أي ما لكم ولي يرعى شؤونكم ، أو ناصر ينصركم غير الله تعالى ، فهو نعم الناصر والمعين

[أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل] أي بل أتريدون يا معشر المؤمنين ، أن تسألوا نبيكم كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل ؟ ويكون مثلكم كمثل اليهود الذين قالوا لنبيهم : [أرنا الله جهرة] فتضلوا كما ضلوا ؟

[ومن يتبدل الكفر بالإيمان] أي يستبدل الضلالة بالهدى ، ويأخذ الكفر بدل الإيمان

[فقد ضل سواء السبيل] أي فقد حاد عن الجادة وخرج عن الصراط السوي

[ود كثير من أهل الكتاب] أي تمنى كثير من اليهود والنصارى

[لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا] أي لو يصيرونكم كفارا بعد أن آمنتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حسدا من عند أنفسهم] أي حسدا منهم لكم ، حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة

[من بعد ما تبين لهم الحق] أي من بعد ما ظهر لهم بالبراهين الساطعة أن دينكم هو الحق

[فاعفوا واصفحوا] أي اتركوهم وأعرضوا عنهم فلا تؤاخذوهم

[حتى يأتى الله بأمره] أي حتى يأذن الله لكم بقتالهم

[إن الله على كل شيء قدير] أي قادر كل شيء فينتقم منهم إذا حان الأوان

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي حافظوا على عمودي الإسلام ، وهما : " الصلاة والزكاة " وتقربوا إليه بالعبادة البدنية والمالية

[وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله] وأي شيء تتقربون به إلى الله ، من صلاة أو صدقة أو عمل صالح ، فرضا كان أو تطوعا ترون ثوابه عند الله

[إن الله بما تعملون بصير] أي رقيب عليكم مطلع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أعمالكم ، فيجازيكم عليها يوم الدين.

البلاغة :

1- الإضافة فى قوله : [من ربكم] للتشريف ، وفيها التذكير للعباد بتربيته لهم ، فهو الخالق ، والمربي لعباده.

2- تصدير الجملتين بلفظ الجلالة [والله يختص] [والله ذو الفضل] للإيذان بفخامة الأمر.

3- [ألم تعلم] الاستفهام للتقرير ، والخطاب للنبى (ص) والمراد به أمته بدليل قوله تعالى : [وما لكم من دون الله]

4- وضع الاسم الجليل موضع الضمير [إن الله] و[من دون الله] لتربية الروعة والمهابة في النفوس.

5- [ضل سواء السبيل] من إضافة الصفة للموصوف أي الطريق المستوي ، وفي التعبير به نهاية التبكيت والتشنيع ، لمن ظهر له الحق فعدل عنه إلى الباطل.

الفوائد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولى : خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا] في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن وهذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة ، ونداء المخاطبين باسم المؤمنين ، يذكرهم بأن الإيمان يقتضي من صاحبه ، أن يتلقى أوامر الله ونواهيه بحسن الطاعة والامتثال ، قال ابن مسعود : " إذا سمعت الله تعالى يقول : [يا أيها الذين آمنوا] فارعها سمعك ، فإنه خير تؤمر به ، أو شر تنهى عنه.

الثانية : نهى المسلمون أن يقولوا فى خطاب النبى (ص) [راعنا] وأمروا بأن يقولوا مكانها [انظرنا] وفي ذلك تنبيه لأدب جميل ، هو أن الإنسان يتجنب فى مخاطباته الألفاظ التي توهم الجفاء أو التنقيص ، فى مقام يقتضى إظهار المودة والتعظيم.

الثالثة : كانت اليهود تستعمل كلمة [راعنا] يعنون بها المسبة والشتيمة ، وروي أن " سعد بن معاذ " سمعها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهم فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله (ص) لأضربن عنقه فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فنزلت هذه الآية [لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا] .

قال الله تعالى : [وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.. إلى .. إن الله واسع عليم] من آية (111) إلى نهاية آية (115).

المناسبة :

في هذه الآيات الكريمة بيان آخر لأباطيل أهل الكتاب ، حيث ادعى كل من الفريقين (اليهود والنصارى) ، أن الجنة خاصة بهم ، وطعن في دين الآخر ، فاليهود يعتقدون بكفر النصارى وضلالهم ، ويكفرون بعيسى وبالإنجيل ، والنصارى يعتقدون بكفر اليهود لعدم إيمانهم بالمسيح ، حتى صار كل فريق يطعن في دين الآخر ، ويزعم أن الجنة وقف عليه ، فأكذب الله الفريقين ، وبين أن الجنة إنما يفوز بها المؤمن التقي الذي عمل الصالحات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[هودا] أي يهودا جمع هائد ، والهائد : التائب الراجع مشتق من هاد إذا تاب [إنا هدنا إليك] ، [أمانيهم] جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويشتهيه ،

[برهانكم] البرهان : الدليل والحجة الموصلان إلى اليقين ،

[أسلم] استسلم وخضع ،

[خرابها] الخراب : الهدم والتدمير وهو حسي كتخريب بيوت الله ، ومعنوي كتعطيل إقامة الشعائر فيها ،

[خزي] هوان وذلة ،

[ثم] بفتح الثاء أي " هناك " ظرف للمكان ،

[وجه الله] الوجه : الجهة والمراد بوجه الله هنا : الجهة التي ارتضاها وأمر بالتوجه إليها.

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله (ص) أتتهم أحبار اليهود ، فتنازعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند رسول الله (ص) فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل ، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله [وقالت اليهود ليست النصارى على شيء] الآية.

التفسير :

[وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى] أي قال اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، وقال النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا

[تلك أمانيهم] أي تلك خيالاتهم وأحلامهم

[قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] أي قل لهم يا محمد : ائتوني بالحجة الساطعة على ما تزعمون إن كنتم صادقين في دعواكم

[بلى من أسلم وجهه لله] أي بلى يدخل الجنة ، من استسلم وخضع وأخلص نفسه لله

[وهو محسن] أي وهو مؤمن مصدق متبع لرسول الله (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون]
أي فله ثواب عمله ولا خوف عليهم في الآخرة ولا يعتريهم حزن أو كدر بل هم في نعيم مقيم
[وقالت اليهود ليست النصارى على شيء] أي كفر اليهود بعيسى وقالوا : ليس النصارى على دين صحيح معتد به فدينهم باطل
[وقالت النصارى ليست اليهود على شيء] أي وقال النصارى في اليهود مثل ذلك ، ليس اليهود على دين صحيح ، ودينهم باطل
[وهم يتلون الكتاب] أي والحال أن اليهود يقرأون التوراة ، والنصارى يقرأون الإنجيل فقد كفروا عن علم
[كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم] أي كذلك قال مشركو العرب مثل قول أهل الكتاب قالوا : ليس محمد على شيء
[فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون]
أي يحكم بين اليهود والنصارى وسائر الخلائق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفصل بينهم بقضائه العادل ، فيما اختلفوا فيه من أمر الدين

[ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه] الكلام خرج مخرج المبالغة في التهديد والزجر ، استنكاراً لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أي لا أحد أظلم ممن منع الناس من عبادة الله في بيوت الله.

[وسعى فى خرابها] أى وعمل لخرابها بالهدم كما فعل الرومان ببيت المقدس ، أو بتعطيلها من العبادة كما فعل كفار قريش

[أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين] أي ما كان ينبغي لأولئك أن يدخلوها إلا وهم في خشية وخضوع ، فضلا عن التجرؤ على تخريبها أو تعطيلها

[لهم في الدنيا خزي] أي لأولئك المذكورين هوان وذلة في الدنيا

[ولهم في الآخرة عذاب عظيم] أي لهم عذاب شديد موجع ، هو عذاب النار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولله المشرق والمغرب] أي لله جل وعلا الكون كله ، وله الجهات كلها ، مكان شروق الشمس ومكان غروبها والمراد جميع الأرض

[فأينما تولوا فثم وجه الله] أي إلى أي جهة توجهتم بأمره ، فهناك قبلته التي رضيها لكم ، وقد نزلت الآية فيمن أضاع جهة القبلة

[إن الله واسع عليم] أي يسع الخلق بالجود والإفضال ، وهو سبحانه عليم بتدبير شؤونهم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم.

البلاغة :

1- [تلك أمانيهم] الجملة اعتراضية وفائدتها بيان بطلان الدعوى وأنها دعوى كاذبة.

2- [قل هاتوا برهانكم] الأمر هنا للتبكيت والتقريع ، فليس عندهم حجة أو برهان.

3- [من أسلم وجهه لله] خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء ، فالوجه هنا استعارة عن القصد ، والتوجه والإقبال على الله ، ومعنى [أسلم وجهه] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استسلم وخضع ، وأخلص عمله لله.

4- [عند ربه] وضع اسم الرب موضع ضمير الجلالة ، لإظهار مزيد اللطف به.

5- [قال الذين لا يعلمون] فيه توبيخ عظيم لأهل الكتاب لأنهم خرطوا أنفسهم – مع علمهم – في سلك من لا يعلم أصلا.

6- [ومن أظلم] الاستفهام بمعنى النفي أي لا أحد أظلم منه.

7- [لهم في الدنيا خزي] التنكير للتهويل أي خزي هائل فظيع ، لا يكاد يوصف لهوله.

8- [عليم] صيغة فعيل للمبالغة ، أي واسع العلم.

فائدة :

قال الإمام الفخر : إسلام الوجه لله يعني إسلام النفس لطاعة الله ، وقد يكنى بالوجه عن النفس كما قال تعالى : [كل شيء هالك إلا وجهه] وقال زيد بن نفيل :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثقالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا.

قال الله تعالى : [وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه.. إلى.. ولا هم ينصرون] من آية (116) إلى نهاية آية (123).

المناسبة :

لما ذكر تعالى افتراء اليهود والنصارى ، وزعمهم أن الجنة خاصة بهم لا يشاركهم فيها أحد ، أعقبه بذكر بعض قبائحهم ، وقبائح المشركين في ادعائهم أن لله ولدا ، حيث زعم اليهود أن عزيرا ابن الله ، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله ، وزعم المشركون أن الملائكة بنات الله ، فأكذبهم الله جميعا ، ورد دعواهم ، بالحجة الدامغة والبرهان القاطع.

اللغة :

[سبحانه] سبحان مصدر سبح بمعنى نزه ومعناه التبرئة والتنزيه عما لا يليق بجلاله تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قانتون] مطيعون خاضعون من القنوت والطاعة والخضوع

[بديع] البديع : المبدع ، والإبداع : الاختراع والابتكار ، وهو اختراع الشيء على غير مثال سبق

[قضى] أراد وقدر

[بشيرا] البشير : المبشر وهو المخبر بالأمر الصادق السار

[نذيرا] النذير : المنذر وهو المخبر بالأمر المخوف ليحذر منه

[الجحيم] المتأجج من النار

[ملتهم] أي دينهم وجمعها ملل ، وأصل الملة : الطريقة المسلوكة ، ثم جعلت اسما للشريعة التى أنزلها الله

[عدل] فداء.

التفسير :

[وقالوا اتخذ الله ولدا] هو قول اليهود والنصارى والمشركين فاليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالوا : المسيح ابن الله والمشركون قالوا : الملائكة بنات الله ، فأكذب الله الجميع في دعواهم فقال

[سبحانه] أي تقدس وتنزه عما زعموا تنزهاً بليغا

[بل له ما في السموات والأرض] بل للإضراب أي ليس الأمر كما زعموا ، بل هو جل وعلا خالق جميع الموجودات ، التي من جملتها عزير ، والمسيح ، والملائكة

[كل له قانتون] أي الكل منقادون له ، لا يستعصي شيء منهم على تقديره ومشيئته

[بديع السموات والأرض] أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق

[وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون] أي إذا أراد إيجاد شيء ، حصل من غير امتناع ولا مهلة ، فمتى أراد شيئا وجد بلمح البصر ، فمراده نافذ وأمره لا يتخلف [وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر]

[وقال الذين لا يعلمون] المراد بهم جهلة المشركين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم كفار قريش

[لولا يكلمنا الله] أي هلا يكلمنا الله مشافهة أو بإنزال الوحي علينا بأنك رسوله

[أو تأتينا آية] أي تجيئنا يا محمد بحجة ساطعة ، تكون برهانا على صدق نبوتك ، قالوا ذلك استكبارا وعنادا

[كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم] أي مثل هذا الباطل الشنيع ، قال المكذبون من أسلافهم لرسلهم

[تشابهت قلوبهم] أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم ، في العمى والعناد والتكذيب للأنبياء ، وفي هذا تسلية له (ص)

[قد بينا الآيات لقوم يوقنون] أي قد وضحنا الأدلة وأقمنا البراهين لقوم يطلبون الحق واليقين ، وكلها ناطقة بصدق ما جئت به

[إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا] أي أرسلناك يا محمد بالشريعة النيرة والدين القويم ، بشيرا للمؤمنين بجنات النعيم ، ونذيرا للكافرين من عذاب الجحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تسأل عن أصحاب الجحيم] أي أنت يا محمد لست مسؤولا عمن لم يؤمن منهم ، بعد أن بذلت الجهد في دعوتهم [إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب]

[ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم] أي لن ترضى عنك الطائفتان (اليهود والنصارى) حتى تترك الإسلام المنير ، وتتبع دينهم الأعوج

[قل إن الهدى هدى الله] أي قل لهم يا محمد : إن الإسلام هو الدين الحق وما عداه فهو ضلال

[ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم] أي ولئن سايرتهم على آرائهم الزائفة ، وأهوائهم الفاسدة ، بعدما ظهر لك الحق بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة

[ما لك من الله من ولي ولا نصير] أي ليس لك من يحفظك أو يدفع عنك عقابه الأليم

[الذين آتيناهم الكتاب] ثناء من الله تعالى على طائفة من اليهود والنصارى أسلموا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يتلونه حق تلاوته] أي يقرؤونه قراءة حقة كما أنزل

[أولئك يؤمنون به] أي فأولئك هم المؤمنون حقا ، دون المعاندين المحرفين لكلام الله

[ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون] أي ومن كفر بالقرآن فقد خسر دنياه وآخرته

[يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم] أي اذكروا نعمي الكثيرة عليكم وعلى آبائكم

[وأني فضلتكم على العالمين] أي واذكروا تفضيلي لكم على سائر الأمم في زمانكم

[واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا] أي خافوا ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا تغني فيه نفس عن نفس ، ولا تدفع عنها من عذاب الله شيئا ، لأن كل نفس بما كسبت رهينة

[ولا يقبل منها عدل] أي لا يقبل منها فداء

[ولا تنفعها شفاعة] أي لا تفيدها شفاعة أحد ، لأنها كفرت بالله ، كما قال سبحانه : [فما تنفعهم شفاعة الشافعين]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا هم ينصرون] أي لا يدفع عنهم أحد عذاب الله ، ولا يجيرهم وينقذهم من سطوة عقابه!.

البلاغة :

1- [سبحانه] جملة اعتراضية وفائدتها بيان بطلان دعوى الظالمين الذين زعموا لله الولد ، قال أبو السعود : وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من " السبح " ومن جهة النقل إلى التفعيل " التسبيح " ومن جهة العدول إلى المصدر ما لا يخفى ، والمراد أنزهه تنزيها لائقا به.

2- [كل له قانتون] صيغة جمع العقلاء في [قانتون] للتغليب أي تغليب العقلاء على غير العقلاء ، والتغليب من الفنون المعدودة في محاسن البيان.

3- التعبير عن الكافرين والمكذبين بكلمة [أصحاب الجحيم] إيذان بأن أولئك المعاندين من المطبوع على قلوبهم ، فلا يرجى منهم الرجوع عن الكفر والضلال إلى الإيمان والإذعان.

4- إيراد الهدى معرفا بأل في قوله : [هو الهدى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفيد قصر الهداية على (دين الإسلام) ، فالإسلام هو الهدى كله ، وما عداه فهو هوى وعمى.

5- [ولئن اتبعت أهواءهم] هذا من باب التهييج والإلهاب ، وإلا فأنى يتصور اتباعه (ص) لملتهم الباطلة ؟.

تنبيه :

قال القرطبي : [بديع السموات والأرض] أي منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه ، قيل له مبدع ، ومنه أصحاب البدع ، وسميت البدعة (بدعة) لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام ، وفي البخاري " نعمت البدعة هذه " يعني قيام رمضان.. ثم قال : وكل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل فى الشرع أو لا ؟ فإن كان لها أصل فهي في حيز المدح ، ويعضده قول عمر " نعمت البدعة هذه " وإلا فهي في حيز الذم والإنكار ، وقد بين هذا الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشريف " من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها.. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها.. " .

قال الله تعالى : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن.. إلى .. إنك أنت العزيز الحكيم] من آية (124) إلى نهاية آية (129).

المناسبة :

بعد أن ذكر الله تعالى نعمه على بني إسرائيل ، وكيف كانوا يقابلون النعم بالكفر والعناد ، وصل حديثهم بقصة (إبراهيم) أبي الأنبياء ، الذي يزعم اليهود والنصارى انتماءهم إليه ، ولو كانوا صادقين لوجب عليهم اتباع هذا النبي الكريم محمد (ص) ودخولهم في دينه القويم ، لأنه من ولد إسماعيل عليه السلام ، فكان أولى بالاتباع والتمسك بشريعته الحنيفية السمحة ، التي هي شريعة الخليل عليه السلام.

اللغة :

[ابتلى] امتحن والابتلاء : الاختبار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأتمهن] أتى بهن على وجه التمام والكمال

[إماما] الإمام : القدوة الذي يؤتم به في الأقوال والأفعال

[مثابة] مرجعاً من ثاب يثوب إذا رجع ، أي إنهم يأتون ويترددون إليه لا يقضون منه وطرهم ، قال الشاعر :

جعل البيت مثابا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر.

[وأمنا] الأمن : السلامة من الخوف والطمأنينة في النفس والأهل

[وعهدنا] أمرنا وأوحينا

[للطائفين] جمع طائف من الطواف وهو الدوران حول الشيء

[والعاكفين] جمع عاكف من العكوف وهو الإقامة على الشيء والملازمة له ، والمراد المقيمون في الحرم بقصد العبادة

[فأمتعه] من التمتيع وهو إعطاء الإنسان ما ينتفع به كقوله : [قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[القواعد] جمع قاعدة وهي الأساس

[مناسكنا] جمع منسك وهي العبادة والطاعة

[الحكمة] العلم النافع المصحوب بالعمل ، والمراد بها السنة النبوية المطهرة

[ويزكيهم] من التزكية وهي في الأصل التنمية يقال : زكى الزرع إذا نما ثم استعملت في معنى الطهارة النفسية قال تعالى : [قد أفلح من زكاها] .

التفسير :

[وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن] أي اذكر يا محمد حين اختبر الله عبده إبراهيم الخليل ، وكلفه بجملة من التكاليف الشرعية " أوامر ونواه " فقام بهن خير قيام

[قال إني جاعلك للناس إماما] أي قال له ربه : إني جاعلك يا إبراهيم قدوة للناس ، ومنارا يهتدي بك الخلق

[قال ومن ذريتي] أي قال إبراهيم : واجعل يا رب أيضا أئمة من ذريتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال لا ينال عهدي الظالمين] أي لا ينال هذا الفضل العظيم أحد من الكافرين

[وإذ جعلنا البيت مثابة للناس] أي واذكر حين جعلنا الكعبة المعظمة مرجعا للناس ، يقبلون عليه من كل بلد وقطر

[وأمنا] أي مكان أمن ، يأمن من لجأ إليه ، وذلك لما أودع الله في قلوب العرب من تعظيمه وإجلاله

[واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى] أي وقلنا للناس : اتخذوا من المقام – وهو الحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم لبناء الكعبة – مصلى أي صلوا عنده

[وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل] أي أوصينا وأمرنا إبراهيم وولده إسماعيل

[أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود] أي أمرنا بأن يصونا البيت من الأرجاس والأوثان ، ليكون معقلا للطائفين حوله ، والمعتكفين الملازمين له ، والمصلين فيه ، فالآية جمعت أصناف العابدين في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيت الحرام : (الطائفين ، والمعتكفين ، والمصلين)..
ثم أخبر تعالى عن دعوة الخليل إبراهيم فقال :
[وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا] أي اجعل هذا المكان – والمراد مكة المكرمة – بلداً ذا أمن ، يكون أهله في أمن واستقرار
[وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر] أي وارزق يا رب المؤمنين من أهله وسكانه ، من أنواع الثمرات ، ليقبلوا على طاعتك ويتفرغوا لعبادتك ، وخص بدعوته المؤمنين فقط ، قال تعالى جوابا له
[قال ومن كفر فأمتعه قليلا] أي قال الله : وأرزق من كفر أيضا كما أرزق المؤمن ، أأخلق خلقا ثم لا أرزقهم ؟ أما الكافر فأمتعه في الدنيا متاعا قليلا ، وذلك مدة حياته فيها
[ثم اضطره إلى عذاب النار] أي ثم ألجئه فى الآخرة وأسوقه إلى عذاب النار ، فلا يجد عنها محيصا
[وبئس المصير] أي وبئس المآل والمرجع للكافر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يكون مأواه نار جهنم.. قاس الخليل الرزق على الإمامة ، فنبهه تعالى على أن الرزق رحمة دنيوية ، شاملة للبر والفاجر ، بخلاف الإمامة فإنها خاصة بالخواص من المؤمنين ، ثم قال تعالى حكاية عن قصة بناء البيت العتيق

[وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل] أي واذكر يا أيها الرسول لقومك ذلك الأمر الغريب ، وهو رفع الرسولين العظيمين (إبراهيم وإسماعيل) قواعد البيت وقيامهما بوضع أساسه ورفع بنائه ، وهما يقولان بخضوع وإجلال

[ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم] أي يبنيان ويدعوان بهذه الدعوات الكريمة ، قائلين : يا ربنا تقبل منا أي أقبل منا عملنا هذا ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم ، فإنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا

[ربنا واجعلنا مسلمين لك] أي اجعلنا خاضعين لك منقادين لحكمك

[ومن ذريتنا أمة مسلمة لك] أي واجعل من ذريتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من يسلم وجهه لك ويخضع لعظمتك

[وأرنا مناسكنا] أي وعلمنا شرائع عبادتنا ومناسك حجنا

[وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم] أي تب علينا وارحمنا ، فإنك عظيم المغفرة واسع الرحمة

[ربنا وابعث فيهم رسولا منهم] أي ابعث في الأمة المسلمة رسولا من أنفسهم ، وهذا من جملة دعواتهما المباركة ، وقد استجاب الله الدعاء ببعثة السراج المنير محمد (ص)

[يتلو عليهم آياتك] أي يقرأ آيات القرآن

[ويعلمهم الكتاب والحكمة] أي يعلمهم القرآن والسنة المطهرة

[ويزكيهم] أي يطهرهم من رجس الشرك

[إنك أنت العزيز الحكيم] العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب ، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- التعرض لعنوان الربوبية [ابتلى إبراهيم ربه] تشريف له عليه السلام ، وإيذان بأن ذلك الابتلاء تربية له ، وترشيح لأمر خطير ، والمراد أنه سبحانه عامله معاملة المختبر ، حيث كلفه بأوامر ونواهي ، يظهر بها استحقاقه للإمامة العظمى.

2- إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل في قوله :
[وأمنا] للمبالغة ، والإسناد مجازي ، أي آمنا من دخله كقوله تعالى : [ومن دخله كان آمنا] وخير ما فسرته بالوارد.

3- إضافة البيت إلى ضمير الجلالة [وطهر بيتي] للتشريف والتعظيم.

4- قوله تعالى : [وإذ يرفع إبراهيم] ورد التعبير بصيغة المضارع حكاية عن الماضي ، ولذلك وجه معروف في محاسن البيان ، وهو استحضار الصورة الماضية ، وكأنها مشاهدة بالعيان ، فكأن السامع ينظر ويرى إلى البنيان وهو يرتفع أمامه ، والبناء هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، قال أبو السعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة.

5- [التواب الرحيم] صيغتان من صيغ المبالغة ، لأن " فعال " و " فعيل " من صيغ المبالغة ، أي عظيم المغفرة ، وواسع الرحمة ، لا يخيب من دعاه.

الفوائد :

الفائدة الأولى : تقديم المفعول في قوله : [ابتلي إبراهيم ربه] واجب لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول ، فلو قدم الفاعل لزم عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، وهذا لا يصح ، قال ابن مالك :

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

الثانية : الاختبار في الأصل الامتحان بالشيء ، ليعلم صدق ذلك الشخص أو كذبه ، وهو مستحيل على الله ، لأنه عالم بذلك قبل الاختبار ، فالمراد أنه عامله معاملة المختبر ، لكشف الطائع من العاصي لعباده ، فإنه تعالى عالم بعواقب الأمور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالثة : اختلف المفسرون في الكلمات التي اختبر الله بها إبراهيم عليه السلام ، وأصح هذه الأقوال ما روي عن ابن عباس أنه قال : " الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن : فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم ، ومحاجة نمرود في الله ، وصبره على قذفهم إياه في النار ليحرقوه ، والهجرة من وطنه حين أمر بالخروج عنهم ، وما ابتلى به من ذبح ابنه إسماعيل حين أمر بذبحه " .

الرابعة : المراد من الإمامة في الآية الكريمة (الإمامة في الدين) وهي النبوة التي حرمها الظالمون ، ولو كانت الإمامة الدنيوية لخالف ذلك الواقع ، إذ نالها كثير من الظالمين ، فظهر أن المراد : الإمامة في الدين خاصة.

الخامسة : ذكر العلامة ابن القيم أن السر في تفضيل البيت العتيق ظاهر ، وذلك في انجذاب الأفئدة ، وهوى القلوب ومحبتها له ، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد ، فهم يثوبون إليه من جميع الأقطار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا يقضون منه وطرا ، بل كلما ازدادوا له زيارة ، ازدادوا له اشتياقا.

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

قال الله تعالى : [ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه .. إلى.. ولا تسألون عما كانوا يعملون] من آية (130) إلى نهاية آية (134).

المناسبة :

لما ذكر تعالى مآثر الخليل إبراهيم عليه السلام ، وقصة بنائه للبيت العتيق منار التوحيد ، أعقبه بالتوبيخ الشديد للمخالفين لملة الخليل من اليهود والنصارى والمشركين ، وأكد أنه لا يرغب عن ملته إلا كل شقي سفيه الرأي ، خفيف العقل ، متبع لخطوات الشيطان.

اللغة :

[سفه نفسه] امتهنها واستخف بها ، وأصل السفه : الخفة ومنه زمام سفيه أي خفيف

[اصطفيناه] أي جعلناه صافيا من الأدناس ، مشتق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الصفوة ومعناه تخير الأصفى ، والمراد اصطفاؤه بالرسالة والخلة والإمامة العظمى

[وصى] التوصية : إرشاد الغير إلى ما فيه صلاح وقربة

[شهداء] جمع شاهد أي حاضر

[خلت] مضت وانقرضت.

التفسير :

[ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه] أي لا يرغب عن دين إبراهيم وملته الواضحة الغراء ، إلا من استخف نفسه وامتهنها

[ولقد اصطفيناه في الدنيا] أي اخترناه من بين سائر الخلق بالرسالة والنبوة والإمامة

[وإنه في الآخرة لمن الصالحين] أي هو من المقربين الذين لهم الدرجات العلى

[إذ قال له ربه أسلم] أي استسلم لأمر ربك ، وأخلص نفسك له

[قال أسلمت لرب العالمين] أي استسلمت لأمر الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخضعت لحكمه

[ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب] أي وصى الخليل أبناءه باتباع ملته ، وكذلك يعقوب أوصى بملة إبراهيم

[يا بني إن الله اصطفى لكم الدين] أي اختار لكم دين الإسلام ديناً ، وهذه حكاية لوصية إبراهيم ويعقوب لأبنائهما

[فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون] أي اثبتوا على الإسلام ، حتى يدرككم الموت وأنتم متمسكون به ، فتموتون مسلمين

[أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت] أي هل كنتم شهداء حين احتضر (يعقوب) وأشرف على الموت ، وأوصى بنيه باتباع ملة إبراهيم ؟

[إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي] أي أي شيء تعبدونه بعدي ؟

[قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا] أي لا نعبد إلا إلها واحدا هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الله] رب العالمين ، إله آبائك وأجدادك السابقين
[ونحن له مسلمون] أي نحن له وحده مطيعون خاضعون ، والغرض تحقيق البراءة من الشرك ، قال تعالى مشيرا إلى تلك الذرية الطيبة
[تلك أمة قد خلت] الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام وبنيه أي تلك جماعة وجيل قد سلف ومضى
[لها ما كسبت ولكم ما كسبتم] أي لها ثواب ما كسبت ولكم ثواب ما كسبتم
[ولا تسألون عما كانوا يعملون] أي لا تسألون يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا ، بل كل نفس تتحمل وحدها تبعة ما اكتسبت من سوء.

البلاغة :

1- [ومن يرغب] استفهام يراد به الإنكار والتقريع ، وقع فيه معنى النفي أي لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفيه الأحمق ، والجملة واردة مورد التوبيخ للكافرين.

2- التأكيد ب " إن " و " اللام " [وإنه في الآخرة لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصالحين] لأنه لما كان إخباراً عن حالة مغيبة في الآخرة ، احتاجت إلى تأكيد ، بخلاف حال الدنيا فإنه معلوم ومشاهد.

3- [إذ قال له ربه أسلم] هو من باب الالتفاف إذ السياق [إذ قلنا] والالتفات من محاسن البيان ، والتعرض بعنوان الربوبية [ربه] لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته ، كما أن جواب إبراهيم جاء على هذا المنوال [أسلمت لرب العالمين] ولم يقل : أسلمت لك للإيذان بكمال قوة إسلامه ، وللإشارة إلى أن من كان رباً للعالمين ، لا يليق إلا أن يتلقى أمره بالخضوع وحسن الطاعة.

4- قوله : [آبائك] شمل العم ، والأب ، والجد ، فالجد إبراهيم ، والعم إسماعيل ، والأب إسحاق ، وهو من باب " التغليب " وهو من المجازات المعهودة في فصيح الكلام.

فائدة :

قال أبو حيان : " كنى بالموت عن مقدماته ، لأنه إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حضر الموت نفسه لا يقول المحتضر شيئا ، وفي قوله : [حضر الموت] كناية غريبة وهو أنه غائب ولابد أن يقدم علينا مهما طال الغياب ، ولذلك يقال في الدعاء : واجعل الموت خير غائب ننتظره.

تنبيه :

[ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون] المقصود الأمر بالثبات على الإسلام إلى حين الموت ، أي فاثبتوا على الإسلام ، ولا تفارقوه أبدا ، واستقيموا على محجته البيضاء ، حتى يدرككم الموت وأنتم على الإسلام الكامل ، كقولك : لا تصل إلا وأنت خاشع.

قال الله تعالى : [وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا.. إلى .. ولا تسألون عما

كانوا يعملون] من آية (135) إلى نهاية آية (141).

المناسبة :

لما ذكر تعالى أن ملة إبراهيم هي ملة الحنيفية السمحة ، وأن من لم يؤمن بها ورغب

عنها ، فقد بلغ الذروة العليا في الجهالة والسفاهة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر تعالى ما عليه أهل
الكتاب ، من الدعاوى الباطلة ، من زعمهم أن الهداية
في اتباع (اليهودية
والنصرانية) ، وبين أن تلك الدعوى لم تكن عن دليل
أو شبهة ، بل هي مجرد جحود
للإسلام وعناد ، ثم عقب ذلك بأن الدين الحق هو في
التمسك بالإسلام ، دين جميع
الأنبياء والمرسلين.

اللغة :

[حنيفا] الحنيف : المائل عن الدين الباطل إلى الدين
الحق ، والحنف الميل ، وبه سمي
الاحنف لميل في إحدى قدميه ، قال الشاعر : ولكنا
خلقنا إذ خلقنا حنيفا ديننا عن
كل دين.

[الأسباط] جمع سبط وهم حفدة يعقوب أي ذريات
أبنائه وكانوا اثنى عشر سبطا وهم في
بني إسرائيل كالقبائل في العرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شقاق] الشقاق : المخالفة والعداوة ، وأصله من الشق وهو الجانب ، أي صار هذا في شق وهذا في شق .

[فسيكفيكهم] من الكفاية بمعنى الوقاية

[صبغة الله] الصبغة مأخوذة من الصبغ وهو تغيير الشيء بلون من الألوان ، والمراد بها هنا : الدين

[أتحاجوننا] أتجادلوننا من المحاجة وهي المجادلة

[مخلصون] الإخلاص أن يقصد بالعمل وجه الله وحده ، من غير مباهاة ولا رياء.

التفسير :

[وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا] أي قال اليهود : كونوا على ملتنا يهودا تهتدوا ، وقال النصارى : كونوا نصارى تهتدوا ، فكل من الفريقين يدعونا إلى دينه الباطل الأعوج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين] أي
قل لهم يا محمد بل نتبع ملة
(الحنيفية السمحة) ، وهي ملة إبراهيم حال كونه مائلا
عن الأديان كلها إلى الدين
القيم ، وما كان إبراهيم من المشركين بل كان مؤمنا
موحداً ، وفيه تعريض بأهل
الكتاب ، وإيذان بأن ما هم عليه إنما هو شرك وضلال
[قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا] أي قولوا أيها
المؤمنون آمنا بالله ، وما
أنزل إلينا من القرآن العظيم
[وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط] أي وآمنا بما أنزل إلى
إبراهيم من الصحف والأحكام التي كان الأنبياء
متعبدين بها ، وكذلك حفدة إبراهيم
وإسحاق وهم الأسباط حيث كانت النبوة فيهم
[وما أوتي موسى وعيسى] أي من التوراة والإنجيل
[وما أوتي النبيون من ربهم] أي ونؤمن بما أنزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على غيرهم من الأنبياء جميعا ،
ونصدق بما جاءوا به من عند الله ، من الآيات البينات
والمعجزات الباهرات
[لا نفرق بين أحد منهم] أي لا نؤمن بالبعض ونكفر
بالبعض ، كما فعلت اليهود
والنصارى
[ونحن له مسلمون] أي منقادون لأمر الله خاضعون
لحكمه
[فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا] أي إن آمن
أهل الكتاب بنفس ما آمنتم
به يا معشر المؤمنين ، فقد اهتدوا إلى الحق كما
اهتديتم
[وإن تولوا فإنما هم في شقاق] أي وإن أعرضوا عن
الإيمان بما دعوتهم إليه ، فاعلم
أنهم إنما يريدون عداوتك وخلافك ، وليسوا من طلب
الحق في شيء
[فسيكيفيكم الله] أي سيكفيك يا محمد ربك شره وأذاهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعصمك منهم

[وهو السميع العليم] أي هو تعالى يسمع ما ينطقون

به ، ويعلم ما يضمرونه في

قلوبهم من المكر والشر

[صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة] ؟ أي ما نحن

عليه من الإيمان والتصديق ، هو

دين الله الحق ، الذي صبغنا به وفطرنا عليه ، فظهر

أثره علينا كما يظهر الصبغ في

الثوب ، ولا أحد أحسن من الله صبغة أي دينا

[ونحن له عابدون] أي ونحن نعبده جل وعلا ولا

نعبد أحداً سواه

[قل أتحاجوننا في الله] أي أتجادلوننا في شأن الله ،

زاعمين أنكم أبناء الله

وأحباؤه ، وأن الأنبياء منكم دون غيركم ؟

[وهو ربنا وربكم] أي رب الجميع على السواء ،

وكلنا عبيده

[ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم] أي لنا جزاء أعمالنا ولكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جزاء أعمالكم ، لا يتحمل
أحد وزر غيره
[ونحن له مخلصون] أي قد أخلصنا الدين والعمل لله
[أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط كانوا هودا أو نصارى] ؟
أي أم تدعون يا معشر أهل الكتاب أن هؤلاء الرسل
وأحفادهم كانوا يهودا أو نصارى
[قل أأنتم أعلم أم الله] أي هل أنتم أعلم بديانتهم أم الله
عز وجل ؟ وقد شهد
الله لهم بملة الإسلام ، وبرأهم من اليهودية والنصرانية
بقوله : [ما كان إبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما] فكيف
تزعمون أنهم على دينكم ؟
[ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله] أي لا أحد
أظلم ، ممن أخفى وكتم ما
اشتملت عليه آيات التوراة والإنجيل ، من البشارة
برسول الله ؟ وأن الأنبياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكرام كانوا على الإسلام

[وما الله بغافل عما تعملون] أي هو تعالى مطلع على أعمالهم ومجازيهم عليها ،

وفيه وعيد شديد مع التهديد

[تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون] كررها

لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف ، أي إذا كان أولئك الأنبياء على فضلهم

وجلالة قدرهم ، يجازون بكسبهم فأنتم أحرى ، وقد تقدم تفسيرها.

البلاغة :

1- [وقالوا كونوا هودا أو نصارى] فيه إيجاز بالحذف أي قال اليهود كونوا يهوداً ،

وقال النصارى كونوا نصارى ، وليس المعنى أن الفريقين قالوا ذلك ، لأن كل فريق يعد دين الآخر باطلا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- [فسيكفيكهم الله] فيه إيجاز ظاهر أي يكفيك الله شرهم ، وتصدير الفعل بالسين
دون سوف ، مشعر بأن ظهوره عليهم واقع في زمن قريب.

3- [السميع العليم] من صيغ المبالغة ومعناه الذين أحاط سمعه وعلمه بجميع
الأشياء.

4- [صبغة الله] سمي الدين صبغة بطريق الاستعارة حيث تظهر سمته على المؤمن كما
يظهر أثر الصبغ في الثوب.

5- [أتجادلوننا في الله] الاستفهام وارد على جهة التوبيخ والتقريع.

الفوائد :

الفائدة الأولى : تكرر ورود هذه الآية [وما الله بغافل عما تعملون] قال أبو
حيان : ولا تأتي الجملة إلا عقب ارتكاب معصية ، فتجيء متضمنة وعيدا ، ومعلمة أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله لا يترك أمرهم سدى.
الثانية : قال ابن عباس : إن النصارى كان إذا ولد
لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة
أيام ، صبغوه في ماء لهم يقال له : (المعمودي)
ليطهروه بذلك ، ويقولون هذا طهور
مكان الختان ، فإذا فعلوا ذلك صار نصرانيا حقا ،
فأنزل الله هذه الآية.
الثالثة : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية
ويفسرونها بالعربية لأهل
الإسلام فقال رسول الله (ص) : " لا تصدقوا أهل
الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا
بالله وما أنزل إلينا " .
قال الله تعالى : [سيقول السفهاء من الناس.. إلى ..
وما الله بغافل عما يعملون]
من آية (142) إلى نهاية آية (144).
المناسبة :
زعم اليهود والنصارى أن قبلة الأنبياء " بيت المقدس "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد كان (ص) وهو بمكة
يستقبل بيت المقدس ، فلما أمر (ص) بالتوجه إلى
الكعبة المشرفة ، طعن اليهود في
رسالته ، واتخذوا ذلك ذريعة للنيل من الإسلام ،
وقالوا : لقد اشتاق محمد إلى
مولده ، وعن قريب يرجع إلى دين قومه ، فأخبر الله
رسوله الكريم بما سيقوله
السفهاء ، ولقنه الحجة الدامغة ليرد عليهم ، وكان هذا
الإخبار قبل (تحويل القبلة)
" معجزة " له عليه السلام ، لأنه إخبار عن أمر غيبي.
اللغة :
[السفهاء] جمع سفيه وهو الجاهل الرأي ، القليل
المعرفة بالمنافع والمضار ، وأصل
السفه : الخفة والرقة ، من قولهم ثوب سفيه إذا كان
خفيف النسج
[ولاهم] صرفهم يقال : ولى عن الشيء وتولى عنه
أي انصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسطا] قال الطبري : الوسط في كلام العرب :
الخيار وقيل : العدل ، وأصل هذا أن خير
الأشياء أوساطها ، وأن الغلو والتقصير مذمومان
[عقبيه] تثنية عقب وهو مؤخر القدم
[كبيرة] شاقة وثقيلة
[شطر] الشطر في اللغة يأتى بمعنى الجهة ، كقول
الشاعر : " تعدو بنا شطر نجد وهي
عائدة " ويأتي بمعنى النصف ، ومنه الحديث " الطهور
شطر الإيمان " أي نصف الإيمان.
سبب النزول :
عن البراء قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة صلى
نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله (ص) يحب أن
يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله
تعالى : [قد نرى تقلب وجهك في السماء] الآية فقال
السفهاء من الناس – وهم اليهود
– ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها تعالى : [قل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لله المشرق والمغرب] إلى آخر
الآية.
التفسير :
[سيقول السفهاء من الناس] أي سيقول ضعفاء العقول
من الناس
[ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها] أي ما صرفهم
وحولهم عن القبلة التي
كانوا يصلون إليها وهي (بيت المقدس) قبلة المرسلين
من قبلهم ؟
[قل لله المشرق والمغرب] أي قل لهم يا محمد :
الجهات كلها لله ، له جل وعلا
المشرق والمغرب ، فأينما ولينا وجوهنا فهناك وجه الله
أي قبلته
[يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] أي يهدي عباده
المؤمنين إلى الطريق القويم ،
الموصل لسعادة الدارين
[وكذلك جعلناكم أمة وسطاً] أي كما هديناكم إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام ، كذلك جعلناكم يا معشر
المؤمنين أمة عدولا خيارا

[لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا] أي لتشهدوا على الأمم يوم
القيامة أن رسلهم بلغتهم ، ويشهد عليكم الرسول أنه بلغكم
[وما جعلنا القبلة التى كنت عليها] أي وما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم
صرفناك عنها إلى الكعبة المشرفة
[إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه]
أي إلا لنختبر إيمان الناس ،
فنعلم من يصدق الرسول ، ممن يشكك في الدين ،
ويرجع إلى الكفر لضعف يقينه
[وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله] أي وإن كان هذا التحويل لشاقاً
وصعباً إلا على الذين هداهم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما كان الله ليضيع إيمانكم] أي ما صح ولا استقام
في شرع الله ، أن يضيع الله
صلاتكم إلى بيت المقدس ، بل يثيبكم عليها ، وذلك
حين سألوه (ص) عمن مات وهو يصلي
إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة فنزلت ، وقوله
تعالى :
[إن الله بالناس لرءوف رحيم] تعليل للحكم أي إنه
تعالى عظيم الرحمة بعباده ، لا
يضيع أعمالهم الصالحة التي فعلوها
[قد نرى تقلب وجهك في السماء] أي كثيرا ما رأينا
تردد بصرك يا محمد جهة السماء ،
تشوقاً لتحويل القبلة
[فول وجهك شطر المسجد الحرام] أي توجه في
صلاتك نحو الكعبة المعظمة
[وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره] أي وحيثما كنتم
أيها المؤمنون ، فتوجهوا في
صلاتكم نحو الكعبة أيضا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم]
أي إن اليهود والنصارى ،
ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله ،
ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء
الشبهات
[وما الله بغافل عما يعملون] أي لا يخفى عليه شيء
من أعمالهم وسيجازيهم عليها ،
وفيه وعيد وتهديد لهم بليغ.
البلاغة :
1- في قوله : [ينقلب على عقبيه] استعارة تمثيلية
حيث مثل لمن يرتد عن دينه ، بمن
ينقلب على عقبيه ، كأنه يرجع إلى الخلف ، وينتكس
فى دينه كما انتكس في مشيه.
2- [لرءوف رحيم] الرأفة : شدة الرحمة ، وقدم
الأبلغ مراعاة للفاصلة وهي الميمم
في قوله : [صراط مستقيم] وقوله : [رءوف رحيم]
وكلاهما من صيغ المبالغة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- [فول وجهك] أطلق الوجه وأراد به الذات
كقوله : [ويبقى وجه ربك] وهذا النوع
يسمى " المجاز المرسل " من باب إطلاق الجزء
وإرادة الكل ، ومثله قولهم : هذا ما
جنته يدك ، أي ما فعلته بنفسك.

الفوائد :

الأولى : أخرج البخارى في صحيحه أن رسول الله
(ص) قال : " يدعى نوح عليه السلام
يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل
بلغت ؟ فيقول : نعم فيقال لأمته :
هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير فيقول : من
يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته
فيشهدون أنه قد بلغ ، فذلك قوله عز وجل [لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا] .

الثانية : سمى الله تعالى الصلاة " إيمانا " في قوله :
[وما كان الله ليضيع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إيمانكم] أي صلاتكم لأن الإيمان لا يتم إلا بها ، ولأنها تشتمل على نية وقول وعمل ((روي عن البراء بن عازب أنه قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، فقال الناس : كيف بإخواننا الذين صلوا إلى غير الكعبة ؟ فأنزل الله الآية ، أخرجه الترمذي)).

الثالثة : في التعبير عن الكعبة (بالمسجد الحرام) إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ، لأن في إصابة (عين الكعبة) من البعيد حرجاً عظيما على الناس.

قال الله تعالى : [ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك.. إلى.. ولعلكم تهتدون] من آية (145) إلى نهاية آية (150).

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما قاله السفهاء من اليهود ، عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكعبة المعظمة ، وأمر رسوله بأن يتوجه في صلاته
نحو البيت العتيق ، ذكر فى هذه
الآيات أن أهل الكتاب ، قد انتهوا في العناد والمكابرة
، إلى درجة اليأس من

إسلامهم ، فإنهم ما تركوا قبلتك لشبهة عارضة تزيلها
الحجة ، وإنما خالفوك عناداً
واستكباراً ، وفي ذلك تسلية له (ص) لئلا يحزن ويتأثر
بجحود وتكذيب أهل الكتاب!!.

اللغة :

[آية] الآية : الحجة والعلامة

[أهواءهم] جمع هوى مقصور ، وهوى النفس : ما
تحبه وتميل إليه

[الممترين] الامتراء : الشك ، امترى في الشيء :
شك فيه ، ومنه المراء والمرية ،
كقوله سبحانه : [ولا يزال الذين كفروا في مرية منه]
أي شك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجهة] قال الفراء : وجهه وجهة ووجه بمعنى واحد
، والمراد بها القبلة
[هو موليها] أي هو موليها وجهه ، فاستغنى عن ذكر
الوجه قال الفراء : أي مستقبلها
[فاستبقوا] أي بادروا وسارعوا
[الخيرات] الأعمال الصالحة جمع خير
[تخشوهم] تخافوهم والخشية : الخوف.
التفسير :
[ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا
قبلتك] أي والله لئن جئت يا
أيها الرسول اليهود والنصارى ، بكل معجزة تدل على
صدقك ، في أمر القبلة ما اتبعوك
ولا صلوا إلى قبلتك
[وما أنت بتابع قبلتهم] أي ولست أنت بمتبع قبلتهم ،
بعد أن حولك الله عنها ،
وهذا لقطع أطماعهم الفارغة ، حيث قالت اليهود : لو
ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكون صاحبنا الذى ننتظره ، تغريرا له عليه السلام
[وما بعضهم بتابع قبلة بعض] أي أن النصارى لا
يتبعون قبلة اليهود ، كما أن
اليهود لا يتبعون قبلة النصارى ، لما بينهم من العداوة
والخلاف الشديد ، مع أن
الكل من بني إسرائيل
[ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم] أي
ولئن فرض وقدر أنك سايرتهم
على أهوائهم ، واتبعت ما يهوونه ويحبونه ، بعد
وضوح البرهان الذي جاءك بطريق
الوحي
[إنك إذا لم الظالمين] أي تكون ممن ارتكب أفحش
الظلم والعدوان ، والكلام وأراد
على سبيل الفرض والتقدير ، وإلا فحاشاه (ص) من
اتباع أهواء الكفرة المجرمين ، وهو
من باب التهييج للثبات على الحق.
[الذين آتيناهم الكتاب] أي اليهود والنصارى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يعرفونه كما يعرفون أبناءهم] أي يعرفون محمداً
معرفة لا امتراء فيها ، كما يعرف
الواحد منهم ولده ، معرفة يقين
[وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون] أي وإن
جماعة منهم – وهم رؤساؤهم
وأحبارهم – ليخفون الحق ولا يعلنونه ، ويخفون صفة
النبي مع أنه منعوت لديهم
بأظهر النعوت كما قال تعالى : [الذي يجدونه مكتوبا
عندهم فى التوراة والإنجيل]
فهم يكتمون أوصافه عن علم وعرفان
[الحق من ربك فلا تكونن من الممترين] أي ما أوحاه
الله إليك يا محمد من أمر
القبلة والدين هو الحق ، فلا تكونن من الشاكين ،
والخطاب للرسول والمراد أمته
[ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات] أي لكل
أمة من الأمم قبلة هو موليها
وجهه أي مائل إليها بوجهه ، فبادروا وسارعوا أيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنون إلى فعل الخيرات
[أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا] أي في أي موضع
تكونون من أعماق الأرض ، أو
قلل الجبال ، يجمعكم الله للحساب والجزاء ، فيفصل
بين المحق والمبطل
[إن الله على كل شيء قدير] أي هو قادر على
جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسامكم
وأبدانكم
[ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام] أي من أي مكان خرجت إليه للسفر ،
فتوجه بوجهك في صلاتك جهة الكعبة
[وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون] تقدم
تفسيره ، وكرره لبيان تساوي
حكم السفر والحضر
[ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره] هذا
أمر ثالث باستقبال الكعبة المشرفة ، وفائدة هذا التكرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن القبلة كان أول ما
نسخ من الأحكام الشرعية ، فدعت الحاجة إلى التكرار
، لأجل التأكيد والتقرير
وإزالة الشبهة ، قال تعالى :
[لئلا يكون للناس عليكم حجة] أي عرفكم أمر القبلة
لئلا يحتج عليكم اليهود

فيقولوا : يجحد محمد ديننا ويتبع قبلتنا!! فتكون لهم
حجة عليكم ، أو كقول
المشركين : يدعي محمد ملة إبراهيم ويخالف قبلته
[إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني] أي إلا
الظلمة المعاندين الذين لا
يقبلون أي تعليل فلا تخافوهم وخافوني
[ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون] أي أتم فضلي
عليكم بالهداية إلى الإسلام ،
قبلة أبيكم إبراهيم عليه السلام والتوفيق لسعادة الدارين.
البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- وضع اسم الموصول موضوع الضمير في قوله : [أوتوا الكتاب] للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد.

2- [ولئن اتبعت أهواءهم] هذا من باب التهييج والإلهاب للثبات على الحق.

3- [وما أنت بتابع قبلتهم] هذه الجملة أبلغ في النفي من قوله : [ما تبعوا قبلتك] لأنها جملة اسمية أولا ، ولتأكيد نفيها بالباء ثانيا ، والتأكيد دال على أهمية الأمر ، وعظم الخطب.

4- [كما يعرفون أبناءهم] فيه تشبيه " مرسل مفصل " أي يعرفون محمدا معرفة واضحة كمعرفة أبناءهم الذين من أصلابهم.

الفوائد :

الأولى : روى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدا كما تعرف ولدك ؟ قال وأكثر ، نزل الأمين من السماء على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمين في الأرض بنعته فعرفته ، ولست
أشك فيه أنه نبي ، وأما ولدي فلا أدري ما كان من
أمه ؟ فلعلها خانت ، فقبل عمر
رأسه.
الثانية : توجه الوعيد على العلماء ، أشد من توجهه
على غيرهم ، ولهذا زاد الله في
ذم أهل الكتاب بقوله : [وهم يعلمون] فإنه ليس
المرتكب ذنبا عن جهل كمن يرتكبه عن
علم.
الثالثة : تكرر الأمر باستقبال الكعبة ثلاث مرات ، قال
القرطبي : والحكمة في هذا
التكرار أن الأول لمن هو بمكة ، والثاني لمن هو ببقية
الأمصار ، والثالث لمن خرج
في الأسفار.
قال الله تعالى : [كما أرسلنا فيكم رسولا منكم..
إلى .. وأولئك هم المهتدون] من
آية (151) إلى نهاية آية (157).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

بدأت الآيات الكريمة بمخاطبة المؤمنين ، وتذكيرهم بنعمة الله العظمى عليهم ، ببعثة خاتم المرسلين (ص) ، بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن بني إسرائيل ، وذكرت بالتفصيل نعم الله عليهم التي قابلوها بالجحود والكفران فيما يزيد على ثلث السورة الكريمة ، وقد عدد القرآن الكريم جرائمهم ، ليعتبر ويتعظ بها المؤمنون ، ولما انتهى الحديث عن اليهود بعد ذلك البيان الواضح ، جاء دور التذكير للمؤمنين بالنعم الجليلة ، والتشريعات الحكيمة التي بها سعادتهم في الدارين.

اللغة :

[الكتاب] القرآن العظيم

[الحكمة] السنة النبوية

[فاذكروني] أصل الذكر التنبيه بالقلب للمذكور ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه
علامة على الذكر القلبي
[ولنبلونكم] أصل البلاء المحنة ، ثم قد يكون بالخير
أو بالشر [ونبلوكم بالشر
والخير فتنة]
[مصيبة] المصيبة : كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه في
نفسه أو ماله أو ولده
[صلوات] الأصل في الصلاة الدعاء ، وهي من الله
بمعنى الرحمة ، ومن الملائكة بمعنى
الاستغفار.
التفسير :
[كما أرسلنا فيكم رسولا منكم] الكلام يتعلق بما سبق
في قوله : [ولأتم نعمتي]
والمعنى كما أتممت عليكم نعمتي ، كذلك أرسلت فيكم
رسولاً منكم
[يتلوا عليكم آياتنا] أي يقرأ عليكم القرآن
[ويزكيكم] أي يطهركم من الشرك وقبيح الفعال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويعلمكم الكتاب والحكمة] أي يعلمكم أحكام الكتاب
المجيد ، والسنة النبوية
المطهرة
[ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون] أي يعلمكم من أمور
الدنيا والدين الشيء الكثير ،
الذي لم تكونوا تعلمونه
[فاذكروني أذكركم] أي اذكروني بالعبادة والطاعة ،
أذكركم بالثواب والمغفرة
[واشكروا لي ولا تكفرون] أي اشكروا نعمتي عليكم
ولا تكفروها بالجحود والعصيان ،
روي أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك
؟ قال له ربه : " تذكرني ولا

تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتنى فقد
كفرتني " ثم نادى تبارك وتعالى
عباده المؤمنين بلفظ الإيمان ، ليستنهض هممهم إلى
امتثال الأوامر الإلهية ، وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النداء الثاني الذي جاء في هذه السورة الكريمة فقال :
[يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة] أي
استعينوا على أمور دنياكم
وآخرتكم ، بالصبر والصلاة ، فبالصبر تنالون كل
فضيلة ، وبالصلاة تنتهون عن كل
رذيلة
[إن الله مع الصابرين] أي معهم بالنصر والمعونة
والحفظ والتأييد
[ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات] أي لا
تقولوا للشهداء إنهم أموات
[بل أحياء ولكن لا تشعرون] أي بل هم أحياء عند
ربهم يرزقون ، ولكن لا تشعرون
بذلك ، لأنهم في حياة برزخية أسمى من هذه الحياة
[ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من
الأموال والأنفس والثمرات] أي
ولنختبرنكم بشيء يسير من ألوان البلاء ، مثل :
الخوف ، والجوع ، وذهاب بعض الأموال ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وموت بعض الأحباب ، وضياع بعض الزروع والثمار

[وبشر الصابرين] أي بشر الصابرين على المصائب والبلايا بجنات النعيم.. ثم بين تعالى تعريف الصابرين بقوله :

[الذين إذا أصابتهم مصيبة] أي نزل بهم كرب أو بلاء أو مكروه

[قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] أي استرجعوا وأقروا بأنهم عبيد لله ، يفعل بهم ما يشاء

[أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون] أي أولئك الموصوفون بما ذكر لهم ثناء وتمجيد ورحمة من الله ، وهم المهتدون إلى طريق السعادة والفلاح!!

البلاغة :

1- بين كلمتي [أرسلنا] و[رسولا] جناس الاشتقاق وهو من المحسنات البديعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- قوله : [ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون] بعد قوله :
[ويعلمكم الكتاب والحكمة] هو
من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول ، ويسمى
هذا في البلاغة بـــ " الإطناب " .
3- [أموات بل أحياء] فيه إيجاز بالحذف أي لا
تقولوا هم أموات بل هم أحياء
(وبينهما طباق).
4- التنكير في قوله : [بشيء من الخوف] للتقليل أي
بشيء قليل للاختبار.
5- [صلوات من ربهم ورحمة] التنوين فيهما للتفخيم
، والتعرض بعنوان الربوبية مع
الإضافة إلى ضميرهم [ربهم] لإظهار مزيد العناية
بهم.
6- [هم المهتدون] صيغة قصر وهو من نوع قصر
الصفة على الموصوف.
الفوائد :
الأولى : روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه قال : " ما أصابتني مصيبة إلا

وجدت فيها ثلاث نعم :

- الأولى : أنها لم تكن في ديني ،

- الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت ،

- الثالثة : أن الله يجازي عليها الجزاء الكبير ثم تلا

قوله تعالى : [أولئك عليهم

صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون] .

الثانية : قال (ص) : " إذا مات ولد العبد قال الله تعالى

لملائكته : قبضتم ولد

عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟

فيقولون : نعم ، فيقول : فماذا قال

عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله

تعالى : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة

وسموه بيت الحمد " .

قال الله تعالى : [إن الصفا والمروة من شعائر الله..

إلى .. ولا هم ينظرون] من

آية (158) إلى نهاية آية (162).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما أمر تعالى بذكره وشكره ودعا المؤمنين إلى الاستعانة بالصبر ، والصلاة ، أعقب ذلك ببيان أهمية (الحج) وأنه من شعائر دين الله ، ثم نبه تعالى على وجوب نشر العلم وعدم كتمانه ، وذكر خطر كتمان ما أنزل الله من البيانات والهدى ، كما فعل اليهود والنصارى في كتبهم ، فاستحقوا اللعنة والغضب والدمار.

اللغة :

[شعائر الله] جمع شعيرة وهي فى اللغة : العلامة ، ومنه الشعار ، وأشعر الهدي جعل له علامة ليعرف بها ، والشعائر : كل ما تعبدنا الله به من أمور الدين ، كالطواف ، والسعي ، والأذان ، ونحوه.

[حج] الحج في اللغة : القصد ، وفي الشرع : قصد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيت العتيق لأداء المناسك من الطواف والسعي

[اعتمر] العمرة في اللغة : الزيارة ثم صار علما لزيارة البيت للنسك

[جناح] الجناح : الميل إلى الإثم ، وقيل : هو الإثم نفسه ، سمى به لأنه ميل إلى الباطل يقال : جنح إلى كذا إذا مال ، قال ابن الأثير : وأينما ورد فمعناه الإثم والميل

[يكتمون] الكتمان : الإخفاء والستر

[ينظرون] يمهلون.

التفسير :

[إن الصفا والمروة] اسم لجبلين بمقربة من البيت الحرام

[من شعائر الله] أي من أعلام دينه ، ومناسكه التي تعبدنا الله بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فمن حج البيت أو اعتمر] أي من قصد بيت الله
للحج ، أو قصده للزيارة بأحد
النسكين " الحج " أو " العمرة "
[فلا جناح عليه أن يطوف بهما] أي لا حرج ولا إثم
عليه أن يسعى بينهما ، فإذا كان
المشركون يسعون بينهما ، ويتمسحون بالأصنام ،
فاسعوا أنتم لله رب العالمين ، ولا
تتركوا الطواف بينهما ، خشية التشبه بالمشركين
[ومن تطوع خيرا] أي من تطوع بالحج والعمرة بعد
قضاء حجته المفروضة عليه ، أو فعل خيرا فرضا
كان أو نفلا
[فإن الله شاكر عليم] أي أنه سبحانه شاكر له طاعته
، ومجازيه عليها خير الجزاء ،
لأنه عليم بكل ما يصدر من عباده من الأعمال ، فلا
يضيع عنده أجر المحسنين
[إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيانات والهدى] أي
يخفون ما أنزلناه من الآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البينات ، والدلائل الواضحات ، التي تدل على صدق
محمد (ص)
[من بعد ما بيناه للناس في الكتاب] أي من بعد
توضيحه لهم في التوراة ، أو في
الكتب السماوية كقوله تعالى : [الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والإنجيل]
[أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون] أي أولئك
الموصوفون بقبيح الأعمال ،
الكاتمون لأوصاف الرسول ، المحرفون لأحكام التوراة
، يلعنهم الله فيبعدهم من
رحمته ، وتلعنهم الملائكة والمؤمنون
[إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم]
أي إلا الذين ندموا على ما
صنعوا ، وأصلحوا ما أفسدوه ، بالكتمان ، وبينوا
للناس حقيقة ما أنزل الله ، فأولئك
يقبل الله توبتهم ويشملهم برحمته
[وأنا التواب الرحيم] أي كثير التوبة على عبادي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واسع الرحمة بهم ، أصفح عما فرط
منهم من السيئات
[إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار] أي كفروا بالله
واستمروا على الكفر ، حتى
داهمهم الموت وهم على تلك الحالة
[أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين] أي
يلعنهم الله وملائكته وأهل
الأرض جميعا ، حتى الكفار فإنهم يوم القيامة يلعن
بعضهم بعضا
[خالدين فيها] أي ماكثين في النار أبدا – وفي
إضمارها تفخيم لشأنها -
[لا يخفف عنهم العذاب] أي إن عذابهم في جهنم دائم
لا ينقطع ، لا يخف عنهم طرفة
عين ، كما قال تعالى : [لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون]
[ولا هم ينظرون] أي ولا يمهلون أو يؤجلون ، بل
يلاقيهم العذاب حال مفارقة الحياة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا.
سبب النزول :
عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن (الصفا والمروة)
فقال : كنا نرى أنهما من أمر
الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله
[إن الصفا والمروة من
شعائر الله] .
البلاغة :
1- [من شعائر الله] أي من شعائر دين الله ، ففيه
إيجاز بالحذف.
2- [شاكر عليم] أي يثيب على الطاعة قال أبو
السعود : عبر عن ذلك بالشكر مبالغة
في الإحسان على العباد ، فأطلق الشكر وأراد به
الجزاء بطريق المجاز.
3- [يلعنهم الله] فيه التفات من ضمير المتكلم إلى
الغيبة ، إذ الأصل " نلعنهم "
ولكن في إظهار الاسم الجليل [يلعنهم الله] إلقاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الروعة والمهابة في القلب.

4- [يلعنهم اللاعنون] فيه جناس الاشتقاق ، وهو من المحسنات البديعية.

5- [خالدين فيها] أي في اللعنة أو في النار وأضمرت النار تفخيماً لشأنها وتهويلا لأمرها.

6- [ولا هم ينظرون] إيثار الجملة الأسمية لإفادة دوام النفي واستمراره.

الفوائد :

الأولى : كان على الصفا صنم يقال له " إساف " وعلى المروة صنم يقال له " نائلة "
فكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما ، فخشي المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية ،
ولذلك تحرجوا من الطواف لهذا السبب ، فنزلت الآية تبين أنهما من شعائر الله ،
وأنه لا حرج عليهم في السعي بينهما فالمسلمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسعون لله لا للأصنام الأوثان.!

الثانية : الشكر معناه مقابلة النعمة والإحسان بالثناء والعرفان ، وهذا المعنى محال على الله ، إذ ليس لأحد عنده يد ونعمة حتى يشكره عليها ، ولهذا حمله العلماء على الثواب والجزاء ، أي أنه تعالى يثيبه ولا يضيع أجر العاملين. أقول : والصحيح ما عليه السلف من إثبات الصفات كما وردت ، فهو شكر يليق بجلاله وكماله ، أي يثني على عبده المؤمن بما يحبه تعالى.!

قال الله تعالى : [وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .. إلى .. وما هم بخارجين من النار] من آية (163) إلى نهاية (167).

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال الكافرين الجاحدين لآيات الله وما لهم من العذاب والنكال في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة ، ذكر هنا أدلة القدرة والوحدانية ، وأتى
بالبراهين على وجود الخالق
الحكيم ، فبدأ بذكر العالم العلوي ، ثم بالعالم السفلي ،
ثم بتعاقب الليل والنهار ،
ثم بالسفن التي تمخر عباب البحار ، ثم بالأمطار التي
فيها حياة الزروع والأشجار ،
ثم بما بث في الأرض من أنواع الحيوانات العجيبة ،
ثم بالرياح والسحب التي سخرها
الله لفائدة الإنسان ، وختم ذلك بالأمر بالتفكر في بدائع
صنع الله ، ليستدل
العاقل بالأثر على وجود المؤثر ، وبالصنعة على
عظمة الخالق المدبر جل وعلا.

اللغة :

[وإلهكم] الإله : المعبود بحق أو باطل ، والمراد به
هنا المعبود بحق وهو الله رب
العالمين

[الفلك] ما عظم من السفن وهو اسم يطلق على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفرد والجمع

[وبث] فرق ونشر ومنه [كالفراش المبثوث]

[دابة] الدابة في اللغة : كل ما يدب على الأرض ، من إنسان وحيوان مأخوذ من الدبيب وهو المشي رويداً وقد خصه العرف بالحيوان ، ويدل على المعنى اللغوي قوله تعالى :

[والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع] فجمع بين الزواحف والإنسان والحيوان

[تصريف الرياح] الرياح : جمع ريح وهي نسيم الهواء ، وتصريفها تقليبها في الجهات ، ونقلها من حال إلى حال ، فتهب حارة وباردة ، وعاصفة ولينة ، وملقحة للنبات وعقيما

[المسخر] من التسخير وهو التذليل والتيسير

[أنداداً] جمع ند وهو المماثل والمراد بها الأوثان والأصنام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الأسباب] جمع سبب وأصله الحبل ، والمراد به هنا : ما يكون بين الناس من روابط كالنسب والصداقة

[كرة] الكرة : الرجعة والعودة إلى الحالة التي كان فيها

[حسرات] جمع حسرة وهي أشد الندم على شيء فائت ، وفي التنزيل [أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله] .

سبب النزول :

عن عطاء قال : أنزلت بالمدينة على النبي (ص) [وإلهكم إله واحد] فقالت كفار قريش بمكة كيف يسع الناس إله واحد ؟ فأنزل الله تعالى : [إن في خلق السموات والأرض..

إلى قوله.. لآيات لقوم يعقلون] .

التفسير :

[وإلهكم إله واحد] أي إلهكم المستحق للعبادة إله واحد ، لا نظير له في ذاته ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في صفاته ، ولا في أفعاله

[لا إله إلا هو الرحمن الرحيم] أي لا معبود بحق إلا هو جل وعلا ، مولي النعم ومصدر الإحسان

[إن في خلق السموات والأرض] أي إن في إبداع السموات والأرض بما فيهما من عجائب الصنعة ودلائل القدرة

[واختلاف الليل والنهار] أي تعاقبهما بنظام محكم ، يأتي الليل فيعقبه النهار ، وينسلخ النهار فيعقبه الليل ، ويطول النهار ويقصر الليل ، والعكس

[والفلك التي تجري في البحر] أي السفن الضخمة الكبيرة ، التى تسير في البحر على

وجه الماء ، وهي موقرة بالأثقال

[بما ينفع الناس] أي بما فيه مصالح الناس من أنواع المتاجر والبضائع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما أنزل الله من السماء من ماء] أي وما أنزل الله
من السحاب من المطر الذي به
حياة البلاد والعباد
[فأحيا به الأرض بعد موتها] أي أحيا بهذا الماء
الزروع والأشجار ، بعد أن كانت
يابسة مجدبة ليس فيها حبوب ولا ثمار
[وبث فيها من كل دابة] أي نشر وفرق في الأرض ،
من كل ما يدب عليها من أنواع
الدواب ، المختلفة في أحجامها وأشكالها وألوانها
وأصواتها
[وتصريف الرياح] أي تقليب الرياح في هبوبها
جنوبا وشمالا ، حارة وباردة ، ولينة
وعاصفة
[والسحاب المسخر بين السماء والأرض] أي السحاب
المذلل بقدرة الله ، يسير حيث شاء
الله ، وهو يحمل الماء الغزير ، ثم يصبه على الأرض
قطرات قطرات ، قال كعب الأحبار :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السحاب غربال المطر ، ولولا السحاب لأفسد المطر
ما يقع عليه من الأرض
[لآيات لقوم يعقلون] أي لدلائل وبراهين عظيمة دالة
على القدرة القاهرة ، والحكمة
الباهرة ، والرحمة الواسعة ، لقوم لهم عقول تعي ،
وأبصار تدرك ، وتتدبر ، بأن هذه
الأمور من صنع إله قادر حكيم.. ثم أخبر تعالى عن
سوء عاقبة المشركين الذين
عبدوا غير الله فقال
[ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا] أي ومن
الناس من تبلغ بهم الجهالة ، أن
يتخذ من غير الله رؤساء وأصناماً ، يجعلها أشباها
ونظراء مع الله ، كأنها تخلف
وترزق ، وهي حجارة صماء بكماء
[يحبونهم كحب الله] أي يعظمونهم ويخضعون لهم
كحب المؤمنين لله
[والذين آمنوا أشد حبا لله] أي حب المؤمنين لله أشد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من حب المشركين للأنداد

[ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا] أي لو رأى الظالمون حين يشاهدون العذاب ، المعد لهم يوم القيامة ، أن القدرة كلها لله وحده

[وأن الله شديد العذاب] أي وأن عذاب الله شديد أليم ، وجواب " لو " محذوف للتهويل

أي لرأوا ما لا يوصف من الهول والفظاعة

[إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا] أي تبرأ الرؤساء من الأتباع

[ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب] أي حين عاينوا العذاب وتقطعت بينهم الروابط وزالت المودات

[وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم] أي تمنى الأتباع لو أن لهم رجعة إلى الدنيا ، ليتبرءوا من هؤلاء الذين أضلوهم السبيل

[كما تبرءوا منا] أي كما تبرأ الرؤساء من الأتباع في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك اليوم العصيب.. قال
تعالى :
[كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم] أي أنه
تعالى كما أراهم شدة عذابه كذلك
يريهم أعمالهم القبيحة ندامات شديدة ، وحسرات تتردد
في صدورهم كأنها شرر الجحيم
[وما هم بخارجين من النار] أي ليس لهم سبيل إلى
الخروج من النار ، بل هم في عذاب
سرمدي ، وشقاء أبدي.
البلاغة :
1- [وإلهكم إله واحد] ورد الخبر خاليا من التأكيد ،
مع أن من الناس من ينكر
وحدانية الله ، تنزيلا للمنكر منزلة غير المنكر ، وذلك
لأن بين أيديهم من
البراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ، ما لو تأملوه
لوجدوا فيه غاية الإقناع.
2- [لآيات] التنكير في آيات للتفخيم أي آيات عظيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دالة على قدرة قاهرة وحكمة
باهرة.
3- [كحب الله] فيه تشبيه (مرسل مجمل حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.
4- [أشد حبا لله] التصريح بالأشدية أبلغ من أن يقال " أحب الله " كقوله [فهي
كالحجارة أو أشد قسوة] مع صحة أن يقال : أو أقسى.
5- [ولو يرى الذين ظلموا] وضع الظاهر موضع الضمير [ولو يرون] لإحضار الصورة في
ذهن السامع ، وتسجيل السبب فى العذاب الشديد ، وهو الظلم الفادح.
6- في قوله : [رأوا العذاب] و[تقطعت بهم الأسباب] من علم البديع ما يسمى بـــ
(الترصيع) وهو أن يكون الكلام مسجوعا ، من غير تكلف ولا تعسف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7- [وما هم بخارجين من النار] الجملة اسمية وإيرادها بهذه الصيغة لإفادة دوام الخلود.

الفوائد :

الأولى : ذكر تعالى فى الآية من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع تنبيها على ما فيها من العبر ، واستدلالا على الوحدانية من الأثر ،

- الأول : خلق السموات وما فيها من الكواكب والشمس والقمر.

- الثاني : الأرض وما فيها من جبال وبحار وأشجار وأنهار ومعادن وجواهر ،

- الثالث : اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر ، والنور والظلمة ، والزيادة والنقصان ،

- الرابع : السفن العظيمة كأنها الراسيات من الجبال ، وهي موقرة بالأثقال والرجال ، تجري بها الرياح مقبلة ومدبرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الخامس : المطر الذي جعله الله سببا لحياة
الموجودات من حيوان ونبات وإنزاله
بمقدار ،
- السادس : ما بث في الأرض من إنسان وحيوان مع
اختلاف الصور والأشكال والألوان ،
- السابع : تصريف الرياح ، والهواء جسم لطيف وهو
مع ذلك في غاية القوة ، بحيث يقلع
الصخر والشجر ويخرب البنيان العظيم ، وهو سبب
حياة الموجودات ، فلو أمسك طرفة عين
لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض ،
- الثامن : السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي
تسيل منها الأودية الكبيرة ،
يبقى معلقا بين السماء والأرض ، بلا علاقة تمسكه ،
ولا دعامة تسنده ، فسبحان الله
الواحد القهار !!.
الثانية : ورد لفظ الرياح في القرآن مفردة ومجموعة ،
فجاءت مجموعة مع الرحمة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مفردة مع العذاب كقوله : [ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات] وقوله : [وهو الذي
أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته] وجاءت مفردة في العذاب كقوله : [بريح صرصر
عاتية] وقوله : [الريح العقيم] وروي أن رسول الله (ص) كان يقول إذا هبت الريح :
" اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً " .

قال الله تعالى : [يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا.. إلى .. لفي
شقاق بعيد] من آية (168) إلى نهاية آية (176).

المناسبة :

لما بين تعالى التوحيد ودلائله ، وما للمؤمنين المتقين والكفرة العاصين ، اتبع
ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن ، ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع
الإنعام ، لأنه تعالى رب العالمين ، فإحسانه عام لجميع الأنام ، دون تمييز بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، ثم دعا المؤمنين الى شكر
المنعم جل وعلا ، والأكل من
الطيبات التي أباحها الله ، واجتناب ما حرمه الله من
أنواع الخبائث.

اللغة :

[خطوات الشيطان] جمع خطوة وهي في الأصل ما
بين القدمين عند المشي ، وتستعمل
مجازاً في تتبع الآثار

[السوء] ما يسوء الإنسان أي يحزنه ويطلق على
المعصية قولا أو فعلاً أو اعتقادا
لأنها تسوء صاحبها أي تحزنه في الحال أو المآل

[الفحشاء] ما يستعظم ويستفحش من المعاصي فهي
أقبح أنواع المعاصي

[ألفينا] وجدنا ومنه قوله سبحانه : [وألفينا سيدها
لدى الباب] [إنهم ألفوا
آباءهم ضالين] أي وجدوا

[ينعق] يصيح يقال : نعق الراعي بغنمه ينعق نعيقا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا صاح بها وزجرها ، قال
الأخطل : فانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في
الخلاء ضلالا
[أهل] الإهلال : رفع الصوت يقال : أهل المحرم إذا
رفع صوته بالتلبية ، ومنه إهلال
الصبي وهو صياحه عند الولادة ، وكان المشركون إذا
ذبحوا ذكروا اللات والعزى ،
ورفعوا بذلك أصواتهم
[أضطر] ألجئ أي ألجأته الضرورة إلى الأكل من
المحرمات
[باغ ولا عاد] الباغي من البغي ، والعادي من
العدوان ، وهما بمعنى الظلم وتجاوز
الحد
[يزكيهم] يطهرهم من التزكية وهي التطهير
[شقاق] الشقاق : الخلاف والعداوة ، بحيث يكون كل
واحد في شق أي طرف.
التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا]
الخطاب عام لجميع البشر ، أي كلوا
مما أحله الله لكم من الطيبات ، حال كونه مستطابا في
نفسه ، غير ضار بالأبدان
والعقول

[ولا تتبعوا خطوات الشيطان] أي لا تقتدوا بآثار
الشيطان ، فيما يزينه لكم من
المعاصي والفواحش
[إنه لكم عدو مبين] أي إنه عظيم العداوة لكم ،
وعداوته ظاهرة لا تخفى على عاقل
[إنما يأمركم بالسوء والفحشاء] أي لا يأمركم
الشيطان بما فيه خير ، إنما يأمركم
بالمعاصي والمنكرات ، وما تناهى في القبح من
الرذائل
[وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون] أي وأن تفتروا
على الله بتحريم ما أحل لكم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتحليل ما حرم عليكم ، فتحلوا وتحرموا من تلقاء أنفسكم

[وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله] أي وإذا قيل للمشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي والقرآن ، واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل

[قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا] أي بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، قال تعالى فى الرد عليهم :

[أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون] أي أيتبعون آباءهم ولو كانوا سفهاء أغبياء ، ليس لهم عقل يردعهم عن الشر ، ولا بصيرة تنير لهم الطريق ؟

والاستفهام للإنكار والتوبيخ ، والتعجيب من حالهم ، في تقليدهم الأعمى للآباء..

ثم ضرب تعالى مثلا للكافرين في غاية الوضوح والجلاء فقال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا
دعاء ونداء] أي ومثل الكفار
في عدم انتفاعهم بالقرآن وحججه الساطعة ، ومثل من
يدعوهم إلى الهدى ، كمثل الراعي
الذي يصيح بغنمه ويزجرها ، فهي تسمع الصوت
والنداء ، دون أن تفهم الكلام والمراد ،
أو تدرك المعنى الذي يقال لها ، فهؤلاء الكفار
كالدواب السارحة ، لا يفهمون ما
تدعوهم إليه ولا يفقهون ، يسمعون القرآن ويصمون
عنه الآذان [إن هم إلا كالأنعام
بل هم أضل سبيلا] ولهذا قال تعالى :
[صم بكم عمي فهم لا يعقلون] أي صم عن سماع
الحق ، بكم أي خرس عن النطق به ، عمي
عن رؤيته ، فهم لا يفقهون ما يقال لهم ، لأنهم
أصبحوا كالدواب فهم في ضلالهم
يتخبطون .. وخلاصة المثل – والله أعلم – مثل الذين
كفروا كالبهائم التي لا تفقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يقول الراعي أكثر من سماع الصوت دون أن تفهم
المعنى ، وهو خلاصة قول ابن عباس
[يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم]
خاطب المؤمنين لأنهم الذين
ينتفعون بالتوجيهات الربانية ، والمعنى : كلوا يا أيها
المؤمنون من المستلذات وما
طاب من الرزق الحلال الذي رزقكم الله إياه
[واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون] أي واشكروا الله
على نعمه التي لا تحصى ، إن
كنتم تخصونه بالعبادة ولا تعبدون أحدا سواه
[إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير] أي ما
حرم عليكم إلا الخبائث ،
كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير
[وما أهل به لغير الله] أي وما ذبح للأصنام فذكر
عليه اسم غير الله ، كقولهم :
باسم اللات باسم العزى
[فمن اضطر غير باغ ولا عاد] أي فمن ألجأته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضرورة إلى أكل شيء من المحرمات ، بشرط
ألا يكون ساعيا فى فساد ، ولا متجاوزاً مقدار الحاجة
[فلا إثم عليه] أي فلا عقوبة عليه في الأكل
[إن الله غفور رحيم] أي يغفر الذنوب ويرحم العباد ،
ومن رحمته أن أباح المحرمات
وقت الضرورة
[إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب] أي يخفون
صفة النبى (ص) المذكورة في
التوراة وهم اليهود ، قال ابن عباس : نزلت فى
رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي
(ص)
[ويشترون به ثمنا قليلا] أي يأخذون بدله عوضا
حقيرا من حطام الدنيا
[أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار] أي إنما
يأكلون نارا تتأجج في بطونهم
يوم القيامة ، لأن أكل ذلك المال الحرام يفضي بهم إلى
النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يكلمهم الله يوم القيامة] أي لا يكلمهم كلام
رضى كما يكلم المؤمنين ، بل
يكلمهم كلام غضب وسخط كقوله : [اخسئوا فيها ولا
تكلمون]
[ولا يزكيهم] أي يطهرهم من دنس الذنوب
[ولهم عذاب أليم] أي عذاب مؤلم وهو عذاب جهنم

[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى] أي أخذوا
الضلالة بدل الهدى والكفر بدل
الإيمان
[والعذاب بالمغفرة] أي واستبدلوا الجحيم بالجنة
[فما أصبرهم على النار] أي ما أشد صبرهم على
نار جهنم ؟ وهو تعجيب للمؤمنين من
جراءة أولئك الكفار ، على اقتراف أنواع المعاصي ،
ثم قال تعالى مبينا سبب النكال
والعذاب
[ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق] أي ذلك العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأليم بسبب أن الله أنزل كتابه
التوراة ببيان الحق فكتموا وحرفوا ما فيه
[وإن الذين اختلفوا في الكتاب] أي اختلفوا في تأويله
وتحريفه
[لفي شقاق بعيد] أي في خلاف بعيد عن الحق
والصواب ، مستوجب لأشد العذاب.
سبب النزول :
قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى رؤساء اليهود :
كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ،
وحيي بن أخطب كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا ،
فلما بعث محمد عليه السلام
خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمر محمد (ص)
والبشارة به ، في سبيل حطام
الدنيا ، فنزلت [إن الذين يكتمون ما أنزل الله من
الكتاب..] الآية.
البلاغة :
1- [خطوات الشيطان] استعارة عن الاقتداء به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واتباع آثاره قال في تلخيص البيان :
وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعته فيما يأمر به
وقبول قوله فيما يدعو إلي
فعله.

2- [السوء والفحشاء] هو من باب " عطف الخاص على العام " لأن السوء يتناول جميع المعاصي ، والفحشاء أقبح وأفحش المعاصي ، خصت بالذكر لخطرها.

3- [ومثل الذين كفروا] فيه تشبيه (مرسل ومجمل) مرسل لذكر الأداة ومجمل لحذف وجه الشبه ، فقد شبه الكفار بالبهائم التى تسمع صوت المنادي دون أن تفقه كلامه وتعرف مراده.

4- [صم بكم عمي] حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فهو " تشبيه بليغ " أي هم كالصم في عدم سماع الحق ، وكالعمي في عدم رؤية الهدى ، وكالبكم في عدم الانتفاع بنور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن.

5- [ما يأكلون في بطونهم إلا النار] مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه إنما يأكلون المال الحرام الذي يفضي بهم إلى النار وقوله : [في بطونهم] زيادة تشنيع وتقبيح لحالهم ، وتصويرهم بمن يتناول رضف جهنم ، وذلك أفظع سماعا وأشد إيجاعاً.

6- [اشتروا الضلالة بالهدى] استعارة والمراد استبدلوا الكفر بالإيمان ، شبه تعالى تركهم الإيمان وأخذهم الكفر ، بإنسان اشترى بضاعة ، فدفع فيها ثمنا كبيرا ، ثم ذهبت التجارة وعظمت الخسارة ، فأصبح من النادمين.

الفوائد :

الأولى : عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبى (ص) [يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا] فقام سعد بن أبي وقاص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال يا رسول الله : (ادع الله
أن يجعلني مستجاب الدعوة! فقال يا سعد : أطب
مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده
إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ، ما يتقبل الله
منه أربعين
يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار
أولى به).
الثانية : قال بعض السلف : " يدخل في اتباع خطوات
الشيطان كل معصية لله ، وكل نذر
في المعاصي ، قال الشعبي : نذر رجل أن ينحر ابنه
فأفتاه مسروق بذبح كبش ، وقال :
هذا من خطوات الشيطان.
الثالثة : قال ابن القيم في أعلام الموقعين عن قوله
تعالى : [ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء] قال :
لك أن تجعل هذا من التشبيه
المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق ، فإن جعلته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المركب كان تشبيها للكفار –
في عدم فقههم وانتفاعهم – بالغنم التي ينعق بها
الراعي فلا تفقه من قوله شيئا
غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء ، وإن
جعلته من التشبيه المفرق : فالذين
كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق
والهدى بمنزلة الذي ينعق بها ،
ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد
الدعاء والنداء كإدراك البهائم
مجرد صوت الناعق والله أعلم.

قال الله تعالى : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب.. إلى .. فأصلح
بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم] من آية (177)
إلى نهاية آية (182).
من هنا بداية النصف الثاني من السورة الكريمة على
وجه التقريب ، ونصف السورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابق كان متعلقا بأصول الدين وبقبائح بني إسرائيل ، وهذا النصف غالبه متعلق
بالأحكام التشريعية الفرعية ، ووجه المناسبة أنه تعالى ذكر في الآية السابقة أن
أهل الكتاب اختلفوا في دينهم اختلافا كبيرا صاروا بسببه في شقاق بعيد ، ومن
أسباب شقاقهم " أمر القبلة " إذ أكثروا الخوض فيه ، وأنكروا على المسلمين التحول
إلى استقبال الكعبة ، وادعى كل من الفريقين – اليهود والنصارى – أن الهدى مقصور
على قبلته ، فرد الله عليهم وبين أن العبادة الحقة وعمل البر ليس بتوجه الإنسان
جهة المشرق والمغرب ، ولكن بطاعة الله وامتثال أوامره وبالإيمان الصادق الراسخ.

اللغة :

[البر] اسم جامع للطاعات وأعمال الخير

[الرقاب] جمع رقبة وهي في الأصل العنق ، وتطلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على البدن كله ، كما تطلق العين
على الجاسوس والمراد في الآية الأسرى والأرقاء
[البأساء] الفقر
[الضراء] السقم والوجع
[البأس] القتال ، وأصل البأس في اللغة : الشدة
[كتب] فرض
[القصاص] العقوبة بالمثل ، من قتل أو جرح ، مأخوذ من القص وهو تتبع الأثر
[وقالت لأخته قصيه] أي اتبعى أثره
[القتلى] جمع قتيل يستوي المذكر والمؤنث يقال : رجل قتيل وامرأة قتيل
[الألباب] العقول جمع لب مأخوذ من لب النخلة
[وإثما] الإثم : الذنب
[جنفا] الجنف : العدول عن الحق على وجه الخطأ والجهل.
سبب النزول :
عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشيطان ، وكان الحي منهم إذا كان
فيهم منعة ، فقتل عبدهم عبد آخرين ، قالوا : لن نقتل
به إلا حرا ، وإذا قتلت امرأة
منهم امرأة من آخرين قالوا : لن نقتل بها إلا رجلا
فأنزل الله [الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى
بالأنثى] .

التفسير :

[ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب]
أي ليس فعل الخير وعمل الصالحات محصوراً في أن
يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق أو المغرب
[ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر] أي ولكن
الطاعة ، والبر الصحيح هو
الإيمان بالله واليوم الآخر
[والملائكة والكتاب والنبيين] أي وأن يؤمن بالملائكة
والكتب والرسل
[وآتى المال على حبه ذوي القربى] أي أعطى المال
على محبته له ذوي قرابته ، فهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولى بالمعروف
[واليتامى والمساكين وابن السبيل] أي وأعطى المال
أيضا لليتامى الذين فقدوا
آباءهم والمساكين الذين لا مال لهم ، وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله
[والسائلين وفي الرقاب] أي الذين يسألون المعونة
بدافع الحاجة ، وفي تخليص
الأسرى والأرقاء بالفداء
[وأقام الصلاة وآتى الزكاة] أي وأتى بأهم أركان
الإسلام وهما : الصلاة ، والزكاة
[والموفون بعهدهم إذا عاهدوا] أي ومن يوفون
بالعهود ، ولا يخلفون الوعود
[والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس] أي
الصابرين على الشدائد ، وحين
القتال في سبيل الله ، وهو منصوب على المدح
[أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون] أي أهل هذه
الأوصاف الحميدة ، هم الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صدقوا في إيمانهم ، وأولئك هم الكاملون في التقوى ،
وفي الآية ثناء على الأبرار ،
وإيحاء إلى ما سيلاقونه من اطمئنان وخيرات حسان.
[يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى]
أي فرض عليكم أن تقتصوا من
قاتل الإنسان ، بالمساواة دون بغي أو عدوان
[الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى] أي
اقتصوا من الجاني فقط ، فإذا قتل
الحر الحر فاقتلوه به ، وإذا قتل العبد العبد فاقتلوه به ،
وكذلك الأنثى إذا قتلت

الأنثى ، اقتلوها بها ، مثلا بمثل ، ولا تعتدوا فتقتلوا
غير الجاني ، فإن أخذ غير
الجاني ليس بقصاص ، بل هو ظلم واعتداء
[فمن عفى له من أخيه شيء] أي فمن ترك له من دم
أخيه المقتول شيء ، بأن ترك وليه
القود ، وأسقط القصاص ، راضياً بقبول الدية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان] أي فعلى
العافي اتباع للقاتل بالمعروف ،
بأن يطالبه بالدية بلا عنف ولا إرهاق ، وعلى القاتل
أداء للدية إلى العافى – ولي
المقتول – بلا مطل ولا بخس
[ذلك تخفيف من ربكم ورحمة] أي ما شرعته لكم من
العفو إلى الدية ، تخفيف من ربكم
عليكم ، ورحمة منه بكم ، ففي الدية تخفيف على القاتل
ونفع لأولياء القتيل ، وقد
جمع الإسلام في عقوبة القتل بين (العدل) و(الرحمة)
فجعل القصاص حقاً لأولياء
المقتول ، إذا طالبوا به وذلك عدل ، وشرع الدية إذا
أسقطوا القصاص عن القاتل ،
وذلك رحمة
[فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم] أي فمن اعتدى
على القاتل بعد قبول الدية ،
فله عذاب أليم في الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب] أي ولكم – يا أولي العقول – فيما شرعت
من القصاص حياة وأي حياة! ؟ لأن القاتل إذا علم أنه إذا قتل نفساً قتل بها يرتدع
وينزجر عن القتل ، فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله ، وبذلك تصان الدماء وتحفظ
حياة الناس
[لعلكم تتقون] أي لعلكم تنزجرون وتتقون محارم الله ومآثمه
[كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت] أي فرض عليكم إذا أشرف أحدكم على الموت ، وقد
ترك مالا كثيرا
[الوصية للوالدين والأقربين] أي وجب عليه الإيصاء للوالدين والأقربين
[بالمعروف حقا على المتقين] أي بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ، وألا يوصي
للأغنياء ويترك الفقراء ، حقا لازما على المتقين لله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد كان هذا واجبا قبل
نزول آية المواريث ، ثم نسخ بآية المواريث
[فمن بدله بعدما سمعه] أي من غير هذه الوصية
بعدما علمها ، من وصي أو شاهد
[فإنما إثمه على الذين يبدلونه] أي إثم هذا التبديل
على الذين بدلوه ، لأنهم
خانوا وخالفوا حكم الشرع
[إن الله سميع عليم] فيه وعيد شديد للمبدلين
[فمن خاف من موص جنفا] أي فمن علم أو ظن من
الموصي ميلا عن الحق بالخطأ
[أو إثما] أي ميلا عن الحق عمدا
[فأصلح بينهم فلا إثم عليه] أي أصلح بين الموصي
والموصى له فلا ذنب عليه بهذا
التبديل
[إن الله غفور رحيم] أي واسع المغفرة والرحمة لمن
قصد بعمله الإصلاح.
البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- [ولكن البر من آمن] جعل البر نفس من آمن
على طريق المبالغة وهذا معهود في
كلام البلغاء إذ تجدهم يقولون : السخاء حاتم ، والشعر
زهير أي أن السخاء سخاء
حاتم ، والشعر شعر زهير ، وعلى هذا خرجه سيبويه
حيث قال فى كتابه : قال عز وجل
[ولكن البر من آمن] وإنما هو : ولكن البر بر من
آمن بالله ، انتهى. ونظير ذلك أن
تقول : ليس الكرم أن تبذل درهماً ولكن الكرم بذل
الآلاف.

2- [وفي الرقاب] إيجاز بالحذف أي وفي (فك
الرقاب) يعنى فداء الأسرى ، وفي لفظ
الرقاب (مجاز مرسل) حيث أطلق الرقبة وأراد به
النفس وهو من إطلاق الجزء وإرادة
الكل.

3- [والصابرين في البأساء] الأصل أن يأتي مرفوعا
لعطفها على المرفوع :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والموفون بعهدهم] وإنما نصب هنا على
الاختصاص ، أي وأخص بالذكر الصابرين ، وهذا
الأسلوب معروف بين البلغاء ، فإذا ذكرت صفات
للمدح أو الذم وخولف الإعراب في
بعضها ، فذلك تفنن ، ويسمى قطعا لأن تغيير المألوف
يدل على مزيد اهتمام بشأنه
وتشويق لسماعه.
4- [أولئك الذين صدقوا] الجملة جاء الخبر فيها فعلا
ماضيا (صدقوا) لإفادة
التحقيق ، وأن ذلك وقع منهم واستقر ، وأتى بخبر
الثانية في جملة اسمية [وأولئك هم
المتقون] ليدل على الثبوت ، وأنه ليس متجدداً بل
صار كالسجية لهم ، ومراعاة
للفاضلة أيضا.

5- [حقا على المتقين] ذكر " المتقين " من باب
الإلهاب والتهييج للتمسك بالتقوى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- الطباع بين [اتباع] و[أداء] وبين [الحر]
و[العبد] .

الفوائد :

الأولى : في ذكر الأخوة " من أخيه " تعطف داع إلى
العفو ، فقد سمى الله القاتل أخاً
لولي المقتول [فمن عفي له من أخيه شيء] تذكيراً
بالأخوة الدينية والبشرية ، حتى
يهز عطف كل واحد منهما إلى الآخر ، فيقع بينهم
العفو ، والاتباع بالمعروف ،
والأداء بالإحسان.

الثانية : كان في بني إسرائيل القصاص ، ولم يكن
فيهم الدية ، وكان في النصارى
الدية ، ولم يكن فيهم القصاص ، فأكرم الله هذه الأمة
المحمدية وخيرها بين
(القصاص ، والدية ، والعفو) ، وهذا من يسر الشريعة
الغراء التي جاء بها سيد
الأنبياء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالثة : اتفق علماء البيان على أن هذه الآية [ولكم في القصاص حياة] بالغة أعلى
درجات البلاغة ، ونقل عن بلغاء العرب في هذا المعنى قولهم : " القتل أنفى للقتل "
ولكن لورود الآية فضل من ناحية حسن البيان ، وإذا شئت أن تزداد خبرة بفضل بلاغة
القرآن ، وسمو مرتبته على مرتبة ما نطق به بلغاء البشر ، فانظر إلى العبارتين ،
فإنك تجد من نفحات الإعجاز ما ينبهك لأن تشهد الفرق بين كلام الخالق وكلام
المخلوق ، أما (الحكمة القرآنية) فقد جعلت سبب الحياة القصاص ، وهو القتل عقوبة
على وجه التماثل ، والمثل العربي جعل سبب الحياة القتل ، ومن القتل ما يكون ظلما ،
فيكون سبباً للفناء ، وتصحيح العبارة أن يقال : القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما ،
والآية جاءت خالية من التكرار اللفظي ، والمثل كرر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه لفظ القتل ، فمسه بهذا
التكرار من الثقل ما سلمت منه الآية ، ومن الفروق
الدقيقة بينهما أن الآية جعلت
القصاص سببا للحياة, والمثل جعل القتل سببا لنفى
القتل ، وهو لا يستلزم الحياة
.... الخ. وقد عد العلماء عشرين وجها من وجوه
التفريق بين الآية القرآنية
واللفظة
العربية ، وقد ذكرها السيوطي في كتابه (الإتقان)
فارجع إليه تجد فيه شفاء
العليل.
قال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام..
إلى .. كذلك يبين الله
آياته للناس لعلهم يتقون] من آية (183) إلى نهاية آية
(187).
المناسبة : ذكر تعالى في الآيات السابقة حكم القصاص
، ثم عقبه بحكم الوصية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للوالدين والأقربين ، ثم بأحكام الصيام على وجه

التفصيل ، لأن هذا الجزء من

السورة الكريمة يتناول جانب الأحكام التشريعية ، ولما

كان الصوم من أهم الأركان ،

ذكره الله تعالى هنا ليهيىء عباده إلى منازل القدس ،

ومعارج المتقين الأبرار.

اللغة :

[الصيام] في اللغة : الإمساك عن الشيء ، قال أبو

عبيدة : كل ممسك عن طعام ، أو

كلام ، أو سير فهو صائم ، قال الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى

تعلك اللجما

وفي الشرع : الإمساك عن الطعام والشراب والجماع

في النهار مع النية

[يطيقونه] أي يصومونه بعسر ومشقة قال الراغب :

الطاقة اسم لمقدار ما يمكن

للإنسان أن يفعله مع المشقة ، وشبه بالطوق المحيط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالشيء

[فدية] ما يفدي به الإنسان نفسه من مال وغيره

[شهر] من الاشتهار وهو الظهور

[رمضان] من الرمض وهو شدة الحر والرمضاء شدة حر الشمس ، وسمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها

[الرفث] الجماع ودواعيه ، وأصله قول الفحش ثم كني به عن الجماع ، قال الشاعر :

ويرين من أنس الحديث زوانياً وبهن عن رفث الرجال نفار

[تختانون] قال في اللسان : خانه واختانه ، والمخاتنة مصدر من الخيانة وهي ضد الأمانة ، وسئل بعضهم عن السيف فقال : أخوك وإن خانك

[عاكفون] الاعتكاف في اللغة : اللبث واللزوم ، وفي الشرع : المكث في المسجد للعبادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حدود الله] الحد في اللغة : المنع وأصله الحاجز بين الشيئين المتقابلين ، وسميت
الأحكام (حدودا) لأنها تحجز بين الحق والباطل.

سبب النزول :

روي أن بعض الأعراب سألوا النبي (ص) فقالوا : يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم
بعيد فنناديه ؟ فسكت النبى (ص) فأنزل الله : [وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان] الآية.

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا] ناداهم بلفظ الإيمان ليحرك فيهم مشاعر الطاعة ، ويذكي
فيهم جذوة الإيمان

[كتب عليكم الصيام] أي فرض عليكم صيام شهر رمضان

[كما كتب على الذين من قبلكم] أي كما فرض على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمم قبلكم

[لعلكم تتقون] أي لتكونوا من المتقين لله ، المجتنبين لمحارمه

[أياما معدودات] أي الصيام أيامه معدودات ، وهي أيام قلائل ، فلم يفرض عليكم الدهر كله ، تخفيفا ورحمة بكم

[فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] أي من كان به مرض أو كان مسافرا فأفطر فعليه قضاء عدة ما أفطر من أيام غيرها

[وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين] أي وعلى الذين يستطيعون صيامه مع المشقة ، لشيخوخة أو ضعف ، إذا أفطروا عليهم فدية بقدر طعام مسكين لكل يوم

[فمن تطوع خيرا] أي فمن زاد على القدر المذكور في الفدية

[فهو خير له] ثم قال تعالى :

[وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون] أي والصوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خير لكم من الفطر والفدية ، إن
كنتم تعلمون ما في الصوم من أجر وفضيلة ، ثم بين
تعالى وقت الصيام فقال :
[شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان] أي
الأيام المعدودات التي فرضتها عليكم أيها المؤمنون ،
هي (شهر رمضان) الذي ابتدأ
فيه نزول القرآن حال كونه هداية للناس ، لما فيه من
إرشاد وإعجاز ، وآيات واضحات
تفرق بين الحق والباطل
[فمن شهد منكم الشهر فليصمه] أي من حضر منكم
الشهر فليصمه
[ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر]
أي ومن كان مريضا أو مسافرا ،
فأفطر فعليه صيام أيام أخر ، وكرر ذكر المرض
والسفر ، لئلا يتوهم نسخه بعموم لفظ
شهود الشهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] أي يريد الله بهذا الترخيص ، التيسير عليكم لا التعسير

[ولتكملوا العدة] أي ولتكملوا عدة شهر رمضان بقضاء ما أفطرتم

[ولتكبروا الله على ما هداكم] أي ولتحمدوا الله على ما أرشدكم إليه من معالم الدين

[ولعلكم تشكرون] أي ولكي تشكروا الله على فضله وإحسانه.. ثم بين تعالى أنه قريب يجيب دعوة الداعين ، ويقضي حوائج السائلين فقال :

[وإذا سألك عبادي عني فإني قريب] أي أنا معهم أسمع دعاءهم ، وأرى تضرعهم ، وأعلم حالهم كقوله سبحانه : [ونحن اقرب إليه من حبل الوريد] !!

[أجيب دعوة الداع إذا دعان] أي أجيب دعوة من دعاني إذا كان عن إيمان وخشوع قلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون] أي إذا
كنت أنا ربكم الغني عنكم ،
أجيب دعاءكم ، فاستجيبوا أنتم لدعوتي ، بالإيمان بي
وطاعتي ، ودوموا على الإيمان
لتكونوا من السعداء الراشدين.. ثم شرع تعالى في بيان
تتمة أحكام الصيام بعد أن
ذكر آية القرب والدعاء فقال :
[أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم] أي أبيح لكم
أيها الصائمون غشيان
النساء في ليالي الصوم
[هن لباس لكم وأنتم لباس لهن] قال ابن عباس : أراد
به الجماع ، ولكن الله عز وجل
كريم ، حليم ، يكني ، أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن
[علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم] أي تخونونها ولا
تصبرون عن الانقطاع عن
معاشرتهن في ليالي رمضان ، وكان محرما ذلك
عليهم ثم نسخ ، روى البخاري عن البراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رضي الله عنه قال :

(لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله [علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم] الآية

[فتاب عليكم وعفا عنكم] أي فقبل توبتكم وعفا عنكم ، لما فعلتموه قبل النسخ

[فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم] أي جامعوهن في ليالي الصوم ، واطلبوا

بنكاحهن الولد ، ولا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط

[وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر] أي كلوا واشربوا إلى طلوع الفجر

[ثم أتموا الصيام إلى الليل] أي أمسكوا عن الطعام والشراب والنكاح إلى غروب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشمس

[ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد] أي لا

تقربوهن ليلا أو نهارا ، ما دمتم

معتكفين في المساجد

[تلك حدود الله فلا تقربوها] أي تلك أوامر الله

وزواجره ، وأحكامه التي شرعها

لكم ، فلا تخالفوها

[كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون] أي يوضح

لكم الأحكام ، لتجتنبوا

المحارم التي نهاكم عنها ربكم!

البلاغة :

1- [كما كتب] التشبيه في الفرضية لا في الكيفية أي

فرض الصيام عليكم كما فرض

على الأمم قبلكم ، وهذا التشبيه يسمى (مرسلا مجملا).

2- [فمن كان منكم مريضا أو على سفر] فيه إيجاز

بالحذف أي من كان مريضا فأفطر ،

أو على سفر فأفطر ، فعليه قضاء أيام بعدد ما أفطر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- [وعلى الذين يطيقونه] في تفسير الجلالين قدره بحذف " لا " أي لا يطيقونه ، ولا
ضرورة لهذا الحذف لأن معنى الآية يطيقونه بجهد شديد ، وذلك كالشيخ الهرم ،
والحامل ، والمرضع ، فهم يستطيعونه لكن مع المشقة الزائدة ، والطاقة اسم لمن كان
قادرا على الشيء مع الشدة والمشقة.

4- [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] فيه من المحسنات البديعية ما يسمى
بـــ " طباق السلب " كما أن بين لفظ " اليسر " و " العسر " طباقا.

5- [الرفث إلى نسائكم] الرفث كناية عن الجماع ، وعدي بـــ " إلى " لتضمنه معنى
الإفضاء وهو من الكنايات الحسنة كقوله : [فلما تغشاها] وقوله : [فأتوا حرثكم]
وقوله : [فالآن باشروهن] قال ابن عباس : إن الله عز وجل كريم حليم يكني.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- [هن لباس لكم وأنتم لباس لهن] استعارة بديعة شبه كل واحد من الزوجين
لاشتماله على صاحبه في العناق والضم ، باللباس المشتمل على لابسه قال في تلخيص
البيان : " المراد قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على
الأجسام فاللباس استعارة " .
7- [الخيط الأبيض من الخيط الأسود] هذه استعارة عجيبة ، والمراد بها بياض الصبح
وسواد الليل ، والخيطان هنا مجاز عن إشراق النهار ، وظلمة الليل. وذهب الزمخشري
على أنه من التشبيه البليغ.
الفوائد :
الأولى : روي عن الحسن أنه قال : إن الله تعالى فرض صيام رمضان على اليهود
والنصارى ، أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر ، وصامت يوما من السنة زعموا أنه يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غرق الله فيه فرعون ، وأما النصارى فإنهم صاموا
رمضان فصادفوا فيه الحر الشديد ،
فحولوه إلى وقت لا يتغير ، ثم قالوا عند ذلك نزيد فيه
فزادوا عشرا ، ثم بعد زمان
اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه ، ثم جاء بعد ذلك ملك
آخر فقال : ما بال هذه الثلاثة فأتمه خمسين يوما وهذا
معنى قوله تعالى : [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً]
الثانية : قال الحافظ ابن كثير : وفي ذكره تعالى هذه
الآية الباعثة على الدعاء
متخللة بين أحكام الصيام [وإذا سألك عبادي عني]
إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء
عند إكمال العدة ، بل وعند كل فطر ، لحديث " إن
للصائم عند فطره دعوة ما ترد " وكان
عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر : " اللهم إني أسألك
برحمتك التي وسعت كل شيء أن
تغفر لي ذنوبي " .
الثالثة : ظاهر نظم الجملة [وإذا سألك عبادي عني]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنهم سألوا عن الله ، والسؤال
لا يكون عن الذات ، وإنما يكون عن شأن من شؤونها
فقوله في الجواب [فإني قريب]
يدل على أنهم سألوا عن جهة القرب أو البعد ، ولم
يصدر الجواب بـــ " قل " أو فقل كما
وقع في أجوبة مسائلهم الواردة في آيات أخرى نحو
[ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا] بل تولى جوابهم بنفسه ، إشعارا بفرط
قربه تعالى منهم ، وحضوره مع كل

سائل ، بحيث لا تتوقف إجابته على وجود واسطة بينه
وبين السائلين من ذوي الحاجات.
الرابعة : قال الإمام ابن تيمية : " وهو سبحانه فوق
العرش رقيب على خلقه مهيمن
عليهم ، مطلع إليهم ، فدخل في ذلك الإيمان بأنه قريب
من خلقه " ، وفي الصحيح : " إن
الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر في الكتاب والسنة من قربه
ومعيته ، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه
سبحانه ليس كمثله شيء.
الخامسة : عبر المولى جل وعلا عن المباشرة الجنسية
التي تكون بين الزوجين بتعبير
سام لطيف ، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق
بالجنس والنساء ولهذا قال ابن
عباس رضي الله عنه : إن الله عز وجل كريم حليم
يكني.
قال الله تعالى : [ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل..
إلى.. وأحسنوا إن الله
يحب المحسنين] من آية (188) إلى نهاية آية (195).
المناسبة :
لما بين تعالى في الآيات السابقة أحكام الصيام وأباح
للمؤمنين الاستمتاع
بالطعام والشراب والنكاح في ليالي رمضان ، عقبه
بالنهي عن أكل الأموال بغير حق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينبه تعالى إلى أن الغرض من الصيام ، ليس الامتناع عن الطعام ، إنما هو اجتناب

الحرام ، ولما كان حديث الصيام يتصل برؤية الهلال وهذا ما يحرك في النفوس خاطر

السؤال عن الأهلة ، جاءت الآيات الكريمة تبين أن الأهلة مواقيت لعبادات الناس في

الصيام وسائر أنواع القربات.

اللغة :

[الباطل] في اللغة : الزائل الذاهب يقال : بطل الشيء بطولا فهو باطل ، وفي الشرع

هو المال الحرام ، كالغصب ، والسرقة ، والقمار ، والربا

[وتدلوا] الإدلاء في الأصل : إرسال الدلو في البئر ، ثم جعل لكل إلقاء ، والمراد

بالإدلاء هنا الدفع إلى الحاكم بطريق الرشوة

[الأهلة] جمع هلال ، وهو أول ظهور القمر حين يراه الناس ، ثم يصبح قمرا ، ثم بدرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين يتكامل نوره

[مواقيت] جمع ميقات وهو الوقت كالميعاد بمعنى

الوعد ، وقيل : الميقات منتهى الوقت

[ثقفتموهم] ثقف الشيء إذا ظفر به ووجده على جهة

الأخذ والغلبة ، ورجل ثقف سريع

الأخذ لأقرانه ، قال الشاعر : فإما تثقفوني فاقتلوني

فمن أثقف فليس إلى خلود

[التهلكة] الهلاك يقال : هلك يهلك هلاكا وتهلكة.

[سبب النزول] :

روي أن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله : ما بال

الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم

يزيد حتى يمتلىء ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى

يعود كما بدأ ، لا يكون على حالة

واحدة كالشمس فنزلت

[يسألونك عن الأهلة] الآية.

وروي أن الأنصار كانوا إذا أحرم الرجل منهم في

الجاهلية لم يدخل بيتا من بابه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل كان يدخل من نقب في ظهره ، أو يتخذ سلما يصعد
فيه ، فجاء رجل من الأنصار ، فدخل
من جهة بابه ، فكأنه عير بذلك ، فنزل قوله تعالى :
[وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها] .
التفسير :
[ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل] أي لا يأكل بعضكم
أموال بعض ، بالوجه الذي
لم يبحه الله
[وتدلوا بها إلى الحكام] أي تدفعوها إلى الحكام رشوة
[لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم] أي ليعينوكم
على اخذ طائفة من أموال
الناس بالباطل
[وأنت تعلمون] أنكم مبطلون تأكلون الحرام
[يسألونك عن الأهلة] أي يسألونك يا محمد عن
الهلال ، لم يبدو دقيقا مثل الخيط ثم
يعظم ويستدير ، ثم ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل هي مواقيت للناس والحج] أي فقل لهم إنها
أوقات لعباداتكم ، ومعالم تعرفون
بها مواعيد الصوم والحج والزكاة
[وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها] أي ليس
البر بدخولكم المنازل من ظهورها
كما كنتم تفعلون في الجاهلية
[ولكن البر من اتقى] أي ولكن العمل الصالح الذي
يقربكم من الله في اجتناب محارم
الله
[وأتوا البيوت من أبوابها] ادخلوها كعادة الناس من
الأبواب
[واتقوا الله لعلكم تفلحون] أي اتقوا الله لتسعدوا
وتظفروا برضاه

[وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم] أي قاتلوا
لإعلاء دين الله ، من قاتلكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الكفار

[ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين] أي لا تبدأوا

بقتالهم فإنه تعالى لا يحب

من ظلم أو اعتدى ، وكان هذا في بدء أمر الدعوة ثم

نسخ بآية براءة [وقاتلوا

المشركين كافة] وقيل نسخ بالآية التي بعدها وهي

قوله : [واقتلوهم حيث ثقفتموهم]

أي اقتلوهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم

[وأخرجوهم من حيث أخرجوكم] أي شردوهم من

أوطانهم ، وأخرجوهم منها كما أخرجوكم من مكة

[والفتنة أشد من القتل] أي فتنة المؤمن عن دينه أشد

من قتله ، وقيل : كفر الكفار

أشد وأبلغ من قتلكم لهم في الحرم ، فإذا استعظموا

القتال فيه ، فكفرهم أعظم

[ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه]

أي لا تبدأوهم بالقتال في

الحرم حتى يبدأوا هم بقتالكم فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن قاتلوكم فاقتلوهم] أي إن بدأوكم بالقتال فلكم
حينئذ قتالهم ، لأنهم انتهكوا
حرمته والبادي بالشر أظلم
[كذلك جزاء الكافرين] أي هذا الحكم جزاء كل من
كفر بالله
[فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم] أي فإن انتهوا عن
الشرك وأسلموا فكفوا عنهم ،
فإن الله يغفر لمن تاب وأناب
[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله] أي
قاتلوا المحاربين حتى تكسروا
شوكهم ، ولا يبقى شرك على وجه الأرض ، ويصبح
دين الله هو الظاهر العالي على سائر
الأديان [فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين] أي
فإن انتهوا عن قتالكم فكفوا عن
قتلهم ، فمن قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ، ولا عدوان إلا
على الظالمين ، أو فإن
انتهوا عن الشرك فلا تعتدوا عليهم.. ثم بين تعالى أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قتال المشركين لهم في
الشهر الحرام ، يبيح للمؤمنين دفع العدوان فيه فقال :
[الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص]
أي إذا قاتلوكم في الشهر الحرام
فقاتلوهم في الشهر الحرام ، فكما هتكوا حرمة الشهر ،
واستحلوا دماءكم فيه ،
فافعلوا بهم مثله ((وقيل معناه الشهر الحرام الذي
دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام
الذي صددتم فيه عن دخولها ، وكان ذلك لما صد
الكفار النبي (ص) عن دخول مكة عام
الحديبية في شهر ذى القعدة)).
[فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم] أي ردوا عن أنفسكم العدوان
فمن قاتلكم في الحرم أو في الشهر الحرام ، فقابلوه
وجازوه بالمثل
[واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين] أي راقبوا الله
في جميع أعمالكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأفعالكم ، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والتأييد
في الدنيا والآخرة
[وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة]
أي أنفقوا في الجهاد وفي
سائر وجوه القربات ، ولا تبخلوا في الإنفاق فيصيبكم
الهلاك ، ويتقوى عليكم
الأعداء ، وقيل معناه : لا تتركوا الجهاد في سبيل الله
وتشتغلوا بالأموال
والأولاد فتهلكوا
[وأحسنوا إن الله يحب المحسنين] أي أحسنوا في
جميع أعمالكم حتى يحبكم الله ،
وتكونوا من أوليائه المقربين.
البلاغة :
1- [يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس
والحج] هذا النوع من البديع يسمى
" الأسلوب الحكيم " فقد سألوا الرسول (ص) عن
الهلال لم يبدو صغيرا ثم يزداد حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتكامل نوره ؟ فصرفهم إلى بيان الحكمة من الأهلة وكأنه يقول : كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة لا عن سبب تزايدهم في أول الشهر وتناقصها في آخره ،

وهذا ما يسميه علماء البلاغة " الأسلوب الحكيم " .

2- [الشهر الحرام بالشهر الحرام] فيه إيجاز بالحذف تقديره : هتك حرمة الشهر الحرام ، تقابل بهتك حرمة الشهر الحرام ، ويسمى حذف الإيجاز.

3- [فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه] سمي جزاء العدوان عدواناً من قبيل " المشاكلة " وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى كقوله : [وجزاء سيئة

سيئة مثلها] قال الزجاج : العرب تقول : ظلمني فلان فظلمته أي جازيته بظلمه.

فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يذكر في القرآن الكريم لفظ القتال أو الجهاد إلا
ويقرن بكلمة (سبيل الله)
وفي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية من القتال ،
غاية شريفة نبيلة هي (إعلاء كلمة
الله) ، لا السيطرة أو المغنم ، أو الاستعلاء في الأرض
أو غيرها من الغايات
الدنيئة.
تنبيه :
كل ما ورد في القرآن بصيغة السؤال أجيب عنه ب "
قل " بلا فاء إلا في طه [فقل
ينسفها ربي نسفا] فقد وردت بالفاء ، والحكمة أن
الجواب في الجميع كان بعد وقوع
السؤال ، وفي طه كان قبله ، إذ تقديره إن سئلت عن
الجبال فقل ينسفها ربي نسفا.
فائدة :
روي أن رجلا من المسلمين حمل على جيش الروم
حتى دخل فيهم ، فصاح الناس : سبحان الله ألقى بيديه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى التهلكة ، فقال (أبو أيوب الأنصاري) : إنما نزلت هذه الآية

فينا معشر الأنصار ، حين أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقلنا : لو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فنزلت [وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها ، وترك الجهاد في سبيل الله ، فما زال أبو أيوب شاخصا – أي مجاهدا – في سبيل الله ، حتى استشهد ودفن بأرض الروم.

قال الله تعالى : [وأتموا الحج والعمرة لله.. إلى..

واعلموا أنكم إليه تحشرون]

من آية (196) إلى نهاية آية (203).

المناسبة :

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أحكام الصيام ،

أعقب ذلك بذكر أحكام الحج ،

لأن شهوره تأتي مباشرة بعد شهر الصيام ، وأما آيات القتال فقد ذكرت عرضا لبيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حكم هام ، وهو بيان الأشهر الحرم والقتال فيها ، ثم عاد الكلام إلى أحكام الحج ،
وحكم الإحصار فيه ، فهذا هو وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة.

اللغة :

[أحصرتم] الإحصار : معناه المنع والحبس ، يقال : حصره عن السفر ، وأحصره إذا حبسه
ومنعه ، قال الأزهري : حصر الرجل في الحبس ، وأحصر في السفر من مرض أو انقطاع به [الهدي]
هو ما يهدى إلى بيت الله من أنواع النعم كالإبل والبقر والغنم وأقله
شاة

[محله] المحل : الموضع الذي يحل به نحر الهدي ، وهو الحرم أو مكان الإحصار للمحصر

[النسك] جمع نسيكة وهي الذبيحة ينسكها العبد لله تعالى

[جناح] إثم وأصله من الجنوح وهو الميل عن القصد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفضتم] أي دفعتهم ، وأصله من فاض الماء ، إذا سال منصبا ومعنى [أفضتم من عرفات]

أي دفعتم منها بقوة ، تشبيهاً بفيض الماء.

[خلاق] نصيب من رحمة الله تعالى

[تحشرون] تجمعون للحساب.

سبب النزول :

أولا : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ،

ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله عز وجل

[وتزودوا فإن خير الزاد التقوى] .

ثانيا : وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون

بالمزدلفة ، وكانوا يسمون (الحمس) وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام

أمر الله تعالى نبيه أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ثم يفيض منها ، وكانت قريش تفيض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من جمع من المشعر الحرام ، فأنزل الله تعالى [ثم
أفيضوا من حيث أفاض الناس] أي
أنزلوا من عرفة ، وساووا الناس في حجهم وعبادتهم.
التفسير :
[وأتموا الحج والعمرة لله] أي أدوهما تامين بأركانهما
وشروطهما لوجه الله تعالى
[فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي] أي إذا منعتم
عن إتمام الحج أو العمرة ، بمرض
أو عدو ، وأردتم التحلل فعليكم أن تذبحوا ما تيسر من
بدنة ، أو بقرة ، أو شاة
[ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله] أي لا
تتحللوا من إحرامكم بالحلق أو
التقصير ، حتى يصل الهدي المكان الذي يحل ذبحه
فيه وهو الحرم ، أو مكان الإحصار
[فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من
صيام أو صدقة أو نسك] أي فمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان منكم معشر المحرمين مريضا مرضا يتضرر معه
بالشعر فحلق ، أو كان به أذى من
رأسه كقمل وصداع فحلق في الإحرام ، فعليه فدية
وهي : إما صيام ثلاثة أيام ، أو يتصدق بثلاثة آصع
على ستة مساكين ، أو يذبح ذبيحة وأقلها شاة [فإذا
أمنتم] أي كنتم آمنين من أول الأمر ، أو صرتم بعد
الإحصار آمنين
[فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي]
أي من اعتمر في أشهر الحج ،
واستمتع بما يستمتع به غير المحرم ، من الطيب
والنساء وغيرها ، فعليه ما تيسر من
الهدي ، وهو شاة يذبحها شكرا لله تعالى
[فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا
رجعتم] أي من لم يجد ثمن
الهدي ، فعليه صيام عشرة أيام ، ثلاثة حين يحرم
بالحج ، وسبعة إذا رجع إلى وطنه
[تلك عشرة كاملة] أى عشرة كاملة تجزئ عن الذبح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وثوابها كثوابه من غير نقصان
[ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام] أي
ذلك التمتع أو الهدي ، خاص بغير
أهل الحرم ، أما سكان الحرم فليس لهم تمتع وليس
عليهم هدى
[واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب] أي خافوا
الله تعالى بامتثال أوامره
واجتناب نواهيه ، واعلموا أن عقابه شديد لمن خالف
أمره.. ثم بين تعالى وقت الحج
فقال :
[الحج أشهر معلومات] أي وقت الحج هو تلك
الأشهر المعروفة بين الناس وهي (شوال ،
وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة)
[فمن فرض فيهن الحج] أي من ألزم نفسه الحج
بالإحرام والتلبية
[فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج] أي لا
يقرب النساء ، ولا يستمتع بهن فإنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقبل على الله قاصد لرضاه ، فعليه أن يترك الشهوات
، وأن يترك المعاصي ، والجدال ،
والخصام ، مع الرفقاء
[وما تفعلوا من خير يعلمه الله] أي وما تقدموا
لأنفسكم من خير يجازيكم عليه
الله خير الجزاء
[وتزودوا فإن خير الزاد التقوى] أي تزودوا لآخرتكم
بالتقوى فإنها خير زاد
[واتقون يا أولي الألباب] أي خافون واتقوا عقابي يا
ذوي العقول والأفهام
[ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم] أي لا
حرج ولا إثم عليكم ، في التجارة
في أثناء الحج ، فإن التجارة الدنيوية لا تنافي العبادة
الدينية... وقد كانوا
يتأثمون من ذلك فنزلت الآية تبيح لهم الاتجار في
أشهر الحج
[فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرام] أي إذا دفعتم من عرفات
بعد الوقوف بها ، فاذكروا الله بالدعاء والتضرع ،
والتكبير والتهليل ، عند المشعر
الحرام بالمزدلفة
[واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين]
أي اذكروه ذكرا حسنا كما
هداكم هداية حسنة ، واشكروه على نعمة الهداية
والإيمان ، فقد كنتم قبل هدايته لكم
في عداد الضالين ، الجاهلين بالإيمان وشرائع الدين
[ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس] أي ثم انزلوا من
عرفة حيث ينزل الناس ، لا من
المزدلفة ، والخطاب لقريش حيث كانوا يترفعون على
الناس أن يقفوا معهم ، وكانوا
يقولون : نحن أهل الله وسكان حرمه ، فلا نخرج منه
، فيقفون في المزدلفة لأنها من
الحرم ، ثم يفيضون منها وكانوا يسمون " الحمس "
فأمر الله تعالى رسوله (ص) أن يأتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عرفة ، ثم يقف بها ثم يفيض منها

[واستغفروا الله إن الله غفور رحيم] أي استغفروا الله

عما سلف منكم من المعاصي ،

فإن الله عظيم المغفرة ، واسع الرحمة

[فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو

أشد ذكرا] أي إذا فرغتم من

أعمال الحج وانتهيتم منها فأكثروا ذكره ، وبالغوا في

ذلك كما كنت تذكرون آباءكم ،

وتعدون مفاخرهم بل أشد ، قال المفسرون : كانوا

يقفون بمنى بين المسجد والجبل بعد

قضاء المناسك ، فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن

أيامهم ، فأمروا أن يذكروا الله وحده

[فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في

الآخرة من خلاق] أي من الناس

من تكون الدنيا همه فيقول : اللهم اجعل عطائي

ومنحتي في الدنيا خاصة ، وما له في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة من حظ ولا نصيب
[ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة] أي ومنهم من يطلب
خيري الدنيا والآخرة وهو المؤمن العاقل ، وقد جمعت
هذه الدعوة كل خير ، وصرفت كل
شر ، فالحسنة في الدنيا تشمل الصحة والعافية ، والدار
الرحبة ، والزوجة الحسنة ،
والرزق الواسع إلى غير ما هنالك ، والحسنة في
الآخرة تشمل الأمن من الفزع
الأكبر ، وتيسير الحساب ، ودخول الجنة ، والنظر إلى
وجه الله الكريم إلخ
[وقنا عذاب النار] أي نجنا من عذاب جهنم
[أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سرع الحساب] أي
هؤلاء الذين طلبوا سعادة
الدارين ، لهم حظ وافر مما عملوا من الخيرات ، والله
سريع الحساب يحاسب الخلائق
بقدر لمحة بصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واذكروا الله في أيام معدودات] أي كبروا الله في
أعقاب الصلوات وعند رمي
الجمرات ، في أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر
[فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه] أي من استعجل
بالنفر من منى بعد تمام يومين
من أيام التشريق ، وهو اليوم الثالث من أيام عيد
الأضحى المبارك فنفر فلا حرج
عليه
[ومن تأخر فلا إثم عليه] أي ومن تأخر حتى رمى
في اليوم الثالث – وهو النفر
الثاني – فلا حرج عليه أيضا وهو اليوم الرابع من
عيد الأضحى
[لمن اتقى] لمن أراد أن يتقي الله ، فيأتي بالحج على
الوجه الأكمل
[واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون] أي خافوا الله
تعالى واعلموا أنكم
مجموعون إليه للحساب ، فيجازيكم بأعمالكم!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1- [يبلغ الهدى محله] كناية عن ذبحه في مكان الإحصار.

2- [فمن كان منكم مريضا] فيه إيجاز بالحذف أي كان مريضا فحلق أو به أذى من رأسه فحلق ، فعليه فدية.

3- [وسبعة إذا رجعتم] فيه التفات من الغائب إلى المخاطب ، وهو من المحسنات البديعية.

4- [تلك عشرة كاملة] فيه إجمال بعد التفصيل وهذا من باب " الإطناب " وفائدته زيادة التأكيد والمبالغة في المحافظة على صيامها ، وعدم التهاون بها أو تنقيص عددها.

5- [واتقوا الله واعلموا أن الله] إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة في النفس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- [فلا رفث ولا فسوق] صيغته نفي وحقيقته نهي ، أي لا يرفث ولا يفسق ، وهو أبلغ
من النهي الصريح ، لأنه يفيد أن هذا الأمر مما لا ينبغي أن يقع أصلا ، فإن ما كان
منكرا مستقبحاً في نفسه ففي أشهر الحج يكون أقبح وأشنع ففي الإتيان بصيغة
الخبر ، وإرادة النهي مبالغة واضحة.

7- [فاذكروا الله كذكركم آباءكم] فيه تشبيه تمثيلي يسمى (مرسلا مجملا).

8- المقابلة اللطيفة بين [فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا] وبين [ومنهم
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة] الآية.

فائدة :

أصل النسك : العبادة ، وسميت (ذبيحة الأنعام) نسكا لأنها من أشرف العبادات التي
يتقرب بها المؤمن إلى الله تعالى ، وبخاصة فى موسم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحج.

فائدة ثانية : زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها ، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة ، ولهذا ذكر تعالى زاد الآخرة وهو الزاد النافع ، وفي هذا المعنى يقول الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

قال الله تعالى : [ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا.. إلى .. والله يرزق من يشاء بغير حساب] من آية (204) إلى نهاية آية (212).

المناسبة :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة العبادات التى تطهر القلوب ، وتزكي النفوس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالصيام ، والصدقة ، والحج ، وذكر أن من الناس من يطلب الدنيا ولا غاية له وراءها ،

ومنهم من تكون غايته نيل رضوان الله تبارك وتعالى ، أعقبها بذكر نموذج عن الفريقين : فريق الضلالة الذي باع نفسه للشيطان ، وفريق الهدى الذي باع نفسه للرحمن ، ثم حذر تبارك وتعالى من اتباع خطوات الشيطان ، وبين لنا عدواته الشديدة.

اللغة :

[ألد] اللدد : شدة الخصومة قال الطبري : الألد : الشديد الخصومة, وفي الحديث (إن أبغض الرجال إلى الله الالد الخصم)

[الحرث] : الزرع لأنه يزرع ثم يحرث

[النسل] الذرية والولد ، وأصله الخروج بسرعة ومنه [إلى ربهم ينسلون] وسمي نسلا لأنه ينسل – يسقط – من بطن أمه بسرعة

[العزة] الأنفة والحمية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حسبه] حسب اسم فعل أمر بمعنى كافيه

[المهاد] : الفراش الممهد للنوم

[يشري] : يبيع

[ابتغاء] طلب

[السلم] بكسر السين بمعنى الإسلام ، وبفتحها بمعنى الصلح ، وأصله من الاستسلام وهو الخضوع والانقياد ، قال الشاعر :

دعوت عشيرتي للسلم حتى رأيتهم تولوا مدبرينا

[زللتم] الزلل : الانحراف عن الطريق المستقيم وأصله في القدم ثم استعمل في الأمور المعنوية

[ظلل] جمع ظلة وهي ما يستر الشمس ويحجب أشعتها عن الرؤية.

سبب النزول :

1- روي أن الأخنس بن شريق أتى النبى (ص) فأظهر له الإسلام وحلف أنه يحبه ، وكان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن ، ثم خرج من عند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النبي (ص) فمر بزرع لقوم من
المسلمين ، وحمر فأحرق الزرع وقتل الحمر ، فأنزل
الله تعالى فيه هذه الآيات [ومن
الناس من يعجبك قوله..] الآية إلى قوله : [وإذا تولى
سعى في الأرض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل..] الآية.

2- وروي أن صهيبا الرومي لما أراد الهجرة إلى
المدينة المنورة لحقه نفر من قريش
من المشركين ليردوه ، فنزل عن راحلته ونثر ما في
كنانته وأخذ قوسه ثم قال : يا
معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا ، وأيم
الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما
في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه
شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، قالوا :
جئتنا صعلوكا لا تملك شيئا وأنت الآن ذو مال كثير!!
فقال : أرأيتم إن دللتكم على
مالي تخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، فدلهم على ماله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمكة ، فلما قدم المدينة دخل على
رسول الله (ص) فقال له (ص) : (ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب) ، وأنزل الله عز
وجل فيه [ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله..] الآية.

التفسير :

[ومن الناس من يعجبك قوله] أي ومن الناس فريق يروقك كلامه يا محمد ، ويثير
إعجابك بخلابة لسانه وقوة بيانه ، ولكنه منافق كذاب

[في الحياة الدنيا] أي في هذه الحياة فقط ، أما الآخرة فالحاكم فيها علام
الغيوب الذي يطلع على القلوب والسرائر

[ويشهد الله على ما في قلبه] أي يظهر لك الإيمان ، ويبارز الله بما في قلبه من
الكفر والنفاق

[وهو ألد الخصام] أي شديد الخصومة يجادل بالباطل ، ويتظاهر بالدين والصلاح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بكلامه المعسول
[وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها] أي وإذا انصرف عنك عاث في الأرض فسادا ،
وقد نزلت في الأخنس ولكنها عامة في كل منافق ،
يقول بلسانه ما ليس في قلبه.
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ فيك كما يروغ الثعلب
[ويهلك الحرث والنسل] أي يهلك الزرع والذرية ،
وهي ما تناسل من الإنسان
والحيوان ، الذي لا قوام للناس إلا بهما ، فإفسادهما تدمير للإنسانية
[والله لا يحب الفساد] أي يبغض الفساد ولا يحب المفسدين
[وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم] أي إذا وعظ هذا الفاجر ، وذكر وقيل
له انزع عن قولك وفعلك القبيح ، حملته الأنفة وحمية الجاهلية ، على الفعل بالإثم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتكبر عن قبول الحق ، فأغرق في الإفساد ، وأمعن
في العناد
[فحسبه جهنم ولبئس المهاد] أي يكفيه أن تكون له
جهنم فراشا ومهاداً ، وبئس هذا
الفراش والمهاد

[ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله] هذا
هو النوع الثاني وهم الأخيار
الأبرار ، والمعني : ومن الناس فريق من أهل الخير
والصلاح باع نفسه لله ، طالبا
لمرضاته ورغبة في ثوابه لا يتحرى بعمله إلا وجه الله
[والله رءوف بالعباد] أي عظيم الرحمة بالعباد
يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات
ولا يعجل العقوبة لمن عصاه.. ثم أمر تعالى المؤمنين
بالانقياد لحكمه ،
والاستسلام لأمره والدخول في الإسلام ، الذي لا يقبل
الله دينا سواه فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة] أي ادخلوا
في الإسلام بكليته في
جميع أحكامه وشرائعه ، فلا تأخذوا حكما وتتركوا
حكما ، لا تأخذوا بالصلاة وتمنعوا
الزكاة مثلا ، فالإسلام كل لا يتجزأ
[ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين] أي
لا تتبعوا طرق الشيطان
وإغواءه ، فإنه عدو لكم ظاهر العداوة
[فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات] أي إن انحرفتم
عن الدخول في الإسلام ، من
بعد مجيء الحجج الباهرة والبراهين القاطعة على أنه
حق
[فاعلموا أن الله عزيز حكيم] أي اعلموا أن الله غالب
لا يعجزه الانتقام ممن
عصاه ، حكيم في خلقه وصنعه
[هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة] أي ما ينتظرون شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق
، ((ذهب الإمام الفخر
إلى أن معنى قوله : [أن يأتيهم الله] أي يأتيهم أمره
وبأسه فهو على حذف مضاف مثل
قوله : [واسأل القرية] واستدل على ذلك بالآية
الأخرى [هل ينظرون إلا أن تأتيهم
الملائكة أو يأتي أمر ربك] وما أثبتناه هو قول ابن
كثير وهو مذهب السلف
الصالح.!)) حيث تنشق السماء ، وينزل الجبار عز
وجل في ظلل من الغمام ، وحملة
العرش والملائكة الذين لا يعلم كثرتهم إلا الله ولهم
زجل من التسبيح يقولون :
(سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزة
والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ،
سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس
رب الملائكة والروح)
[وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور] أي انتهى أمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلائق بالفصل بينهم ، فريق
في الجنة وفريق في السعير ، وإلي الله وحده مرجع
الناس جميعاً.. والمقصود تصوير
عظمة يوم القيامة ، وهولها وشدتها ، وبيان أن الحاكم
فيها هو ملك الملوك جل وعلا ،
الذي لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وهو أحكم
الحاكمين.. ثم قال تعالى مخاطبا
رسوله الكريم
[سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة] أي سل يا
محمد بني إسرائيل – توبيخا
لهم وتقريعا – كم شاهدوا مع موسى من معجزات
باهرات ، وحجج قاطعات تدل على صدقه ؟
ومع ذلك كفروا ولم يؤمنوا
[ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد
العقاب] أي من يبدل نعم
الله بالكفر والجحود بها ، فإن عقاب الله له أليم وشديد
[زين للذين كفروا الحياة الدنيا] أي زينت لهم شهوات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا ونعيمها حتى نسوا
الآخرة ، وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهافتوا عليها
، وأعرضوا عن دار الخلود
[ويسخرون من الذين آمنوا] أي وهم مع ذلك يهزأون
ويسخرون بالمؤمنين يرمونهم بقلة العقل ، لتركهم
الدنيا وإقبالهم على الآخرة كقوله سبحانه : [إن الذين
أجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون] قال تعالى ردا
عليهم :
[والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة] أي والمؤمنون
المتقون لله ، فوق أولئك
الكافرين منزلة ومكانة ، فهم في أعلى عليين ، وأولئك
في أسفل سافلين ، والمؤمنون
في الآخرة في أوج العز والكرامة ، والكافرون في
حضيض الذل والمهانة
[والله يرزق من يشاء بغير حساب] أي والله يرزق
أولياءه رزقاً واسعاً رغداً ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فناء له ولا انقطاع كقوله : [يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب] أو يرزق في

الدنيا من شاء من خلقه ويوسع على من شاء ، مؤمنا كان أو كافرا ، برا أو فاجرا ،
على حسب الحكمة والمشيئة دون أن يكون له محاسب سبحانه وتعالى.

البلاغة :

1- [أخذته العزة بالإثم] ذكر لفظ الإثم بعد قوله العزة يسمى عند علماء البديع
بـــ (التتميم) لأنه قد يتوهم أن المراد عزة المدح والثناء فذكر (بالإثم) ليشير
على أنها عزة مذمومة.

2- [ولبئس المهاد] هذا من باب التهكم أي جعلت له جهنم غطاء وفراشا تكريما له ،
كما تكرم الأم ولدها بالفراش اللبن.

3- [هل ينظرون] استفهام إنكاري في معنى النفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدليل مجيء إلا بعدها أي ما
ينتظرون.
4- [في ظلل من الغمام] التنكير للتهويل ، فهي في
غاية الهول لما لها من الكثافة
التي تغم على الرائي ما فيها وقوله : [وقضي الأمر]
هو عطف على المضارع
[يأتيهم الله] وإنما عدل إلى صيغة الماضي ، للدلالة
على تحققه فكأنه قد كان.
5- [فإن الله شديد العقاب] إظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وإدخال الروعة.
6- [زين .. ويسخرون] أورد التزيين بصيغة
الماضى لكونه مفروغاً منه مركوزاً في
طبيعتهم ، وعطف عليه بالفعل المضارع
[ويسخرون] للدلالة على استمرار السخرية
منهم ، لأن صيغة المضارع تفيد الدوام والاستمرار.
تنبيه :
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى فى رسالته التدمرية : "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصفه تعالى نفسه بالإتيان
في ظلل من الغمام ، كوصفه بالمجيء في آيات أخر
والقول في جميع ذلك من جنس واحد ، وهو مذهب
سلف الأمة وأئمتها ، إنهم يصفونه سبحانه بما وصف
به نفسه من غير تحريف ، ولا تعطيل ولا تكييف ولا
تمثيل ، والقول في صفاته كالقول في ذاته ، فلو سأل
سائل :
كيف يجيء سبحانه ؟ فليقل له : كما لا تعلم كيفية ذاته
، كذلك لا تعلم كيفية صفاته " .
قال الله تعالى : [كان الناس أمة واحدة.. إلى .. أولئك
يرجون رحمة الله والله
غفور رحيم] من آية (213) إلى نهاية آية (218).
المناسبة :
ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أن الناس
فريقان : فريق يسعى في الأرض
فسادا ويضل الناس بخلابة لسانه وقوة بيانه ، وفريق
باع نفسه للحق يبتغي به رضى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ولا يرجو أحدا سواه ، ولما كان لابد من التنازع بين الخير والشر ، ولابد
للحق من سيف مصلت إلى جانبه ، لذا شرع الله للمؤمنين أن يحملوا السيف مناضلين ،
وشرع الجهاد دفعا للعدوان ، وردعا للظلم والطغيان.

اللغة :

[بغيا] البغي : العدوان والطغيان

[وزلزلوا] مأخوذ من زلزلة الأرض وهو اضطرابها والزلزلة : التحريك الشديد

[كره] مكروه تكرهه نفوسكم ، قال ابن قتيبة : الكره بالضم المشقة ، وبالفتح الإكراه والقهر

[صد] الصد : المنع يقال : صده عن الشيء أي منعه عنه

[يرتدد] يرجع والردة الرجوع من الإيمان إلى الكفر

قال الراغب : الارتداد والردة : الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تختص بالكفر ، والارتداء

يستعمل فيه وفي غيره ، قال تعالى : [فارتدا على آثارهما قصصا]

[حبطت] بطلت وذهبت قال في اللسان : حبط : عمل عملا ثم أفسده ، وفي التنزيل [فأحبط أعمالهم] أي أبطل ثوابهم

[يرجون] الرجاء : الأمل والطمع في حصول ما فيه نفع ومصلحة.

سبب النزول :

بعث رسول الله (ص) عبد الله بن جحش على سرية ليترصدوا عيرا لقريش فيها " عمرو بن الحضرمي " وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة ، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة ، فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام ، شهراً يأمن فيه الخائف ، ويتفرق فيه الناس إلى معايشهم وعظم ذلك على المسلمين ، فنزلت [يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه..] الآية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[كان الناس أمة واحدة] أي كانوا على الإيمان والفطرة المستقيمة ، فاختلفوا

وتنازعوا [فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين] أي بعث الله الأنبياء لهداية الناس ، مبشرين للمؤمنين بجنات النعيم ، ومنذرين للكافرين بعذاب الجحيم

[وأنزل معهم الكتاب بالحق] أي وأنزل معهم الكتب السماوية لهداية البشرية ، حال

كونها منزلة لمصالح الناس ، في أمر الدين الذي اختلفوا فيه

[وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه] أي وما اختلف في الكتاب الهادي المنير ، المنزل

لإزالة الاختلاف ، إلا الذين أعطوا الكتاب ، أي إنهم عكسوا الأمر حيث جعلوا ما

أنزل لإزالة الاختلاف ، سببا لاستحكامه ورسوخه

[من بعد ما جاءتهم البينات] أي من بعد ظهور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجج الواضحة والدلائل القاطعة على
صدق الكتاب ، فقد كان خلافهم عن بينة وعلم ، لا عن
غفلة وجهل
[بغيا بينهم] أي حسدا من الكافرين للمؤمنين
[فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه]
أي هدى الله المؤمنين
للحق الذي اختلف فيه أهل الضلالة بتيسيره ولطفه
[والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] أي يهدي
من يشاء هدايته إلى طريق الحق ،
الموصل إلى جنات النعيم
[أم حسبتم أن تدخلوا الجنة] أي بل ظننتم يا معشر
المؤمنين أن تدخلوا الجنة ،
بدون ابتلاء وامتحان واختبار
[ولما يأتكم مثل الذين من قبلكم] أي والحال لم ينلكم
مثل ما نال من سبقكم من
المؤمنين ، من المحن الشديدة ، ولم تبتلوا بمثل ما
ابتلوا به من النكبات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مستهم البأساء والضراء] أي أصابتهم الشدائد
والمصائب والنوائب
[وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله] ؟ أي أزعجوا إزعاجا
شديدا ، شبيها بالزلزلة ، حتى وصل بهم الحال أن
يقول الرسول والمؤمنون معه : متى
نصر الله ؟ أي متى يأتي نصر الله ؟ وذلك استبطاء
منهم للنصر ، لتناهي الشدة عليهم ،
وهذا غاية الغايات في تصوير شدة المحنة ، فإذا كان
الرسل – مع علو كعبهم في
الصبر والثبات – قد عيل صبرهم ، وبلغوا هذا المبلغ
من الضجر والضيق ، كان ذلك
دليلا على أن الشدة بلغت منتهاها ، قال تعالى جوابا
لهم :
[ألا إن نصر الله قريب] أي ألا فأبشروا بالنصر فإنه
قد حان أوانه [ولينصرن الله
من ينصره إن الله لقوي عزيز] ثم قال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يسألونك ماذا ينفقون] أي يسألونك يا محمد ماذا
ينفقون وعلى من ينفقون ؟ نزلت
لما قال بعض الصحابة يا رسول الله : ماذا ننفق من
أموالنا وأين نضعها ؟
[قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل] أي
قل لهم يا محمد اصرفوا في هذه الوجوه
[وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم] أي وكل
معروف تفعلونه يعلمه الله ،
وسيجزيكم عليه أوفر الجزاء.. ثم قال تعالى مبينا
حكمة مشروعية القتال في
الإسلام
[كتب عليكم القتال وهو كره لكم] أي فرض عليكم
أيها المؤمنون قتال الكفار ، وهو
شاق ومكروه على نفوسكم ، لما فيه من بذل المال ،
وخطر هلاك النفس
[وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم] أي ولكن قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكره نفوسكم شيئا وفيه كل النفع
والخير
[وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم] أي وقد تحب
نفوسكم شيئا وفيه كل الخطر والضرر
عليكم ، فلعل لكم في القتال – وإن كرهتموه – خيرا
لأن فيه إما الظفر والغنيمة ،
أو الشهادة والأجر ، ولعل لكم في تركه – وإن
أحببتموه – شرا لأن فيه الذل
والفقر ، وحرمان الأجر
[والله يعلم وأنتم لا تعلمون] أي الله أعلم بعواقب
الأمور منكم ، وأدرى بما فيه
صلاحكم ، في دنياكم وآخرتكم ، فبادروا إلى ما
يأمركم به ربكم
[يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه] أي يسألك
أصحابك يا محمد عن القتال في
الشهر الحرام ، أيحل لهم القتال فيه ؟
[قل قتال فيه كبير] أي قل لهم القتال فيه أمره كبير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووزره عظيم ، ولكن هناك ما
هو أعظم وأخطر ، وهو

[وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
وإخراج أهله منه أكبر عند الله] أي
ومنع المؤمنين عن دين الله وكفرهم بالله ، وصدهم عن
المسجد الحرام – يعني مكة –
وإخراجكم من البلد الحرام وأنتم أهله وحماته ، كل
ذلك أعظم وزراً وذنبا عند
الله ، من قتل من قتلتم من المشركين ، فإذا استعظموا
قتالكم لهم في الشهر الحرام ،
فليعلموا أن ما ارتكبوه في حق النبى والمؤمنين أعظم
وأشنع
[والفتنة أكبر من القتل] أي فتنة المسلم عن دينه ،
ليردوه إلى الكفر بعد إيمانه ،
أكبر عند الله من القتل
[ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استطاعوا] أي ولا يزالون جاهدين
في قتالكم ، حتى يعيدوكم إلى الكفر والضلال إن قدروا
، فهم غير نازعين عن كفرهم
وعدوانهم
[ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك
حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة]
أي ومن يستجب لهم منكم فيرجع عن دينه ، ويرتد عن
الإسلام ، ثم يموت على الكفر ، قد
بطل عمله الصالح في الدارين وذهب ثوابه
[وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي وهم
مخلدون في جهنم ، لا يخرجون منها
أبدا
[إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله] أي إن المؤمنين الذين
فارقوا الأهل والأوطان ، وجاهدوا الأعداء لإعلاء دين
الله
[أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم] أي أولئك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموصوفون بالأوصاف الحميدة ، هم الجديرون أن ينالوا رحمة الله ، والله عظيم المغفرة ، واسع الرحمة.

البلاغة :

1- [كان الناس أمة واحدة] فيه إيجاز بالحذف أي كانوا أمة واحدة على الإيمان متمسكين بالحق فاختلفوا ، فبعث الله النبيين ، ودل على هذا المحذوف قوله : [ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه] .

2- [أم حسبتم] أم منقطعة والهمزة فيها للإنكار والاستبعاد.

3- [ولما يأتكم] (لما) تدل على النفي مع توقع وقوع المنفي ، والمعنى : لما ينزل بكم مثل ما نزل بمن قبلكم ، وسينزل فإن نزل فاصبروا ، قال المبرد : إذا قال القائل : لم يأتني زيد ، فهو نفي لقولك أتاك زيد ؟ وإذا قال : لما يأتني فمعناه أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يأتني بعد وأنا أتوقعه ، وعلى هذا يكون إتيان الشدائد على المؤمنين متوقعا منتظراً.

4- [ألا إن نصر الله قريب] في هذه الجملة عدة مؤكدات تدل على تحقق النصر أولا : بدء الجملة بأداة الاستفتاح " ألا " التي تفيد التأكيد ، ثانيا : ذكر " إن " الدالة على التوكيد أيضا ، ثالثا : إيثار الجملة الإسمية على الفعلية فلم يقل " ستنصرون " والتعبير بالجملة الإسمية يفيد التأكيد رابعا : إضافة النصر إلى رب العالمين القادر على كل شيء.

5- [وهو كره لكم] وضع المصدر موضع اسم المفعول (مكروه) للمبالغة ، كقول الخنساء :

فإنما هي إقبال وإدبار.

6- [وعسى أن تكرهوا شيئا.. وعسى أن تحبوا شيئا] بين الجملتين من المحسنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البديعية ما يسمى بـــ " المقابلة " فقد قابل بين الكراهية
والحب ، وبين الخير
والشر.
7- [والله يعلم وأنتم لا تعلمون] فيه من البديع ما
يسمى بـــ " طباق السلب " .
فائدة :
عبر تعالى بصيغة الواحد عن كتب النبيين [وأنزل
معهم الكتاب] للإشارة إلى أن كتب
النبيين وإن تعددت هي في لبها وجوهرها كتاب واحد
لاشتمالها على شرع واحد ، في
أصله كما قال تعالى : [شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي أوحينا إليك..]
الآية.
تنبيه :
روى البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه
قال : (شكونا إلى رسول الله (ص) وهو
متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان
من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل
نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما
دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله
ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير
الراكب من صنعاء إلى حضر موت ، لا يخاف إلا الله
والذئب على غنمه ، ولكنكم

تستعجلون).
قال الله تعالى : [يسألونك عن الخمر والميسر..
إلى .. والله غفور حليم] من آية
(219) إلى نهاية آية (225).
المناسبة :
لما ذكر تعالى أحكام القتال ، وبين الهدف السامي من
مشروعيته ، وهو نصرة الحق
وإعزاز الدين ، وحماية الأمة من أن يلتهمها العدو
الخارجي ، ذكر بعدها ما يتعلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإصلاح (المجتمع الداخلي) على أسس من الفضيلة والخلق الكريم ، لتقوم دعائمها على أسس متينة ، وتبقى صرحاً شامخاً لا تؤثر في الأعاصير.

اللغة :

[الخمر] المسكر من الأشربة سميت خمرا لأنها تستر العقل وتغطيه ، وقولهم : خمرت الغناء أي غطيته

[الميسر] القمار وأصله من اليسر لأنه كسب من غير كد ولا تعب ، وقيل من اليسار لأنه سبب الغنى

[إثم] : الذنب وجمعه آثام ، وتسمى الخمر بـــ " الإثم " لأن شربها سبب في الإثم ، قال الشاعر : شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

[العفو] الفضل والزيادة على الحاجة

[أعنتكم] أوقعكم في الحرج والمشقة ، وأصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العنت : المشقة

[أمة] الأمة : المملوكة بملك اليمين وهي تقابل الحرة وجمعها إماء

[المحيض] مصدر بمعنى الحيض ، كالمعيش بمعنى العيش ، وأصل الحيض : السيلان يقال :

حاض السيل وفاض ، وحاضت الشجرة أي سالت

[حرث] الحرث : إلقاء البذر في الأرض قاله الراغب ، وقال الجوهري : الحرث : الزرع ، والحارث الزارع ومعنى حرث أي مزرع ومنبت للولد على سبيل التشبيه

[عرضة] مانعاً وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة ، ولهذا يقال للسحاب : عارض لأنه يمنع رؤية الشمس.

[اللغو] الساقط الذي لا يعتد به سواء كان كلاماً أو غيره ، ولغو الطائر : تصويته.

سبب النزول :

أ) جاء جماعة من الأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص) فقالوا يا رسول
الله : أفتنا في الخمر والميسر ، فإنهما مذهبة للعقل ، مسلبة للمال ؟ فأنزل الله
[يسألونك عن الخمر والميسر..] الآية.

ب) عن ابن عباس قال : لما أنزل الله [ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن]
انطلق من كان عنده مال يتيم ، فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء من طعامه ، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، واشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فأنزل الله [ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير..] الآية.

ج) عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت ، فسئل رسول الله (ص) من ذلك فأنزل الله عز وجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويسألونك عن المحيض قل هو أذى..] الآية.
التفسير :
[يسألونك عن الخمر والميسر] أي يسألونك يا محمد
عن حكم الخمر وحكم القمار
[قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس] أي قل لهم إن في
تعاطي الخمر والميسر ضررا
عظيما وإثما كبيرا ، ومنافع مادية ضئيلة
[وإثمهما أكبر من نفعهما] أي وضررهما أعظم من
نفعهما ، فإن ضياع العقل وذهاب
المال ، وتعريض البدن للمرض في الخمر ، وما يجره
القمار من خراب البيوت ودمار
الأسر ، وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين ، كل
ذلك محسوس مشاهد ، وإذا قيس
الضرر الفادح بالنفع التافه ، ظهر خطر المنكر الخبيث
[ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو] أي ويسألونك ماذا
ينفقون وماذا يتركون من
أموالهم ؟ قل لهم : أنفقوا الفاضل عن الحاجة ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا
أنفسكم
[كذلك يبين الله لكم الآيات] أي كما يبين لكم الأحكام
يبين لكم المنافع
والمضار ، والحلال والحرام
[لعلكم تتفكرون] [في الدنيا والآخرة] أي لتتفكروا
في أمر الدنيا والآخرة ،
فتعلموا أن الأولى فانية والآخرة باقية ، فتعملوا لما هو
أصلح ، والعاقل من آثر
ما يبقى على ما يفنى.
[ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير] أي
ويسألونك يا محمد عن مخالطة اليتامى

في أموالهم ؟ أيخالطونهم أم يعتزلونهم ؟ فقل لهم :
مداخلتهم على وجه الإصلاح خير
من اعتزالهم
[وإن تخالطوهم فإخوانكم] أي إذا خلطتم أموالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأموالكم على وجه المصلحة لهم ،
فهم إخوانكم في الدين ، وأخوة الدين أقوى من أخوة
النسب ، ومن حقوق هذه الأخوة
المخالطة بالإصلاح والنفع
[والله يعلم المفسد من المصلح] أي والله تعالى أعلم
وأدرى ، بمن يقصد بمخالطتهم
الخيانة والإفساد لأموالهم ، ويعلم كذلك من يقصد لهم
الإصلاح ، فيجازي كلا بعمله
[ولو شاء الله لأعنتكم] أي لو شاء تعالى لأوقعكم في
الحرج والمشقة وشدد عليكم ،
ولكنه يسر عليكم الدين وسهله رحمة بكم
[إن الله عزيز حكيم] أي هو تعالى الغالب الذي لا
يمتنع عليه شيء ، الحكيم فيما
يشرع لعباده من الأحكام.. ثم حذر تعالى من زواج
المشركات اللواتي ليس لهن دين
سماوي فقال :
[ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن] أي لا تتزوجوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيها المسلمون بالمشركات من غير
أهل الكتاب حتى يؤمن بالله واليوم الآخر
[ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم] أي
ولأمة مؤمنة خير وأفضل من حرة
مشركة ، ولو أعجبتكم المشركة بجمالها ومالها وسائر
ما يوجب الرغبة فيها ، من حسب
أو جاه أو سلطان
[ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا] أي ولا تزوجوا
بناتكم من المشركين – وثنيين
كانوا أو أهل كتاب – حتى يؤمنوا بالله ورسوله
[ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم] أي ولأن
تزوجوهن من عبد مؤمن ، خير لكم من
أن تزوجوهن من حر مشرك ، مهما أعجبكم في
الحسب والنسب والجمال
[أولئك يدعون إلى النار] أي أولئك المذكورون من
المشركين والمشركات ، الذين حرمت
عليكم مصاهرتهم ومناكحتهم ، يدعونكم إلى ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوصلكم إلى النار ، وهو الكفر والفسوق
فحقكم ألا تتزوجوا منهم ولا تزوجوهم
[والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه] أي هو تعالى
يريد بكم الخير ويدعوكم إلى
ما فيه سعادتكم ، وهو العمل الذي يوجب الجنة ومغفرة
الذنوب
[ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون] أي يوضح حججه
وأدلته للناس ، ليتذكروا
فيميزوا بين الخير والشر والخبيث والطيب.. ثم بين
تعالى أحكام الحيض فقال :
[ويسألونك عن المحيض قل هو أذى] أي يسألونك يا
أيها الرسول عن إتيان النساء في
حالة الحيض ، أيحل أم يحرم ؟ فقل لهم : إنه شيء
مستقذر ، ومعاشرتهن في هذه الحالة
فيه أذى للزوجين
[فاعتزلوا النساء في المحيض] أي اجتنبوا معاشرة
النساء في حالة الحيض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تقربوهن حتى يطهرن] أي لا تجامعوهن حتى
ينقطع عنهن دم الحيض ويغتسلن ،
والمراد من الآية التنبيه على أن الغرض (عدم
المعاشرة) لا عدم القرب منهن ، وعدم
مؤاكلتهن ومجالستهن ، كما كان يفعل اليهود إذا
حاضت عندهم المرأة
[فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله] أي فإذا
تطهرن بالماء ، فأتوهن في المكان
الذي أحله الله لكم ، وهو مكان النسل والولد ، وهو
القبل لا الدبر
[إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين] أي يحب
التائبين من الذنوب ، المتنزهين
عن الفواحش والأقذار
[نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] أي نساؤكم
مكان زرعكم وموضع نسلكم ، وفي
أرحامهن يتكون الولد ، فأتوهن في موضع النسل
والذرية ولا تتعدوه إلى غيره ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عباس : (اسق نباتك من حيث ينبت) ومعنى [أنى شئتم] أي كيف شئتم ، قائمة وقاعدة ومضطجعة ، بعد أن يكون في مكان الحرث " الفرج " وهو رد لقول اليهود : إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من دبرها جاء الولد أحول

[وقدموا لأنفسكم] أي قدموا صالح الأعمال التي تكون لكم ذخرا في الآخرة

[واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه] أي خافوا الله باجتناب معاصيه ، وأيقنوا بأن مصيركم إليه فيجازيكم بأعمالكم

[وبشر المؤمنين] أي بشرهم بالفوز العظيم في جنات النعيم

[ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم] أي لا تجعلوا الحلف بالله ، سبباً مانعاً عن فعل الخير ، فتتعللوا باليمين بأن يقول أحدكم : قد حلفت بالله ألا أفعله ، وأريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن أبر بيميني!! بل افعلوا الخير وكفروا عن أيمانكم ،
((وقيل المعنى : لا تكثروا
الحلف فتجعلوا الله هدفا لأيمانكم ، تبتذلون اسمه
الأعظم في كل شيء قليل أو
كثير ، عظيم أو حقير ، إرادة أن تبروا وتتقوا
وتصلحوا فإن الحلاف لا يكون برا ولا
تقياً)) قال ابن عباس : لا تجعلن الله عرضة ليمينك
أن لا تصنع الخير ، ولكن كفر
عن يمينك واصنع الخير
[أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس] أي لا تجعلوه
تعالى سببا مانعا عن البر
والتقوى والإصلاح بين الناس ، وقد نزلت في (عبد
الله بن رواحة) حين حلف ألا يكلم
ختنه " النعمان بن بشير " ولا يصلح بينه وبين أخته
[والله سميع عليم] أي سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم..
ثم قال تعالى :
[لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم] أي لا يؤاخذكم بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جرى على لسانكم من ذكر
اسم الله ، من غير قصد الحلف ، كقول أحدكم : بلى
والله ، ولا والله ، لا يقصد به
اليمين
[ولكن يؤاخذكم بما كسبتم قلوبكم] أي يؤاخذكم بما
قصدتم إليه وعقدتم القلب عليه
من الأيمان إذا حنثتم فيها
[والله غفور حليم] أي واسع المغفرة ، حليم لا يعاجل
عباده بالعقوبة.
البلاغة :
1- [يسألونك عن الخمر والميسر] فيه إيجاز بالحذف
أي عن شرب الخمر وتعاطي
الميسر.
2- [وإثمهما أكبر من نفعهما] هذا من باب التفصيل
بعد الإجمال وهو ما يسمى فى
البلاغة ب " الإطناب " .
3- [كذلك يبين الله لكم الآيات] فيه تشبيه مرسل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجمل.
4- [المفسد من المصلح] في الآية طباق بين كلمة " المفسد " و " المصلح " وهو من
المحسنات البديعية.
5- [يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة] كذلك يوجد طباق بين كلمة " النار "
وكلمة " الجنة " .
6- [قل هو أذى] فيه تشبيه بليغ ، حيث جعله عين الأذى والضرر ، فأصبح بليغاً وأصله
الحيض شيء مستقذر كالأذى فحذف ذلك مبالغة على حد قولهم : علي أسد.
7- [ولا تقربوهن] كناية عن الجماع ، أي لا تجامعوهن حال الحيض.
8- [نساؤكم حرث] هذا على سبيل التشبيه ، فالمرأة كالأرض ، والنطفة كالبذر ، والولد
كالنبات الخارج ، فالحرث بمعنى المحترث سمي به على سبيل المبالغة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفوائد :

الأولى : تسمى الخمر أم الخبائث لأنها سبب في كل فعل قبيح ، روى النسائي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل ممن قبلكم متعبد ، فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة !!

فانطلق مع جاريتها ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة ، عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع علي ، أو تشرب من هذه الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام ، قال : فاسقيني من هذه الخمر كأسا ، فسقته كأسا ، فقال : زيدوني فزادوه ، فلم يبرح حتى وقع عليها ، وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر ، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر ، إلا يوشك أن يخرج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحدهما صاحبه).

الثانية : فإن قيل : كيف يكون في الخمر منافع ، مع أنها تذهب بالعقل والمال ؟

والجواب أن المراد بالمنافع في الآية " المنافع المادية " حيث كانوا يتاجرون بها

فيربحون منها الربح الفاحش ، ويحتمل أن يراد بالنفع تلك (اللذة والنشوة)

المزعومة التى عبر عنها الشاعر بقوله : ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما

ينهنهنا اللقاء

قال القرطبي : وشارب الخمر يصير ضحكة للعقلاء فيلعب ببوله وعذرته وربما يمسح

وجهه بها ، حتى رؤي بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول : اللهم اجعلنى من التوابين

واجعلنى من المتطهرين ، ورؤي بعضهم والكلب يلحس وجهه وهو يقول : أكرمك الله كما

أكرمتنى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالثة : قال الزمخشري : [فاعتزلوا النساء] [من حيث أمركم الله] [فأتوا حرثكم أنى شئتم] من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها فى كلام الله آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ، ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم.

قال الله تعالى : [للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر.. إلى .. وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون] من آية (226) إلى نهاية آية (230).

المناسبة :

ذكر تعالى في الآيات السابقة بعض الأمراض الاجتماعية التي تنخر جسم الأمة ، وتحل عرى الجماعة ، وتوقع بينهم العداوة والبغضاء كالخمر والميسر ، ثم انتقل إلى الحديث عن الأسرة باعتبار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنها النواة الأولى لبناء المجتمع الفاضل ، فبصلاح الأسرة يصلح المجتمع ، وبفسادها يفسد المجتمع ، وابتدأ من أحكام الأسرة بالعلاقة الزوجية ونبه على ضرورة أن يكون الاختيار على أساس الدين ، لتظل العلاقة موثقة بروابط المودة والرحمة والإخلاص ، ولهذا حرم الإسلام الزواج بالمشركات ، وتزويج المشركين بالمؤمنات ، ثم بين في هذه الآيات الكريمة بعض الأمراض التي تحل بالأسرة وتهدد كيانها فذكر منها (الإيلاء ، والطلاق ، والخلع) ، وبين العلاج الناجع لمثل هذه المشاكل التي تقوض بنيان الأسرة.

اللغة :

[يؤلون] الإيلاء لغة : الحلف يقال : آلى يؤالي إيلاء ، قال الشاعر :

فآليت لا أنفك

أحدو قصيدة تكون وإياها بها مثلا بعدي

وفي الشرع : اليمين على ترك وطء الزوجة

[تربص] التربص : الانتظار ومنه [قل تربصوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإني معكم من المتربصين] أي انتظروا
[فاءوا] الفيء : الرجوع ومنه قيل للظل فيء ، لانه
يرجع بعد أن تقلص ، قال الفراء :
العرب تقول : فلان سريع الفيء أي سريع الرجوع
بعد الغضب ، قال الشاعر :
ففاءت ولم تقض الذي أقبلت له ومن حاجة الإنسان ما
ليس قاضيا
[قروء] جمع قرء اسم يقع على الحيض والطهر ،
فهو من الأضداد ، وأصل القرء :
الاجتماع سمي به الحيض لاجتماع الدم في الرحم ،
قال في القاموس : القرء بالفتح
ويضم : الحيض والطهر والوقت ، وجمع الطهر قروء
، وجمع الحيض أقراء
[بعولتهن] جمع بعل ومعناه الزوج [وهذا بعلي
شيخا] والمرأة بعلة
[درجة] الدرجة : المنزلة الرفيعة
[الطلاق] مصدر طلقت المرأة ومعنى الطلاق : حل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقد النكاح ، وأصله الانطلاق
والتخلية يقال : ناقة طالق أي مهملة تركت في المرعى
بلا قيد ولا راعي ،
[تسريح] التسريح : إرسال الشيء ، وسرح الماشية
أرسلها ، قال الراغب : والتسريح في
الطلاق مستعار من تسريح الإبل ، كالطلاق مستعار
من إطلاق الإبل.
سبب النزول :
كان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ما شاء من
الطلاق ، ثم يراجعها قبل أن تنقضي
عدتها ، ولو طلقها ألف مرة ، كان له الحق في
مراجعتها ، فعمد رجل لامرأته فقال لها : لا آويك ولا
أدعك تحلين ، قالت : وكيف ؟ قال : أطلقك فإذا دنا
مضي عدتك راجعتك ، فشكت المرأة أمرها للنبي
(ص) فأنزل الله [الطلاق مرتان..] الآية.
التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر] أي للذين يحلفون ألا يجامعوا نساءهم

للإضرار بهن ، لهن انتظار أربعة أشهر [فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم] أي إن رجعوا إلى عشرة أزواجهن بالمعروف – وهو كناية عن الجماع – أي رجعوا عن اليمين إلى الوطء ، فإن الله يغفر ما صدر منهم من إساءة ويرحمهم [وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم] أي وإن صمموا على عدم المعاشرة ، والامتناع عن الوطء ، فإن الله سميع لأقوالهم عليم بنياتهم ، والمراد من الآية أن الزوج إذا حلف ألا يقرب زوجته تنتظره الزوجة مدة أربعة أشهر ، فإن عاشرها في المدة فبها ونعمت ، ويكون قد حنث في يمينه وعليه الكفارة ، وإن لم يعاشرها وقعت الفرقة والطلاق ، بمضي تلك المدة عند أبي حنيفة ، وقال الشافعي : ترفع أمره إلى الحاكم ، فيأمره إما بالفيئة أو الطلاق فإن امتنع عنهما طلق عليه الحاكم ، هذا هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلاصة حكم الإيلاء.. ثم قال تعالى مبينا أحكام العدة والطلاق الشرعي [والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء] أي الواجب على المطلقات الحرائر المدخول بهن أن ينتظرن مدة ثلاثة أطهار – على قول الشافعي ومالك – أو ثلاث حيض على قول أبي حنيفة وأحمد ، ثم تتزوج إن شاءت بعد انتهاء عدتها ، وهذا في المدخول بها ، أما غير المدخول بها ، فلا عدة عليها ، لقوله تعالى [فما لكم عليهن من عدة]

[ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن]

أي لا يباح للمطلقات أن يخفين

ما في أرحامهن من حبل أو حيض ، استعجالا في العدة ، وإبطالا لحق الزوج في الرجعة

[إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر] أي إن كن حقا مؤمنات بالله ، ويخشين من عقابه ،

وهذا تهديد لهن حتى يخبرن بالحق من غير زيادة ولا نقصان ، لأنه أمر لا يعلم إلا

من جهتهن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا]
أي وأزوجهن أحق بهن في الرجعة ،
من التزويج للأجانب إذا لم تنقض عدتهن ، إذا كان
الغرض من الرجعة الإصلاح لا
الإضرار ، وهذا في الطلاق الرجعي
[ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف] أي ولهن على
الرجال من الحق مثل ما للرجال
عليهن ، بالمعروف الذي أمر تعالى به ، من حسن
العشرة وترك الضرار ونحوه
[وللرجال عليهن درجة] أي وللرجال على النساء
ميزة ، وهي فيما أمر تعالى به من
(القوامة ، والإنفاق ، والإمرة ، ووجوب الطاعة) ،
فهي درجة تكليف لا تشريف لقوله
تعالى [إن أكرمكم عند الله أتقاكم]
[والله عزيز حكيم] أي غالب ينتقم ممن عصاه ،
حكيم في أمره وتشريعه.. ثم بين
تعالى طريقة الطلاق الشرعية فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان]
أي الطلاق المشروع الذي يملك به
الزوج الرجعة (مرتان) وليس بعدهما إلا المعاشرة
بالمعروف مع حسن المعاملة ، أو
التسريح بإحسان ، بألا يظلمها من حقها شيئا ، ولا
يذكرها بسوء ، ولا ينفر الناس
عنها
[ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا] أي لا
يحل لكم أيها الأزواج أن
تأخذوا مما دفعتم إليهن من المهور شيئا ولو قليلا
[إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله] أي إلا أن يخاف
الزوجان سوء العشرة وألا
يرعيا حقوق الزوجية التي أمر الله تعالى بها
[فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به] أي فإن خفتم سوء
العشرة بينهما وأرادت الزوجة أن تختلع بالنزول عن
مهرها ، أو بدفع شيء من المال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لزوجها حتى يطلقها ، فلا إثم على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله

[تلك حدود الله فلا تعتدوها] أي هذه الأحكام العظيمة ، من (الطلاق ، والرجعة ، والخلع) وغيرها هي شرائع الله وأحكامه ، فلا تخالفوها ولا تتجاوزوها إلى غيرها مما لم يشرعه الله

[ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون] أي من خالف أحكام الله فقد عرض نفسه لسخط الله ، وهو من الظالمين المستحقين للعقاب الشديد

[فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره] أي فإن طلق الرجل المرأة

الطلقة الثالثة ، فلا تحل له بعد ذلك حتى تتزوج غيره وتطلق منه ، بعد أن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ، كما صرح به الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشريف ، وفي ذلك زجر عن طلاق المرأة ثلاثا ، لمن له رغبة في زوجته ، لأن كل ذي مروءة يكره أن يفترش امرأته آخر

[فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله] أي إن طلقها الزوج الثاني ، فلا بأس أن تعود إلى زوجها الأول بعد انقضاء العدة ، إن كان ثمة دلائل تشير إلى الوفاق وحسن العشرة

[وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون] أي تلك شرائع الله وأحكامه ، يوضحها ويبينها لذوي العلم والفهم ، الذين ينظرون في عواقب الأمور.

البلاغة :

1- [فإن الله سميع عليم] خرج الخبر عن ظاهره إلى معنى الوعيد والتهديد.

2- [والمطلقات يتربصن] خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزمخشري : وإخراج الأمر في صيغة الخبر تأكيد
للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن
يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الأمر فهو
يخبر عنه موجودا ، وبناؤه
على المبتدأ مما زاده فضل تأكيد .
3- [إن كن يؤمن بالله] ليس الغرض منه التقييد
بالإيمان ، بل هو للتهييج وتهويل
الأمر في نفوسهن ، لأن الكلام مع المؤمنات!
4- [ولهن مثل الذي عليهن] فيه إيجاز وإبداع لا
يخفى على المتمكن من علوم
البيان ، فقد حذف من الأول بقرينة الثاني ، ومن الثاني
بقرينة الأول والمعنى : لهن
على الرجال من الحقوق ، مثل الذي للرجال عليهن
من الحقوق وفيه من المحسنات
البديعية أيضا " الطباق " بين " لهن " و " عليهن " وهو
طباق بين حرفين.
5- [فإمساك بمعروف] بين لفظ " إمساك " ولفظ "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسريح " طباق أيضا.

6- [تلك حدود الله] وضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة في النفوس ، وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

7- [فأولئك هم الظالمون] هو من باب قصر الصفة على الموصوف.

فائدة :

أول خلع كان في الإسلام في امرأة (ثابت بن قيس) أتت رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله : لا يجمع الله رأسي ورأسه شيء أبدا ، والله ما أعيب عليه في خلق ولا دين ، ولكن أكره الكفر بعد الإسلام ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : أتريدين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، ففرق بينهما.

لطيفة :

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن
تتزين لي ، لأن الله تعالى يقول [ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف] وهذا استدلال
منه لطيف.

قال الله تعالى : [وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن..
إلى .. والله يعلم وأنتم لا
تعلمون] من آية (231) إلى نهاية آية (232).

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن أحكام الطلاق
وتوضح طريقته وشروطه وآدابه ،
وتنهى عن الإيذاء والإضرار ، فوجه المناسبة إذا
ظاهر.

اللغة :

[فبلغن أجلهن] أي قاربن الانتهاء من العدة
[ضرارا] أي بقصد الإضرار ، قال القفال : الضرار
هو المضارة كقوله [مسجدا ضرارا]
أي ليضاروا المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تعضلوهن] العضل : المنع والتضييق يقال : أعضل الأمر أي أشكل وضاقت فيه الحيل ،

وداء عضال أي عسيرا أعيا الأطباء ، قال الأزهري : وأصله من عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه

[يوعظ به] يوصى ويؤمر به

[أزكى] أنمى وأنفع يقال : زكا الزرع إذا نما بكثرة وبركة

[وأطهر] الطهارة : التنزه عن الدنس والمعاصي.

سبب النزول :

روي أن " معقل بن يسار " زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد النبى (ص) فكانت عنده ما كانت ، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة ، فهويها وهويته ، ثم خطبها مع الخطاب فقال له : يا لكع " أي يا لئيم " أكرمتك بها وزوجتك فطلقتها!! والله لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ترجع أبدا !! فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل الله [وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن..] الآية فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربي وطاعة ، ثم دعاه فقال : أزوجك وأكرمك ، أقول : في هذا غاية الاستجابة والمسارعة لأمر الله عز وجل!

التفسير :

[وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن] أي إذا طلقتم يا معشر الرجال النساء طلاقا رجعيا وقاربن انقضاء العدة [فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف] أي فراجعوهن من غير ضرار ولا أذى ، أو اتركوهن حتى تنقضى عدتهن بإحسان ، من غير تطويل العدة عليهن [ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا] أى لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن ، لتظلموهن بالإلجاء إلى الافتداء ، وفيه زجر لما كان عليه الناس ، حيث كان الزوج يترك المعتدة حتى إذا شارفت انقضاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العدة ، يراجعها للإضرار بها ، ليطول عليها العدة لا للرغبة فيها

[ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه] أي من يمسكها للإضرار بها أو ليكرهها على الافتداء ، فقد ظلم بذلك العمل نفسه لأنه عرضها لعذاب الله

[ولا تتخذوا آيات الله هزوا] أي لا تهزءوا بأحكام الله وأوامره ونواهيه ، فتجعلوا شريعته مهزوءاً بها بمخالفتكم لها

[واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة] أي اذكروا فضل الله عليكم بهدايتكم للإسلام ، وما أنعم به عليكم من القرآن العظيم ، والسنة المطهرة

[يعظكم به] أي يرشدكم ويذكركم بكتابه وهدي رسوله إلى سعادتكم في الدارين

[واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم] أي خافوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله وراقبوه في أعمالكم ،
واعلموا أنه تعالى لا تخفى عليه خافية من أحوالكم..
ثم أمر تعالى الأولياء بعدم
عضل النساء الراغبات في العودة إلى أزواجهن فقال
[وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن] أي إذا طلقتم النساء
وانقضت عدتهن
[فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم
بالمعروف] أي فلا تمنعوهن يا
معشر الأولياء من العودة لأزواجهن ، إذا صلحت
الأحوال بين الزوجين ، وظهرت أمارات
الندم ، ورضي كل منهما العودة لصاحبه والسير بما
يرضي الله
[ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر]
أي ما نهيتكم عنه من
الإضرار بالنساء ، والعضل لهن ، ينصح به ويوعظ
به ، من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر ، لأنه هو المنتفع بالمواعظ الشرعية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلكم أزكى لكم وأطهر] أي الاتعاظ بما ذكر
والتمسك بأوامر الله ، خير وأنفع لكم
وأطهر من الآثام وأوضار الذنوب
[والله يعلم وأنتم لا تعلمون] أي والله يعلم ما هو
أصلح لكم من الأحكام
والشرائع ، وأنتم لا تعلمون ذلك ، فامتثلوا أمره تعالى
ونهيه في جميع ما تأتون
وما تذرون.

البلاغة :

1- [فبلغن أجلهن] أي قاربن انقضاء عدتهن ، أطلق
الكل على الأكثر ، فهو مجاز مرسل ،
لأنه لو انقضت العدة لما جاز له إمساكها والله تعالى
يقول [فأمسكوهن بمعروف] .

2- [واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من
الكتاب والحكمة] هو من باب عطف
الخاص على العام ، لأن النعمة يراد بها (نعم الله)
والكتاب والسنة من أفراد هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النعم.

3- [واعلموا أن الله بكل شيئ عليم] بين كلمة " اعلموا " و " عليم " من المحسنات البديعية ما يسمى بجناس الاشتقاق.

4- [أن ينكحن أزواجهن] يراد بأزواجهن " المطلقين " لهن ، فهو من باب " المجاز المرسل " والعلاقة اعتبار ما كان قبل الطلاق.

فائدة :

قال الإمام الفخر : الحكمة في إثبات حق الرجعة ، أن الإنسان ما دام مع صاحبه لا

يدري هل تشق عليه المفارقة أو لا ؟ فإذا فارقه فعند ذلك يظهر ، فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع ، لعظمت المشقة على الإنسان إذ قد تظهر المحبة بعد المفارقة ، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة ، أثبت تعالى حق المراجعة مرتين ، وهذا يدل على كمال رحمته تعالى ورأفته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعباده.

قال الله تعالى : [والوالدات يرضعن أولادهن حولين .. إلى .. ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير] من آية (233) إلى نهاية آية (237).

المناسبة :

لما ذكر تعالى جملة من الأحكام المتعلقة بالنكاح ، والطلاق والعدة ، والرجعة ، ذكر في هذه الآية الكريمة (حكم الرضاع) لأن الطلاق يحصل به الفراق ، فقد يطلق الرجل زوجه ويكون لها طفل ترضعه ، وربما أضاعت الطفل أو حرمته الرضاع ، انتقاماً من الزوج ، وإيذاء له في ولده ، لذلك جاءت هذه الآية لندب الوالدات المطلقات ، إلى رعاية الأطفال والاهتمام بشأنهم.

اللغة :

[فصالا] الفصال والفصل : الفطام ، سمى به لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولد ينفصل عن لبن أمه إلى غيره من
الأقوات ، قال المبرد : الفصال أحسن من الفصل ،
لأنه إذا انفصل عن أمه ، فقد انفصلت
عنه ، فبينهما فصال كالقتال والضراب
[تشاور] : استخراج الرأي ومثله المشاورة والمشورة
، مأخوذ من الشور وهو استخراج
العسل
[يذرون] يتركون ، وهذا الفعل لا يستعمل منه
الماضي ولا المصدر
[عرضتم] التعريض : الإيماء والتلويح من غير
كشف وإظهار ، مأخوذ من عرض الشيء أي
جانبه ، كقول الفقير للمحسن : جئت لأنظر إلى وجهك
الكريم
[خطبة] بكسر الخاء طلب النكاح ، وبالضم الموعظة
كخطبة الجمعة والعيدين
[أكننتم] سترتم وأضمرتم والإكنان : السر والخفاء
[عقدة النكاح] من العقد وهو الشد ، وفي المثل " يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاقد اذكر حلا " قال الراغب :

العقدة اسم لما يعقد من نكاح أو يمين أو غيرهما

[حليم] يمهل العقوبة فلا يعجل بها للعاصي

[المقتر] الفقير يقال : أقتر الرجل إذا افتقر.

سبب النزول :

روي أن رجلا من الأنصار تزوج امرأة من بني

حنيفة ولم يسم لها مهرا ، ثم طلقها

قبل أن يمسها ، فنزلت الآية [لا جناح عليكم إن طلقتم

النساء ما لم تمسوهن] فقال

له النبي (ص) " متعها ولو بقلنسوتك " .

التفسير :

[والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين] أي

الواجب على الأمهات أن يرضعن

أولادهن لمدة سنتين كاملتين

[لمن أراد أن يتم الرضاعة] أي إذا شاء الوالدان

إتمام الرضاعة ولا زيادة عليه

[وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى الأب نفقة الوالدات المطلقات

وكسوتهن بما هو متعارف ، بدون إسراف ولا تقتير ، لتقوم بخدمته حق القيام

[لا تكلف نفس إلا وسعها] أي تكون النفقة بقدر الطاقة لأنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها

[لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده] أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ، ويقصرا في ما ينبغي له ، أو يضار أحدهما الآخر بسبب الولد ، فترفض الأم إرضاعه لتضر أباه بتربيته ، وينتزع الأب الولد منها إضرارا بها مع رغبتها في إرضاعه ، ليغيظ أحدهما صاحبه ، قاله مجاهد [وعلى الوارث مثل ذلك] أي وعلى الوارث مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على الأم ، والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها ، والمراد به (وارث الأب) وقيل : وارث الصبي ، والأول اختيار الطبري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما] أي فإذا اتفق الوالدان
على فطامه قبل الحولين ، ورأيا في ذلك مصلحة له بعد التشاور ، فلا إثم عليهما
[وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف]
أي وإن أردتم أيها الآباء أن تطلبوا مرضعة لولدكم غير الأم ، بسبب عجزها أو
إرادتها الزواج ، فلا إثم عليكم شريطة أن تدفعوا لها ما اتفقتم عليه من الأجر ،

فإن المرضع إذا لم تكرم ، لا تهتم بالطفل ، ولا تعنى بإرضاعه
[واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير] أي راقبوا الله في جميع
أفعالكم ، فإنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأحوالكم ، وفي ضمنه وعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتهديد

[والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن
بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا] أي على
النساء اللواتي يموت أزواجهن ، أن يمكثن في العدة
أربعة أشهر وعشرة أيام ، حداداً
على أزواجهن ، وهذا الحكم لغير الحامل ، أما الحامل
فعدتها وضع الحمل ، لقوله
تعالى [وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن]
[فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في
أنفسهن بالمعروف] أي فإذا انقضت
عدتهن فلا إثم عليكم أيها الأولياء في الإذن لهن
بالزواج ، وفعل ما أباحه لهن
الشرع ، من الزينة والتعرض للخطاب
[والله بما تعملون خبير] أي عليم بجميع أعمالكم
فيجازيكم عليها
[ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء]
أي لا إثم عليكم أيها الرجال في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعريض بخطبة النساء ، المتوفى عنهن أزواجهن في
العدة ، بطريق التلميح لا
التصريح ، قال ابن عباس : كقول الرجل : وددت أن
الله يسر لي امرأة صالحة ، وإن
النساء لمن حاجتي
[أو أكننتم في أنفسكم] أي ولا إثم عليكم أيضا فيما
أخفيتموه في أنفسكم من رغبة
الزواج بهن
[علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا
أن تقولوا قولا معروفا] أي
قد علم الله أنكم ستذكرونهن في أنفسكم ، ولا تصبرون
عنهن ، فرفع عنكم الحرج ،
فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن بالنكاح سرا ، إلا
بطريق التعريض والتلويح ، وبالمعروف
الذي أقره لكم الشرع
[ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله] أي
ولا تعقدوا عقد النكاح حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنتهى العدة

[واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه] أي

احذروا عقابه فى مخالفتكم أمره

[واعلموا أن الله غفور حليم] أي يمحو ذنب من أناب

، ولا يعاجل العقوبة لمن

عصاه.. ثم ذكر تعالى حكم المطلقة قبل المساس فقال

[لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو

تفرضوا لهن فريضة] أي لا إثم

عليكم أيها الرجال إن طلقتم النساء ، قبل المسيس "

الجماع " وقبل أن تفرضوا لهن

مهرا ، فالطلاق في مثل هذه الحالة غير محظور ، إذا

كان لمصلحة أو ضرورة

[ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً

بالمعروف حقا على المحسنين]

أي فإذا طلقتموهن فادفعوا لهن المتعة تطيبا لخاطرهن

، وجبرا لوحشة الفراق ، على

قدر حال الرجل في الغنى والفقر ، الموسر بقدر يساره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والمعسر بقدر إعساره ،
تمتيعاً بالمعروف حقا على المؤمنين المحسنين
[وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم] أي وإذا
طلقتموهن قبل الجماع ، وقد كنتم ذكرتم لهن مهرا
معينا ، فالواجب عليكم أن تدفعوا
(نصف المهر) المسمى لهن ، لأنه طلاق قبل المسيس
[إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح] أي إلا
إذا أسقطت المطلقة حقها ،
أو أسقط ولي أمرها الحق إذا كانت صغيرة ، وقيل :
هو الزوج لأنه هو الذي ملك عقدة
النكاح ، وذلك بأن يسامحها بكامل المهر الذي دفعه لها
واختاره ابن جرير ، وقال
الزمخشري : القول بأنه الولي ظاهر الصحة
[وأن تعفوا أقرب للتقوى] الخطاب عام للرجال
والنساء ، قال ابن عباس : أقربهما
للتقوى الذي يعفو [ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعملون بصير] أي لا تنسوا أيها المؤمنون الجميل ، والإحسان بينكم ، فالله مطلع على أعمالكم وسيجازيكم عليها.. ختم تعالى الآيات بالتذكير بعدم نسيان المودة والإحسان والجميل بين الزوجين ، فإذا كان
الطلاق قد تم لأسباب ضرورية قاهرة ، فلا ينبغي أن يكون هذا قاطعاً لروابط
المصاهرة ووشائج القربى.

البلاغة :

1- [والوالدات يرضعن] أمر أخرج مخرج الخبر ، مبالغة في الحمل على تحقيقه ، أي
ليرضعن كالآية السابقة [والمطلقات يتربصن] .

2- [أن تسترضعوا أولادكم] فيه إيجاز بالحذف أي تسترضعوا المراضع لأولادكم ، كما
أن فيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لأن ما قبله [فإن أرادا فصالا] وفائدة
هذا الالتفات هز مشاعر الآباء شفقة على الأبناء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورحمة بهم!

3- [ولا تعزموا عقدة النكاح] ذكر العزم للمبالغة في
النهي عن مباشرة النكاح ،
فإذا نهي عنه ، كان النهي عن الفعل من باب أولى.

4- [ما لم تمسوهن] كنى تعالى بالمس عن " الجماع
" تأديبا وتعليما للعباد ، في
اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به.

5- [وأن تعفوا] و[لا تنسوا الفضل] الخطاب عام
للرجال والنساء ولكنه ورد بطريق
التغليب.

6- [واعلموا أن الله] إظهار الاسم الجليل في موضع
الإضمار لتربية المهابة
والروعة.

الفوائد :

الأولى : التعبير بلفظ " الوالدات " دون قوله "
والمطلقات " أو النساء المطلقات ،
لاستعطافهن نحو الأولاد ، فحصول الطلاق لهن لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينبغي أن يحرمهن (عاطفة الأمومة)
فالأم ينبغي أن تبقى في حنانها ولو طلقت!
الثانية : أضاف تعالى الولد في الآية الكريمة إلى كل من الأبوين في قوله [والدة بولدها] و[مولود له بولده] وذلك لطلب الاستعطاف والإشفاق عليه ، فالولد ليس أجنبيا عن الوالدين ، هذه أمه ، وذاك أبوه ، فمن حقهما أن يشفقا عليه ، ولا تكون العداوة بينهما سببا للإضرار به.
الثالثة : الحكمة في إيجاب المتعة للمطلقة هي جبر إيحاش الطلاق ، قال ابن عباس : إن كان معسرا متعها بثلاثة أثواب ، وإن كان موسراً متعها بخادم.
الرابعة : روي أن (الحسن بن علي) متع زوجته بعشرة آلاف درهم ، فقالت المرأة : " متاع قليل من حبيب مفارق " وسبب طلاقه إياها ما روي أنه لما أصيب علي كرم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجهه ، وبويع الحسن بالخلافة ، قالت له : لتهنك الخلافة يا أمير المؤمنين! فقال :
يقتل علي وتظهرين الشماتة ؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثا ، فتلفعت وقعدت حتى انقضت
عدتها ، فبعث إليها بعشرة آلاف درهم متعة ، وبقية ما بقي لها من صداقها ، فقالت
ذلك ، فلما أخبره الرسول بكى وقال : لولا أنني طلقتها ثلاثا لراجعتها.

قال الله تعالى : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى.. إلى .. كذلك يبينن الله
لكم آياته لعلكم تعقلون] من آية (238) إلى نهاية آية (242).

المناسبة :

توسطت آيات المحافظة على الصلاة خلال الآيات الكريمة المتعلقة بأحكام الأسرة ،
وعلاقات الزوجين عند الطلاق أو الافتراق وذلك لحكمة بليغة ، وهي أن الله تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما أمر بالعفو والتسامح وعدم نسيان الفضل بعد
الطلاق ، بين بعد ذلك أمر الصلاة ،
لأنها أعظم وسيلة إلى نسيان هموم الدنيا وأكدارها ،
ولهذا كان (ص) إذا حزبه هم
فزع إلى الصلاة ، فالطلاق يولد الشحناء والبغضاء ،
والصلاة تدعو إلى الإحسان
والتسامح ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وذلك أفضل
طريق لتربية النفس الإنسانية.

اللغة :

[حافظوا] المحافظة : لمداومة على الشيء والمواظبة
عليه

[الوسطى] مؤنث الأوسط ، ووسط الشيء خيره
وأعدله ، قال اعرابي يمدح الرسول (ص).

يا أوسط الناس طرا في مفاخرهم وأكرم الناس أما برة
وأبا

[قانتين] أصل القنوت في اللغة : المداومة على
الشيء ، وقد خصه القرآن بالدوام على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطاعة والملازمة لها ، على وجه الخشوع والخضوع قال تعالى [يا مريم اقنتي لربك]

[فرجالا] جمع راجل وهو القائم على القدمين ، قال الراغب : اشتق من الرجل راجل ، للماشي بالرجل ويقال : رجل راجل أي قوي على المشي

[ركبانا] جمع راكب وهو من يركب الفرس والدابة ونحوهما.

التفسير :

[حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى] أي واظبوا أيها المؤمنون وداوموا على أداء

الصلوات في أوقاتها ، وبخاصة (صلاة العصر) فإن الملائكة تشهدها

[وقوموا لله قانتين] أي داوموا على العبادة والطاعة بالخشوع والخضوع ، وقوموا لله فى صلاتكم خاشعين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن خفتم فرجالا أو ركبانا] أي فإذا كنتم في خوف
من عدو أو غيره ، فصلوا ماشين
على الأقدام أو راكبين على الدواب
[فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون] أي فإذا زال الخوف
وجاء الأمن ، فأقيموا الصلاة مستوفية لجميع الأركان
، كما أمركم الله وعلى الوجه
الذي شرعه لكم ، وهذه الآية كقوله [فإذا اطمأننتم
فأقيموا الصلاة] والذكر في
الآية يراد به (الصلاة) الكاملة المستوفية للأركان ، قال
الزمخشري : المعنى :
اذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع
، وكيف تصلون في حال الخوف
والأمن.. ثم قال تعالى مبيناً أحكام العدة [والذين
يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا
إلى الحول غير إخراج]
أي والذين يموتون من رجالكم ويتركون زوجاتهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم
بعدهم حولا كاملا ، ينفق عليهن من تركته ، ولا
يخرجن من مساكنهن
– وكان ذلك في أول الإسلام – ثم نسخت المدة إلى
أربعة أشهر وعشرة أيام
[فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من
معروف] أي فإن خرجن مختارات
راضيات ، فلا إثم عليكم يا أولياء الميت في تركهن أن
يفعلن ما لا ينكره الشرع ،
كالتزين والتطيب والتعرض للخطاب إذا انتهت عدتهن
[والله عزيز حكيم] أي هو سبحانه غالب في ملكه ،
حكيم في صنعه
[وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين] أي
واجب على الأزواج أن يمتعن
المطلقات بقدر استطاعتهم ، جبرا لوحشة الفراق ،
وهذه المتعة حق لازم على المؤمنين
المتقين لله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون] أي مثل ذلك البيان الشافي ، الذي يوجه
النفوس نحو المودة والرحمة ، يبين الله سبحانه لكم آياته الدالة على أحكامه
الشرعية ، لتعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها.

البلاغة :

1- [الصلاة الوسطى] هو من باب عطف " الخاص على العام " لبيان مزيد فضل صلاة
العصر.

2- [فإن خفتم] [فإذا أمنتم] بين لفظ " خفتم " و " أمنتم " طباق ، وهو من المحسنات
البديعية ، قال أبو السعود : وفي إيراد الشرطية بكلمة " إن " المنبئة عن عدم تحقق
وقوع الخوف ، وإيراد الثانية بكلمة " إذا " المنبئة عن تحقق وقوع الأمن وكثرته مع
الإيجاز في جواب الأولى والإطناب في جواب الثانية ، من الجزالة ولطف الاعتبار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

تنبيه :

الصلاة الوسطى على الراجح من الأقوال هي (صلاة العصر) لأنها وسط بين الفجر والظهر والمغرب والعشاء ، ويقوي هذا ما ورد في الصحيحين " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا " وفي الحديث " الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " أخرجه الشيخان وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الدالة على فضل صلاة العصر وأهميتها.

قال الله تعالى : [ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.. إلى .. وإنك لمن المرسلين] من آية (242) إلى نهاية آية (252).

المناسبة :

لما ذكر تعالى أحكام الأسرة ، ذكر بعدها أحكام الجهاد ، وذلك لحماية العقيدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصيانة المقدسات ، وتأمين البيئة الصالحة للأسرة المسلمة ، فلا صلاح للأسرة إلا
بصلاح المجتمع ، ولا بقاء لها ولا خلود إلا ببقاء الحق وأنصاره ، ولهذا أمر تعالى
بالقتال وضرب عليه الأمثال بالأمم السابقة ، كيف جاهدت في سبيل الحق ، وانتصرت
القلة مع إيمانها على الكثرة مع كفرها وطغيانها ، فليست العبرة بكثرة أنصار
الباطل ، بل بصمود أهل الحق ، والتزامهم له وجهادهم في سبيله.

اللغة :

[ألوف] جمع ألف جمع كثرة وفي القلة آلاف ، ومعناه كثرة كاثرة وألوف مؤلفة

[حذر] خشية وخوف

[يقبض ويبسط] القبض : ضم الشيء والجمع عليه والمراد به هنا التقتير ، والبسط ضده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمراد به التوسيع قال أبو تمام :

تعود بسط الكف حتى لو أنه دعاها لقبض لم تجبه أنامله.

[الملأ] الأشراف من الناس سموا بذلك لأنهم يملأون العين مهابة وإجلالا

[فصل] انفصل من مكانه يقال : فصل عن الموضع انفصل عنه وجاوزه

[مبتليكم] مختبركم

[يظنون] يستيقنون ويعلمون

[فئة] الفئة : الجماعة من الناس لا واحد له كالرهط والنفر

[أفرغ] أفرغ الشيء صبه وأنزله.

التفسير :

[ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف] أي ألم يصل إلى سمعك أيها المخاطب ، حال أولئك القوم الذين خرجوا من وطنهم وهم ألوف مؤلفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حذر الموت] أي خوفا من الموت وفرارا منه ، والغرض من الاستفهام التعجيب والتشويق إلى سماع قصتهم ، وكانوا سبعين ألفا [فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم] أي أماتهم الله ثم أحياهم ، وهم قوم من بني إسرائيل ، دعاهم ملكهم إلى الجهاد ، فهربوا خوفا من الموت فأماتهم الله ، ثمانية أيام ثم أحياهم بدعوة نبيهم " حزقيل " فعاشوا بعد ذلك دهرا ، وقيل : هربوا من الطاعون فأماتهم الله ، قال ابن كثير : وفي هذه القصة عبرة على أنه لا يغني حذر من قدر ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه [إن الله لذو فضل على الناس] أي ذو إنعام وإحسان على الناس ، حيث يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة ، ما يبصرهم بما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة [ولكن أكثر الناس لا يشكرون] أي لا يشكرون الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على نعمه ، بل ينكرون ويجحدون
[وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم] أي قاتلوا الكفار لإعلاء دين الله ، لا لحظوظ النفس وأهوائها ، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم وأحوالكم ، فيجازيكم عليها ، وكما أن الحذر لا يغني من القدر ، فكذلك الفرار من الجهاد لا يقرب أجلا ولا يبعده
[من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة] أي من الذي يبذل ماله وينفقه في سبيل الخير ابتغاء وجه الله ، ولإعلاء كلمة الله في الجهاد وسائر طرق الخير ، فيكون جزاؤه أن يضاعف الله تعالى له ذلك القرض أضعافاً كثيرة ؟ لأنه قرض لأغنى الأغنياء رب العالمين جل جلاله ، وفي الحديث (من يقرض غير عديم ولا ظلوم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله يقبض ويبسط] أي يقتر على من يشاء ويوسع
على من يشاء ابتلاء وامتحاناً
[وإليه ترجعون] أي يوم القيامة فيجازيكم على
أعمالكم
[ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى]
أي ألم يصل خبر القوم إليك ؟ وهو
أسلوب تعجيب وتشويق للسامع كما تقدم ، وكانوا من
بني إسرائيل وبعد وفاة موسى
عليه السلام كما دلت عليه الآية
[إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله]
أي حين قالوا لنبيهم
" شمعون " – وهو من نسل هارون – أقم لنا أميرا
واجعله قائدا لنا لنقاتل معه
الأعداء في سبيل الله
[قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا] أي
قال لهم نبيهم : أخشى أن
يفرض عليكم القتال ، ثم لا تقاتلون عدوكم ، وتجبنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن لقائه

[قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا] أي أي سبب لنا في ألا نقاتل عدونا ، وقد أخذت منا البلاد ، وسبيت الأولاد ؟ قال تعالى بيانا لما انطوت عليه نفوسهم من الهلع والجبن

[فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم] أي لما فرض عليهم القتال ، نكل أكثرهم عن الجهاد ، إلا فئة قليلة منهم صبروا وثبتوا ، وهم الذين عبروا النهر مع طالوت ، قال القرطبي : وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة ، تتمنى الحرب أوقات الأنفة ، فإذا حضرت الحرب جبنت وانقادت لطبعها

[والله عليم بالظالمين] وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد عصيانا لأمره تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا] أي
أخبرهم نبيهم بأن الله
تعالى قد ملك عليهم (طالوت) ليكونوا تحت إمرته ،
في تدبير أمر الحرب ، واختاره
ليكون أميرا عليهم
[قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال] ؟ أي
قالوا معترضين على نبيهم : كيف يكون ملكا علينا
والحال أننا أحق بالملك منه ؟ لان
فينا من هو من أولاد الملوك ، وهو مع هذا فقير لا
مال له ، فكيف يكون ملكا علينا ؟
[قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم] أي أجابهم نبيهم على
ذلك الاعتراض فقال إن الله اختاره عليكم ، وهو أعلم
بالمصالح منكم ، والعمدة في
الاختيار أمران : (العلم) ليتمكن به من معرفة أمور
السياسة ، والأمر الثاني (قوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البدن) ليعظم خطره في القلوب ، ويقدر على مقاومة
الأعداء ومكابدة الشدائد ، وقد
خصه الله تعالى منهما بحظ وافر ، قال ابن كثير :
ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا
علم ، وشكل حسن ، وقوة شديدة في بدنه ونفسه ،
[والله يؤتي ملكه من يشاء] أي يعطي الملك لمن شاء
من عباده من غير إرث أو مال
[والله واسع عليم] أي واسع الفضل عليم بمن هو أهل
له فيعطيه إياه.. ولما طلبوا
آية تدل على اصطفاء الله لطالوت أجابهم إلى ذلك
[وقال لهم نبيهم إن آية ملكه] أي علامة ملكه
واصطفائه عليكم
[أن يأتيكم التابوت] أي يرد الله إليكم التابوت الذي
أخذ منكم ، وهو كما قال
الزمخشري : (صندوق التوراة) الذي كان موسى عليه
السلام إذا قاتل قدمه أمامه ،
فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة] أي في
التابوت السكون والطمأنينة والوقار ، وفيه أيضا بقية من آثار آل موسى وآل هارون
وهي عصا موسى وثيابه وبعض الألواح التى كتبت فيها التوراة تحمله الملائكة ، قال
ابن عباس : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي
طالوت والناس ينظرون
[إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين] أي إن في نزول التابوت لعلامة واضحة أن
الله اختاره ليكون ملكا عليكم ، إن كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر
[فلما فصل طالوت بالجنود] أي خرج بالجيش وانفصل عن بيت المقدس ، وجاوزه وكانوا
(ثمانين ألفا) ، أخذ بهم في أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال إن الله مبتليكم بنهر] أي مختبركم بنهر وهو نهر الشريعة المشهور بين
الأردن وفلسطين

[فمن شرب منه فليس مني] أي من شرب منه فلا يصحبني – وأراد بذلك أن يختبر
إرادتهم وطاعتهم قبل أن يخوض بهم غمار الحرب .

[ومن لم يطعمه فإنه مني] أي من لم يشرب منه ولم يذقه فإن من جندى الذين يقاتلون
معي

[إلا من اغترف غرفة بيده] أي لكن من اغترف قليلا من الماء ليبل عطشه وينقع غلته
فلا بأس بذلك ، فأذن لهم برشفة من الماء تذهب بالعطش

[فشربوا منه إلا قليلا منهم] أي شرب الجيش منه إلا فئة قليلة صبرت على العطش ،
قال السدي : شرب منه ستة وسبعون ألفا وتبقى معه أربعة آلاف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه] أي لما اجتاز
النهر مع الذين صبروا على العطش
والتعب ، ورأوا كثرة عدوهم اعتراهم الخوف فقال
فريق منهم
[قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده] أي لا قدرة
لنا على قتال الأعداء مع
قائد جيشهم (جالوت) ، فنحن قلة وهم كثرة كاثرة
[قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله] أي قال الذين
يعتقدون بلقاء الله ، وهم
الصفوة الأخيار والعلماء الأبرار من أتباع طالوت
[كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله] أي كثيرا
ما غلبت الجماعة القليلة
الجماعة الكثيرة ، بإرادة الله ومشيئته ، فليس النصر
عن كثرة العدد وإنما النصر
من عند الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله مع الصابرين] أي معهم بالحفظ والرعاية
والتأييد ، ومن كان الله معه فهو
منصور بحول الله
[ولما برزوا لجالوت وجنوده] أي ظهروا في الفضاء
المتسع وجها لوجه ، أمام ذلك
الجيش الجرار ، جيش (جالوت) المدرب على الحروب
[قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا] دعوا الله ضارعين إليه
بثلاث دعوات تفيد إدراك
أسباب النصر فقالوا أولا : ربنا أفض علينا صبرا
يعمنا في جمعنا وفي خاصة نفوسنا
لنقوى على أعدائك
[وثبت أقدامنا] أي ثبتنا في ميدان الحرب ولا تجعل
للفرار سبيلا إلى قلوبنا وهي
الدعوة الثانية
[وانصرنا على القوم الكافرين] أي انصرنا على من
كفر بك وكذب رسلك ، وهم جالوت
وجنوده وهي الدعوة الثالثة !! قال تعالى إخباراً عنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فهزموهم بإذن الله] أي هزموا جيش جالوت بنصر الله وتأييده إجابة لدعائهم

وانكسر عدوهم رغم كثرته

[وقتل داود جالوت] أي وقتل داود – وكان في جيش المؤمنين مع طالوت – رأس الطغيان جالوت واندحر جيشه [وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء] أي أعطى الله تعالى (داود) الملك والنبوة ، وعلمه ما يشاء من العلم النافع الذي أفاضه عليه ، قال ابن كثير : كان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ، ويشركه في أمره ، فوفى له ، ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة

العظيمة

[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض]

أي لولا أن يدفع الله شر

الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة ، لأن الشر إن غلب كان الخراب والدمار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن الله ذو فضل على العالمين] أي ذو تفضل
وإنعام على البشر ، حيث لم يمكن
للشر من الاستعلاء
[تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق] أي ما قصصنا
عليك يا محمد من الأمور
الغريبة ، والقصص العجيبة التى وقعت في بني
إسرائيل ، هي من آيات الله وأخباره
المغيبة ، التي أوحاها إليك بالحق بواسطة جبريل
الأمين
[وإنك لمن المرسلين] أي وإنك يا محمد لمن جملة
الرسل ، الذين أرسلهم الله لتبليغ
دعوة الله عز وجل للناس.!
البلاغة :
1- قال أبو حيان : تضمنت الآية الكريمة من ضروب
البلاغة وصنوف البيان أمورا
كثيرة منها الاستفهام الذي أجري مجرى التعجب في
قوله [ألم تر إلى الذين] والحذف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين [موتوا ثم أحياهم] أي " فماتوا " ثم أحياهم ، والطباق في قوله [موتوا] و[أحياهم] وكذلك في قوله [يقبض] و[يبسط] والتكرار في قوله [فضل على الناس] و

[ولكن أكثر الناس] والالتفات في [وقاتلوا في سبيل الله] والتشبيه بدون الأداة

في قوله [قرضا حسنا] شبه قبوله تعالى إنفاق العبد في سبيله بالقرض الحقيقي

فأطلق اسم القرض عليه ، والتجنيس المغاير في قوله [فيضاعفه] وقوله [أضعافا]

2- [أفرغ علينا صبرا] فيه استعارة تمثيلية ، فقد شبه حالهم والله تعالى يفيض

عليهم الصبر ، بحال الماء يصب ويفرغ على الجسم فيعمه كله ، ظاهره وباطنه فيلقي في

القلب برداً وسلاماً ، وهدوءاً واطمئناناً.

الفوائد :

الأولى : أسند الاستقراض إلى الله في قوله [من ذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يقرض الله] وهو المنزه عن
الحاجات ، ترغيبا في الصدقة ، كما أضاف الإحسان
إلى المريض والجائع والعطشان ، إلى
نفسه تعالى في قوله جل وعلا في الحديث القدسي
[ابن آدم مرضت فلم تعدني] و
(استطعمتك فلم تطعمني) و(استسقيتك فلم تسقني)
تعظيما وتفخيما لشأن الإحسان
للعباد.

الثانية : روي أنه لما نزلت الآية الكريمة جاء " أبو
الدحداح الانصاري " إلى رسول
الله (ص) فقال يا رسول الله : وإن الله ليريد منا
القرض ؟ قال : نعم يا أبا
الدحداح! قال : أرني يدك يا رسول الله ، فناوله يده
قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي
– أي بستاني وكان فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه
وعيالها – فجاء أبو الدحداح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنادها : يا أم الدحداح قالت : لبيك ، قال : أخرجي فقد
أقرضته ربي عز وجل ، وفي
رواية قالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح وخرجت منه
مع عيالها.
الثالثة : قال البقاعي : ولعل ختام أخبار بني إسرائيل
بهذه القصة ، لما فيها النبي
(ص) من واضح الدلالة على صحة رسالته ، لأنها مما
لا يعلمه إلا القليل من حذاق
علماء بني إسرائيل..
قال الله تعالى : [تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض .. إلى .. والكافرون هم
الظالمون] من آية (253) إلى نهاية آية (254).
المناسبة :
لما ذكر تعالى في الآيات السابقة اصطفاء طالوت على
بني إسرائيل ، وتفضيل داود
عليهم بالملك والنبوة ، ذكر في هذه الآية أن المرسلين
ليسوا في درجة واحدة ، بل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعضهم أفضل من بعض كما يكون التفاضل بين
البشر.
اللغة :
[درجات] جمع درجة وهي المنزلة الرفيعة السامية
[البينات] المعجزات
[وأيدناه] قويناه من التأييد بمعنى التقوية
[روح القدس] القدس : الطهارة ، وروح القدس "
جبريل " عليه السلام وقد تقدم
[خلة] الخلة : الصداقة والمودة سميت بذلك لأنها
تتخلل الجسد
[شفاعة] مأخوذة من الشفع بمعنى الضم ، والشفاعة
الانضمام إلى آخر ناصرا له
وسائلا عونه.
التفسير :
[تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض] أي أولئك
الرسل الكرام الذين قصصنا عليك من
أنبائهم يا محمد ، هم رسل الله حقا ، وقد فضلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعضهم على بعض ، في الرفعة
والمنزلة والمراتب العالية
[منهم من كلم الله] أي منهم من خصه الله بالتكليم بلا
واسطة كموسى عليه السلام
[ورفع بعضهم درجات] أي ومنهم من خصه الله
بالمرتبة الرفيعة السامية كخاتم
المرسلين (محمد) (ص) فهو سيد الأولين والآخرين في
الدنيا والآخرة ، وكأبي
الأنبياء إبراهيم الخليل
[وآتينا عيسى ابن مريم البينات] أي ومنهم من أعطاه
الله المعجزات الباهرات ،
كإحياء الموتى ، وإبراء الأعمى والأبرص ، والإخبار
عن المغيبات
[وأيدناه بروح القدس] أي قويناه بجبريل الأمين وهو
" عيسى ابن مريم "
[ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما
جاءتهم البيانات] أي لو أراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ما اقتتل الأمم الذين جاءوا بعد الرسل ، من بعد
الحجج الباهرة والبراهين
الساطعة التي جاءتهم بها رسلهم ، فلو شاء الله ما
تنازعوا ولا اختلفوا ولا
تقاتلوا ، ولجعلهم متفقين على اتباع الرسل ، كما أن
الرسل متفقون على كلمة الحق
[ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر] أي
ولكن الله لم يشأ هدايتهم بسبب
اختلافهم في الدين ، وتشعب مذاهبهم وأهوائهم ، فمنهم
من ثبت على الإيمان ، ومنهم
من حاد وكفر
[ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد] أي
لو شاء الله جل وعلا لجعل
البشر على طبيعة الملائكة ، لا يتنازعون ولا يقتتلون
، ولكن الله حكيم يفعل ما
فيه المصلحة ، وكل ذلك عن قضاء الله وقدره ، فهو
الفعال لما يريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم] أي أنفقوا في
سبيل الله من مال الله
الذي منحكم إياه ، ادفعوا الزكاة ، وأنفقوا في وجوه
الخير والبر والصالحات
[من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة]
أي من قبل مجيء ذلك اليوم
الرهيب ، الذي لا تستطيعون أن تفتدوا منه نفوسكم
بمال تقدمونه فيكون كالبيع ، ولا
تجدون صديقا يدفع عنكم العذاب ، ولا شفيعاً لكم ليحط
عنكم من سيئاتكم ، إلا أن
يأذن الله رب العالمين
[والكافرون هم الظالمون] أي لا أحد أظلم ممن وافى
الله يومئذ كافرا ، والكافر
بالله هو الظالم المعتدي ، الذي يستحق العقاب ، لأنه
ظلم نفسه بالكفر.
البلاغة :
1- [تلك الرسل] الإشارة بالبعيد " تلك " لبعد مرتبتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الكمال.

2- [منهم من كلم الله..] الآية تفصيل لذلك التفضيل ويسمى هذا في البلاغة :

التقسيم ، وكذلك في قوله : [فمنهم من آمن ومنهم من كفر] وبين لفظ " آمن " و " كفر "

طباق.

3- الإطناب وذلك في قوله [ولو شاء الله ما اقتتلوا] حيث كرر جملة [ولو شاء

الله] .

4- [والكافرون هم الظالمون] فيه قصر الصفة على الموصوف ، وقد أكدت بالجملة

الأسمية وبضمير الفصل ، فكأن الظلم قاصر عليهم لا يجاوزهم إلى غيرهم.

فائدة :

روي عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذي قال [والكافرون هم الظالمون] ولم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقل " والظالمون هم الكافرون " ومراده أنه لو نزل
هكذا لكان قد حكم على كل ظالم
بالكفر ، فلم يخلص منه إلا من عصمه الله تعالى.
تنبيه :
يحتمل أن يراد بالكفر المعنى الحقيقي أو المجازي
فيكون المراد بالكافر تارك
الزكاة ، كما ذهب إليه الزمخشري حيث قال أراد
والتاركون للزكاة هم الظالمون ،
وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في آية الحج [ومن
كفر] مكان [ومن لم يحج]
ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله
تعالى [وويل للمشركين الذين لا
يؤتون الزكاة] .
قال الله تعالى : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم..
إلى .. أولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون] من آية (255) إلى نهاية آية
(257).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، وبين أن الخلائق قد اختلفوا من بعدهم ، وتنازعوا وتقاتلوا بسبب الدين ، ذكر أن هذا التفضيل بين الأنبياء لا يستدعي الصراع بين الأتباع ، ولا الخصام والنزاع ، فالرسل صلوات الله عليم وإن كانوا متفاوتين في الفضل ، إلا أنهم جميعا جاءوا بدعوة واحدة هي (دعوة التوحيد) فرسالتهم واحدة ، ودينهم واحد ، وانه لا إكراه في الدين ، فقد سطع نور الحق وأشرق ضياؤه.

اللغة :

[الحي] ذو الحياة الكاملة ومعناه الباقي الدائم الذي لا سبيل للفناء عليه

[القيوم] القائم بتدبير الخلق

[سنة] بكسر السين النعاس ، وهو ما يسبق النوم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتور قال الشاعر :

وسنان أقعده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

[يؤوده] يثقله ويتعبه

[العلي] المراد علو المنزلة والشأن ، الذي تعالى في جلاله ، وعظم في سلطانه

[إكراه] الإكراه : حمل الشخص على ما يكره بطريق القسر والجبر

[الطاغوت] من الطغيان وهو كل ما يطغي الإنسان ويضله عن طريق الحق والهدى

[الوثقى] مؤنث الأوثق وهو الشيء المحكم الموثق

[انفصام] الانفصام : الانكسار ، قال الفراء : الانفصام والانقصام لغتان وبالفاء

أفصح وقال بعضهم : الفصم : انكسار بغير بينونة ، والقصم : انكسار ببينونة.

سبب النزول :

كان لرجل من الأنصار ابنان تنصرا قبل بعثة النبي (ص) ثم قدما المدينة في نفر من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التجار يحملون الزيت ، فلزمهما أبوهما وقال : لا
أدعكما حتى تسلما ، فنزلت [لا
إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي] . ((وهذه
الرواية ذكرها ابن كثير عن
ابن جرير الطبري ، والآية منسوخة بآية القتال لقوله
تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون)
)) الآية ، فبين تعالى أنه لا يجبر أحد بالكره على
الإيمان ، لأن الحق واضح.

التفسير :

[الله لا إله إلا هو الحي القيوم] أي هو الله جل جلاله
الواحد الأحد الفرد
الصمد ، ذو الحياة الكاملة ، الباقي الدائم الذي لا يموت
، القائم على تدبير شؤون
الخلق ، بالرعاية والحفظ والتدبير
[لا تأخذه سنة ولا نوم] أي لا يأخذه نعاس ولا نوم ،
كما ورد في الحديث الصحيح :
" إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرفعه "

[له ما في السموات وما في الأرض] أي جميع ما في السموات والأرض ملكه وعبيده ، وتحت قهره وسلطانه

[من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه] أي لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له الله تعالى ، قال ابن كثير : وهذا بيان لعظمه وجلاله وكبريائه بحيث لا يتجاسر أحد على الشفاعة إلا بإذن المولى

[يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] أي يعلم ما هو حاضر مشاهد لهم وهو (الدنيا)

[وما خلفهم] أي أمامهم وهو (الآخرة) ، فقد أحاط علمه بالكائنات والعوالم

[ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء] أي لا يعلمون شيئا من معلوماته إلا بما أعلمهم إياه على ألسنة الرسل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسع كرسيه السموات والأرض] أي أحاط كرسيه بالسموات والأرض لبسطته وسعته ،
والسموات السبع والأرضون بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة ، وروي عن ابن عباس
[وسع كرسيه] قال : علمه بدلالة قوله تعالى [ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما] فأخبر
أن علمه وسع كل شيء ((قال ابن جرير : وقول ابن عباس هذا يدل على صحته ظاهر
القرآن ، ولأن أصل الكرسي العلم ، ومنه يقال للعلماء كراسي لأنهم المعتمد عليهم ،
كما يقال أوتاد الأرض انتهى ، والصحيح ما قاله ابن كثير أن الكرسي خلق من
مخلوقات الله عظيم غير العرش)). وقال الحسن البصري : الكرسي هو العرش ، قال ابن
كثير : والصحيح أن الكرسي غير العرش ، وأن العرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار
والأخبار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم] أي لا يثقله
ولا يعجزه حفظ السموات والأرض
ومن فيهما ، وهو العلي فوق خلقه ذو العظمة والجلال
كقوله [وهو الكبير المتعال]
[لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي] أي لا
إجبار ولا إكراه لأحد على
الدخول في دين الإسلام ، فقد بان ووضح الحق من
الباطل والهدى من الضلال
[فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
والوثقى] أي من كفر بما
يعبد من غير الله ، كالشيطان والأوثان ، وآمن بالله فقد
تمسك من الدين بأقوى سبب
[لا انفصام لها] أي لا انقطاع لها ولا زوال
[والله سميع عليم] أي سميع لأقوال عباده ، عليم
بأفعالهم
[الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى
النور] أي الله ناصر المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحافظهم ومتولي أمورهم ، يخرجهم من ظلمات الكفر
والضلالة ، إلى نور الإيمان
والهداية
[والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور إلى الظلمات] أي وأما
الكافرون فأولياؤهم الشياطين ، يخرجونهم من نور
اليقين والإيمان ، إلى ظلمات الشك
والضلال
[أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي ماكثون
في نار جهنم لا يخرجون منها
أبدا.
البلاغة :
1- في آية الكرسي أنواع من الفصاحة وعلم البيان
منها (حسن الافتتاح) ، لأنها
افتتحت بأجل أسماء الله تعالى ، و(تكرار اسمه تعالى)
ظاهرا ومضمرا في ثمانية عشر
موضعا ، و(الإطناب) بتكرير الصفات ، و(قطع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمل) حيث لم يصلها بحرف العطف ،
و(الطباق) في قوله : [ما بين أيديهم وما خلفهم] أفاده
صاحب البحر المحيط.
2- [استمسك بالعروة الوثقى] استعارة تمثيلية حيث
شبه المستمسك بدين الإسلام
بالمستمسك بالحبل المحكم ، وعدم الانفصام ترشيح
لهذه الاستعارة.
3- [من الظلمات إلى النور] استعارة تصريحية حيث
شبه الكفر بالظلمات ، والإيمان
بالنور ، قال في تلخيص البيان : وذلك من أحسن
التشبيهات ، لأن الكفر كالظلمة التى
يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد ، والإيمان كالنور
الذي يؤمه الجائر ويهتدي به
الحائر ، وعاقبة الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب ،
وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم
والعذاب.
فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفرد النور وجمع الظلمات ، لأن الحق واحد لا يتعدد ، وأما طرق الضلال فكثيرة
ومتشعبة ، وكثيرا ما يأتي في القرآن كقوله تعالى [وجعل الظلمات والنور] .

تنبيه :

آية الكرسي لها شأن عظيم وقد صح الحديث عن رسول الله (ص) بأنها أفضل آية في
كتاب الله وفيها اسم الله الأعظم كما جاء في الحديث الشريف : " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث : سورة البقرة ، وآل عمران ، وطه " قال هشام : أما البقرة فقوله [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] وفي آل عمران [ألم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم] وفي طه [وعنت الوجوه للحي القيوم] قال ابن كثير : وقد اشتملت على عشر جمل مستقلة ، متعلقة بالذات الإلهية وفيها تمجيد الواحد الأحد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه.. إلى .. يأتينك سعيا

واعلم أن الله عزيز حكيم] من آية (258) إلى نهاية آية (260).

المناسبة :

لما ذكر تعالى الإيمان بالله وصفاته القدسية العلية ، وذكر ولايته للمؤمنين ،

وولاية الطاغوت للكافرين ، ذكر هنا نموذجا عن تحكم الطغيان في نفوس الكفرة

المعاندين ، ومجادلتهم في وحدانية الله ، فذكر هنا قصصا ثلاثة ، الأولى في بيان

إثبات الخالق الحكيم والثانية والثالثة في إثبات الحشر ، والبعث بعد الفناء.

اللغة :

[حاج] المحاجة : المغالبة يقال : حاججته فحججته ، وحاجة أي بادلة الحجة

[فبهت] انقطع وسكت متحيرا ، قال العذري :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما هو ألا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب.

[خاوية] ساقطة

[عروشها] العرش : سقف البيت ، وكل ما يهيأ ليظل أو يكن فهو عريش

[يتسنه] يتغير ويتبدل ، من تسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون وغيرتها

[ننشزها] نركب بعضها فوق بعض ، من النشاز وهو الرفع يقال لما ارتفع من الأرض نشز ومنه نشوز المرأة

[فصرهن] ضمهن إليك ثم اقطعهن ، من صار الشيء يصوره : إذا قطعه.

التفسير :

[ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه] تعجيب للسامع من أمر هذا الكافر ، المجادل في قدرة الله ، أي ألم ينته علمك إلى ذلك المارد وهو " النمروذ بن كنعان " الذي جادل إبراهيم في وجود الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن آتاه الله الملك] أي لأن آتاه الله الملك ، حيث
حمله بطره بنعم الله ، على
إنكار وجود الله ، فقابل الجود والإحسان ، بالكفر
والطغيان
[إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت] أي حين قال
له إبراهيم مستدلا على وجود
الله : إن ربي هو الذي يخلق الحياة والموت في
الأجساد فهو وحده رب العالمين
[قال أنا أحيي وأميت] أي قال ذلك الطاغية : وأنا
أيضا أحيي وأميت ، روي أنه دعا
برجلين حكم عليهما بالإعدام ، فأمر بقتل أحدهما
فقال : هذا قتلته ، وأمر بإطلاق
الآخر وقال : هذا أحييته ، ولما رأى الخليل حماقته
ومشاغبته في الدليل ، عدل إلى
دليل آخر أجدى وأروع وأشد إفحاما
[قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت
بها من المغرب] أي إذا كنت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدعي الألوهية وأنك تحيي وتميت كما يفعل رب

العالمين جل جلاله ، فهذه الشمس تطلع

كل يوم من المشرق بأمر الله ومشيئته ، فأطلعها من

المغرب بقدرتك وسلطانك ولو مرة

واحدة

[فبهت الذي كفر] أي أخرس ذلك الفاجر بالحجة

القاطعة ، وأصبح مبهوتاً دهشا لا

يستطيع الجواب

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أي لا يلهمهم الحجة

والبيان في مقام المناظرة

والبرهان ، بخلاف أوليائه المتقين

[أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها]

وهذه هي القصة الثانية وهي مثل

لمن أراد الله هدايته ، والمعنى : ألم ينته إلى علمك

كذلك مثل الذي مر على قرية ،

وقد سقطت جدرانها على سقوفها ، وهي قرية (بيت

المقدس) لما خربها بختنصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال أني يحيي هذه الله بعد موتها] أي قال ذلك الرجل الصالح واسمه " عزير " على
الرأي الأشهر : كيف يحي الله هذه البلدة بعد خرابها ودمارها ؟ قال ذلك استعظاما
لقدرة الله تعالى وتعجباً من حال تلك المدينة ، وما هي عليه من الخراب والدمار ،
وكان راكباً على حماره حينما مر عليها

[فأماته الله مائة عام ثم بعثه] أي أمات الله ذلك السائل ، واستمر ميتاً مائة
سنة ، ثم أحياه الله ليريه كمال قدرته

[قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم] أي قال له ربه بواسطة الملك : كم مكثت
في هذه الحال ؟ قال يوما ، ثم نظر حوله فرأى الشمس باقية لم تغب فقال : أو بعض يوم
أي أقل من يوم ، فخاطبه ربه بقوله

[قال بل لبثت مائة عام] أي بل مكثت ميتاً مائة سنة كاملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه] أي إن شككت
فانظر إلى طعامك لم يتغير بمرور
الزمان ، وكان معه عنب وتين وعصير ، فوجدها
على حالها لم تفسد

[وانظر إلى حمارك] أي كيف تفرقت عظامه
ونخرت وصار هيكلا من البلى
[ولنجعلك آية للناس] أي فعلنا ما فعلنا لتدرك قدرة
الله سبحانه ، ولنجعلك معجزة
ظاهرة تدل على كمال قدرتنا
[وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما] أي
تأمل في عظام حمارك النخرة ،
كيف نركب بعضها فوق بعض ، وأنت تنظر ، ثم
نكسوها لحما بقدرتنا ؟
[فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير]
أي فلما رأى الآيات الباهرات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : أيقنت وعلمت علم مشاهدة أن الله على كل شيء قدير

[وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى] وهذه هي القصة الثالثة وفيها الدليل

الحسي على الإعادة بعد الفناء ، والمعنى : اذكر حين طلب إبراهيم من ربه أن يريه

كيف يحي الموتى ؟ سأل الخليل عن (الكيفية) مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية ،

فكان يريد أن يعلم بالعيان ما كان يوقن به بالوجدان ، ولهذا خاطبه ربه بقوله

[قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي] أي أو لم تصدق بقدرتي على الإحياء ؟

قال بلى آمنت ، ولكن أردت أن أزداد بصيرة وسكون قلب برؤية ذلك

[قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك] أى خذ أربعة طيور فضمهن اليك ثم اقطعهن ،

ثم اخلط بعضهن ببيعض ، حتى يصبحن كتلة واحدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا] أى فرق
أجزاءهن على رءوس الجبال
[ثم ادعهن يأتينك سعيا] أي نادهن يأتينك مسرعات ،
قال مجاهد : كانت (طاووسا ،
وغرابا ، وحمامة ، وديكا) ، فذبحهن ثم فعل بهن ما
فعل ، ثم دعاهن فأتين مسرعات
[واعلم أن الله عزيز حكيم] أي لا يعجزه شيء عما
يريده ، حكيم في تدبيره وصنعه.
قال المفسرون : ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بعضهن
ببعض حتى اختلط ريشها ودماؤها
ولحومها ، ثم أمسك برءوسها عنده وجزأها أجزاء
على الجبال ، ثم دعاهن كما أمره
تعالى ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ،
والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ،
حتى عادت طيرا كما كانت وأتينه يمشين ليكون أبلغ
له في الرؤية لما سأل. ذكره
ابن كثير في تفسيره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1- [ألم تر] الرؤية قلبية والاستفهام للتعجيب أي ألم تعلم وتوقن.

2- [يحيي ويميت] التعبير بالمضارع يفيد التجدد والاستمرار ، والصيغة تفيد القصر

[ربي الذي يحيي ويميت] لأن المبتدأ والخبر وردا معرفتين والمعنى أنه وحده

سبحانه هو الذي يحيي ويميت ، وبين كلمتي " يحيي " و " يميت " طباق وهو من المحسنات

البديعية وكذلك بين لفظ " المشرق " و " المغرب " .

3- [فبهت الذي كفر] التعبير بالنص السامي يشعر بالعلة ، وأن سبب الحيرة هو كفره ،

ولو قال : فبهت الكافر لما أفاد ذلك المعنى الدقيق.

4- [أني يحيي هذه الله بعد موتها] موت القرية هو (موت السكان) فهو من قبيل

إطلاق المحل وإرادة الحال ، ويسمى " المجاز المرسل " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5- [ثم نكسوها لحما] نسترها به كما يستر الجسد
باللباس ، قال أبو حيان : الكسوة
حقيقة هي ما وراء الجسد من الثياب ، واستعارها هنا
لما أنشأ من اللحم الذي غطى
العظم وهي استعارة في غاية الحسن.

الفوائد :

الأولى : قال مجاهد : ملك الدنيا مشارقها ومغاربها
أربعة : مؤمنان ، وكافران ،
فالمؤمنان : " سليمان بن داود " و " ذو القرنين "
والكافران " النمرود " و " بختنصر "
الذي خرب بيت المقدس.

الثانية : لما رأى الخليل تجاهل الطاغية معنى (الحياة
والموت) وسلوكه التلبيس
والتمويه على الرعاع ، وكان بطلان جوابه من الجلاء
بحيث لا يخفى على أحد ، انتقل
إبراهيم إلى حجة أخرى ، لا تجري فيها المغالطة ،
ولا يتيسر للطاغية أن يخرج عنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمكابرة أو مشاغبة فقال [إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب]
فلوى خليل الله عنق الكافر ، حتى أراه عجزه وأخرس لسانه!!.
الثالثة : سؤال الخليل ربه بقوله [كيف تحي الموتى] ليس عن شك في قدرة الله ،

ولكنه سؤال عن (كيفية الإحياء) ، ويدل عليه وروده بصيغة [كيف] وموضوعها السؤال
عن الحال ، ويؤيد المعنى قول النبى (ص) (نحن أحق بالشك من إبراهيم) ومعناه : ونحن
لم نشك ، فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى!!.
قال الله تعالى : [مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله.. إلى .. وما يذكر إلا
أولوا الألباب] من آية (261) إلى نهاية آية (269).
المناسبة :
لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أن الناس فريقان :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولياء الله ، وأولياء الطاغوت ، ثم أعقبه بذكر نموذجا للإيمان ونموذج للطغيان ، ذكر هنا ما يرغب المؤمن في الإنفاق في سبيل الله ، وبخاصة في أمر الجهاد لأعداء الله ، لأن ميادين الجهاد ثلاثة : أولها الإقناع بالحجة والبرهان ، وثانيها الجهاد بالنفس ، وثالثها الجهاد بالمال ، فلما ذكر فيما سبق جهاد الدعوة ، وجهاد النفس ، شرع الآن في ذكر الجهاد بالمال.

اللغة :

[المن] أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه ، وأن يذكره النعمة على سبيل التطاول

والتفضل ، قال الشاعر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان

[رئاء الناس] أي لا يريد بإنفاقه رضى الله وإنما يريد ثناء الناس ، وأصله من

(الرؤية) وهو أن يرى الناس ما يفعله حتى يثنوا عليه ويعظموه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[صفوان] الصفوان : الحجر الأملس الكبير ، قال الأخفش : وهو جمع ، واحده صفوانة
وقيل : هو اسم جنس كالحجر

[وابل] الوابل : المطر الشديد

[صلدا] الصلد : الأملس من الحجارة وهو كل ما لا ينبت شيئا ، ومنه جبين أصلد

[بربوة] الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، يقال : ربوة ورابية وأصله من ربا
الشيء إذا زاد وارتفع

[طل] الطل المطر الخفيف الذي تكون قطراته صغيرة ، وقال قوم منهم مجاهد : الطل
الندى

[وإعصار] الإعصار : الريح الشديدة التى تهب من الأرض ، وترتفع إلى السماء
كالعمود ، ويقال لها : الزوبعة

[تيمموا] تقصدوا

[تغمضوا] من أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه وهذا كالإغضاء عند المكروه.

سبب النزول :

نزلت في " عثمان بن عفان " و " عبد الرحمن بن عوف " في غزوة تبوك ، حيث جهز (عثمان) ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدي رسول الله (ص) ألف دينار ، فصار رسول الله (ص) يقلبها ويقول : ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، وأتى (عبد الرحمن بن عوف) النبى (ص) بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله : كان عندى ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسى ولعيالى أربعة آلاف ، وأربعة آلاف أقرضتها ربي ، فقال له رسول الله (ص) : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ، فنزلت فيهما الآية [مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..] الآية. ((أخرجه البخاري ، ومعناه كما قال الخطابي : نفي الشك عنهما يقول : إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، فإبراهيم أولى بأن لا يشك!! قال (ص) ذلك على سبيل التواضع والهضم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للنفس)).

التفسير :

[مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل] قال ابن كثير : هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته ، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أي مثل نفقتهم كمثل حبة زرعت فأنبتت سبع سنابل

[في كل سنبلة مائة حبة] أي كل سنبلة منها تحتوي على مائة حبة فتكون الحبة قد
أغلت سبعمائة حبة ، وهذا تمثيل لمضاعفة الأجر لمن أخلص في صدقته ، ولهذا قال
تعالى

[والله يضاعف لمن يشاء] أي يضاعف الأجر لمن أراد على حسب حال المنفق ، من إخلاصه وابتغائه بنفقته وجه الله [والله واسع عليم] أي واسع الفضل ، عليم بنية المنفق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى] أي لا
يقصدون بإنفاقهم إلا وجه الله ، ولا يعقبون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات ،

بالمن على من أحسنوا إليه ، كقوله : قد أحسنت إليك وجبرت حالك ، ولا بالأذى كذكره
لغيره فيؤذيه بذلك
[لهم أجرهم عند ربهم] أي لهم ثواب ما قدموا من الطاعة عند الله
[ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أي لا يعتريهم فزع يوم القيامة ، ولا هم يحزنون
على فائت من زهرة الدنيا
[قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى]
أي رد السائل بالتي هي أحسن والصفح عن إلحاحه ، خير عند الله وأفضل من إعطائه ثم إيذائه ، أو تعييره
بذل السؤال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله غني حليم] أي مستغن عن الخلق حليم لا
يعاجل العقوبة لمن خالف أمره.. ثم
أخبر تعالى عما يبطل الصدقة ويضيع ثوابها فقال
[يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى]
أي لا تحبطوا أجرها بالمن والأذى
[كالذي ينفق ماله رئاء الناس] أي كالمرائي الذي
يبطل إنفاقه بالرياء
[ولا يؤمن بالله واليوم الآخر] أي لا يصدق بلقاء الله
حتى يرجو ثوابا أو يخشى
عقابا
[فمثله كمثل صفوان عليه تراب] أي مثل ذلك
المرائى بإنفاقه ، كمثل الحجر الأملس
الذي عليه شيء من التراب ، يظنه الظان أرضا طيبة
منبتة
[فأصابه وابل فتركه صلدا] أي فإذا أصابه مطر
شديد أذهب عنه التراب ، فيبقى صلدا
أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا ، كذلك هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنافق يظن أن له أعمالا صالحة ،
فإذا كان يوم القيامة ، اضمحلت وذهبت ولهذا قال
تعالى
[لا يقدرون على شيء مما كسبوا] أي لا يجدون له
ثوابا في الآخرة ، فلا ينتفع بشيء
منها أصلا
[والله لا يهدي القوم الكافرين] أي لا يهديهم إلى
طريق الخير والرشاد.. ثم ضرب
تعالى مثلا آخر للمؤمن المنفق ماله ابتغاء مرضات الله
فقال
[ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من أنفسهم] أي ينفقونها
طلبا لمرضاته ، وتصديقا بلقائه ، وتحقيقا للثواب عليه
[كمثل جنة بربوة] أي كمثل بستان كثير الشجر
بمكان مرتفع من الأرض ، وخصت بالربوة لحسن
شجرها وزكاء ثمرها
[أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين] أي أصابها مطر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غزير ، فأخرجت ثمارها جنية
مضاعفة ، ضعفي ثمر غيرها من الأرض
[فإن لم يصبها وابل فطل] أي فإن لم ينزل عليها
المطر الغزير ، فيكفيها المطر
الخفيف ، أو يكفيها الندى ، لجودتها وكرم منبتها ،
ولطافة هوائها فهي تنتج على كل
حال [والله بما تعملون بصير] أي لا يخفى عليه شيء
من أعمال العباد
[أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب] أي
أيحب أحدكم أن تكون له حديقة
غناء ، فيها من أنواع النخيل والأعناب والثمار الشيء
الكثير ؟
[تجري من تحتها الأنهار] أي تمر الأنهار من تحت
أشجارها
[له فيها من كل الثمرات] أي ينبت له فيها جميع
الثمار ومن كل زوج بهيج
[وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء] أي أصابته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشيخوخة فضعف عن الكسب ، وله أولاد
صغار لا يقدرون على الكسب
[فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت] أي أصاب تلك
الحقيقة ريح عاصفة شديدة معها
نار ، فأحرقت الثمار والأشجار ، أحوج ما يكون
الإنسان إليها ؟
[كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون] أي مثل
هذا البيان الواضح في هذا المثل الرائع المحكم ، يبين
الله لكم آياته في كتابه الحكيم ، لكي تتفكروا وتتدبروا
بما فيها من العبر والعظات
[يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم] أي
أنفقوا من الحلال الطيب من
المال الذي كسبتموه
[ومما أخرجنا لكم من الأرض] أي ومن طيبات ما
أخرجنا لكم من الحبوب والثمار
[ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون] أي ولا تقصدوا
الرديء الخسيس فتتصدقوا منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه] أي لستم تقبلونه أنتم لو أعطيتموه ، إلا إذا
تساهلتم وأغمضتم البصر ، فكيف تؤدون منه حق الله!!
[واعلموا أن الله غني حميد] أي أنه سبحانه غني عن نفقاتكم ، حميد يجازي المحسن
أفضل الجزاء.. ثم حذر تعالى من وسوسة الشيطان فقال

[الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء] أي الشيطان يخوفكم من الفقر إن تصدقتم ،
ويغريكم بالبخل ومنع الزكاة
[والله يعدكم مغفرة منه وفضلا] أي وهو سبحانه يعدكم على إنفاقكم في سبيله مغرفة
للذنوب ، وخلفا لما أنفقتموه زائدا عن الأصل
[والله واسع عليم] أي واسع الفضل والعطاء ، عليم بمن يستحق الثناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يؤتي الحكمة من يشاء] أي يعطي العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح من شاء من عباده

[ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا] أي من أعطي الحكمة فقد أعطي الخير الكثير ، لمصير صاحبها إلى السعادة الأبدية

[وما يذكر إلا أولوا الألباب] أي ما يتعظ بأمثال القرآن وحكمه ، إلا أصحاب العقول النيرة الخالصة من الهوى.

البلاغة :

1- [كمثل حبة] شبه سبحانه الصدقة التى تنفق في سبيله بحبة زرعت وباركها المولى ، فأصبحت سبعمائة حبة ، ففيه تشبيه " مرسل مجمل " لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه ، قال أبو حيان : وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر.

2- [أنبتت سبع سنابل] إسناد الإنبات إلى الحبة إسناد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجازي ، ويسمى " المجاز
العقلي " لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى لا الحبة
، ولا الأرض.
3- [منا ولا أذى] من باب ذكر العام بعد الخاص ،
لإفادة الشمول لأن الأذى يشمل
المن.
4- [كمثل صفوات عليه تراب] فيه تشبيه يسمى "
تشبيها تمثيليا " لأن وجه الشبه
منتزع من متعدد ، وكذلك يوجد تشبيه تمثيلي في قوله
[كمثل جنة بربوة]
5- [أيود أحدكم أن تكون له جنة..] الآية ، لم يذكر
المشبه ولا أداة التشبيه وهذا
النوع يسميه علماء البلاغة " استعارة تمثيلية " وهي
تشبيه حال بحال لم يذكر فيه
سوى المشبه به فقط ، وقامت قرائن تدل على إرادة
التشبيه ، والهمزة للاستفهام
والمعنى على التبعيد والنفي أي ما يود أحد ذلك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- [تغمضوا فيه] المراد به هنا التجاوز والمساهلة ، لأن الإنسان إذا رأى ما يكره
أغمض عينيه لئلا يرى ذلك ، ففي الكلام استعارة لطيفة.

الفوائد :

الأولى : قال الزمخشري : المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ، وفي نوابغ الكلم
" صنوان من منح سائله ومن ، ومن منع نائله وضن " ، وقال الشاعر :

وإن امرءا أسدى إلى صنيعة وذكر فيها مرة للئيم

الثانية : المطر أوله رش ، ثم طش ، ثم طل ، ثم نضح ، ثم هطل ، ثم وابل ، والمطر
الوابل : الشديد الغزير.

الثالثة : قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبى (ص) : " فيمن ترون هذه الآية نزلت
[أيود أحدكم أن تكون له جنة] ؟ قالوا : الله أعلم !!
فغضب عمر فقال : قولوا نعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا
أمير المؤمنين ، فقال عمر : يا
ابن أخي قل ، ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس :
ضربت مثلا بعمل لرجل غني يعمل بطاعة
الله ، ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق
أعماله " أخرجه البخاري.

الرابعة : قال الحسن البصرى : (هذا مثل قل والله من
يعقله : شيخ كبير ، ضعف جسمه ،
وكثر صبيانه ، أفقر ما كان إلى جنته ، فجاءها
الإعصار فأحرقها ، وإن أحدكم والله
أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا) .

قال الله تعالى : [وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من
نذر.. إلى .. ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون] من آية (270) إلى نهاية آية
(274).

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن الإنفاق في وجوه البر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والخير ، وأعلاها الجهاد في سبيل
الله ، والإنفاق لإعلاء كلمته ، وترغب في إخفاء
الصدقات ، لأنها أبعد عن الرياء ،
فوجه المناسبة ظاهر.

اللغة :

[فنعما] أصلها " نعم ما " أدغمت الميمان فصارت
نعما ، قال الزجاج : أي نعم الشيء
هو ، [أحصروا] الحصر : الحبس أي حبسوا أنفسهم
على الجهاد ، وقد تقدم معنى الحصر
[التعفف] من العفة يقال : عف عن الشيء أمسك عنه
وتنزه عن طلبه والمراد التعفف عن السؤال

[بسيماهم] السيما العلامة التي يعرف بها الشيء ،
ويقال : سيمياء كالكيمياء ،
وأصلها من السمة بمعنى العلامة ، قال تعالى
[سيماهم في وجوههم من أثر السجود]
[إلحافا] الإلحاف : الإلحاح في السؤال يقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألحف : إذا ألح ولج في السؤال
والطلب.
سبب النزول :
عن سعيد بن جبير أن المسلمين كانوا يتصدقون على
فقراء أهل الذمة ، فلما كثر
فقراء المسلمين قال رسول الله (ص) " لا تتصدقوا إلا
على أهل دينكم " فنزلت هذه
الآية [ليس عليك هداهم] مبيحة للصدقة على من ليس
من دين الإسلام. ((والرواية
أخرجها ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير 331/1
والمراد بالصدقة هنا (الصدقة
النافلة) ، وأما الزكاة فلا تجوز إلا للمسلمين)).
التفسير :
[وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه]
أي ما بذلتم أيها
المؤمنون من مال ، أو نذرتم من شيء في سبيل الله ،
فإن الله يعلمه ويجازيكم عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما للظالمين من أنصار] أي وليس لمن منع الزكاة
أو صرف المال في معاصي الله ،
من معين أو نصير ينصرهم من عذاب الله
[إن تبدوا الصدقات فنعما هي] أي إن تظهروا
صدقاتكم فنعم هذا الشيء الذي تفعلونه
[وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم] أي وإن
تخفوها وتدفعوها للفقراء فهو
أفضل لكم لأن ذلك أبعد عن الرياء
[ويكفر عنكم من سيئاتكم] أي يزيل بجميل أعمالكم
سيء آثامكم
[والله بما تعملون خبير] أي هو سبحانه مطلع على
أعمالكم يعلم خفاياكم ، والآية
ترغيب في الإسرار بالصدقة
[ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء] أي ليس
عليك يا محمد أن تهدي الناس ،
فإنك لست بمؤاخذ بجريرة من لم يهتد ، إنما أنت ملزم
بتبليغهم فحسب ، والله يهدي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من شاء من عباده إلى الإسلام

[وما تنفقوا من خير فلأنفسكم] أي أي شيء تنفقونه

من المال ، فهو لأنفسكم لا

ينتفع به غيركم لأن ثوابه لكم

[وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله] خبر بمعنى النهي أي

لا تجعلوا إنفاقكم إلا

لوجه الله ، لا لغرض دنيوي

[وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون] أي

فإن أجره وثوابه أضعافا

مضاعفة تنالونه أنتم ، ولا تنقصون شيئا من حسناتكم

[للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله] أي اجعلوا ما

تنفقونه للفقراء ، الذين

حبسوا أنفسهم للجهاد والغزو في سبيل الله

[لا يستطيعون ضربا في الأرض] أي لا يستطيعون

بسبب الجهاد السفر في الأرض

للتجارة والكسب

[يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف] أي يظنهم الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يعرف حالهم ، أغنياء موسرين
من شدة تعففهم
[تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا] أي تعرف
حالهم أيها المخاطب بعلامتهم ،
من التواضع وأثر الجهد ، وهم مع ذلك لا يسألون
الناس شيئا أصلا ، فلا يقع منهم
إلحاح
[وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم] أي ما أنفقتموه
في وجوه الخير ، فإن الله
يجازيكم عليه أحسن الجزاء
[الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية]
أي الذين ينفقون في سبيل
الله ابتغاء مرضاته ، في جميع الأوقات ، من ليل أو
نهار ، وفي جميع الأحوال من سر
وجهر[فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون] أي لهم ثواب ما أنفقوا ، ولا خوف عليهم
يوم القيامة ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1- [وما أنفقتم من نفقة] بين أنفقتم و " نفقة " جناس يسمى جناس الاشتقاق ، وكذلك

بين نذرتم و " نذر " جناس ، وهو من المحسنات البديعية.

2- [إن تبدوا الصدقات] في الإبداء والإخفاء طباق لفظي ، وكذلك بين لفظ " الليل

والنهار " و " السر والعلانية " وهو من المحسنات البديعية.

3- [وأنتم لا تظلمون] إطناب لورودها بعد قوله [يوف إليكم] الذي معناه يصلكم

وافيا غير منقوص.

فائدة :

قال بعض الحكماء : إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع إليك فانشره ، وأنشدوا :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخفي صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا
قال الله تعالى : [الذين يأكلون الربا لا يقومون..
إلى .. ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون] من آية (275) إلى نهاية آية (281).

المناسبة :

لما أمر تعالى بالإنفاق من طيبات ما كسبوا ، وحض على الصدقة ورغب في الإنفاق في سبيل الله ، ذكر هنا ما يقابل ذلك وهو الربا : الكسب الخبيث ذو الوجه الكالح الطالح ، الذي هو شح وقذارة ودنس ، بينما الصدقة عطاء وسماحة وطهارة ، وقد جاء عرضه مباشرة بعد عرض ذلك الوجه الطيب ، في الإنفاق في سبيل الله ، ليظهر الفارق بجلاء بين الكسب الطيب والكسب الخبيث ، كما قيل : " وبضدها تتميز الأشياء " .

اللغة :

[الربا] لغة : الزيادة يقال : ربا الشيء إذا زاد ومنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الربوة والرابية ، وشرعاً :
زيادة على أصل المال ، يأخذها الدائن من المدين
مقابل الأجل
[يتخبطه] التخبط : الضرب على غير استواء ،
كخبط البعير الأرض بأخفافه ، ويقال للذي
يتصرف ولا يهتدي : خبط في عشواء وتورط في
عمياء ، وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل أوجنون
[المس] الجنون وأصله من المس باليد ، كأن
الشيطان يمس الإنسان فيحصل به الجنون
[سلف] مضى وانقضى ومنه سالف الدهر أي ماضيه
[يمحق] المحق : نقصان الشيء حالا بعد حال ومنه
المحاق في الهلال ، يقال محقه الله
فانمحق وامتحق
[أثيم] كثير الإثم ، وهو المتمادي في الذنوب والآثام.
سبب النزول :
كان لبني (عمرو من ثقيف) ديون ربا على بني
المغيرة فلما حل الأجل أرادوا أن يتقاضوا الربا منهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنزلت الآية [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله..] الآية فقالت ثقيف : لا يد لنا " أي لا طاقة لنا " بحرب الله ورسوله ، وتابوا وأخذوا رءوس أموالهم فقط.

التفسير :

[الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس] أي

الذين يتعاملون بالربا ويمتصون دماء الناس ، لا

يقومون من قبورهم يوم القيامة ،

إلا كما يقوم المصروع من جنونه ، يتعثر ويقع ، ولا

يستطيع أن يمشي سويا ، يقومون

مخبولين كالمصروعين ، تلك سيماهم يعرفون بها عند

الموقف ، هتكا لهم وفضيحة

[ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا] أي ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرمه الله ، وقوله : الربا كالبيع ، فلماذا يكون حراما ؟ قال تعالى ردا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأحل الله البيع وحرم الربا] أي أحل الله البيع لما فيه من تبادل المنافع ،

وحرم الربا لما فيه من الضرر الفادح ، بالفرد والمجتمع ، لأن فيه زيادة مقتطعة من جهد المدين ولحمه ، وهو ظلم صارخ ، فيه تهديم لاقتصاد المجتمع

[فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف] أي من بلغه نهي الله عن الربا

فانتهى عن التعامل به ، فلما ما مضى قبل التحريم

[وأمره إلى الله] أي أمره موكول إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

[ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي ومن عاد إلى التعامل بالربا

واستحله بعد تحريم الله له ، فهو من المخلدين في نار جهنم ، وإنما يخلد في النار ،

لأنه استحل ما حرم الله ، واستحلال الحرام خروج عن الملة وكفر بالله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يمحق الله الربا ويربى الصدقات] أي يذهب ريعه ويمحو خيره وإن كان زيادة في الظاهر ، ويكثر الصدقات وينميها وإن كانت نقصانا في الظاهر

[والله لا يحب كل كفار أثيم] أي لا يحب كل كفور القلب ، أثيم القول والفعل ، وفي الآية تغليظ في أمر الربا ، وإيذان بأنه منه فعل الكفار.. ثم قال تعالى مادحا المؤمنين المطيعين أمره في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي صدقوا بالله وعملوا الصالحات التي من جملتها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

[لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون] أي لهم ثوابهم الكامل في الجنة ، ولا يخافون يوم الفزع الأكبر ، ولا يحزنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على ما فاتهم في الدنيا
[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
إن كنتم مؤمنين] أي
اخشوا ربكم وراقبوه فيما تفعلون ، واتركوا ما لكم من
الربا عند الناس ، إن كنتم
مؤمنين بالله حقا
[فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] أي وإن
لم تتركوا التعامل بالربا ،
فأيقنوا بحرب الله ورسوله لكم ، قال ابن عباس : يقال
لآكل الربا يوم القيامة : خذ
سلاحك للحرب ((تجرأ بعض المفتونين بالجاه
والمنصب ، ممن ينتسب إلى أهل العلم ،
بتحليل (فوائد البنوك) الربوية ، وزعم أنه نوع من
الاستثمار ، وهو تضليل للأمة
خطير ، تحت ستار (الفتوى) وقد باء بالخزي والعار ،
وغضب الجبار ، وقد رددت عليه في رسالة خاصة
بعنوان (جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاجتماعية) ونسأل الله
أن يعصم الأمة ، من فتنة علماء السوء ، الذين حذر
منهم رسول الله (ص) بقوله :
(إنما أخشى على أمتي الأئمة المضلين))!!
[وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا
تظلمون] أي إن رجعتم عن الربا
وتركتموه ، فلكم أصل المال الذي دفعتموه من غير
زيادة ولا نقصان
[وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة] أي إذا كان
المستدين معسرا ، فعليكم أن
تمهلوه إلى وقت اليسر ، لا كما كان أهل الجاهلية
يقول أحدهم لمدينه : إما أن تقضي
وإما أن تربي
[وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون] أي إن
تجاوزتم عما لكم عنده فهو أكرم
وأفضل ، إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل
والأجر العظيم.. ثم حذر تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباده من ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا ينفع فيه إلا
العمل الصالح فقال سبحانه :
[واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون] أي
احذروا يوما سترجعون فيه إلى ربكم ، ثم توفى كل
نفس حسابها وأنتم لا تظلمون ، وقد
ختمت هذه الآيات الكريمة بهذه الآية الجامعة المانعة
التي كانت آخر ما نزل من
القرآن ، وبنزولها انقطع الوحي ، وفيها تذكير العباد
بذلك اليوم العصيب الشديد ،
قال ابن كثير : هذه الآية آخر ما نزل من القرآن
العظيم ، وقد عاش النبى (ص) بعد
نزولها تسع ليال ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى (ص).
البلاغة :
1- [إنما البيع مثل الربا] فيه تشبيه يسمى (التشبيه
المقلوب) وهو أعلى مراتب
التشبيه ، حيث يجعل المشبه مكان المشبه به كقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشاعر : كأن ضياء الشمس غرة
جعفر. والأصل في الآية أن يقال : الربا مثل البيع
ولكنه بلغ من اعتقادهم في حل
الربا أن جعلوه أصلا يقاس عليه فشبهوا به البيع ،
وهذا منتهى الفجور والعدوان.

2- [أحل الله البيع وحرم الربا] بين لفظ " أحل " و "
حرم " طباق ، وكذلك بين لفظ
" يمحق " و " يربي " .

3- [كفار أثيم] صيغة فعال وفعيل للمبالغة فقوله
[كفار أثيم] صيغتان للمبالغة ،
أي عظيم الكفر ، شديد الإثم والعدوان.

4- [فأذنوا بحرب] التنكير للتهويل أي بنوع من
الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من
عند الله ، أفاده أبو السعود.

5- [لا تظلمون ولا تظلمون] فيه من المحسنات
البديعية ما يسمى " الجناس الناقص "
لاختلاف حركات بعض الحروف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- [واتقوا يوما] التنكير للتفخيم والتهويل.

الفوائد :

الأولى عبر بقوله [يأكلون الربا] عن الانتفاع به لأن الأكل هو الغالب في المنافع ، وسواء في ذلك المعطي والآخذ لقول جابر في الحديث الشريف " لعن رسول الله (ص) آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء " .

الثانية : شبه تعالى المرابين بالمصروعين الذين تتخبطهم الشياطين ، وذلك لأن الله
عز وجل أربى فى بطونهم ما أكلوا من الربا ، فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون
ويسقطون ، قال سعيد بن جبير : تلك علامة آكل الربا يوم القيامة.

الثالثة : يقول شهيد الإسلام سيد قطب عليه الرحمة عند هذه الآية [لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس] ما نصه : " إنها الحملة المفزعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتصوير المرعب ، وما كان أي تهديد معنوي ليبلغ
إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة الحية المجسمة ،
صورة الممسوس المصروع ، ولقد مضت معظم
التفاسير على أن المقصود بالقيام في هذه الصورة
المفزعة هو (القيام يوم البعث) ، ولكنها – فيما نرى –
واقعة في هذه الأرض أيضا على البشرية الضالة التى
تتخبط كالممسوس في حكم (النظام
الربوي) ، إن العالم الذي نعيش فيه اليوم هو عالم
القلق والاضراب ، والخوف
والأمراض العصبية والنفسية ، وذلك على الرغم من
كل ما بلغته الحضارة المادية ،
وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي ، ثم هو
عالم الحروب الشاملة ، والتهديد
الدائم بالحروب المبيدة وحرب الأعصاب ،
والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك " .
أقول : هذا قول مقبول ، ورأي حسن.
الرابعة : أخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) قال : " كان رجل يداين
الناس فكان يقول لفتاه ، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه ،
لعل الله أن يتجاوز عنا ،
فلقي الله فتجاوز عنه " .

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين .. إلى .. والله بما تعملون بصير] من آية (282) إلى نهاية آية (283).

المناسبة :

لما ذكر تعالى (الربا) وبين ما فيه من قباحة وشناعة ، لأنه زيادة مقتطعة من عرق المدين ولحمه ، وهو كسب خبيث يمقته الإسلام ويحرمه ، أعقبه بذكر (القرض الحسن) بلا فائدة ، وذكر الأحكام الخاصة بالدين والتجارة والرهن ، وكلها طرق شريفة لتنمية المال وزيادته ، بما فيه صلاح الفرد والمجتمع ، وآية الدين أطول آيات القرآن على الإطلاق ، مما يدل على عناية الإسلام بالنظم الاقتصادية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[وليملل] من الإملاء وهو أن يلقى عليه ما يكتبه

يقال : أمل وأملى

[يبخس] البخس : النقص

[تسأموا] السأم والسآمة : الملل من الشيء والضجر منه

[أقسط] القسط : بكسر القاف العدل يقال : أقسط الرجل إذا عدل ، وبفتح القاف الجور

يقال : قسط أي جار ومنه

[وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا]

[تضل] قال أبو عبيد : معنى تضل أي تنسى والضلال عن الشهادة نسيان جزء منها

[أدنى] اقرب

[ترتابوا] تشكوا ، من الريب بمعنى الشك

[فرهان] جمع رهن وهو ما يدفع إلى الدائن توثيقا للدين.

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه] أي إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه ، وهذا إرشاد منه تعالى لعباده بكتابة المعاملات المؤجلة ليكون ذلك أحفظ وأوثق لمقدارها وميقاتها

[وليكتب بينكم كاتب بالعدل] أي وليكتب لكم كاتب عادل مأمون ، لا يجور على أحد الطرفين

[ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله] أي ولا يمتنع أحد من الكتابة بالعدل كما علمه الله

[فليكتب وليملل الذي عليه الحق] أي وليملل على الكاتب ويلقي عليه (المدين) وهو الذي عليه الحق ، لأنه المقر المشهود عليه

[وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا] أي وليخش الله رب العالمين ولا ينقص من الحق شيئا

[فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا] أي إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان المدين ناقص العقل مبذرا ،
أو كان صبيا أو شيخا هرما
[أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل] أي لا
يستطيع الإملاء بنفسه ، لعي
أو خرس أو عجمة فليملل قيمه أو وكيله بالعدل ، من
غير نقص أو زيادة
[واستشهدوا شهيدين من رجالكم] أي اطلبوا مع
الكتابة أن يشهد لكم شاهدان من
المسلمين ، زيادة في التوثقة
[فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون
من الشهداء] أي فإن لم يكن
الشاهدان رجلين ، فليشهد رجل وامرأتان ممن يوثق
بدينهم وعدالتهم
[أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى] أي تنسى
إحدى المرأتين الشهادة فتذكرها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأخرى ، وهذا علة لوجوب الاثنين لنقص الضبط
فيهن
[ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا] أي ولا يمتنع الشهداء
عن أداء الشهادة أو
تحملها إذا طلب منهم ذلك
[ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله] أي
لا تملوا أن تكتبوا الدين ،
صغيرا كان أو كبيرا ، قليلا أو كثيرا إلى وقت حلول
ميعاده
[ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا]
أي ما أمرناكم به من
كتابة الدين ، أعدل في حكمه تعالى ، وأثبت للشهادة
لئلا تنسى ، واقرب أن لا تشكوا
في قدر الدين والأجل
[إلا أن تكون تجارة حضارة تديرونها بينكم] أي إلا
إذا كان البيع حاضرا ، يدا بيد
والثمن مقبوضا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فليس عليكم جناح ألا تكتبوها] أي فلا بأس بعدم
كتابتها لانتفاء المحذور
[وأشهدوا إذا تبايعتم] أي أشهدوا على حقكم مطلقا
سواء كان البيع ناجزا أو
بالدين ، لأنه أبعد عن النزاع والاختلاف
[ولا يضار كاتب ولا شهيد] أي لا يضر صاحب
الحق الكتاب والشهود
[وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم] أي إن فعلتم ما نهيتم
عنه ، فقد فسقتم بخروجكم عن
طاعة الله
[واتقوا الله ويعلمكم الله] أي خافوا الله وراقبوه ،
يمنحكم الله العلم النافع
الذي به سعادة الدارين
[والله بكل شيئ عليم] أي عالم بالمصالح والعواقب ،
فلا يخفى عليه شيء من الأشياء
[وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة]
أي إن كنتم مسافرين وتداينتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أجل مسمى ، ولم تجدوا من يكتب لكم ، فليكن بدل
الكتابة رهان مقبوضة يقبضها
صاحب الحق وثيقة لدينه
[فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق
الله ربه] أي فإن أمن
الدائن المدين فاستغنى عن الرهن ، ثقة بأمانة صاحبه
فليدفع ذاك المؤتمن الدين
الذي عليه ، وليتق الله في رعاية حقوق الأمانة
[ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه] أي إذا
دعيتم إلى أداء شهادة
فلا تكتموها فإن كتمانها إثم كبير ، يجعل القلب آثما
وصاحبه فاجرا ، وخص القلب
بالذكر لأنه سلطان الأعضاء ، إذا صلح صلح الجسد
كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله
[والله بما تعملون عليم] أي لا يخفى عليه شيء من
أعمال وأفعال العباد ، وفيه
تهديد ضمني.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1- في الآية من ضروب الفصاحة " الجناس المغاير " في قوله [تداينتم بدين] وفي [استشهدوا شهيدين] وفي [اؤتمن أمانته] وفي [يعلمكم.. وعليم] .

2- الطباق في قوله [صغيرا أو كبيرا] وفي [أن تضل.. وتذكر] لأن الضلال هنا بمعنى النسيان.

3- وفي الآية أيضا الإطناب في قوله [فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب] وفي [فليملل الذي عليه الحق.. فإن كان الذي عليه الحق] وفي [أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى] .

4- الإيجاز بالحذف وذلك كثير وقد ذكر أمثلته صاحب البحر المحيط.

5- كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث [واتقوا الله] [ويعلمكم الله] [والله بكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء عليم] لإدخال الروعة وتربية المهابة في
النفوس.
6- [وليتق الله ربه] جمع ما بين الاسم الجليل
والنعت الجميل ، مبالغة في
التحذير.
فائدة :
العلم نوعان : كسبي ووهبي ، أما الأول فيكون
تحصيله بالاجتهاد والمثابرة والمذاكرة ، وأما الثاني
فطريقه تقوى الله والعمل الصالح كما قال تعالى
[واتقوا الله ويعلمكم الله] وهذا العلم يسمى " العلم
اللدني " أي الوهبي [وآتيناه من لدنا علما] وهو العلم
النافع الذي يهبه الله لمن شاء من عباده المتقين ، وإليه
أشار الإمام الشافعي بقوله :
شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك
المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي
قال الله تعالى : [لله ما في السماوات وما في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض.. إلى .. أنت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين] من آية (284) إلى نهاية آية (286).

المناسبة :

ناسب ختم هذه السورة الكريمة بهذه الآيات لأنها اشتملت على تكاليف كثيرة في (الصلاة ، والزكاة ، والقصاص ، والصوم ، والحج والجهاد والطلاق والعدة وأحكام الربا
والبيع والدين) إلخ فناسب تكليفه إيانا بهذه الشرائع ، أن يذكرنا تعالى بأنه مالك لما في السموات وما في الأرض فهو يكلف من يشاء بما يشاء ، والجزاء على الأعمال إنما يكون في الدار الآخرة ، وكان ختام السورة بهذه الآيات ، على سبيل الوعيد والتهديد!!

اللغة :

[إصرا] الإصر في اللغة : الثقل والشدة قال النابغة :
يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم والحامل الإصرعنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد ما عرفوا

وسميت التكاليف الشاقة إصرا لأنها تثقل كاهل

صاحبها كما يسمى العهد إصراً لأنه

ثقيل.

[طاقة] الطاقة : القدرة على الشيء من أطاق الشيء

وهو مصدر جاء على غير قياس

الفعل

[اعف عنا] ، العفو : الصفح عن الذنب

[واغفر لنا] الغفران : ستر الذنب ومحوه.

سبب النزول :

لما نزل قوله تعالى [وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه

يحاسبكم به الله] الآية

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله (ص) فأتوا رسول

الله فقالوا : كلفنا من الأعمال ما

نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد

أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها!!

فقال (ص) : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من قبلكم : [سمعنا وعصينا] ؟
قولوا [سمعنا وأطعنا] فلما قرأها القوم وجرت بها ألسنتهم ، أنزل الله تعالى :
[آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه] ونسخها الله تعالى فأنزل [لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت] الآية.

التفسير :

[لله ما في السموات وما في الأرض] أي هو سبحانه المالك لما في السموات والأرض المطلع على ما فيهن
[وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله] أي إن أظهرتم ما في أنفسكم من السوء أو أسررتموه فإن الله يعلمه ويحاسبكم عليه
[فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير] أي هو سبحانه يمحو الذنب عمن يشاء ، ويعاقب من يشاء ، وهو القادر على كل شيء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسألون
[آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون] أي
صدق محمد (ص) بما أنزل الله
إليه من القرآن والوحي ، وكذلك المؤمنون
[كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله] أي الجميع من
النبي والأتباع ، صدق بوحدانية الله ، وآمن بملائكته ،
وكتبه ، ورسله
[لا نفرق بين أحد من رسله] أي لا نؤمن بالبعض
ونكفر بالبعض ، كما فعل اليهود
والنصارى ، بل نؤمن بجميع رسل الله دون تفريق
[وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير]
أي أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك ،
فنسألك يا ألله المغفرة لما اقترفناه من الذنوب ، وإليك
وحدك يا ألله المرجع والمآب.
[لا يكلف الله نفسا إلا وسعها] أي لا يكلف المولى
تعالى أحدا فوق طاقته
[لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت] أي لكل نفس جزاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما قدمت من خير ، وجزاء ما
اقترفت من شر
[ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا] أي قولوا ذلك
في دعائكم ، والمعنى : لا
تعذبنا بما يصدر عنا ، بسبب النسيان أو الخطأ
[ربنا لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من
قبلنا] أي ولا تكلفنا
بالتكاليف الشاقة التي نعجز عنها كما كلفت بها من
قبلنا من الأمم ، كقتل النفس
في التوبة ، وقرض موض النجاسة
[ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به] أي لا تحملنا ما لا
قدرة لنا عليه من
التكاليف والبلاء
[واعف عنا واغفر لنا وارحمنا] أي امح عنا ذنوبنا ،
واستر سيئاتنا ، فلا تفضحنا
يوم الحشر الأكبر ، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل
شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين] أي أنت يا الله ناصرنا ومتولي أمورنا
فلا تخذلنا ، وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك من القوم الكافرين ، الذين جحدوا

دينك وأنكروا وحدانيتك ، وكذبوا برسالة نبيك (ص).
روي أنه عليه السلام لما دعا
بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة : قد فعلت!! وهذه كرامة من الله لرسوله (ص).

البلاغة :

1- تضمنت الآية من أنواع الفصاحة وضروب البلاغة أشياء منها " الطباق " في قوله
[وإن تبدو.. أو تخفوه] وبين " يغفر " و " يعذب "
ومنها الطباق المعنوي بين [كسبت] و
[اكتسبت] لأن كسب في الخير ، واكتسب في الشر.
2- ومنها الجناس ويسمى جناس الاشتقاق في قوله
[آمن.. والمؤمنون] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- ومنها الإطناب في قوله [لا نفرق بين أحد من رسله]
4- ومنها الإيجاز بالحذف في قوله [والمؤمنون] أي آمنوا بالله ورسله.
فائدة :
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : " من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه " ، وفي رواية لمسلم أن ملكا نزل من السماء فأتى النبي (ص) فقال له : " أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : (فاتحة الكتاب) ، و(خواتيم سورة البقرة) ، لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته " .
" تم بعونه تعالى تفسير سورة البقرة "

سورة آل عمران

مدنية واياتها مائتان

بين يدي السورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة ال عمران من السور المدنية الطويلة ، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ركنين هامين من اركان الدين هما :

الاول : ركن العقيدة واقامة الادلة والبراهين على وحدانية الله جل وعلا .

الثاني : التشريع وبخاصة فيما يتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله .

اما الاول فقد جاءت الايات الكريمة لاثبات الوحدانية ، والنبوة ، واثبات صدق القران ، والرد على الشبهات التي يثيرها اهل الكتاب حول الاسلام والقران ، وامر محمد عليه الصلاة والسلام ، واذا كانت سورة البقرة قد تناولت الحديث عن (الزمرة الاولى) من اهل الكتاب وهم " اليهود واظهرت حقيقتهم ، وكشفت عن نواياهم وخباياهم ، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر ، فان سورة ال عمران قد تناولت (الزمرة الثانية) من اهل الكتاب وهم " النصارى الذين جادلوا في شان المسيح وزعموا الوهيته ، وكذبوا برسالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد وانكروا القران ، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من نصف السورة الكريمة ، وكان فيها الرد على الشبهات التي اثاروها ، بالحجج الساطعة ، والبراهين القاطعة ، وبخاصة فيما يتعلق بشان مريم وعيسى عليه السلام ، وجاء ضمن هذا الرد الحاسم بعض الاشارات والتقريعات لليهود ، والتحذير للمسلمين من كيد ودسائس اهل الكتاب .

اما الركن الثاني فقد تناول الحديث عن بعض الاحكام الشرعية كفرضية الحج ، والجهاد ، وامور الربا وحكم مانع الزكاة ، وقد جاء الحديث بالاسهاب عن الغزوات كغزوة بدر ، وغزوة احد والدروس التي تلقاها المؤمنون من تلك الغزوات ، فقد انتصروا في بدر ، وهزموا في احد بسبب عصيانهم لامر الرسول (ص) وسمعوا بعد الهزيمة من الكفار والمنافقين كثيرا من كلمات الشماتة والتخذيل ، فارشدهم تعالى الى الحكمة من ذلك الدرس ، وهي ان الله يريد تطهير صفوف المؤمنين من ارباب القلوب الفاسدة ، ليميز بين الخبيث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والطيب ، كما تحدثت الايات الكريمة بالتفصيل عن النفاق والمنافقين ، وموقفهم من تثبيط همم المؤمنين ، ثم ختمت بالتفكر والتدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من اتقان وابداع ، وعجائب واسرار ، تدل على وجود الخالق الحكيم ، وقد ختمت بذكر الجهاد والمجاهدين في تلك الوصية الفذة الجامعة ، التي بها يتحقق الخير ، ويعظم النصر ، ويتم الفلاح والنجاح [يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون] .

فضلها :

عن النواس بن سمعان قال سمعت النبي (ص) يقول : " يؤتى يوم القيامة بالقران واهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمهم سورة البقرة وال عمران " .

التسمية :

سميت السورة ب " ال عمران " لورود ذكر قصة تلك الاسرة الفاضلة " ال عمران " ، وعمران هو والد مريم (ام عيسى) ، وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الالهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بولادة السيدة مريم البتول وابنها عيسى عليهما السلام .

تفسيرسورة ال عمران

قال الله تعالى : [الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم . . الى . . ان الله لا يخلف الميعاد] من اية (1) الى نهاية اية (9)

اللغة :

[الحي] الدائم الذي لا يفنى ولا يموت.

[القيوم] القائم على تدبير شؤون العباد.

[يصوركم] التصوير : جعل الشيء على صورة معينة أى يخلقكم كما يريد .

[الارحام] جمع رحم وهو محل تكون الجنين .

[محكمات] المحكم : ما كان واضح المعنى ، قال القرطبي : " المحكم ما عرف تاويله ، وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه : ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استاثر تعالى بعلمه دون خلقه ، مثل الحروف المقطعة في اوائل السور ، هذا احسن ما قيل فيه " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ام الكتاب] اصل الكتاب واساسه وعموده .

[زيغ] ميل عن الحق يقال : زاغ زيغا أى مال ميلا .

[تاويله] التاويل : التفسير واصله المرجع والمصير ، من قولهم ال الامر الى كذا اذا صار اليه .

[الراسخون] الرسوخ : الثبوت في الشيء والتمكن منه قال الشاعر : لقد رسخت في القلب مني مودة لليلى ابت ايامها ان تغيرا .

سبب النزول :

نزلت هذه الايات في وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا ، فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم ، قدموا على النبي (ص) فتكلم منهم اولئك الثلاثة معه فقالوا تارة عيسى هو (الله) لانه كان يحى الموتى ، وتارة هو (ابن الله) اذ لم يكن له اب ، وتارة انه (ثالث ثلاثة) لقوله تعالى : " فعلنا وقلنا " ولو كان واحدا لقال : " فعلت وقلت " فقال لهم رسول الله (ص) : الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عيسى يموت ! !

قالوا : بلى .

قال : الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه ! !

قالوا : بلى .

قال : الستم تعلمون ان ربنا قائم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شينا من ذلك ؟

قالوا : لا .

قال : الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ؟ فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم ؟ قالوا : لا.

قال : الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ، ولا يشرب الشراب ، ولا يحدث الحدث ؟ وان عيسى كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ! !

قالوا : بلى ،

فقال (ص) : فكيف يكون كما زعمتم ؟

فسكتوا وابوا الا الجحود ، فانزل الله تعالى اول السورة الى نيف وثمانين اية ردا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[الم] اشارة الى اعجاز القران ، وانه منظوم من امثال هذه الحروف الهجائية ، وقد تقدم في اول البقرة .

[الله لا اله الا هو] أى لا رب سواه ولا معبود بحق غيره

[الحي القيوم] أى الباقي الدائم الذي لا يموت ، القائم على تدبير شؤون عباده

[نزل عليك الكتاب بالحق] أى نزل عليك يا محمد القران بالحجج والبراهين القاطعة

[مصدقا لما بين يديه] أى من الكتب المنزلة قبله المطابقة لما جاء به القران

[وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس] أى انزل الكتابين العظيمين " التوراة " و " الانجيل " من قبل انزال هذا القران هداية لبني اسرائيل

[وانزل الفرقان] أى جنس الكتب السماوية لانها تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وقيل : المراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالفرقان القران وكرر تعظيما لشانه

[ان الذبن كفروا بايات الله] أى جحدوا بها وانكروها وردوها بالباطل

[لهم عذاب شديد] أى عظيم اليم في الاخرة

[والله عزيز ذو انتقام] أى غالب على امره لا يغلب ، منتقم ممن عصاه

[ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء] أى لا يغيب ولا يخفى عن علمه امر من الامور ، فهو مطلع على كل ما في الكون ، لا تخفى عليه خافية

[هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء] أى يخلقكم في ارحام امهاتكم كما يشاء ، من ذكر وانثى ، وحسن وقبيح

[لا اله الا هو العزبز الحكيم] أى لا رب سواه ، المتفرد بالوحدانية والالوهية ، العزيز في ملكه الحكيم في صنعه ، وفي الاية رد على النصارى حيث ادعوا (الوهية عيسى) فنبه تعالى بكون عيسى مصورا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرحم ، وانه لا يعلم الغيب ، على انه عبد كغيره من العباد

[هو الذي انزل عليك الكتاب] أى انزل عليك يا محمد القران العظيم

[فيه ايات محكمات هن ام الكتاب] أى فيه ايات بينات واضحات الدلالة ، لا التباس فيها ولا غموض ، كايات الحلال والحرام ، هن اصل الكتاب واساسه

[واخر متشابهات] أى وفيه ايات اخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس ، فمن رد المتشابه الى الواضح المحكم فقد اهتدى ، وان عكس فقد ضل ، ولهذا قال تعالى

[فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه] أى فاما من كان في قلبه ميل عن الهدى الى الضلال ، فيتبع المتشابه منه ، ويفسره على حسب هواه

[ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله] أى طلبا لفتنة الناس في دينهم ، وايهاما للاتباع بانهم يبتغون تفسير كلام الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما فعل النصارى الضالون حيث احتجوا بقوله تعالى (وكلمته القاها الى مريم وروح منه) على ان عيسى ابن الله لانه (وروح منه) فادعوا الوهيته ، وتركوا المحكم وهو قوله تعالى (ان هو الا عبد انعمنا عليه) الدال على انه عبد من عباد الله ورسول من رسله

[وما يعلم تاويله الا الله] أى لا يعلم تفسير المتشابه ومعناه الحقيقي الا الله وحده

[والراسخون في العلم يقولون امنا به] أى الثابتون المتمكنون من العلم ، يؤمنون بالمتشابه وانه من عند الله

[كل من عند ربنا] أى كل من المتشابه والمحكم حق وصدق لانه كلام الله ، قال تعالى

[وما يذكر الا اولوا الالباب] أى ما يتعظ ويتدبر الا اصحاب العقول السليمة المستنيرة

[ربنا لا تزغ قلوبنا] أى لا تملها عن الحق ولا تضلنا

[بعد اذ هديتنا] أى بعد ان هديتنا الى دينك القويم ، وشرعك المستقيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهب لنا من لدنك رحمة] أى امنحنا من فضلك وكرمك ، رحمة تثبتنا بها على دينك الحق

[انك انت الوهاب] أى انت يا رب المتفضل على عبادك بالعطاء والاحسان

[ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه] أى جامع الخلائق في ذلك اليوم الرهيب " يوم الحساب " الذي لا شك فيه

[ان الله لا يخلف الميعاد] أى وعدك حق وانت يا رب لا تخلف الموعد ، كقوله تعالى (ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حدبثا) ؟ !

البلاغة :

1 - [نزل عليك الكتاب] عبر عن القران بالكتاب ، ايذانا بكمال تفوقه على بقية الكتب السماوية ، الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب .

2 - [لما بين يديه] كناية عما تقدمه وسبقه من الكتب السماوية .

3 - [وانزل الفرقان] أى انزل سائر ما يفرق بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحق والباطل ، وهذا من باب " عطف العام على الخاص " لافادة الشمول ، مع العناية بالخاص تنويها لشانه .

4 - [هن ام الكتاب] هذه استعارة لطيفة ، والمراد بها ان هذه الايات ، جماع الكتاب واصله ، فهي بمنزلة الام له ، كما يتعلق الولد بامه ، ويفزع اليها في مهمه .

5 - [والراسخون في العلم] وهذه استعارة ايضا ، والمراد بها المتمكنون في العلم ، تشبيها برسوخ الشيء الثقيل في الارض الخوارة ، وهو ابلغ من قوله : والثابتون في العلم .

الفوائد :

الاولى : روى مسلم عن عائشة ان رسول الله (ص) تلا [هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات] الاية ثم قال : " اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : قال القرطبي : احسن ما قيل قي المتشابه والمحكم : ان المحكم ما عرف تاويله ، وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه ما استاثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ولم يكن لاحد الى علمه سبيل ، مثل وقت قيام الساعة ، وخروج ياجوج وماجوج ، وخروج الدجال ، وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة في اوائل السور .

الثالثة : ايات القران قسمان : محكمات ومتشابهات كما دلت عليه الاية الكريمة ، فان قيل : كيف يمكن التوفيق بين هذه الاية وبين ما جاء في سورة هود ان القران كله محكم

[كتاب احكمت اياته] وما جاء في الزمر ان القران كله متشابة [نزل احسن الحديث كتابا متشابها] ؟ !

فالجواب ان لا تعارض بين الايات ، اذ كل اية لها معنى خاص غير ما نحن في صدده فقوله [احكمت اياته] بمعنى انه ليس به عيب ، وانه كلام حق فصيح الالفاظ ، صحيح المعاني وقوله

[كتابا متشابها] بمعنى انه يشبه بعضه بعضا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحسن ، ويصدق بعضه بعضا ، فلا تعارض بين الايات .

الرابعة : روى البخاري عن سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس : اني اجد في القران اشياء تختلف علي ، قال : ما هو ؟ قال : قوله تعالى : (فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وقال : (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وقال تعالى : (ولا يكتمون الله حديثا) وقال (والله ربنا ما كنا مشركين) فقد كتموا في هذه الاية ، وفي النازعات ذكر خلق السماء قبل خلق الارض ، وفي فصلت ذكر خلق الارض قبل خلق السماء ، وقال : (وكان الله غفورا رحيما) (وكان الله عزبزا حكيما) (وكان الله سميعا بصيرا) فكانه كان ثم مضى . فقال ابن عباس : [فلا انساب بينهم] في النفخة الاولى [فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله] فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الاخرة اقبل بعضهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض يتساءلون ، واما قوله [ما كنا مشركين] [ولا يكتمون الله حديثا] فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم ، فيقول المشركون تعالوا نقول : لم نكن مشركين ، فيختم الله على افواههم ، فتنطق جوارحهم باعمالهم ، فعند ذلك عرف ان الله لا يكتم حديثا ، وعنده [يود الذبن كفروا لو كانوا مسلمين] ، وخلق الله الارض في يومين ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين ، ثم دحا الارض اي بسطها فاخرج منها الماء والمرعى ، وخلق فيها الجبال والاشجار والاكام وما بينها في يومين اخرين فذلك قوله [والارض بعد ذلك دحاها] فخلقت الارض وما فيها في اربعة ايام وخلقت السماء في يومين ، وقوله [وكان الله غفورا رحيما] أى لم يزل ولا يزال كذلك ، ويحك فلا يختلف عليك القران ، فان كلا من عند الله .

قال الله تعالى : [ان الذبن كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم . . الى . . والمستغفرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالاسحار] . من اية (10) الى نهاية اية (17)

المناسبه :

لما حكى تعالى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم ان يثبتهم الله على الايمان ، حكى عن الكافرين سبب كفرهم وهو اغترارهم في هذه الحياة بكثرة المال والبنين ، وبين انها لن تدفع عنهم عذاب الله ، كما لن تغنى عنهم شيئا في الدنيا ، وضرب على ذلك الامثال بغزوة بدر ، حيث التقى فيها جند الرحمن بجند الشيطان ، وكانت النتيجة اندحار الكافرين مع كثرتهم وانتصار المؤمنين مع قلتهم .

اللغة :

[تغني] الاغناء : الدفع والنفع

[وقود النار] الوقود بفتح الواو الحطب الذي توقد به النار ، وبالضم مصدر بمعنى الاتقاد

[دأب] الدأب : العادة والشأن واصله من دأب الرجل في عمله اذا جد فيه واجتهد

[اية] علامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فئة] جماعة وسميت الجماعة من الناس (فئة) لانه يفاء اليها في وقت الشدة

[عبرة] العبرة : الاتعاظ واشتقاقها من العبور فالاعتبار انتقال من حالة الجهل ، الى حالة العلم

[زين] التزيين : تحسين الشيء وتجميله في عين الانسان

[الشهوات] الشهوة : ما تدعو النفس اليه وتشتهيه ويجمع على شهوات [القناطير] جمع قنطار وهو العقدة الكبيرة من المال ، او المال الكثير الذي لا يحصى

[المقنطرة] المضعفة وهو للتاكيد كقولك ألوف مؤلفة واضعاف مضاعفة قاله الطبري ، وروي عن الفراء أنه قال : القناطير جمع القنطار ، والمقنطرة جمع الجمع ، فيكون تسع قناطير

[المسومة] المعلمه بعلامه تجعلها حسنة المنظر ، وقيل : المسومة : الراعية ، وقال مجاهد وعكرمة : انها الخيل المطهمة الحسان)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الماب] المرجع يقال : اب الرجل ايابا ومابا قال تعالى [ان الينا ايابهم]

[الاسحار] السحر : الوقت الذي قبل طلوع الفجر ، وجمعه اسحار .

سبب النزول :

لما اصاب رسورل الله (ص) قريشا ببدر ، ورجع الى المدينة ، جمع اليهود فقال لهم : يا معشر اليهود اسلموا قبل ان يصيبكم الله بما اصاب قريشا ، فقد عرفتم اني نبى مرسل ! ! فقالوا يا محمد : لا يغرنك من نفسك ، انك قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا - يعني جهالا - لا علم لهم بالحرب ، انك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الرجال ، وانك لم تلق مثلنا فانزل الله (قل للذين كفروا ستغلبون) الاية .

التفسير :

[ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم]

أى لن تفيدهم الاموال والاولاد ، ولن تدفع عنهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عذاب الله في الاخرة

[من الله شيئا] أى من عذاب الله وأليم عقابه

[واولئك هم وقود النار] أى هم حطب جهنم الذي تسجر ، وتوقد به النار

[كدأب ال فرعون] أى حال هؤلاء الكفار وشأنهم ، كحال وشأن ال فرعون ، وصنيعهم مثل صنيعهم

[والذين من قبلهم] أى من قبل ال فرعون من الأمم الكافره ، كقوم هود وصالح وشعيب

[كذبوا باياتنا] أى كذبوا بالايات التي تدل على رسالات الرسل

[فاخذهم الله بذنوبهم] أى اهلكهم وعاقبهم بسبب الكفر والمعاصي

[والله شديد العقاب] اي اليم العذاب شديد البطش .

والغرض من الايه ان كفار قريش كفروا كما كفر اولئك المعاندون من ال فرعون ومن سبقهم ، فكما لم تنفع اولئك أموالهم ولا اولادهم ، فكذلك لن تنفع هؤلاء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل للذين كفروا] أى قل يا محمد لليهود ولجميع الكفار

[ستغلبون] أى تهزمون في الدنيا

[وتحشرون الى جهنم] اي تجمعون وتساقون الى جهنم

[وبئس المهاد] اى بئس المهاد والفراش الذي تمتهدونه نار جهنم

[قد كان لكم اية] أى قد كان لكم يا معشر اليهود عظة وعبرة

[في فئتين التقتا] أى في طائفتين التقتا للقتال يوم بدر

[فئة تقاتل في سبيل الله] أي طائفة مؤمنة تقاتل لاعلاء دين الله

[واخرى كافرة] أى وطائفة اخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ، وهم كفار قريش

[يرونهم مثليهم] أى يرى المؤمنون الكافرين اكثر منهم مرتين

[رأى العين] أى رؤية ظاهرة مكشوفة بالعين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجردة ، لا بالوهم والخيال ، لقوله تعالى : [رأى العين] أى رؤية حقيقة لا بالخيال

[والله يؤيد بنصره من يشاء] أى يقوى بنصره من يشاء

[ان في ذلك لعبرة] أى لأية وموعظة

[لأولي الأبصار] أى لذوي العقول السليمة والافكار المستقيمة . ومغزى الاية أن القوة المادية ليست كل شيء ، وأن النصر لا يكون بكثرة العدد والعتاد ، وانما يكون بمعونة الله وتاييده ، كقوله [ان ينصركم الله فلا غالب لكم] ثم اخبر تعالى عن اغترار الناس بشهوات الحياة الفانية فقال

[زين للناس حب الشهوات من النساء] أى حسن اليهم وحبب الى نفوسهم ، الميل نحو الشهوات ، وبدأ بالنساء لان الفتنة بهن اشد ، والالتذاذ بهن اكثر ، وفي الحديث " ما تركت بعدي فتنة هي اضر على الرجال من النساء " ثم ذكر ما يتولد منهن فقال

[والبنين] وانما ثنى بالبنين لانهم ثمرات القلوب وقرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاعين كما قال القائل : وانما اولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض

لوهبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

، وقدموا على الاموال ، لان حب الانسان لولده اكثر من حبه لماله

[والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة] أى الاموال الكثيرة المكدسة من الذهب والفضة ، وانما كان المال محبوبا لانه يحصل به غالب الشهوات ، والمرء يرتكب الاخطار في تحصيله (وتحبون المال حبا جما) والذهب والفضة اصل التعامل ، ولذا خصا بالذكر

[والخيل المسومة] أى الأصيلة الحسان

[والانعام] أى الابل والبقر والغنم ، فمنها المركب والمطعم والزينة

[والحرث] أى الزرع والغراس لان فيه تحصيل اقواتهم

[ذلك متاع الحياة الدنيا] أى انما هذه الشهوات زهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحياة الدنيا ، وزينتها الفانية الزائلة

[والله عنده حسن الماب] اي حسن المرجع والثواب

[قل اؤنبئكم بخير من ذلكم] أى قل يا محمد :
أاخبركم بخير مما زين للناس
من زهرة الدنيا ونعيمها الزائل ؟ والاستفهام للتقرير
[للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار] أى للمتقين يوم القيامة جنات فسيحة ، تجري
من تحت قصورها أنهار الجنة
[خالدبن فيها] اي ماكثين فيها ابد الاباد
[وازواج مطهرة] أى منزهة عن الدنس والخبث ،
الحسي والمعنوي : لا يتغوطن ، ولا يتبولن ، ولا
يحضن ، ولا ينفسن ، ولا يعتريهن ما يعتري نساء
الدنيا
[ورضوان من الله] اي ولهم مع ذلك النعيم رضوان
من الله وأي رضوان ، وقد جاء في الحديث القدسي
(احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبدا)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله بصير بالعباد] أى عليم باحوال العباد ، يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء . . ثم بين تعالى صفات هؤلاء المتقين الذين اكرمهم بالخلود في دار النعيم فقال

[الذين يقولون ربنا اننا امنا] اي امنا بك وبكتبك ورسلك

[فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار] أى اغفر لنا بفضلك ورحمتك ذنوبنا ، ونجنا من عذاب النار

[الصابرين والصادقين والقانتين] أى الصابرين على الباساء والضراء ، والصادقين في ايمانهم وعند اللقاء ، والمطيعين لله في الشدة والرخاء

[والمنفقين] أى الذين يبذلون اموالهم في وجوه الخير

[والمستغفرين بالاسحار] أى وقت السحر قبيل طلوع الفجر ، وهذه ساعة استجابة الدعاء ، ولهذا خصها بالذكر .

البلاغة :

[من الله] فيه ايجاز بالحذف أى من عذاب الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شيئا] التنكير للتقليل أى لن تنفعهم أي نفع ولو قليلا

[واولئك هم وقود النار] الجملة اسمية للدلالة على ثبوت الامر وتحققه

[كذبوا باياتنا فاخذهم الله] فيه التفات من الغيبة الى الحاضر ، والاصل فاخذناهم

[لكم اية] الاصل " اية لكم " وقدم للاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ، والتنكير في اية للتفخيم والتهويل أى اية عظيمة ومثله التنكير في [رضوان من الله] وقوله تعالى : [ترونهم] و[راي العين] بينهما جناس الاشتقاق

[حب الشهوات] يراد به المشتهيات ، عبر بالشهوات مبالغة كانها نفس الشهوات ، وتنبيها على خستها لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء

[بخير من ذلكم] ابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق لمعرفته

[للذين اتقوا عند ربهم] التعرض لعنوان الربوبية لاظهار مزيد اللطف بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[القناطير المقنطرة] بينهما من المحسنات البديعية ما يسمى بالجناس الناقص ، او جناس الاشتقاق .

فائدة :

الاولى : من هو المزين للشهوات ؟ قيل : هو الشيطان ويدل عليه قوله تعالى [وزين لهم الشيطان اعمالهم] وتزيين الشيطان : وسوسته وتحسينه الميل اليها ، وقيل : المزين هو الله ويدل عليه [انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا] وتزيين الله للابتلاء ليظهر عبد الشهوة من عبد المولى ، وهو ظاهر قول عمر : " اللهم لا صبر لنا على ما زينت لنا الا بك " .

الثانية : تخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة ، لان النفس اصفى ، والروح اجمع ، والعبادة اشق ، فكانت اقرب الى القبول ، قال ابن كثير : كان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول يا نافع : هل جاء السحر ؟ فاذا قال نعم اقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [شهد الله انه لا اله الا هو. . الى . . ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] من اية (18) الن نهاية اية (25)

المناسبه :

لما مدح تعالى المؤمنين واثنى عليهم بقوله [الذين يقولون ربنا اننا امنا] اردفه بأن بين أن دلائل الايمان ظاهرة جلية فقال [شهد الله انه لا اله الا هو] ثم بين ان الاسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده ، وامر الرسول بان يعلن استسلامه لله وانقياده لدين الله ، واعقبه بذكر ضلالات اهل الكتاب واختلافهم في امر الدين اختلافا كبيرا ، واعراضهم عن قبول حكم الله تبارك وتعالى .

اللغة :

[شهد] الشهادة : الاقرار والبيان

[القسط] العدل

[الدين] اصل الدين في اللغة : الجزاء ويطلق على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملة وهو المراد هنا

[الاسلام] الاسلام في اللغة : الاستسلام والانقياد التام ، ومعناه اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى

[حاجوك] جادلوك ونازعوك

[غرهم] فتنهم

[يفترون] يكذبون .

سبب النزول :

لما استقر رسول الله (ص) بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام ، فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة والنعت ، فقالا له : انت محمد ؟ قال : نعم ، قالا : وانت احمد ؟ قال نعم ، قالا : نسألك عن شهادة فأن اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك ، فقال لهما رسول الله (ص) : سلاني ، فقالا : اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله ؟ فنزلت [شهد الله انه لا اله الا هو] الاية فاسلم الرجلان ، وصدقا برسول الله (ص) .

التفسير

[شهد الله انه لا اله الا هو] أى بين ووضح تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعباده انفراده بالوحدانية ، قال الزمخشري : شبهت دلالته على وحدانيته بشهادة الشاهد في البيان والكشف

[والملائكة واولوا العلم] اي وشهدت الملائكة واهل العلم بوحدانيته ، بدلائل خلقه وبديع صنعه

[قائما بالقسط] أى مقيما للعدل فيما يقسم من الاجال والارزاق

[لا اله الا هو] أى لا معبود في الوجود بحق الا هو

[العزيز الحكيم] اي العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه

[ان الدين عند الله الاسلام] أى الدين المقبول عند الله هو الاسلام ، ولا دين يرضاه الله سوى الاسلام

[وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم] أى وما اختلف اليهود والنصارى في امر الاسلام ، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، الا بعد ان عرفوا بالحجج النيرة ، والايات الباهرة حقيقة الامر ، فلم يكن كفرهم عن شبهة وخفاء ، وانما كان عن استكبار وعناد ، فكانوا ممن ضل عن علم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بغيا بينهم] أى حسدا كائنا بينهم ، حملهم عليه حب الرئاسة

[ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب] وهو وعيد وتهديد أى من يكفر باياته تعالى ، فانه سيصير الى الله سريعا فيجازيه على كفره

[فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله] أى ان جادلوك يا محمد في شأن الدين فقل لهم : انا عبد لله ، قد استسلمت بكليتى لله ، واخلصت عبادتي له وحده ، لا شريك له ولا ند ولا صاحبة ولا ولد

[ومن اتبعن] أى انا واتباعي على ملة الاسلام ، مستسلمون منقادون لامر الله

[وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين] أى قل لليهود والنصارى والوثنيين من العرب

[أأسلمتم] أى هل اسلمتم ام انتم باقون على كفركم ؟ فقد اتاكم من البينات ما يوجب اسلامكم

[فان اسلموا فقد اهتدوا] أى فان اسلموا كما اسلمتم ، فقد نفعوا انفسهم بخروجهم من الضلال الى الهدى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الظلمة الى النور

[وأن تولوا فانما عليك البلاغ] أى وان اعرضوا فلن يضروك يا محمد ، اذ لم يكلفك الله بهدايتهم ، وانما انت مكلف بالتبليغ فحسب ، والغرض منها تسلية النبي (ص)

[والله بصير بالعباد] أى عالم بجميع احوالهم فيجازيهم عليها . . روي ان رسول الله (ص) لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا : اسلمنا ، فقال عليه السلام لليهود : أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله ! فقالوا : معاذ الله ، فقال للنصارى : أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله ، فقالوا : معاذ الله ان يكون عيسى عبدا ؟ انه ابن الله ، وذلك قوله عز وجل (وان تولوا) .

[ان الذين يكفرون بايات الله] أى يكذبون بما انزل الله [ويقتلون النبيين بغير حق] أى يقتلون انبياء الله بغير سبب ولا جريمة ، الا لكونهم دعوهم الى الله ، وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليهود قتلوا (زكريا) وابنه (يحيى) وقتلوا انبياء الله ، قال ابن كثير : " قتلت بنو اسرائيل ثلاثمائة نبي من اول النهار ، واقاموا سوق يقلهم من اخره "

[ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس] أى يقتلون الدعاة الى الله الذين يأمرون بالخير والعدل

[فبشرهم بعذاب اليم] أى اخبرهم بما يسرهم ، وهو العذاب الموجع المهين ، والاسلوب للتهكم ، وقد استحقوا ذلك ، لانهم جمعوا ثلاثة انواع من الجرائم : الكفر بايات الله ، وقتل الانبياء ، وقتل الدعاة الى الله ، قال تعالى مبينا عاقبة اجرامهم :

[اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة] أى بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ، ولم يبق لها اثر في

الدارين ، بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا والاخرة

[وما لهم من ناصرين] أى ليس لهم من ينصرهم من عذاب الله او يدفع عنهم عقابه . . ثم ذكر تعالى طرفا من لجاج وعناد اهل الكتاب فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب] أى لا تعجب يا محمد من امر هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب ! الصيغة صيغة تعجيب للرسول او لكل مخاطب ، يريد احبار اليهود ، الذين حصلوا نصيبا وافرا من التوراة

[يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم] أى يدعون الى التوراة كتابهم الذي بين ايديهم ، والذي يعتقدون صحته ، ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه فيأبون

[ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون] أى ثم يعرض فريق منهم عن قبول حكم الله ، وجملة [وهم معرضون] تاكيد للتولي أى وهم قوم طبيعتهم الاعراض عن الحق ، والاصرار على الباطل ، والاية تشير الى قصة تحاكم اليهود عند النبي (ص) ، لما زنى منهم اثنان ، فحكم عليهما بالرجم فأبوا وقالوا : لا نجد فى كتابنا الا (التحميم) فجيء بالتوراة فوجد فيها الرجم فرجما ، فغضبوا فشنع تعالى عليهم بهذه الاية

[ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى ذلك التولي والاعراض بسبب افترائهم على الله ، وزعمهم انهم ابناء الانبياء ، وان النار لن تصيبهم الا مدة يسيرة - اربعين يوما - مدة عبادتهم للعجل

[وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون] أى غرهم كذبهم على الله

[فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه] أى كيف يكون حالهم يوم القيامة حين يجمعهم الله للحساب ! ! وهو استعظام لما يدهمهم من الشدائد والاهوال ؟

[ووفيت كل نفس ما كسبت] اي نالت كل نفس جزاءها العادل

[وهم لا يظلمون] أى لا يظلمون بزيادة العذاب او نقص الثواب .

البلاغة :

1 - [ان الدين عند الله الاسلام] الجملة معرفة الطرفين فتفيد الحصر أى لا دين يقبله الله الا الاسلام .

2 - [الذين اوتوا الكتاب] التعبير عن اليهود والنصارى بقوله (اوتوا الكتاب) لزيادة التشنيع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتقبيح عليهم ، فان اختلافهم مع علمهم بالكتاب في غاية القبح والشناعة .

3 - [بايات الله فأن الله] اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة في النفس .

4 - [اسلمت وجهي] اطلق الوجه واراد الكل فهو (مجاز مرسل) من اطلاق الجزء لارادة الكل ، اي استسلمت بنفسى وكليتي لحكم الله وقضائه .

---

5 - [فبشرهم بعذاب اليم] الاصل في البشارة ان تكون في الخير واستعمالها في الشر للتهكم ويسمى (الاسلوب التهكمى) حيث نزل الانذار منزلة البشارة السارة .

فائدة :

قال القرطبي : في هذه الاية دليل على فضل العلم ، وشرف العلماء ، فانه لو كان احد اشرف من العلماء ، لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء ، ويكفي في شرف العلم قوله لنبيه (ص) : [وقل ربى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زدني علما] وقوله (ص) " أن العلماء ورثة الانبياء " وفي حديث ابن مسعود ان من قرأ قوله تعالى [شهد الله انه لا اله الا هو] الاية فانه يجاء به يوم القيامة فيقول الله تعالى : عبدي عهد الى عهدا وانا احق من وفى ، ادخلوا عبدي الجنة.

لطيفة :

من اطرف ما قرأت في بيان فضل العلم تلك (المحاورة اللطيفة) بين العقل والعلم حيث يقول القائل ، وقد ابدع واجاد :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من ذا الذي منهما قد احرز الشرفا ؟

فالعلم قال : انا احرزت غايته والعقل قال : انا الرحمن بي عرفا

فافصح العلم افصاحا وقال له بأينا الله في فرقانه اتصفا ؟

فبان للعقل ان العلم سيده فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء . . الى . . فان الله لا يحب الكافرين] من اية (26) الى نهاية اية (32)

المناسبة :

لما ذكر تعالى في الايات السابقة دلائل التوحيد والنبوة وصحة دين الاسلام ، اعقبه بذكر البشائر التي تدل على قرب نصر الله للمسلمين ، فالامر كله بيد الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وامر رسوله بالدعاء والابتهال الى الله ، بأن يعز جند الحق وينصر دينه المبين .

اللغة :

[اللهم] أصله يا الله حذفت اداة النداء واستعيض عنها بالميم المشددة ، هكذا قال الخليل وسيبويه

[تنزع] تسلب ويعبر به عن الزوال يقال : نزع الله عنه الشر أى أزاله

[تولج] الايلاج : الادخال ، يقال : ولج يلج ولوجا ومنه [حتى يلج الجمل في سم الخياط]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[امدا] الامد : غاية الشيء ومنتهاه وجمعه اماد

[تقاة] تقية وهي مداراة الانسان مخافة شره .

سبب النزول :

ا - لما افتتح رسول الله (ص) مكة ، ووعد امته ملك فارس والروم ، قال المنافقون واليهود : هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم ! ! هم اعز وأمنع من ذلك ، الم يكفه مكة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء . .] الاية.

ب - عن ابن عباس أن " عبادة بن الصامت " - وكان بدريا تقيا - كان له حلف مع اليهود ، فلما خرج النبي (ص) يوم الاحزاب قال له عبادة : يا نبى الله ان معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت ان يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو ، فانزل الله [لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء] الاية .

التفسير :

[قل اللهم مالك الملك] أى قل : يا الله يا مالك كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء

[تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء] أى انت المتصرف في الاكوان ، تهب الملك لمن تشاء ، وتخلع الملك ممن تشاء

[وتعز من تشاء وتذل من تشاء] أى تعطي العزة لمن تشاء والذلة لمن تشاء

[بيدك الخير انك على كل شيء قدير] أى بيدك وحدك خزائن كل خير ، وانت على كل شيء قدير

[تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل] أى تدخل الليل في النهار كما تدخل النهار في الليل ، فتزيد في هذا وتنقص فى ذاك والعكس ، وهكذا تتبدل فصول السنة شتاء وصيفا

[وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي] اي تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع ، والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والبيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة ، والمؤمن من الكافر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والكافر من المؤمن ، هكذا قال ابن كثير ، وقال الطبري : (يخرج الانسان الحى والانعام والبهائم ، من النطف الميتة ، ويخرج النطفة الميتة ، من الانسان الحي والبهائم الاحياء)

((وللشهيد سيد قطب قول رائع في معنى الاية الكريمة ننقله بايجاز من الظلال يقول قدس الله روحه " وسواء كان معنى ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل : هو اخذ هذا من ذاك ، واخذ ذاك من هذا عند دورة الفصول . . سواء كان هذا او ذاك فان القلب يكاد يبصر يد الله وهي تحرك الافلاك ، وتلف هذه الكرة المعتمة امام تلك الكرة المضيئة - يعني الشمس - وتقلب مواضع الظلمة ومواضع الضياء ، شيئا فشيئا يتسرب غبش الليل الى وضاءة النهار ، وشيئا فشيئا يتنفس الصبح في غيابة الظلام ، شيئا فشيئا يطول الليل وهو يأكل من النهار في الشتاء ، ويطول النهار وهو يسحب من الليل في الصيف . . كذلك الحياة والموت يدب أحدهما في الاخر في بطء وتدرج ، كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لحظة تمر على الحي يدب فيه الموت الى جانب الحياة ، ويأكل منه الموت وتبني فيه الحياة ، خلايا حية منه تموت وتذهب ، وخلايا جديدة فيه تنشأ وتعمل ، هكذا دورة دائبة في كل لحظة من لحظات الليل والنهار ، تبرزها هذه الاشارة القرانية القصيرة للعقل البشري ، ولا يستطيع انسان ان يدعي أنه هو الذي يصنع من هذا كله شينا ، ولا يزعم عاقل كذلك انها تتم هكذا مصادفة بلا تدبير ، وانما هي حركة خفية هائلة تديرها يد القادر المبدع اللطيف المدبر ")).

[وترزق من تشاء بغير حساب] أى تعطي من تشاء عطاء واسعا بلا عد ولا تضييق . . ثم نهى تعالى عن اتخاذ الكافرين انصارا واحبابا فقال

[لا يتخد المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين] أى لا توالوا اعداء الله وتتركوا اولياءه ، فمن غير المعقول أن يجمع الانسان بين محبة الله وبين محبة اعدائه ، قال الزمخشري : نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة ، او غير ذلك من الاسباب التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتصادق بها ويتعاشر

[ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء] أى من يوال الكفرة فليس من دين الله في شيء

[الا ان تتقوا منهم تقاة] أى الا ان تخافوا منهم محذورا او تخافوا أذاهم وشرهم ، فاظهروا موالاتهم باللسان دون القلب ، لانه من نوع مداراة السفهاء كما في الحديث الشريف " انا لنبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم "

[ويحذركم الله نفسه] أى يخوفكم الله عقابه الصادر منه تعالى

[والى الله المصير] أى المنقلب والمرجع فيجازي كل عامل بعمله

[قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله] أى ان اخفيتم ما في قلوبكم من موالاة الكفار او اظهرتموه ، فان الله مطلع عليه لا تخفى عليه خافية

[ويعلم ما في السموات وما في الارض] أى عالم بجميع الامور ، يعلم كل ما هو حادث فى ، السموات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والارض ،
[والله على كل شئ قدير] اى وهو سبحانه قادر على ، الانتقام ممن ، خالف حكمه وعصى أمره ، وهو تهديد عظيم
[يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا] أى يوم القيامة يجد كل انسان جزاء عمله حاضرا لا يغيب عنه ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فان كان عمله حسنا سره ذلك وأفرحه
[وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا] أى وان كان عمله سيئا تمنى ان لا يرى عمله ، واحب ان يكون بينه وبين عمله القبيح غاية في نهاية البعد ، أى مكانا بعيدا كما بين المشرق والمغرب
[ويحذركم الله نفسه] أى يخوفكم عقابه
[والله رءوف بالعباد] أى رحيم بخلقه يحب لهم ان يستقيموا على صراطه المستقيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله] أى قل لهم يا محمد : ان كنتم حقا تحبون الله فاتبعوني لاني رسوله يحبكم الله

[ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم] أى بأتباعكم الرسول وطاعتكم لامره يحبكم الله ، ويغفر لكم ما سلف من الذنوب . قال ابن كثير : " هذه الاية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فانه كاذب في دعواه تلك ، حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع اقواله وافعاله " ثم قال تعالى :

[قل اطيعوا الله والرسول] أى اطيعوا امر الله وامر رسوله

[فان تولوا] أى أعرضوا عن الطاعة

[فان الله لا يحب الكافرين] أى لا يحب من كفر باياته وعصى رسله بل يعاقبه ويخزيه [يوم لا يخزي الله النبى والذين امنوا معه] .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جمعت هذه الايات الكريمة من ضروب الفصاحة وفنون البلاغة ما يلي :

1 - الطباق في مواضع مثل " تؤتي وتنزع " و " تعز وتذل " و " الليل والنهار " و " الحي والميت " و " تخفوا وتبدوا " وفي " خير وسوء " و " محضرا وبعيدا .

2 - والجناس الناقص في " مالك الملك " وفي " تحبون ويحببكم " وجناس الاشتقاق بين " تتقوا وتقاة " وبين " يغفر وغفور " .

3-رد العجز على الصدر في [تولج الليل في النهار] و[تولج النهار في الليل] .

4 - التكرار في جمل للتفخيم والتعظيم كقوله [تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء] .

5 - الايجاز بالحذف في مواطن عديدة كقوله [تؤتي الملك من تشاء] أى من تشاء ان تؤتيه ومثلها وتنزع ، وتعز ، وتذل .

6 - [تولج الليل في النهار] قال في تلخيص البيان :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه استعارة عجيبة وهي عبارة عن ادخال هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فما ينقصه من الليل يزيده في النهار والعكس ، ولفظ الايلاج ابلغ لانه يفيد ادخال كل واحد منهما في الاخر بلطيف الممازجة وشديد الملابسة .

7 - [تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي] الحى والميت مجاز عن المؤمن والكافر فقد شبه المؤمن بالحي والكافر بالميت ((هذا على رأى من فسر الأية بالوجه الاخر ، وهو أن المراد يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، ويدل عليه قوله تعالى " أو من كان ميتا فأحييناه " وهو قول الحسن البصرى) والله اعلم)) .

فائدة :

في الاقتصار على ذكر الخير [بيدك الخير] دون ذكر الشر تعليم لنا الادب مع الله ، فالشر لا ينسب الى الله تعالى أدبا وأن كان منه خلقا وتقديرا [قل كل من عند الله] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله (ص) انه قال : " ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال : اني احب فلانا فاحبه ، قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فاحبوه قال : فيحبه اهل السماء ، واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول : اني أبغض فلانا فابغضه قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في اهل السماء : ان الله يبغض فلانا فابغضوه فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء في الارض " .

قال الله تعالى : [ان الله اصطفى أدم ونوحا . . الى . . وسبح بالعشى والابكار] من اية (33) الى نهاية اية (41)

المناسبة :

لما بين تعالى أن محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل وطاعتهم ، بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم ، فبدأ بأدم أولهم ،

وثنى بنوح أبى البشر الثاني ، ثم اتى ثالثا بال ابراهيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاندرج فيهم رسول الله (ص) لانه من ولد اسماعيل ، ثم اتى رابعا بال عمران فاندرج فيه عيسى عليه السلام ، واعقب ذلك بذكر ثلاث قصص : قصة ولادة مريم ، وقصة ولادة يحيى ، وقصة ولادة عيسى ، وكلها خوارق للعادة تدل على قدرة العلي القدير .

اللغة :

[اصطفى] اختار وأصله من الصفوة أى جعلهم صفوة خلقه

[محررا] ماخوذ من الحرية وهو الذي يجعل حرا خالصا لله عز وجل ، الذي لا يشوبه شيء من امر الدنيا

[اعيذها] عاذ بكذا : اعتصم به

[وكفلها] الكفالة : الضمان يقال كفل يكفل فهو كافل ، وهو الذي ينفق على انسان ويهتم بمصالحه وفي الحديث " انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين "

[المحراب] الموضع العالي الشريف ، قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبيدة : سيد المجالس واشرفها ومقدمها وكذلك هو من المسجد

[حصورا] من الحصر وهو الحبس ، وهو الذي يحبس نفسه عن الشهوات ، ولا ياتي النساء للعفة

[عاقر] عقيم لا تلد ، والعاقر : من لا يولد له من رجل او امراة

[رمزا] الرمز : الاشارة باليد او بالراس او بغيرهما

[العشي] من حين زوال الشمس الى غروبها

[الابكار] من طلوع الشمس الى وقت الضحى ، قال الشاعر : فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشى تذوق

التفسير :

[ان الله اصطفى ادم] أى اختار للنبوة صفوة خلقه منهم ادم ابو البشر

[ونوحا] شيخ المرسلين

[وال ابراهيم] أى عشيرته وذوي قرباه وهم (اسماعيل واسحاق) والانبياء من اولادهما ، ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جملتهم خاتم المرسلين
[وال عمران] أى اهل عمران ومنهم (عيسى ابن مريم) خاتم انبياء بنى اسرائيل
[على العالمين] أى عالمي زمانهم ، قال القرطبي : وخص هؤلاء بالذكر من بين الانبياء ، لان الانبياء والرسل جميعا من نسلهم
[ذرية بعضها من بعض] أى اصطفاهم متجانسين في الدين ، والتقى ، والصلاح
[والله سميع عليم] أى سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم
[اذ قالت امرأة عمران] أى اذكر لهم وقت قول امراة عمران واسمها " حنة بنت فاقود "
[رب اني نذرت لك ما في بطني] أى نذرت لعبادتك وطاعتك ما احمله في بطني
[محررا] أى مخلصا للعبادة والخدمة
[فتقبل مني انك انت السميع العليم] أى السميع لدعائي العليم بنيتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى] أى لما ولدتها قالت على وجه التحسر والاعتذار : يا رب انها أنثى ، قال ابن عباس : انما قالت هذا لانه لم يكن يقبل في النذر الا الذكور ، فقبل الله مريم ، قال تعالى

[والله اعلم بما وضعت] أى والله اعلم بالشيء الذي وضعت ، قالت ذلك أو لم تقله

[وليس الذكر كالانثى] أى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وهبتها ، بل هذه أفضل . والجملتان معترضتان من كلامه تعالى ، تعظيما لشأن هذه المولودة ، وما علق بها من عظائم الأمور ، وجعلها وابنها اية للعالمين

[واني سميتها مريم] من تتمة كلام امراة عمران ، والاصل اني وضعتها انثى واني سميتها مريم ، أى اسميت هذه الانثى مريم ، ومعناها في لغتهم العابدة خادمة الرب

[واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم] أى اجيرها بحفظك واولادها من شر الشيطان الرجيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاستجاب الله لها ذلك ، قال تعالى

[فتقبلها ربها بقبول حسن] أى قبلها الله قبولا حسنا ، قال ابن عباس : سلك بها طريق السعداء

[وانبتها نباتا حسنا] أى رباها تربية كاملة ، ونشأها تنشئة صالحة

[وكفلها زكريا] أى جعل زكريا كافلا لها ومتعهدا للقيام بمصالحها ، حتى اذا بلغت مبلغ النساء ، أنزوت في محرابها تتعبد الله

[كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا] أى كلما دخل عليها زكريا حجرتها ومكان عبادتها ، وجد عندها فاكهة وطعاما ، قال مجاهد : وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف

[قال يا مريم انى لك هذا] ؟ أى من اين لك هذا ؟

[قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب] أى رزقا واسعا بغير جهد ولا تعب

[هنالك دعا زكريا ربه] أى في ذلك الوقت الذي رأى فيه (زكريا) كرامة الله لمريم ، دعا ربه متوسلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومتضرعا

[قال ربى هب لي من لدنك ذرية طيبة] أى اعطني من عندك ولدا صالحا - وكان شيخا كبيرا وامراته عجوز وعاقر - ومعنى طيبة : صالحة مباركة

[انك سميع الدعاء] أى مجيب لدعاء من ناداك

[فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب] أى ناداه جبريل حال كون زكريا قائما في الصلاة

[ان الله يبشرك بيحيى] أى يبشرك بغلام اسمه يحيى

[مصدقا بكلمة من الله] أى مصدقا (بعيسى) مؤمنا برسالته ، وسمي عيسى " كلمة الله " لانه خلق بكلمة " كن " من غير أب

[وسيدا] أى يسود قومه ويفوقهم

[وحصورا] أى يحبس نفسه عن الشهوات ، عفة وزهدا ، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك ، وما قاله بعض المفسرين أنه كان عنينا فباطل ، لا يجوز على الانبياء لانه نقص وذم ، والاية وردت مورد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدح والثناء ((قال ابن كثير نقلا عن القاضي عياض " اعلم ان ثناء الله تعالى على (يحيى) أنه كان حصورا ليس كما قاله بعضهم إنه كان عنينا أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور او يمنع نفسه من الشهوات ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها ، إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام " انتهى)).

[ونبيا من الصالحين] أى ويكون نبيا من الانبياء الصالحين ، قال ابن كثير : وهذه بشارة ثانية بنبوته بعد البشارة بولادته وهي اعلى من الاولى ، كقوله لأم موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين)

[قال رب انى يكون لي غلام] أى كيف يأتينا الولد

[وقد بلغني الكبر] أى أدركتني الشيخوخة وكان عمره حينذاك مائة وعشرين سنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وامرأتي عاقر] أى عقيم لا تلد وكانت زوجته بنت تسع وتسعين سنة ، فقد اجتمع فيهما (الشيخوخة) و(العقم) في الزوجة وكل من السببين مانع من الولد

[قال كذلك الله يفعل ما يشاء] أى لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر

[قال رب اجعل لي اية] أى علامة على حمل امرأتي

[قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا] أى علامتك عليه ان لا تقدر على كلام الناس ، الا بالاشارة ثلاثة ايام بلياليها ، مع انك سوي صحيح ، والغرض انه ياتيه مانع سماوي يمنعه من الكلام بغير ذكر الله

[واذكر ربك كثيرا] أى اذكر الله ذكرا كثيرا بلسانك شكرا على النعمة ، فقد منع عن الكلام ولم يمنع عن الذكر لله ، والتسبيح له وذلك ابلغ في الاعجاز

[وسبح بالعشي والابكار] اي نزه الله عن صفات النقص بقولك سبحان الله في اخر النهار وأوله .

وقيل : المراد صل لله ، قال الطبري : يعني عظم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ربك بعبادته بالعشي والابكار.

البلاغه :

1 - [والله اعلم بما وضعت] [وليس الذكر كالأنثى] جملتان معترضتان لتعظيم الموضوع ورفع منزلة المولود .

2 - [واني اعيذها] صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد .

3 - [وانبتها نباتا حسنا] شبهها في نموها وترعرعها بالزرع ، الذي ينمو شيئا فشيئا ، والكلام استعارة عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها بطريق الاستعارة التبعية ، وهو من بديع علم البيان .

4 - [فنادته الملائكة] المنادي جبريل وعبر عنه باسم الجماعة ، تعظيما له لأنه رئيسهم

5 - [بالعشي والابكار] بين كلمتي " العشي " والابكار " طباق وهو من المحسنات البديعية .

الفوائد :

الاولى : روي أن " حنة " امراة عمران كانت عجوزا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاقرا لا تلد ، فبينما هى ذات يوم تحت ظل شجرة ، اذ رأت طائرا يطعم فرخه ، فحنت الى الولد وتمنته وقالت : اللهم ان لك على نذرا ان رزقتني ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته ، ثم هلك عمران وهي حامل ، وهذا سر النذر .

الثانية : قال ابن كثير عند قوله تعالى [كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا] قال : والاية فيها دلالة على كرامات الاولياء ، وفي السنة لهذا نظائر كثيرة ، وساق بسنده عن جابر قصة الجفنة ، وخلاصتها ان النبي (ص) جاع اياما فدخل على ابنته فاطمة الزهراء يسالها عن الطعام فلم يكن عندها شيء ، وارسلت اليها جارتها برغيفين وقطعة لحم ، فوضعتهما في جفنة ثم رأت الجفنة وقد امتلأت لحما وخبزا .

قال الله تعالى : [واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك . . الى . . هذا صراط مستقيم] من اية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(42) الف نهاية اية (51) .

المناسبة :

لم ذكر تعالى قصة ولادة " يحيى بن زكريا " من عجوز عاقر وشيخ قد بلغ من الكبر عتيا ، وذلك بمقتضى السنن الكونية شيء خارق للعادة ، اعقبها بما هو ابلغ واروع في خرق العادات ، فذكر قصة ولادة السيد المسيح عيسى من غير اب ، وهي شيء اعجب من الاول ، والغرض من ذكر هذه القصة الرد على النصارى الذين ادعوا ألوهية عيسى ، فذكر ولادته من مريم البتول ليدل على بشريته ، واعقبه بذكر ما ايده الله به من المعجزات ، ليشير الى رسالته ، وليس له من أوصاف الربوبية شيء ، كما يزعم النصارى .

اللغة :

[انباء] جمع نبأ وهو الخبر الهام

[نوحيه] الوحي : القاء المعنى في النفس في خفاء

[اقلامهم] القلم معروف وهو الذي يكتب به وقد يطلق على السهم الذي يقترع به وهو المراد هنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[المسيح] لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق ، وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه : المبارك

[وجيها] شريفا ذا جاه وقدر ، والوجاهة الشرف والقدر

[المهد] فراش الطفل

[كهلا] الكهل : ما بين الشاب والشيخ والمراة كهلة ، قال في الوسيط : الكهل ما بين الثلاثين الى الخمسين

[الأكمه] الذي يولد اعمى

[الابرص] المصاب بالبرص ، وهو بياض يعتري الجلد ، وداء عضال يصعب شفاؤه .

التفسير :

[واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك] أى اذكر وقت قول الملائكة أى جبريل : يا مريم إن الله اختارك من بين سائر النساء فخصك بالكرامات

[وطهرك] من الأدناس والأقذار ، ومما اتهمك به اليهود الفجار من الفاحشة

[واصطفاك على نساء العالمين] أى اختارك على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سائر نساء العالمين لتكونى مظهر قدرة الله ، فى إنجاب ولد بدون أب

[يامريم اقنتى لربك] أى إلزمى عبادته وطاعته شكرا على إصطفائه

[وإسجدى وإركعى مع الراكعين] أى صلى لله مع المصلين

[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك] أى هذا الذى قصصناه عليك يأيها الرسول ، من قصة [إمراة عمران] ، وإبنتها [مريم البتول] ومن قصة [زكريا ويحيى] إنما هى من الأنباء المغيبة ، والأخبار الهامة التى أوحينا بها إليك ، ما كنت تعلمها من قبل

[وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم] أى ما كنت عندهم إذ يختصمون ويتنافسون على كفالة مريم حين ألقوا سهامهم للقرعة ، كل يريدها فى كنفه ورعايته

[وما كنت لديهم إذ يختصمون] أى يتنازعون فيمن يكفلها منهم .. والغرض أن هذه الأخبار كانت من عند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله العليم الخبير . . روى أن (حنة) حين ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ، ووضعتها عند الأحبار – وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة – فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة !! فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم ، ثم اقترعوا فخرجت فى كفالة زكريا فكفلها قال إبن كثير : وإنما قدر الله كون زكريا كافلا لها لسعادتها ، لتقتبس منه علما جما وعملا صالحا

[إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه]
أى بمولود يحصل بكلمة من الله بلا واسطة أب

[إسمه المسيح عيسى إبن مريم] أى اسمه [عيسى] ولقبه المسيح ، ونسبه إلى أمه تنبيها على أنها تلده بلا أب

[وجيها فى الدنيا والآخرة] أى سيدا ومعظما فيهما

[ومن المقربين] عند الله

[ويكلم الناس فى المهد وكهلا] أى يكلمهم طفلا قبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقت الكلام ، ويكلمهم كهلا ، قال الزمخشرى : ومعناه " ويكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء ، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة " ولا شك أن ذلك غاية فى الإعجاز

[ومن الصالحين] أى وهو من الكاملين فى التقى والصلاح

[قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر] أى كيف يأتينى الولد وأنا لست بذات زوج ؟

[قال كذلك الله يخلق ما يشاء] أى هكذا أمر الله عظيم ، لا يعجزه شئ ، يخلق بسبب من الوالدين وبغير سبب

[اذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون] أى اذا أراد شيئا حصل من غير تأخر ولا حاجة الى سبب ، يقول له " كن " فيكون

[ويعلمه الكتاب] أى الكتابة

[والحكمة] أى السداد فى القول والعمل ، أو سنن الأنبياء المكرمين

[والتوراة والإنجيل] أى ويجعله يحفظ التوراة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإنجيل ، قال إبن كثير : وقد كان عيسى يحفظ هذا وهذا

[ورسولا إلى بنى إسرائيل] أى ويرسله رسولا إلى بنى إسرائيل قائلا لهم

[أنى قد جئتكم بآية من ربكم] أى بأنى قد جئتكم بعلامة تدل على صدقى ، وهى ما أيدنى الله به من المعجزات ، وآية صدقى

[أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير] أى أصور لكم من الطين مثل صورة الطير

[فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله] أى أنفخ فى تلك الصورة فتصبح طيرا بإذن الله .قال أبن كثير : وكذلك كان يفعل ، يصور من الطين شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيطير عيانا ، بأذن الله عز وجل ، الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله ، وهذه المعجزة الأولى

[وأبرئ الأكمه والأبرص] أى أشفى الذى ولد أعمى ، كما أشفى المصاب بالبرص ، وهذه المعجزة الثانية

[وأحيي الموتى بإذن الله] أى أحي بعض الموتى لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقدرتى ، ولكن بمشئة الله وقدرته ، وقد أحيا أربعة أنفس : عازر وكان صديقا له ، وإبن العجوز ، وبنت العاشر ، و[سام بن نوح] هكذا ذكر القرطبى وغيره ..... وكرر لفظ [بإذن الله] دفعا لتوهم الألوهية ، وهذه المعجزة الثالثة

[وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم] أى وأخبركم بالمغيبات من أحوالكم التى لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل ، وما أدخر فى بيته ، وهذه هى المعجزة الرابعة

[إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين] أى فيما أتيتكم به من المعجزات علامة واضحة تدل على صدقى ، إن كنتم مصدقين بآيات الله .... ثم أخبرهم أنه جاء مؤيدا لرسالة موسى فقال

[ومصدقا لما بين يدى من التوراة] أى وجئتكم مصدقا لرسالة موسى ، مؤيدا لما جاء به فى التوراة

[ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم] أى ولأحل لكم بعض ما كان محرما عليكم فى شريعة موسى ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبن كثير : وفيه دليل على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح

[وجئتكم بأية من ربكم] أى جئتكم بعلامة شاهدة على صحة رسالتى ، وهى ما أيدنى الله به من المعجزات ، وكرره تأكيدا

[فأتقوا الله وأطيعون] أى خافوا الله وأطيعوا أمرى

[إن الله ربى وربكم فأعبدوه] أى أنا وأنتم سواء فى العبودية له جل وعلا

[هذا صراط مستقيم] أى فإن تقوى الله وعبادته ، والإقرار بوحدانيته هو الطريق المستقيم الذى لا إعوجاج فيه.

البلاغة :

1- [وإذ قالت الملائكة] أطلق الملائكة وأريد به جبريل فهو من باب تسمية الخاص بإسم العام تعظيما له ويسمى [المجاز المرسل] .

2- [إصطفاك وطهرك وإصطفاك] تكرر لفظ [اصطفاك] كما تكرر لفظ [مريم] وهذا من باب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإطناب.

3- [ولم يمسسنى بشر] كنى عن الجماع بالمس ، كما كنى عنه بالحرث واللباس والمباشرة ، وكل ذلك لتعليمنا الأدب فى التعبير.

4- [ولآحل لكم بعض الذى حرم] بين لفظ [أحل] و[حرم] من المحسنات البديعية الطباق ، كما ورد الحذف فى عدة مواضع ، والإطناب فى عدة مواضع.

فائدة :

جاء التعبير هنا بقوله [كذلك الله يخلق مايشاء] بوصف الخلق ، وفى قصة يحيى [كذلك الله يفعل ما يشاء] والسر فى ذلك هو أن خلق عيسى من غير أب إيجاد وإختراع من غير سبب عادى ، فناسبه ذكر الخلق ، وهناك الزوجة والزوج موجودان ولكن وجود الشيخوخة والعقم مانع فى العادة من وجود الولد ، فناسبه ذكر الفعل والله أعلم.

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال بعض العلماء : الحكمة فى أن الله لم يذكر فى القرآن امرأة بإسمها إلا [مريم] هى الإشارة من طرف خفى ، إلى رد ما زعمه النصارى من أنها زوجته ، فإن العظيم يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس ، ولينسب إليها عيسى بإعتبار عدم وجود أب له ، ولهذا قال فى الآية [اسمه المسيح عيسى إبن مريم] .

قال الله تعالى : [فلما أحس عيسى منهم الكفر .. إلى .. فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين] من أية [52] إلى الآية [63] .

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن قصة المسيح عيسى إبن مريم عليه السلام ، وقد ذكر تعالى فى الآيات السابقة بشارة مريم بالسيد المسيح ، ثم أعقبها بذكر معجزاته ، وكلها براهين ساطعة تدل على نبوته عليه السلام ، ومع كل البراهين والمعجزات التى أيده الله بها فإن الكثيرين من بنى إسرائيل لم يؤمنوا به ، وقد عزم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعداء [اليهود] على قتله فنجاه الله من شرهم ورفعه إلى السماء ، وألقى شبهه على بعض الناس ، وهذه أيضا من معجزاته الساطعة.

اللغة :

[أحس] عرف وتحقق وأصله من الإحساس وهو الإدراك ببعض الحواس الخمس

[الحواريون] جمع حوارى وهو صفوة الرجل وخاصته ، ومنه قيل للحضريات [حواريات] لخلوص ألوانهن وبياضهن ، قال الشاعر :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

والحواريون أتباع عيسى كالصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سموا [حواريين] لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم

[مكروا] المكر : الخداع وأصله السعي بالفساد فى خفية ، قال الزجاج : يقال مكر الليل وأمكر إذا أظلم ، ومكر الله استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون حكى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الفراء وغيره

[نبتهل] نتضرع فى الدعاء ، وأصل الإبتهال :

الاجتهاد فى الدعاء باللعن ، والبهلة اللعنة.

سبب النزول :

لما قدم وفد نصارى نجران : وجادلوا رسول الله

(ص) فى أمر عيسى ،

قالوا للرسول (ص) ما لك تشتم صاحبنا ؟

قال : وما أقول ؟

قالوا : تقول إنه عبد ،

قال : أجل انه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى

العذراء البتول ،

فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنسانا قط من غير أب ؟

فإن كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله [إن مثل عيسى

عند الله كمثل آدم] الآية ،

وروى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإسلام ،

قالوا : قد كنا مسلمين قبلك ،

فقال : كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث : قولكم اتخذ الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولدا ، وأكلكم الخنزير ، وسجودكم للصليب ، فقالوا : فمن أبوه إذا ، فأنزل الله [إنه مثل عيسى .. إلى قوله .. ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] فدعاهم النبى (ص) إلى المباهلة ،

فقال بعضهم لبعض : إن فعلتم اضطرم الوادى عليكم نارا !!

فقالوا : أما تعرض علينا سوى هذا ؟ فقال : الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فأقروا بالجزية.

التفسير :

[فلما أحس عيسى منهم الكفر] أى إستشعر من اليهود التصميم على الكفر ، والاستمرار على الضلال وإرادتهم قتله

[قال من أنصارى إلى الله] أى من أنصارى فى الدعوة إلى الله ، قال مجاهد : أى من يتبعنى إلى الله

[قال الحواريون نحن أنصار الله] أى قال المؤمنون الأصفياء من أتباعه نحن أنصار دين الله

[آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون] أى صدقنا بالله وبما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جئتنا به ، وأشهد بأننا منقادون لرسالتك مخلصون فى نصرتك

[ربنا آمنا بما أنزلت وإتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهدين] أى آمنا بآياتك وإتبعنا رسولك عيسى ، فأكتبنا مع من شهد لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق .. ثم أخبر تعالى عن اليهود المتآمرين الذين أرادوا قتل عيسى فقال

[ومكروا ومكر الله] أى أرادوا قتله فنجاه الله من شرهم ، ورفعه إلى السماء دون أن يمس بأذى وألقى شبهه على ذلك الخائن [يهوذا] وسمى مكرا من باب المشاكلة ((الاتفاق فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى)) ولهذا قال

[والله خير الماكرين] أى أقواهم مكرا بحيث جعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفى الحديث (اللهم أمكر لى ولا تمكر على)

[إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنى رافعك إلى السماء ، ثم مميتك بعد استيفائك كامل أجلك والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ، ورفعه إلى السماء سالما دون أذى ، قال قتاده : هذا من المقدم والمؤخر تقديره : إنى رافعك إلى ، ثم متوفيك بعد ذلك ، بعد إنزالى إياك إلى الدنيا ((وأما قول بعض المفسرين أنه توفي ثلاث ساعات من نهار ثم رفع وقول بعضهم المراد بالوفاة وفاة النوم فضعيف ، فقد رده المحققون قال القرطبي : " والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس ")).

[ومطهرك من الذين كفروا] أى مخلصك من شر الأشرار الذين أرادوا قتلك ، قال الحسن : طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه

[وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة] أى جاعل اتباعك الذين امنوا بك فوق الذين جحدوا نبوتك ، ظاهرين على من ناوأهم الى يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة ، وفي تفسير الجلالين : (الذين اتبعوك) أى صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى [فوق الذين كفروا] وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف

[ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون] أى ثم مصيركم الى الله فاقضي بين جميعكم بالحق ، فيما كنتم تختلفون فيه من امر عيسى

[فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة] أى اما الكافرون بنبوتك المخالفون لملتك ، فاني معذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي ، وبالاخرة بنار جهنم

[وما لهم من ناصرين] اي ليس لهم ناصر يمنع عنهم عذاب الله

[واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم] أى واما المؤمنون فيعطيهم جزاء اعمالهم الصالحة ، كاملة غير منقوصة

[والله لا يحب الظالمين] أى لا يحب من كان ظالما فكيف يظلم عباده ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك نتلوه عليك] أى هذه الانباء التي نقصها عليك يا محمد

[من الايات والذكر الحكيم] أى من ايات القران الكريم المحكم ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

[ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم] أى ان شان عيسى اذ خلقه بلا اب - وهو في بابه غريب -كشان ادم

[خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] أى خلق ادم من غير اب ولا ام ، ثم قال له (كن) فكان ، فليس امر عيسى باعجب من امر ادم ! !

[الحق من ربك فلا تكن من الممترين] أى هذا هو القول الحق في شان عيسى فلا تكن من الشاكين

[فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم] أى من جادلك في امر عيسى بعدما وضح لك الحق واستبان

[فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم] أى هلموا نجتمع ويدعو كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى (المباهلة)! ! وفي سنن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الترمذي لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله (ص)
فاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء اهلى)
[ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] أى نتضرع
الى الله فنقول : اللهم العن الكاذب منا في شأن عيسى
،
فلما دعاهم الى المباهلة ، امتنعوا وقبلوا بالجزية . قال
ابن عباس : " لو خرج الذين يباهلون رسول الله (ص)

لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا " قال ابو حيان : "
وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بصدقه ، وهو
شاهد عظيم على صحة نبوته " ثم قال تعالى
[ان هذا لهو القصص الحق] أى هذا الذي قصصناه
عليك يا محمد في شان عيسى هو الحق الذي لا شك
فيه
[وما من اله الا الله] أى لا يوجد اله غير الله ، وفيه
رد على النصارى في قولهم بالتثليث
[وان الله لهو العزيز الحكيم] أى هو جل شانه العزيز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ملكه ، الحكيم في صنعه

[فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين] أى ان اعرضوا عن الاقرار بالتوحيد فانهم مفسدون والله عليم بهم ، وسيجازيهم على ذلك شر الجزاء .

البلاغة :

1 - [فلما احس] قال ابو حيان : فيها استعارة اذ الكفر ليس بمحسوس ، وانما يعلم ويفطن به ، فاطلاق الحس عليه من نوع الاستعارة .

2 - [والله خير الماكرين] بين لفظ مكروا والماكرين جناس الاشتقاق وهو من باب المشاكلة .

3- [فيوفيهم اجورهم] فيه التفات من ضمير التكلم الى ضمير الغيبة ، وهو ضرب من ضروب الفصاحة .

4 - [الحق من ربك] التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى الرسول لتشريفه عليه الصلاة والسلام .

5 - [فلا تكن من الممترين] هو من باب (الالهاب والتهييج) لزيادة التثبيت افاده ابو السعود .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفه :

قال صاحب البحر المحيط : سأل رجل الجنيد فقال : كيف رضي الله سبحانه لنفسه المكر وقد عاب به غيره ؟ فقال : لا ادري ما تقول ولكن انشدني فلان الظهراني : ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا ، ثم قال له : قد اجبتك ان كنت تعقل .

قال الله تعالى : [قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء . . الى . . والله ذو الفضل العظيم] من اية (64) الى نهاية اية (74)

المناسبه :

لما اقام القران الحجة على النصارى ، وابطل دعواهم في شان الوهية المسيح ، دعا الفريقين " اليهود والنصارى " الى التوحيد ، والاقتداء بابي الانبياء ابراهيم عليه السلام ، اذ كانت ملته الحنيفية السمحة وهي (ملة الاسلام) ، ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا كما زعم كل من الفريقين ، ثم بين ان احق الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالانتساب الى ابراهيم محمد(ص) وامته .

اللغة :

[سواء] السواء : العدل والنصف ، قال ابو عبيدة :

يقال قد دعاك الى السواء فاقبل منه ، قال زهير :

اروني خطة لاضيم فيها يسوى بيننا فيها السواء

[اولى] احق

[ودت] تمنت

[تلبسون] اللبس : الخلط ، يقال : لبس الامر عليه اذا اشتبه واختلط

[وجه النهار] اوله سمي وجها لانه اول ما يواجه من النهار ، قال الشاعر : من كان مسرورا بمقتل مالك

فليات نسوتنا بوجه نهار

سبب النزول :

روي عن ابن عباس ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله (ص) فتنازعوا في ابراهيم فقالت اليهود : ما كان ابراهيم الا (يهوديا) ، وقالت النصارى : ما كان الا (نصرانيا) فانزل الله تكذيبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم :

[ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما] الاية .

التفسير :

[قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم]
أى قل لهم يا معشر اليهود والنصارى : هلموا الى كلمة عادلة مستقيمة ، فيها انصاف وعدل ، نستوي نحن وانتم فيها

[الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا] أى ان نفرد الله وحده بالعبادة ، ولا نجعل له شريكا

[ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله] أى لا يعبد بعضنا بعضا كما عبد اليهود والنصارى (عزيرا وعيسى) ، واطاعوا الاحبار والرهبان فيما احلوا لهم وحرموا ، روي ان الاية لما نزلت قال عدي بن حاتم : ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، فقال (ص) : " اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم ؟ فقال : نعم ، فقال النبي (ص) : هو ذاك "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] أى فان اعرضوا عن التوحيد ، ورفضوا قبول تلك الدعوة العادلة ،

فقولوا انتم : اشهدوا يا معشر اهل الكتاب باننا موحدون مسلمون ، مقرون لله بالوحدانية ، مخلصون له العبادة

[يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم] أى يا معشر اليهود والنصارى لم تجادلون وتنازعون في ابراهيم وتزعمون انه على دينكم ؟

[وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده] أى والحال انه ما حدثت هذه الاديان ، الا من بعده بقرون كثيرة ، فكيف يكون ابراهيم عليه السلام من اهلها ؟

[افلا تعقلون] بطلان قولكم ؟ فقد كان بين ابراهيم وموسى الف سنة ، وبين موسى وعيسى الفا سنة ، فكيف يقول بذلك عاقل ؟ والاستفهام للتوبيخ

[ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم] أى ها انتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا معشر اليهود والنصارى جادلتم وخاصمتم في شان عيسى ، وقد عشتم زمانه فزعمتم ما زعمتموه

[فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم] اي فلم تخاصمون وتجادلون قي شان ابراهيم ودينه ، وتتسبونه الى اليهودية او النصرانية بدون علم ؟ افليست هذه سفاهة وحماقة ؟

[والله يعلم وانتم لا تعلمون] أى والله يعلم الحق من امر ابراهيم وانتم لا تعلمون ذلك ، قال ابو حيان : " وهذا استدعاء لهم ان يسمعوا كما تقول لمن تخبره بشيء لا يعلمه : اسمع فاني اعلم ما ، لا تعلم " . . ثم اكذبهم الله تعالى في دعوى ابراهيم فقال

[ما كان أبراهيم يهوديا ولا نصرانيا] أى ما كان ابراهيم على دين (اليهودية) ولا على دين (النصرانية) ، فان اليهودية ملة محرفة عن شرع موسى ، وكذلك النصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى

[ولكن كان حنيفا مسلما] أى مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما كان من المشركين] أى كان مسلما ولم يكن مشركا ، وفيه تعريض بانهم مشركون في قولهم (عزير ابن الله) ، ورد لدعوى المشركين انهم على ملة ابراهيم

[ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه] اي احق الناس بالانتساب الى ابراهيم اتباعه الذين سلكوا طريقه ومنهاجه في عصره وبعده

[وهذا النبي] اي محمد (ص)

[والذين امنوا] أى المومنون من امة محمد (ص) فهم الجديرون بان يقولوا نحن على دينه لا انتم

[والله ولى المؤمنين] أى حافظهم وناصرهم . . ولما دعا اليهود بعض الصحابة الى اليهودية ، نزل قوله

[ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم] أى تمنوا اضلالكم بالرجوع الى دينهم حسدا وبغيا

[وما يضلون الا انفسهم] أى لا يعود وبال ذلك الا عليهم ، اذ يضاعف به عذابهم

[وما يشعرون] أى ما يفطنون لذلك ، ثم وبخهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القران على فعلهم القبيح فقال

[يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله] أى لم تكفرون بالقران المنزل على محمد (ص)

[وانتم تشهدون] أى تعلمون انه حق ؟

[يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل] أى لم تخلطون بين الحق والباطل ، بالقاء الشبه والتحريف والتبديل ؟

[وتكتمون الحق وانتم تعلمون] أى تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد (ص) وانتم تعلمون ذلك . . ثم حكى تعالى نوعا اخر من مكرهم وخبثهم ، وهو ان يظهروا الاسلام في اول النهار ، ثم يرتدوا عنه في اخره ، ليشككوا الناس في دين الاسلام فقال سبحانه :

[وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار] قال ابن كثير : وهذه مكيدة ارادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس امر دينهم ، وهو انهم تشاوروا بينهم ان يظهروا الايمان اول النهار ، ويصلوا مع المسلمين ، فاذا جاء اخر النهار ، ارتدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الى دينهم ، ليقول الجهلة من الناس : انما ردهم الى دينهم ، اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين .

[واكفروا اخره] أى اكفروا بالاسلام اخر النهار

[لعلهم يرجعون] أى لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه

[ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم] هذا من تتمة كلام اليهود حكاه الله عنهم والمعنى : لا تصدقوا ولا تظهروا سركم وتطمئنوا لأحد الا اذا كان على دينكم

[قل ان الهدى هدى الله] أى قل لهم يا محمد : الهدى ليس بأيديكم وانما الهدى هدى الله ، يهدي من يشاء الى الايمان ، ويثبته عليه كما هدى المؤمنين ، والجملة اعتراضية . . ثم ذكر تعالى بعد ذلك الاعتراض بقية كلام اليهود فقال

[ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم] أى يقول اليهود بعضهم لبعض : لا تصدقوا الا لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبع دينكم ، وانظروا فيمن ادعى النبوة ، فان كان متبعا لدينكم فصدقوه والا فكذبوه ، ولا تقروا ولا تعترفوا لأحد بالنبوة ، الا اذا كان على دينكم ، خشية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ، وخشية ان يحاجوكم به عند ربكم ، فاذا اقررتم بنبوة محمد ولم تدخلوا في دينه ، تكون له الحجة عليكم يوم القيامة ، وغرضهم نفى النبوة عن رسول الله (ص)

[قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء] أى قل لهم يا محمد : امر النبوة ليس اليكم ، وانما هو بيد الله والفضل والخير كله بيد الله يؤتيه من يشاء

[والله واسع عليم] أى كثير العطاء واسع الانعام ، يعلم من هو اهل له

[يختص برحمته من يشاء] أى يختص بالنبوة من شاء

[والله ذو الفضل العظيم] أى فضله واسع عظيم لا يحد ولا يمنع .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جمعت هذه الايات من ضروب الفصاحة والبلاغة ما ياتي :

- المجاز في قوله [الى كلمة] حيث اطلق اسم الواحد على كلمة التوحيد " لا اله الا الله ، محمد رسول الله " ،

- والتشبيه في قوله [اربابا] حيث شبه طاعتهم لرؤساء الدين في امر التحليل ، بالرب المستحق للعبادة ،

- والطباق في قوله [الحق بالباطل]

- والجناس التام في قوله [يضلونكم وما يضلون]

- وجناس الاشتقاق في [اولى] و[ولى]

- والتكرار في عدة مواطن ، والحذف في عدة مواطن .

فائدة :

كتب رسول الله (ص) كتابا الى (هرقل) ملك الروم يدعوه فيه الى الاسلام واستشهد فيه بالاية الكريمة التي فيها اخلاص الدعوة لعبادة الله وحده ، ونص الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما هو في صحيح مسلم " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى اما بعد : فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين - يعني الفلاحين والخدم - و[يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون] .

قال الله تعالى : [ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك . . الى . . ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون] من اية (75) الى نهاية اية (80) .

المناسبة :

لما حكى تعالى قبائح اهل الكتاب ، وما هم عليه من الخبث والكيد والمكر ، اعقبه بذكر بعض اوصاف اليهود خاصة وهي خيانتهم من الناحيتين : المالية والدينية ، فقد خانوا الله والناس بتحريفهم كلام الله عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معناه ، واستحلالهم اكل اموال الناس بالباطل .

اللغة :

[قنطار] القنطار المال الكثير وقد تقدم

[قائما] ملازما ومداوما على مطالبته

[الاميين] المراد بهم العرب ، واصل الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والعرب كانوا كذلك

[يلوون] من اللي وهو اللف والفتل تقول : لويت يده اذا فتلتها ، والمراد انهم يفتلون السنتهم ليميلوا عن الايات المنزلة الى العبارات المحرفة

[لا خلاق] أى لا نصيب لهم من رحمة الله

[ربانيين] جمع رباني وهو المنسوب الى الرب ، قال الطبري معناه : كونوا حلماء علماء فقهاء ، وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنه .

سبب النزول :

عن الاشعث بن قيس قال : كان بينى وبين رجل من اليهود ارض ، فجحدني فقدمته الى النبي (ص) فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لي رسول الله (ص) : هل لك بينة ؟ قلت : لا ، قال اليهودي : احلف ، قلت : اذا يحلف فيذهب بمالي فانزل الله [ان الذين يشترون بعهد الله . .] الاية .

التفسير :

[ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك] أى من اليهود من اذا ائتمنته على المال الكثير ، اداه اليك لامانته " كعبد الله بن سلام " اودعه قرشي الف اوقية ذهبا فاداها اليه

[ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك] أى ومنهم من لا يؤتمن على دينار لخيانته " كفنحاص بن عازوراء " ائتمنه قرشي على دينار فجحده

[الا ما دمت عليه قائما] أى الا اذا كنت ملازما له ومشهدا عليه

[ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل] أى انما حملهم على الخيانة زعمهم ان الله اباح لهم اموال الاميين -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعني العرب - روي ان اليهود قالوا [نحن ابناء الله واحباؤه] والخلق لنا عبيد ، فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ، وقيل : انهم قالوا ان الله اباح لنا مال من خالف ديننا

[ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون] أى يكذبون على الله بادعائهم ذلك ، وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون ، روي انهم لما قالوا [ليس علينا في الاميين سبيل] قال نبي الله (ص) : (كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا هو تحت قدمي هاتين ، الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر) ، ثم قال تعالى :

[بلى من اوفى بعهده واتقى فأن الله يحب المتقين] أى ليس كما زعموا بل عليهم فيه اثم ، لكن من ادى الامانة منهم وامن بمحمد (ص) واتقى الله واجتنب محارمه ، فان الله يحبه ويكرمه

[ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا] أى يستبدلون بالعهد الذي عاهدوا عليه من التصديق بمحمد وبأيمانهم الكاذبة ، حطام الدنيا وعرضها الخسيس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزائل

[اولئك لا خلاق لهم في الاخرة] أى ليس لهم حظ ولا نصيب من رحمة الله تعالى :

[ولايكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة] أى لا يكلمهم كلام انس ولطف ، ولا ينظر اليهم بعين الرحمة يوم القيامة

[ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم] أى لا يطهرهم من اوضار الاوزار ، ولهم عذاب موجع على ما ارتكبوه من المعاصى

[وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب] اي وان من اليهود طائفة يفتلون السنتهم في حال قراءة الكتاب ، لتحريف معانيه وتبديل كلام الله عن المراد منه ، قال ابن عباس : يحرفونه بتأويله على غير مراد الله

[لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب] اي لتظنوا ان هذا المحرف من كلام الله وما هو الا تضليل وبهتان

[ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينسبونه الى الله وهو كذب على الله

[ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون] انهم كذبوا وافتروا على الله . . ثم قال تعالى ردا على النصارى لما زعموا ان عيسى امرهم ان يعبدوه

[ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة] أى لا يصح ولا ينبغي لاحد من البشر اعطاه الله الكتاب والحكمة والنبوة

[ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله] أى ثم يقول للناس اعبدوني من دون الله ، والغرض : انه لا يصح اصلا ولا يتصور عقلا صدور دعوى الالوهية من نبي قط اعطاه الله النبوة والشريعة ليرشد الناس الى عبادة الله ، فكيف يدعوهم الى عبادة نفسه ؟

[ولكن كونوا ربانيين] أى ولكن يقول لهم : كونوا ربانيين ، قال ابن عباس : حكماء علماء حلماء والمعنى : لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن ادعوكم ان تكونوا علماء فقهاء مطيعين لله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون] أى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم اياه

[ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا] أى وما كان له ان يأمركم بعبادة غير الله - ملائكة او انبياء - لان مهمة الرسل الدعوة الى الله واخلاص العبادة له

[ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون] أى ايامركم نبيكم بالكفر وجحود وحدانية الله ، بعد ان اسلمتم ودخلتم في دين الله ؟ والاستفهام انكاري تعجبي ، أى لا يتصور هذا اصلا .

البلاغة :

1 - [ذلك بأنهم قالوا] الاشارة بالبعيد للايذان بكمال غلوهم فى الشر والفساد .

2 - [ليس علينا في الاميبن سبيل] فيه ايجاز بالحذف أى ليس علينا في أكل اموال الاميين سبيل .

3 - [يشترون بعهد الله] فيه استعارة فقد استعار لفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشراء للاستبدال .

4 - [ولا يكلمهم الله] بيان عن شدة غضبه وسخطه تعالى عليهم وكذلك في الاتي بعدها .

5 - [ولا ينظر اليهم] قال الزمخشري : مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم لان من اعتد بأنسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه .

6 - بين لفظ [اتقى] و[المتقين] جناس الاشتقاق وبين لفظ [الكفر] و[مسلمون] طباق .

فائدة :

روي ان رجلا قال لابن عباس : " انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة ، قال ابن عباس : فماذا تقولون ؟ قالوا : نقول ليس علينا بذلك بأس ، قال : هذا كما قال اهل الكتاب [ليس علينا في الاميين سبيل] انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب انفسهم " .

قال تعالى : [وأذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة . . . الى ... وما لهم من ناصرين] من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اية (81) الى نهاية اية (90)

المناسبة :

لما ذكر تعالى خيانة اهل الكتاب بتحريفهم كلام الله عن مواضعه ، وتغييرهم اوصاف رسول الله (ص) الموجودة في كتبهم حتى لا يؤمنوا به ، ذكر تعالى هنا ما تقوم به الحجة عليهم ، وهو ان الله قد اخذ الميثاق على انبيائهم ان يؤمنوا بمحمد (ص) ان ادركوا حياته ، وان يكونوا من اتباعه وانصاره ، فاذا كان الانبياء قد اخذ عليهم العهد ان يؤمنوا به ويبشروا بمبعثه فكيف يصح من اتباعهم التكذيب برسالته ؟ ثم ذكر تعالى ان الايمان بجميع الرسل شرط لصحة الايمان ، وبين ان الاسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله دينا سواه .

اللغه :

[ميثاق] الميثاق : العهد المؤكد بيمين ونحوه وقد تقدم

[اصري] عهدي واصله في اللغة الثقل قال الزمخشري : وسمي اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الفاسقون] الخارجون عن طاعة الله

[طوعا] انقيادا عن رغبة

[كرها] اجبارا وهو كاره

[الاسباط] جمع سبط وهو ابن الابن والمراد به هنا قبائل بني اسرائيل من اولاد يعقوب

[ينظرون] يمهلون يقال : انظره يعني امهله والنظرة الامهال

[الخاسرون] الخسران : انتقاص رأس المال يقال : خسر فلان أى أضاع من رأس ماله

[الضالون] التائهون في مهامه الكفر .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : ارتد رجل من الانصار عن الاسلام ، ولحق بالشرك ثم ندم ، فأرسل الى قومه : سلوا لي رسول الله (ص) هل لي من توبة فاني قد ندمت ؟ فنزلت الاية [كيف يهدي الله قوما كفروا . . . الى قوله . . . الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم] فكتب بها قومه اليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرجع فأسلم .

التفسير :

[واذ اخذ الله ميثاق النبيين] أى اذكروا يا اهل الكتاب حين اخذ الله العهد المؤكد على النبيين

[لما اتيتكم من كتاب وحكمة] أى لمن أجل ما اتيتكم من الكتاب والحكمة ، قال الطبري : المعنى لمهما اتيتكم ايها النبيون من كتاب وحكمة

[ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم] أى ثم جاءكم رسول من عندي بكتاب مصدق لما بين ايديكم ، وهو (محمد) (ص)

[لتؤمنن به ولتنصرنه] أى لتصدقنه ولتنصرنه ، قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ، ليؤمنن به ولينصرنه ، وامره ان ياخذ الميثاق على امته

[قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري] اي " أأقررتم واعترفتم بهذا الميثاق واخذتم عليه عهدي ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا اقررنا] أى اعترفنا

[قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين] أى اشهدوا على انفسكم وأتباعكم ، وأنا من الشاهدين عليكم وعليهم

[فمن تولى بعد ذلك] أى اعرض ونكث عهده

[فاولئك هم الفاسقون] أى هم الخارجون عن طاعة الله

[افغير دين الله يبغون] الهمزة للانكار التوبيخي أى ايبتغى اهل الكتاب دينا غير الاسلام ، الذي ارسل الله به رسله ؟

[وله اسلم من في السموات والارض] أى ولله استسلم وانقاد وخضع اهل السموات والارض

[طوعا وكرها] أى طائعين ومكرهين قال قتادة : المؤمن اسلم طائعا ، والكافر اسلم كارها حين لا ينفعه ذلك ، قال ابن كثير : فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله طوعا ، والكافر مستسلم لله كرها ، فأنه تحت التسخير والقهر ، والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واليه يرجعون] أى يوم المعاد فيجازي كلا بعمله

[قل امنا بالله وما انزل علينا] أى قل يا محمد انت وأمتك امنا بالله وبالقران المنزل علينا

[وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط] أى وامنا بما انزل على هؤلاء من الصحف والوحي ، والاسباط هم بطون بني اسرائيل المتشعبة من اولاد يعقوب

[وما اوتى موسى وعيسى] أى من التوراة والانجيل

[والنبيون من ربهم] أى وما انزل على الانبياء جميعهم

[لا نفرق بين احد منهم] أى لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض كما فعل اليهود والنصارى ، بل نؤمن بالكل

[ونحن له مسلمون] اي مخلصون في العبادة مقرون له بالالوهية والربوبية ، لا نشرك معه احدا ابدا . . ثم اخبر تعالى بأن كل دين

غير الاسلام باطل ومرفوض فقال

[ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه] أى من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطلب شريعة غير شريعة الاسلام ، بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ليدين بها فلن يتقبل الله منه

[وهو في الاخرة من الخاسرين] أى مصيره الى النار مخلدا فيها

[كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم] استفهام للتعجيب والتعظيم من كفرهم ، أى كيف يستحق الهداية قوم كفروا بعد ايمانهم ؟

[وشهدوا ان الرسول حق] اي بعد ان جاءتهم الشواهد ووضح لهم الحق أن محمدا رسول الله

[وجاءهم البينات] أى جاءتهم المعجزات والحجج البينات على صدق النبي

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أى لا يوفقهم لطريق السعادة ، قال الحسن : هم اليهود والنصارى رأوا صفة محمد (ص) في كتابهم ، وشهدوا انه حق ، فلما بعث من غيرهم ، حسدوا العرب فكفروا بعد ايمانهم

[اولئك جزاوهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين] أى جزاؤهم على كفرهم اللعنة من الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والملائكة والخلق اجمعين

[خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون]

أى ماكثين في النار ابد الابدين ، لا يفتر عنهم العذاب

ولا هم يمهلون

[الا الذبن تابوا من بعد ذلك واصلحوا] أى الا من

تاب واناب واصلح ما افسد من عمله

[فان الله غفور رحيم] أى متفضل عليه بالرحمة

والغفران

[ان الذين كفروا بعد أيمانهم ثم ازدادوا كفرا] نزلت

في اليهود كفروا بعيسى بعد ايمانهم بموسى ، ثم

ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد والقران

[لن تقبل توبتهم] أى لا تقبل منهم توبة ما اقاموا على

الكفر

[واولئك هم الضالون] أى الخارجون عن منهج الحق

الى طريق الغي . . ثم اخبر تعالى عمن كفر ومات

على الكفر فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار] أى كفروا ثم ماتوا على الكفر ولم يتوبوا ، وهو عام في جميع الكفار

[فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به] أى لن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا

[اولئك لهم عذاب اليم] أى مؤلم موجع

[وما لهم من ناصرين] أى ليس لهم احد ينقذهم من عذاب الله ، ولا يجيرهم من أليم عقابه !

البلاغة :

1- الالتفات [لما اتبتكم] فيه التفات من الغيبة الى الحاضر لأن قبله [ميثاق النبيين] .

2 - بين لفظ [اشهدوا] و[الشاهدين] جناس الاشتقاق وكذلك بين لفظ [كفروا] و[كفرا] وهو من المحسنات البديعية .

3 - الطباق بين [طوعا] و[كرها] وكذلك بوجد الطباق بين لفظ الكفر والايمان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [واولئك هم الضالون] قصر صفة على موصوف ومثله [فاولئك هم الفاسقون] .

5 - [وما أوتي موسى وعيسى والنبيون] هو من باب عطف العام على الخاص ، لتعميم الحكم وبيان وحدة المرسلين .

6 - [ولهم عذاب اليم] أى مؤلم والعدول الى صيغة " فعيل " للمبالغة .

فائدة :

الايات الكريمة قسمت الكفار الى ثلاثة اقسام :

ا - قسم تاب توبة صادقة فنفعته ، واليهم الاشارة بقوله [الا الذين تابوا من بعد ذلك] .

2 - وقسم تاب توبة فاسدة فلم تنفعه ، واليهم الاشارة بقوله [كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا] .

3 - وقسم لم يتب أصلا ومات على الكفر ، واليهم الاشارة بقوله [ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا. .] .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روى الشيخان عن انس بن مالك ان النبي (ص) قال : " يقال للرجل من اهل النار يوم القيامة : ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به ؟ قال : فيقول : نعم ، فيقول الله : قد اردت منك ما هو اهون من ذلك ، قد اخذت عليك في ظهر ابيك ادم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا ان تشرك " .

قال الله تعالى : [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . . الى . . اياته لعلكم تهتدون] من اية (92) !لى نهاية اية (103)

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال الكفار ومآلهم في الاخرة ، وبين ان الكافر لو اراد أن يفتدى نفسه بملء الارض ذهبا ما نفعه ذلك ، ذكر هنا - استطراد - ما ينفع المؤمن لنيل رضى الله والفوز بالجنة ، ثم عاد الكلام لدفع الشبهات التي اوردها اهل الكتاب حول (النبوة والرسالة) ، ثم جاء بعده التحذير من مكائدهم ودسائسهم التي يدبرونها للاسلام والمسلمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[البر] كلمة جامعة لوجوه الخير والمراد بها هنا الجنة

[حلا] حلالا وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث

[اسرائيل] هو يعقوب عليه السلام

[بكة] اسم لمكة فتسمى " بكة " و " مكة " سميت بذلك لانها تبك أى تدق اعناق الجبابرة فلم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله

[مباركا] البركة : الزيادة وكثرة الخير

[مقام ابراهبم] محل قيام ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه لما ارتفع بناء البيت

[عوجا] العوج : الميل ، قال ابو عبيدة : بالكسر ، في الدين والكلام والعمل ، وبالفتح عوج ، في الحائط والجذع

[يعتصم] يتمسك ويلتجىء وأصله المنع ، قال القرطبي : وكل متمسك بشيء معتصم ، وكل مانع شيئا فهو عاصم [قال لا عاصم اليوم من امر الله]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شفا] الشفا : حرف كل شيء وحده ، ومثله الشفير ، وشفا الحفرة : حرفها قال تعالى [على شفا جرف هار] .

سبب النزول :

يروى ان " شاس بن قيس " اليهودي مر على نفر من الانصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم ، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال : ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار ، ثم امر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم " بعاث " وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار - وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس - ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا ، وقالوا : السلاح السلاح ، فبلغ النبى (ص) فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال : " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام ، وقطع به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم " ؟ فعرف القوم أنها كانت نزعة من الشيطان ، وكيدا من عدوهم ، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ، ثم أنصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين ، فأنزل الله عز وجل [يا أيها الذين أمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا ا لكتاب] ألاية .

التفسير :

[لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون] أى لن تكونوا من ألابرار ، ولن تدركوا الجنة حتى تنفقوا من أفضل أموالكم

[وما تنفقوا من شيء فأن الله به عليم] أى وما تبذلوا من شيء في سبيل الله فهو محفوظ لكم تجزون عنه خير الجزاء

[كل الطعام كان حلا لبني أسرائيل] أى كل الأطعمة كانت حلالا لبني اسرائيل

[الا ما حرم اسرائيل على نفسه] أى الا ما حرمه يعقوب على نفسه ، وهو لحم الابل ولبنها ، ثم حرمت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم

[من قبل أن تنزل التوراة] أى كانت حلالا لهم قبل نزول التوراة

[قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين] أي قل لهم يا محمد أئتوني بالتوراة واقرءوها على ، ان كنتم صادقين في دعواكم أنها لم تحرم عليكم بسبب بغيكم وظلمكم ، قال الزمخشري : وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله ، فلما حاجهم بكتابهم وبكتهم ، بهتوا وانقلبوا صاغرين ، ولم يجسر أحد منهم على اخراج التوراة ، وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي (ص)

[فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك] أي اختلق الكذب من بعد قيام الحجة وظهور البينة

[فأولئك هم الظالمون] أى المعتدون المكابرون بالباطل

[قل صدق الله] أى صدق الله في كل ما أوحى الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد وفي كل ما أخبر عنه

[فاتبعوا ملة ابراهيم] اي اتركوا اليهودية واتبعوا ملة الاسلام التي هي ملة ابراهيم

[حنيفا] أى مائلا عن الاديان الزائفة كلها

[وما كان من المشركين] برأه الله مما نسبه اليهود والنصارى اليه من اليهودية والنصرانية ، وفيه تعريض بإشراكهم

[إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة] أى أول مسجد بني في الأرض لعبادة الله المسجد الحرام الذي هو بمكة

[مباركا وهدى للعالمين] أى وضع مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره ، ومصدر الهداية والنور لاهل الأرض لأنه قبلتهم ، ثم عدد تعالى من مزاياه ما يستحق تفضيله على جميع المساجد فقال

[فيه آيات بينات مقام أبراهيم] أى فيه علامات واضحات كثيرة ، تدل على شرفه وفضله على سائر المساجد منها [مقام إيراهيم] وهو الذي قام عليه حين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رفع القواعد من البيت ، وفيه زمزم والحطيم ، وفيه الصفا والمروة والحجر الأسود ، أفلا يكفى برهانا على شرف هذا البيت وأحقيته ، أن يكون قبلة للمسلمين ؟

[ومن دخله كان آمنا] وهذه آية أخرى ، وهي الأمن والأمان لمن دخل الحرم بدعوة الخليل إبراهيم [رب اجعل هذا البلد آمنا]

[ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا]

اي فرض لازم على المستطيع حج بيت الله العتيق

[ومن كفر فإن الله غني عن العالمين] أى من ترك الحج فإن الله مستغن عن عبادته وعن الخلق أجمعين ، وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه ، قال ابن عباس : من جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنة ، ثم أخذ يبكت أهل الكتاب على كفرهم فقال

[قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله] أى لم تجحدون بالقرآن المنزل على محمد (ص) ، مع قيام الدلائل والبراهين على صدقه ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله شهيد على ما تعملون] أى مطلع على جميع أعمالكم فيجازيكم عليها

[قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن] أى لم تصرفون الناس عن دين الله الحق ، وتمنعون من أراد الإيمان به ؟

[تبغونها عوجا] أى تطلبون أن تكون الطريق المستقيمة معوجة ، وذلك بتغيير صفة الرسول ، والتلبيس على الناس بإيهامهم أن في الإسلام خللا وعوجا

[وأنتم شهداء] أى عالمون بأن الإسلام هو الحق والدين المستقيم

[وما الله بغافل عما تعملون] تهديد ووعيد . . وقد جمع اليهود والنصارى الوصفين : الضلال والإضلال ، فقد كفروا بالإسلام ، ثم صدوا الناس عن الدخول فيه ، بإلقاء الشبه والشكوك في قلوب الضعفة من الناس

[يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب] أي إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يردوكم بعد ايمانكم كافرين] أى يصيرونكم كافرين بعد أن هداكم الله للإيمان ، والخطاب للاوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم كما مر في سبب النزول ، واللفظ في الآية عام

[وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله] إنكار واستبعاد أى كيف يتطرق إليكم الكفر والحال أن أيات الله لا تزال تتنزل عليكم ، والوحي لم ينقطع ، ورسول الله حى بين أظهركم ؟

[ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم] أى من يتمسك بالإسلام الحق الذي بينه الله بآياته ، على لسان رسوله ، فقد اهتدى إلى أقوم طريق ، وهي الطريق الموصلة ألى جنات النعيم

[يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله حق تقاته] أى اتقوا الله تقوى حقة أو حق تقواه ، قال ابن مسعود : " هو أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر " والمراد بالآية [حق تقاته] أى كما يحق أن يتقى وذلك باجتناب جميع معاصيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون] أى تمسكوا بالإسلام وعضوا عليه بالنواجذ ، حتى يدرككم الموت وأنتم على تلك الحالة فتموتون على الإسلام ، والمقصود الأمر بالإقامة والمحافظة على الإسلام

[واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا] أى تمسكوا بدين الله وكتابه جميعا ولا تتفرقوا عنه ، ولا تختلفوا في الدين كما اختلف من قبلكم من اليهود والنصارى

[واذكروا نعمة الله عليكم] أى أذكروا إنعامه عليكم يا معشر العرب

[اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم] أى حين كنتم قبل الإسلام أعداء ألداء ، فألف بين قلوبكم بالإسلام وجمعكم على الإيمان

[وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها] أى وكنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم ، فأنقذكم الله منها بالإسلام

[كذلك يبين الله لكم آياته] أى مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم سائر الآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لعلكم تهتدون] أى لكي تهتدوا بها إلى سعادة الدارين .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة نوجزها فيما يلي :

1 - [قل فأتوا بالتوراة] الأمر للتبكيت والتوبيخ للدلالة على كمال القبح .

2 - [للذي ببكة] أى لبيت الله الحرام الذي بمكة الذي ببكة ، وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لايخفى.

---

3 - [ومن كفر] وضع هذا اللفظ موضع " ومن لم يحج ، تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ، قال أبو السعود : " ولقد حازت الأية الكريمة من فنون الاعتبارات ما لا مزيد عليه وهي قوله [ولله على الناس حج البيت] حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق ، وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار ، على وجه يفيد أنه حق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واجب لله سبحانه في ذمم الناس ، وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص ، والإبهام ثم التبيين ، والإجمال ثم التفصيل " .

4 - [واعتصموا بحبل الله] شبه القرآن بالحبل واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو (القرآن) على سبيل الاستعارة التصريحية ، والجامع بينهما النجاة في كل

5 - [شفا حفرة] شبه حالهم الذي كانوا عليه بالجاهلية بحال من كان مشرفا على حفرة عميقة وهوة سحيقة ، ففيه (استعارة تمثيلية) والله أعلم .

تنبيه :

وردت الأيات الكريمة لدفع شبهتين من شبه أهل الكتاب : الشبهة الأولى : أنهم قالوا للنبى (ص) أنك تدعي أنك على دين أبراهيم وقد خالفت شريعته ، فانت تبيح لحوم الأبل مع أن ذلك كان حراما في دين إبراهيم ؟ فرد الله عليهم ذلك بقوله [كل الطعام كان حلا لبني أسرائيل] الأية . الشبهة الثانية : قالوا أن "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيت المقدس " قبلة جميع الأنبياء وهو أول المساجد ، واحق بالأستقبال ، فكيف تترك يا محمد التوجه إليه ، ثم تزعم أنك مصدق لما جاء به الأنبياء ؟ فرد الله تعالى بقوله [ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة] الأية .

قال تعالى : [ولتكن منكم أمة يدعون ألى الخير . . . الى قوله . . بما عصوا وكانوا يعتدون] من أية (104) إلى نهاية أية (112)

المناسبة :

لما حذر تعالى من مكايد أهل الكتاب ، وأمر بالأعتصام بحبل الله والتمسك بشرعه القويم ، دعا المؤمنين إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وامر بالائتلاف وعدم الاختلاف ، ثم ذكر ما حل باليهود من الذل والصغار بسبب البغي والعدوان .

اللغة :

[أمة] طائفة وجماعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[البينات] الأيات الواضحات

[المعروف] ما أمر به الشرع واستحسنه العقل السليم

[المنكر] ما نهى عنه الشرع واستقبحه العقل السليم

[الأدبار] جمع دبر وهو مؤخر كل شيء ، يقال :

ولاه دبره أى هرب من وجهه

[ثقفوا] وجدوا وصودفوا

[حبل من الله] الحبل معروف والمراد به هنا : العهد ، وسمي حبلا لأنه سبب يحصل به الأمن وزوال الخوف

[باءوا] رجعوا

[المسكنة] الفقر .

التفسير :

[ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير] أى ولتقم منكم طائفة للدعوة إلى الله

[ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] أى للامر بكل معروف والنهي عن كل منكر

[واولئك هم المفلحون] أي هم الفائزون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات] أى لا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا في الدين ، واختلفوا فيه بسبب أتباع الهوى ، من بعد ما جاءتهم الأيات الواضحات

[واولئك لهم عذاب عظيم] أى لهم بسبب الأختلاف عذابب شديد يوم ألقيامة

[يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] أى يوم القيامة تبيض وجوه المؤمنين بالأيمان والطاعة ، وتسود وجوه الكافرين بالكفر والمعاصي

[فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم] هذا تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإجمال ، والمعنى : أما أهل النار الذين أسودت وجوههم فيقال لهم على سبيل التوبيخ : أكفرتم بعد إيمانكم أى بعد ما وضحت لكم الأيات والدلائل

[فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون] أى ذوقوا العذاب الشديد بسبب كفركم

[واما الذين أبيضت وجوههم] أى وأما السعداء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأبرار الذين أبيضت وجوههم باعمالهم الصالحات
[ففي رحمة الله هم فيها خالدون] اى فهم في الجنة
مخلدون ، لا يخرجون منها ابدا

[تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق] اى هذه ايات الله
نتلوها عليك يا محمد حال كونها متلبسة بالحق
[وما الله يريد ظلما للعالمين] اى وما كان الله ليظلم
احدا ولكن الناس انفسهم يظلمون
[ولله ما في السموات وما في الأرض] اى الجميع
ملك له وعبيد
[وإلى الله ترجع الأمور] اى هو الحاكم المتصرف
في الدنيا والأخرة
[كنتم خير امة اخرجت للناس] اى انتم يا امة محمد
خير الأمم ، لانكم انفع الناس للناس ، ولهذا قال
[اخرجت للناس] اى اخرجت لأجلهم ومصلحتهم ،
روى البخاري عن أبى هريرة [كنتم خير امة اخرجت
للناس] قال : (خير الناس تأتون بهم في السلاسل في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام)

[تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] وهذا بيان لوجه الخيرية كأنه قيل السبب في كونكم خير أمة ، هذه الخصال الحميدة ، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال (من سره ان يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها) . ثم قال تعالى

[ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم] اي لو امنوا بما انزل على محمد وصدقوا بما جاء به ، لكان ذلك خيرا لهم في الدنيا والأخرة

[منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون] أى منهم فئة قليلة مؤمنة كالنجاشي و(عبد الله بن سلام) ، والكثرة الكثيرة فاسقة خارجة عن طاعة الله ،

[لن يضروكم إلا أذى] أى لن يضروكم إلا ضررا يسيرا بألسنتهم ، من سب وطعن

[وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار] اى ينهزمون من غير ان ينالوا منكم شيئا

[ثم لا ينصرون] اى ثم شأنهم الذي ابشركم به ، انهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخذولون لا ينصرون ، والجملة استئنافية

[ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا] اي لزمهم الذل والهوان اينما وجدوا ، وأحاط بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه

[إلا بحبل من الله وحبل من الناس] اى إلا اذا اعتصموا بذمة الله وذمة احد من المسلمين ، قال ابن عباس : بعهد من الله وعهد من الناس

[وباءوا بغضب من الله] اى رجعوا مستوجبين للغضب الشديد من الله

[وضربت عليهم المسكنة] اى لزمتهم الفاقة والخشوع ، فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم

[ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق] اى ذلك الذل والصغار ، والغضب والدمار ، بسبب جحودهم بايات الله ، وقتلهم الأنبياء ظلما وطغيانا

[ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] اى بسبب تمردهم وعصيانهم اوامر الله تعالى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت الأيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - [ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بالمقابلة .

2 - [واولئك هم المفلحون] فيه قصر صفة على موصوف حيث قصر الفلاح عليهم ، كانه يقول : هم المفلحون لا غيرهم .

3 - [تبيض وجوه وتسود وجوه] بين كلمتي [تبيض] و[تسود] طباق .

4 - [ففي رحمة الله] مجاز مرسل اطلق الحال واريد المحل أى ففي الجنة لأنها مكان تنزل الرحمة .

5 - [ضربت عليهم الذلة] فيه استعارة حيث شبه الذل بالخباء المضروب على اصحابه ، فالذذ .محيط بهم من كل جانب ، فهي استعارة لطيفة بديعة.

6 - [وباءو بغضب] التنكير للتفخيم والتهويل .

فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى [ثم لا ينصرون] جملة مستأنفة ولهذا ثبتت فيها النون ، قال الزمخشري : " وعدل به عن حكم الجزاء الى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل : ثم اخبركم انهم مخذولون منتف عنهم النصر ، ولو جزم لكان نفى النصر مقيدا لقتالهم ، بينما النصر وعد مطلق

تنبيه :

الاختلاف الذي اشارت إليه الآية [ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا] انما يراد به الاختلاف في (العقيدة) وفي (أصول الدين) ، واما الاختلاف في (الفروع) كما اختلف الأئمة المجتهدون ، فذلك من اليسر في الشريعة ، كما نبه على ذلك العلماء ، ولابن تيمية رحمه الله رسالة قيمة اسماها " رفع الملام عن الأئمة الأعلام " فارجع اليها فإنها رائعة ومفيدة .

قال الله تعالى : [ليسوا سواء من اهل الكتاب امة. . الى . . إن الله بما يعملون محيط] من اية (113) الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نهاية آية (120)

المناسبة :

لما وصف تعالى اهل الكتاب بالصفات الذميمة ، ذكر هنا انهم ليسوا بدرجة واحدة ، ففيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، ثم ذكر تعالى عقاب الكافرين وأن أموالهم وأولادهم لن تنفعهم يوم القيامة شيئا ، واعقب ذلك بالنهي عن اتخاذ أعداء الدين أولياء ، ونبه إلى ما في ذلك من الضرر الجسيم في الدنيا والدين .

اللغة :

[آناء] اوقات وساعات مفردها " إنى " على وزن " معى "

[يكفروه] يجحدوه من الكفر بمعنى الجحود ، سمي منع الجزاء كفرا لأنه بمنزلة الجحد والستر

[صر] الصر : البرد الشديد ، قاله ابن عباس ، وأصله من الصرير الذي هو الصوت ، ويراد به الريح الشديدة الباردة

[حرث] زرع وأصله من حرث الأرض اذا شقها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للزرع والبذر

[بطانة] بطانة الرجل : خاصته الذين يفضي إليهم باسراره ، شبه ببطانة الثوب لأنه يلي البدن

[لا يألونكم] اى لا يقصرون ، قال الزمخشري : يقال : الأ في الأمر يألو اذا قصر فيه

[خبالا] الخبال : الفساد والنقصان ، ومنه رجل مخبول اذا كان ناقص العقل

[عنتم] العنت : شدة الضرر والمشقة

[الأنامل] اطراف الأصابع .

سبب النزول :

لما اسلم (عبد الله بن سلام) وأصحابه ، قال أحبار اليهود : ما آمن بمحمد إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ! ! وقالوا لهم : لقد كفرتم وخسرتم فأنزل الله [ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة] الأية .

التفسير :

[ليسوا سواء] أى ليس أهل الكتاب مستوين فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المساوىء ، وهنا تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى بقوله

[من أهل الكتاب أمة قائمه] أى منهم طائفة مستقيمة على دين الله

[يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون] أى يتهجدون في الليل بتلاوة آيات الله حال الصلاة

[يؤمنون بالله واليوم الأخر] أي يؤمنون بالله وبلقائه على الوجه الصحيح

[ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] اى يدعون الى الخير وينهون عن الشر ولا يداهنون

[ويسارعون في الخيرات] اى يعملونها مبادرين غير متثاقلين

[واولئك من الصالحين] اى وهم في زمرة عباد الله الصالحين

[وما يفعلوا من خير فلن يكفروه] اى ما عملوا من عمل صالح فلن يضيع عند الله

[والله عليم بالمتقين] اى لا يخفى عليه عمل عامل ، ولا يضيع لديه اجر المتقين . . ثم اخبر تعالى عن مآل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين فقال

[ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيئا] أى لن تدفع عنهم أموالهم التي تهالكوا على اقتنائها ، ولا اولادهم الذين تفانوا في حبهم من عذاب الله شيئا

[واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون] اى هم مخلدون في عذاب جهنم

[مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر] أى مثل ما ينفقونه في الدنيا بقصد الثناء وحسن الذكر ، كمثل ريح عاصفة فيها برد شديد

[أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته] أى أصابت تلك الريح المدمرة زرع قوم ، ظلموا أنفسهم بالمعاصى فأفسدته وأهلكته فلم ينتفعوا به ؟ فكذلك الكفار يمحق الله أعمالهم الصالحة ، كما يتلف الزرع بذنوب أصحابه

[وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون] أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بإرتكاب ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستوجب العقاب ، ثم حذر تعالى من اتخاذ المنافقين بطانة يطلعونهم على أسرارهم فقال

[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم] أى لا تتخذوا المنافقين أصدقاء تودونهم وتطلعونهم على أسراركم ، وتجعلونهم أولياء من غير المؤمنين

[لا يألونكم خبالا] أى لا يقصرون لكم فى الفساد

[ودوا ما عنتم] أى تمنوا مشقتكم ، وما يوقعكم في الضرر الشديد

[قد بدت البغضاء من أفواههم] أى ظهرت أمارات العداوة لكم على ألسنتهم ، فهم لا يكتفون ببغضكم بقلوبهم ، حتى يصرحوا بذلك بأفواههم

[وما تخفي صدرهم أكبر] أى وما يبطنونه لكم من البغضاء أكثر مما يظهرونه

[قد بينا لكم الآيات] أى وضحنا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين ، وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن كنتم تعقلون] أى إن كنتم عقلاء ، وهذا على سبيل الهز والتحريك للنفوس ، كقولك : إن كنت مؤمنا فلا تؤذ الناس ، وقال ابن جرير : المعنى إن كنتم تعقلون عن الله أمره ونهيه . . ثم بين سبحانه ما هم عليه من كراهية المؤمنين فقال

[ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم] أى ها أنتم يا معشر المؤمنين خاطئون في موالاتكم وصداقتكم لهم ، إذ تحبونهم ولا يحبونكم ، تريدون لهم النفع وتبذلون لهم المحبة ، وهم يريدون لكم الضر ويضمرون لكم العداوة

[وتؤمنون بالكتاب كله] أى وأنتم تؤمنون بالكتب المنزلة كلها ، وهم مع ذلك يبغضونكم ، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم ؟ وفيه توبيخ شديد ، بأنهم فى باطلهم أصلب منكم قي حقكم

[وإذا لقوكم قالوا آمنا] أى وهذا من خبئهم إذ يظهرون أمامكم الإيمان نفاقا

[وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ] أى وإذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلت مجالسهم منكم ، عضوا أطراف الأصابع من شدة الحنق والغضب لما يرون من ائتلافكم ، وهو كناية عن شدة الغيظ ، والتأسف لما يفوتهم من إذاية المؤمنين

[قل موتوا بغيظكم] هو دعاء عليهم أى قل يا محمد : أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا

[إن الله عليم بذات الصدور] أى إن الله عالم بما تكنه سرائركم ، من البغضاء والحسد للمؤمنين . . ثم أخبر تعالى بما يترقبون نزوله من البلاء والمحنة بالمؤمنين فقال

[إن تمسسكم حسنة تسؤهم] أى إن أصابكم ما يسركم من رخاء وخصب ، ونصير وغنيمة ، ساءهم ذلك

[وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها] أى وإن أصابكم ما يضركم من شدة وجدب وهزيمة ، سرهم ذلك ، فبين تعالى فرط عداوتهم ، حيث يسوءهم ما نال المؤمنين من الخير ، ويفرحون بما يصيبهم من الشدة

[وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا] أي إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صبرتم على أذاهم واتقيتم الله في أقوالكم وأعمالكم ، لا يضركم مكرهم وكيدهم ، فشرط تعالى نفى ضررهم بالصبر والتقوى

[إن الله بما يعملون محيط] أى هو سبحانه عالم بما يدبرونه لكم من مكائد ، فيصرف عنكم شرهم ، ويعاقبهم على نواياهم الخبيثة .

البلاغة :

1 - [من أهل الكتاب أمة] جيء بالجملة أسمية للدلالة على الإستمرار كما جيء بعدها بصيغة المضارع [يتلون آيات الله] للدلالة على التجدد ومثله في [يسجدون] .

2 - [وأولئك من الصالحين] الإشارة بالبعيد عن القريب ، لبيان علو درجتهم وسمو منزلتهم في الفضل

3 - [كمثل ريح فيها صر] فيه (التشبيه التمثيلى) شبه ما كانوا ينفقونه من أجل المفاخر وكسب الثناء ، بالزرع الذي أصابته الريح العاصفه الباردة ، فدمرته وجعلته حطاما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [لا تتخذوا بطانة] شبه دخلاء الرجل وخواصه بالبطانة ، ففيه استعارة بديعة لطيفة ، تشبيها لهم ببطانة الثوب ، التي تكون من الداخل ، فكأنهم ملاصقون لأجسامهم .

---

5 - [عضوا عليكم الأنامل] قال أبو حيان : يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل فيكون حقيقة ، ويحتمل أنه من مجاز التمثيل عبر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف لما يفوتهم من إذاية المؤمنين أقول : عض الأنامل عادة العاجز النادم ، الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا أمام ما يعرض له من متاعب ومصاعب ، فيعض على أصابعه حسرة وندما ، وهذا من مجاز الإمثال .

6 - في الآيات من المحسنات البديعية ما يسمى (بالمقابلة) وذلك في قوله [إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها] حيث قابل الحسنة بالسيئة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة ، كما أن فيها جناس الإشتقاق في [ظلمهم] و[يظلمون] وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الغيظ] و[غيظكم] وفي [تؤمنون] و[آمنا] .

لطيفة :

عبر بالمس في قوله [إن تمسسكم حسنة] وبالإصابة في قوله [وإن تصبكم سيئة] وذلك للإشارة إلى أن الحسنة تسوء الإعداء ، وحتى ولو كانت بأيسر الأشياء ، ولو مسا خفيفا ، وأما السيئة فإذا تمكنت الإصابة بها إلى الحد الذى يرثي له الشامت فإنهم لا يرثون ، بل يفرحون ويسرون ، وهذا من أسرار بلاغة التنزيل ، فلفظ الإصابة يدل على تمكن الوقوع بخلاف المس .

قال الله تعالى : [وإذا غدوت من أهلك نبوىء المؤمنين مقاعد للقتال . . إلى . . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون] من آية (121) إلى نهاية آية (132)

المناسبة :

يبدأ الحديث عن الغزوات من هذه الآيات الكريمة ، وقد انتقل السياق من معركة الجدل والمناظرة ، إلى معركة الميدان والقتال ، والآيات تتحدث عن (غزوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحد) بالإسهاب ، وقد جاء الحديث عن (غزوة بدر) في أثنائها اعتراضا ، ليذكرهم بنعمته تعالى عليهم لما نصرهم ببدر وهم أذلة قليلون في العدد والعدد ، وهذه الآية هي افتتاح القصة عن غزوة أحد ، وقد أنزل فيها ستون آية ، ومناسبة الآيات لما قبلها أنه تعالى لما حذر من اتخاذ بطانة السوء ، ذكر هنا أن السبب في هم الطائفتين من الإنصار بالفشل إنما كان بسبب تثبيط المنافقين لهم وعلى رأسهم (أبي ابن سلول) رأس النفاق فالمناسبة إذا واضحة . روى الشيخان عن جابر قال " فينا نزلت [إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما] قال نحن الطائفتان : بنو حاربة ، وبنو سلمة ، وما يسرنى أنها لم تنزل لقول الله تعالى [والله وليهما] .

اللغة :

[غدوت] خرجت غدوة وهي الساعات الأولى من الصبح

[تفشلا] الفشل : الجبن والضعف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تبوىء] تنزل ، يقال : بوأته منزلا وبوأت له منزلا أى أنزلته فيه ، وأصل التبوىء اتخاذ المنزل .

[أذلة] أى قلة في العدد والسلاح

[فورهم] الفور : السرعة ، وأصله شدة الغليان من فارت القدر إذا غلت ، ثم استعمل اللفظ للسرعة تقول : من فوره أى من ساعته

[مسومين] بفتح الواو بمعنى معلمين على القتال ، وبكسرها بمعنى لهم علامة ، وكانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاء

[طرفا] طائفة وقطعة

[يكبتهم] الكبت : الهزيمة والإهلاك وقد يأتى بمعنى الغيظ والإذلال

[خائبين] الخيبة : عدم الظفر بالمطلوب .

سبب النزول :

ثبت فى صحيح مسلم أن النبي (ص) كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء] .

التفسير :

[وإذ غدوت من أهلك] أى اذكر يا محمد حين خرجت إلى أحد من عند أهلك

[تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال] أى تنزل المؤمنين أماكنهم لقتال عدوهم

[والله سميع عليم] أى سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم

[إذ همت طائفتان منكم ان تفشلا] أى حين كادت طائفتان من جيش المسلمين أن تجبنا وتضعفا ، وهمتا بالرجوع وهما " بنو سلمة " و " بنو حاربة " وذلك حين خرج رسول الله (ص) لأحد بألف من أصحابه ، فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخذل " عبد الله بن أبى " بثلث الجيش وقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟ فهم الحيان من الأنصار بالرجوع ، فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (ص) وذلك قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى

[والله وليهما] أى ناصرهما ومتولي أمرهما

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أى في جميع أحوالهم وأمورهم . . ثم ذكرهم تعالى بالنصر يوم بدر لتقوى قلوبهم ، ويتسلوا عما أصابهم من الهزيمة يوم أحد فقال

[ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة] أى نصركم يوم بدر مع قلة العدد والسلاح ، لتعلموا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعدد

[فأتقوا الله لعلكم تشكرون] أى خافوا ربكم واشكروه على ما من به عليكم من النصر

[إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين] أى إذ تقول يا محمد لأصحابك : أما يكفيكم أن يعينكم الله بإمداده لكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لنصرتكم

[بلى إن تصبروا وتتقوا] أى بلى يمدكم بالملائكة إن صبرتم في المعركة ، واتقيتم الله وأطعتم أمره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويأتوكم من فورهم هذا] أى يأتيكم المشركون من ساعتهم هذه

[يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين] أى يزدكم الله مددا من الملائكة ، معلمين على السلاح ومدربين على القتال ((وقيل معنى مسومين : أي معلمين بعلامة ، قال عروة بن الزبير : كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم)).

[وما جعله الله إلا بشرى لكم] أى وما جعل الله ذلك الإمداد بالملائكة ، إلا بشارة لكم أيها المؤمنون لتزدادوا ثباتا

[ولتطمئن قلوبكم به] أى ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم

[وما النصر إلا من عند الله] أى فلا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد والعدد ، ما النصر في الحقيقة إلا بعون الله وحده ، لا من الملائكة ولا من غيرهم

[العزيز الحكيم] أى الغالب الذي لا يغلب في أمره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الحكيم) الذي يفعل ما تقتضيه حكمته الباهرة

[ليقطع طرفا من الذين كفروا] أى ذلك التدبير الإلهي ، ليهلك طائفة منهم بالقتل والإسر ، ويهدم ركنا من أركان الشرك

[أو يكبتهم] أى يغيظهم ويخزيهم بالهزيمة

[فينقلبوا خائبين] أى يرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم ، وقد فعل تعالى ذلك بهم في بدر ، حيث قتل المسلمون من صناديدهم سبعين وأسروا سبعين ، وأعز الله المؤمنين وأذل الشرك والمشركين

[ليس لك من الأمر شيء] هذه الآية وردت اعتراضا وهي في قصة أحد ، وذلك لما كسرت رباعيته (ص) وشج وجهه الشريف قال : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ؟ ! فنزلت [ليس لك من الأمر شيء] أي ليس لك يا محمد من أمر تدبير العباد شيء ، وإنما أمرهم إلى الله

[أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] أى فالله مالك أمرهم ، فإما أن يهلكهم ، أو يهزمهم ، أو يتوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم إن أسلموا ، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر ، فإنهم ظالمون يستحقون العذاب

[ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم] أى له جل وعلا ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء وهو الغفور الرحيم

[يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة] أى لا تتعاملوا بالربا بطريق الجشع ، حتى تأخذوه أضعافا كثيرة ، قال ابن كثير : كانوا في الجاهلية إذا حل أجل الدين ، يقول الدائن : إما أن تقضي وإما أن تربي ! فإن قضاه والإ زاده في المدة وزاده في القدر ، وهكذا كل عام ، فربما يضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا ،

[واتقوا الله] أى اتقوا عذابه بترك ما نهى عنه

[لعلكم تفلحون] أى لتكونوا من الفائزين

[واتقوا النار التي أعدت للكافرين] أى احذروا نار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهنم التي هيئت للكافرين

[وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون] أى أطيعوا الله ورسوله لتكونوا من الإبرار الذين تنالهم رحمة الله جل وعلا.

البلاغة :

1 - [إذ تقول] صيغة المضارع لحكآية الحال الماضية لاستحضار صورتها في الذهن

2 - [إن يمدكم ربكم] التعرض لعنوان الربوبية مع إضافته للمخاطبين لإظهار كمال العنآية بهم .

3- [يغفر ويعذب] بينهما طباق .

4 - [أضعافا مضاعفة] جناس الإشتقاق .

5 - [لا تأكلوا الربا] سمي الإخذ أكلا لأنه يئول إليه فهو (مجاز مرسل) .

تنبيه :

ذكر الإضعاف المضاعفة في الآية ليس للقيد ولا للشرط ، وإنما هو لبيان الحالة التي كان الناس عليها في الجاهلية ، وللتشنيع عليهم بأن في هذه المعاملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظلما صارخا ، وعدوانا مبينا ، حيث كانوا يأخذون الربا أضعافا مضاعفة ، قال ابو حيان : " نهوا عن الحالة الشنعاء التى يوقعون الربا عليها فربما استغرق بالنزر اليسير مال المدين ، وأشار بقوله [مضاعفة] إلى أنهم كانوا يكررون التضعيف عاما بعد عام ، والربا محرم بجميع أنواعه ، فهذه الحال ليس قيدا في النهي " .

قال الله تعالى : [وسارعوا إلى مغفرة من ربكم . . إلى . . وحسن ثواب الإخرة والله يحب المحسنين] من آية (133) إلى نهآية آية (148) .

المناسبة :

لما حث تعالى على الصبر والتقوى ، عقبه بالأمر بالمسارعة إلى نيل رضوان الله ، ثم ذكر بالتفصيل غزوة احد ، وما نال المؤمنين فيها من الهزيمة بعد النصر ، بسبب مخالفة أمر الرسول (ص) ثم بين أن الإبتلاء سنة الحياة ، واستشهاد الأنبياء لا ينبغي أن يدخل الوهن إلى قلوب المؤمنين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[وسارعوا] بادروا

[السراء] الرخاء

[الضراء] الشد ة والضيق

[والكاظمين ، كظم الغيظ : رده في الجوف يقال : كظم غيظه أى لم يظهره مع قدرته على ايقاعه بالعدو

[فاحشة] الفاحشة : العمل الذي تناهى في القبح

[خلت] مضت

[سنن] السنن : جمع سنة وهي الطريقة التي يقتدى بها ، والمراد بها هنا الوقائع التي حصلت للمكذبين

[قرح] جرح بالفتح والضم ، قال الفراء : هو بالفتح الجرح وبالضم ألمه ، وأصل الكلمة الخلوص ، ومنه مافى قراح

[نداولها] نصرفها والمدأولة : نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال : تدأولته الإيدي إذا انتقل من شخص إلى شخص

[وليمحص] التمحيص : التخليص يقال : محصته إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلصته من كل عيب ، وأصله في اللغة : التنقية والإزالة [ويمحق] المحق : نقص الشيء قليلا قليلا

[أعقابكم] جمع عقب وهو مؤخر الرجل يقال : انقلب على عقبه أى رجع إلى ما كان عليه

[مؤجلا] له وقت محدد لا يتقدم ولا يتأخر

[وكأين] بمعنى كم ، وهي للتكثير وأصلها " أى " دخلت عليها كاف التشبيه فأصبح معناها التكثير

[ربيون] جمع ربي نسبة إلى الرب كالربانيين وهم العلماء الإتقياء العابدون لربهم

[استكانوا] خضعوا وذلوا .

التفسير :

[وسارعوا إلى مغفرة من ربكم] أى بادروا إلى ما يوجب المغفرة بطاعة الله وإمتثال أوامره

[وجنة عرضها السماوات والأرض] أى وإلى جنة واسعة عرضها كعرض السماء والأرض ، فالآية على التشبيه ، كما قال في سورة " الحديد " [عرضها كعرض السماء والأرض] والغرض بيان سعتها فإذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان هذا عرضها فما ظنك بطولها ؟

[أعدت للمتقين] أى هيئت للمتقين لله

[الذين ينفقون في السراء والضراء] أى يبذلون أموالهم في اليسر والعسر ، وفي الشدة والرخاء

[والكاظمين الغيظ] أى يمسكون غيظهم مع قدرتهم على الإنتقام

[والعافين عن الناس] أى يعفون عمن أساء إليهم أو ظلمهم

[والله يحب المحسنين] أى يحب المتصفين بتلك الإوصاف الجليلة وغيرها

[والذين إذا فعلوا فاحشة] أى ارتكبوا ذنبا قبيحا كالكبائر

[أو ظلموا أنفسهم] بإتيان أى ذنب

[ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم] أى تذكروا عظمة الله ووعيده لمن عصاه فأقلعوا عن الذنب وتابوا وأنابوا

[ومن يغفر الذنوب إلا الله] ؟ استفهام بمعنى النفي أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يغفر الذنوب إلا الله ، وهي جملة اعتراضية لتطييب نفوس العباد ، وتنشيطهم للتوبة ولبيان أن الذنوب - وإن جلت - فإن عفوه تعالى أجل ، ورحمته أوسع

[ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون] أى لم يقيموا على قبيح فعلهم ، وهم عالمون بقبحه بل يقلعون ويتوبون

[أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم] أى الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ، جزاؤهم وثوابهم العفو عما سلف من الذنوب

[وجنات تجري من تحتها الإنهار] أى ولهم جنات تجري خلال أشجارها ، ومن تحت قصورها الإنهار

[خالدين فيها] أى ماكثين فيها أبدا

[ونعم أجر العاملين] أى نعمت الجنة جزاء لمن أطاع الله . . ثم ذكر تعالى تتمة تفصيل غزوة أحد فقال سبحانه

[قد خلت من قبلكم سنن] أى قد مضت سنة الله في الإمم الماضية ، بالهلاك والإستئصال بسبب مخالفتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنبياء

[فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين] أى تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم ، لتتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم

[هذا بيان للناس] أى هذا القرآن ((اختار الطبرى وبعض المفسرين أن تكون الاشارة راجعه الى ما تقدم ذكره والمعنى : هذا الذى أوضحت لكم وعرفتكم به من أخبار هلاك الامم السابقه فيه بيان للناس من العمى وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين)) فيه بيان شاف للناس عامة

[وهدى وموعظة للمتقين] أى وهداية لطريق الرشاد وموعظة وذكرى للمتقين خاصة ، وإنما خص المتقين بالذكر ، لأنهم هم المنتفعون به دون سائر الناس . .

ثم أخذ يسليهم عما أصابهم من الهزيمة في وقعة أحد ، فقال سبحانه

[ولا تهنوا ولا تحزنوا] أى لا تضعفوا عن الجهاد ، ولا تحزنوا على ما أصابكم من قتل! أو هزيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنتم الإعلون] أى وانتم الغالبون لهم المتفوقون عليهم ، فإن كانوا قد أصابوكم يوم أحد ، فقد أبليتم فيهم يوم بدر بلاء حسنا ، فقتلتم منهم وأسرتم

[إن كنتم مؤمنين] أى إن كنتم حقا مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا

[إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله] أى إن أصابكم قتل أو جراح فقد أصاب المشركين مثل ما أصابكم

[وتلك الإيام ندوالها بين الناس] أى الإيام دول ، يوم لك ويوم عليك ، ويوم تساء ويوم تسر

[وليعلم الله الذين آمنوا] أي فعل ذلك ليمتحنكم فيرى من يصبر عند الشدائد ، ويميز بين المؤمنين والمنافقين

[ويتخذ منكم شهداء] أي وليكرم بعضكم بفضيلة الشهادة في سبيل الله

[والله لا يحب الظالمين] أى لا يحب المعتدين الفجرة ، ومنهم المنافقون الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد

[وليمحص الله الذين آمنوا] أى ينفيهم ويطهرهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذنوب ويميزهم عن المنافقين

[ويمحق الكافرين] أى يهلكهم شيئا فشيئا

[أم حسبتم أن تدخلوا الجنة] استفهام على سبيل الإنكار أى هل تظنون يا معشر المؤمنين ، أن تنالوا الجنة بدون ابتلاء وتمحيص ؟

[ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين] أى ولما تجاهدوا في سبيله فيعلم الله جهادكم ، وصبركم على الشدائد ؟ قال الطبري المعنى : أظننتم يا معشر أصحاب محمد أن تنالوا كرامة ربكم ، ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهدون منكم فى سبيل الله ، والصابرون عند الشدة على ما ينالهم في ذات الله ، من ألم ومكروه! !

[ولقد كنتم تمنون الموت] أى كنتم تتمنون لقاء الإعداء لتحظوا بالشهادة

[من قبل أن تلقوه] أى من قبل أن يذوقوا شدته ، والآية عتاب في حق من انهزم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقد رأيتموه وأنتم تنظرون] أى رأيتموه بأعينكم عندما قتل من اخوانكم من قتل ، وشارفتم أن تقتلوا !
؟ ونزل لما أشاع الكافرون أن محمدا قد قتل ، وقال المنافقون : إن كان قد قتل فتعالوا نرجع إلى ديننا الإول

[وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] أى ليس محمد إلا رسول مضت قبله رسل ، والرسل بشر منهم من مات ، ومنهم من قتل

[أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] أفإن أماته الله أو قتله الكفار ، ارتددتم كفارا بعد إيمانكم ؟

[ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا] أى ومن يرتد عن دينه فلا يضر الله ، وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب

[وسيجزي الله الشاكرين] أى يثيب الله المطيعين ، وهم الذين ثبتوا ولم ينقلبوا . . ثم أخبر تعالى إنه جعل لكل نفس آجلا لا يتقدم ولا يتأخر فقال

[وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله] أى بإرادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومشيئته

[كتابا مؤجلا] أى كتب لكل نفس أجلها كتابا مؤقتا بوقت معلوم ، لا يتقدم ولا يتأخر ، والغرض تحريضهم على الجهاد وترغيبهم في لقاء العدو ، فالجبن لا يزيد في الحياة ، والشجاعة لا تنقص منها ، والحذر لا يدفع القدر ، والإنسان لا يموت قبل بلوغ أجله ، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك

[ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها] أى من أراد بعمله أجر الدنيا أعطيناه منها ، وليس له في الإخرة من نصيب ، وهو تعريض بالذين رغبوا في الغنائم ، فبين تعالى أن حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطة ، لأنها مبذولة للبر والفاجر

[ومن يرد ثواب الإخرة نؤته منها] أي ومن أراد بعمله أجر الإخرة أعطيناه الإجر كاملا ، مع ما قسمنا له من الدنيا كقوله [من كان يريد حرث الإخرة نزد له في حرثه]

[وسنجزي الشاكرين] أى سنعطيهم من فضلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورحمتنا بحسب شكرهم وعملهم

[وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير] أى كم من الأنبياء قاتل لإعلاء كلمة الله ، وقاتل معه علماء ربانيون ((ذهب الطبري إلى معنى {ربيون كثير} أي جموع كثيرة وهذا قول قتادة ، وعن الحسن أن المراد علماء كثيرون ، أتقياء صالحون ، وهذا أظهر والله أعلم)) وعباد صالحون قاتلوا ، فقتل منهم من قتل

[فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله] أى ما جبنوا ولا ضعفت هممهم لما أصابهم من القتل والجراح

[وما ضعفوا] عن الجهاد

[وما استكانوا] أي ما ذلوا ولا خضعوا لعدوهم

[والله يحب الصابرين] أى يحب الصابرين على مقاساة الشدائد والإهوال في سبيل الله

[وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا] أى ما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين إلا طلب المغفرة من الله

[وإسرافا في أمرنا] أى وتفريطنا وتقصيرنا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واجب طاعتك وعبادتك

[وثبت أقدامنا] أى ثبتنا في مواطن الحرب

[وانصرنا على القوم الكافرين] أى انصرنا على الكفار

[فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الإخرة] أى جمع الله لهم بين جزاء الدنيا بالغنيمة والعز ، وبين جزاء الإخرة بالجنة ونعيمها

[والله يحب المحسنين] أى يحب من أحسن عمله وأخلص نيته .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - [عرضها السموات والأرض] أى كعرض السموات والأرض حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه ، وسمى هذا ب " التشبيه البليغ " .

2 - [سارعوا إلى مغفرة] من باب تسمية الشيء باسم سببه أى إلى موجبات المغفرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - [السراء والضراء] فيه الطباق وهو من المحسنات البديعية .

4 - [ومن يغفر الذنوب إلا الله] استفهام يقصد منه النفي أى لا يغفر .

5 - [أولئك جزأوهم مغفرة] الإشارة بالبعيد للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ، وعظم الإجر .

6 - [ونعم أجر العاملين] المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك النعيم الخالد .

---

7 - [وليعلم الله] هو من باب الإلتفات لأنه جاء بعد لفظ [نداولها] فهو التفات من الحاضر إلى الغيبة ، والسر تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله .

8 - [وما محمد إلا رسول] فيه قصر موصوف على صفة .

9 - [انقلبتم على أعقابكم] هذه استعارة لطيفة ، شبه سبحانه الرجوع في الإرتياب بالرجوع على الإعقاب ، أى من يرجع عن دينه فقد خاب وشقي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفوائد :

الإولى : في هذه الآيات الكريمة [وسارعوا إلى مغفرة] دعوة إلى أمهات مكارم الإخلاق ، من (البذل وكظم الغيظ والعفو عن المسيئين والتوبة من الذنوب) ، وكل منها مصدر لفضائل لا تدخل تحت الحصر.

الثانية : قدم المغفرة على الجنة لأن التخلية مقدمة على التحلية فلا يستحق دخول الجنة من لم يتطهر من الذنوب والآثام .

الثالثة : تخصيص العرض بالذكر [عرضها السموات والأرض] للمبالغة في وصف الجنة بالسعة والبسطة ، فإذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها ؟

الرابعة : كتب هرقل إلى النبي (ص) إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار ؟ فقال عليه السلام : " سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار " يقصد أن ملك الله واسع ، فوق التصور والخيال ، فالجنة والنار يكونان حيث شاء الله .

الخامسة : أمر تعالى بالمسارعة إلى عمل الإخرة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آيات عديدة [وسارعوا إلى مغفرة] و[سابقوا إلى مغفرة] [فاستبقوا الخيرات] [فاسعوا إلى ذكر الله] [وفي ذلك فليتنافس المتنافسون] وأما لعمل الدنيا فأمر تعالى بالسير " بالهوينى " [فامشوا في مناكبها] [وآخرون يضربون في الأرض] فتدبر السر الدقيق في آيات الذكر الحكيم .

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا . . إلى . . ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون] من آية (149) إلى نهاية آية (158)

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتناول سرد أحداث (غزوة أحد) وما فيها من العظات والعبر ، فهي تتحدث عن أسباب الهزيمة وموقف المنافقين الفاضح في تلك الغزوة ، وت أمرهم على الدعوة الإسلامية بتثبيط عزائم المؤمنين .

اللغة :

[سلطانا] حجة وبرهانا وأصله القوة ومنه قيل للوالي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلطان

[مثوى] المثوى : المكان الذي يكون مقر الإنسان ومأواه ، من قولهم ثوى بالمكان إذا أقام فيه

[تحسونهم] تقتلونهم ، قال الزجاج : الحسق الإستئصال بالقتل وأصله الضرب على مكان الحس

[تصعدون] الإصعاد : الذهاب والإبعاد في الأرض ، والفرق بينه وبين الصعود أن الإصعاد يكون في مستوى من الأرض ، والصعود يكون في ارتفاع

[لا تلوون] أى لا تلتفتون إلى أحد كما يفعل المنهزم وأصله من لي العنق للإلتفات

[أخراكم] آخركم

[أثابكم] جازاكم

[أمنة] أمنا واطمئنانا

[يغشى] يستر ويغطي

[وليمحص] التمحيص : التنقية وتخليص الشيء مما فيه من عيب

[استزلهم] أوقعهم في الزلة وهي الخطيئة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غزى] جمع غاز وهو الخارج في سبيل الله للجهاد.

سبب النزول :

لما رجع رسول الله (ص) إلى المدينة وقد أصيبوا بما أصيبوا به يوم أحد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ؟ فأنزل الله [ولقد صدقكم الله وعده . . . الى قوله . . . منكم من يريد الدنيا] يعني الرماة الذين فعلوا ما فعلوا يوم أحد

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا] أى إن اطعتم الكفار والمنافقين فيما ي أمرونكم به

[يردوكم على أعقابكم] أى يردوكم إلى الكفر

[فتنقلبوا خاسرين] أى ترجعوا إلى الخسران ، ولا خسران أعظم من أن تتبدلوا الكفر بالإيمان ، قال ابن عباس : هم المنافقون قالوا للمؤمنين لما رجعوا من أحد : لو كان نبيا ما أصابه الذي أصابه فارجعوا إلى إخوانكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل الله مولاكم] بل للإضراب أى ليسوا أنصارا لكم حتى تطيعوهم ، بل الله ناصركم فأطيعوا أمره

[وهو خير الناصرين] أي هو سبحانه خير ناصر وخير معين فلا تستنصروا بغيره . . ثم بشر تعالى المؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم ، فقال سبحانه :

[سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب] أى سنقذف في قلوبهم الخوف والفزع

[بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا] أى بسبب اشراكهم بالله وعبادتهم معه آلهة أخرى من غير حجة ولا برهان

[ومأواهم النار] أى مستقرهم النار

[وبئس مثوى الظالمين] أى بئس مقام الظالمين نار جهنم ، فهم في الدنيا مرعوبون ، وفي الإخرة معذبون ، وفي الحديث الشريف (نصرت بالرعب مسيرة شهر)

[ولقد صدقكم الله وعده] أى وفى الله لكم ما وعدكم به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من النصر على عدوكم

[إذ تحسونهم بإذنه] أى تقتلونهم قتلا ذريعا ، وتحصدونهم حصدا بسيوفكم ، بإرادة الله وحكمه

[حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر] أى حتى إذا جبنتم وضعفتهم واختلفتم في أمر المقام في الجبل

[وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون] أى عصيتم أمر الرسول ، بعد أن كان النصر حليفكم ، روي أن النبي (ص) وضع خمسين من الرماة فوق الجبل ، وأمرهم أن يدفعوا عن المسلمين وقال لهم : لا تبرحوا أ ماكنكم حتى ولو رايتمونا تخطفتنا الطير! ! فلما التقى الجيشان لم تقو خيل المشركين على الثبات ، بسبب السهام التي أخذتهم في جوههم من الرماة ، فانهزم المشركون ، فلما رأى الرماة ذلك قالوا : الغنيمة الغنيمة ونزلوا لجمع الإسلاب ، وثبت رئيسهم ومعه عشرة ، فجاءهم المشركون من خلف الجبل فقتلوا البقية من الرماة ، ونزلوا على المسلمين بسيوفهم من خلف ظهورهم ، فانقلب النصر إلى هزيمة للمسلمين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فذلك قوله تعالى [من بعد ما أراكم ما تحبون] أى من بعد النصر

[منكم من يريد الدنيا] أى الغنيمة وهم الذين بركوا الجبل

[ومنكم من يريد الآخرة] أى ثواب الله وهم العشرة الذين ثبتوا في مركزهم مع أميرهم " عبد الله بن جبير " ثم استشهدوا

[ثم صرفكم عنهم ليبتليكم] أى ردكم بالهزيمة عن الكفار ليمتحن إيمانكم

[ولقد عفا عنكم] أى صفح عنكم مع العصيان ، وفيه اعلام بان الذنب كان يستحق أكثر ما نزل بهم ، لولا عفو الله عنهم ، ولهذا قال

[والله ذو فضل على المؤمنين] أى ذو من ونعمة على المؤمنين في جميع الإوقات والإحوال

[إذ تصعدون ولا تلوون على أحد] أى اذكروا يا معشر المؤمنين حين وليتم الأدبار وأنتم تبعدون في الفرار ، ولا تلتفتون إلى ما وراءكم ، ولا يقف واحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منكم لآخر

[والرسول يدعوكم في أخراكم] أى ومحمد (ص) يناديكم من وراءكم يقول (إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، أنا رسول الله ، من يكر فله الجنة) وأنتم تمعنون في الفرار

[فأثابكم غما بغم] أى جازاكم على صنيعكم غما بسبب غمكم للرسول (ص) ومخالفتكم أمره ((ذهب الطبري الى أن الباء بمعنى على والمعنى : فجازاكم على معصيتكم ومخالفتكم أمر الرسول غما على غم ، كقوله {ولأصلبنكم في جذوع النخل } أي على جذوع النخل ، وقد رجح هذا القول ابن القيم واعتمده ابن كثير)) .

[لكيلا تحزنوا على ما فاتكم] أى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة

[ولا ما أصابكم] أى من الهزيمة ، والغرض بيان الحكمة من الغم ، وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم وما أصابهم ، وذلك من رحمته تعالى بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله خبير بما تعملون] أى هو سبحانه يعلم المخلص من غيره

[ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا] هذا امتنان منه تعالى عليهم أى ثم أرسل عليكم بعد ذلك الغم الشديد ، النعاس للسكينة والطمأنينة ولتأمنوا على أنفسكم من عدوكم ، فالخائف لا ينام ! ! روى البخاري عن أنس أن أبا طلحة قال : (غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد) قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه ثم ذكر سبحانه إن تلك الأمنة لم تكن عامة بل كانت لأهل الإخلاص ، وبقى أهل النفاق في خوف وفزع ، فقال سبحانه

[يغشى طائفة منكم] أي يغشى النوم فريقا منكم وهم المؤمنون المخلصون

[وطائفة قد أهمتهم أنفسهم] أى وجماعة أخرى حملتهم أنفسهم على الهزيمة ، فلا رغبة لهم إلا نجاتها ، وهم (المنافقون) ، وكان السبب في ذلك توعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين بالرجرع إلى القتال ، فقعد المؤمنون متهيئين للحرب ، فأنزل الله عليهم الإمنة فناموا ، وأما المنافقون الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم ، فقد طار النوم من أعينهم من الفزع والجزع

[يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية] أى يظنون بالله الظنون السيئة مثل ظن أهل الجاهلية . قال ابن كثير : وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة ، وأن الإسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك ، إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة ، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة

[يقولون هل لنا من الأمر من شيء] أى ليس لنا من الأمر شيء ، ولو كان لنا اختيار ما خرجنا لقتال

[قل إن الأمر كله لله] أى قل يا محمد لأولئك المنافقين : الأمر كله بيد الله يصرفه كيف شاء

[يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك] أى يبطنون في أنفسهم ما لا يظهرون لك

[يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لو كان الإختيار لنا ، لم نخرج فلم نقتل ، ولكن أكرهنا على الخروج ، وهذا تفسير لما يبطنونه ، قال الزبير : أرسل علينا النوم ذلك اليوم ، وإني لأسمع قول " معتب بن قشير " والنعاس يغشانى يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا

[قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم] أى قل لهم يا محمد : لو لم تخرجوا من بيوتكم ، وفيكم من قدر الله عليه القتل لخرج أولئك إلى مصارعهم ، فقدر الله لا مناص منه ولا مفر

[وليبتلي الله ما في صدوركم] أى ليختبر ما في قلوبكم من الإخلاص والنفاق

[وليمحص ما في قلوبكم] أى ولينقى ما في قلوبكم ويطهره ، فعل بكم ذلك

[والله عليم بذات الصدور] أى عالم بالسرائر مطلع على الضمائر ، وما فيها من خير أو شر . . ثم ذكر سبحانه الذين انهزموا يوم أحد فقال

[إن الذين تولوا منكم] أى انهزموا منكم من المعركة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يوم التقى الجمعان] أى جمع المسلمين وجمع المشركين

[إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا] أى إنما أزلهم الشيطان بوسوسته وأوقعهم في الخطيئة ، ببعض ما عملوا من الذنوب ، وهو مخالفة أمر الرسول (ص)

[ولقد عفا الله عنهم] أى تجاوز عن عقوبتهم وصفح عنهم

[إن الله غفور] أى واسع المغفرة

[حليم] لا يعجل العقوبة لمن عصاه . . ثم نهى سبحانه عن الإقتداء بالمنافقين ، في أقوالهم وأفعالهم فقال سبحانه

[يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا] أى لا تكونوا كالمنافقين

[وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض] أى وقالوا لإخوانهم من أهل النفاق إذا خرجوا في الإسفار والحروب

[أو كانوا غزى] أو خرجوا غازين في سبيل الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا] أى لو أقاموا عندنا ولم يخرجوا لما ماتوا ولا قتلوا ، قال تعالى ردا عليهم

[ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم] أى قالوا ذلك ليصير ذلك الإعتقاد الفاسد حسرة في نفوسهم

[والله يحيي ويميت] أى هو سبحانه المحيي المميت ، فلا يمنع الموت قعود في البيوت

[والله بما تعملون بصير] أى مطلع على أعمال العباد فيجازيهم

[ولئن قتلتم فى سبيل الله] أى استشهدتم في الحرب والجهاد

[أو متم] أى جاءكم الموت وانتم قاصدون جهاد الإعداء

[لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون] أى ذلك خير من البقاء في الدنيا ، وجمع حطامها الفاني

[ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون] أى وسواء متم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على فراشكم ، أو قتلتم في ساحة الحرب ، فإن مرجعكم إلى الله فيجازيكم بأعمالكم ، فآثروا ما يقربكم إلى الله ويوجب لكم رضاه ، من الجهاد في سبيل الله ، والعمل بطاعته ، ولله در القائل حيث يقول : فان تكن الإبدان للموت انشئت فقتل أمرىء بالسيف في الله أفضل

البلاغة :

1 - [يردوكم على أعقابكم] أى يرجعوكم من الإيمان إلى الكفر وهو من باب (الإستعارة) ، شبه ارتدادهم عن الدين ، بمن رجع إلى الخلف .

2 - بين لفظ [آمنوا] و[كفروا] في الآية طباق وكذلك بين [يخفون] و[يبدون] وبين [فاتكم] و[أصابكم] وهو من المحسنات البديعية .

3 - [وبئس مثوى الظالمين] لم يقل وبئس مثواهم ، بل وضع الظاهر مكان الضمير ، للتغليظ وللإشعار بأنهم ظالمون أشد الظلم والمخصوص بالذم محذوف أى بئس مثوى الظالمين النار .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [ذو فضل! على المؤمنين] التنكير للتفخيم وقوله [على المؤمنين] دون عليهم ، فيه الإظهار في موضع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم .

5 - [يظنون بالله ظن] بينهما جناس الإشتقاق وكذلك في [فتوكل . . والمتوكلين] .

6 - [إذا ضربوا في الأرض] فيه استعارة لطيفة ، تشبيها للمسافر بالسابح الضارب في البحر ، لأنه يضرب بأطرافه في غمرة الماء ، شقا لها واستعانة على قطعها.

فائدة :

من الذين ثبتوا في المعركة بأحد الإسد المقدام " انس بن النضر " عم انس بن مالك ، فلما هزم المسلمون ، وأشاع المنافقون أن محمدا (ص) قد قتل قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين – وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم بسيفه فلقيه لاسعد بن معاذ " فقال : أين يا سعد ؟ والله إني لآجد ريح الجنة دون احد ، فمضى فقتل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومثل به المشركون ، فلم يعرفه أحد الإ أخته عرفته من بنانه ووجد به بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم .

فائدة :

روى ابن كثير عن ابن مسعود قال : أن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس أحد منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله [منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الإخرة] فلما خالف أصحاب رسول الله (ص) وعصوا ما أمروا به ، أفرد النبي (ص) في تسعة وهو عاشرهم ، فلما أرهقوه قال : رحم الله رجلا ردهم عنا فلم يزل يقول ذلك حتى قتل سبعة منهم ، فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، وحزن عليه رسول الله (ص) حزنا شديدا ، وصلى عليه سبعين صلاة.

قال الله تعالى : [فبما رحمة من الله لنت لهم . . إلى . . قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صادقين] من آية (159) إلى نهاية آية (168)

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن غزة أحد ، وفي هذه الآيات الكريمة إشادة بالقيادة الحكيمة ، فمع مخالفة بعض الصحابة لأو أمر الرسول (ص) فقد وسعهم عليه الصلاة والسلام بخلقه الكريم وقلبه الرحيم ، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته ، وتوحدت تحت قيادته ، والآيات تتحدث عن أخلاق النبوة ، وعن المنة العظمى ببعثة الرسول الرحيم والقائد الحكيم ، وعن بقية الإحداث الهامة في تلك الغزوة .

اللغة :

[فظا] الفظ : الغليظ الجافي ، قال الواحدي هو الغليظ سمى الخلق ، قال الشاعر : أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ وكنت أخشى عليها من أذى الكلم

[غليظ القلب] هو الذي لا يتأثر قلبه ولا يرق ، ومن ذلك قول الشاعر : لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[انفضوا] تفرقوا وأصل الفض الكسر ومنه قولهم :
لا يفضض الله فاك
[يغل] الغلول : الخيانة وأصله أخذ الشيء في الخفية
يقال : غل فلان في الغنيمة أى أخذ شيئا منها في خفية
[باء] رجع
[سخط] السخط : الغضب الشديد
[مأواه] منزله ومثواه
[يزكيهم] يطهرهم
[من] المنة : الإنعام والإحسا ن
[فادرءوا] الدرء : الدفع ومنه [ويدرا عنها
العداب] .
سبب النزول :
فقدت قطيفة حمراء يوم بدر من المغنم فقال بعض
الناس لعل النبي (ص) أخذها فأنزل الله [وما كان لنبى
أن يغل . .] الآية .
التفسير :
[فبما رحمة من الله لنت لهم] أى فبسبب رحمة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله أودعها الله في قلبك يا محمد ، كنت هينا لين الجانب مع أصحابك ، مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك

[ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك] أى لو كنت جافي الطبع قاسي القلب ، تعاملهم بالغلظة والجفاء ، لتفرقوا عنك ونفروا منك ، ولما كانت الفظاظة في الكلام ، نفى الجفاء عن لسانه ، كما نفى القسوة عن قلبه

[فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر] أى فتجاوز عما نالك من أذاهم يا محمد ، واطلب لهم من الله المغفرة ، وشاورهم في جميع أمورك ليقتدي بك الناس ، قال الحسن ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وكان عليه السلام كثير المشاورة لأصحابه

[فإذا عزمت فتوكل على الله] أى إذا عقدت قلبك على أمر بعد الإستشارة ، فاعتمد على الله وفوض أمرك إليه

[إن الله يحب المتوكلين] أى يحب المعتمدين عليه ، المفوضين أمورهم إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن ينصركم الله فلا غالب لكم] أى إن أراد الله نصركم فلا يمكن لأحد أن يغلبكم

[وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده] أى وإن أراد خذلانكم وترك معونتكم فلا ناصر لكم ، فمهما وقع لكم من النصر كيوم بدر ، أو من الخذلان كيوم أحد ، فإنما هو بمشيئته سبحانه ، فالأمر كله لله ، بيده العزة والنصرة ، والإذلال والخذلان

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أى وعلى الله وحده فليلجأ وليعتمد المؤمنون

[وما كان لنبى أن يغل] أى ما صح ولا استقام شرعا ولا عقلا لنبى من الأنبياء ان يخون في الغنيمة ، والنفي هنا نفى للشأن ، وهو أبلغ من نفي الفعل ، لأن المراد أنه لا يتأتى ولا يصح أن يتصور ، فضلا عن أن يحصل ويقع

[ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة] أى ومن يخن من غنائم المسلمين شيئا يأت حاملا له على عنقه يوم القيامة ، فضيحة له على رءوس الإشهاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم توفى كل نفس ما كسبت] أى تعطى جزاء ما عملت وافيا غير منقوص

[وهم لا يظلمون] أى تنال جزاءها العادل ، دون زيادة أو نقص ، فلا يزاد في عقاب العاصي ، ولا ينقص من ثواب المطيع

[أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله] ؟ أى لا يستوي من أطاع الله وطلب رضوانه ، ومن عصى الله فاستحق سخطه وباء بالخسران

[ومأواه جهنم وبئس المصير] أى مصيره ومرجعه جهنم ، وبئست النار مستقرا له

[هم درجات عند الله] أى متفاوتون في المنازل ، قال الطبري : هم مختلفو المنازل عند الله ، فلمن أبغ رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ، ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الإليم

[والله بصير بما يعملون] أي لا يخفى عليه خافية من أعمال العباد وسيجازيهم عليها . . ثم ذكر تعالى المؤمنين بالمنة العظمى عليهم ببعثة خاتم المرسلين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال سبحانه :

[لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم] أي والله لقد أنعم الله على المؤمنين ، حين أرسل إليهم رسولا عربيا من جنسهم ، عرقوا أمره وخبروا شأنه ، وخص تعالى المؤمنين بالذكر وإن كان رحمة للعالمين ، لأنهم هم المنتفعون ببعثته

[يتلو عليهم آياته] أى يقرأ عليهم الوحي المنزل

[ويزكيهم] أى يطهرهم من الذنوب ودنس الإعمال

[ويعلمهم الكتاب والحكمة] أى يعلمهم القرآن المجيد والسنة المطهرة

[وأن كانوا من قبل لفي ضلال مبين] أي وقد كانوا قبل بعثته في ضلال ظاهر ، فنقلوا من الظلمات إلى النور ، وصاروا أفضل الإمم

[أو لما أصابتكم مصيبة] أى أو حين أصابتكم أيها المؤمنون كارثة يوم أحد ، فقتل منكم سبعون

[قد أصبتم مثليها] أى في بدر حيث قتلتم سبعين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأسرتم سبعين

[قلتم أنى هذا] ؟ أى من أين هذا البلاء ، ومن أين جاءتنا الهزيمة ، وقد وعدنا بالنصر ؟ وموضع التقريع قولهم [أنى هذا] ؟ مع أنهم سبب النكسة والهزيمة

[قل هو من عند أنفسكم] أى قل لهم يا محمد : إن سبب المصيبة منكم أنتم ، بمعصيتكم أمر الرسول ، وحرصكم على الغنيمة

[إن الله على كل شيء قدير] أى يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه

[وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله] أى وما أصابكم يوم أحد ، يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين ، فبقضاء الله وقدره ، وبارادته الإزلية وتقديره الحكيم ، ليتميز المؤمنون عن المنافقين

[وليعلم المؤمنين] أى ليعلم أهل الإيمان الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا

[وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا] أى وليعلم أهل النفاق كعبد الله بن ابى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن سلول وأصحابه الذين انخذلوا يوم أحد عن رسول الله (ص) ورجعوا وكانوا نحوا من ثلاثمائة رجل ، فقالى لهم المؤمنون : تعالوا قاتلوا المشركين معنا أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا

[قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم] أى قال المنافقون : لو نعلم أنكم تلقون حربا لقابلنا معكم ، ولكن لا نظن أن يكون قتال

[هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان] أى بإظهارهم هذا القول ، صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان

[يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم] أى يظهرون خلاف ما يضمرون

[والله أعلم بما يكتمون] أى بما يخفونه من النفاق والشرك

[الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا] أى وليعلم الله أيضا المنافقين الذين قالوا لإخوانهم الذين هم مثلهم وقد قعدوا عن القتال

[لو أطاعونا ما قتلوا] أى لو أطاعنا المؤمنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسمعوا نصيحتنا ، فرجعوا كما رجعنا ما قتلوا هنالك [قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين] أى قل يا محمد لأولئك المنافقين : إن كان عدم الخروج ينجي من الموت ، فادفعوا الموت عن أنفسكم إن كنتم صادقين في دعواكم ، والغرض منه التوبيخ والتبكيت وأن الموت آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة .

البلاغة :

1 - [إن ينصركم . . وإن يخذلكم] بينهما مقابلة وهي من المحسنات البديعية .

2 - [وعلى الله فليتوكل] تقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر .

3 - [وما كان لنبى أن يغل] أى ما صح ولا استقام ، والنفى هنا للشأن وهو أبلغ من نفي الفعل .

4 - [أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله] قال ابو حيان : " هذا من الإستعارة البديعية ، جعل ما شرعه الله كالدليل الذي يتبعه من يهتدي به ، وجعل العاصى كالشخص الذي أمر بأن يتبع شيئا ، فنكص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن اتباعه ورجع بدونه " .

5 - [بسخط من الله] التنكير للتهويل أى بسخط عظيم لا يكاد يوصف .

6 - [هم درجات] على حذف مضاف أى ذو درجات متفاوتة ، فالمؤمن درجته مرتفعة والكافر درجته متضعة .

7 - [للكفر . . وللإيمان] بينهما طباق وكذلك بين [يبدون . . ويخفون] .

8 - [أصابتكم مصيبة] بينهما جناس الإشتقاق ، وهو من المحسنات البديعية .

تنبيه :

في هذه الآية [فبما رحمة من الله لنت لهم] دلالة على اختصاص نبينا بمكارم الإخلاق ، ومن عجيب أمره (ص) انه كان أجمع الناس لدواعي العظمة ، ثم كان أدناهم إلى التواضع ، فكان أشرف الناس نسبا وأوفرهم حسبا ، وأزكاهم عملا ، وأسخاهم كرما ، وأفصحهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيانا ، وكلها من دواعي العظمة ، ثم كان من تواضعه عليه السلام أنه كان يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويركب الحمار ، ويجلس على الأرض ، ويجيب دعوة العبد المملوك ، فصلوات الله وسلامه على السراج المنير ، بحر (المكارم والفضائل) (ص) .

فائدة :

التوكل على الله من أعلى المقامات لوجهين : أحدهما محبة الله للعبد [إن الله يحب المتوكلين] والثانى الضمان في كنف الرحمن [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] .

قال الله تعالى : [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا . . إلى . . والله بما تعملون خبير] من آية (169) إلى نهاية آية (185)

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتابع أحداث أحد وتكشف عن أسرار المنافقين ومواقفهم المخزية ، وتوضح الدروس والعبر من تلك الغزوة المجيدة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[يستبشرون] يفرحون وأصله من البشرة لأن الإنسان إذا فرح ظهر أثر السرور في وجهه

[القرح] بالفتح الجرح وبالضم ألم الجرح وقد تقدم

[حسبنا] كافينا مأخوذ من الإحساب بمعنى الكفاية ، قال الشاعر : فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وريء

[حظا] الحظ : النصيب ويستعمل في الخير والشر ، وإذا لم يقيد يكون للخير

[نملي] الإملاء : التأخير والإمهال بطول العمر ، ورغد العيش

[يميز] يقال : ماز وميز أى فصل الشيء من الشيء ، ومنه [وامتازوا اليوم أيها المجرمون]

[يجتبي] يختار

[سيطوقون] من الطوق وهو القلادة أى يلزمون به لزوم الطوق في العنق .

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء : في الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله [ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتا] الآية .

2 -عن جابر بن عبد الله قال : لقينى رسول الله (ص) فقال يا جابر : ما لي أراك منكسا مهتما ؟ قلت يا رسول الله : استشهد أبي وترك عيالإ وعليه دين فقال : إلا أبشرك بما لقي الله عز وجل به أباك ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا ((كفاحا : أي مواجهة بدون حجاب ولا رسول ، وكلمه بلا واسطة)) - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب - فقال له : يا عبد الله تمن أعطك ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال يا رب : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال يا رب : فأبلغ من ورائي فأنزل الله [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا] .

التفسير :

[ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا] أى لا تظنن الذين استشهدوا في سبيل الله لإعلاء دينه أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون

[بل أحياء عند ربهم يرزقون] أى بل هم أحياء متنعمون في جنان الخلد ، يرزقون من نعيمها غدوا وعشيا ، قال الواحدي : الإصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي (ص) من أن أرواحهم في أجواف طيور خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون

[فرحين بما آتاهم الله من فضله] أى هم منعمون في الجنة فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة

[ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد بما سيكونون عليه بعد الموت إن استشهدوا ، فهم لذلك فرحون مستبشرون

[الا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أي بأن لا خوف عليهم في الإخرة ، ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا لأنهم في جنات النعيم
[يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين] أكد نهد استبشارهم ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل والمعنى : يفرحون بما حباهم الله تعالى من عظيم كرامته ، وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب ، فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم ، والفضل ما زادهم من المضاعفة في الإجر
[الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح] أى الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول من بعد ما نالهم الجراح يوم أحد . قال ابن كثير : وهذا كان يوم احمراء الإسد ((حمراء الأسد مكان على بعد ثمانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أميال من المدينة المنورة)) وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، ثم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ، ويريهم أن بهم قوة وجلدا ، ولم يإذن لأحد سوى من حضر أحدا ، فانتدب لهم المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله (ص).

[للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم] أى لمن أطاع منهم أمر الرسول وأجابه إلى الغزو - على ما به من جراح وشدائد - الإجر العظيم والثواب الجزيل

[الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا] أى الذين أرجف لهم المرجفون من أنصار المشركين فقالوا لهم : أن قريشا قد جمعت لكم جموعا لا تحصى ، فخافوا على أنفسكم ، فما زادهم هذا التخويف إلا إيمانا

[وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] أى قال المؤمنون :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله كافينا وحافظنا ومتولي أمرنا ، ونعم الملجأ والنصير لمن توكل عليه جل وعلا

[فانقلبوا بنعمة من الله وفضل] أى فرجعوا بنعمة السلامة ، وفضل الإجر والثواب

[لم يمسسهم سوء] أى لم ينلهم مكروه أو أذى

[واتبعوا رضوان الله] أى نالوا رضوان الله الذي هو سبيل السعادة في الدارين

[والله ذو فضل عظيم] أى ذو إحسان عظيم على العباد

[إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه] أى إنما ذلكم القابل [إن الناس قد جمعوا لكم] بقصد تثبيط العزائم هو (الشيطان) يخوفكم أولياءه وهم الكفار لترهبوهم

[فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين] أي فلا تخافوهم ولا ترهبوهم ، فإني متكفل لكم بالنصر عليهم ، ولكن خافوا ربكم - إن كنتم مؤمنين حقا - أن تعصوا أمري فتهلكوا ، والمراد بالشيطان (نعيم بن مسعود الإشجعي) الذي أرسله ابو سفيان ليثبط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين ، قال ابو حيان : وإنما نسب إلى (الشيطان) لأنه ناشىء عن وسوسته وإغوائه وإلقائه

[ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر] تسلية للنبي (ص) أى لا تحزن ولا تتألم يا محمد لأولئك المنافقين الذين يبادرون نحو الكفر بأقوالهم وأفعالهم ، ولا تبال بما يظهر منهم من آثار الكيد للإسلام وأهله

[إنهم لن يضروا الله شيئا] أى إنهم بكفرهم لن يضروا الله شيئا وإنما يضرون أنفسهم

[يريد الله الا يجعل لهم حظا في الإخرة] أى يريد تعالى بحكمته ومشيئته ، إلا يجعل لهم نصيبا من الثواب في الإخرة

[ولهم عذاب عظيم] أى ولهم فوق الحرمان من الثواب عذاب عظيم في نار جهنم

[إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم] أى إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان وهم " المنافقون " المذكورون قبل ، لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم ولهم عذاب مؤلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم] أى لا يظن الكافرون أن إمهالنا لهم بدون جزاء وعذاب ، وإطالتنا لأعمارهم خير لهم

[إنما نملي لهم ليزدادوا إثما] أى إنما نمهلهم ونؤخر آجالهم ليكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم

[ولهم عذاب مهين] أي ولهم في الإخرة عذاب يهينهم ويخزيهم

[ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب] هذا وعد من الله لرسوله بانه سيميز له المؤمن من المنافق ، والمعنى : لن يترك الله المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، حتى يبتليهم فيفصل بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فعل في غزوة أحد ، حيث ظهر أهل الإيمان وأهل النفاق . قال ابن كثير : " اي لا بد أن يعقد شيئا من المحنة يظهر فيها وليه ويفضح بها عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، من المنافق الفاجر ، كما ميز بينهم يوم أحد " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما كان الله ليطلعكم على الغيب] أى وما كان الله ليطلعكم على قلوب عباده ، لتعرفوا المؤمن من الكافر ، والصادق من المنافق ، ولكنه يميز بينهم بالمحن والإبتلاء ، كما ميز بينهم يوم أحد بالباساء وجهاد الإعداء

[ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء] أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على غيبه كما أطلع النبي (ص) على حال المنافقين

[فآمنوا بالله ورسله] أى آمنوا إيمانا صحيحا بأن الله وحده المطلع على الغيب ، وأن ما يخبر به الرسول من أمور الغيب إنما هو بوحي من الله

[وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجرعظيم] أى وإن تصدقوا رسلي وتتقوا ربكم بطاعته فلكم ثواب عظيم

[ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم] أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ، وبخله بإنفاقه ينفعه ، بل هو مضرة عليه في دينه ودنياه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل هو شر لهم] أى ليس الأمر كما يظنون ، بل ذلك البخل شر لهم

[سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة] أي سيجعل الله ما بخلوا به طوقا في أعناقهم ، يعذبون به يوم القيامة ، كما جاء في صحيح البخاري (من آتاه الله مالإ فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع - أى ثعبانا عظيما - له زبيبتان فيأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول : أنا مالك انا كنزك ، ثم تلا (ص) [ولا يحسبن الذي يبخلون] الآية

[ولله ميراث السموات والأرض] أى جميع ما في الكون ملك له سبحانه ، يعود إليه بعد فناء خلقه

[والله بما تعملون خبير] أى مطلع على أعمالكم ، وسيجازيكم عليها .

البلاغة :

تضمنت هذه الآيات فنونا من البلاغة والبديع :

1- الإطناب في [يستبشرون] وفي [لن يضروا] وفي اسم الجلالة في مواضع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- الطباق في [أمواتا بل أحياء] وفي [الكفر بالإيمان] .

3- والإستعارة في [اشتروا الكفر] وفي [يسارعون في الكفر] وفي [الخبيث والطيب] إذ يراد به المؤمن والمنافق والحذف في مواضع .

فائدة :

قوله تعالى [حسبنا الله ونعم الوكيل] هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، فنجاه الله منها ، وجعلها بردا وسلاما عليه ! ! قال السيوطي في الإكليل : يستحب قول هذه الكلمة عند الغم والأمور العظيمة .

قال الله تعالى : [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير. . . إلى . . . والله على كل شيء قدير] من آية (181) إلى نهاية آية (189) .

المناسبة :

بعد ان انتهى الإستعراض القرآني لمعركة أحد ، وما فيها من أحداث جسيمة ، أعقبه تعالى بذكر دسائس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليهود وأساليبهم الخبيثة ، في محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق التشكيك والبلبلة ، والكيد والدس ، ليحذر المؤمنين من خطرهم كما حذرهم من المنافقين ، والآيات الكريمة تتحدث عن اليهود وموقفهم المخزي من الذات الإلهية ، وإتهامهم لله عز وجل بأشنع الإتهامات بالبخل والفقر ، ثم نقضهم للعهود ، وقتلهم للأنبياء ، إلى آخر ما هنالك من جرائم وشنائع ، اتصف بها هذا الجنس الملعون .

اللغة :

[عهد إلينا] أوصانا

[بقربان] القربان : ما يذبح من الإنعام تقربا إلى الله تعالى

[البينات] الآيات الواضحات ، والمراد بها هنا : المعجزات

[الزبر] جمع زبور هو الكتاب من الزبر وهو الكتابة ، قال الزجاج : الزبور كل كتاب ذي حكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[زحزح] الزحزحة : التنحية والإبعاد

[فاز] ظفر بما يؤمل ونجا مما يخاف

[الغرور] مصدر غره يغره غرورا أى خدعه

[متاع] المتاع : ما يتمتع به وينتفع ثم يزول

[لتبلون] لتمتحنن من بلاه أى امتحنه

[عزم الأمور] المراد به صواب التدبير والرأي ،

[بمفازة] بمنجاة من قولهم فاز فلان إذا نجا . .

سبب النزول :

1 - عن ابن عباس قال : دخل ابو بكر الصديق ذات يوم بيت مدراس اليهود ، فوجد ناسا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له (فنحاص بن عازوراء) وكان من علمائهم وأحبارهم ، فقال ابو بكر لفنحاص : ويحك اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص : والله يا ابا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنه لأغنياء ، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا! ! فغضب ابو بكر وضرب وجه " فنحاص " ضربة شديدة وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله (ص) فقال يا محمد : انظر إلى ما صنع بي صاحبك ؟! فقال رسول الله (ص) : ما حملك على ما صنعت يا ابا بكر ؟ فقال يا رسول الله : إن عدو الله قال قولا عظيما ، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله وضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص ، فأنزل الله ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء] الآية .

2 -عن ابن عباس قال : جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله (ص) -منهم كعب بن الإشرف ، ومالك بن الصيف ، وفنحاص بن عازوراء - وغيرهم فقالوا : يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتابا ، وقد عهد الله إلينا في التوراة إلا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فإن جئتنا بهذا صدقناك فنزلت هذه الآية [الذي قالوا إن الله عهد إلينا إلا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار] الآية .

التفسير :

[لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء] هذه المقالة الشنيعة ، مقالة أعداء الله اليهود عليهم لعنة الله ، زعموا أن الله فقير ، وذلك حين نزل قوله تعالى [من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا] قالوا : إن الله فقير يقترض منا كما قالوا [يد الله مغلولة] قال القرطبي : وإنما قالوا هذا تمويها على ضعفائهم لا أنهم يعتقدون هذا ، وغرضهم تشكيك الضعفاء من المؤمنين وتكذيب النبي (ص) أى إنه فقير على قول محمد لانه اقترض منا

[سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق] أي سن أمر الحفظة بكتابة ما قالوه في صحائف أعمالهم ، ونكتب جريمتهم الشنيعة ، بقتل الأنبياء بغير حق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم

[ونقول ذوقوا عذاب الحريق] أى وبقول لهم الملائكة : ذوقوا عذاب النار المحرق الشديد

[ذلك بما قدمت أيديكم] أى ذلك العذاب بما اقترفته أيديكم من الجرائم

[وأن الله ليس بظلام للعبيد] أى وأنه سبحانه عادل ليس بظالم للخلق ، والمراد أن ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم ، وعدل الله تعالى فيكم ، قال الزمخشري : ومن العدل أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن

[الذين قالوا إن الله عهد إلينا] أى هم الذين قالوا أن الله أمرنا وأوصانا في التوارة

[ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار] أى أمرنا بأن لا نصدق رسولا حتى يأتينا بآية خاصة ، وهي أن يقدم قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله ، وهذا افتراء على الله حيث لم يعهد إليهم بذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم]
أى قل لهم يا محمد توبيخا وإظهارا لكذبهم : قد
جاءتكم رسل قبلي بالمعجزات الواضحات ، والحجج
الباهرات ، الدالة على صدق نبوتهم وبالذي ادعيتم
[فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين] أى فلم كذبتموهم
وقتلتموهم إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بالله ،
والتصديق برسله ؟ ثم قال تعالى مسليا لرسوله (ص)
[فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك] أى لا يحزنك
يا محمد تكذيب هؤلاء لك ، فإنهم إن فعلوا ذلك فقد
كذبت أسلافهم من قبل رسل الله ، فلا تحزن فلك بهم
أسوة حسنة
[جاءوا بالبينات] أى كذبوهم مع أنهم جاءوهم
بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة
[والزبر والكتاب المنير] أى بالكتب السمأوية
المملوءة بالحكم والمواعظ ، والكتاب الواضح الجلي
كالتوراة والإنجيل
[كل نفس ذائقة الموت] أى مصير الخلائق إلى الفناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وكل نفس ميتة لا محالة كقوله تعالى [كل من عليها فان]

[وإنما توفون أجوركم يوم القيامة] أى تعطون جزاء أعمالكم وافيا يوم القيامة

[فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز] أى فمن نحى عن النار وأبعد عنها ، وأدخل الجنة فقد فاز بالسعادة السرمدية والنعيم المخلد

[وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور] أى ليست الدنيا إلا دار الفناء ، يستمتع بها الأحمق المغرور . قال ابن كثير : الآية فيها تصغير لشأن الدنيا وتحقير ل أمرها وأنها فانية زائلة

[لتبلون في أموالكم وأنفسكم] أى والله لتمتحنن وتختبرن في أموالكم بالفقر والمصائب ، وفي أنفسكم بالشدائد والأمراض

[ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا] أى ولينالنكم من اليهود والنصارى والمشركين - أعدائكم - الأذى الكثير ، وهذا إخبار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه جل وعلا للمؤمنين ، بأنه سينالهم بلايا وأكدار من المشركين والفجار ، وأمر لهم بالصبر عند وقوع ذلك ، لأن الجنة حفت بالمكاره ، ولهذا قال سبحانه

[وإن تصبروا وتتقوا] أى وإن تصبروا على المكاره وتتقوا الله في الأقوال والأعمال

[فإن ذلك من عزم الأمور] أى الصبر والتقوى من الأمور التي ينبغى ان تعزموا وتحزموا عليها لأنها مما أمر الله بها

[وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب] أى اذكر يا أيها الرسول حين أخذ الله العهد المؤكد على اليهود في التوراة

[لتبيننه للناس ولا تكتمونه] أى لتظهرن ما في الكتاب من أحكام الله ولا يخفونها ، قال ابن عباس : هي لليهود أخذ عليهم العهد والميثاق في أمر رسول الله (ص) فكتموه ونبذوه

[فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا] أى طرحوا ذلك العهد وراء ظهورهم ، واستبدلوا به شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقيرا من حطام الدنيا

[فبئس ما يشترون] أى بئس هذا الشراء ، وبئست تلك الصفقة الخاسرة

[لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا] أى لا تظنن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من اخفاء أمرك عن الناس

[ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا] أى ويحبون ان يحمدهم الناس على تمسكهم بالحق وهم على ضلال

[فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب] أى فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله

[ولهم عذاب أليم] أى عذاب موجع مؤلم ، قال ابن عباس : نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي (ص) عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه

[ولله ملك السموات والأرض] أى له سبحانه جميع ما في السموات والأرض فكيف يكون من له ما في السموات والأرض فقيرا ؟ والآية رد على اليهود الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء

[والله على كل شيء قدير] أى هو تعالى قادر على عقابهم .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما ياتي :

---

1 - [إن الله فقير ونحن أغنياء] أكد اليهود الجملة ب [إن الله فقير] على سبيل المبالغة ، فحيث نسبوا إلى أنفسهم الغنى لم يؤكدوا بل أخرجوا الجملة مخرج ما لا يحتاج إلى تأكيد ، كأن الغنى وصف لهم لا يمكن فيه نزاع فيحتاج إلى تأكيد ، وهذا دليل على تمردهم في الكفر والطغيان .

2 - [سنكتب ما قالوا] فيه مجاز يسمى (المجاز العقلى) أى ستكتب ملائكتنا لقوله تعالى : [إن رسلنا يكتبون ما تمكرون] فأسند الفعل إليه مجازا.

3 - [ذلك بما قدمت أيديكم] فيه مجاز مرسل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اطلاق اسم الجزء وارادة الكل ، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهن .

4 - [تأكله النار] اسناد الأكل إلى النار بطريق (الاستعارة) إذ حقيقة الأكل إنما تكون في الإنسان والحيوان ، وكذلك يوجد استعارة في قوله [ذائقة الموت] لأن حقيقة الذوق ما يكون بحاسة اللسان ، وهذا كله من لطيف الاستعارة.

5 - [متاع الغرور] شبه الدنيا بالمتاع الذي يدنس به على المستام ، ويغر حتى يشتريه ، والشيطان هو المدلس الغرور ، فهو من باب الكناية اللطيفة .

6 - [فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا] كذلك توجد استعارة في النبذ والاشتراء ، شبه عدم التمسك والعمل به بالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان ، وباشتراء ثمن قليل ما تعوضوه من الحطام على كتم آيات الله .

7 - وفي الآيات الكريمة من المحسنات البديعية الطباق في [فقير وأغنياء] والمقابلة [زحزح عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار وأدخل الجنة] وفي [لتبيننه . . ولا تكتمونه] والجناس المغاير في [قول الذين قالوا] وفي [كذبوك فقد كذب] .

فائدة :

صيغة فعال في الآية [وما ربك بظلام] ليست للمبالغة وإنما هي للنسب ، مثل عطار ونجار وتمار ، كلها ليست للمبالغة وإنما هي للنسب ، قال ابن مالك : ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى من الياء قبل .

تنبيه :

إنما وصف تعالى عيش الدنيا ونعيمها بأنه متاع الغرور ، لما تمنيه لذاتها وشهواتها من طول البقاء وأمل الدوام ، فتخدعه ثم تصرعه ، ولهذا قال بعض السلف : الدنيا متاع متروك ، يوشك أن يضمحل ويزول ، فخذوا من هذا المتاع ، واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم ، والله المستعان .

قال الله تعالى : [إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات . . إلى أخر السورة] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من آية (190) إلى نهاية آية (200)

المناسبة :

بدأ تعالى هذه السورة الكريمة بذكر أدلة التوحيد والإلوهية والنبوة ، وختمها بذكر دلائل الوحدانية والقدرة ، فكان ختام مسك ، ولما كان المقصود جذب القلوب إلى معرفة الإله الحق ، جاءت الآيات الكريمة تنير القلوب بأدلة التوحيد والإلهية ، والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، ليخلص الإنسان إلى الاعتراف بوحدانية الله وباهر قدرته جل وعلا

اللغة :

[الألباب] العقول

[باطلا] عبثا بدون حكمة

[سبحانك] تنزية لله عن السوء

[أخزيته] أذللته وأهنته

[كفر عنا] استر وامح

[الأبرار] جمع بر أو بار وهم المستمسكون بالشريعة

[فاستجاب] بمعنى أجاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نزلا] النزل : ما يهيأ للنزيل وهو الضيف من أنواع الإكرام

[رابطوا] المرابطة : ترصد العدو في الثغور .

سبب النزول :

عن ام سلمة قالت : قلت : يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله [فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى] الآية .

التفسير :

[إن فى خلق السموات والأرض] أى إن في خلق السموات والأرض على ما بهما من إحكام وإبداع

[واختلاف الليل والنهار] أى وتعاقب الليل والنهار على الدوام

[لآيات لأولي الألباب] أي علامات واضحة على الخالق وباهر حكمته ، لذوي العقول الذين ينظرون إلى الكون ، بطريق التفكر والاستدلال ، لا كما ينظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البهائم . . ثم وصف تعالى أولي الألباب بالصفات الحميدة فقال سبحانه

[الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم] أى يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال ، في حال القيام والقعود والاضطجاع ، فلا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم ، لاطمننان قلوبهم بذكره ، واستغراق سرائرهم في مراقبته

[ويتفكرون في خلق السموات الأرض] أى يتدبرون في ملكوت السموات والأرض ، في خلقهما بهذه الإجرام العظام ، وما فيهما من عجائب المصنوعات وغرائب المبتدعات قائلين

[ربنا ما خلقت هذا باطلا] أى ما خلقت هذا الكون وما فيه عبثا من غير حكمة

[سبحانك فقنا عذاب النار] أى ننزهك يا الله عن العبث فأجرنا واحمنا من عذاب جهنم

[ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته] أى من أدخلته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار فقد أذللته وأهنته غاية الإهانة وفضحته على رءوس الأشهاد

[وما للظالمين من أنصار] أى ليس للكفار من يمنعهم من عذاب الله ، والمراد بالظالمين الكفار كما قال ابن عباس وجمهور المفسرين ، وقد صرح به في البقرة [والكافرون هم الظالمون] ،

[ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان] أى داعيا يدعو إلى الإيمان وهو محمد (ص)

[أن آمنوا بربكم فآمنا] أى يقول هذا الداعي أيها الناس آمنوا بربكم ، واشهدوا له بالوحدانية ، فصدقنا بذلك واتبعناه

[ربنا فأغفر لنا ذنوبنا] أى استر لنا ذنوبنا ولا تفضحنا بها

[وكفر عنا سيئاتنا] أى امح بفضلك ورحمتك ما ارتكبناه من سيئات

[وتوفنا مع الأبرار] أى ألحقنا بالصالحين ، قال ابن عباس : الذنوب هي الكبائر ، والسيئات هي الصغائر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويؤيده [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم] فلا تكرار إذا

[ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك] تكرير النداء للتضرع ، ولإظهار كمال الخضوع ، أى أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك وهي (الجنة) لمن أطاع الله ورسوله

[ولا تخزنا يوم القيامة] أى لا تفضحنا كما فضحت الكفار

[إنك لا تخلف الميعاد] أى لا تخلف وعدك وقد وعدت من آمن بالجنة

[فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى] أى أجاب الله دعاءهم بقوله : أني لا أبطل عمل من عمل خيرا ، ذكرا كان العامل ، أو أنثى ، قال الحسن : ما زالوا يقولون ربنا ، حتى استجاب لهم

[بعضكم من بعض] أى الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر ، فإذا كنتم مشتركين في الأصل ، فكذلك أنتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشتركون في الأجر

[فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم] أى هجروا أوطانهم فارين بدينهم ، وألجأهم المشركون إلى الخروج من الديار

[وأوذوا في سبيلي] أى تحملوا الأذى من أجل دين الله

[وقاتلوا وقتلوا] أى وقابلوا أعدائى وقتلوا في سبيلي

[لأكفرن عنهم سيئاتهم] أى لأمحون ذنوبهم بمغفرتي ورحمتي

[ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله] أى ولأدخلنهم جنات النعيم جزاء من عند الله على أعمالهم الصالحة

[والله عنده حسن الثواب] أى عنده حسن الجزاء وهي الجنة ، التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ثم نبه تعالى إلى ما عليه الكفار في هذه الدار من النعمة والغبطة والسرور ، وبين أنه نعيم زائل فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد] أي لا يخدعنك أيها السامع ، تنقل الذين كفروا في البلاد ، طلبا لكسب الأموال والجاه والرتب

[متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد] أي إنما يتنعمون بذلك قليلا ، ثم يزول هذا النعيم ، ومصيرهم في الآخرة إلى النار ، وبئس الفراش والقرار نار جهنم .

[لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها النهار خالدين فيها] أي لكن المتقون لله لهم النعيم المقيم في جنات النعيم ، مخلدين فيها أبدا

[نزلا من عند الله] أي ضيافة وكرامة من عند الله

[وما عند الله خير للأبرار] أي وما عند الله من الثواب والكرامة للاخيار الأبرار ، خير مما يتقلب فيه الأشرار الفجار ، من المتاع القليل الزائل . . ثم أخبر تعالى عن إيمان بعض أهل الكتاب فقال

[وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما أنزل إليهم] أى ومن اليهود والنصارى فريق يؤمنون بالله حق الإيمان ، ويؤمنون بما أنزل إليكم وهو القرآن وبما أنزل إليهم وهو التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام وأصحابه ، والنجاشي وأتباعه

[خاشعين لله] أى خاضعين متذللين لله

[لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا] أى لا يحرفون نعت محمد ولا أحكام الشريعة ، الموجودة في كتبهم لعرض من الدنيا خسيس ، كما فعل الأحبار والرهبان

[أولئك لهم أجرهم عند ربهم] أى ثواب إيمانهم يعطونه مضاعفا كما قال سبحانه [أولئك يؤتون أجرهم مرتين]

[إن الله سريع الحساب] أى سريع حسابه ، لنفوذ علمه بجميع المعلومات ، يعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب ، قال ابن عباس والحسن : نزلت في النجاشى وذلك أنه لما مات نعاه جبريل لرسول الله (ص) فقال النبي (ص) لأصحابه : (قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي) ، فقال بعضهم لبعض : يأمرنا أن نصلي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على علج من علوج الحبشة فأنزل الله [وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله] الآية . ثم ختم تعالى السورة الكريمة بهذه الوصية الجامعة لسعادة الدارين فقال :

[ياأايها الذين آمنوا اصبروا] أى اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد

[وصابروا] أى غالبوا أعداء الله بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب

[ورابطوا] أى لازموا ثغوركم مستعدين للكفاح والغزو

[واتقوا الله لعلكم تفلحون] أى خافوا ربكم فلا تخالفوا أمره ، لتفوزوا بسعادة الدارين .

البلاغة :

تضمنت هذه الآيات من ضروب البيان والبديع ما يلي :

1 - الإطناب في قوله [ربنا] حيث كرر خمس مرات ، والغرض منه المبالغة في التضرع إلى الله العلى الكبير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - الطباق في كل من [السموات الأرض] و[الليل والنهار] و[قياما وقعودا] و[ذكر أو أنثى] .

3 - الإيجاز بالحذف [ما وعدتنا على رسلك] أى على ألسنة رسلك وكذلك في قوله [ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا] أى قابلين ربنا .

4 - الجناس المغاير في قوله [آمنوا . . فآمنا] وفي [عمل عاملا] وفي [مناد ينادي] .

5 - [لآيات لأولي الألباب] التنكير للتفخيم ودخلت اللام في خبر إن لزيادة التأكيد .

6 - الإستعارة في قوله [لا يغرنك تقلب الذين كفروا] استعير التقلب للضرب في الأرض لطلب المكاسب والله أعلم .

الفوائد :

الأولى : إنما خصص تعالى التفكر بالخلق ، للنهي عن التفكر في الخالق ففي الحديث الشريف (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون الله قدره) وذلك لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : تكرر النداء بهذا الإسم الجليل [ربنا] خمس مرات كل ذلك على سبيل الإستعطاف وتطلب رحمة الله ، بندائه بهذا الإسم الشريف ، الدال على التربية والملك والإصلاح .

الثالثة : سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أعجب ما رأته من رسول الله (ص) فبكت وقالت : كل أمره كان عجبا ، أتانى في ليلتى حتى مس جلده جلدي ثم قال : " ذرينى أتعبد ربى عز وجل " فقلت : والله إني لأحب قربك وأحب هواك ، فقام إلى قربة من ماء في البيت ، فتوضأ ولم يكثر صبى الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى ، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله : ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ؟ فقال " ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله على في هذه الليلة [إن في خلق السموات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأرض . . .] الآيات ثم قال : " ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " .

" تم بعونه تعالى تفسير سورة ال عمران " .

سورة النساء

مدنية وآياتها ستة وسبعون ومائة

بين يدي السورة

سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة ، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية ، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين ، وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال فى السور المدنية ، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة ، والبيت والأسرة ، والدولة ، والمجتمع ، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء ولهذا سميت " سورة النساء " !!

تحدثت السورة الكريمة عن حقوق النساء والأيتام - وبخاصة اليتيمات - في حجور الأولياء والأوصياء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقررت حقوقهن فى الميراث والكسب والزواج واستنقذتهن من عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهينة.

وتعرضت لموضوع المرأة فصانت كرامتها ، وحفظت كيانها ، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها كالمهر ، والميراث ، وإحسان العشرة.

كما تعرضت بالتفصيل الى " احكام المواريث " على الوجه الدقيق العادل ، الذى يكفل العداله ويحقق المساواه ، وتحدثت عن المحرمات من النساء (بالنسب ، والرضاع ، والمصاهره .

وتناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد وإنما علاقة إنسانية ، وأن المهر ليس أجرا ولا ثمنا ، وإنما هو عطاء يوثق المحبة ، ويديم العشرة ، ويربط القلوب.

ثم تناولت حق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على زوجها ، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسلكها الرجل لإصلاح (الحياة الزوجية) ، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين ، وبينت معني " قوامه الرجل " وأنها ليست قوامه استعباد وتسخير ، وإنما هي قوامة نصح وتأديب ، كالتي تكون بين الراعي ورعيته.

ثم انتقلت من دائرة الأسرة إلي " دائرة المجتمع " فأمرت بالإحساس في كل شيء ، وبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم ، والتناصح والتسامح ، والأمانة والعدل ، حتي يكون المجتمع راسخ البنيان قوي الأركان.

ومن الإصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها وهدوءها ، فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء ، كفرة كانوا أم منافقين!

ثم وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المحايدة أو المعادية.

واستتبع الأمر بالجهاد حملة ضخمة على المنافقين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهم نابتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها ، وقد تحدثت السورة الكريمة عن مكايدهم وخطرهم.

كما نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام.

ثم ختمت السورة الكريمة ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح (عيسى ابن مريم) حيث غالوا فيه حتى عبدوه ثم صلبوه ((اي زعموا أنه صلب وقد أحسن من قال : إذا صلب الإله بفعل عبد يهودي فما هذا الإله ؟)) مع اعتقادهم بألوهيته ، واخترعوا فكرة (التثليث)فأصبحوا كالمشركين الوثنيين ، وقد دعتهم الآيات إلى الرجوع عن تلك الضلالات ، إلى العقيدة السمحة الصافية (عقيدة التوحيد) وصدق الله حيث يقول : [ولا تقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد]

التسمية

سميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الاحكام التى تتعلق بهن ، بدرجة لم توجد فى غيرها من السور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولذلك اطلق عليها " سورة النساء الكبرى " فى مقابلة " سورة النساء الصغرى " التى عرفت فى القران بسورة الطلاق [يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن..] الآية.

قال الله تعالى : [يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقم من نفس واحدة.. إلى.. إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا] من آية (1) إلى آية (10) .

اللغة :

[بث] نشر وفرق ومنه [وزرابي مبثوثة]

[الأرحام] جمع رحم وهو في الأصل مكان تكون الجنين في بطن أمه ثم أطلق على القرابة

[رقيبا] الرقيب : الحفيظ المطلع على الأعمال

[حوبا] : الحوب : الذنب والإثم

[تعولوا] تميلوا وتجوروا يقال : عال الميزان إذا مال ، وعال الحاكم إذا جار

[صدقاتهن] جمع صدقة وهو المهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نحلة] هبة وعطية

[السفهاء] ضعفاء العقول والمراد به هنا المبذرون للأموال

[آنستم] أبصرتم ، من آنس الشيء أبصره

[بدارا] أي مبادرة بمعنى مسارعة أي يسارع في تبذيرها قبل أن يكبر اليتيم فيتسلمها منه

[سديدا] من السداد بمعنى الاستقامة.

سبب النزول :

1- عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى [وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى] فقالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ، وإن الناس استفتوا رسول الله (ص) بعد هذه الآية فأنزل الله [ويستفتونك في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النساء] الآية.

2- عن مقاتل بن حيان أن رجلا من غطفان يقال له (مرثد بن زيد) ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله فأنزل الله [إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما..] الآية.

التفسير :

افتتح الله جل ثناؤه سورة النساء بخطاب الناس جميعا ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، منبها لهم على قدرته ووحدانيته فقال

[يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة] أي خافوا الله الذي أنشأكم من اصل واحد ، وهو نفس أبيكم آدم

[وخلق منها زوجها] أي أوجد من تلك النفس الواحدة زوجها وهي حواء

[وبث منهما رجالا كثيرا ونساء] أي نشر وفرق من آدم وحواء خلائق كثيرين ذكورا وإناثا

[واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام] أي خافوا الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يناشد بعضكم بعضا به حيث يقول : أسألك بالله ، وأنشدك بالله ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها

[إن الله كان عليكم رقيبا] أي حفيظا مطلعا على جميع أحوالكم وأعمالكم ، وقد أكد تعالى الأمر بتقوى الله فى موطنين : في أول الآية ، وفي آخرها ليشير إلى عظم حق الله على عباده ، كما قرن تعالى بين (التقوي) و(صلة الرحم) ليدل على أهمية هذه الرابطة الإنسانية ، فالناس جميعا من اصل واحدن وهم إخوة في الإنسانية والنسب ، ولو أدرك الناس هذا لعاشوا في سعادة وأمان ، ولما كانت هناك حروب طاحنة مدمرة ، تلتهب الأخضر واليابس ، وتقضي على الكهل والوليد ، ثم ذكر تعالى اليتامى فأوصى بهم خيرا وأمر بالمحافظة على أموالهم فقال

[وآتوا اليتامي أموالهم] أي أعطوا اليتامى الذين مات آباؤهم وهم صغار أموالهم إذا بلغوا

[ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب] أي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم] أي لا تخلطوا أموال اليتامى بأموالكم فتأكلوها جميعا

[إنه كان حوبا كبيرا] أي ذنبا عظيما ، فإن اليتيم بحاجة إلى رعاية وحماية لأنه ضعيف ، وظلم الضعيف ذنب عظيم عند الله.. ثم أرشد تعالى إلى ترك التزوج من اليتيمة إذا لم يعطها مهر المثل فقال

[وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى] أي إذا كانت تحت حجر أحدكم يتيمة ، وخاف ألا يعطيها مهر مثلها ، فليتركها إلى ما سواها ، فإن النساء كثير ولم يضيق الله عليه ((اختار الطبري أن المعنى إن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا أيضا ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ، وما أثبتناه هو الموافق لسبب النزول وهو اختيار ابن كثير)).

[فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع] أي انكحوا ما شئتم من النساء سواهن ، إن شاء أحدكم اثنتين ، وإن شاء ثلاثا وإن شاء أربعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة] أي إن خفتم عدم العدل بين الزوجات ، فالزموا الاقتصار على واحدة

[أو ما ملكت أيمانكم] أي اقتصروا على نكاح الإماء بملك اليمين ، إذ ليس لهن من الحقوق كما للزوجات

[ذلك أدنى ألا تعولوا] أي ذلك الاقتصار على الواحدة أو على ملك اليمين أقرب ألا تميلوا وتجوروا

[وآتوا النساء صدقاتهن نحلة] أي أعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس

[فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا] أي فإن طابت نفوسهن بهبة شئ من الصداق

[فكلوه هنيئا مريئا] أي فخذوا ذلك الشيء الموهوب حلالا طيبا

[ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما] أي لا تعطوا المبذرين من اليتامى أموالهم ، التي جعلها الله قياما للأبدان ولمعايشكم فيضيعوها ، قال ابن عباس : السفهاء هم الصبيان ، والنساء المبذرات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الطبري : لا تؤت سفيها ماله ، وهو الذي يفسده بسوء تدبيره ، صبيا كان أو رجلا ، ذكرا كان أو أنثى

[وارزقوهم فيها واكسوهم] أي أطعموهم منها واكسوهم

[وقولوا لهم قولا معروفا] أي قولا لينا كقولكم : إذا رشدتم سلمنا إليكم أموالكم

[وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح] أي اختبروا اليتامى حتى إذا بلغوا سن النكاح ، وهو (بلوغ الحلم) الذي يصلحون عنده للنكاح

[فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم] أي إن أبصرتم منهم صلاحا في دينهم ومالهم ، فادفعوا إليهم أموالهم بدون تأخير

[ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا] أي لا تسرعوا في إنفاقها وتبذروها ، قائلين : ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدنا

[ومن كان غنيا فليستعفف] أي من كان منكم غنيا أيها الأولياء فليتنزه عن مال اليتيم ، ولا يأخذ أجرا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصايته

[ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف] أي ومن كان فقيرا فليأخذ بقدر حاجاته الضرورية وبقدر أجره عمله

[فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم] أي فإذا سلمتم إلى اليتامى أموالهم بعد بلوغهم الرشد ، فأشهدوا على ذلك لئلا يجحدوا تسلمها

[وكفى بالله حسيبا] أي كفى بالله محاسبا ورقيبا .. ثم بين تعالى أن للرجال والنساء نصيبا من تركة الأقرباء فقال

[للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون] أي للأولاد والأقرباء حظ من تركة الميت ، كما للبنات والنساء حظ أيضا الجميع فيه سواء ، يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا في قدرها ، وسببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء والأطفال ، وكانوا يقولون : إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة ، فأبطل الله حكم الجاهلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مما قل منه أو كثر] أي سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة

[نصيبا مفروضا] أي نصيبا مقطوعا فرضه الله بشرعه العادل وكتابه المبين

[وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه] أي إذا حضر قسمة التركة الفقراء من قرابة الميت واليتامى والمساكين من غير الوارثين ، فأعطوهم شيئا من هذه التركة تطييبا لخاطرهم

[وقولوا لهم قولا معروفا] أي قولا جميلا بأن تعتذروا إليهم أنه للصغار وأنكم لا تملكونه

[وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم] نزلت في الأوصياء أي تذكر أيها الوصي ذريتك الضعاف من بعدك وكيف يكون حالهم ، وعامل اليتامى الذين في حجرك بمثل ما تريد أن يعامل به أبناؤك بعد فقدك

[فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا] أي فليتقوا الله فى امر اليتامى وليقولوا لهم ما يقولونه لأولادهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبارات العطف والحنان

[إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما] أي يأكلونها بدون حق

[إنما يأكلون في بطونهم نارا] أي ما يأكلون في الحقيقة إلا نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة

[وسيصلون سعيرا] أي سيدخلون نارا هائلة مستعرة وهي (نار السعير) ، أجارنا الله منها.

البلاغة :

تضمنت الآيات من ضروب الفصاحة والبيان ما يلي :

1- الطباق في [غنيا وفقيرا] وفي [قل أو كثر] وفي [رجالا ونساء] وفي [الخبيث بالطيب] .

2- والجناس المغاير في [دفعتم فادفعوا] وفي [قولوا قولا] .

3- والإطناب في [فادفعوا إليهم أموالهم.. فإذا دفعتم إليهم أموالهم] وفي [للرجال نصيب مما ترك الوالدان.. وللنساء نصيب مما ترك الوالدان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأقربون] .

4- والمجاز المرسل في [وآتوا اليتامى أموالهم] أي الذين كانوا يتامى فهو باعتبار ما كان ، وكذلك [يأكلون في بطونهم نارا] مجاز مرسل وهو باعتبار ما يئول إليه كقوله [إني أراني أعصر خمرا] أي عنبا يئول إلى الخمر.

5- المقابلة اللطيفة بين [ومن كان غنيا فليستعفف .. ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف] .

6- والإيجاز في مواضع مثل [رجالا كثيرا ونساء] أي ونساء كثيرات .. إلخ.

الفوائد

الأولي : في الافتتاح بتذكير الناس أنهم خلقوا من (نفس واحدة) تمهيد جميل وبراعة مطلع ، لما في السورة من أحكام الأنكحة ، والمواريث والحقوق الزوجية ، والمصاهرة ، والرضاع ، وغير ذلك من الأحكام الشرعية.

الثانية : الأغلب أنه إذا كان الخطاب بـــ [يا أيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس] أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية مثل [يا أيها الناس اعبدوا ربكم] و[يا أيها الناس إن وعد الله حق] وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم كما هنا.

الثالثة : ذكر البطون مع أن الأكل لا يكون إلا فيها ، للتأكيد والمبالغة فهو كقولك : أبصرت بعيني ، وسمعت بأذني ، ومثله قوله تعالي [ذلكم قولكم بأفوهكم] .

الرابعة : أضاف تعالى أموال اليتامى إلى الأوصياء ، مع أنها أموال اليتامى [أموالكم] للتنبيه إلى (التكامل بين الأمة) والحث على حفظ الأموال وعدم تضييعها فإن تبذير السفيه للمال ، فيه مضرة للمجتمع كله.

" كلمة موجزة حول تعدد الزوجات "

مسألة تعدد الزوجات ضرورة اقتضتها ظروف الحياة ، وهي ليست تشريعا جديدا انفرد به الإسلام ، وإنما جاء الإسلام فوجده بلا قيود ولا حدود وبصورة غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنسانية ، فنظمه وشذبه ، وجعله علاجا ودواء لبعض الحالات الاضطرارية ، التي يعاني منها المجتمع ، وفي الحقيقة فإن تشريع التعدد مفخرة من مفاخر الإسلام ، لأنه استطاع أن يحل (مشكلة اجتماعية) هي من أعقد المشاكل التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلا .. إن المجتمع كالميزان يجب أن تتعادل كفتاه ، فماذا نصنع حين يختل التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف عدد الرجال ؟ أنحرم المرأة من (نعمة الزوجية) و(نعمة الأمومة) ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرذيلة ، أم نحل هذه المشكلة بطرق فاضلة نصون فيها كرامة المرأة ، وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع ؟ وأقرب الأمثلة شاهدا على ما نقول ما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث زاد عدد النساء زيادة فاحشة على عدد الرجال ، فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات وهي حالة اختلال اجتماعي فكيف يواجهها المشرع ؟ لقد حل الإسلام المشكلة بتشريعه الإسلامي الرائع ، بينهما وقفت المسيحية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حائرة مكتوفة الأيدي لا تبدي ولا تعيد .. إن الرجل الأوروبي لا يبيح له دينه التعدد ، لكنه يبيح لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات بطريق الرذيلة ، يرى الوالد منهم فتاته مع عشيقها فيسر ويغتبط ، بل ويمهد لهما جميع السبل المؤدية لراحتهما ، حتي أصبح ذلك عرفا ساريا اضطرت معه الدول إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الآثمة بين الجنسين ، ففتحت باب (التدهور الخلقي) على مصراعيه ، ووافقت على قبول مبدأ " تعدد الزوجات " ولكن تحت ستار المخادنة ، وهو وزواج عرفي لكنه غير مسجل بعقد ، ويستطيع الرجل أن يطردها متى شاء دون أن يتقيد حيالها بأي حق من الحقوق ، والعلاقة بينهما علاقة جسد لا علاقة أسرة وزوجية ، فأعجب من منع " تعدد الزوجات " بالحلال وإباحته بالحرام ، حتي نزلوا بالمرأة من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية. رب إن الهدى هداك وآيا تك حق تهدي بها من تشاء

قال الله تعالي : [يوصيكم الله فى أولادكم.. إلى ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين] من آية (11) إلى نهاية آية (14).

المناسبة :

لما أوصى تعالى في الآيات السابقة بالأيتام ، وذكر ضمنها حق الأقارب بالإجمال ، أعقبه بذكر أحكام المواريث بالتفصيل ، ليكون ذلك توضيحا لما سبق من الإجمال ، ففرض نصيب الأولاد بنين وبنات ، ثم ذكر نصيب الآباء والأمهات ، ثم نصيب الأزواج والزوجات ، ثم نصيب الإخوة والأخوات.

اللغة :

[يوصيكم] الوصية : العهد بالشيء والأمر به ولفظ الإيصاء أبلغ وأدل على الاهتمام من لفظ الأمر ، لأنه طلب الحرص على الشيء والتمسك به

[فريضة] أي حقا فرضه الله وأوجبه

[كلالة] أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد أي لا أصل له ولا فرع ، لأنها مشتقة من الكل بمعنى الضعف يقال : كل الرجل إذا ضعف وذهبت قوته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حدود الله] أحكامه وفرائضه المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها.

سبب النزول :

روي أن امرأة " سعد بن الربيع " جاءت رسول الله (ص) بابنتيها فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا (سعد بن الربيع) قتل أبوهما معك بأحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا بمال فقال (ص) يقضي الله فى ذلك ، فنزلت آية المواريث [يوصيكم الله فى أولادكم] الآية فأرسل رسول الله (ص) إلي عمهما أن أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، ومابقي فهو لك.

التفسير :

[يوصيكم الله في أولادكم] أي يأمركم الله ويعهد إليكم بالعدل في شأن ميراث أولادكم

[للذكر مثل حظ الأنثيين] أي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن كن نساء فوق اثنين] أي إن كان الورثة إناثا فقط ، اثنتين فأكثر

[فلهن ثلثا ما ترك] أي فللبنتين فأكثر ثلثا التركة

[وإن كانت واحدة فلها النصف] أي وإن كانت الوارثة بنتا واحدة فلها نصف التركة.. بدأ تعالى بذكر ميراث الأولاد عامة ، ثم بذكر ميراث الأبوين ، لأن الفرع مقدم في الإرث على الأصل ، ثم قال تعالى

[ولأبوية لكل واحد منهما السدس] أي للأب السدس وللأم السدس

[مما ترك] أي من تركة الميت

[إن كان له ولد] أي إن وجد للميت ابن أو بنت ، لأن الولد يطلق على الذكر والأنثى

[فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه] أي فان لم يوجد للميت أولاد ، وكان الوارث له أبواه فقط ، أو معهما أحد الزوجين

[فلأمة الثلث] أي فللأم ثلث المال ، أو ثلث الباقى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد فرض أحد الزوجين ، والباقى للأب

[فإن كان له إخوة فلأمة السدس] أي فإن وجد مع الأبوين إخوة للميت (اثنان) فأكثر ، فالأم ترث حينئذ السدس فقط والباقي للأب ، والحكمة أن الأب مكلف بالنفقة عليهم دون أمهم ، فكانت حاجته إلى المال أكثر

[من بعد وصية يوصي بها أو دين] أي إن حق الورثة يكون بعد تنفيذ وصية الميت وقضاء ديونه ، فلا تقسم التركة إلا بعد ذلك

[آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله] أي إنه تعالى تولى قسمة المواريث بنفسه ، وفرض الفرائض على ما علمه من الحكمة ، فقسم حيث توجد المصلحة وتتوفر المنفعة ، ولو ترك الامر الى البشر لم يعلموا أيهم انفع لهم فيضعون الاموال على غير حكمة ولهذا أتبعه بقوله

[ان الله كان عليما حكيما] أى انه تعالى عليم بما يصلح لخلقه حكيم فيما شرع وفرض . . ثم ذكر تعالى ميراث الزوج والزوجة فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد]
أى ولكم ايها الرجال نصف ما ترك ازواجكم من المال ان لم يكن لزوجاتكم اولاد منكم او من غيركم
[فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن] أى من ميراثهن ، والحق بالولد في ذلك (ولد الابن) بالاجماع
[من بعد وصية يوصين بها او دين] أى من بعد الوصية وقضاء الدين
[ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد] أى ولزوجاتكم واحدة فاكثر الربع مما تركتم من الميراث ، ان لم يكن لكم ولد منهن او من غيرهن
[فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم] أى فان كان لكم ولد منهن او من غيرهن ، فلزوجاتكم الثمن مما تركتم من المال
[من بعد وصية توصون بها او دين] وفي تكرير ذكر الوصية والدين من الاعتناء بشانهما ما لا يخفى . !
[وان كان رجل يورث كلالة] أى وان كان الميت يورث كلالة ، أى لا والد له ولا ولد وورثه اقاربه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البعيدون لعدم وجود الاصل او الفرع

[او امراة] عطف على رجل والمعنى او امراة تورث كلالة

[وله اخ او اخت] اي وللمورث اخ او اخت من ام

[فلكل واحد منهما السدس] أى فللاخ من الأم السدس ، وللأخت للأم السدس ايضا

[فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث] أى فان كان الاخوة والاخوات من الام اكثر من واحد ، فانهم يقتسمون الثلث بالسوية ذكورهم واناثهم في الميراث سواء ، قال في البحر : واجمعوا على ان المراد في هذه الاية (الاخوة للأم)

[من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار] أى بقصد ان تكون الوصية للمصلحة ، لا بقصد الاضرار بالورثة ، وان تكون في حدود الوصية بالثلث لقوله عليه السلام (الثلث والثلث كثير)

[وصية من الله] أى اوصاكم الله بذلك وصية

[والله عليم حليم] أى عالم بما شرع ، حليم لا يعاجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقوبة لمن خالف امره

[تلك حدود الله] أى تلك الاحكام المذكورة شرائع الله التي حدها لعباده ، ليعملوا بها ولا يتعدوها

[ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار] أى من يطع امر الله فيما حكم ، وامر رسوله فيما بين ، يدخله جنات النعيم التي تجري من تحت اشجارها وقصورها الانهار

[خالدين فيها] أى ماكثين فيها ابدا

[وذلك الفوز العظيم] أى الفلاح العظيم

[ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده] أى ومن يعص امر الله وامر رسوله ، ويتجاوز ما حده تعالى له من الطاعات

[يدخله نارا خالدا فيها] أى يجعله مخلدا في نار جهنم ، لا يخرج منها ابدا

[وله عذاب مهين] أى وله عذاب شديد مع الاهانة والاذلال ، والعذاب والنكال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنمت الايات من اصناف البديع ما يلى :

1 - الطباق في لفظ [الذكر والانثى] وفي [ومن يطع ومن يعص] وفي [اباؤكم وابناؤكم

2 - الاطناب في [من بعد وصية توصون بها او دين] و[من بعد وصية يوصين بها او دين] والفائدة التأكيد على تنفيذ ما ذكر.

3 - جناس الاشتقاق في [وصية يوصى] .

4 - المبالغة في [عليم ، حليم] لانها من صيغ المبالغة .

فائدة :

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى [يوصيكم الله في اولادكم] انه تعالى ارحم من الوالدة بولدها ، حيث اوصى الوالدين بأولادهم ويؤيده حديث " لله ارحم بعباده من هذه بولدها " .

تنبيه :

وجه الحكمة في تضعيف نصيب الذكر ، هو احتياجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الى مؤنة النفقة والمهر ، والسكن ، ومعاناة التجارة والتكسب ، وتحمل المشاق ، فنفقاته اكثر والتزاماته اضخم فهو الى المال احوج .

قال الله تعالى : [واللاتي ياتين الفاحشة من نساءكم . . الى قوله . . واخذن منكم ميثاقا غليظا]

من الاية (15) الى نهاية الاية (21)

المناسبة :

لما بين سبحانه وتعالى حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث ، بين حكم الحدود فيهن اذا ارتكبن الحرام ، ثم اعقبه بالتحذير من عادات الجاهلية ، من ظلم النساء ، وأكل مهورهن ، وعدم معاملتهن المعاملة الانسانية الشريفة .

اللغة :

[واللاتى] جمع التى على غير قياس

[الفاحشة] الفعلة القبيحة والمراد بها هنا الزنا

[واللذان] تثنية الذي

[التوبة] اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القبيح

[كرها] بفتح الكاف بمعنى الاكراه وبضمها بمعنى المشقة [حملته امه كرها]

[تعضلوهن] تمنعوهن يقال عضل المراة اذا منعها الزواج

[بهتانا] ظلما واصله الكذب الذي يتحير منه صاحبه

[أفضى] وصل اليها ، واصله من الفضاء وهو السعة

[ميثاقا غليظا] عهدا شديدا مؤكدا وهو عقد النكاح .

سبب النزول :

روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله ، القى عليها ثوبا ، فان شاء تزوجها بالصداق الاول ، وأن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فانزل الله [يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها . .

التفسير :

[واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم] أى اللواتي يزنين من ازواجكم ، فاطلبوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يشهد على اقترافهن الزنا اربعة رجال من المسلمين الاحرار

[فان شهدوا فامسكوهن في البيوت] أى فان ثبتت بالشهود جريمتهن فاحبسوهن في البيوت

[حى يتوفاهن الموت] اي احبسوهن فيها الى الموت

[او يجعل الله لهن سبيلا] أى يجعل الله لهن مخلصا بما يشرعه من الاحكام . قال ابن كثير : كان الحكم في ابتداء الاسلام أن المراة اذا ثبت زناها بالبينة العادلة ، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه الى ان تموت ، حتى انزل الله سورة النور فنسخها بالجلد او الرجم

[واللذان يأتيانها منكم] أي واللذان يفعلان الفاحشة ، والمراد بهما (الزانى والزانية) بطريق التغليب

[فآذوهما] أي بالتوبيخ والتقريع والضرب بالنعال

[فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما] أي فإن تابا عن الفاحشة وأصلحا سيرتهما فكفوا عن الإيذاء لهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله كان توابا رحيما] أي مبالغا فى قبول التوبة واسع الرحمة. قال الفخر الرازي : " خص الحبس فى البيت بالمرأة وخص الإيذاء بالرجل لأن المرأة إنما تقع فى الزنا عند الخروج والبروز ، فإذا حبست فى البيت انقطعت مادة هذه المعصية ، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه فى البيت ، لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب قوت عياله ، فلا جرم جعلت عقوبتهما مختلفة " ((قال الشهيد سيد قطب في الظلال : " فهذه توبة المضطر لجت به الغواية وأحاطت به الخطيئة ، توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ولا فسحة لمقارفة الخطيئة ، وهذه لا يقبلها الله لأنها لا تنشىء صلاحا في القلب ولا صلاحا في الحياة ولا تدل على تبدل في الطبع ولا في الاتجاه ")).

[إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة] أي إنما التوبة التي كتب الله على نفسه قبولها ، هي توبة من فعل المعصية سفها وجهالة ، علما قبح المعصية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسوء عاقبتها ثم ندم وأناب

[ثم يتوبون من قريب] أي يتوبون سريعا قبل مفاجأة الموت

[فأولئك يتوب الله عليهم] أي يتقبل الله توبتهم

[وكان الله عليما حكيما] أي عليما بخلقه حكيما في شرعه

[وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن] أي وليس قبول التوبة ممن أرتكب المعاصي واستمر عليها ، حتى إذا فاجأه الموت تاب وأناب ، فهذه توبة المضطر وهي غير مقبولة وفي الحديث " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر "

[ولا الذين يموتون وهم كفار] أي يموتون على الكفر فلا يقبل إيمانهم عند الاحتضار

[أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما] أي هيأنا وأعددنا لهم عذابا مؤلما

[يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كرها] أي لا يحل لكم أن تجعلوا النساء كالمتاع ، ينتقل بالإرث من إنسان إلى آخر ، وأن ترثوهن بعد موت أزواجهن كرها عنهن ، قال ابن عباس : كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاءوا تزوجها أحدهم ، وإن شاءوا زوجوها غيرهم ، وإن شاءوا منعوها الزواج

[ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن] أي ولا يحل لكم أن تمنعوهن من الزواج أو تضيقوا عليهن ، لتذهبوا ببعض ما دفعتموه لهن من الصداق

[إلا أن يأتين بفاحشة مبينة] أي إلا فى حال إتيانهن بفاحشة الزنا ، وقال ابن عباس : الفاحشة المبينة النشوز والعصيان

[وعاشروهن بالمعروف] أي صاحبوهن بما أمركم الله به من طيب القول ، والمعاملة بالإحسان

[فإن كرهتموهن فعسي أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا] أي فإن كرهتم صحبتهن فاصبروا عليهن ، واستمروا في الإحسان إليهن ، فعسى أن يرزقكم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهن ولدا صالحا تقربه أعينكم ، وعسى أن يكون في الشئ المكروه الخير الكثير ، وفي الحديث الصحيح (لا يفرك – أي لا – يبغض – مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا ، رضي منها آخر) .. ثم حذر تعالى من أخذ شيء من المهر بعد الطلاق فقال

[وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج] أي وإن أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة ، مكان امرأة طلقتموها

[وآتيتم إحداهن قنطارا] أي والحال أنكم كنتم قد دفعتم لها مهرا كبيرا يبلغ قنطارا

[فلا تأخذوا منه شيئا] أي فلا تأخذوا منه ولو شيئا قليلا من ذلك المهر

[أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا] استفهام إنكاري أي أتأخذونه باطلا وظلما

[وكيف تأخذونه وقد أفضي بعضكم إلى بعض] أي كيف يباح لكم أخذه وقد استمتعتم بهن بالمعاشرة الزوجية ؟

[وأخذن منكم ميثاقا غليظا] أي أخذن منكم عهدا وثيقا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤكدا هو " عقد النكاح " قال مجاهد : الميثاق الغليظ عقدة النكاح ، وفي الحديث الشريف (اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) .

البلاغة :

تضمنت الآيات من البيان والبديع وهي بإيجاز كما يلي :

1- المجاز العقلي فى قوله [يتوفاهن الموت] والمراد يتوفاهن الله أو ملائكته.

2- الاستعارة في [وأخذن منكم ميثاقا غليظا] استعار لفظ الميثاق للعقد الشرعي الذي يكون بين الزوجين ، تشبيها له بالحبل الغيظ.

3- الجناس المغاير في [فإن تابا.. توابا] وفي [كرهتموهن.. أن تكرهوا] .

4- المبالغة في تفخيم الأمر وتأكيده [وآتيتم إحداهن قنطارا] لتعظيم الأمر والمبالغة فيه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فائدة :

كنى الله تعالى عن الجماع بلفظ الإفضاء [وقد أفضى بعضكم إلى بعض] لتعليم المؤمنين الأدب الرفيع ، قال ابن عباس : " الإفضاء في هذه الآية الجماع ، ولكن الله حيي ، كريم يكني " أي يأتي بالكناية.

تنبيه :

خطب عمر رضي الله عنه فقال : أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله ، لكان أولاكم بها رسول الله (ص) ما أصدق امرأة من نسائه ، ولا أحدا من بناته فوق (اثنتي عشرة أوقيه) ، فقامت إليه امرأة فقالت : يا عمر ، يعطينا الله وتحرمنا ؟ يقول تعالي [وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا] فقال رضي الله عنه : " أصابت امرأة وأخطأ عمر " .

قال الله تعالي : [ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء.. إلى .. وندخلكم مدخلا كريما] من الآية (22) إلى نهاية الآية (31).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما أوصى تعالى بحسن معاشرة الأزواج ، وحذر من إيذائهن أو أكل مهورهن ، عقبه بذكر المحرمات من النساء ، اللواتي لا يجوز الزواج بهن ، بسبب القربة ، أو المصاهرة ، أو الرضاع ، وحذر من ارتكاب الفواحش والمنكرات.

اللغة :

[سلف] مضي

[مقتا] المقت : البغض الشديد لمن تعاطى القبيح

[ربائبكم] جمع ربيبه وهي بنت المرأة من آخر ، سميت به لأنها تتربى في حجر الزوج

[حجوركم] جمع حجر أي في تربيتكم يقال : فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته ، قال أبو عبيدة : في حجوركم أي في بيوتكم

[حلائل] جمع حليلة بمعني الزوجة سميت بذلك لأنها تحل لزوجها

[محصنين] متعففين عن الزني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مسافحين] السفاح : الزنى وأصله في اللغة من السفح وهو الصب وسمي سفاحا لأنه لا غرض للزاني إلا سفح النطفة وقضاء الشهوة

[طولا] سعة وغنى

[أخدان] جمع خدن وهو الصديق للمرأة يزني بها سرا

[العنت] الفجور واصله الضرر والفساد

[سنن] جمع سنة وهي الطريقة

[نصليه] ندخله.

سبب النزول :

أ- لما توفي " أبو قيس بن الأسلت " وكان من صالحي الأنصار ، خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت : إني أعدك ولدا وأنت من صالحي قومك ، ولكني آتي رسول الله (ص) استأمره ، فأتته فأخبرته فأنزل الله [ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء..] الآية.

ب- عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النبي (ص) فنزلت [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم..] الآية قال : فاستحللناهن.

التفسير :

[ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سف] أي لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم من النساء لكن ما سبق فقد عفا الله عنه

[إنه كان فاحشة ومقتا] أي فإن نكاحهن أمر قبيح قد تناهي في القبح والشناعة ، وبلغ الذروة في الفظاعة والبشاعة ، إذ كيف يليق بالإنسان أن يتزوج امرأة أبيه ، وأن يعلوها بعد وفاته وهي مثل أمه ؟

[وساء سبيلا] أي بئس ذلك النكاح القبيح الخبيث طريقا .. ثم بين تعالى المحرمات من النساء فقال

[حرمت عليكم أمهاتكم] أي حرم عليكم نكاح الأمهات ، وشمل اللفظ الجدات من قبل الأب أو الأم

[وبناتكم] وشمل بنات الأولاد وإن نزلن

[وأخواتكم] أي شقيقه كانت ، أو لأب ، أو لأم

[وعماتكم] أي أخوات آبائكم وأخوات أجدادكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبنات الأخ وبنات الأخت] أي بنت الأخ وبنت الأخت ويدخل فيهن أولادهن !! وهؤلاء المحرمات بالنسب (الأمهات ، البنات ، الأخوات ، العمات ، الخالات ، بنات الأخ ، بنات الأخت) ثم شرع تعالى في ذكر المحرمات من الرضاع فقال

[وأمهاتكم الآتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة] نزل الله الرضاعة منزلة النسب ، حتى سمي المرضعة أما للرضيع أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك ، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك ، وكذلك أختك من الرضاع ، ولم تذكر الآية من المحرمات بالرضاع سوى (الأمهات والأخوات) وقد وضحت السنة النبوية أن المحرمات بالرضاع سبع كما هو الحال في النسب لقوله عليه السلام(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) .. ثم ذكر تعالى المحرمات بالمصاهرة فقال

[وأمهات نسائكم] أي وكذلك يحرم نكاح أم الزوجة سواء دخل بالزوجة أو لم يدخل ، لأن مجرد العقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على البنت يحرم الأم
[وربائبكم اللاتي في حجوركم] أي بنات أزواجكم اللاتي ربيتموهن ، وذكر الحجر ليس للقيد وإنما هو للغالب ، لأن الغالب أنها تكون مع أمها ويتولى الزوج تربيتها
[من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم] الدخول هنا كناية عن الجماع ، أي من نسائكم اللاتي أدخلتموهن الستر وجامعتموهن ، قاله ابن عباس ، فإن لم تكونوا قد دخلتم بأمهاتهن وفارقتموهن ، فلا جناح عليكم في نكاح بناتهن
[وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم] أي وحرم عليكم نكاح زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم ، بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم
[وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف] أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين معا في النكاح ، إلا ما كان منكم في الجاهلية ، فقد عفا الله عنه
[إن الله كان غفورا رحيما] أي غفورا لما سلف ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رحيما بالعباد

[والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] أي وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء إلا ما ملكتموهن بالسبي ، فيحل لكم وطؤهن بعد الاستبراء ، ولو كان لهن أزواج في دار الحرب ، لأن بالسبي تنقطع عصمة الكافر لقوله تعالي [ولا تمسكوا بعصم الكوافر]

[كتاب الله عليكم] أي هذا فرض الله عليكم

[وأحل لكم ما وراء ذلكم] أي أحل لكم نكاح ما سواهن

[أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين] أي إرادة أن تطلبوا النساء بطريق شرعي ، فتدفعوا لهن المهور ، حال كونكم متزوجين غير زانين

[فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة] أي فما تلذذتم به من النساء بالنكاح الشرعي الصحيح ((فسر بعض الشيعة الآية بأنها في (نكاح المتعة) وهو تفسير باطل ، لأن المتعة محرمة بالنصوص القاطعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالاجماع)) ، فآتوهن مهورهن فريضة فرضها الله عليكم بقوله [وآتوا النساء صدقاتهن نحلة] ثم قال تعالي :

[ولا جناح عليكم فيما ترضيتم به من بعد الفريضة]

أي لا إثم عليكم فيما اسقطن من المهر برضاهن كقوله تعالي

[فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا]

قال ابن كثير : أي فرضت لها صداقا فأبرأتك منه ، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك

[إن الله كان عليما حكيما] أي عليما بمصالح العباد (حكيما) فيما شرع لهم من الأحكام

[ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات] أي من لم يكن منكم ذا سعة وقدرة أن يتزوج الحرائر المؤمنات

[فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات] أى فله أن ينكح من الاماء المؤمنات اللاتى يملكهن المؤمنون

[والله أعلم بإيمانكم] جملة معترضة لبيان أنه يكفى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى الايمان معرفة الظاهر ، والله يتولى السرائر

[بعضكم من بعض] أي إنكم جميعا بنو آدم ومن نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاحهن ، فرب أمة خير من حرة ، وفيه تأنيس لهم بنكاح الإماء ، فالعبرة بفضل الإيمان لا بفضل الأحساب والأنساب

[فانكحوهن بإذن أهلهن] أي تزوجوهن بأمر أسيادهن وموافقة مواليهن

[وآتوهن أجورهن بالمعروف] أي ادفعوا لهن مهورهن عن طيب نفس ، ولا تبخسوهن منه شيئا استهانة بهن لكونهن إماء مملوكات

[محصنات غير مسافحات] أي عفيفات غير مجاهرات بالزنى

[ولا متخذان أخدان] أي ولا متسترات بالزنى مع أخدانهن ، قال ابن عباس : الخدن هو الصديق للمرأة يزني بها سرا ، فنهى الله تعالى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب] أي فإذا أحصن بالزواج ثم زنين فعليهن نصف ما على الحرائر من عقوبة الزنى ، وهو الجلد خمسون جلدة ، وأما الرجم فلا ينصف ، فلا رجم على الأمة إذا زنت

[ذلك لمن خشي العنت منكم] أي إنما يباح نكاح الإماء لمن خاف على نفسه الوقوع في الزني

[وأن تصبروا خير لكم] أي صبركم وتعففكم عن نكاحهن أفضل لئلا يصير الولد رقيقا ، وفي الحديث (من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فلينكح الحرائر)

[والله غفور رحيم] أي واسع المغفرة عظيم الرحمة

[يريد الله ليبين لكم] أي يريد الله أن يفصل لكم شرائع دينكم ، ومصالح دنياكم

[ويهديكم سنن الذين من قبلكم] أي يرشدكم إلى طرائق الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم

[ويتوب عليكم] أي يقبل توبتكم فيما اقترفتموه من الإثم والمحارم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله عليم حكيم] أي عليم بأحوال العباد (حكيم) في تشريعه لهم

[والله يريد أن يتوب عليكم] كرره ليؤكد سعة رحمته تعالى على العباد ، أي يحب بما شرع من الأحكام أن يطهركم من الذنوب والأثام ، ويريد توبة العبد ليتوب عليه

[ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما] أي يريد الفجرة أتباع الشيطان أن تعدلوا عن الحق إلى الباطل ، وتكونوا فسقة فجرة مثلهم

[يريد الله أن يخفف عنكم] أي يريد تعالى بما يسر وخفف ، أن يسهل عليكم أحكام الشرع

[وخلق الإنسان ضعيفا] أي عاجزا عن مخالفة هواه ، لا يصبر عن اتباع الشهوات.. ثم حذر تعالى من أكل أموال الناس بالباطل فقال

[يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل] أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ، وهو كل طريق لم تبحه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشريعة ، كالسرقة ، والخيانة ، والغصب ، والربا ، والقمار ، وما شاكل ذلك

[إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم] أي إلا ما كان بطريق شرعي شريف ، كالتجارة التي أحلها الله ، قال ابن كثير : الاستثناء منقطع أي لا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها

[ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] أي لا يسفك بعضكم دم بعض ، والتعبير عنه بقتل النفس للمبالغة في الزجر ، أو هو على ظاهرة ويراد به (الانتحار). وذلك من رحمته تعالى بكم

[ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما] أي ومن يرتكب ما نهى الله عنه معتديا ظالما ، لا سهوا ولا خطأ

[فسوف نصليه نارا] أي ندخله نارا عظيمة يحترق فيها

[وكان ذلك على الله يسيرا] أي هينا يسيرا لا عسر فيه ، لأنه تعالى لا يعجزه شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم] أي إن تتركوا أيها المؤمنون الذنوب الكبائر ، التي نهاكم الله عز وجل عنها ، نمح عنكم صغائر الذنوب بفضلنا ورحمتنا

[وندخلكم مدخلا كريما] أي ندخلكم الجنة دار الكرامة والنعيم ، التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قل بشر!

البلاغة :

تضمنت الآيات أنواعا من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1- المجاز المرسل في [حرمت عليكم أمهاتكم] أي حرم عليكم نكاح الأمهات فهو على حذف مضاف.

2- الطباق بين [حرمت .. وأحل] وفي [محصنين.. ومسافحين] وفي [كبائر .. وسيئاتكم] لأن المراد بالسيئات الصغائر من الذنوب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- الكناية في [اللاتي دخلتم بهن] فهو كناية عن الجماع كقولهم : بنى عليها ، وضرب عليها الحجاب ، أي خلا بها للجماع.

4- الاستعارة في [وآتوهن أجورهن] استعار لفظ الأجور للمهور ، لأن المهر يشبه الأجر في الصورة ، فشبة المهور بالأجور ، وهي استعارة لطيفة.

5- الجناس المغاير في [تتكحوا ما نكح] وفي [أرضعنكم.. من الرضاعة] وفي [محصنات فإذا أحصن] والإطناب في مواضع ، والحذف في مواضع.

الفوائد :

الأولي : استنبط العلماء من آية المحرمات القاعدة الآتية وهي (العقد على البنات يحرم الأمهات ، والدخول بالأمهات يحرم البنات) .

الثانية : حمل بعض الروافض والشيعة قوله تعالي [فما استمتعتم به منهن] على نكاح المتعة وهو خطأ فاحش ، لأن الغرض من الاستمتاع في الآية التمتع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالنساء عن طريق الجماع ، لا نكاح المتعة ، فقد ثبت حرمة نكاح المتعة بالسنة والإجماع ، ولا عبرة بما خالف ذلك.

الثالثة : قال ابن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب.

الرابعة : روي سعيد بن جبير أن رجلا قال لابن عباس : الكبائر سبع ؟ قال : هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع ، ولكن لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار ، ذكره القرطبي.

قال تعالي : [ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض.. إلى .. إن الله كان عفوا غفورا] من الآية (32) إلى نهاية الآية (43).

المناسبة :

لما ذكر تعالى المحرمات من النساء وذكر قبلها تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ، جاءت الآيات تنهى عن تمني ما خص الله به كلا من الجنسين ، لأنه سبب للحسد والبغضاء ، ثم ذكر تعالى حقوق كل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزوجين على الآخر ، وأرشد إلى الخطوات التي ينبغي التدرج بها في حالة النشوز والعصيان.

اللغة :

[موالي] المولي : الذي يتولى غيره يقال للعبد مولى وللسيد مولى ، لأن كلا منهما يتولى الآخر ، والمراد به هنا الورثة والعصبة

[قوامون] قوام : مبالغة من القيام على الأمر بمعنى حفظه ورعايته أي يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية

[قانتات] مطيعات وأصل القنوت دوام الطاعة

[نشوزهن] عصيانهن وترفعهن ، وأصله المكان المرتفع ومنه تل ناشز ، ويقال : نشزت المرأة إذا ترفعت على زوجها وعصته

[المضاجع] جمع مضجع وهو المرقد

[شقاق] الشقاق : الخلاف والعداوة مأخوذ من الشق بمعنى الجانب ، لأن كلا من المتشاقين يكون في شق غير شق صاحبه أي في ناحية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الجنب] البعيد الذى ليس له قرابة تربطه بجاره ، وأصل الجنابة : البعد

[مختالا] المختال : ذو الخيلاء والكبر

[مثقال] وزن

[الغائط] الحدث واصله المطمئن من الأرض ، فقد كانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا منخفضا من الأرض ، فكنى عن الحدث بالغائط ، وهي كناية لطيفة.

سبب النزول :

أ- عن مجاهد قال : قالت " أم سلمة " يا رسول الله : يغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث ؟ فأنزل الله [ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض] الآية.

ب- روي أن سعد بن الربيع- وكان نقيبا من نقباء الأنصار – نشزت عليه امرأته " حبيبة بنت زيد " فلطمها ، فانطلق أبوها معها إلى رسول الله (ص) فقال : أفرشته كريمتي فلطمها!! فقال النبي (ص) :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتقتص منه ، فنزلت [الرجال قوامون على النساء] فقال(ص) : " أردنا أمرا وأراد الله أمرا ، والذي أراد الله خير " .

التفسير :

[ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض] أي لا تتمنوا أيها المؤمنون ما خص الله تعالى به غيركم من أمر الدنيا أو الدين ، فإن ذلك يؤدي إلى التحاسد والتباغض ، قال الزمخشري : نهوا عن الحسد وعن تمني ما فضل الله بعض الناس على بعض ، من الجاه والمال ، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير ، وعلم بأحوال العباد

[للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن] أي لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار ، قال الطبري : كل له جزءا على عمله بحسبه ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر

[واسألوا الله من فضله] أي وسلوا الله من فضله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعطكم ، فإنه كريم وهاب

[إن الله كان بكل شيء عليما] أي ولذلك جعل الناس طبقات ، ورفع بعضهم درجات

[ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون] أي ولكل إنسان جعلنا عصبة يرثون ماله ، مما تركه الوالدان والأقارب من الميراث

[والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم] أي والذين حالفتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ، فأعطوهم حظهم من الميراث ، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ ، قال الحسن : كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر ، فنسخ الله ذلك بقوله [وأولا الأرحام بعضهم أولى ببعض] وقال ابن عباس : كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه ، بالأخوة التي آخى رسول الله (ص) بينهم ، فلما نزلت [ولكل جعلنا موالي] نسخت

[إن الله كان على كل شيء شهيدا] أي مطلعا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل شيء وسيجازيكم عليه.. ثم بين تعالى أن الرجال يتولون أمر النساء في المسؤولية والتوجيه فقال [الرجال قوامون على النساء] أي قائمون عليهن بالأمر والنهي ، والإنفاق والتوجيه ، كما يقوم الولاة على الرعية

[بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم] أي بسبب ما منحهم الله من العقل والتدبير ، وخصهم به من الكسب والإنفاق ، فهم يقومون على النساء بالحفظ والرعاية ، والإنفاق والتأديب ، قال أبو السعود : " والتفضيل للرجال لكمال العقل ، وحسن التدبير ، ورزانة الرأي ، ومزيد القوة ، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك

[فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله] هذا تفصيل لحال النساء تحت رياسة الرجل ، وقد ذكر تعالى أنهن قسمان : قسم صالحات مطيعات ، وقسم عاصيات متمردات ، فالنساء الصالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، قائمات بما عليهن من حقوق ، يحفظن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهن عن الفاحشة ، وأموال أزواجهن عن التبذير ، كما أنهن حافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ، ويجمل ستره ، وفي الحديث الشريف (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه)

[واللاتي تخافون نشوزهن] هذا القسم الثاني وهن النساء العاصيات المتمردات أي واللاتي يتكبرن ويتعالين عن طاعة الأزواج ، فعليكم أيها الرجال أن تسلكوا معهن سبل الإصلاح

[فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن] أي فخوفوهن الله بطريق النصح والإرشاد ، فإن لم ينجح الوعظ والتذكير ، فاهجروهون في الفراش ، فلا تكلموهن ولا تقربوهن ، قال ابن عباس : الهجر ألا يجامعها وأن يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره ، فإن لم يرتدعن فاضربوهن ضربا غير مبرح

[فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا] أي فإن أطعن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمركم فلا تلتمسوا طريقا لإيذائهن

[إن الله كان عليا كبيرا] أي فإن الله تعالى أعلى منكم وأكبر ، وهو ليهن ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن .. انظر كيف يعلمنا سبحانه أن نؤدب نساءنا ، وأنظر إلى ترتيب العقوبات ودقتها حيث أمرنا بالوعظ ، ثم بالهجران ، ثم بالضرب ضربا غير مبرح ، ثم ختم الآية بصفة العلو والعظمة ، لينبه العبد على أن قدرة الله فوق قدرة الزوج عليها ، وأنه تعالى عون الضعفاء وملاذ المظلومين !!

[وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها] أي وإن خشيتم أيها الحكام مخالفة وعداوة بين الزوجين ، فوجهوا حكما عدلا من أهل الزوج ، وحكما عدلا من أهل الزوجة يجتمعان فينظران في أمرهما ويفعلان ما فيه المصلحة

[إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما] أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناصحة لوجه الله ، بورك في وساطتهما ، وأوقع الله بين الزوجين الوفاق والألفة ، وألقى في نفوسهما المودة والرحمة

[إن الله كان عليما خبيرا] أي عليما بأحوال العباد (حكيما) في تشريعه لهم

[واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا] أي وحدوه وعظموه ولا تشركوا به شيئا من الأشياء ، صنما أو غيره ، واستوصوا بالوالدين برا وإنعاما وإحسانا وإكراما

[وبذي القربى واليتامى والمساكين] أي وأحسنوا إلى الأقارب عامة والى اليتامى والمساكين خاصة

[والجار ذي القربى] أي الجار القريب فله عليك حق الجوار وحق القرابة

[والجار الجنب] أي الجار الأجنبي الذى لا قرابة بينك وبينه

[والصاحب بالجنب] قال ابن عباس : هو الرفيق في السفر ، وقال الزمخشري : " هو الذي صحبك ، إما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رفيقا في سفر ، أو جارا ملاصقا ، أو شريكا في تعلم علم ، أو قاعدا إلى جنبك في مجلس ، أو غير ذلك من له أدنى صحبة التأمت بينك وبينه ، فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنسه ، وقيل : هي المرأة "

[وابن السبيل] أي المسافر الغريب الذي انقطع عن بلده وأهله

[وما ملكت أيمانكم] أي المماليك من العبيد والإماء

[إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا] أي متكبرا في نفسه يأنف عن أقاربه وجيرانه ، فخورا على الناس مترفعا عليهم ، يرى أنه خير منهم ، وهذه آية جامعة جاءت حثا على الإحسان واستطرادا لمكارم الأخلاق ومن تدبرها حق التدبر أغنته عن كثير من مواعظ البلغاء ، ونصائح الحكماء.. ثم بين تعالى صفات هؤلاء الذين يبغضهم الله فقال

[الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل] أي يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق في سبيل الله ، ويأمرون غيرهم بترك الإنفاق ، والآية فى اليهود نزلت في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جماعة منهم كانوا يقولون للأنصار : لا تنفقوا أموالكم
في الجهاد والصدقات ، وهي مع ذلك عامة
[ويكتمون ما آتاهم الله من فضله] أي يخفون ما
عندهم من المال والغنى ، ويخفون نعته عليه السلام
الموجودة في التوراة
[وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا] أي هيأنا للجاحدين
نعمة الله عذابا أليما مع الخزي والإذلال لهم
[والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس] أي ينفقونها
للفخر والمباهاة والشهرة ، لا ابتغاء وجه الله
[ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر] أي ولا يؤمنون
الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر ، والآية في
المنافقين
[ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا] أي من كان
الشيطان صاحبا له وخليلا ، يعمل بأمره ، فساء هذا
القرين والصاحب
[وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما
رزقهم الله] الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي ماذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يضيرهم وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق في سبيله ؟ قال الزمخشري : وهذا كما يقال للمنتقم : ما ضرك لو عفوت ؟ وللعاق : ما كان يرزؤك لو كنت بارا ؟ وهو ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة

[وكان الله بهم عليما] وعيد لهم بالعقاب أي سيجازيهم بما عملوا

[إن الله لا يظلم مثقال ذرة] أي لا يبخس أحدا من عمله شيئا ، ولو كان وزن ذرة من التراب ، أو الهباءة ، وذلك على سبيل التمثيل تنبيها بالقليل على الكثير

[وإن تك حسنة يضاعفها] أي وإن كانت تلك الذرة حسنة ، ينمها ويجعلها أضعافا كثيرة

[ويؤت من لدنة أجرا عظيما] أي ويعط تفضلا وزيادة على ثواب العمل ، أجرا عظيما وهو الجنة

[فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا] أي كيف يكون حال الكفار والفجار ، حين نأتي من كل أمة بنبيها يشهد عليها ، ونأتي بك يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد على العصاة والمكذبين من أمتك ، تشهد عليهم بالجحود والعصيان ؟! كيف يكون موقفهم ؟ وكيف يكون حالهم ؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع

[يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول] أي في ذلك اليوم العصيب يتمني الفجار الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله

[لو تسوى بهم الأرض] أي لو يدفنوا في الأرض ثم تسوى بهم ، كما تسوى بالموتى ، أو لو تنشق الأرض فتبتلعهم ويكونون ترابا كقوله [يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا] وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة

[ولا يكتمون الله حديثا] أي لا يستطيعون أن يكتموا الله حديثا لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه.. ثم أمر تعالى باجتناب الصلاة في حال السكر والجنابة فقال

[يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتي تعلموا ما تقولون] أي لا تصلوا فى حالة السكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لأن هذه الحالة لا يتأتى معها الخشوع والخضوع بمناجاته سبحانه وتعالى ، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر ، روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما فدعا اليه بعض الصحابة ، وسقاهم الخمر – قبل أن تحرم- وحضرت الصلاة فقدموا بعضهم فقرأ " قل يا أيها الكافرون . أعبد ما تعبدون . ونحن نعبد ما تعبدون " فخلط في القراءة ، فأنزل الله [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى] الآية

[ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا] أي ولا تقربوها وأنتم جنب أي غير طاهرين ، إلا إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء فصلوا على تلك الحالة بالتيمم

[وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط] أي وإن كنتم مرضى ويضركم الماء ، أو مسافرين وأنتم محدثون حدثا أصغر ، ولم تجدوا الماء

[أو لامستم النساء] قال ابن عباس : هو الجماع

[فلم تجدوا ماء] أي فلم تجدوا الماء الذي تتطهرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به

[فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم] أي اقصدوا عند عدم وجود الماء التراب الطاهر ، فتطهروا به وامسحوا وجوهكم وأيديكم بذلك التراب [إن الله كان عفوا غفورا] أي يرخص ويسهل على عباده لئلا يقعوا في الحرج.

البلاغة :

تضمنت هذه الآيات من الفصاحة والبيان والبديع ما يلي :

1- الإطناب في قوله [نصيب مما اكتسبوا.. ونصيب مما اكتسبن] وفي [حكما من أهله وحكما من أهلها] وفي [والجار ذي القربى والجار الجنب] .

2- الاستعارة في [مما اكتسبوا] شبه استحقاقهم للإرث وتملكهم له بالاكتساب ، وأشتق من لفظ الاكتساب اكتسبوا على طريقة الاستعارة التبعية.

3- الكناية فى فقد [واهجروهن في المضاجع] فقد كنى بذلك عن الجماع وكذلك في [لامستم النساء] قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عباس معناه : جامعتم النساء كما كنى عن الحدث بالغائط في قوله [أو جاء أحد منكم من الغائط] .

4- صيغة المبالغة في [الرجال قوامون] لأن فعال من صيغ المبالغة ومجئ الجملة اسمية للإفادة الدوام والاستمرار .

5- السؤال عن المعلوم لتوبيخ السامع في قوله [فكيف إذا جئنا] يراد بها التقريع والتوبيخ.

6- جناس الاشتقاق في [حافظات .. بما حفظ] وفي قوله [بشهيد.. وشهيدا] .

7- التعريض في [مختالا فخورا] عرض بذلك إلى ذم الكبر المؤدي لاحتقار الناس.

8- الحذف في عدة مواضع مثل [وبالوالدين إحسانا] أي أحسنوا إلى الوالدين إحسانا.

الفوائد :

الأولي : لم يذكر الله تعالى في الآية إلا " الإصلاح " في قوله [إن يريدا إصلاحا] ولم يذكر ما يقابله وهو التفريق ، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أنه ينبغي على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكمين أن يبذلا جهدهما للإصلاح ، لأن في التفريق خراب البيوت وتشتيت الأولاد ، وذلك مما ينبغي أن يجتنب.

الثانية : ختم تعالى الآية بهذين الاسمين العظيمين [إن الله كان عليا كبيرا] وذلك لتهديد الأزواج عند التعسف في استعمال الحق ، فكأن الآية تقول : لا تغتروا بكونكم أقوى يدا منهن وأكبر درجة منهنن فإن الله على قاهر ، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن ، فالله أعلى منكم وأقدر فاحذورا عقابه.

الثالثة : روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله(ص) اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم فإني أحب أن أسمعه من غيري!! فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية [فكيف إذا جئنا ن كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا] فقال : حسبك الآن ، فنظرت فاذا عيناه تذرفان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

ورد النظم الكريم [بما فضل الله بعضهم على بعض] ولو قال : بتفضيلهم عليهن لكان أخصر وأوجز ، ولكن التعبير ورد بتلك الصيغة لحكمة جليلة ، وهي إفادة أن المرأة من الرجل بمنزلة عضو من جسم الإنسان وكذلك العكس ، فالرجل بمنزلة الرأس ، والمرأة بمنزلة البدن ، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو ، فالأذن لا تغني عن العين ، واليد لا تغني عن القدم ، ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته ، ورأسه أشرف من يده فالكل يؤدي دوره بانتظام ، ولا غني لواحد عن الآخر ، وهذا هو سر التعبير بقوله [بعضهم على بعض] فظهر أن الآية في نهاية الإيجاز والإعجاز.

" كلمة حول تأديب النساء "

لعل أخبث ما يتخذه أعداء الإسلام للطعن في الشريعة الإسلامية زعمهم أن الإسلام أهان المرأة ، حين سمح للرجل أن يضربها ويقولون : كيف يسمح القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بضرب المرأة

[واهجروهن في المضاجع واضربوهن] أفليس هذا إهانة للمرأة واعتداء على كرامتها ؟!

والجواب : نعم لقد أذن الحكيم العليم بضربها ، ولكن متى يكون الضرب ؟ ولمن يكون ؟ عن الضرب – ضربا غير مبرح- كما ورد به الحديث الشريف أحد الطرق في معالجة نشوز المرأة وعصيانها لأمر الزوج ، فحين تسيء المرأة عشرة زوجها ، وتركب رأسها وتسير بقيادة الشيطان ، وتقلب الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق ، فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحالة ؟! لقد ارشدنا القرآن الكريم إلى الدواء ، فأمر بالصبر والأناة ، ثم بالوعظ والإرشاد ، ثم بالهجر في المضاجع ، فإذا لم تنجح كل هذه الوسائل ، فلابد من سلوك طريق آخر هو الضرب غير المبرح ، لكسر الغطرسة والكبرياء ، وهذا أقل ضررا من إيقاع الطلاق عليها ، وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأكبر كان حسنا وجميلا ، وما أحسن ما قيل : (وعند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر العمى يستحسن العور) فالضرب طريق من طرق العلاج ، ينفع في بعض الحالات التي يستعصي فيها الإصلاح باللطف والإحسان والجميل [فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا] !!.

قال تعالي : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب.. إلى .. وندخلهم ظلا ظليلا] من الآية (44) إلى نهاية الآية (57).

سبب النزول :

روي أن أبا سفيان قال لكعب بن الأشرف- أحد أحبار اليهود – إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ، ونحن أميون لا نعلم , فأينا أهدى طريقا نحن أم محمد ؟ فقال : اعرضوا علي دينكم!! فقال أبو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكوماء ، ونسقيهم الماء ، ونقري الضيف ، ونعمر بيت ربنا ، ومحمد فارق دين آبائه ، وقطع الرحم!! فقال : دينكم خير من دينه ، وأنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فأنزل الله [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب..] الآية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى شيئا من أحوال الكفار في الآخرة وأنهم يتمنون لو تسوي بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا .. أعقبه بذكر ما عليه اليهود من الكفر والجحود والتكذيب بآيات الله ، ثم ذكر طائفة من عقائد أهل الكتاب الزائغة ، وما أعد لهم من العذاب المقيم في في دار الجحيم ، أعاذنا الله منها.

اللغة :

[راعنا] راقبنا وانظرنا ، وهي كلمة سب في العبرية وكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة

[أقوم] أعدل وأصوب

[نطمس] الطمس : المحو وإذهاب أثر الشيئ

[فتيلا] الفتيل : الخيط الذي في شق النواة

[الجبت] اسم الصنم ثم صار مستعملا لكل باطل

[الطاغوت] كل ما عبد من دون الله ، من حجر أو بشر أو شيطان ، وقيل : هو اسم للشيطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نقيرا] النقير : النقطة التي على ظهر النواة

[نصليهم] ندخلهم.

التفسير :

[ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب] الاستفهام للتعجيب من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم ، أي ألا تعجب يا محمد إلى الذين أعطوا حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود

[يشترون الضلالة] أي يختارون الضلالة على الهدى ، ويؤثرون الكفر على الإيمان

[ويريدون أن تضلوا السبيل] أي ويريدون لكم يا معشر المؤمنين أن تضلوا طريق الحق لتكونوا مثلهم

[والله أعلم بأعدائكم] أي هو تعالى أعلم بعداوة هؤلاء اليهود الضالين منكم فاحذروهم

[وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا] أي حسبكم أن يكون الله وليا وناصرا لكم ، فثقوا به واعتمدوا عليه وحده ، فهو تعالى يكفيكم مكرهم.. ثم ذكر تعالى طرفا من قبائح اليهود اللعناء فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه] أي من هؤلاء اليهود فريق يبدلون كلام الله في التوراة ، ويفسرونه بغير مراد الله ، قصدا وعمدا ، فقد غيروا نعت محمد(ص) وأحكام الرجم وغير ذلك

[ويقولون سمعنا وعصينا] أي ويقولون لك إذا دعوتهم للإيمان : سمعنا قولك ، وعصينا أمرك ، قال مجاهد : سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه ، وهذا أبلغ فى الكفر والعناد

[واسمع غير مسمع] أي اسمع ما نقول لا سمعت ، والكلام ذو وجهين يحتمل الخير والشر ، واصله للخير أي لا سمعت مكروها ، ولكن اليهود الخبثاء كانوا يقصدون به الدعاء على الرسول (ص) أي لا أسمعك الله ، وهو دعاء بالصمم أو بالموت

[وراعنا] أى ويقولون فى اثناء خطابهم " راعنا " وهي كلمة سب من الرعونة وهي الحمق ، فكانوا سخرية وهزؤا برسول الله (ص) يكلمونه بكلام محتمل ، ينوون به الشتيمة والاهانة ، ويظهرون به التوقير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاكرام ، ولهذا قال تعالى

[ليا بالسنتهم وطعنا في الدين] أى فتلا وتحريفا عن الحق الى الباطل ، وقدحا في الاسلام ، قال ابن عطية : وهذا موجود حتى الان في اليهود ، وقد شاهدناهم يربون اولادهم الصغار على ذلك ، ويحفظونهم ما يخاطبون به المسلمين ، مما ظاهره التوقير ، ويريدون به التحقير

[ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا] أى عوضا من قولهم (سمعنا وعصينا)

[واسمع وانظرنا] أى عوضا عن قولهم (غير مسمع وراعنا) أى لو ان هؤلاء اليهود قالوا للرسول (ص) ذلك القول اللطيف بدل ذلك القول الشنيع

[لكان خيرا لهم وأقوم] أي لكان قولهم هذا أفضل وأنفع ، وأعدل وأصوب

[ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا] أي ولكنهم لم يقولوا ما هو أنفع ، فلذلك لعنهم الله أي أبعدهم الله عن الهدى وعن رحمته ، بسبب كفرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابق ، فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا قال الزمخشري : أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم ببعض الكتب والرسل.. ثم توعدهم تعالى بالطمس وإذهاب الحواس فقال سبحانه

[يا ايها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا] أي يا معشر اليهود آمنوا بالقرآن الذي نزلناه على محمد (ص)

[مصدقا لما معكم] أي مصدقا للتوراة

[من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها] أي نطمس منها الحواس من (أنف أو عين أو حاجب) حتي تصير كالأدبار ، وهذا تشويه عظيم لمحاسن الإنسان وهو قول ابن عباس ((وهو اختير الطبري حيث قال : أي من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها فنسويها كألاقفاء فنجعل أبصارها في أدبارها فيمشون القهقرى)).

[أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت] أي نمسخهم كما مسخنا أصحاب السبت ، وهم الذين اعتدوا في السبت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فمسخهم الله قردة وخنازير
[وكان أمر الله مفعولا] أي إذا أمر بأمر فإنه نافذ كائن لا محالة

[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] أي لا يغفر الشرك أبدا ، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده
[ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما] أي من أشرك بالله فقد أختلق إثما عظيما ، قال الطبري : قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ، ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرته شركا بالله.. ثم ذكر تعالى تزكية اليهود أنفسهم ، مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال سبحانه
[ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم] أي ألم يبلغك خبر هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم ، ويصفونها بالطاعة والتقوى ؟ والاستفهام للتعجيب من أمرهم ، قال قتادة : ذلكم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم فقالوا [نحن أبناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله وأحباؤه] وقالوا : لا ذنوب لنا
[بل الله يزكي من يشاء] أي ليس الأمر بتزكيتهم بل بتزكية الله ، فهو أعلم بحقائق الأمور وغوامضها ، يزكي المرتضين من عباده وهم الأطهار الأبرار ، لا اليهود الأشرار
[ولا يظلمون فتيلا] أي لا ينقصون من أعمالهم بقدر الفتيل ، وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهو مثل للقلة كقوله [إن الله لا يظلم مثقال ذرة]
[أنظر كيف يفترون على الله الكذب] هذا تعجيب من افترائهم وكذبهم ، أي انظر يا محمد كيف اختلقوا على الله الكذب ، في تزكيتهم أنفسهم ، وزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ؟
[وكفى به إثما مبينا] أي كفى بهذا الافتراء ، جرما بينا ومنكرا عظيما
[ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] الاستفهام للتعجيب والمراد بهم أيضا اليهود ، أعطوا حظا من التوراة ، وهم مع ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يؤمنون بالأوثان والأصنام ، وكل ما عبد من دون الرحمن

[ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا] أي يقول اليهود لكفار قريش : أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه !! قال ابن كثير : يفضلون الكفار على المسلمين ، بجهلهم وقلة دينهم ، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم قال تعالى إخبارا عن ضلالهم

[أولئك الذين لعنهم الله] أي طردهم وأبعدهم عن رحمته

[ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا] أي من يطرده الله من رحمته ، فمن ينصره من عذاب الله ؟ ومن يمنع عنه آثار اللعنة ؟ وهو العذاب العظيم

[أم لهم نصيب من الملك] أي أم لهم حظ من الملك ؟ ؟ وهذا على وجه الإنكار ، يعني ليس لهم من الملك شيء

[فإذا لا يؤتون الناس نقيرا] أي لو كان لهم نصيب من الملك ، فإذا لا يؤتون أحدا مقدار (نقير) لفرط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بخلهم ، والنقير مثل في القلة كالفتيل والقطمير ، وهو النكتة في ظهر النواة .. ثم أنتقل إلى خصلة ذميمة أشد من البخل فقال سبحانه

[أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله] قال ابن عباس : حسدوا النبي (ص) على النبوة ، وحسدوا أصحابه على الإيمان والمعني : بل أيحسدون النبي (ص) والمؤمنين على النبوة ، التي فضل الله بها محمدا وشرف بها العرب ؟ ويحسدون المؤمنين على ازدياد العز والتمكين ؟

[فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما] أي فقد أعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة ، وأنزلنا عليهم الكتب وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداود وسليمان ، فلأي شيء تخصون محمدا (ص) بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم ؟

والمقصود الرد على اليهود في حسدهم للنبي (ص) وإلزام لهم بما عرفوه من فضل الله على آل إبراهيم

[فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه] أي من اليهود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من آمن بمحمد (ص)وهم (قلة قليلة) ومنهم من أعرض فلم يؤمن وهم الكثرة الكثيرة كقوله [فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون]
[وكفى بجهنم سعيرا] أي كفى بالنار المسعرة عقوبة لهم ، على كفرهم وعنادهم.. ثم أخبر تعالى بما أعده للكفرة الفجرة من الوعيد والعذاب الشديد فقال سبحانه

[إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا] أي سوف ندخلهم نارا عظيمة هائلة ، تشوي الوجوه والجلود [كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب] أي كلما انشوت جلودهم واحترقت احتراقا تاما ، بدلناهم جلودا غيرها ليدوم لهم ألم العذاب ، قال الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين مرة ، كلما أكلتهم قيل لهم : عودوا فعادوا كما كانوا ، وقال الربيع : جلد أحدهم أربعون ذراعا ، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه ، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، وفي الحديث (يعظم أهل النار في النار حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد

[إن الله كان عزيزا حكيما] أي هو سبحانه (عزيز) لا يمتنع عليه شيء ، (حكيم) لا يعذب إلا بعدل

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا] إخبار عن مآل السعداء أي سند خلهم جنات تجري فيها الأنهار ، فى جميع فجاجها وأرجائها ، مقيمين في الجنة لا يموتون

[لهم فيها أزواج مطهرة] أي لهم في الجنة زوجات مطهرات من الأقذار والأذى ، قال مجاهد : مطهرات من البول والحيض ، والنخام والبزاق ، والمنى والولد

[وندخلهم ظلا ظليلا] أي ظلا دائما لا تنسخه الشمس ، ولا حر فيه ولا برد ، قال الحسن : وصف بأنه " ظليل " لأنه لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ، وفى الحديث (إن في الجنة لشجرة يسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

البلاغة :

تضمنت الآيات من الفصاحة والبلاغة والبديع ما يلي :

1- المجاز المرسل في [أم يحسدون الناس] المراد به محمد (ص) من باب تسمية الخاص باسم العام ، إشارة إلى أنه (ص) جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين.

2- الاستعارة في [يشرتون الضلالة] وفي [ليذوقوا العذاب] لأن أصل الذوق باللسان ن فاستعير إلى الألم الذي يصيب الإنسان ، وفي [ليا بألسنتهم] لأن أصل اللى : فتل الحبل ، فاستعير للكلام الذي قصد به غير ظاهرة ، وفي [نطمس وجوها] وهي عبارة عن مسخ الوجوه تشبيها بالصحيفة المطموسة التي عميت سطورها وأشكلت حروفها.

3- الاستفهام الذي يراد به التعجب في [ألم تر] في موضعين.

4- التعجب بلفظ الأمر في [انظر كيف يفترون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتلوين الخطاب في [يفترون] وإقامته مقام الماضي للدلالة على الدوام والاستمرار.

5- الاستفهام الذي يراد منه التوبيخ والتقريع في [أم لهم نصيب] وفي [أم يحسدون] .

6- التعريض في [فإذا لا يؤتون الناس نقيرا] عرض بشدة بخلهم.

7- الطباق في [وجوه .. وأدبار] وفي [آمنوا .. وكفروا] .

8- جناس الاشتقاق في [نلعنهم .. ولعنا] وفي يؤتون .. وآتاهم وفي [ظلا ظليلا] .

9- الإطناب في مواضع ، والحذف في مواضع.

قال تعالي : [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات .. إلى .. وكفي بالله عليما] من آية (58) إلى نهاية آية (70).

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال اليهود ، وما هم عليه من الحسد والعناد والجحود ، وذكر ما أعده لهم من العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنكال في الآخرة ، أعقبه بتوجيه المؤمنين إلى طريق السعادة بطاعة الله ورسوله ، وأداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس ، ثم ذكر صفات المنافقين التي ينبغي الحذر منها والبعد عنها.

اللغة :

[نعما] : أصلها نعم ما أي نعم الشيء تعظيما له

[تأويلا] مآلا وعاقبه

[يزعمون] الزعم : الاعتقاد الظني ، قال الليث : أهل العربية يقولون : زعم فلان إذا شكوا فيه فلم يعرفوا أكذب أو صدق ، وقال ابن دريد : أكثر ما يقع على الباطل ، ومنه قولهم " زعموا مطية الكذب "

[توفيقا] تأليفا والوفاق والوفق ضد المخالفة

[بليغا] مؤثرا

[شجر] اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاط بعضها في بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حرجا] ضيقا وشكا ، قال الواحدي : يقال للشجر الملتف لا يكاد يوصل اليه : حرج.

سبب النزول :

أ- روي أن رسول الله (ص) لما دخل مكة يوم الفتح أغلق " عثمان بن طلحة " باب الكعبة وصعد السطح ، وأبى أن يدفع المفتاح لرسول الله (ص) وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوى على يده وأخذه منه وفتح بابها فدخل رسول الله (ص) وصلى ركعتين ، فلما خرج أمر عليا أن يرد المفتاح إلى " عثمان بن طلحة " ويعتذر إليه ، فقال له عثمان : آذيت وأكرهت ثم جئت تترفق !! فقال : قد أنزل الله في شأنك قرآنا [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] وقرأ عليه الآية ، فاسلم عثمان فقال النبي (ص) : " خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة ، لا يأخذها منكم إلا ظالم.

ب- عن ابن عباس أن رجلا من المنافقين يقال له " بشر " كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي : تعال نتحاكم إلى محمد !! فقال المنافق : بل نتحاكم إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" كعب بن الأشرف " – وهو الذي سماهن الله الطاغوت– فأبي اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله(ص) فقضي رسول الله لليهودى على المنافق ، فلما خرج من عنده لم يرض المنافق وقال : تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فاتيا عمر فقال اليهودى : كان بينى وبين هذا خصومة فتحاكمنا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضاءه ، وزعم أنه يخاصمنى إليك !! فقال عمر للمنافق : أكذلك هو ؟ فقال نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل عمر فاشتمل عليه سيفه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد – أي مات – وقال : هكذا أقضي فيمن لم ير بقضاء الله ورسوله ، فنزلت الآية [ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك..] الآية.

التفسير :

[إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] الخطاب عام لجميع المكلفين ، كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بالذمم سواء كانت حقوق الله أو العباد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال الزمخشري : الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة ، والمعني : يأمركم الله أيها المؤمنون بأداء الأمانات إلى أربابها ، قال ابن كثير : يأمر تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ، وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات وغيرها ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغيرها

[وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] أي ويأمركم أن تعدلوا بين الناس في أحكامكم

[إن الله نعما يعظكم به] أي نعم الشيء الذي يعظكم به

[إن الله كان سميعا بصيرا] فيه وعد ووعيد أي سميع لأقوالكم ، بصير بأفعالكم

[يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم] أي اطيعوا الله وأطيعوا رسوله بالتمسك بالكتاب والسنة ، وأطيعوا الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله ، إذ لا طاعة لمخلوق في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معصية الخالق وفي قوله [منكم] دليل على أن الحكام الذين تجب طاعتهم ، يجب أن يكونوا مسلمين حسا ومعني ، لحما ودما ، لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلا

[فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول] أي فإن اختلفتم في أمر من الأمور فاحتكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص)

[إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر] أي إن كنتم مؤمنين حقا ، وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق ، أي فردوه إلى الله والرسول ، والغرض منه الحث على التمسك بالكتاب والسنة ، كما يقول القائل : إن كنت ابني فلا تخالفني

[ذلك خير وأحسن تأويلا] أي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، خير لكم وأصلح ، وأحسن عاقبة ومآلا.. ثم ذكر تعالى صفات المنافقين الذين يدعون الإيمان وقلوبهم خاوية منه فقال سبحانه

[ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا] تعجيب من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمر من يدعي الإيمان ثم لا يرضى بحكم الله !! أي ألا تعجب من صنيع هؤلاء المنافقين ، الذين يزعمون الإيمان

[بما أنزل إليك] وهو القرآن
[وما أنزل من قبلك] وهو التوراة وا?نجيل
[يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت] أي يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت ، قال ، قال ابن عباس : هو " كعب بن الأشرف " أحد طغاه اليهود ، سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوته للرسول عليه السلام
[وقد أمروا أن يكفروا به] أي والحال أنهم قد أمروا بالإيمان بالله والكفر بما سواه [فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي]
[ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا] أي ويريد الشيطان بما زين لهم أن يحرفهم عن الحق والهدي
[واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي وإذا قيل لأولئك المنافقين : تعالوا فتحاكموا إلى كتاب الله والى الرسول ليفصل بينكم فيما تنازعتم فيه [رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا] أي رأيتهم لنفاقهم يعرضون عنك إعراضا

[فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم] أي كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم ، وبما جنته أيديهم من الكفر والمعاصي ، أيقدرون أن يدفعوا عنهم العذاب ؟

[ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا] أي ثم جاءك هؤلاء المنافقون للاعتذار عما اقترفوه من الأوزار ، يقسمون بالله ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا الصلح والتأليف بين الخصمين ، وما أردنا رفض حكمك !! قال تعالي تكذيبا لهم

[أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم] أي هؤلاء المنافقون يكذبون ، والله يعلم ما في قلوبهم ، من النفاق والمكر والخديعة ، وهم يريدون أن يخدعوك بهذا الكلام المعسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأعرض عنهم] أي فأعرض عن معاقبتهم للمصلحة ، ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ، ولا تهتك سترهم حتي يبقوا على وجل وحذر

[وعظهم] أي ازجرهم عن الكيد والنفاق بقوارع الآيات

[وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا] أي انصحهم فيما بينك وبينهم ، بكلام بليغ مؤثر ، يصل إلى سويداء قلوبهم ، يكون لهم رادعا ولنفاقهم زاجرا.. ثم أخبر تعالى عن بيان وظيفة الرسل فقال سبحانه

[وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله] أي لم نرسل رسولا من الرسل ، إلا ليطاع بأمر الله تعالى ، فطاعته طاعة لله ، ومعصيته معصية لله ،

[ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله] أي لو أن هؤلاء المنافقين ، حين ظلموا أنفسهم بعدم قبول حكمك ، جاءوك تائبين من النفاق مستغفرين الله من ذنوبهم ، معترفين بخطئهم

[واستغفر لهم الرسول] أي واستغفرت لهم يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي سألت الله أن يغفر لهم ذنوبهم

[لوجدوا الله توابا رحيما] أي لعلموا كثرة توبة الله على عباده وسعة رحمته لهم.. ثم بين تعالى طريق الإيمان الصادق فقال سبحانه

[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم] اللام لتأكيد القسم أي فوربك يا محمد لا يكونون مؤمنين ، حتى يجعلوك حكما بينهم ، ويرضوا بحكمك فيما تنازعوا فيه واختلفوا من الأمور

[ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] أي ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقا من حكمك ، وينقادوا انقيادا تاما كاملا لقضائك ، من غير معارضة ولا مدافعة ولا منازعة ، فحقيقة الإيمان الخضوع والإذعان

[ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم] أي لو فرضنا على هؤلاء المنافقين ما فرضنا على من قبلهم من الأحكام الشاقة ، وشددنا التكليف عليهم فأمرناهم بقتل النفس ، والخروج من الأوطان ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما فرض ذلك على بني إسرائيل
[ما فعلوه إلا قليل منهم] أي ما استجاب ولا انقاد إلا قليل منهم لضعف إيمانهم
[ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا] أي ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به من طاعة الله وطاعة رسوله ، لكان خيرا لهم في عاجلهم آجلهم ، وأشد تثبيتا لإيمانهم ، وأبعد لهم عن الضلال والنفاق

[وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما] أي أرشدناهم إلى الطريق المستقيم ، الموصل إلى جنات النعيم .. ثم ذكر تعالى ثمرة الطاعة لله ورسوله فقال سبحانه
[ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم] أي ومن يعمل بما أمره الله به ورسوله ويجتنب ما نهي الله عنه ورسوله ، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته في دار الخلد مع المقربين
[من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين] أي مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحاب المنازل العالية في الآخرة ، وهم الأنبياء الأطهار ، والصديقين الأبرار ، وهم أفاضل أصحاب الأنبياء والشهداء الأخيار وهم الذين استشهدوا في سبيل الله ، ثم مع بقية عباد الله الصالحين
[وحسن أولئك رفيقا] أي ونعمت رفقة هؤلاء وصحبتهم ، وحسن رفيق أولئك الأبرار ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي(ص) في شكواه التي قبض فيها يقول [مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين] فعلمت أنه خير .
[ذلك الفضل من الله] أي ما أعطيه المطيعون من الأجر العظيم ، إنما هو بمحض فضله تعالى
[وكفى بالله عليما] أي وكفى به تعالى مجازيا لمن أطاع ، عالما بمن يستحق الفضل والإحسان ، وكفى بالله شهيدا.
البلاغة :
تضمنت الآيات الكريمة من ضروب الفصاحة والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يلي باختصار :

1- الاستفهام المراد به التعجب في [ألم تر إلى الذين يزعمون] .

2- الالتفات في [واستغفر لهم الرسول] تفخيما لشأن الرسول وتعظيما لاستغفاره ، ولو جري على الأصل لال : " واستغفرت لهم " .

3- إيراد الأمر بصورة الإخبار وتصديره بـــ " إن " المفيدة للتحقيق في قوله : [إن الله يأمركم] للتفخيم ، وتأكيد وجوب العناية والامتثال.

4- الجناس المغاير في [يضلهم ضلالا] وفي [قل لهم.. قولا] وفي [يسلموا تسليما] وفي [يصدون .. صدودا] وفي [فأفوز فوزا] وهو من المحسنات البديعية.

5- الاستعارة في قوله [فيما شجر بينهم] استعار ما اشتبك وتضايق من الشجر ، للتنازع الذي يدخل به بعض الكلام في بعض ، استعارة للمعقول بالمحسوس.

6- تكرير الاسم الجليل [إن الله يأمركم] [إن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعما يعظكم] [إن الله كان سميعا] لتربية المهابة في النفوس.

7- الإطناب في مواضع والحذف في مواضع.

فائدة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله : إنك لأحب إلى من نفسي ، وأحب إلى من أهلي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتي آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي (ص) حتى أنزل الله [ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...] الآية.

قال الله تعالي : [يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم.. إلى .. ومن أصدق من الله حديثا] من أية (71) إلى نهاية آية (87) .

المناسبة :

ما حذر تعالى من النفاق والمنافقين ، وأوصى بطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله وطاعة رسوله ، أمر هنا بأعظم الطاعات والقربات وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته وإحياء دينه ، وأمر بالاستعداد والتأهب حذرا من مباغته الكفار ، ثم بين حال المتخلفين عن الجهاد ، المثبطين للعزائم من المنافقين ، وحذر المؤمنين من شرهم.

اللغة :

ثبات] جمع ثبة وهي الجماعة أي جماعة بعد جماعة

[بروج] جمع برج وهو البناء المرتفع والقصر العظيم ، والمراد به هنا الحصون

[مشيدة] مرتفعة البناء

[بيت] دبر الأمر ليلا ، والبيات أن يأتي العدو ليلا ، ومنه قول العرب : أمر بيت بليل

[أذاعوا به] أشاعوه ونشروه

[يستنبطونه] يستخرجونه مأخوذ من استنبطت الماء إذا استخرجته ومنه استنباط الأحكام من الكتاب والسنة

[حرض] التحريض : الحث على الشيء

[تنكيلا] تعذيبا والنكال : العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كفل] نصيب وأكثر ما يستعمل الكفل في الشر

[مقيتا] مقتدرا من أقات على الشيء قدر عليه ، قال الشاعر : وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا

سبب النزول :

ن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي(ص) بمكة فقالوا : يا نبي الله لقد كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ؟ فقال : إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم ، فلما حوله الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتال ، فكفوا فأنزل الله [ألم تر إلي الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة..] الآية.

لتفسير :

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم] أي يا معشر المؤمنين احترزوا من عدوكم واستعدوا له

[فانفروا ثبات أو انفروا جميعا] أي اخرجوا إلى الجهاد جماعات متفرقين ، سرية بعد سرية ، أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اخرجوا مجتمعين في الجيش الكثيف ، فخيرهم تعالى في الخروج إلى الجهاد متفرقين ومجتمعين

[وان منكم لمن ليبطئن] أي ليتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد ، والمراد بهم (المنافقون) وجعلوا من المؤمنين باعتبار زعمهم واعتبار الظاهر

[فإن أصابتكم مصيبة] أي قتل وهزيمة

[قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا] أي قال ذلك المنافق : قد تفضل الله على ، إذ لم أشهد الحرب معهم ، فأقتل ضمن من قتلوا

[ولئن أصابكم من الله] أي ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر وظفر وغنيمة

[ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فورا عظيما] أي ليقولن هذا المنافق قول نادم متحسر ، كأن لم يكن بينكم وبينه معرفة وصداقة : يا ليتني كنت معهم في الغزو ، لأنال حظا وافرا من الغنيمة ، وجملة [كأن لم تكن] اعتراضية للتنبيه على ضعف إيمانهم ، وهذه المودة في ظاهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنافق لا في اعتقاده ، فهو يتمني أن لو كان مع المؤمنين ، لا من أجل عزة الإسلام ، بل طلبا للمال وتحصيلا للحطام.. ولما ذم تعالى المبطئين عن القتال في سبيل الله ، رغب المؤمنين فيه فقال :

[فيقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة] أي فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية

[ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما] هذا وعد منه سبحانه ، بالأجر العظيم لمن قاتل في سبيل الله ، سواء غلب أو غلب أي من يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، فيستشهد أو يظفر على الأعداء ، فسوف نعطيه ثوابا جزيلا ، فهو فائز بإحدي الحسنيين : الشهادة أو الغنيمة ، كما في الحديث " تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي ، وتصديق برسلي ، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خرج منه ، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة "

[وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان] الاستفهام للحث والتحريض على الجهاد ، أي وما لكم أيها المؤمنون لا تقاتلون في سبيل الله ، وفي سبيل خلاص المستضعفين من إخوانكم الذين صدهم المشركون عن الهجرة ؟ فبقوا مستذلين مستضعفين يلقون أنواع الأذى الشديد ؟!

وقوله : [من الرجال والنساء والولدان] بيان للمستضعفين ، قال ابن عباس : " كنت أنا وأمي من المستضعفين " وهم الذين كان يدعو لهم الرسول (ص) فيقول : الله أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام إلخ كما في الصحيح

[الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية] أي الذين يدعون ربهم لكشف الضر عنهم ، قائلين : يا ربنا أخرجنا من هذه القرية ، وهي (مكة) إذ إنها كانت موطن الكفر ولذا هاجر الرسول(ص) منها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الظالم اهلها] بالكفر وهم صناديد قريش الذين منعوا المؤمنين من الهجرة ، ومنعوا من ظهور الاسلام فيها

[واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا] أي أجعل لنا من هذا الضيق فرجا ومخرجا ، وسخر لنا من عندك وليا وناصرا ، وقد استجاب الله دعاءهم فجعل لهم خير ولي وناصر ، وهو " محمد " (ص) حين فتح مكة ، ولما خرج منها ولي عليهم (عتاب بن أسيد) فأنصف مظلومهم من ظالمهم.. ثم شجع تعالي المجاهدين ورغبهم في الجهاد فقال

[الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله] أي المؤمنون يقاتلون لهدف سام وغاية نبيلة ، وهي نصرة دين الله وإعلاء كلمته تعالى ابتغاء مرضاته ، فهو تعالى وليهم وناصرهم

[والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت] أي وأما الكافرون فيقاتلون في سبيل الشيطان ، الداعي إلى الكفر والطغيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقاتلوا أولياء الشيطان] أي قاتلوا يا أولياء الله أنصار وأعوان الشيطان فإنكم تغلبونهم ، وشتان بين من يقاتل لإعلاء كلمة الله ، وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت ، ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو المخذول المغلوب ، ولهذا قال :

[إن كيد الشيطان كان ضعيفا] أي سعي الشيطان ضعيف ، فكيف بالقياس إلى قدرة الله ؟! قال الزمخشري : كيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين ، أضعف شيء وأوهنة

[ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة] أي ألا تعجب يا محمد من قوم طلبوا القتال وهم بمكة ، فقيل لهم : أمسكوا عن قتال الكفار فلم يحن وقته ، وأعدوا نفوسكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

[فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية] أى فلما فرض عليهم قتال المشركين ، إذا جماعة منهم يخافون ويجبنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفزعون من الموت ، كخشيتهم من عذاب الله أو أشد من ذلك ؟ قال ابن كثير : كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة والصبر على أذى المشركين ، وكانوا يتحرقون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ، فلما أمروا بما كانوا يودونه ، جزع بعضهم وخاف من مواجهة الناس خوفا شديدا ((وروى النسائي في سننه أن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله : إنا كنا في عز ونحن مشركون ، فلما امنا صرنا أذلة ؟! فقال : " إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا ، فلما حوله الله إلى المدينة ، أمر بالقتال فكفوا ، فأنزل الله الاية "))

[وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال] أي وقالوا جزعا من الموت : ربنا لم فرضت علينا القتال ؟

[لولا أخرتنا إلى أجل قريب] " لولا " للتحضيض بمعني : أي (هلا) أخرتنا إلى أجل قريب حتى نموت بآجالنا ولا نقتل فيفرح بنا الأعداء!

[قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقي] أي قل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم يا محمد إن نعيم الدنيا فإن ، ونعيم الآخرة باق ، فهو خير من ذلك المتاع الفاني ، لمن أتقي الله وامتثل أمره

[ولا تظلمون فتيلا] أي لا تنقصون من أجور أعمالكم أدني شيء ، ولو كان فتيلا وهو الخيط الذي في شق النواة ، قال في التسهيل : إن الآية في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال فتمنوا أن يؤمروا به ، فلما أمروا به كرهوه ، لا شكا فى دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل : هي في المنافقين ، وهو أليق في سياق الكلام ((واختار هذا القرطبي وابو حيان وهو الأرجح ، قال في البحر : الظاهر أن القائلين هذا هم منافقون ، لأن الله تعالى إذا أمر بشيء لا يسأل عن علته من هو خالص الإيمان ، ولهذا جاء السياق بعده {وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك} وهذا لا يصدر إلا من منافق

[أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة] أي في أي مكان وجدتم فلابد أن يدرككم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموت ، عند انتهاء الأجل ويفاجئكم ، ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة ، فلا تخشوا القتال خوف الموت

[وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله] أي إن تصب هؤلاء المنافقين حسنة ، من نصر وغنيمة وشبه ذلك ، يقولوا هذه من جهة الله ومن تقديره ، لما علم فينا من الخير

[وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك] أي وإن تنلهم سيئة من هزيمة وجوع وشبه ذلك ، يقولوا هذه بسبب اتباعنا لمحمد ودخولنا في دينه ، يعنون بشؤم دينه ، قال السدي : يقولون هذا بسبب تركنا ديننا ، واتباعنا محمدا أصابنا هذا البلاء ، كما قال تعالى عن قوم فرعون [وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه]

[قل كل من عند الله] أمر (ص) بأن يرد زعمهم الباطل ويلقمهم الحجر ، ببيان أن الخير والشر بتقدير الله أي قل يا محمد لهؤلاء السفهاء : الحسنة والسيئة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنعمة والنقمة ، كل ذلك من عند الله خلقا وإيجادا ، لا خالق سواه فهو وحده النافع الضار وعن إرادته تصدر جميع الأشياء

[فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا] أي ما شأنهم لا يفقهون أن الأشياء كلها بتقدير الله ؟ وهو توبيخ لهم على قلة الفهم.. ثم قال تعالى مبينا حقيقة الإيمان

[ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك] الخطاب لكل سامع أي ما أصابك يا إنسان من نعمة وإحسان ، فمن الله تفضلا منه وإحسانا ، وامتنانا وامتحانا ، وما أصابك من بلية ومصيبة ، فمن عندك لأنك السبب فيها بما أرتكبت يداك ، كقوله تعالي : [وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير] .. ثم قال تعالى مخاطبا الرسول

[وأرسلناك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا] أي وأرسلناك يا محمد رسولا للناس أجمعين ، تبلغهم شرائع الله وحسبك أن يكون الله شاهدا على رسالتك..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم رغب تعالى في طاعة الرسول فقال :

[من يطع الرسول فقد أطاع الله] أي من أطاع أمر الرسول فقد أطاع الله ، لأنه مبلغ عن الله

[ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا] أي ومن أعرض عن طاعتك فما أرسلناك يا محمد حافظا لأعمالهم ، ومحاسبا لهم عليها ، ليس عليك إلا البلاغ

[ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول] أي ويقول المنافقون : أمرك يا محمد طاعة ، كقول القائل : " سمعا وطاعة " فإذا خرجوا من عندك دبر جماعة منهم غير الذي تقوله لهم ، وهو الخلاف والعصيان لأمرك

[والله يكتب ما يبيتون] أي يأمر الحفظة بكتابته في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه

[فأعرض عنهم وتوكل على الله] أي أصفح عنهم وفوض أمرك إلى الله وثق به

[وكفي بالله وكيلا] أي فهو سبحانه ينتقم لك منهم ، وكفى بالله ناصرا ومعينا لمن توكل عليه. ثم عاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى المنافقين بالإعراض عن تدبر القرآن ، لفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ، وفي تدبره يظهر برهانه ، ويسطع نوره وبيانه

[أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا] أي لو كان هذا القرآن مختلقا كما يزعم المشركون والمنافقون لوجدوا فيه تناقضا كبيرا ، في أخباره ، ونظمه ، ومعانيه ولكنه منزه عن ذلك فأخباره صدق ، ونظمه بليغ ، ومعانيه محكمة ، فدل على أنه تنزيل الحكيم الحميد

[وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف] أي إذا جاء المنافقين خبر من الأخبار عن المؤمنين ، بالظفر والغنيمة ، أو النكبة والهزيمة ،

[أذاعوا به] أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به ، قبل أن يقفوا على حقيقته ، وفي إذاعتهم له مفسدة على المسلمين

[ولو ردوه إلى الرسول والى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم] أي لو ترك هؤلاء الكلام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذلك الأمر الذي بلغهم ، وردوه إلى رسول الله (ص) والى كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه الذين يستخرجونه منهم أي من الرسول وأولي الأمر

[ولولا أفضل الله عليكم ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلا] أي لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بإرسال الرسول ، ورحمته بإنزال القرآن ، لاتبعتم الشيطان فيما يأمركم به من الفواحش ، إلا قليلا منكم.. ثم أمر الرسول بالجهاد فاقل :

[فقاتل في سبيل الله لا تكلف ألا نفسك] أي قاتل يا أيها الرسول الكفار ، لإعلاء كلمة الله ولو وحدك ، فإنك موعود بالنصر ، ولا تهتم بتخلف المنافقين عنك [وحرض المؤمنين] أي شجعهم على القتال ورغبهم فيه

[عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا] هذا وعد من الله بكف شرهم و[عسى] من الله تفيد التحقيق أي بتحريضك المؤمنين ، يكف الله شر الكفرة الفجار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وبفتح مكة

[والله أشد باسا واشد تنكيلا] أي هو سبحانه أشد قوة وسطوة ، وأعظم عقوبة وعذابا

[من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها] أي من يشفع بين الناس شفاعة موافقة للشرع ، يكن له نصيب من الأجر

[ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها] أي ومن يشفع شفاعة مخالفة للشرع ، كالشفاعة لإسقاط الحد يكن له نصيب من الوزر بسببها

[وكان الله على كل شيء مقيتا] أي مقتدرا فيجازي كل أحد بعلمه

[وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها] أي إذا سلم عليكم أحد ، فردوا عليه بأفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم

[إن الله كان على كل شيء حسيبا] أي يحاسب العباد على كل شيء من أعمالهم ، الصغيرة والكبيرة

[الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه] هذا قسم من الله بجمع الخلائق يوم المعاد أي اقسم لكم بالله الواحد الأحد ، الذي لا معبود بحق سواه ، ليحشرنكم الله أيها الناس من قبوركم ، إلى حساب يوم القيامة ، الذي لا شك فيه ، وسيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، للجزاء والحساب

[ومن اصدق من الله حديثا] ؟ لفظه استفهام ومعناه النفي ، أي لا أحد اصدق في الحديث والوعد من الله رب العالمين ، فإن كلامه صدق ، ووعده لا يخلف !

لبلاغة :

ضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبيان.

1- الاستعارة في قوله : [يشرون الحياة الدنيا بالآخرة] أي يبيعون الفانية بالباقية ، فاستعار لفظ الشراء للمبادلة ، وهو من لطيف الاستعارة.

2- الاعتراض في [كأن لم يكن بينكم وبينه مودة] للتوبيخ وبيان ضعف إيمانهم.

3- التشبيه المرسل المجمل في [يخشون الناس كخشية الله] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4- الطباق بين لفظ [الأمن] و[الخوف] .
5- جناس الاشتقاق في [أصابتكم مصيبة] وفي [حييتم فحيوا] وفي [يشفع شفاعة] وفي [بيت .. ويبيتون] .
6- الاستفهام الذي يراد به الإنكار في [أفلا يتدبرون القرآن] ؟ للتوبيخ.
7- المقابلة في قوله : [الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله] [والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت] .
وكذلك في قوله : [من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها] وهذه من المسحنات البديعية ، وهي أن يؤتي بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب.
تنبيه :
ا تعارض بين قوله تعالى : [قل كل من عند الله] أي كل من الحسنة والسيئة وبين قوله : [وما أصابك من سيئة فمن نفسك] إذ الأولى على الحقيقة أي خلقا وإيجادا ، والثانية تسببا وكسبا بسبب الذنوب [وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم] أو نقول : نسبة الحسنة إلى الله ، والسيئة إلى العبد ، هو من باب الأدب مع الله في الكلام ، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة كقوله(ص) : (الخير كله بيديك والشر ليس إليك) والله أعلم.

قال الله تعالي : [فما لكم في المنافقين فئتين.. إلى .. ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما] من آية (88) إلى نهاية آية (96).

المناسبة :

ما ذكر تعالى مواقف المنافقين المخزية ، عقبه بذكر نوع آخر من أحوال المنافقين الشنيعة ، ثم ذكر حكم القتل الخطأ والقتل العمد ، وأمر بالتثبت قبل الإقدام على قتل إنسان ، لئلا يفضي إلى قتل أحد من المسلمين ، ثم ذكر تعالى مراتب المجاهدين ومنازلهم الرفيعة في الآخرة.

للغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اركسهم] ردهم إلى الكفر أو نكسهم ، واصل الركس : رد الشيء مقلوبا ، قال الشاعر : فأركسوا في حميم النار إنهم كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا

[حصرت] ضاقت من الحصر وهو الضيق

[السلم] الاستسلام والانقياد

[ثقفتموهم] صادفتموهم ووجدتموهم

[فتبينوا] فتثبتوا

[اركسوا فيها] قلبوا فيها.

سبب النزول :

أ- عن زيد بن ثابت أن النبي (ص)خرج إلى أحد فرجع ناس ممن كان معه ، فكان أصحاب النبي (ص) فيهم فرقتين ، فقال بعضهم : نقتلهم ، وقال بعضهم : لا ، فانزل الله [فما لكم في المنافقين فئتين..] الآية فقال(ص) : " إنها طيبة تنفي الخبث ، كما تنفي النار خبث الحديد " .

ب- يروى ان " الحارث بن زيد " كان شديدا على النبى (ص) فجاء مهاجرا وهو يريد ا?سلام ، فلقيه "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عياش بن ابى ربيعه " والحارث يريد الاسلام وعياش ? يشعر فقتله فانزل الله [وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ] ا?ية.

ج- عن ابن عباس قال : لحق المسلمون رجلا في غنيمة له فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته ، فنزلت هذه الآية [ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا..] الآية.

التفسير :

فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا] أي ما لكم أيها المؤمنون أصبحتم فرقتين في شأن المنافقين ، بعضكم يقول : نقتلهم وبعضكم يقول : لا نقتلهم ، والحال أنهم منافقون ، والله نكسهم وردهم إلى الكفر بسبب النفاق والعصيان

[أتريدون أن تهدوا من أضل الله] أي أتريدون هداية من أضله الله ، والاستفهام للإنكار والتوبيخ في الموضعين ، والمعني : لا تختلفوا في أمرهم ولا تظنوا فيهم الخير ، لأن الله حكم بضلالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا] أي من يضلله الله ، فلن تجد له طريقا إلى الهدي والإيمان

[ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء] أى تمني هؤلاء المنافقون أن تفكروا مثلهم لتستووا أنتم وهم وتصبحوا جميعا كفارا

[فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله] أي لا توالوا ولا تصادقوا منهم أحدا حتى يؤمنوا ، ويحققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد في سبيل الله

[فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم] أي إن أعرضوا عن الهجرة في سبيل الله فخذوهم أيها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم ، في حل أو حرم

[ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا] أي لا تستنصروهم ولا تستنصحوهم ، ولا تستعينوا بهم في الأمور ، ولو بذلوا لكم الولاية والنصرة

[إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق] أي إلا الذين ينتهون ويلجأون إلى قوم عاهدوكم فدخلوا فيهم بالحلف ، فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم] وهذا استثناء ايضا من القتل أى وإلا الذين جاءوكم وقد ضاقت صدورهم عن قتالكم ، وقتال قومهم ، فهم قوم ليسوا معكم ولا عليكم

[ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم] أى من لطفه تعالى بكم ان كفهم عنكم ، ولو شاء لقواهم وجرأكم عليكم فلقاتلوكم

[فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا] أى فان لم يتعرضوا لكم بقتال ، وانقادوا واستسلموا لكم ، فليس لكم ان تقاتلوهم طالما سالموكم

[ستجدون أخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم] أى ستجدون قوما أخرين من المنافقين ، يريدون ان يأمنوكم بإظهار الايمان ، ويأمنوا قومهم باظهار الكفر ، إذا رجعوا اليهم ، قال ابو السعود : هم قوم من أسد وغطفان " كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المسلمين ، فإذا رجعوا الى قومهم ، كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم

[كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها] اي كلما دعوا الى الكفر او قتال المسلمين ، عادوا اليه وقلبوا فيه على أسوأ شكل ، فهم شر من كل عدو شرير

[فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم] أى فإن لم يجتنبوكم ويستسلموا اليكم ، ويكفوا أيديهم عن قتالكم

[فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم] أى فأسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واصبتموهم

[وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا] أى جعلنا لكم على اخذهم وقتلهم حجة واضحة ، وبرهانا بينا ، بسبب غدرهم وخيانتهم

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا إلا خطا] أى لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به ان يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ ، لأن الايمان زاجز عن العدوان

ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى اهله إلا ان يصدقوا] أى ومن قتل مؤمنا على وجه الخطأ فعليه اعتاق رقبة مؤمنة ، لأن اطلاقها من أسر الرق كإحيائها ، وعليه دية مؤداة إلى ورثة المقتول ، إلا إذا عفا الورثة عن القاتل فأسقطوا الدية . . لقد أوجب الشارع في القتل الخطأ شيئين : الكفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة في مال القاتل ، والدية وهي مائة من الابل على أهل القاتل

[فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة] أى ان كان المقتول خطأ مؤمنا ، وقومه كفار أعداء - وهم المحاربون - فإنما على قاتله الكفارة فقط دون الدية ، لئلا يستعينوا بها على المسلمين

وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة] أى وان كان المقتول المؤمن خطأ من قوم كفرة ، بينكم وبينهم عهد كأهل الذمة ، فعلى قاتله دية تدفع الى أهله لاجل معاهدتهم ، ويجب ايضا على القاتل اعتاق رقبة مؤمنة

[فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى فمن لم يجد الرقبة ، فعليه صيام شهرين متتابعين عوضا عنها ، شرع تعالى لكم ذلك لاجل التوبة عليكم [وكان الله عليما حكيما] أى عليما بخلقه حكيما فيما شرع . . ثم بين تعالى حكم القتل العمد ، وجريمته النكراء وعقوبته الشديدة ، فقال :

[ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها] أى ومن يقدم على قتل مؤمن ، عالما بإيمانه متعمدا لقتله ، مستحلا للقتل فجزاوه جهنم مخلدا فيها على الدوام ! ! وهذا محمول على من استحل قتل المؤمن كما قال ابن عباس ، لانه باستحلال القتل يصبح كافرا

[وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما] أى وينالله السخط الشديد من الله ، والطرد من رحمة الله ، والعذاب الشديد في الاخرة

[يأيها الذين أمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا] أى اذا سافرتم في الجهاد لغزو الاعداء فتثبتوا ، ولا تعجلوا في القتل ، حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر

[ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا تقولوا لمن حياكم بتحية الاسلام : لست مؤمنا ، فتقتلوه

[تبتغون عرض الحياة الدنيا] أى حال كونكم طالبين لماله ، الذي هو حطام سريع الزوال

[فعند الله مغانم كثيرة] أى فعند الله ما هو خير من ذلك ، وهو ما أعده لكم من جزيل الثواب والنعيم

[كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا] أى كذلك كنتم كفارا فهدكم الله للاسلام ، ومن عليكم بالايمان ، فتبينوا ان تقتلوا مؤمنا وقيسوا حاله بحالكم

[ان الله كان بما تعملون خبيرا] أى مطلعا على اعمالكم فيجازيكم عليها . . ثم اخبر تعالى بفضيلة المجاهدين فقال :

[لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم] أى لا يتساوى من قعد عن الجهاد من المؤمنين ، مع من جاهد ثماله ونفسه في سبيل الله ، غير اهل الاعذار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(كالأعمى ، والاعرج ، والمريض) قال ابن عباس : هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها ، ولما نزلت الآية قام ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله : هل لي من رخصة ؟ فوالله لو استطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله [غير أولي الضرر]

[فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة] أى فضل الله المجاهدين على القاعدين من أهل الاعذار درجة لاستوائهم في النية ، كما قالى (ص) : (ان بالمدينة اقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه ، قالوا : وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال : نعم حبسهم العذر)

[وكلا وعد الله الحسنى] أى وكلا من المجاهدين والقاعدين بسبب ضرر لحقهم ، وعدهم الله الجزاء الحسن في الاخرة

[وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما] أى وفضل الله المجاهدين في سبيل الله ، على القاعدين بغير عذر ، بالثواب الوافر العظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما] أى منازل بعضها أعلى من بعض مع المغفرة والرحمة ، وفي الحديث : (ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض) .

البلاغة :

تضمنت هذه الايات من البلاغة والبيان والبديع انواعا نوجزها فيما يلي :

ا - الاستفهام ثمعنى الانكار في [فما لكم في المنافقين قئتين] ؟ وفي [أتريدون ان تهدوا] ؟ .

2 - الطباق في [ان تهدوا من اضل الله] وكذلك [القاعدون . . والمجاهدون] .

3 - والجناس المغاير في [تكفرون كما كفروا] وفي [مغفرة . . وغفورا] .

4 - الاطناب في [فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم . . وفضل الله المجاهدين على القاعدين] وكذلك في [ان يقتل مؤمنا إلا خطا] [ومن قتل مؤمنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خطأ] .
5 - الاستعارة في [اذا ضربتم في سبيل الله] استعار الضرب للسعي في قتال الأعداء ، وهو من لطيف الاستعارة ، وبديع علم البيان .
6 - المجاز المرسل في [فتحرير رقبة] اطلق الجزء وأراد الكل ، أى عتق عبد مملوك ، أو آمة مملوكة .
الفوائد :
القتل العمد من أعظم الجرائم في نظر الاسلام ، ولهذا كانت عاقبته في غاية التغليظ والتشديد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (من أعان على قتل مسلم مؤمن بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه أيس من رحمة الله) وفي الحديث أيضا : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مؤمن) . ولهذا أفتى ابن عباس بعدم قبول توبة القاتل ، أعاذنا الله من ذلك .
تنبيه :
أمر الله تعالى في القتل الخطأ باعتاق رقبة مؤمنة ، والحكمة في هذا - والله أعلم - انه لما أخرج نفسا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤمنة من جملة الاحياء ، لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار ، اذ ان اطلاقها من قيد الرق احياء لها .

قال الله تعالى : [ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . . الى . . . وكان فضل الله عليك عظيما] .

من اية (97) الى نهاية اية (113)

المناسبة :

لما ذكر تعالى ثواب المجاهدين الابرار ، اتبعه بذكر عقاب القاعدين عن الجهاد ، الذين سكنوا في بلاد الكفر ، ثم رغب تعالى في الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان ، ثم أتبع ذلك بذكر أروع مثل في الانتصار للعدالة سجله التاريخ ، الا وهو انصاف (رجل يهودي) اتهم ظلما بالسرقة ، وأداناه الذين تآمروا عليه وهم أهل بيت من الانصار في المدينة المنورة .

اللغة :

[مراغما] مذهبا ومتحولا ، مشتق من الرغام وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التراب ، ومعناه يراغم قومه في هجرته الى النبي (ص)

[سعة] اتساعا في الرزق

[تقصروا] القصر : النقص يقال قصر صلاته اذا صلى الرباعية ركعتين

[تغفلون] الغفلة : السهو الذي يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ

[موقوتا] محدود الاوقات لا يجوز اخراجه عن وقته

[تهنوا] تضعفوا

[خصيما] الخصيم ثمعنى المخاصم أى المنازع والمدافع

[خوانا] مبالغا في الخيانة .

سبب النزول :

ا - عن ابن عباس قال ؟ كان قوم من المسلمين اقاموا ثمكة - وكانوا يستخفون بالاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحابنا مسلمين وأكرهوا على الخروج فنزلت [أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . .] الآية .

ب -كان ضمرة بن القيس من المستضعفين بمكة وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة ، قال لأولاده : احملوني فاني لست من المستضفين ، واني لأهتدي الطريق ، والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير ، ثم خرجوا به فمات في الطريق بالتنعيم ، فأنزل الله [ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله

ج -روي ان رجلا من الانصار يقال له " طعمة بن ابيرق " من بني ظفر سرق درعا من جاره " قتادة بن النعمان " في جراب دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه ، فخبأها عند " زبد بن السمين " اليهودي ، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد ، وحلف ما أخذها وما له بها علم ، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق ، حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال : دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انطلقوا بنا الى رسول الله (ص) فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي ، فهم رسول الله (ص) ان يفعل فنزلت الآية [انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ثما اراك الله . .] الآية وهرب طعمة الى مكة وارتد ، ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله ، فسقط الحائط عليه فقتله .

التفسير :

[ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم] أى تتوفاهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم ، بالاقامة مع الكفار في دار الشرك ، وترك الهجرة الى دار الايمان

[قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض] أى تقول لهم الملائكة : في أى شيء كنتم من أمر دينكم ؟ وهو سؤال توبيخ وتقريع قالوا معتذرين : كنا مستضعفين في ارض مكة ، عاجزين عن اقامة الدين فيها

[قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها] ؟ أى قالت لهم الملائكة توبيخا : أليست أرض الله واسعة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتهاجروا من دار الكفر ، الى دار تقدرون فيها على اقامة دين الله ؟ كما فعله من هاجر الى المدينة إلى الحبشة ؟ قال تعالى بيانا لجزائهم

[فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا] أى مقرهم النار وساءت مقرا ومصيرا لهم . . ثم استثنى تعالى منهم الضعفة والعاجزين عن الهجرة فقال :

[إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا] أى لكن من كان منهم مستضعفا كالرجال ، والنساء ، والاطفال ، الذين استضعفهم المشركون ، وعجزوا لاعسارهم وضعفهم عن الهجرة ، ولا يستطيعون الخلاص ، ولا يهتدون الطريق الموصل لدار الهجرة

[فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم] أى لعل الله ان يعفو عنهم لانهم لم يتركوا الهجرة اختيارا

[وكان الله عفوا غفورا] أى يعفو لأهل الاعذار ، و " عسى " في كلام الله تفيد التحقيق

[ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثيرا وسعة] هذا ترغيب في الهجرة أى من يفارق وطنه ، ويهرب فرارا بدينه من كيد الأعداء ، يجد مهاجرا ومتجولا في الارض كبيرا ، يراغم به أنف عدوه ، ويجد سعة في الرزق ، فأرض الله واسعة ، ورزقه سابغ على العباد ، وقوله سبحانه [يا عبادى الذين أمنوا أن أرضي واسعة فإياى فأعبدون]

[ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله] أى ومن خرج من بلده مهاجرا من ارض الشرك ، فارا بدينه الى الله ورسوله ، ثم مات قبل بلوغه دار الهجرة ، فقد ثبت اجر هجرته على الله تعالى

[وكان الله غفورا رحيما] أى ساترا على العباد رحيما بهم

[وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة] أى وإذا سافرتم للغزو أو التجارة او غيرهما ، فلا إثم عليكم ان تقصروا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين

[ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا] أى ان خشيتم ان ينالكم مكروه من اعدائكم الكفرة ، وذكر " الخوف " ليس للشرط ، وانما هو لبيان الواقع حيث كانت أسفارهم لا تخلو من خوف العدو لكثرة المشركين ، ويؤيده حديث " يعلى بن امية " قال " قلت لعمر بن الخطاب : ان الله يقول : [ان خفتم] وقد أمن الناس فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله (ص) عن ذلك فقال : " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته "

[ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا] أى ان الكافرين أعداء لكم مظهرون للعداوة ، ولا يمنعهم فرصة اشتغالكم ثمناجاة الله ان يقتلوكم

[وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم] أى وإذا كنت معهم يا محمد وهم يصلون صلاة الخوف في الحرب ، فلتأتم بك طائفة منهم ، وهم مدججون بأسلحتهم احتياطا ، ولتقم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطائفة الاخرى في وجه العدو
[فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك] أى فإذا فرغت الطائفة الاولى من الصلاة ، فلتأت الطائفة التي لم تصل إلى مكانها لتصلي خلفك
[وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم] أى وليكونوا حذرين من عدوهم ، متأهبين لقتالهم بحملهم السلاح
[ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة] أى تمنى أعدائكم إن تنشغلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيأخذونكم على حين غرة ، ويشدون عليكم شدة واحدة ، فيقتلونكم وانتم تصلون ، والمعنى : لا تتشاغلوا بأجمعكم بالصلاة ، فيتمكن عدوكم منكم ، ولكن أقيموها على ما أمرتم به
[ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم] أى لا إثم عليكم في حالة المطر أو المرض ، أن لا تحملوا أسلحتكم اذا ضعفتم عنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وخذوا حذركم] أى كونوا متيقظين ، واحترزوا من عدوكم ما استطعتم

[ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا] أى أعد لهم عذابا مخزيا مع الاهانة . . روي عن أبى عياشى الزرقي قال : (كنا مع رسول الله (ص) بعسفان ، فأستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد - وهم بيننا وبين القبلة - فصلى بنا رسول الله (ص) الظهر ، فقالوا : لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ! ! ثم قالوا : يأتي عليهم الآن صلاة ، هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم ، قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية . . ثم أمر تعالى بكثرة ذكره عقب صلاة الخوف فقال :

[فاذا قضيتم الصلاة فأذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم] أى فإذا فرغتم من الصلاة ، فأكثروا من ذكر الله في حال قيامكم وقعودكم ، واضطجاعكم ، وإذكروه فى جميع الحا لات ، لعله ينصركم على عدوكم

[فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة] أى فإذا أمنتم وذهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخوف عنكم ، فأتموا الصلاة وأقيموها كما أمرتم ، بخشوعها وركوعها وسجودها ، وجميع شروطها

[إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا] أى فرضا محدودا بأوقات معلومة ، لا يجوز تأخيرها عنه . . ثم حث تعالى على الجهاد والصبر عند الشدائد فقال :

[ولا تهنوا في ابتغاء القوم] أى لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم وقاتلوهم ، واقعدوا لهم كل مرصد

[ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون] أى ان كنتم تتألمون من الجراح والقتال ، فأنهم يتألمون أيضا منه كما تتألمون ، ولكنكم ترجون من الله الشهادة والمثوبة والنصر ، حيث لا يرجونه هم

[وكان الله عليما حكيما] أى عليما ثمصالح خلقه ، حكيما في تشريعه وتدبيره ، قال القرطبي : نزلت هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية في حرب أحد ، حيث أمر (ص) بالخروج في
آثار المشركين ،
وكان بالمسلمين جراحات ، وكان (ص) قد أمر ألا
يخرج معه إلا من حضر في تلك الوقعة ، وقيل : هذا
في كل جهاد! .
[انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما
أراك الله] أى انا انزلنا اليك يا محمد القرآن بالحق
الواضح المنير ، لتحكم بين الناس ثما عرفك الله
وأوحى به اليك
[ولا تكن للخائنين خصيما] أى لا تكن مدافعا
ومخاصما عن الخائنين ، تجادل وتدافع عنهم ، والمراد
به " طعمة بن ابيرق " وجماعته
[واستغفر الله] أى استغفر الله مما هممت به من
الدفاع عن " طعمة " إطمئنانا لشهادة قومه بصلاحه
[ان الله كان غفورا رحيما] أى مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يستغفره
[ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم] اي لا تخاصم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتدافع عن الذين يخونون أنفسهم بالمعاصي

[ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما] أى لا يحب من كان مفرطا في الخيانة ، منهمكا في المعاصي والآثام

[يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله] أى يستترون من الناس خوفا وحياء ، ولا يستحيون من الله وهو أحق بأن يستحيا منه ويخاف من عقابه

[وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول] أى وهو معهم جل وعلا ، عالم بهم وبأحوالهم ، يسمع ما يدبرونه في الخفاء ، ويضمرونه فى السر ، من رمي البريء ، وشهادة الزور ، والحلف الكاذب

[وكان الله بما يعملون محيطا] أى لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت . . ثم قال تعالى توبيخا لقوم طعمة

[ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا] أى هأنتم يا معشر القوم ، دافعتم عن السارق والخائن في الدنيا

[فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة] ؟ أى فمن يدافع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنهم في الاخرة ، إذا أخذهم الله بعذابه ؟
[أم من يكون عليهم وكيلا] ؟ أي من يتولى الدفاع عنهم ونصرتهم من بأس الله وانتقامه ؟ والاستفهام في الموضعين للنفي ، أى لا أحد يجادل عنهم ، ولا أحد يكون عليهم وكيلا . . ثم دعاهم الله تعالى الى الانابة والتوبة فقال :
[ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه] أى من يعمل أمرا قبيحا ، يسوء به غيره ، كإتهام بريء ، أو يرتكب جريمة يظلم بها نفسه كالسرقة
[ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما] أى ثم يتوب من ذنبه ، يجد الله عظيم المغفرة واسع الرحمة ، قال ابن عباس : عرض الله التوبة بهذه الآية على بني ابيرق
[ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما] أى من يقترف إثما متعمدا ، فإنما يعود وبال ذلك على نفسه ، وكان الله عليما بذنبه ، حكيما في عقابه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يكسب خطيئة أو إثما] أى من يفعل ذنبا صغيرا أو إثما كبيرا

[ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا] أى ثم ينسب ذلك الى بريء ويتهمه به ، فقد تحمل جرما وذنبا واضحا . . ثم بين تعالى فضله على رسوله فقال :

[ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك] أى لولا فضل الله عليك بالنبوة ورحمته بالعصمة ، لهمت جماعة منهم أن يضلوك عن الحق ، وذلك حين

سألوا الرسول (ص) ان يبرىء صاحبهم " طعمة " من التهمة ، ويلحقها باليهودي فتفضل الله عز وجل على رسوله ، بأن أطلعه على الحقيقة

[وما يضلون إلا أنفسهم] اى وبال اضلالهم راجع عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما يضرونك من شيئ] أى وما يضرونك يا محمد ، لأن الله عاصمك من ذلك وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة] أى انزل الله عليك القرآن والسنة ، فكيف يضلونك وهو تعالى ينزل عليك الكتاب ، ويوحي إليك بالأحكام

[وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما] أى علمك ما لم تكن تعلمه من الشرائع والامور الغيبية ، وكان فضله تعالى عليك كبيرا ، بالوحي والرسالة ، وسائر النعم الجسيمة .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة من البلاغة والبيان والبديع أنواعا نوجزها فيما يلي :

ا - الاستفهام الذي يراد به التوبيخ والتقريع في [قالوا فيم كنتم] ؟ وفي [ألم تكن ارض الله واسعة] ؟ .

2 -اطلاق العا م وإرادة الخاص [فإذا قضيتم الصلاة] أريد بها صلاة الخوف ، التى شرعت في أيام الحرب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - الجناس المغاير في [يعفو . . عفوا] وفي [يهاجر . . مهاجرا] وفي [يختانون . . خوانا] وفى [يستغفر . . غفورا] .

4 - اطلاق الجمع على الواحد في [توفاهم الملائكة] يراد به ملك الموت ، وذكر بصيغة الجمع تفخيما له وتعظيما لشأنه .

5 - طباق السلب [يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، الأول مثبت ، والثاني منفي .

6 - الاطناب بتكرار لفظ الصلاة تنبيها على فضلها [فأقيموا الصلاة أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا] .

قال الله تعالى : [لا خير في كثير من نجواهم . . الى . . فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا] من آية (114) الى نهاية آية (134)

المناسبة :

ذكر تعالى قصة " طعمة " وحادثة السرقة التي أتهم بها اليهودي البريء ، ودفاع قومه عنه ، وتآمرهم لايقاع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البريء بها ، ثم ذكر تعالى هنا ان موضوع (النجوى) لا يخفى على الله ، وان كل تدبير في السر يعلمه الله ، وانه لا خير في التناجي ، إلا ما كان بقصد الخير والاصلاح .

اللغة :

[نجواهم] النجوى : السر بين الاثنين ، قال الواحدي : ولا تكون النجوى !لا بين اثنين

[يشاقق] يخالف ، والشقاق : الخلاف مع العداوة لأن كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الاخر

[مريدا] المريد : العاتى المتمرد ، من مرد اذا عتا وتجبر ، قال الازهري : مرد الرجل إذا عتا وخرج عن الطاعة فهو مارد ومريد

[فليبتكن] البتك : القطع ، ومنه سيف باتك أى قاطع

[محيصا] مهربا من حاص اذا هرب ونفر ، وفي المثل " وقعوا في حيص بيص " أى فيما لا يقدرون على التخلص منه

[خليلا] من الخلة وهي صفاء المودة ، قال ثعلب :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمي الخليل خليلا ، لأن محبته تتخلل القلب فلا تدعو فيه خللا الا ملأته ، قال بشار :

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا

[الشح] شدة البخل

[المعلقة] هي التي ليست ذات بعل ولا مطلقة .

سبب النزول :

ا - لما سرق " طعمة بن ابيرق " وحكم النبي ، عليه بالقطع ، هرب الى مكة وارتد عن الاسلام ، فأنزل الله [ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى] (2) الآية .

ب - قال قتادة : تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن أحق بالله منكم ، وقال المؤمنون : نبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على سائر الكتب ، فنزلت الآية [ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب] الآية .

التفسير :

[لا خير في كثير من نجواهم] أى لا خير في كثير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مما يسره القوم ، ويتناجون به في الخفاء
[إلا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس] أى الا نجوى من أمر بصدقة ليعطيها سرا ، أو أمر بطاعة الله . قال الطبري : المعروف هو كل ما أمر الله به او ندب اليه من أعمال البر والخير ، والاصلاح هو الاصلاح بين المختصمين
[ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله] أى ومن يفعل ما أمر به من البر والمعروف ، والاصلاح طلبا لرضى الله تعالى ، لا لشيء من أغراض الدنيا

[فسوف نؤتيه أجرا عظيما] أى فسوف نعطيه ثوابا جزيلا هو الجنة ، قال الصاوي : والتعبير بسوف اشارة الى ان جزاء الاعمال الصالحة ، في الاخرة لا في الدنيا ، لأنها ليست دار جزاء
[ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى] أى يخالف أمر الرسول فيما جاء به عن الله ، من بعد ما ظهر له الحق بالمعجزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويتبع غير سبيل المؤمنين] أى يسلك طريقا غير طريق المؤمنين ، ويتبع منهاجا غير منهاجهم

[نوله ما تولى ونصله جهنم] أى نتركه مع اختياره الفاسد ، وندخله جهنم ، عقوبة له

[وساءت مصيرا] أى وساءت جهنم مرجعا لهم

[ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] أى لا يغفر ذنب الشرك ، ويغفر ما دونه من الذنوب لمن يريد

[ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا] أى فقد بعد عن طريق الحق والسعادة بعدا كبيرا

[ان يدعون من دونه إلا إناثا] أى ما يعبد هؤلاء المشركون من دون الله ، إلا أوثانا سموها بأسماء الأناث (اللات والعزى ، ومناة) قال في التسهيل : كانت العرب تسمي الاصنام بأسماء مؤنثة ((وهذا اختيار الطبري وهو الأصح ، وقيل : إن المراد بالاناث الملائكة كقوله تعالى : {ليسمون الملائكة تسمية الأنثى} فقد زعم المشركون أن الملائكة بنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله)).

[وان يدعون الا شيطانا مريدا] أى وما يعبدون إلا شيطانا متمردا ، بلغ الغاية في العتو والفجور ، وهو " ابليس " الذي فسق عن أمر ربه

[لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا] أى أبعده الله عن رحمته ، فاقسم الشيطان قائلا : لأتخذن من عبادك ، الذين ابعدتني من اجلهم (نصيبا) ، أى حظا مقدرا معلوما ادعوهم الى طاعتي ، من الكفرة والعصاة ، وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة " ابعث بعث النار فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون "

[ولأضلنهم ولأمنينهم] أى لأصرفنهم عن طريق الهدى ، واعدهم الاماني الكاذبة ، وألقي فى قلوبهم طول الحياة ، وان لا بعث ولا حساب

[ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام] أى ولآمرنهم بتقطيع أذان الانعام ، قال قتادة : يعني تشقيقها وجعلها علامة للبحيرة والسائبة ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولآمرنهم فليغيرن خلق الله] أى ولآمرنهم بتغيير خلق الله كخصاء العبيد ، والحيوان ، والوشم وغيره ، وقيل : المراد به تغيير (دين الله) بالكفر والمعاصي واحلال ما حرم الله ، وتحريم ما أحل

[ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله] أى ومن يتول الشيطان ويطعه ويترك أمر الله

[فقد خسر خسرانا مبينا] أى خسر دنياه وأخرته ، لمصيره الى النار المؤبدة ، وأى خسران أعظم من هذا ؟ ثم قال تعالى عن ابليس

[يعدهم ويمنيهم] أى يعدهم بالفوز والسعادة ، ويمنيهم بالاكاذيب والاباطيل ، قال ابن كثير : هذا اخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم ، بإنهم هم الفائزون في الدنيا والاخرة ، وقد كذب وافترى في ذلك

[وما يعدهم الشيطان إلا غرورا] أى وما يعدهم الا باطلا وضلالا ، قال ابن عرفة : الغرور ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ، فهو مزين الظاهر ، فاسد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الباطن

[اولئك مأواهم جهنم] أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة نار جهنم

[ولا يجدون عنها محيصا] أى ليس لهم منها مفر ولا مهرب . . ثم ذكر تعالى حال السعداء الأبرار ، وما لهم من الكرامة فى دار القرار فقال سبحانه :

[والذين أمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا] أى مخلدين في دار النعيم ، بلا زوال ولا انتقال

[وعد الله حقا] أى وعدا لا شك فيه ولا ارتياب

[ومن أصدق من الله قيلا] أى ومن أصدق من الله قولا ؟ والاستفهام معناه النفي ، أى لا أحد أصدق قولا من الله ، قال ابو السعود : والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه ، بوعد الله الصادق لأوليائه

[ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب] أى ليس ما وعد الله تعالى من الثواب ، يحصل بأمانيكم ايها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمون ، ولا بأماني أهل الكتاب ، إنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح . قال الحسن البصري : (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل ، ان قوما الهتهم الأمانى ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل)

[من يعمل سوءا يجزى به] أى من يعمل السوء والشر ، ينال عقابه عاجلا أم آجلا

[ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا] أى لا يجد من يحفظه او ينصره من عذاب الله

[ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن] أى ومن يعمل الاعمال الصالحة ، سواء كان ذكرا أو أنثى بشرط الايمان

[فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا] أى يدخلهم الله الجنة ، ولا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم ، كيف لا والمجازي هو أرحم الراحمين ! ! وانما قال : [وهو مؤمن] ليبين ان الطاعة لاتنفع من دون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الايمان . . ثم قال تعالى :

[ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله] ؟ أى لا أحد احسن دينا ممن انقاد لأمر الله وشرعه ، وأخلص عمله لله

[وهو محسن] أى مطيع لله مجتنب لنواهيه

[وإتبع ملة ابراهيم حنيفا] أى واتبع الدين الذي كان عليه (ابراهيم) خليل الرحمن ، مستقيما على منهاجه وسبيله ، وهو دين الاسلام

[واتخذ الله إبراهيم خليلا] أى صفيا اصطفاه لمحبته وخلته . قال ابن كثير : فانه انتهى إلى درجة الخلة ، التى هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه

[ولله ما في السموات وما في الارض] أى جميع ما في الكائنات ، ملكه وعبيده وخلقه ، وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قض ، ولا معقب لما حكم

[وكان الله بكل شيء محيطا] أى علمه نافذ في جميع الامور ، لا تخفى عليه خافية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويستفتونك في النساء] أى يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء

[قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب] أى قل لهم يا محمد : الله يبين لكم ما سألتم في شأنهن ، ويبين لكم ما يتلى في القرآن من أمر ميراثهن

[في يتامى النساء اللاتي لا تأتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن] أى ويفتيكم أيضا في اليتيمات اللواتى ترغبون في نكاحهن لجمالهن أو لمالهن ، ولا تدفعون لهن مهورهن كاملة ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك . قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه ، فاذا فعل ذلك ، لم يقدر أحد أن يتزوجها أبدا ، فإن كانت جميلة وأحبها تزوجها وأكل مالها ، وان كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت ، فإذا ماتت ورثها ، فحرم الله ذلك ، ونهى عنه

[والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط] أى وبفتيكم فى المستضعفين الصغار ان تعطوهم حقوقهم ، وان تعدلوا مع اليتامى في الميراث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمهر ، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغار ، ولا النساء ، ويقولون : كيف نعطي المال ، من لا يركب فرسا ولا يحمل سلاحا ، ولا يقاتل عدوا! ؟ فنهاهم الله عن ذلك ، وأمرهم ان يعطوهم نصيبهم من الميراث

[وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما] أى وما تفعلوه من عدل وبر فى أمر النساء واليتامى ، فإن الله يجازيكم عليه ، قال ابن كثير : وهذا تهييج على فعل الخيرات وامتثال الاوامر ، وان الله سيجزي عليه أوقر الجزاء. . ثم ذكر تعالى حكم نشوز الرجل فقال :

[وإن إمراة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا] أى وإذا علمت إمراة او شعرت من زوجها ، الترفع عليها او الإعراض عنها بوجهه ، بسبب الكره لها ، لدمامتها ، أو لكبر سنها ، وطموح عينه إلى من هى أشب وأجمل منها

[فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا] أى فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرج ولا إثم على كل واحد من الزوجين من المصالحة ، والتوفيق بينهما بإسقاط المرأة بعض حقوقها من نفقة ، او كسوة ، أو مبيت ، لتستعطفه بذلك وتستديم مودته وصحبته . روى ابن جرير عن عائشة انها قالت : هذا الرجل يكون له إمراتان ، إحداهما قد عجزت أو هى دميمة وهو لا يحبها ، فتقول : لا تطلقنى وانت في حل من شأنى

[والصلح خير] أى والصلح خير من الفراق

[وأحضرت الأنفس الشح] أى جبلت الأنفس على الشح ، وهو شدة البخل ، فالمرأة لا تكاد تسمح بحقها من النفقة والاستمتاع ، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها ، وان يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها

[وإن تحسنوا وتتقوا] أى وإن تحسنوا في معاملة النساء ، وتتقوا الله بترك الجور عليهن

[فإن الله كان بما تعملون خبيرا] أى فإن الله عالم ثما تعملون ، وسيجزيكم عليه أوفر الجزاء . . ثم ذكر تعالى أن العدل المطلق بين النساء ، بالغ من الصعوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبلغا لا يكاد يطاق ، وهو كالخارج عن حد الاستطاعة فقال :

[ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء] أى لن تستطيعوا أيها الرجال ان تحققوا العدل التام ، الكامل بين النساء ، وتسؤوا بينهن في المحبة ، والأنس ، والاستمتاع

[ولو حرصتم] أى ولو بذلتم كل جهدكم ، لأن التسوية فى المحبة وميل القلب ، ليست ثمقدور الانسان

[فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة] أى لا تميلوا عن المرغوب عنها ميلا كاملا ، فتجعلوها كالمعلقة التي ليست بذات زوج ولا مطلقة ، شبهت بالشيء المعلق بين السماء والارض ، فلا هي مستقرة على الارض ، ولا هي في السماء ، وهذا من ابلغ التشبيه

[وان تصلحوا وتتقوا] أى وان تصلحوا ما مضى من الجور ، وتتقوا الله بالتمسك بالعدل

[فان الله كان غفورا رحيما] أى يغفر ما فرط منكم ويرحمكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته] أى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه ، فان الله يغنيه بفضله ولطفه ، بأن يرزقه زوجا خيرا من زوجه ، وعيشا اهنأ من عيشه

[وكان الله واسعا حكيما] أى واسع الفضل على العباد ، حكيما في تدبيره لهم

[ولله ما في السموات وما في الارض] أى ملكا وخلقا وعبيدا

[ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم] أى وصينا الأولين والآخرين ، وآمرناكم ثما آمرناهم به ، من امتثال الامر والطاعة

[ان اتقوا الله] أى وصيناكم جميعا بتقوى الله وطاعته

[وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض] أى وان تكفروا فلا يضره تعالى كفركم ، لانه مستغني عن العباد ، وهو المالك لما في السموات والارض

[وكان الله غنيا حميدا] أى غنيا عن خلقه ، محمودا في ذاته ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معصية العاصين

[ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا] أى كفى بالله حافظا لأعمال عباده

[ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتى بآخرين] أى لو أراد الله لأهلككم وأفناكم ، وأتى بآخرين غيركم

[وكان الله على ذلك قديرا] أى قادرا على ذلك

[من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا] أى من كان يريد بعمله اجر الدنيا ، فعند الله ما هو أعلى وأسمى ، وهو أجر الدنيا والاخرة ، فلم يطلب الاخس ولا يطلب الأعلى ؟ فليسأل العبد ربه خيري الدنيا والآخرة ، فهو تعالى سميع لأقوال العباد ، بصير بأعمالهم .

البلاغة :

تضمت الآيات أنواعا من الفصاحة والبيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- الاستعارة في [أسلم وجهه لله] استعار الوجه للقصد والجهة ، وكذلك في قوله : [وأحضرت الانفس الشح] لأن الشح لما كان غير مفارق للأنفس ، كان كأنه أحضرها فاستعار الاحضار للملازمة .

2 - الجناس المغاير في [ضل . . ضلالا] وفي [خسر . . خسرانا] وفي [احسن . . محسن] وفي [صلحا . . والصلح] وفي [تميلوا كل الميل] .

3 - التشبيه في [فتذروها كالمعلقة] وهو تشبيه مرسل مجمل .

4 - الاطناب والايجاز في عدة مواضع .

تنبيه :

العدل المقصود في هذه الآية هو العدل في المحبة القلبية فقط وإلا لتناقضت مع الآية السابقة [مثنى وثلاث ورباع] وقد كان (ص) يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : " اللهم هذا قسمى فيم أملك فلا تؤاخذنى فيم تملك ولا أملك " يعني بذلك المحبة القلبية ويدل على هذا قوله تعالى : [فتذروها كالمعلقة] ، واما ما يدعو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليه بعض من يتسمون ب " المجددين " من وجوب التزوج بواحدة فقط ، بدليل هذه الآية ، فلا عبرة به ، وهو باطل محض ، ترده الشريعة الغراء ، والسنة النبوية المطهرة ، وكفانا الله شر علماء السوء .!

قال تعالى : [يأأيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط . . الى . . وكان الله شاكرا عليما] من الآية (135) الى نهاية الآية (147)

المناسبة :

لما أمر تعالى بالاحسان الى النساء والعدل في معاملتهن ، أمر هنا بالعدل العام في جميع الاحكام ، ودعا الى أداء الشهادة على الوجه الأكمل ، سواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا ، وحذر من إتباع الهوى .

اللغة :

[تلووا] الليى : الدفع ، يقال : لويت فلانا حقه إذا دفعته ومطلته ومنه الحديث : " لى الواجد ظلم " أى مطل الغني ظلم

[يخوضوا] الخوض : الاقتحام في الشيء ومنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خوض الماء

[نستحوذ] الاستحواذ : الاستيلاء والتغلب ، يقال : استحوذ على كذا اذا غلب عليه ، ومنه قوله تعالى : [استحوذ عليهم الشيطان]

[مذبذبين] الذبذبة : التحريك وا لاضطراب يقال ذبذبته فتذبذب ، والمذبذب : المتردد بين أمرين

[الدرك] بسكون الراء وفتحها ثمعنى الطبقة وهي لما تسافل . قال ابن عباس : الذرك لأهل النار ، كالدرج لأهل الجنة الا ان الدرجات بعضها فوق بعض ، والدركات بعضها أسفل من بعض) .

التفسير :

[يأيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط] أى يا من أمنتم بالله وصدقتم بكتابه ، كونوا مجتهدين في اقامة العدل والاستقامة ، وأتى بصيغة المبالغة في [قوامين] حتى لا يكون منهم جور أبدا .

[شهداء لله] أى تقيمون شهاداتكم لوجه الله ، دون تحيز ولا محاباة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين] أى ولو كانت تلك الشهادة على أنفسكم ، أو على أبائكم أو أقربائكم ، فلا تمنعنكم القرابة ولا المصلحة ، عن أداء الشهادة على الوجه الاكمل ، فان الحق حاكم على كل انسان

[ان يكن غنيا او فقيرا] اي ان يكن المشهود عليه (غنيا) فلا يراعى لغناه ، أو (فقير " فلا يمتنع من الشهادة عليه ، ترحما واشفاقا

[فالله اولى بهما] أى فالله أولى بالغني والفقير ، وأعلم ثما فيه صلاحهما ، فراعوا أمر الله فيما أمركم به ، فإنه اعلم ثمصالح العباد منكم

[فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا] أى فلا تتبعوا هوى النفس مخافة أن تعدلوا بين الناس . قال ابن كثير : أى لا يحملنكم الهوى والعصبية ، على ترك العدل فى شؤونكم ، بل الزموا العدل على كل حال.

[وان تلووا أو تعرضوا] أى وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق ، أو تعرضوا عن اقامتها رأسا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فان الله كان بما تعملون خبيرا] فيجازيكم عليه
[يا ايها الذين أمنوا آمنوا بالله ورسوله] اى اثبتوا على الايمان ودوموا عليه
[والكتاب الذي نزل على رسوله] أى أمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد (ص)

[والكتاب الذي انزل من قبل] أى وبالكتب السماوية التي أنزلها من قبل القرآن ، قال ابو السعود : المراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية.
[ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا] أى ومن يكفر بشيء من ذلك فقد خرج عن طريق الهدى ، وبعد عن القصد كل البعد
[ان الذين أمنوا ثم كفروا ثم أمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا] هذه الآية في المنافقين ((وقيل إنها في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بعد عودة موسى إليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد وهو قول قتادة واختاره الطبري ، والأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أظهر)) فإنهم أمنوا ثم إرتدوا ، ثم أمنوا ثم إرتدوا ثم ماتوا على الكفر ، قال ابن عباس : دخل في هذه الآية كل منافق ، كان في عهد النبي (ص) ، في البر والبحر. وقال ابن كثير : يخبر تعالى عمن دخل في الايمان ثم رجع فيه ، ثم عاد الى الايمان ثم رجع عنه ، واستمر على ضلاله ، وازداد حتى مات ، فإنه لا توبة له بعد موته ، ولا يغفر الله له ، ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ، ولا طريقا الى الهدى)

ولهذا قال تعالى :

[لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا] أى لم يكن الله ليسامحهم على ذلك ، ولا ليهديهم طريقا الى الجنة . قال الزمخشري : ليس المعنى أنهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة لم يقبل منهم ، ولم يغفر لهم ، ولكنه استبعاد له وإستغراب ، كأنه أمر لا يكاد يكون ، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ، ثم يتوب ثم يرجع ، لا يكاد يرجى منه الثبات ، والغالب انه يموت على شر حال . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم اخبر تعالى عن مال المنافقين فقال سبحانه :

[بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما] عبر تعالى بلفظ [بشر] تهكما بهم ، أى أخبر يا محمد المنافقين بعذاب النار الاليم

[الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين] أى أولئك هم الذين يوالون الكافرين ، ويتخذونهم أعوانا وانصارا ، لما يتوهمونه فيهم من القوة ويتركون ولاية المؤمنين

[أيبتغون عندهم العزة] أى أيطلبون ثموا لاة الكفار القوة والغلبة ؟ والاستفهام إنكاري أى ان الكفار لا عزة لهم ، فكيف تبتغى منهم ! ؟

[فإن العزة لله جميعا] أى العزة لله ولأوليائه . قال ابن كثير والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله

[وقد نزل عليكم في الكتاب] أى نزل عليكم في القرآن ، والخطاب لمن أظهر الايمان من مؤمن ومنافق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها] أى أنزل عليكم انه اذا سمعتم القرآن ، يكفر به الكافرون ، ويستهزأ به المستهزئون

[فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره] أى لا تجلسوا مع الكافرين الذين يستهزئون بآيات الله ، حتى يتحدثوا بحديث اخر ، ويتركوا الخوض في القرآن

[انكم اذا مثلهم] أى انكم ان قعدتم معهم ، كنتم مثلهم في الكفر

[ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا] أى يجمع الفريقين (الكافرين ، والمنافقين) في الاخرة في نار جهنم ، لأن المرء مع من أحب ، وهذا الوعيد منه تعالى للتحذير من مخالطتهم ومجالستهم . . ثم ذكر تعالى ترقبهم السوء بالمؤمنين فقال :

[الذين يتربصون بكم] أى ينتظرون بكم الدوائر

[فإن كان لكم فتح من الله] أى غلبة على الاعداء وغنيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا ألم نكن معكم] أى فأعطونا مما غنمتموه من الكافرين

[وإن كان للكافرين نصيب] أى ظفر عليكم يا معشر المؤمنين

[قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين] أى قالوا للمشركين : ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ، فأبقينا عليكم ، وثبطنا عزائم المؤمنين ، حتى انتصرتم عليهم ؟ فهاتوا نصيبنا مما اصبتم ، لأننا نواليكم ولا نترك أحدا يؤذيكم ! ! قال تعالى بيانا لمآل الفريقين

[فالله يحكم بينكم يوم القيامة] أى يحكم بين المؤمنين والكافرين ، ويفصل بينهم بالحق

[ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا] أى لن يمكن الكفرة من رقاب المؤمنين فيبيدوهم ويستأصلوهم ((ذكر القرطبي خمسة أقوال للمفسرين في هذه الاية هذا أحدها وهو الذي رجحناه وقيل : إن المراد بالسبيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجة ، وقيل هذا يوم القيامة وقد رجحه الطبري حيث قال : يعني حجة يوم القيامة واستدل له بما روي أن رجلا سأل عليا عن هذه الاية فقال : أدن مني ثم قرأ عليه {فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا} أي يوم القيامة ، وقد ضعف هذا الرأي ابن العربي)) قال ابن كثير : وذلك بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية ، وان حصل لهم ظفر في بعض الاحيان ، فان العاقبة للمتقين في الدنيا والاخرة.

[ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم] أى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان ، وابطال الكفر ، والله يجازيهم على خداعهم ويستدرجهم بتكليف المؤمنين بحقن دمائهم ، وقد أعد لهم الدرك الأسفل من النار في الاخرة ، فسمى تعالى جزاءهم (خداعا) بطريق المشاكلة ، لان وبال خداعهم راجع عليهم

[وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى] أى يصلون وهم متثاقلون متكاسلون ، لأنهم لا يرجون لها ثوابا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يخافون من تركها عذابا

[يراؤون الناس] اي يقصدون بصلاتهم (الرياء والسمعة) ، ولا يقصدون وجه الله

[ولا يذكرون الله إلا قليلا] أى لا يذكرون الله سبحانه وتعالى إلا ذكرا قليلا

[مذبذبين بين ذلك] اى مضطربين مترددين بين الكفر والايمان ، وصفهم تعالى بالحيرة في دينهم

[لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء] أى لا ينتسبون الى المؤمنين ، ولا إلى الكافرين

[ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا] أى ومن يضلله الله فلن تجد له طريقا الى السعادة والهدى ثم حذر تعالى المؤمنين من موالاة اعداء الدين فقال سبحانه :

[يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين] أى لا تتركوا موالاة المؤمنين ، وتوالوا الكفرة المجرمين ، بالمصاحبة والمصادقة

[أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا] أى أتريدون ان تجعلوا لله حجة بالغة عليكم انكم منافقون ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، ثم أخبر تعالى عن مال المنافقين فقال :

[إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار] أى في الطبقة التي هي في قعر جهنم ، والنار سبع طبقات ، قال ابن عباس : أى في اسفل النار ، وذلك لأنهم جمعوا مع الكفر ، الاستهزاء بالاسلام وأهله ، والنار دركات كما ان الجنة درجات

[ولن تجد لهم نصيرا] أى لن تجد لهؤلاء المنافقين ، ناصرا ينصرهم من عذاب الله

[إلا الذين تابوا] هذا استثناء أى تابوا عن النفاق

[وأصلحوا] أى اعمالهم ونياتهم

[واعتصموا بالله] أى تمسكوا بكتاب الله ودينه

[واخلصوا دينهم لله] أى لم يبتغوا بعملهم الا وجه الله

[فأولئك مع المؤمنين] أى فى زمرتهم يوم القيامة

[وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما] أى يعطيهم الآجر الكبير في الاخرة وهو الجنة ، على اثمانهم وصبرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وأمنتم] اي أى منفعة له سبحانه في عذابكم ؟ أيتشفى به من الغيظ ؟ أم يدرك به العار ؟ أم يدفع به الدر ويستجلب النفع ، وهو الغني عنكم ؟

[وكان الله شاكرا عليما] أى شاكرا لطاعة العباد مع غناه عنهم ، يعطي على العمل القليل الثواب الجزيل .

البلاغة :

تضمنت الآيات أنواعا من الفصاحة والبديع نوجزها فيما يلي :

1- المبالغة في الصيغة في [قوامين بالقسط] أى مبالغين في العدل .

2 - الطباق بين [غنيا وفقيرا] وبين أمنوا ثم كفروا] .

3 - الجناس الناقص : فى أمنوا وآمنوا] لتغير الشكل في الحركات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - جناس الاشتقاق في [يخادعون . . خادعهم] في [جامع . . جميعا] وفى [شكرتم . . شاكرا] .

5 - الاسلوب التهكمي في [بشر المنافقين] حيث استعمل لفظ البشارة مكان الانذار ، تهكما وسخرية ، وهو اسلوب عربي مشهور ، يستعمله العرب للسخرية من الخصم .

6 - الاستعارة في [وهو خادعهم] استعار اسم " الخداع " للمجازاة على العمل ، والله تعالى منزه عن الخداع ، وإنما هو لبيان عقوبة المخادع .

7 - الاستفهام الانكاري في [أيبتغون عندهم العزة] ؟ والغرض منه التقريع والتوبيخ .

الفوائد :

الاولى : قوله تعالى : [يا أيها الذين أمنوا آمنوا] ليس تكرارا وإنما معناه اثبتوا على الايمان ، ودوموا عليه كقول المؤمن [أهدنا الصراط المستقيم] أى ثبتنا على الصراط المستقيم .

الثانية : سمى تعالى ظفر المؤمنين فتحا عظيما ونسبه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليه [فتح من الله] وظفر الكافرين نصيبا [وان كان للكافرين نصيب] ولم ينسبه اليه ، وذلك لتعظيم حظ المسلمين ، وتخسيس حظ الكافرين .

الثالثة : قال المفسرون : النار سبع دركات : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، وقد تسمى بعض الطبقات بإسم بعض ، لأن لفظ النار يجمعها ، كذا في البحر المحيط .

تنبيه :

المنافق أخطر من الكافر ، ولهذا كان عذابه أشد [ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا] وقد شرط تعالى لتوبة الكافر ، الانتهاء عن الكفر فقط [قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف] وأما المنافق فشرط للتوبة عليه أربعا : التوبة ، والاصلاح ، وا لاعتصام ، وإخلاص الدين له ، فقال : [إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله] فدل على ان المنافقين شر من كفر به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأولاهم ثمقته ، وأبعدهم من الانابة اليه ثم قال :
[فأولئك مع المؤمنين] ولم يقل فأولئك هم المؤمنون ، ثم قال : [وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما]
ولم يقل " وسوف يؤتيهم ، بغضا لهم وإعراضا عنهم ، وتفظيعا لما كانوا عليه من عظم كفر النفاق ، زادنا الله فهما لأسرار كتابه .

قال الله تعالى : [لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم . . الى . . اولئك سنؤتيهم أجرا عظيما]
من الآية (148) الى نهاية الآية (162)

المناسبة :

لما ذكر تعالى المنافقين وفضحهم في الآيات السابقة ، ذكر هنا انه لا يحب إظهار الفضائح والقبائح ، إلا في حق من زاد ضرره وعظم خطره ، فلا عجب ان يكشف الله عن المنافقين الستر ، ثم تحدث عن اليهود وعدد بعض جرائمهم الشنيعة ، مثل طلبهم لرؤية الله ، وعبادتهم للعجل ، وإدعائهم صلب المسيح ، وإتهامهم مريم البتول بالفاحشة ، الى غير ما هنالك من قبائح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجرائم شنيعة ، قاتلهم الله انى يؤفكون ا

اللغة :

[جهرة] عيانا

[بهتانا] البهتان : الكذب الذي يتحير فيه من شدته وعظمته

[شبه] وقع الشبه بين عيسى والمقتول الذي صلبوه

[واعتدنا] هيأنا

[الراسخون] المتمكنون من العلم .

سبب النزول :

روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد : إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة ، كما أتى موسى بالتوراة جملة فأنزل الله [يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء] الآية .

التفسير :

[لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم] أى لا يحب الله الفحش في القول ، والإيذاء باللسان ، إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأن يذكره بما فيه من
السوء . قال ابن عباس : المعنى : لا يحب الله أن يدعو احد على احد ، إلا أن يكون مظلوما
[وكان الله سميعا عليما] أى سميعا لدعاء المظلوم ، عليما بالظالم
[إن تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء] أى إن اظهرتم ايها الناس عمل الخير ، او اخفيتموه ، او عفيتم عمن أساء اليكم

[فإن الله كان عفوا قديرا] أى كان مبالغا في العفو عنكم مع كمال قدرته على المؤاخذة ، قال الحسن : يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى . . حث تعالى على العفو ، وأشار الى انه عفو مع قدرته ، فكيف لا تعفون مع ضعفكم وعجزكم ؟
[إن الذين يكفرون بالله ورسله] الآية نزلت في اليهود والنصارى ، لأنهم آمنوا بانبيائهم وكفروا بمحمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيره ، فجعل كفرهم ببعض الرسل ، كفرا بجميع الرسل ، وكفرهم بالرسل كفرا بالله تعالى

[ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله] التفريق بين الله ورسله : هو أن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ، وكذلك التفريق بين الرسل ، هو الكفر ببعضهم والايمان ببعضهم ، وقد فسره تعالى بقوله بعده

[ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض] أى نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض ، قال قتادة : اولئك أعداء الله اليهود ، والنصارى ، آمنت اليهود بالتوراة وموسى ، وكفروا بالإنجيل وعيسى ، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى ، وكفروا بالقرآن وبمحمد (ص) وتركوا الاسلام دين الله الذي بعث به رسله

[ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا] أى طريقا وسطا بين الكفر والايمان ولا واسطة بينهما

[اولئك هم الكافرون حقا] أى هؤلاء الموصوفون بالصفات القبيحة ، هم الكافرون يقينا ولو ادعوا الإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإعتدنا للكافرين عذابا مهينا] أى هيأنا لهم عذابا شديدا ، مع الإهانة والخلود في نار جهنم

[والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم] أى صدقوا الله وأقروا بجميع الرسل وهم (المؤمنون) اتباع محمد(ص) لم يفرقوا بين احد من رسله ، بل آمنوا بجميعهم

[اولئك سوف يؤتيهم اجورهم] أى سنعطيهم ثوابهم الكامل على الإيمان بالله ورسله

[وكان الله غفورا رحيما] أى غفورا لما سلف منهم ، من المعاصي والآثام ، متفضلا عليهم بانواع الإنعام

[يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء] نزلت في أحبار اليهود حين قالوا للنبي (ص) إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة ، كما تى به موسى جملة ، وانما طلبوا ذلك على وجه التعنت والعناد ، فذكر تعالى ان في سؤالهم لنبيهم موسى ما هو أفظع وأشنع ، تسلية للنبي (ص) للتأسي بالرسل فقال :

[فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى سألوا موسى رؤية الله عز وجل عيانا

[فأخذتهم الصاعقة بظلمهم] أى جاء بهم من السماء نار فاهلكتهم بسبب ظلمهم

[ثم اتخدوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات] أى ثم اتخذوا العجل إلها وعبدوه ، من بعد ما جاءتهم المعجزات والحجج الباهرات ، من العصا ، واليد وفلق البحر وغيرها . قال ابو السعود : وهذه المسآلة - وهي طلب رؤية الله - لأن صدرت عن أسلافهم ، لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما ياتون ويذرون أسندت اليهم

[فعفونا عن ذلك] أى عفونا عما ارتكبوه مع عظم جريمتهم وخيانتهم

[وآتينا موسى سلطانا مبينا] أى حجة ظاهرة تظهر صدقه وصحة نبوته . قال الطبري : وتلك الحجة هي الآيات البينات التي آتاه الله اياها

[ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم] أى رفعنا الجبل فوقهم ، لما امتنعوا عن قبول شريعة التوراة بسبب الميثاق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليقبلوه

[وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا] اي ادخلوا باب (بيت المقدس) ، مطأطئين رءوسكم خضوعا لله ، فخالفوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم - مقاعدهم - وهم يقولون حنطة قي شعرة ، استهزاء

[وقلنا لهم لا تعدوا في السبت] أى لا تعتدوا باصطياد الحيتان يوم السبت ، فخالفوا واصطادوا

[وأخذنا منهم ميثاقا غليظا] أى عهدا وثيقا مؤكدا

[فبما نقضهم ميثاقهم] أى فبسبب نقضهم الميثاق ، لعناهم وأذللناهم ، و[ما] لتأكيد المعنى

[وكفرهم بآيات الله] أى وبجحودهم بالقرآن العظيم

[وقتلهم الانبياء بغير حق] كزكريا ويحيى عليهما السلام

[وقولهم قلوبنا غلف] أى قولهم للنبي (ص) قلوبنا مغشاة بأغشية ، لا تعى ما تقوله يا محمد ، قال تعالى ردا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا] أى بل ختم تعالى عليها بسبب الكفر والضلال ، فلا يؤمن منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام واصحابه

[وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما] أى وبكفرهم بعيسى عليه السلام أيضا ، ورميهم مريم بالزنى ، وقد فضلها الله على نساء العالمين

[وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله] أى قتلنا هذا الذي يزعم انه رسول الله ، وهذا إنما قالوه على سبيل (التهكم والاستهزاء) وإلا فهم يزعمون ان عيسى ابن زنى ، وامه زانية ، ولا يعتقدون انه رسول الله ، قال تعالى تكذيبا لهم :

[وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم] اي وما قتلوا عيسى ولا صلبوه ، ولكن قتلوا وصلبوا من القي عليه شبهه ، قال البيفاوي : روي ان رجلا كان ينافق لعيسى ، فخرج ليدل عليه ، فألقى الله عليه شبهه ، فأخذ وصلب وهم يظنون انه عيسى

[وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه] أى وان الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلفوا في شأن عيسى لفي شك من قتله . . روي انه لما رفع عيسى والقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا : ان كان هذا المقتول (عيسى) فأين صاحبنا ؟ وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى ؟ فاختلفوا فقال بعضمهم : هو عيسى ، وقال بعضهم : ليس هو عيسى بل هو غيره ، فأجمعوا ان شخصا قد قتل ، واختلفوا من كان

[ما لهم به من علم إلا اتباع الظن] أى ما لهم بقتله علم حقيقي ، ولكنهم يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه

[وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه] أى وما قتلوه متيقنين انه هو بل شاكين متوهمين ، ونجاه الله من شرهم ، فرفعه الى السماء حيا بجسده وروحه ، كما دلت على ذلك الاحاديث الصحيحة ((منها ما رواه الشيخان " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية " ... الحديث))

[وكان الله عزيزا حكيما] أى عزيزا في ملكه (حكيما) في صنعه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته] أى ليس أحد من اليهود والنصارى ، إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ، حين يعاين ملائكة الموت ، ولكن لا ينفعه إيمانه ، قال ابن عباس : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ، قيل له : أرأيت ان ضربت عنق أحدهم ؟ قال : يلجلج بها لسانه ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة وابن سيرين ((اختار الطبري أن الضمير في {قبل موته } يعود على عيسى ويصبح المعنى : لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى قبل موت عيسى ، لما ينزل قرب الساعة ، وما ذكرناه هو اختيار أبي السعود ، والكشاف ، والجلالين ، وهو قول ابن عباس))

[ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا] أى يشهد عيسى على اليهود بأنهم كتبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله

[فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم] أى بسبب ظلم اليهود ، وما ارتكبوه من الذنوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العظيمة ، حرمنا عليهم أنواعا من الطيبات التي كانت محللة لهم

[وبصدهم عن سبيل الله كثيرا] أى ويمنعهم كثيرا من الناس عن الدخول في دين الله ، قال مجاهد : صدوا أنفسهم وغيرهم عن الحق

[واخذهم الربا وقد نهوا عنه] أى تعاطيهم الربا ، وقد حرمه الله عليهم فى التوراة

[وأكلهم أموال الناس بالباطل] أى بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة

[وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما] أى وهيأنا لمن كفر من هؤلاء اليهود ، العذاب المؤلم الموجع

[لكن الراسخون في العلم منهم] أى لكن المتمكنون في العلم منهم ، والثابتون فيه كعبد الله بن سلام وجماعته

[والمؤمنون] أى من المهاجرين والانصار أصحاب النبي ، ومن سائر أهل الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك] أى يؤمنون بالكتب والانبياء

[والمقيمين الصلاة] أى امدح المقيمين الصلاة ، فهو نصب على المدح

[والمؤتون الزكاة] أى المعطون زكاة أموالهم

[والمؤمنون بالله واليوم الاخر] أي والمؤمنون بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت

[أولئك سنؤتيهم اجرا عظيما] أى هؤلاء الموصوفون بالأوصاف الجليلة ، سنعطيهم ثوابا جزيلا على طاعتهم لله ، وهو الخلود في الجنة دار النعيم .

البلاغة :

تضمنت الايات انواعا من الفصاحة والبديع نوجزها فيما يلي :

ا - الطباق بين [تبدوا . . او تخنوه] وبين [نؤمن . . ونكفر] .

2 - التعريض والتهكم في [قتلنا المسيح عيسى ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مريم رسول الله] قالوه على سبيل التهكم والإستهزاء ، لأنهم لا يؤمنون برسالته .

3 - زيادة الحرف لمعنى التاكيد [فبما نقضهم ، أى فبنقضهم .

4 - الاستعارة في [الراسخون في العلا] استعار الرسوخ للثبوت في العلم والتمكن فيه ، وكذلك الاستعارة في [قلوبنا غلف] استعار الغلاف بمعنى الغطاء ، لعدم الفهم والادراك ، فشبه قلوبهم بأنها مغطاة بحجب كثيفة .

5 - الاعتراض في [بل طبع الله عليها بكفرهم] ردا لمزاعمهم الفاسدة .

6 - الإلتفات في [أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما] والاصل سيؤتيهم وتنكير الاجر للتفخيم .

7 - المجاز المرسل في [وقتلهم الانبياء] حيث أطلق الكل وأريد البعض وكذلك في [كفرهم بآيات الله] لأنهم كفروا بالقرآن والانجيل ، ولم يكفروا بغيرهما .

الفوائد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال في التسهيل : ان قيل كيف قالوا في عيسى : " رسول الله " وهم يكفرون به ويسبونه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : انهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء ، والثاني : انهم قالوه على
حسب اعتقاد المسلمين فيه ، كانهم قالوا : رسول الله عندكم او بزعمكم ، والثالث : انه من قول الله ، لا من قولهم فيوقف قبله ، وفائدته تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنا قتلناه وقوله تعالى : [وما قتلوه وما صلبوه] رد على اليهود وتكذيب لهم ، ورد على النصارى في قولهم انه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك ، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم : انه إله ، او ابن إله ، ثم يقولون انه صلب ؟

تنبيه :

دل قوله تعالى [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، على ان الله تعالى نجى رسوله " عيسى " من شر اليهود الخبثاء ، فلم يقتل ولم يصلب وإنما صلبوا شخصا غيره ظنوه عيسى ، وهو الذي القى الله الشبه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه فقتلوه وهم يحسبونه عيسى ، وهذا هو الاعتقاد الحق الذي يتفق مع العقل والنقل ، وأما النصارى فيعتقدون انه صلب ، وان اليهود أهانوه ووضعوا الشوك على رأسه ، وانه تضرع وبكى ، مع زعمهم انه هو " الله " او " ابن الله " وانه جاء ليخلص البشرية من أوزارها ، الى غير ما هنالك من التناقض العجيب الغريب ، ولقد أحسن من قال : عجبا للمسيح بين النصارى وإلى أى والد نسبوه !

اسلموه الى اليهود وقالوا انهم بعد ضربه صلبوه

فإذا كان ما يقولون حقا وصحيحا فأين كان ابوه ؟

حين خلى ابنه رهين الأعادي أتراهم أرضوه أم أغضبوه ؟

فلئن كان راضيا بأذاهم فأحمدوهم لأنهم عذبوه

ولئن كان ساخطا فأتركوه واعبدوهم لأنهم غلبوه

قال الله تعالى : [إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين . . الى. . والله بكل شيء عليم] من اية (163) الى نهاية السورة الكريمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما حكى تعالى جرائم اليهود التي من ضمنها كفرهم بعيسى ومحمد ، وزعمهم انهم صلبوا المسيح ، ذكر تعالى هنا ان الايمان بجميع الرسل شرط لصحة الايمان ، وانه ارسل سائر المرسلين مبشرين ومنذرين ، ثم دعا النصارى الى عدم الغلو في شأن المسيح عليه السلام .

اللغة :

[تغلو] الغلو : مجاوزة الحد ومنه غلا السعر

[يستنكف] يأنف والاستنكاف : الأنفة والترفع ، قال الزجاج : مأخوذ من نكفت الدمع إذا نحيته باصبعك عن خدك

[برهان] البرهان : الدليل والمراد به هنا المعجزات

[اعتصموا] لاذوا ولجأوا ، والعصمة : الامتناع

[الكلالة] من لا ولد له ولا والد وقد تقدم .

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاء وفد من النصاوى الى رسول الله (ص) فقالوا يا محمد : لم تعيب صاحبنا ؟ قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى ، قال : وأي شيء أقول فيه ؟ قالوا تقول : انه عبد الله ورسوله ، فقال لهم :
انه ليس بعار ان يكون عبدا لله ، قالوا : بلى ، فأنزل الله ردا عليهم : [لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله] الآية.

التفسير :

[إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده] أى نحن أوحينا اليك يا محمد ، كما أوحينا الى نوح والأنبياء من بعده ، وانما قدم (ص) في الذكر ، وإن تأخرت نبوته ، لتقدمه في الفضل

[وأوحينا الى ابراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان] أي وأوحينا الى سائر النبيين " ابراهيم واسماعيل " الخ خص تعالى بالذكر هؤلاء تشريفا وتعظيما لهم ، وبدأ بعد محمد بين بنوح لأنه شيخ الانبياء وأبو البشر الثاني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ثم ذكر ابراهيم لانه الاب الثالث ، ومنه تفرعت شجرة النبوة كما قال تعالى : [وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب] وقدم عيسى على أنبياء كانوا قبله ، لشدة العناية بأمره ، لغلو اليهود في الطعن فيه حيث جعلوه ابن زنى ، والنصارى في تقديسه حيث جعلوه ابن الله

[وأتينا داود زبورا] أى وخصصنا داود بالزبور ، قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ، ليس فيها حكم من الاحكام ، وإنما هي حكم ومواعظ

[ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل] أى وارسلنا رسلا كثيرين ، منهم من ذكرنا أخبارهم لك يا محمد في غير هذه السورة

[ورسلا لم نقصصهم عليك] أى ورسلا آخرين لم نخبرك عن أحوالهم

[وكلم الله موسى تكليما] أى وخص الله موسى بأن كلمه بلا واسطة ، ولهذا سمي (الكليم) ، وانما أكده [تكليما] رفعا لاحتمال المجاز ، قال ثعلب : لولا التأكيد لجاز أن تقول : قد كلمت لك فلانا بمعنى كتبت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليه رقعة ، او بعثت اليه رسولا ، فلما قال " تكليما " لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله تعالى

[رسلا مبشرين ومنذرين] أى يبشرون بالجنة من أطاع ، وينذرون بالنار من عصى

[لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول : لو أرسل إلى رسول لآمنت وأطعت ، فقطع الله حجة البشر ، بارسال الرسل وإنزال الكتب

[وكان الله عزيزا حكيما] أى عزيزا في ملكه (حكيما) في صنعه . . ثم رد تبارك وتعالى على اليهود ، حين انكروا نبوة محمد فقال سبحانه :

[لكن الله يشهد بما أنزل اليك] أى ان لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة ، فالله يشهد لك بذلك ، بما أنزل اليك من القرآن المعجز

[انزله بعلمه والملائكة يشهدون] أى انزله بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره ، باسلوب يعجز عنه كل بليغ ، والملائكة يشهدون كذلك بما أنزل الله اليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويشهدون بنبوتك

[وكفى بالله شهيدا] أى كفى الله شاهدا لك ، فشهادته تعالى تغنيك وتكفيك ، لم ان لم يشهد غيره

[ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا] أى كفروا بأنفسهم ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، قد ضلوا عن طريق الرشاد ضلالا بعيدا ، لأنهم جمعوا بين الضلال والاضلال ، فضلالهم في أقصى الغايات

[ان الذين كفروا وظلموا] قال الزمخشري : أى جمعوا بين الكفر والمعاصى

[لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا] أى لن يعفو الله عنهم ، ولن يهديهم الى طريق الجنة ، لأنهم ماتوا على الكفر

[إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا] أى لن يهديهم إلا إلى الطريق الموصلة الى جهنم ، جزاء لهم على ما أسلفوه ، من الكفر والظلم ، مخلدين فيها أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكان ذلك على الله يسيرا] أى تخليدهم في جهنم ، لا يصعب عليه تعالى ولا يستعظمه

[يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم] أى يا أيها الناس قد جاءكم محمد بالدين الحق ، والشريعة السمحة من عند ربكم
[فآمنوا خيرا لكم] أى صدقوا ما جاءكم من عند ربكم ، يكن الايمان خيرا لكم
[وأن تكفروا فإن لله ما في السموات والارض] أى وان تستمروا على الكفر فان الله غني عنكم ، لا يضره كفركم ، إذ له ما في الكون ملكا وخلقا وعبيدا
[وكان الله عليما حكيما] أى عليما بأحوال العباد ، حكيما فيما دبره لهم . . ولما رد تعالى على شبه اليهود فيما سبق ، أخذ في الرد على ضلالات النصارى ، في إفراطهم في تعظيم المسيح حيث عبدوه من دون الله فقال سبحانه :
[يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم] أى يا معشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصارى لا تتجاوزوا الحد في أمر الدين ، بإفراطكم في شأن المسيح وإدعاء الوهيته

[ولا تقولوا على الله الا الحق] أى لا تصفوا الله بما لا يليق من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد

[إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله] أى ما عيسى الا رسول من رسل الله ، وليس ابن الله كما زعمتم

[وكلمته ألقاها الى مريم] أى وقد خلق بكلمته تعالى " كن " من غير واسطة أب ولا نطفة

[وروح منه] أى ذو روح مبتدأة من الله ، وهو أثر نفخة جبريل في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النفخة بعيسى ، وإنما أضيف الى الله تشريفا وتكريما

[فأمنوا بالله ورسله] أى أمنوا بوحدانيته ، وصدقوا رسله أجمعين

[ولا تقولوا ثلاثة] أى لا تقولوا الآلهة ثلاثة : (الله ، والمسيح ، ومريم) ، أو الله ثلاثة : (الاب والابن وروح القدس) ، فنهاهم تعالى عن التثليث ، وأمرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتوحيد ، لأن الآله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه

[انتهوا خيرا لكم] أى انتهوا عن التثليث يكن ذلك خيرا لكم

[انما الله اله واحد] أى منفرد في الوهيته ، وليس كما تزعمون انه ثالث ثلاثة

[سبحانه ان يكون له ولد] أى تنزه الله عن ان يكون له ولد

[له ما في السموات وما في الارض] خلقا وملكا وعبيدا ، وهو تعالى لا يماثله شيء حتى يتخذه ولدا

[وكفى بالله وكيلا] تنبيه على غناه عن الولد ، أى كفى الله ان يقوم بتدبير مخلوقاته وحفظها ، فلا حاجة له إلى ولد أو معين ، لأنه مالك كل شيء . . ثم رد تعالى على النصارى مزاعمهم الباطلة فقال سبحانه :

[لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله] أى لن يأنف ويتكبر المسيح الذي زعمتم انه اله عن ان يكون عبدا لله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا الملائكة المقربون] أى لا يستنكفون أيضا ان يكونوا عبيدا لله

[ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا] أى ومن يأنف ويتكبر عن عبادة الله سبحانه ، فسيبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء

[فأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم] أى يوفيهم ثواب أعمالهم

[ويزيدهم من فضله] أى بإعطائهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما] أى وأما الذين أنفوا وتعظموا عن عبادته ، فسيعذبهم الله عذابا موجعا شديدا

[ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا] أى ليس لهم من يتولاهم ، أو ينصرهم من عذاب الله

[يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم] أى أتاكم حجة من الله ، وهو (محمد) رسول الله (ص) المؤيد بالمعجزات الباهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنزلنا اليكم نورا مبينا] أى انزلنا عليكم القرآن ذلك النور الوضاء

[فاما الذين أمنوا بالله واعتصموا به] أى صدقوا بوحدانية الله ، وتمسكوا بكتابه المنير

[فسيدخلهم في رحمة منه وفضل] أي سيدخلهم في جنته دار الخلود

[ويهديهم اليه صراطا مستقيما] أى يهديهم إلى دين الاسلام في الدنيا ، والى طريق الجنة في الاخرة

[يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة] أى يستفتونك يا محمد في شأن الميت ، إذا مات ولم يكن له والد ، او ولد ، من يرثه ؟

[ان امرؤ هلك ليس له ولد] أى قل لهم من مات وليس له والد أو ولد ، وهي الكلالة

[وله أخت فلها نصف ما ترك] أى وله أخت شقيقة ، أو أخت لأب ، فلها نصف ما ترك اخوها

[وهو يرثها ان لم يكن لها ولد] أى وأخوها الشقيق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو لأب يرث جميع ما تركت ، ان لم يكن لها ولد

[فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك] أى ان كانت الاختان ابنتين فأكثر ، فلهما .الثلثان مما ترك أخوهما

[وأن كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين] أى وان كان الورثة مختلطين اخوة واخوات ، فللذكر منهم مثل ئصيب الاختين

[يبين الله لكم ان تضلوا] أى يبين الله لكم أحكامه وشرائعه ، خشية ان تضلوا

[والله بكل شيء عليم] أى يعلم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم ، فهو تعالى العالم بمصالح العباد في المحيا والممات ، وسيجازيهم على أعمالهم في الاخرة!

البلاغه :

1 - تخصيص بعض الانبياء بالذكر [كما أوحينا الى نوح] الخ للتشريف واظهار فضل المذكورين ، وفيه تشبيه يسمى " مرسلا مفصلا " .

2 - قوله : [يا أهل الكتاب] اللفظ للعموم ويراد منه الخصوص ، وهم " النصارى " بدليل قوله بعده [ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقولوا ثلاثة] فإنها قولة النصارى .

3- قوله : [انما المسيح عسى ابن مريم رسول الله] فيه قصر ، وهو من نوع قصر " موصوف على صفة " .

4 - في قوله : [يشهدون . . وشهيدا] جناس الاشتقاق .

الفوائد :

لفظه " من " تكون للتبعيض ، وقد تأتي لابتداء الغاية ، كما في قوله تعالى : [وروح منه] يحكى ان طبيبا نصرانيا للرشيد ، ناظر الامام الواقدي ذات يوم ، بحضرة الخليفة ، فقال له : ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى ابن الله ، لانه جزء من الله ، وتلا هذه الآية [وروح منه] فقال الواقدي له : هذا منك عجيب ، فإن الله تعالى يقول : [وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه] فيجب اذا كان عيسى جزءا من الله ، ان يكون ما في السموات وما في الارض جزءا منه ، فانقطع النصراني وبهت ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسلم ، وفرح الرشيد بذلك فرحا شديدا ، ووصل الواقدي بصلة عظيمة .

تم بعونه تعالى تفسير سورة النساء.

سورة المائدة

مدنية وآياتها عشرون ومائة آية

بين يدي السورة

* سورة المائدة من السورة المدنية الطويلة ، وقد تناولت كسائر السور المدنية جانب التشريع بإسهاب ، مثل سورة البقرة ، والنساء ، والأنفال ، إلى جانب موضوع العقيدة ، وقصص أهل الكتاب ، قال أبو ميسرة : المائدة من آخر ما نزل من القرآن ، ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشرة فريضة.

* نزلت هذه السورة منصرف رسول الله (ص) من الحديبية ، وجماعها يتناول الأحكام الشرعية ، لأن الدولة الإسلامية كانت في بداية تكوينها ، وهي بحاجة إلى (المنهج الرباني) الذي يعصمها من الزلل ، ويرسم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لها طريق البناء والاستقرار.
* أما الأحكام التى تناولتها السورة فنلخصها فيما يلي : (أحكام العقود ، الذبائح ، الصيد ، الإحرام ، نكاح الكتابيات ، الردة ، أحكام الطهارة ، حد السرقة ، حد البغي ، والإفساد في الأرض ، أحكام الخمر والميسر ، كفارة اليمين ، قتل الصيد في الإحرام ، الوصية عند الموت ، البحيرة والسائبة ، الحكم على من ترك العمل بشريعة الله) إلى آخر ما هنالك من الأحكام التشريعية.
* وإلى جانب التشريع قص تعالى علينا في هذه السورة ، بعض القصص للعظة والعبرة ، فذكر قصة بني إسرائيل مع موسى ، وهى قصة ترمز إلى التمرد والطغيان ، ممثلة في هذه الشرذمة الباغية من " اليهود " حين قالوا لرسولهم [اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون] وما حصل لهم من التشرد والضياع ، إذ وقعوا في أرض التيه أربعين سنة [قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض..]
* ثم قصة ابني آدم وهي قصة ترمز إلى الصراع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العنيف بين قوتي الخير والشر ، ممثلة في قصة (قابيل وهابيل) حيث قتل قابيل أخاه هابيل ، وكانت أول جريمة نكراء تحدث في الأرض ، أريق فيها الدم البريء الطاهر ، والقصة تعرض لنموذجين من نماذج البشرية : نموذج النفس الشريرة الأثيمة ، ونموذج النفس الخيرة الكريمة [فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين] .

* كما ذكرت السورة قصة " المائدة " التي كانت معجزة لعيسى ابن مريم ظهرت على يديه أمام الحواريين ، والسورة الكريمة تعرض أيضا لمناقشة " اليهود والنصارى " في عقائدهم الزائفة ، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق من الذرية والبنين ، ونقضوا العهود والمواثيق ، وحرفوا التوراة والإنجيل ، وكفروا برسالة محمد عليه السلام ، إلى آخر ما هنالك من ضلالات وأباطيل ، وقد ختمت السورة الكريمة بالموقف الرهيب يوم الحشر الأكبر حيث يدعى السيد المسيح " عيسى ابن مريم " على رءوس الأشهاد ، ويسأله ربه تبكيتاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للنصارى الذين عبدوه من دون الله [أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق] ويا له من موقف مخز لأعداء الله ، تشيب لهوله الرءوس ، وتتفطر من فزعه النفوس!!.

فضلها :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : " أنزلت على رسول الله (ص) سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها " .

التسمية :

سميت سورة " المائدة " لورود ذكر المائدة فيها ، حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السلام ، آية تدل على صدق نبوته ، وتكون لهم عيداً وقصتها أعجب ما ذكر فيها ، لاشتمالها على آيات كثيرة ، ولطف عظيم من الله العلي الكبير.

التفسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.. إلى .. أولئك أصحاب الجحيم] من آية (1) إلى نهاية آية (10).

اللغة :

[العقود] أصل العقد في اللغة : الربط تقول عقدت الحبل بالحبل ، ثم استعير للمعاني ، قال الزمخشري : العقد العهد الموثق ، شبه بعقد الحبل ، قال الحطيئة :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

[بهيمة الأنعام] البهيمة ما لا نطق له لما في صوته من الإبهام ، والأنعام جمع نعم وهي (الإبل ، والبقر ، والغنم)

[القلائد] جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من لحاء الشجر ، ليعلم أنه هدي

[يجرمنكم] يكسبنكم يقال : جرم ذنبا أي كسبه ، وأجرم اكتسب الإثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شنآن] الشنآن : البغض

[الموقوذة] الوقذ : ضرب الشيء حتى يسترخي ، ويشرف على الموت

[النصب] صنم وحجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده ، وجمعه أنصاب كذا في اللسان

[الأزلام] القداح جمع زلم كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة ضرب بالقداح وهو الاستقسام بالأزلام

[مخمصة] مجاعة لأن البطون فيها تخمص أي تضمر ، والخمص : ضمور البطن

[الجوارح] الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب ، والفهد ، والصقر ، والشاهين ، سميت جوارح لأنها تجرح صيدها.

سبب النزول :

عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ، ويعظمون الشعائر ، وينحرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنزلت [يا أيها الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آمنوا لا تحلوا شعائر الله..] .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود] الخطاب بلفظ الإيمان الكريم والتعظيم أي يا معشر المؤمنين أوفوا بالعقود ، وهو لفظ يشمل كل عقد وعهد بين الإنسان وربه ، وبين الإنسان والإنسان ، قال ابن عباس : العقود العهود وهي ما أحل الله وما حرم ، وما فرض في القرآن كله من التكاليف والأحكام (هذا القول اختاره الطبري والزمخشري ، والأرجح العموم فهو أمر بالوفاء بكل عقد وهو اختيار صاحب البحر وجمع من المفسرين قال ابن أسلم هي ستة : " عهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد اليمين ")

[أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم] أي أبيح لكم أكل الأنعام وهي " الإبل والبقر والغنم " بعد ذبحها ، إلا ما حرم عليكم في هذه السورة ، وهي الميتة والدم ولحم الخنزير إلخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غير محلي الصيد أنتم حرم] أي أحلت لكم هذه الأشياء ، من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم محرمون

[إن الله يحكم ما يريد] أي يقضي في خلقه بما يشاء ، لأنه الحكيم في أمره ونهيه

[يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله] أي لا تستحلوا حرمات الله ، ولا تتعدوا حدوده ، قال الحسن : يعني شرائعه التى حدها لعباده ، وقال ابن عباس : ما حرم عليكم في حال الإحرام

[ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد] أي ولا تستحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه ، ولا ما أهدي إلى الكعبة ، أو قلد بقلادة ليعرف أنه هدى بالتعرض له ولأصحابه

[ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا] أي ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام ، لحج أو عمرة ، نهى تعالى عن الإغارة عليهم ، أو صدهم عن البيت كما كان أهل الجاهلية يفعلون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا حللتم فاصطادوا] أي إذا تحللتم من الإحرام فقد أبيح لكم الصيد

[ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا] أي لا يحملنكم بغض قوم كانوا قد صدوكم عن المسجد الحرام على أن تعتدوا عليهم

[وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] أي تعاونوا على فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وافعلوا كل ما يقربكم إلى الله تعالى

[واتقوا الله إن الله شديد العقاب] أي خافوا عقابه ، فإنه تعالى شديد العقاب لمن عصاه

[حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير] أي حرم عليكم أيها المؤمنون أكل الميتة ، وهي ما مات حتف أنفه ، من غير ذكاة ، والدم المسفوح ولحم الخنزير ، قال الزمخشري : كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات : البهيمة التى تموت حتف أنفها ، والفصيد وهو الدم في الأمعاء يشوونه ويقولون لم يحرم من فزد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

– أي فصد – له وإنما ذكر (لحم الخنزير) ليبين أنه حرام بعينه حتى ولو ذبح بالطريق الشرعي

[وما أهل لغير الله به] أي ما ذكر عليه غير اسم الله ، أو ذبح لغير الله ، كقولهم : باسم اللات والعزى

[والمنخنقة] هي التي تخنق بحبل وشبهه

[والموقوذة] هي المضروبة بعصا أو حجر

[والمتردية] هي التي تسقط من جبل ونحوه

[والنطيحة] هي التى نطحتها بهيمة أخرى فماتت بالنطح

[وما أكل السبع] أي أكل بعضه السبع فمات

[إلا ما ذكيتم] أي إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء ، فذبحتموه الذبح الشرعي قبل الموت ، قال الطبري معناه : إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهورا للمذبوح.

[وما ذبح على النصب] أي وما ذبح على الأحجار المنصوبة ، قال قتادة : النصب حجارة كان أهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجاهلية يعبدونها ، ويذبحون لها ، فنهى الله عن ذلك ، قال بعض المفسرين : كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ، يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها ، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع

[وأن تستقسموا بالأزلام] أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام أي طلب معرفة ما قسم له من الخير والشر ، بواسطة ضرب القداح ، قال المفسرون : كان أحدهم إذا أراد سفرا ، أو غزوا ، أو تجارة ، أو نكاحا ، أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح ، وهي مكتوب علي بعضها ، نهاني ربي ، وعلى بعضها أمرني ربي ، وبعضها غفل ، فإن خرج الآمر مضى لغرضه ، وإن خرج الناهي أمسك ، وإن خرج الغفل أعاد

[ذلكم فسق] أي تعاطيه فسق وخروج عن طاعة الله ، لأنه دخول في علم الغيب ، الذى استأثر الله به علام الغيوب

[اليوم يئس الذين كفروا من دينكم] أي انقطع طمع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين منكم ، ويئسوا أن ترجعوا عن دينكم ، قال ابن عباس : يئسوا أن ترجعوا إلى دينهم أبدا

[فلا تخشوهم واخشون] أي لا تخافوا المشركين ولا تهابوهم ، وخافون أنصركم عليهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة

[اليوم أكملت لكم دينكم] أي أكملت لكم الشريعة ، ببيان الحلال فيها والحرام

[وأتممت عليكم نعمتي] بالهداية والتوفيق إلى أقوم طريق

[ورضيت لكم الإسلام دينا] أي اخترت لكم الإسلام دينا من بين الأديان ، وهو الدين المرضي الذي لا يقبل الله دينا سواه ، كما قال سبحانه : [ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه]

[فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم] أي فمن ألجأته الضرورة إلى تناول شيء من المحرمات المذكورة ، في مجاعة حال كونه غير مائل إلى الإثم ، ولا متعمد لذلك ، فإن الله لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يؤاخذه بأكله ، لأن الضرورات تبيح المحظورات

[يسألونك ماذا أحل لهم] أي يسألونك يا محمد ما الذي أحل لهم من المطاعم والمآكل ؟

[قل أحل لكم الطيبات] أي قل لهم أبيح لكم المستلذات ، وما ليس منها بخبيث ، وحرم كل مستقذر كالخنافس والفئران وأشباهها

[وما علمتم من الجوارح] أي وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح ، وهي الكلاب ونحوها مما يصطاد به

[مكلبين] أي معلمين للكلاب الاصطياد ، قال الزمخشري : المكلب : مؤدب الجوارح ورائضها ، واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب

[تعلمونهن مما علمكم الله] أي تعلمونهن طرق الاصطياد وكيفية تحصيل الصيد ، وهذا جزء مما علمه الله للإنسان

[فكلوا مما أمسكن عليكم] أي فكلوا مما أمسكن لكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الصيد إذا لم تأكل منه ، فإن أكلت فلا يحل أكله لحديث (إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل ، وإذا أكل فلا تأكل ، فإنما أمسكه على نفسه) وعلامة المعلم أن يسترسل إذا أرسل ، وينزجر إذا زجر ، وإن يمسك الصيد فلا يأكل منه ، وأن يذكر اسم الله عند إرساله ، فهذه أربع شروط لصحة الأكل من صيد " الكلب المعلم "

[واذكروا اسم الله عليه] أي عند إرساله

[واتقوا الله إن الله سريع الحساب] أي راقبوا الله في أعمالكم فإنه سريع المجازاة للعباد

[اليوم أحل لكم الطيبات] أي أبيح لكم المستلذات من الذبائح وغيرها

[وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم] أي وذبائح اليهود والنصارى حلال لكم

[وطعامكم حل لهم] أي ذبائحكم حلال لهم ، فلا حرج أن تطعموهم وتبيعوه لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والمحصنات من المؤمنات] أي وأبيح لكم أيها المؤمنون زواج الحرائر العفيفات من المؤمنات

[والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم] أي وزواج الحرائر من الكتابيات (يهوديات أو نصرانيات) وهذا رأي الجمهور ، وقال عطاء : قد أكثر الله المسلمات ، وإنما رخص لهم يومئذ

[إذا آتيتموهن أجورهن] أي إذا دفعتم لهن مهورهن

[محصنين غير مسافحين] أي حال كونكم أعفاء بالنكاح ، غير مجاهرين بالزنى

[ولا متخذي أخدان] أي وغير متخذين عشيقات وصديقات تزنون بهن سرا ، قال الطبري : المعنى : ولا منفردا ببغية قد خادنها وخادنته ، واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها

[ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين] أي ومن يرتد عن الدين ويكفر بشرائع الإيمان ، فقد بطل عمله وهو من الهالكين.. ثم أمر تعالى بإسباغ الوضوء عند الصلاة فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة] أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون

[فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق] أي اغسلوا الوجوه والأيدى مع المرافق

[وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين] أي امسحوا رءوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين أي معهما ، قال الزمخشري : وفائدة المجيء بالغاية [إلى الكعبين] لدفع ظن من يحسبها ممسوحة ، لأن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة ، وفي الحديث " ويل للأعقاب من النار " ((تفسير الكشاف والحديث فى الصحيحين ، ولفظه عن عبد الله بن عمرو قال : تخلف عنا رسول الله (ص) في سفرة سافرناها ، فادركنا ونحن نتوضأ لصلاة العصر ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : " أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار ")) وهذا الحديث يرد على الإمامية الذين يقولون بأن الرجلين فرضهما المسح لا الغسل ، والآية صريحة لأنها جاءت بالنصب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأرجلكم] فهي معطوفة على المغسول ، وجيء بالمسح بين المغسولات لإفادة الترتيب

[وإن كنتم جنبا فاطهروا] أي إن كنتم في حالة جنابة ، فتطهروا بغسل جميع البدن

[وإن كنتم مرضى أو على سفر] أي إن كنتم مرضى ويضركم الماء ، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء

[أو جاء أحد منكم من الغائط] أي أتى من مكان البراز.

[أو لامستم النساء] أي جامعتموهن

[فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا] أي ولم تجدوا الماء بعد طلبه فاقصدوا التراب الطاهر للتيمم به

[فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه] أي امسحوا وجوهكم وأيديكم بالتراب بضربتين ، كما وضحت السنة النبوية

[ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج] أي ما يريد تعالى بما فرض عليكم من الوضوء ، والغسل والتيمم ، تضييقا عليكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون] أي يحب أن يطهركم من الذنوب وأدناس الخطايا ، بالوضوء والتيمم ، وليتم نعمته عليكم ببيان شرائع الإسلام ، ولتشكروه على نعمه التي لا تحصى

[واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا] الخطاب للمؤمنين ، والنعمة هنا : الإسلام ، وما صاروا إليه من اجتماع الكلمة والعزة ، أي اذكروا يا أيها المؤمنون نعمة الله العظمى عليكم بالإسلام ، وعهده الذي عاهدكم عليه رسوله ، حين بايعتموه على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره

[واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور] أي خافوا عقابه ، فإنه عالم بخفايا نفوسكم فيجازيكم عليها

[يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله] أي كونوا مبالغين في الاستقامة بشهادتكم لله ، وصيغة " قوام " للمبالغة

[شهداء بالقسط] أي تشهدون بالعدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا] أي لا يحملنكم شدة بغضكم للأعداء ، على ترك العدل فيهم ، والاعتداء عليهم

[اعدلوا هو أقرب للتقوى] أي العدل مع من تبغضونهم أقرب لتقواكم لله

[واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون] أي مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها قال الزمخشري : وفي هذا تنبيه عظيم على أن العدل إذا كان واجبا مع الكفار الذين هم أعداء الله ، وكان بهذه الصفة من القوة ، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه ؟!

[وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي وعد الله المؤمنين المطيعين لله

[لهم مغفرة وأجر عظيم] أي لهم في الآخرة مغفرة للذنوب ، وثواب عظيم وهو الجنة

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم] لما ذكر مآل المؤمنين المتقين وعاقبتهم ، ذكر مآل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين المجرمين ، وأنهم فى دركات الجحيم دائمون في العذاب ، قال أبو حيان : وقد جاءت الجملة فعلية بالنسبة للمؤمنين ، متضمنة الوعد بالماضي ، الذي هو الدليل على الوقوع ، وفي الكافرين جاءت الجملة اسمية دالة على ثبوت هذا الحكم لهم ، وأنهم أصحاب النار ، فهم دائمون في عذاب الجحيم.

البلاغة :

1- [لا تحلوا شعائر الله] في الآية استعارة لطيفة ، استعار (الشعيرة) وهي العلامة ، للمتعبدات والأحكام ، التى تعبد الله بها العباد ، من الحلال والحرام.

2- [ولا القلائد] أي ذوات القلائد وهي من باب عطف الخاص على العام لأنها أشرف الهدي كقوله [من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال] .

3- [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بالمقابلة ، فقد قابل بين البر والإثم ، وبين التقوى والعدوان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4- [وطعام الذين أوتوا الكتاب] أطلق العام وأراد به الخاص وهو الذبائح أي ذبائحهم ، وأما بقية الأطعمة في حلال مع جميع الكفار.

5- [محصنين غير مسافحين] بينهما طباق لأن معنى محصنين أي إعفاء ومسافحين أي زناة ، فجمع بين الشيء وضده ، وهو من المحسنات البديعية.

6- [إذا قمتم إلى الصلاة] أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فعبر عن إرادة الفعل بالفعل ، وأقام المسبب مقام السبب لملابسة بينهما ، وفي الآية إيجاز بالحذف أيضا أي إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون.

الفوائد :

الأولى : يحكى أن أصحاب الكندي- الفيلسوف المشهور – قال له أصحابه – أيها الحكيم إعمل لنا مثل هذا القرآن!! فقال : نعم أعمل مثل بعضه ، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ، ونهى عن النكث ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحلل تحليلا عاما ، ثم استثنى استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في مجلدات.

الثانية : جرت سنة الجاهلية عن مبدأ العصبية العمياء الذي عبر عنه الشاعر الجاهلي بقوله :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وأن ترشد غزية أرشد

وجاء الإسلام بهذا المبدأ الإنساني الكريم [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] وشتان بين المبدأين.

الثالث : روي أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت ، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا! قال : أي آية تعني ؟ قال : [اليوم أكملت لكم دينكم] الآية فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله (ص) فيه ، والساعة التي نزلت فيها ، نزلت على رسول الله (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشية عرفة في يوم جمعة.

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم.. إلى .. فلا تأس على القوم الفاسقين] من آية (11) إلى نهاية آية (26).

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما شرعه لعباده المؤمنين من الأحكام ، ومن أعظمها بيان الحلال والحرام ، ذكر هنا نعمته عليهم بالهداية إلى الإسلام ، ثم أعقبه ببيان نعمته تعالى على أهل الكتاب ، ولكنهم نقضوا العهد ، فألزمهم الله العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، ثم دعا الفريقين إلى الاهتداء بنور القرآن ، والتمسك بشريعة خاتم المرسلين ، وترك ما هم عليه من ضلالات وأوهام.

اللغة :

[نقيبا] النقيب : كبير القوم الذي يبحث عن أحوالهم ومصالحهم ، فهو كالكفيل عن الجماعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعزرتموهم] التعزير : التعظيم والتوقير

[سواء السبيل] قصد الطريق ووسطه

[قاسية] صلبة لا تعي خيرا ، والقاسية والعاتية بمعنى واحد

[خائنة] خيانة ، ويجوزأن يكون صفة للخائن ، كما يقال : رجل طاغية ، ورواية للحديث

[فأغرينا] هيجنا وألزمنا ، مأخوذ من الغراء ، وغري بالشيء إذا لصق به

[فترة] انقطاع

[يتيهون] التيه : الحيرة والضياع.

سبب النزول :

أراد يهود بني النضير أن يلقوا على رأس رسول الله (ص) الرحى ، وأن يغدروا به وبأصحابه ، فأنزل الله : [يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم..] الآية.

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تذكروا فضل الله عليكم ، بحفظه إياكم من أعدائكم
[إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم] أي يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك
[فكف أيديهم عنكم] أي عصمكم من شرهم ، ورد أذاهم عنكم
[واتقوا الله] بامتثال أوامره واجتناب نواهيه
[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أي فليثق المؤمنون بالله ، فإنه كافيهم وناصرهم.. ثم ذكر تعالى أحوال اليهود وما تنطوي عليه نفوسهم من الخيانة ونقض الميثاق ، فقال :
[ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل] أي عهدهم المؤكد باليمين
[وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا] أي وأمرنا موسى بأن يأخذ اثنى عشر نقيبا – والنقيب كبير القوم القائم بأمورهم – من كل سبط نقيب ، يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ، قال المفسرون : لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون ، أمرهم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى بالسير إلى " أريحاء " بأرض الشام ، كان يسكنها الكنعانيون الجبابرة ، وقال لهم : إنى كتبتها لكم دارا وقرارا ، فجاهدوا من فيها فإني ناصركم ، وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيبا ، فاختار النقباء وسار بهم ، فلما دنا من أرض كنعان بعثهم يتجسسون الأخبار ، فرأوا قوما أجسامهم عظيمة ، ولهم قوة وشوكة ، فهابوهم ورجعوا وحدثوا قومهم ، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون ، فنكثوا الميثاق وتحدثوا إلا اثنين منهم ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة

[وقال الله إنى معكم] أي ناصركم ومعينكم

[لئن أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة] اللام للقسم أي وأقسم لكم يا بني إسرائيل ، لئن أديتم ما فرضت عليكم ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

[وآمنتم برسلي وعزرتموهم] أي وصدقتم برسلي ونصرتموهم ، ومنعتموهم من الأعداء

[وأقرضتم الله قرضا حسنا] أي بالإنفاق في سبيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخير ابتغاء مرضاة الله

[لأكفرن عنكم سيئاتكم] أي لأمحون عنكم ذنوبكم ، وهذا جواب القسم ، قال البيضاوي : وقد سد مسد جواب الشرط

[ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي تجري من تحت غرفها وقصورها أنهار الجنة

[فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل] أي من كفر بعد ذلك الميثاق ، فقد أخطأ الطريق السوي ، وضل ضلالا لا شبهة فيه

[فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم] أي بسبب نقضهم الميثاق طردناهم من رحمتنا

[وجعلنا قلوبهم قاسية] أي جافة جافية لا تلين لقبول الإيمان

[يحرفون الكلم عن مواضعه] قال ابن كثير : تأولوا كتابه – التوراة – على غير ما أنزله ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا على الله ما لم يقل ، ولا جرم أعظم من الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونسوا حظا مما ذكروا به] أي تركوا نصيبا وافيا مما أمروا به في التوراة

[ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم] أي لا تزال يا محمد تظهر على خيانة منهم ، بنقض العهود ، وتدبير المكايد ، فالغدر والخيانة عادتهم وعادة أسلافهم ، إلا قليلا منهم ممن أسلم

[فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين] أي لا تعاقبهم واصفح عمن أساء منهم ، وهذا منسوخ بآية السيف والجزية كما قال الجمهور

[ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم] أي ومن الذين ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ، أخذنا منهم أيضا الميثاق ، على توحيد الله والإيمان بمحمد رسول الله

[فنسوا حظا مما ذكروا به] أي فتركوا ما أمروا به في الإنجيل ، من الإيمان بالأنبياء ، ونقضوا الميثاق

[فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة ، قال ابن كثير : ولا يزالون متباغضين متعادين ، يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، وكل فرقة تمنع الأخرى دخول معبدها.. وهكذا نجد الأمم الغربية – وهم أبناء دين واحد – يتفنن بعضهم في إهلاك بعض ، فمن مخترع للقنبلة الذرية الى مخترع للقنبلة الهيدروجينية ، وهي مواد مدمرة ، لا يمكن أن يتصور العقل ما تحدثه من تلف بالغ ، وهلاك شامل! ؟ فالله يهلكهم بأموالهم وأيديهم [إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون] ثم قال تعالى :

[وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون] تهديد لهم ، أي سيلقون جزاء عملهم القبيح

[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب] الخطاب لليهود والنصارى ، أي يا معشر أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد (ص) بالدين الحق ، يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتابكم من الإيمان به ، ومن آية الرجم ، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة ، وغير ذلك مما كنتم تخفونه

[ويعفو عن كثير] أي يتركه ولا يبينه ، وإنما يبين لكم ما فيه حجة على نبوته ، وشهادة على صدقه ، ولو ذكر كل شيء لفضحكم. قال في التسهيل : وفي الآية دليل على صحة نبوته ، لأنه بين ما أخفوه في كتبهم ، وهو أمي لم يقرأ كتبهم

[قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين] أي جاءكم نور هو القرآن ، لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك ، وهو كتاب مبين ظاهر الإعجاز

[يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام] أي يهدي بالقرآن من اتبع رضا الرحمن ، ويوضح لهم طرق النجاة والسلامة

[ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه] أي يخرجهم من ظلمات الكفر ، إلى نور الإيمان بتوفيقه وإرادته

[ويهديهم إلى صراط مستقيم] هو دين الإسلام.. ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر تعالى إفراط النصارى في شأن عيسى ، حتى اعتقدوا ألوهيته ، فقال سبحانه :

[لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم] أي جعلوه إلها وهم فرقة من النصارى ، زعموا أن الله حل في عيسى ، ولهذا نجد في كتبهم " وجاء الرب يسوع " وأمثاله ، ويسوع عندهم هو عيسى ((قال أبو حيان : " ذكر سبحانه أن من النصارى من قال إن المسيح هو (الله) ، ومنهم من قال هو (ابن الله) ، ومنهم من قال هو (ثالث ثلاثة) ، ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من تستر بالاسلام ظاهرا وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول ب " الاتحاد والوحدة " كالحلاج والصفار وابن اللباج وأمثالهم وانما ذكرتهم نصحا لدين الله " وقد أولع جهلة من ينتمي إلى التصوف بتعظيم هولاء وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه " انتهى من البحر المحيط))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا] أي قل لهم يا أيها الرسول : لقد كذبتم فمن الذين يستطيع أن يدفع عذاب الله من أهل الأرض ، لو أراد أن يهلك المسيح وأمه وأهل الأرض جميعاً ؟ فعيسى عبد مقهور ، معرض للفناء كسائر المخلوقات ، ومن كان بهذه الصفة فهو بمعزل عن الألوهية ، ولو كان إلها لقدر على تخليص نفسه من الموت

[ولله ملك السموات والأرض وما بينهما] أي من الخلق والعجائب

[يخلق ما يشاء] أي هو قادر على أن يخلق ما يريد ، ولذلك خلق عيسى من غير أب

[والله على كل شيء قدير] أي لا يعجزه شيء ، ثم حكى عن اليهود والنصارى افتراءهم فقال سبحانه :

[وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه] أي نحن من الله بمنزلة الأبناء من الآباء ، ونحن أحباؤه لأننا شعبه المختار ، قال ابن كثير : أي نحن منتسبون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أنبيائه ، وهم بنوه ، وله بهم عناية خاصة وهو يحبنا

[قل فلم يعذبكم بذنوبكم] ؟ أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وافترائكم ؟

[بل أنتم بشر ممن خلق] أي أنتم بشر كسائر الناس ، وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده

[يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء] أي يغفر لمن شاء من عباده ويعذب من شاء ، لا اعتراض لحكمه ولا راد لأمره

[ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير] أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ، وإليه المرجع والمآب.. ثم دعاهم إلى الإيمان بخاتم المرسلين فقال سبحانه :

[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل] أي يا معشر اليهود والنصارى لقد جاءكم محمد (ص) يوضح لكم شرائع الدين ، على انقطاع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الرسل ، ودروس من الدين ، وكانت الفترة بين " عيسى " و " محمد " مدتها خمسمائة وستون سنة ، لم يبعث فيها رسول

[أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير] أي لئلا تحتجوا وتقولوا : ما جاءنا من رسول يبشرنا وينذرنا!!

[فقد جاءكم بشير ونذير] هو محمد (ص)

[والله على كل شيء قدير] قال ابن جرير : أي قادر على عقاب من عصاه ، وثواب من أطاعه.. ثم ذكر تعالى ما عليه اليهود من العناد والجحود فقال سبحانه :

[وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم] أي اذكر يا أيها الرسول حين قال موسى لبني إسرائيل : يا قوم تذكروا نعمة الله العظمى عليكم ، واشكروه عليها

[إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا] أي حين بعث فيكم الأنبياء ، يرشدونكم إلى معالم الدين ، وجعلكم تعيشون كالملوك ، لا يغلبكم غالب بعد أن كنتم مملوكين لفرعون ، مقهورين فأنقذكم منه بإغراقه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال البيضاوي : لم يبعث في أمة كما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء

[وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين] أي من أنواع الإنعام والإكرام ، من فلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ونحوها

[يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم]

قال البيضاوي : هي أرض بيت المقدس ، سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين ومعنى

[التي كتب الله لكم] أي التي وعدكموها على لسان أبيكم إسرائيل ، وقضى أن تكون لكم

[ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين] أي ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة ، قال في التسهيل : روي أنه لما أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة ، خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يرجعوا إلى مصر

[قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين] أي عظام الأجسام ، طوال القامة ، لا قدرة لنا على قتالهم وهم "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمالقة " من بقايا عاد

[وإنا لم ندخلها حتى يخرجوا منها] أي لن ندخلها حتى يسلموها لنا من غير قتال

[فإن يخرجوا منها فإنا داخلون] أي لا يمكننا الدخول ما داموا فيها ، فإن خرجوا منها دخلناها

[قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما] أي فلما جبنوا حرضهم رجلان من النقباء ، ممن يخاف أمر الله ، ويخشى عقابه ، وفيهما الصلاح واليقين ، قائلين :

[ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموهم فإنكم غالبون] أي قالا لهم : لا يهولنكم عظم أجسامهم ، فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة ، فإذا دخلتم عليهم باب المدينة ، غلبتموهم بإذن الله

[وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين] أي اعتمدوا على الله ، فإنه ناصركم إن كنتم حقا مؤمنين

[قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون] وهذا إفراط منهم في العصيان ، مع سوء الأدب ، بعبارة تفضي إلى الكفر والاستهانة بالله ورسوله ، وأين هؤلاء من الصحابة الأبرار ، الذين قالوا لرسول الله (ص) : لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ، ولكن نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؟ !

[قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين] أي قال موسى حينذاك ، معتذرا إلى الله متبرءا من مقالة السفهاء : يا رب لا أملك قومي ، لا أملك إلا نفسي وأخي هارون ، فافصل بيننا وبين الخارجين عن طاعتك بحكمك العادل

[قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض] استجاب الله دعاءه ، وعاقبهم في التيه أربعين سنة ، والمعني : قال الله لموسى : إن الأرض المقدسة محرم عليهم دخولها مدة أربعين سنة يسيرون متحيرين في الأرض ، ولا يهتدون إلى الخروج منها

[فلا تأس على القوم الفاسقين] أي لا تحزن عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنهم فاسقون مستحقون للعقاب ، قال في التسهيل : روي أنهم كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

البلاغة :

1- [أن يبسطوا إليكم أيديهم] بسط الأيدي كناية عن البطش والفتك ، وكف الأيدى كناية عن المنع والحبس ، فهو من الكنايات اللطيفة.

2- [وبعثنا منهم] فيه التفات عن الغيبة إلى المتكلم ، ومقتضى الظاهر وبعث منهم ، وإنما التفت اعتناء بشأنه.

3- [ويخرجهم من الظلمات إلى النور] فيه استعارة ، حيث استعار الظلمات للكفر ، والنور للإيمان ، وهو من لطيف أنواع الاستعارة.

4- [وجعلكم ملوكاً] فيه تشبيه بليغ أي كالملوك في رغد العيش وراحة البال ، فحذف أداة الشبه ووجه الشبه ، فلا سمي بالتشبيه البليغ.

5- الطباق بين [يغفر .. ويعذب] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- [أنعم الله عليهما] جملة اعتراضية لبيان فضل الله على عباده الصالحين.

الفوائد :

الأولى : إنما سميت الأرض " المقدسة " أي المطهرة ، لسكنى الأنبياء المطهرين فيها ، فشرفت وطهرت بهم ، فالظرف طاب بالمظروف.

الثانية : قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فسكت ولم يرد عليه ، فتلا عليه الصوفي هذه الآية [قل فلم يعذبكم بذنوبكم] ففي الآية دليل على أن المحب لا يعذب حبيبه ، ذكره الحافظ ابن كثير.

قال الله تعالى : [واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق.. إلى .. ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير] من آية (27) إلى نهاية آية (40).

المناسبة :

لما ذكر تعالى تمرد بني إسرائيل ، وعصيانهم لأمر الله ، في قتال الجبارين ، ذكر قصة ابني آدم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعصيان " قابيل " أمر الله ، وإقدامه على قتل النفس البريئة التى حرمها الله ، فاليهود اقتفوا في العصيان ، شأن أول عاص لله في الأرض ، فطبيعة الشر فيهم مستقاة من ولد آدم الأول ، فاشتبهت القصتان من حيث التمرد والطغيان ، ثم ذكر تعالى عقوبة قطاع الطريق والسراق ، الخارجين على أمن الدولة ، والمفسدين في الأرض بأنواع البغي والفساد.

اللغة :

[قربانا] القربان ما يتقرب به إلى الله

[تبوء] ترجع يقال : باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل

[فطوعت] سولت وسهلت ، يقال : طاع الشيء إذا سهل وانقاد ، وطوعه له أي سهله

[يبحث] يفتش وينقب

[سوأة] السوأة : العورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا ويلتا] كلمة تحسر وتلهف ، قال سيبويه : كلمة تقال عند الهلكة

[ينفوا] نفاه : طرده ، وأصله الإهلاك ومنه النفاية لرديء المتاع

[خزي] الخزي : الفضحية والذل ، يقال : أخزاه الله أي فضحه وأذله

[الوسيلة] كل ما يتوسل به إلى الله من عمل صالح

[نكالا] عقوبة.

سبب النزول :

عن أنس أن رهطاً من عرينة قدموا على رسول الله (ص) فاجتووا المدينة – استوخموها – فبعثهم رسول الله (ص) إلى إبل الصدقة وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلما صحوا قتلوا راعي النبي (ص) واستاقوا النعم ، فأرسل رسول الله (ص) في آثارهم ، فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة حتى ماتوا ، فنزلت [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..] الأية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق] أي اقرأ يا أيها الرسول على هؤلاء الحسدة من اليهود وأشباههم ، خبر " قابيل وهابيل " ابني آدم ، بالحق والصدق ، [إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر] أي حين قرب كل منهما قربانا ، فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل ، قال المفسرون : سبب هذا القربان ، أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى ، وكان يزوج الذكر من هذا البطن ، بالأنثى من البطن الآخر ، فلما أراد آدم أن يزوج قابيل أخت هابيل ، ويزوج هابيل أخت قابيل ، رضي هابيل وأبى قابيل ، لأن توأمته كانت أجمل ، فقال لهما آدم : قربا قربانا فمن أيكما تقبل تزوجها ، وكان " قابيل " صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان " هابيل " صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده ، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته ، فازداد قابيل حسدا وسخطا عليه وتوعده بالقتل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال لأقتلنك] أي قال قابيل لأخيه هابيل لأقتلنك قال : لم ؟ قال : لأنه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني ، قال : وما ذنبي ؟

[قال إنما يتقبل الله من المتقين] أي إنما يتقبل ممن اتقى ربه وأخلص نيته ، قال البيضاوي : توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل ، قربانه ، فأجابه بأنك أتيت من قبل نفسك ، بترك التقوى لا من قبلي ، وفيه إشارة إلى أن الطاعة لا تقبل ، إلا من مؤمن متق الله

[لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك] أي لئن مددت إلي يدك ظلماً لأجل قتلي ، ما كنت لأقابلك بالمثل ، قال ابن عباس : أي ما أنا بمنتصر لنفسي

[إني أخاف الله رب العالمين] أي لا أمد يدي إليك لأني أخاف رب العالمين ، قال الزمخشري : كان هابيل أقوى من القاتل ، ولكنه تحرج عن قتل أخيه ، خوفا من الله تعالى

[إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار] أي إن قتلتني فذاك أحب إلي من أن أقتلك ، قال أبو حيان : المعنى إن سبق بذلك قدر ، فاختياري أن أكون مظلوما ، ينتصر الله لي ، لا ظالما وقال ابن عباس : المعنى لا أبدؤك بالقتل لترجع بإثم قتلي إن قتلتني ، وإثمك الذي كان منك قبل قتلي ، فتصير من أهل النار

[وذلك جزاء الظالمين] أي عقاب من تعدى وعصى الله

[فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين] أي زينت له نفسه وسهلت له قتل أخيه ، فقتله فخسر وشقي ، قال ابن عباس : خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر

[فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه] أي أرسل الله غرابا يحفر بمنقاره ورجله الأرض ، ليري القاتل كيف يستر جسد أخيه ، قال مجاهد : بعث الله غرابين فاقتتلا ، حتى قتل أحدهما صاحبه ، ثم حفر له فدفنه ، وكان هابيل أول من قتل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولما قتله تركه بالعراء ، ولم يدر كيف يدفنه ، حتى رأى الغراب يدفن صاحبه ، فلما رآه قال

[قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي] أي قال قابيل متحسرا : يا ويلي ويا هلاكى ، أضعفت أن أكون مثل هذا الطير ، فأستر جسد أخي في التراب ، كما فعل هذا الغراب ؟

[فأصبح من النادمين] أي صار نادما على عدم الاهتداء إلى دفن أخيه ، لا عل قتله ، قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة له

[من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض] أي من أجل حادثة " قابيل وهابيل " وبسبب قتله لأخيه ظلما ، فرضنا وحكمنا على بني إسرائيل ، أن من قتل منهم نفسا ظلما ، بغير أن يقتل نفسا فيستحق القصاص ، وبغير فساد يوجب إهدار الدم ، كالردة وقطع الطريق

[فكأنما قتل الناس جميعا] أي فكأنه قتل جميع الناس ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال البيضاوي : من حيث إنه هتك حرمة الدماء وسن القتال ، وجرأ الناس عليه ، والمقصود منه تعظيم قتل النفس في القلوب ، ترهيبا عن التعرض لها ، وترغيبا في المحاماة عليها

[ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا] أي ومن تسبب لبقاء حياتها واستنقذها من الهلكة فكأنه أحيا جميع الناس ، قال ابن عباس : من قتل نفسا واحدة حرمها الله ، فهو مثل من قتل الناس جميعا ، ومن امتنع عن قتل نفس حرمها الله وصان حرمتها خوفا من الله ، فهو كمن أحيا الناس جميعا

[ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات] أي جاءتهم رسلنا بالمعجزات الساطعات ، والآيات الواضحات

[ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون] أي ثم إنهم بعد تلك الزواجر كلها يسرفون في القتل ، ولا يبالون بعظمته ، قال ابن كثير : هذا تقريع وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها ، وقال الرازي : إن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة ، أقدموا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على قتل الأنبياء والرسل ، وذلك يدل على غاية قساوة قلوبهم ، ونهاية بعدهم عن طاعة الله تعالى ، ولما كان الغرض من ذكر هذه القصص تسلية الرسول (ص) لأنهم عزموا على الفتك به وبأصحابه ، كان تخصيص بني إسرائيل بهذه المبالغة العظيمة مناسبا للكلام ، ومؤكدا للمقصود.. ثم ذكر تعالى عقوبة قطاع الطريق فقال

[إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله] أي يحاربون شريعة الله ، ودينه وأولياءه ويحاربون رسوله

[ويسعون في الأرض فسادا] أي يفسدون في الأرض بالمعاصي وسفك الدماء

[أن يقتلوا] أي يقتلوا جزاء بغيهم

[أو يصلبوا] أي يقتلوا ويصلبوا زجرا لغيرهم ، والصيغة للتكثير

[أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف] معناه أن تقطع يده اليمنى ، ورجله اليسرى

[أو ينفوا من الأرض] أي يطردوا ويبعدوا من بلد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى بلد آخر ((قال الشافعي : النفي يكون من بلد إلى بلد ، لا يزال يطلب وهو هارب فزعا ، وقال أبو حنيفة : النفي : السجن ، واختار ابن جرير أن المراد بالنفي ههنا أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه))

[ذلك لهم خزي في الدنيا] أي ذلك الجزاء المذكور ، ذل لهم وفضيحة في الدنيا

[ولهم في الآخرة عذاب عظيم] هو عذاب النار ، ودلت الآية على أن الإمام بالخيار إن شاء قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء قطع الأيدى والأرجل ، وإن شاء نفي وهو مذهب مالك. وقال ابن عباس : لكل رتبة من الحرابة رتبة من العقاب ، فمن قتل قتل ، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن اقتصر على أخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، ومن أخاف فقط نفي من الأرض ، وهذا قول الجمهور ،

[إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم] أى لكن الذين تابوا من المحاربين وقطاع الطريق ، قبل القدرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أخذهم وعقوبتهم

[فأعلموا ان الله غفور رحيم] أى هو سبحانه واسع المغفرة والرحمة ، لمن تاب وأناب ، يقبل توبته ويغفر زلته . . ثم أمر تعالى المؤمنين بالتقوى والعمل الصالح فقال سبحانه

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة] أى خافوا عقابه ، واطلبوا ما يقربكم إليه ، من طاعته وعبادته ، قال قتادة : تقربوا اليه بطاعته والعمل ثما يرضيه

[وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون] أى جاهدوا لإعلاء دينه ، لتفوزوا بنعيم الأبد

[إن الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه] أى لو كان لكل كافر جميع ما في الأرض ، من خيرات وأموال ومثله معه

[ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم] أى وأراد ان يفتدي بها نفسه من عذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، ما نفعه ذلك ، وله عذاب مؤلم موجع

[يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم] أى دائم لا ينقطع ، وفي الحديث الشريف (يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك ؟ ألا تشرك بي فأبيت ، فيؤمر به إلى النار) . ثم ذكر تعالى عقوبة السارق فقال

[والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما] أى كل من سرق ، رجلا كان أو امرأة فاقطعوا يده

[جزاء بما كسبا] أى مجازاة لهما على فعلهما القبيح

[نكالا من الله] أى عقوبة من الله

[والله عزيز حكيم] أى حكيم في شرعه ، فلا يأمر بقطع اليد ظلما

[فمن تاب من بعد ظلمه] أى رجع عن السرقة

[وأصلح] أى أصلح سيرته وعمله

[فإن الله يتوب عليه] أى يقبل توبته فلا يعذبه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاخرة

[إن الله غفور رحيم] أى مبالغ في المغفرة والرحمة . . ثم نبه تعالى على واسع ملكه ، وأنه لا معقب لحكمه فقال سبحانه

[ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض] أى ألم تعلم أيها المخاطب ان الله تعالى له السلطان القاهر ، والملك الباهر ، وبيده ملكوت السموات والأرض ؟ والاستفهام للتقرير

[يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير] أى يعذب من يشاء تعذيبه ، ويغفر لمن يشاء غفران ذنبه ، وهو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء! !

البلاغة :

1 - الطباق بين كلمة [قتل . . وأحيا] وهو من المحسنات البديعية وكذلك بين [يعذب . . ويغفر] .

2 - [يحاربون الله] هو على حذف مضاف أى يحاربون أولياء الله لأن الله لا يحارب ولا يغالب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - الاستعارة [ومن أحياها] لأن المراد استبقاها ولم يتعرض لقتلها ، وإحياء النفس بعد موتها لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

4 - [لو ان لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به] قال الزمخشري : هذا تمثيل للزوم العذاب لهم ، وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه من الوجوه .

5 - طباق السلب [لئن بسطت . . ما أنا بباسط يدى] .

الفوائد :

الأولى : النفي من الأرض كما يكون بالطرد والإبعاد يكون بالحبس ، ولهذا قال مالك رحمه الله : النفى : السجن ينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها ، قال الشاعر وهو في السجن يرثى لحاله : خرجنا عن الدنيا وعن وصل أهلها فلسنا من الاحيا ولسنا من الموتى إذا جاءنا السجان يوما لحاجتن عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : السر في تقديم السارق على السارقة هنا ، وتقديم الزانية على الزاني في قوله [الزانية والزاني فاجلدوا] ان الرجل على السرقة أجرأ ، والزنى من المرأة أشنع وأقبح ، فناسب تقديم ذكر كل منهما في المقام .

الثالثة : قال الاصمعي : قرأت يوما هذه الآية [والسارق والسارقة] والى جنبي أعرابي فقلت [والله غفور رحيم] سهوا فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ قلت : كلام الله قال : ليس هذا بكلام الله ، أعد فأعدت وتنبهت فقلت [والله عزيز حكيم] فقال : نعم هذا كلام الله ، فقلت : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا ، قلت : فمن أين علمت اني أخطات ؟ فقال يا هذا : عز فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع .

الرابعة : أعترض بعض الملحدين على الشريعة الغراء ، في قطع يد السارق بالقليل من المال ، ونظم ذلك شعرا فقال :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دينار ؟

تحكم ما لنا الا السكوت له وان نعوذ بمولانا من النار

فأجابه بعض الفضلاء بقوله :

عز الامانة اغلاها وارخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

أى لما كانت أمينة كانت ثمينة ، فلما خانت هانت ، ويا له من قول سديد ، وحكمة بليغة! !

" كلمة وجيزة حول قطع يد السارق "

يعيب بعض الغربين على الشريعة الاسلامية قطع يد السارق ، ويزعمون ان هذه العقوبة صارمة ، لا تليق ثمجتمع متحضر ، ويقولون : يكفي في عقوبته السجن ردعا له ، وكان من أثر هذه الفلسفة التي لا تستند على منطق سليم ، أن زادت الجرائم وكثرت العصابات ، وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطاع الطريق الذين يهددون الأمن والإستقرار ، يسرق السارق وهو أمن مطمئن لا يخشى شيئا ، اللهم إلا ذلك السجن الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ياوى اليه المجرم ، وهو له ضيافة كالفندق ، يطعم ويكسى فيه ، فيقضي مدة العقوبة التي فرضها عليه القانون الوضعى ، لم يخرج منه وهو إلى الاجرام أميل ، وعلى الشر أقدر ، يؤكد هذا ما نقرؤه ونسمعه عن تعدد الجرائم وزيادتها يوما بعد يوم ، وذلك لقصور العقل البشري عن الوصول الى الدواء الناجع ، والشفاء النافع ، لمعالجة مثل هذه الأمراض الخطيرة ، أما الاسلام فقد استطاع ان يقتلع الشر من جذوره ، ويد واحدة تقطع ، كافية لردع المجرمين ، فيا له من تشريع حكيم !

قال الله تعالى : [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر . . إلى . . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون] من آية (41) الى نهآية آية (50) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة ابني آدم ، وذكر أحكام الحرابة والسرقة ، أعقبه بذكر أمر المنافقين ، وأمر رسوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) ألا يحزن لما يناله من أذى ، من أعداء الانسانية ، من اليهود وغيرهم ، فالله سيعصمه من شرهم ، وينجيه من مكرهم .

اللغة :

[يحزنك] الحزن والحزن خلاف السرور

[السحت] : الحرام سمي بذلك لأنه يسحت الطاعات أى يذهبها ويستاصلها ، وأصل السحت : الهلاك ، قال تعالى : [فيسحتكم بعذاب] أى يستأصلكم ويهلككم

[الأحبار] جمع حبر وهو العالم مأخوذ من التحبير وهو التحسين

[وقفينا] أتبعنا

[مهيمنا] المهيمن : الرقيب على الشيء الحافظ له ، من هيمن عليه أى راقبه وياتي ثمعنى العالي والمرتفع على الشيء

[شرعة] الشرعة : السنة والطريقة يقال : شرع لهم أى سن لهم

[منهاجا] المنهاج : الطريق الواضح) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبب النزول :

عن البراء بن عازب قال : مر على النبي (ص) بيهودي محمما مجلودا فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا : نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا ، ولولا انك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم ت فقال رسول الله (ص) : اللهم إني أول من أحيا امرك إذ اماتوه ، فأمر به فرجم فأنزل الله [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر] إلى قوله [إن اوتيتم هذا فخذوه] يقولون : إئتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وان افتاكم بالرجم فاحذروا .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر] الخطاب للرسول (ص) على وجه التسلية أى لا تتأثر يا محمد ولا تحزن لصنيع الذين يتسابقون نحو الكفر ، ويقعون فيه بسرعة

[من الذين قالوا آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم] أى من المنافقين الذين لم يجاوز الايمان أفواههم ، يقولون بألسنتهم آمنا وقلوبهم كافرة

[ومن الذين هادوا] أى ومن اليهود

[سماعون للكذب] أى هم مبالغون في سماع الأكاذيب والأباطيل ، وفي قبول ما يفتريه أحبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه

[سماعون لقوم آخرين لم يأتوك] أى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين ، لم يحضروا مجلسك تكبرا وافراطا في العداوة والبغضاء ، وهم (يهود خيبر) ، والسماعون للكذب (بنو قريظة)

[يحرفون الكلم من بعد مواضعه] أى يزيلونه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويميلونه عن مواضعه ، بعد أن وضعه الله تعالى فيها ، والمراد تحريف أحكام الله وتغييرها بأحكام أخرى .

قال ابن عباس : هي حدود الله في التوراة غيروا الرجم بالجلد والتحميم - يعني تسويد الوجه -

[يقولون إن أوتيتم هذا فخدوه وإن لم تؤتوه فاحذروا] أى إن امركم محمد بالجلد فاقبلوا ، وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا ، قال تعالى ردا عليهم

[ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا] أى ومن يرد الله كفره وضلاله ، فلن يقدر أحد على دفع ذلك عنه

[اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم] أى خذلهم الله ، فلم يطهر قلوبهم من رجس الكفر ، وخبث الضلالة ، لقبح صنيعهم وسوء اختيارهم

[لهم في الدنيا خزي] أى ذل وفضيحة

[ولهم في الآخرة عذاب عظيم] هو الخلود في نار جهنم ، قال ابو حيان : والآية جاءت تسلية للرسول (ص) وتخفيفا عنه من ثقل حزنه على مسارعتهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفر وقطعا لرجائه من فلاحهم

[سماعون للكذب] أى الباطل كرره تأكيدا وتفخيما

[أكالون للسحت] أى الحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك

[فإن جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم] أي إن تحاكموا اليك يا محمد فيما شجر بينهم من الخصومات ، فأنت مخير بين أن تحكم بينهم وبين أن تعرض عنهم ، قال ابن كثير : أى إن جاءوك يتحاكمون اليك فلا عليك ألا تحكم بينهم لإنهم لا يقصدون بتحاكمهم اليك اتباع الحق ، بل ما يوافق اهواءهم

[وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا] أى لان الله عاصمك وحافظك من الناس

[وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين] أى فأحكم بينهم بالعدل والحق ، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ، لأن الله يحب العادلين . . ثم قال تعالى منكرا عليهم مخالفتهم لاحكام التوراة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله] أى كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود ويرضون بحكمك ، وعندهم التوراة فيها حكم الله يرونه ولا يعملون به ؟

قالى الرازي : هذا

تعجيب من الله تعالى لنبيه (ص) بتحكيم اليهود اياه بعد علمهم ثما في التوراة من حد الزاني ، ثم تركهم قبول ذلك الحكم ، فعدلوا عما يعتقدونه حكما حقا ، الى ما يعتقدونه باطلا ، طلبا للرخصة فظهر بذلك جهلهم وعنادهم

[ثم يتولون من بعد ذلك] أى يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ، بعد ان وضح لهم الحق وبان

[وما اولئك بالمؤمنين] أى ليسوا ثمؤمنين ، لإنهم لا يؤمنون بكتابهم (التوراة) لإعراضهم عنه وعن حكمك الموافق لما فيه ، قال في التسهيل : وهذا الزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه

الإيمان باطلة . . ثم مدح تعالى التوراة بأنها نور وضياء فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور] اي انزلنا التوراة على موسى فيها بيان واضح ونور ساطع ، يكشف ما اشتبه من الاحكام

[يحكم بها النبيون الذين اسلموا] أى يحكم بالتوراة انبياء بني اسرائيل ، الذين انقادوا لحكم الله

[للذين هادوا] أى يحكمون بالتوراة لليهود ، لا يخرجون عن حكمها ، ولا يبدلونها ولا يحرفونها

[والربانيون والأحبار] أى العلماء منهم والفقهاء

[بما استحفظوا من كتاب الله] أى بسبب أمر الله اياهم بحفظ كتابه ، من التحريف والتضييع

[وكانوا عليه شهداء] أى رقباء لئلا يبدل ويغير

[فلا تخشوا الناس واخشون] أى لا تخافوا يا علماء اليهود الناس ، في إظهار ما عندكم من نعت محمد (ص) والرجم ، بل خافوا مني في كتمان ذلك

[ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا] أى ولا تستبدلوا بآياتي حطام الدنيا الفاني ، من الرشوة والجاه ، والعرض الخسيس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون] أى من لم يحكم بشرع الله فقد كفر ، وقال الزمخشري : ومن لم يحكم ثما انزل الله ، مستهينا به فاولئك هم (الكافرون) و(الظالمون) و(الفاسقون) ، وهو وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهزاء والاستهانة ، وتمردوا بأن حكموا بغيرها قال ابو حيان : والآية وإن كان الظاهر من سياقها أن الخطاب فيها لليهود ، إلا انها عامة في اليهود وغيرهم . . وكل آية وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاه المؤمنين

[وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس] أى فرضنا على اليهود في التوراة ان النفس تقتل بالنفس

[والعين بالعين] أى تفقأ بالعين اذا فقئت بدون حق

[والأنف بالأنف] أي يجدع بالانف اذا قطع ظلما

[والأذن بالأذن] أى تقطع بالأذن

[والسن بالسن] أى يقلع بالسن

[والجروح قصاص] أى يقتص من جانيها بأن يفعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به مثل ما فعله بالمجنى عليه ، وهذا في الجراح التي يمكن فيها المماثلة ، ولا يخاف على النفس منها

[فمن تصدق به فهو كفارة له] قال ابن عباس : أى فمن عفا عن الجاني وتصدق عليه ، فهو كفارة للمطلوب واجر للطالب وقال الطبري : من تصدق من اصحاب الحق وعفا فهو كفارة له أى للمتصدق ، ويكفر الله ذنوبه لعفوه واسقاطه حقه

[ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون] أى المبالغون في الظلم لمخالفة شرع الله

[وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة] أى اتبعنا على آثار النبيين بعيسى ابن مريم ، وارسلناه عقيبهم مصدقا لما تقدمه من التوراة

[واتيناه الانجيل فيه هدى ونور] أى أنزلنا عليه الإنجيل فيه هدى الى الحق ، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات

[ومصدقا لما بين يديه من التوراة] أى معترفا بأنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من عند الله ، والتكرير لزيادة التقرير

[وهدى وموعظة للمتقين] أى وهاديا وواعظا للمتقين

[وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه] اي وأتينا عيسى ابن مريم (الإنجيل) وأمرناه واتباعه بالحكم به

[ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون] أى المتمردون الخارجون عن الايمان وطاعة الله

[وانزلنا اليك الكتاب بالحق] أى وانزلنا اليك يا محمد القرآن بالعدل ، والصدق الذي لا ريب فيه

[مصدقا لما بين يديه من الكتاب] أى مصدقا للكتب السماوية التي سبقته

[ومهيمنا عليه] أى مؤتمنا عليه وحاكما على ما قبله من الكتب ، قال الزمخشري : أى رقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات قال ابن كثير : اسم المهيمن يتضمن ذلك فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، جمع الله فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره

[فأحكم بينهم بما انزل الله] أى فأحكم يا محمد بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس ثما أنزل الله اليك في هذا الكتاب العظيم
[ولا تتبع أهواءههم عما جاءك من الحق] أى لا توافقهم على اغراضهم الفاسدة ، عادلا عما جاءك في هذا القرآن ، قال ابن كثير : أى لا تتصرف عن الحق الذي أمرك الله به ، الى أهواء هولاء من الجهلة الاشقياء
[لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا] أى لكل أمة جعلنا شريعة وطريقا بينا واضحا خاصا بتلك الامة ، قال ابو حيان : لليهود شرعة ومنهاج ، وللنصارى كذلك والمراد منهج في الاحكام ، وأما المعتقد فواحد لجميع الناس ، توحيد وإيمان بالرسل وجميع الكتب ، وما تضمنته من المعاد والجزاء
[ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة] أى لو اراد الله لجمع الناس كلهم على دين واحد ، وشريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها الآخر
[ولكن ليبلوكم فيما أتاكم] أى شرع الشرائع مختلفة ليختبر العباد ، هل يذعنون لحكم الله ام يعرضون ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فخالف بين الشرائع لينظر المطيع من العاصي

[فاستبقوا الخيرات] أى فسارعوا الى ما هو خير لكم من طاعة الله وإتباع شرعه

[الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون] أى معادكم ومصيركم أيها الناس الى الله يوم القيامة ، فيخبركم ثما اختلفتم فيه من أمر الدين ، ويجازيكم باعمالكم

[وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم] اي احكم بين اهل الكتاب بهذا القرآن ، ولا تتبع أهواءهم الزائفة

[واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك] أى احذر هؤلاء الأعداء أن يصرفوك عن شريعة الله ، فإنهم كذبة كفرة خونة

[فإن تولوا فأعلم إنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم] أى فإن اعرضوا عن الحكم ثما انزل الله ، وارادوا غيره فأعلم يا محمد انما يريد الله ان يعاقبهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ببعض إجرامهم

[وإن كثيرا من الناس لفاسقون] أى اكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم ، مخالفون للحق منهمكون في المعاصي

[افحكم الجاهلية يبغون] الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، والمعنى : أيتولون عن حكمك ويبتغون غير حكم الله وهو حكم الجاهلية ؟

[ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون] أى ومن أعدل من الله في حكمه ، واصدق في بيانه ، وأحكم في تشريعه ، لقوم يصدقون بالعلي الحكيم .

البلاغة :

1 - [يا أيها الرسول] الخطاب بلفظ الرسالة للتشريف والتعظيم .

2 - [يسارعون في الكفر] إيثار كلمة " في " على كلمة " إلى " للإيماء الى إنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه ، وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه الى بعض آخر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - [سماعون للكذب] صيغة فعال للمبالغة أى مبالغون في سماع الكذب.

4 - [لهم في الدنيا خزى] تنكير الخزي للتفخيم وتكرير لهم [ولهم في الآخرة] لزيادة التقرير والتأكيد ، وبين كلمتي " الدنيا والآخرة " طباق .

5 - [وكيف يحكمونك] تعجيب من تحكيمهم لرسول الله (ص) وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه

6 - [وما اولئك بالمؤمنين] الإشارة بالبعيد للإيذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة .

7 - [فلا تخشوا الناس] خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الإلتفات ، لفتا لأنظارهم للخوف من الله ، والأصل " فلا يخشوا " .

8 - [فأستبقوا الخيرات] أى بادروا الى فعل الخيرات ، وفيه استعارة لطيفة حيث شبههم بالمتسابقين على ظهور الخيل ، إذ كل واحد ينافس صاحبه في السبق ، لبلوغ الغآية المقصودة.

الفوائد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الفخر الرازي : خاطب الله محمدا (ص) بقوله [يا أيها النبي] في مواضع كثيرة وما خاطبه بقوله [يا أيها الرسول] الا في موضعين احدهما [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر] والثاني في هذه السورة ايضا وهو قوله [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك] وهذا الخطاب لا شك إنه خطاب تشريف وتعظيم .

تنبيه :

يقول شهيد الاسلام " سيد قطب طيب الله ثراه في تفسيره الظلال ما نصه " إن الجاهلية في ضوء هذا النص القرآني البليغ [أفحكم الجاهلية يبغون] هي حكم البشر للبشر ، وعبودية البشر للبشر ، ورفض ألوهية الله والخروج من عبوديته الى عبودية غير الله ، انه مفرق الطريق ، فإما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية ، ولا وسط ولا بديل ، إما أن تنفذ شريعة الله في حياة الناس ، او ينفذ حكم الجاهلية وشريعة الهوى ومنهج العبودية لغير الله ، والجاهلية ليست فترة من الزمان ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكنها وضع من الاوضاع يوجد بالأمس واليوم وغدا ، والناس إما انهم يحكمون بشريعة الله ويقبلونها ويسلمون بها تسليما فهم اذا مسلمون ، وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر ، فهم في جاهلية جهلاء ، وهم خارجون عن شريعة الله

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . الى . . وكثير منهم ساء ما يعملون] هن آية (51) الى نهاية آية (66) .

المناسبة :

لما حكى تعالى عن أهل الكتاب أنهم تركوا العمل بالتوراة والإنجيل ، وحكم عليهم بالكفر والظلم والفسوق ، حذر تعالى في هذه الآيات من موالاة اليهود والنصارى ، ثم عدد جرائم اليهود ، وما اتهموا به الذات الإلهية المقدسة ، من شنيع الأقوال وقبيح الفعال .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دائرة] واحدة الدوائر وهي صروف الدهر ونوازله

قال الراجز : ترد عنك القدر المقدورا ودائرت الدهر أن تدورا

[حبطت] بطلت وذهبت

[تنقمون] تنكرون وتعيبون

[السحت] الحرام وقد تقدم

[مغلولة] مقبوضة ، والغل : القيد يوضع في اليد ، وهو كناية عن البخل ، وغله وضع القيد في يده

[اطفاها] الاطفاء : الاخماد حتى لا يبقى هناك أثر

[مقتصدة] أى عادلة غير متغالية ، من القصد وهو الاعتدال .

سبب النزول :

ا - عن ابن عباس قال : كان رفاعة بن زيد " و(سويد بن الحارث " قد أظهرا الاسلام ثم نافقا ، وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله [ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا . . .] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - عن ابن عباس قال : جاء نفر من اليهود الى النبي ، فسالوه عمن يؤمن به من الرسل عليهم السلام ، فقال : اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل الى قوله (ونحن له مسلمون) فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا : والله ما نعلم أهل ديني اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ، ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله [قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله] الآية .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء] نهى تعالى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى ، ينصرونهم ويستنصرون بهم ويصافونهم ويعاشرونهم معاشرة المؤمنين

[بعضهم أولياء بعض] أى هم يد واحدة على المسلمين ، لاتحادهم في الكفر والضلال ، وملة الكفر واحدة [ومن يتولهم منكم فانه منهم] أى من جملتهم وحكمه حكمهم ، قال الزمخشري : وهذا تغليظ من الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتشديد في مجانبة المخالف في الدين واعتزاله ، كما قال (ص) : " لا تراءى نارهما "

[ان الله لا يهدي القوم الظالمين] أى لا يهديهم الى الايمان .

[فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم] أى في قلوبهم شك ونفاق كعبد الله بن أبى واصحابه ، يسارعون في موالاتهم ومعاونتهم

[يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة] أي يقولون معتذرين عن موالاة الكافرين : نخاف حوادث الدهر وشروره ان يظفر اليهود بالمسلمين ، فلا يتم الامر لمحمد! !

قال تعالى ردا على مزاعمهم الفاسدة

[فعسى الله ان يأتى بالفتح] يعني فتح مكة ((هذا قول السدي وقال ابن عباس : هو ظهور النبي (ص) والمسلمين على جميع الخلق بانتصاره عليهم)) وهذه بشارة للنبى (ص) والمؤمنين بوعده تعالى بالفتح والنصرة

[أو أمر من عنده] أى يهلكهم بأمر من عنده ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكون فيه تسبب لمخلوق ، كإلقاء الرعب في قلوبهم كما فعل بنى النضير

[فيصبحوا على ما اسروا في أنفسهم نادمين] أى يصير المنافقون نادمين على ما كان منهم ، من موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى

[ويقول الذين آمنوا] أى يقول المؤمنون تعجبا من حال المنافقين اذا هتك الله سترهم

[أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم] أى حلفوا لكم يا معشر اليهود بأغلظ الايمان ، انهم لمعكم بالنصرة والمعونة ، كما حكى تعالى عنهم قولهم [وان قوتلتم لننصرنكم]

[حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين] أى بطلت أعمالهم بنفاقهم فصاروا خاسرين في الدنيا والاخرة

[يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه] خطاب على وجه التحذير والوعيد ، والمعنى : يا معشر المؤمنين من يرجع منكم عن دينه الحق ، ويبدله بدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخر ، ويرجع عن الايمان الى الكفر ((في الآية إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، وقد ارتد عن الاسلام فرق كثيرة ، منهم من ارتد فى عهد رسول الله (ص) ومنهم في عهد أبي بكر ، وقد ارتد بنو حنيفة قوم " مسيلمة الكذاب " وكتب مسيلمة إلى رسول الله (ص) من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فان الارض نصفها لي ونصفها لك فأجابه عليه السلام : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد : فان الارض لله يورثهأ من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين))

[فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه] أى فسوف يأتي الله مكانهم بأناس مؤمنين يحبهم الله ويحبون الله [أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين] أى رحماء متواضعين للمؤمنين ، أشداء متعززين على الكافرين ، قال ابن كثير : وهذه صفات المؤمنين الكمل ، ان يكون أحدهم متواضعا لاخيه متعززا على عدوه كقوله تعالى : [أشداء على الكفار رحماء بينهم] ومن علامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حب الله تعالى للمؤمن ان يكون لين الجانب ، متواضعا لإخوانه المؤمنين ، متسربلا بالعزة حيال الكافرين والمناققين

[يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم] أى يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، ولا يبالون بمن لامهم ، فهم صلاب قي دين الله لا يخافون في ذات الله أحدا

[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء] أى من اتصف بهذه الاوصاف الحميدة فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له

[والله واسع عليم] أى واسع الافضال والاحسان ، عليم بمن يستحق ذلك . . ثم لما نهاهم تعالى عن موالاة الكفرة ذكر هنا من هم حقيقون بالموالاة فقال

[إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا] أى ليس اليهود والنصارى بأوليائكم ، إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون

[الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] أى المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف الجليلة : من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وهم خاشعون متواضعون لله عز وجل ، قال في التسهيل : ذكر تعالى (الولى) بلفظ المفرد [وليكم] إفرادا لله تعالى بهما ، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول ، والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال " إنما أولياؤكم " لم يكن في الكلام أصل وتبع

[ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون] أى من يتول الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه من حزب الله ، وهم الغالبون القاهرون لاعدائهم

[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا] أى لا تتخذوا أعداء الدين الذين يسخرون من دينكم ويهزءون

[من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء] أى من هؤلاء المستهزئين " اليهود والنصارى " وسائر الكفرة ، أولياء لكم تودونهم وتحبونهم وهم أعداء لكم ، فمن إتخذ دينكم سخرية ، لا يصح لكم ان تصادقوه أو توالوه ، بل يجب ان تبغضوه وتعادوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتقوا الله ان كنتم مؤمنين] أى اتقوا الله في موالاة الكفار والفجار ، ان كنتم مؤمنين حقا . . ثم بين تعالى جانبا من استهزائهم فقال

[وإذا ناديتم الى الصلاة إتخذوها هزوا ولعبا] أى وإذا اذنتم الى الصلاة ودعوتم اليها ، سخروا منكم ومن صلاتكم ، قال في البحر : حسد اليهود الرسول (ص) حين سمعوا الآذان وقالوا : ابتدعت شيئا لم يكن للأنبياء ، فمن أين لك الصياح كصياح العير فما أقبحه من صوت ؟ فأنزل الله هذه الآية ((وقال ابو السعود عند هذه الاية : روي أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول : " أشهد ان محمدا رسول الله يقول : أحرق الله الكاذب ، فدخل خادمه ذات ليلة بنار ، وأهله نيام فتطايرت منه شرارة في البيت فأحرقته وأهله جميعا " أبو السعود)) نبه تعالى على ان من إستهزأ بالصلاة ينبغى ان لا يتخذ وليا ، بل يهجر ويطرد ، وهذه الآية جاءت كالتوكيد للآية قبلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك بأنهم قوم لا يعقلون] أى ذلك الفعل منهم بسبب إنهم فجرة ، لا يعقلون حكمة الصلاة ، ولايدركون غايتها في تطهير النفوس ، ونفى العقل عنهم ، لكونهم لم ينتفعوا به في أمر الدين ، وإن كان
لهم عقول يدركون بها مصالح الدنيا
[قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا] أى قل يا محمد : يا معشر اليهود والنصارى هل تعيبون علينا وتنكرون منا
[الا ان آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل] أى إلا إيماننا بالله وبما جاء به رسول الله ؟ قال ابن كثير : أى هل لكم علينا مطعن او عيب الا هذا ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الإستثناء منقطعا
[وان أكثركم فاسقون] أى خارجون عن الطريق المستقيم
[قل هل أنبئكم بشر من ذلك] أى هل أخبركم بما هو شر من هذا الذي تعيبونه علينا ؟
[مثوبة عند الله] أى ثوابا وجزاء ثابتا عند الله ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في التسهيل : ووضع (الثواب) موضع العقاب تهكم بهم ، نحو قوله [فبشرهم بعذاب اليم]

[من لعنه الله] أى طرده من رحمته

[وغضب عليه] أى سخط عليه بكفره ، وانهماكه في المعاصي بعد وضوح الآيات

[وجعل منهم القردة والخنازير] أى ومسخ بعضهم قردة وخنازير

[وعبد الطاغوت] أى وجعل منهم من عبد الشيطان بطاعته

[أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل] أى هؤلاء الملعونون ، الموصوفون بتلك القبائح والفضائح ، شر مكانا في الآخرة وأكثر ضلالا عن الطريق المستقيم ، قال ابن كثير والمعنى : يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه ، كيف يصدر منكم هذا ، وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ؟ قال القرطبي : ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم : يا إخوة القردة والخنازير ، فنكسوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رءوسهم افتضاحا ، وفيهم يقول الشاعر : فلعنة الله على اليهود إن اليهود إخوة القرود

[وإذا جاءوكم قالوا آمنا] الضمير يعود الى المنافقين من اليهود أى إذا جاءوكم أظهروا الاسلام

[وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به] أى والحال قد دخلوا إليك كفارا وخرجوا كفارا ، لم ينتفعوا بما سمعوا منك يا محمد من العلم ، ولا نجعت فيهم المواعظ والزواجر

[والله أعلم بما كانوا يكتمون] أى من كفرهم ونفاقهم ، وفيه وعيد شديد لهم

[وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان] أى وترى كثيرا من اليهود يسابقون فى المعاصى والظلم

[وأكلهم السحت] أى أكلهم الحرام

[لبئس ما كانوا يعملون] أى بئست أعمالهم القبيحة ، تلك الاخلاق الشنيعة

[لولا ينهاهم الربانيون والأحبار] أى هلا يزجرهم علماؤهم وأحبارهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عن قولهم الإثم وأكلهم السحت] أى عن المعاصى والآثام وأكل الحرام
[لبئس ما كانوا يصنعون] أى بئس صنيعهم ذلك ، تركهم النهي عن ارتكاب محارم الله ، قال ابن عباس : ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية - يعني على العلماء - وقال ابو حيان : تضمنت هذه الآية توبيخ العلماء والعباد ، على سكوتهم عن النهى عن معاصي الله ، وأنشد ابن المبارك : وهك أفسد الدين الا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

[وقالت اليهود يد الله مغلولة] أى قال اليهود اللعناء : ان الله بخيل يقتر الرزق على العباد ، قال ابن عباس : مغلولة أى بخيلة امسك ما عنده بخلا ، ليس يعنون ان يد الله موثقة ، ولكنهم يقولون إنه بخيل
[غلت أيدهم] دعاء عليهم بالبخل المذموم والفقر والنكد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولعنوا بما قالوا] أى أبعدهم الله من رحمته ، بسبب تلك المقالة الشنيعة

[بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء] أى بل هو جواد كريم ، سابغ الإنعام ، يرزق ويعطي كما يشاء ، قال ابو السعود : وتضييق الرزق ليس لقصور في فيضه ، بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم ، وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم

[وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا] أى وليزيدنهم هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد كفرا فوق كفرهم ، وطغيانا فوق طغيانهم ، إذ كلما نزلت آية كفروا بها ، فيزداد طغيانهم وكفرهم ، كما ان الطعام للأصحاء يزيد المرضى مرضا ، قال الطبري : أعلم تعالى نبيه انهم اهل عتو وتمرد على ربهم ، وانهم لا يذعنون لحق ، وان علموا صحته ، ولكنهم يعاندونه ، يسلي بذلك نبيه (ص) في ذهابهم عن الله وتكذيبهم إياه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة] أى ألقينا بين اليهود العداوة والبغضاء فكلمتهم مختلفة ، وقلوبهم شتى ، لا يزالون متباغضين متعادين الى قيام الساعة

[كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله] أى كلما أرادوا اشعال حرب على رسول الله (ص) أطفاها الله

[ويسعون في الأرض فسادا] أى يجتهدون في الكيد للاسلام وأهله ، ويسعون لإثارة الفتن بين المسلمين ، قال ابن كثير : أى من سجيتهم انهم دائما يسعون في الافساد في الأرض

[والله لا يحب المفسدين] أى لا يحب من كانت هذه صفته

[ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا] أى لو ان اليهود والنصارى آمنوا بالله وبرسوله حق الايمان ، وأبقوا محارم الله فاجتنبوها

[لكفرنا عنهم سيئاتهم] أى محونا عنهم ذنوبهم التي اقترفوها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولأدخلناهم جنات النعيم] أى ولأدخلناهم مع ذلك في جنات النعيم

[ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم] أى ولو ائهم استقاموا على أمر الله ، وعملوا بما فى التوراة والانجيل ، وبما أنزل اليهم في هذا الكتاب الجليل ، الذي نزل على خاتم الرسل (ص)

[لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم] أى لوسع الله عليهم الأرزاق ، وأغدق عليهم الخيرات ، بإفاضة بركات السماء والأرض عليهم

[منهم أمة مقتصدة] أى منهم جماعة معتدلة مستقيمة ، غير غالية ولا مقصرة ، وهم الذين آمنوا بمحمد (ص) كعبد الله بن سلام ، والنجاشي ، وسلمان

[وكثير منهم ساء ما يعملون] أى وكثير منهم أشرار بنى ما يعملون من قبيح الاقوال ، وسوء الفعال !

البلاغة :

1 - [أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين] بين لفظ " أعزة " و " أذلة " طباق ، وهو من المحسنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البديعية ، وكذلك بين لفظ [من فوقهم . . ومن تحت أرجلهم] طباق ايضا .

2 - [لومة لائم] في تنكير (لومة) و(لائم) مبالغة لا تخفى ، لان اللومة المرة الواحدة من اللوم ، فنكرت لافادة التقليل .

3 - [ان كنتم مؤمنين] هذا على سبيل التهييج .

4 - [هل تنقمون منا إلا ان آمنا] يسمى مثل هذا عند علماء البيان (تأكيد المدح بما يعبه الذم) ، فقد جعلوا التمسك بالايمان سببا للإنكار والنقمة .

5 - [مثوبة عند الله من لعنه الله] هذا من باب (التهكم) حيث استعملت المثوبة فى مكان العقوبة.

6 - [شر مكانا] نسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله ، وذلك مبالغة في الذم .

7 - [يد الله مغلولة] غل اليد كناية عن البخل ، وبسطها كناية عن الجود.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - [أوقدوا نارا للحرب] ايقاد النار في الحرب استعارة ، لان الحرب لا نار لها ، وانما شبهت بالنار ، لأنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها .

9 - [لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم] استعارة ايضا عن كثرة النعم وتوسعة الرزق عليهم ، كما يقال : عمه الرزق من فرقه الى قدمه .

الفوائد :

الاولى : روي ان عمر بلغه ان كاتبا نصرانيا قد استعمله " ابو موسى الاشعري " فكتب الى أبى موسى : لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ، فقال له ابو موسى : لا قوام للبصرة إلا به ، فقال عمر : مات النصراني فماذا تفعل .

الثانية : قتل مسيلمة الكذاب في عهد أبى بكر على يد " وحشى " قاتل حمزة ، وكان يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية - يريد حمزة - وشر الناس في الاسلام - يريد مسيلمة الكذاب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالثة : قال المفسرون : " عسى " من الله واجب ، لأن الكريم إذا أطمع في خيبر فعله ، فهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به.

الرابعة : قال البيضاوي فى قوله تعالى : [لولا ينهاهم الربانيون] فيها تحضيض لعلمائهم للنهى عن ذلك ، فإن [لولا] إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض .

قال الله تعالى : [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . . . الى . . ولكن كثيرا منهم فاسقون] من آية (67) الى نهاية آية (81) .

المناسبة :

لما حذر تعالى المؤمنين من موالاة الكافرين ، وهذا يستدعي مناصبتهم العداء له ولاتباعه ، أمره تعالى في هذه الآيات بتبليغ الدعوة ، ووعده بالحفظ والنصرة ، ثم ذكر تعالى طرفا من عقائد أهل الكتاب الفاسدة ، وبخاصة النصارى الذين يعتقدون بألوهية عيسى وإنه ثالث ثلاثة ، ورد عليهم بالدليل القاطع والبرهان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الساطع .

اللغة :

[يعصمك] العصمة : الحفظ والحماية

[طغيانا] الطغيان : تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه

[تأسى] تحزن يقال : أسى يأسى ، والأسى : الحزن

قال وانحلبت عيناه من فرط الأسى

[خلت] مضت

[صذيقة] الصديق : المبالغ في الصدق كما يقال رجل سكيت أى مبالغ في السكوت وسكير أى كثير السكر

[يؤفكون] يصرفون عن الحق يقال : أفكه إذا صرفه ومنه [أجئتنا لتأفكنا]

[تغلو] الغلو : التجاوز في الحد ، والتشدد في الأمر يقال : غلا في دينه غلوا تشدد فيه حتى جاوز الحد .

سبب النزول :

ا- عن ابن عباس عن النبي ، إنه قال : " لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت أن من الناس من يكذبني ، فأنزل الله [يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ربك] الآية .

ب - وعن ابن عباس قال : جاء جماعة من اليهود الى النبي ، فقالوا : الست تقر أن التوراة حق من عند الله ؟ قالى : بلى ، فقالوا : فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها ، فأنزل الله [قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل . .] الآية .

التفسير :

[يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك] هذا نداء تشريف وتعظيم ، ناداه تعالى بأشرف الأوصاف (بالرسالة الربانية) ، أى بلغ رسالة ربك غير مراقب أحدا ، ولا خائف أن ينالك مكروه

[وإن لم تفعل فما بلغت رسالته] قال ابن عباس : المعنى بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك ، فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته ، وهذا تأديب لحملة العلم من أمته ، ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته

[والله يعصمك من الناس] أى يمنعك من أن ينالوك بسوء ، قال الزمخشري : هذا وعد من الله بالحفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكلاءة ، والمعنى : والله يضمن لك العصمة من أعدائك ، فما عذرك في مراقبتهم ؟ روي أن رسول الله (ص) كان يحرس حتى نزلت الآية ، فأخرج رأسه من قبة آدم ، وقال : إنصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله عز وجل

[إن الله لا يهدي القوم الكافرين] أى إنما عليك البلاغ والله هو الذي يهدي من يشاء ، فمن قضي له بالكفر لا يهتدي أبدا

[قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل] أى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى : لستم على شيء من الدين أصلا ، حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل ، وتقيموا أحكامهما على الوجه الأكمل ، ومن إقامتهما الإيمان بمحمد (ص)

[وما أنزل اليكم من ربكم] قال ابن عباس : يعنى القرآن العظيم

[وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكفرا] اللام للقسم أى واقسم بربك ليزيدن هذا القرآن المنزل عليك يا محمد ، الكثير منهم غلوا في التكذيب وجحودا لنبوتك واصرارا على الكفر والضلال

[فلا تأس على القوم الكافرين] أى لا تحزن عليهم ، فإن تكذيب الأنبياء عادتهم ودأبهم . . وهذه تسلية للنبي (ص) وليس بنهي عن الحزن ثم قال تعالى

[إن الذين آمنوا] أى صدقوا الله ورسوله وهم المسلمون

[والذين هادوا] وهم اليهود

[والصابئون] وهم طائفة من النصارى عبدوا الكواكب

[والنصارى] وهم أتباع عيسى

[من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا] أى من آمن من هؤلاء المذكورين ، إيمانا صحيحا خالصا ، لا يشوبه إرتياب بالله وباليوم الآخر ، وعمل صالحا يقربه من الله

[فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أى فلا خوف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم فيما قدموا عليه من أهوال يوم القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا بعد معاينتهم جزيل ثواب الله. قال ابن كثير : والمقصود ان كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر وعملت عملا صالحا - ولا يكون ذلك كذلك حتى يوافق الشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث الى جميع الثقلين - فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراء ظهورهم

[لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل] أى أخذنا من اليهود العهد المؤكد على الإيمان بالله ورسله ، قال في البحر : هذا إخبار بما صدر من أسلاف اليهود ، من نقد الميثاق الذي أخذه تعالى عليهم ، وما اجترحوه من الجرائم العظام ، من تكذيب الأنبياء وقتل بعضهم ، وهؤلاء أخلاف اولئك ، فغير بدع ما يصدر منهم للرسول من الأذى والعصيان ، اذ ذاك شنشنة من اسلافهم ،

[وأرسلنا اليهم رسلا] اي أرسلنا لهم الرسل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليرشدوهم ويبينوا لهم أمر الدين

[كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم] اي كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل ، بما يخالف أهواءهم وشهواتهم

[فريقا كذبوا وفريقا يقتلون] اي كذبوا طائفة من الرسل ، ويقتلون طائفة أخرى منهم ، قال البيضاوي : وانما جيء ب (يقتلون) موضع " قتلوا " على حكاية الحالة الماضية ، استحضارا لها ، واستفظاعا للقتل ، وتنبيها على إن ذلك من دينهم ، ماضيا ومستقبلا ، ومحافظة على رءوس الآى

[وحسبوا أن لا تكون فتنة] أى وظن بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب ، بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل ، اغترارا بإمهال الله عز وجل لهم

[فعموا وصموا] أي تمادوا في الغي والفساد فعموا عن الهدى ، وصموا عن سماع الحق ، وهذا على التشبيه بالأعمى والأصم ، لإنه لا يهتدي الى طريق الرشد في الدين ، لاعراضه عن النظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم تاب الله عليهم] قال القرطبي : في الكلام إضمار أى اوقعت بهم الفتنة فتابوا ، فتاب الله عليهم

[ثم عموا وصموا كثير منهم] أى عمي كثير منهم وصم بعد تبين الحق له

[والله بصير بما يعملون] أى عليم بما عملوا ، وهذا وعيد لهم وتهديد . . ثم ذكر تعالى عقائد النصارى الضالة في المسيح ، فقال سبحانه

[لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم] قال ابو السعود : هذا شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال اقوالهم الفاسدة ، بعد تفصيل قبائح اليهود ، وهؤلاء الذين قالوا إن مريم ولدت (إلاها) هم " اليعقوبية " زعموا أن الله تعالى حل في ذات (عيسى) واتحد به ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

[وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم] أى انا عبد مثلكم ، فأعبدوا خالقي وخالقكم ، الذي يذل له كل شيء ، ويخضع له كل موجود ، قال ابن كثير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان أول كلمة نطق بها وهو صغير أن قال [إني عبد الله] ولم يقل : إني أنا الله ، ولا إبن الله ، بل قال [إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا] وقال القرطبي : رد الله عليهم ذلك بحجة قاطعة ، مما يقرون به فقال [وقال المسيح يا بني اسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم] فإذا كان المسيح يقول : يا رب ، ويا الله ، فكيف يدعو نفسه ؟ أم كيف يسألها ؟ هذا محال [إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة] أى من يعتقد بألوهية غير الله ، فلن يدخل الجنة أبدا ، لأنها دار الموحدين

[ومأواه النار] أى مصيره نار جهنم

[وما للظالمين من أنصار] أى فلا ناصر ولا منقذ له من عذاب الله

[لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة] أى أحد ثلاثة آلهة ، وهذا قول فرقة من النصارى يسمون (النسطورية والملكانية) القابلين بالتثليث وهم يقولون : إن الإلـهية مشتركة بين (الله ، وعيسى ، ومريم) وكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحد من هؤلاء اله ، ولهذا اشتهر قولهم (الأب والإبن وروح القدس) ((قال السدي : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلـهين مع الله فجعلوا الله (ثالث ثلاثة) بهذا الاعتبار ، وقال في البحر : يقولون جوهر واحد وثلاث أقانيم " أب ، وابن ، وروح قدس " وهذه الثلاثة إله واحد ، كما إن الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة ، وزعموا أن الأب إله ، والإبن إله ، والروح إله ، والكل إله واحد ، وهذا معلوم البطلان ببداهة العقل أن الثلاثة لا تكون واحدا ، وأن الواحد لا يكون ثلاثة))

[وما من اله إلا اله واحد] أى والحال إنه ليس في الوجود إلا إله واحد ، موصوف بالوحدانية متعال عن المثيل والنظير

[وإن لم ينتهوا عما يقولون] أى وإن لم يكفوا عن القول بالتثليث

[ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم] أي ليصيبنهم عذاب اليم موجع في الدنيا والاخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه] الإستفهام للتوبيخ أي أفلا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة ، والأقاويل الباطلة ويستغفرون الله مما نسبوه اليه من الإتحاد والحلول ؟

[والله غفور رحيم] أى يغفر لهم ويرحمهم إن تابوا ، قال البيضاوي : وفي هذا الإستفهام [أفلا يتوبون] تعجيب من إصرارهم على الكفر!

[ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل] أى ما المسيح إلا رسول كالرسل الخالية الذين تقدموه ، خصه الله تعالى ببعض الآيات الباهرات إظهارا لصدقه ، كما خص بعض الرسل ، فان أحيا الموتى على يده ، فقد أحيا العصا في يد موسى ، وجعلت حية تسعى ، وهو أعجب ، وإن خلق من غير أب ، فقد خلق آدم من غير أب ولا ام وهو أغرب ، وكل ذلك من جنابه عز وجل ، وإنما (موسى وعيسى) مظاهر شئونه وأفعاله

[وأمه صديقة] أى مبالغة في الصدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كانا يأكلان الطعام] أى إنه مخلوق كسائر المخلوقين ، مركب من (عظم ولحم وعروق وأعصاب) ، وفيه إشارة لطيفة الى أن من يأكل الطعام لا بد أن يكون في حاجة الى إخراج فضلاته ، ومن
يكن هذا حاله فكيف يعبد ، أو كيف يتوهم إنه اله ؟
[أنظر كيف نبين لهم الآيات] تعجيب من حال الذين يدعون إلوهيته هو وأمه ، أى أنظر كيف نوضح لهم الآيات الباهرة ، على بطلان ما اعتقدوه

[ثم أنظر انى يؤفكون] أى كيف يصرفون عن استماع الحق ، وتأمله بعد هذا البيان ؟ مع أنه اوضح من الشمس في رابعة النهار
[قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا] أى قل يا محمد : أتوجهون عبادتكم الى من لا يقدر لكم على النفع والضر ؟ ((قال في البحر : لما بين تعالى بدليل النقل والعقل انتفاء الألوهية عن عيسى ودعاهم للتوبة وطلب الغفران ، أنكر عليهم ووبخهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من وجه اخر وهو عجز عيسى على دفع ضرر وجلب نفع ، وأن من كان لا يدفع عن نفسه حرى أن لا يدفع عنكم))

[والله هو السميع العليم] أى السميع لاقوالكم العليم بأحوالكم . . وتضمنت الآية الإنكار عليهم ، حيث عبدوا من هو متصف بالعجز عن دفع ضر ، او جلب نفع

[قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق] أى يا معشر اليهود والنصارى ، لا تتجاوزوا الحد في دينكم ، وتفرطوا كما افرط أسلافكم ، فتقولوا عن عيسى : إنه اله ، او إبن إله . قال القرطبي : وغلو اليهود قولهم في عيسى إنه ليس ولد رشدة - أى هو إبن زنا - وغلو النصارى قولهم إنه اله ؟

[ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل] أى لا تتبعوا أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل بعثة النبى ص

[واضلوا كثيرا] أى اضلوا كثيرا من الخلق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإغوائهم لهم عن شرع الله

[وضلوا عن سواء السبيل] اي ضلوا عن الطريق الواضح المستقيم ، قال القرطبي : وتكرير (ضلوا) للإشارة الى إنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد ، والمراد الأسلاف الذين سنوا الضلالة ، وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى

[لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم] أى لعنهم الله عز وجل في الزبور ، والإنجيل ، قال ابن عباس : لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى في (التوراة) ، وعلى عهد داود في (الزبور) ، وعلى عهد عيسى في (الإنجيل) ، وعلى عهد محمد في (القرآن) قال المفسرون : إن اليهود لما اعتدوا في السبت ، دعا عليهم داود فمسخهم الله قردة ، واصحاب المائدة لما كفروا بعيسى دعا عليهم عيسى فمسخوا خنازير

[ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] أى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم . . ثم بين تعالى حالهم الشنيع في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ترك استفحال الشر ، فقال سبحانه

[كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه] أى لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح فعلوه

[لبئس ما كانوا يفعلون] أى بئس شيئا فعلوه ، قال الزمخشري : تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ، فيا حسرتا على المسلمين في إعراضهم عن التناهي عن المنكر ، كأنه ليس من الإسلام في شيء ، مع ما يتلون من كتاب الله من المبالغات في هذا الباب وقال في البحر : وذلك إنهم جمعوا بين فعل المنكر ، والتجاهر به ، وعدم النهي عنه ، والمعصية اذا فعلت ينبغي ان يستتر بها ، لحديث " من إبتلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر " فاذا فعلت جهارا وتواطأ الناس على عدم الإنكار ، كان ذلك تحريضا على فعلها ، وسببا مثيرا لإفشائها وكثرتها

[ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا] أى ترى كثيرا من اليهود ، يوالون المشركين بغضا لرسول الله (ص) والمؤمنين ، والمراد بهم (كعب بن الأشرف)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واصحابه

[لبئس ما قدمت لهم انفسهم] أى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة

[أن سخط الله عليهم] وهذا هو المخصوص بالذم أى بئس ما قدموه لآخرتهم : سخط الله وغضبه عليهم

[وفي العذاب هم خالدون] أى وفي عذاب جهنم مخلدون أبدا الآبدين

[ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء] أى لو كان هؤلاء اليهود يصدقون بالله ونبيهم ، وما جاءهم من الكتاب ، ما أتخذوا المشركين أولياء

[ولكن كثيرا منهم فاسقون] أى ولكن اكثرهم خارجون عن الإيمان ، وطاعة الله عز وجل .

البلاغة :

---

1 - [لستم على شيء] في هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - [وما انزل اليكم من ربكم] أضاف الإسم الجليل اليهم تلطفا معهم في الدعوة .

3 - [فلا تأس على القوم الكافرين] لم يقل عليهم ، وإنما وضع الظاهر [القوم الكافرين] مكان الضمير ، للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر.

4 - [والله بصير بما يعملون] صيغة المضارع بدل الماضي [بما عملوا] لحكاية الحال الماضية ، استحضارا لصورتها الفظيعة ، ومراعاة لرءوس الآيات .

5 - [فقد حرم الله عليه الجنة] إظهار الإسم الجليل [حرم الله] في موضع الإضمار لتهويل الأمر ، وتربية المهابة في النفوس .

6 - الاستعارة [فعموا وصموا] إستعار العمى والصمم للإعراض عن الهداية والإيمان ، أى عموا عن رؤية الحق ، وصموا عن سماع آيات الرحمن .

7- [انظر كيف نبين] [ثم انظر أنى يؤفكون] قال ابو السعود : تكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولفظة " ثم " لإظهار ما بين العجبين من التفاوت ، أى ان بياننا للآيات امر بديع ، بالغ اقصى الغايات من الوضوح والتحقيق ، وإعراضهم عنها اعجب وابدع .

8 - [لئس ما كانوا يفعلون] تقبيخ لسوء اعمالهم ، وبعجيب منه بالتوكيد مع القسم .

الفوائد :

قال بعض المحققين في قوله تعالى [قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا] إذا كان هذا في حق عيسى النبي ؟ فما ظنك بولي من الأولياء ، هل يملك لهم نفعا او ضر

تنبيه :

- قال ابن كثير : دلت الآية [وأمه صديقة] على إن مريم ليست بنبية ، كما زعمه ابن حزم وغيره ، ممن ذهب الى نبوة سارة " ونبوة " ام موسى " استدلالا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم ، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا الا من الرجال [وما ارسلنا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قبلك إلا رجالا نوحي اليهم] وحكى الأشعري الإجماع على ذلك .

قال الله تعالى : [لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . . الى . . وأتقوا الله الذي اليه تحشرون] من اية (82) الى نهاية اية (96) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى احوال اليهود والنصارى وما هم عليه من الزيغ والضلال ، ذكر هنا أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين ، ولذلك جعلهم تعالى قرناء للمشركين في شدة العداوة ، وذكر أن النصارى ألين عريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين منهم ، ثم لما استقصى المناظرة مع اهل الكتاب ، عاد الى بيان الاحكام الشرعية ، فذكر منها كفارة اليمين ، وتحريم الخمر والميسر ، وجزاء قتل الصيد فى حالة الاحرام ، وغيرها من الأحكام .

اللغة :

[قسيسين] القس والقسيس اسم لرئيس النصارى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومعناه العالم

[رهبانا] جمع راهب ، وأصله من الرهبة بمعنى المخافة ، والرهبانية والترهب التعبد في الصومعة

[تفيض] الفيض ان يمتلىء الإناء ويسيل من شدة الامتلاء ، يقال : فاض الماء ، وفاض الدمع ، قال الشاعر : ففاضت دموع العين مني صبابة على النحرحتى بل دمعي محملي

[رجس] قال الزجاج : الرجس : إسم لكل ما استقذر من عمل ، ويقال للعذرة والأقذار : رجس ، لإنها قذارة ونجاسة

[الجحيم] النار الشديدة الإتقاد

[والصيد] كل ما يصطاد من حيوان وطير وغيره ، فالصيد يطلق على المصيد ، قال الشاعر : صيد الملوك أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال

سبب

سبب النزول :

ا - عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي (ص) فقال يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله : إني إذا أكلت هذا اللحم انتشرت للنساء ، واخذتني شهوتي ، وإني حرمت علي اللحم ، فأنزل الله : [يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم] الآية .

ب - عن أنس قال : كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر ، في بيت " أبى طلحة " وما شرابهم إلا الفضيخ والبسر والتمر ، وإذا مناد ينادي إن الخمر قد حرمت قال : فأريقت في سكك المدينة ، فقال ابو

طلحة : إذهب فأهرقها فقال بعض القوم : قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله [ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا] .

التفسير :

[لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا] اللام للقسم أى قسما بالله لتجدن يا محمد اليهود والمشركين ، اشد الناس عداوة للمؤمنين

[ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصارى] نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابه ، وصف الله شدة شكيمة اليهود ، وصعوبة إجابتهم الى الحق ، ولين عريكة النصارى وسهولة ميلهم الى الإسلام ، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ، بل نبه على زيادة عداوتهم بتقديمهم على الذين اشركوا

[ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا] تعليل لقرب مودتهم أى كونهم أقرب مودة ، بسبب إن منهم علماء وعبادا

[وإنهم لا يستكبرون] أى يتواضعون لوداعتهم ولا يتكبرون كاليهود ، قال البيضاوي : وفيه دليل على أن التواضع ، والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات ، محمود وان كان من كافر

[وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول] أى اذا سمعوا القرآن المنزل على محمد رسول الله

[ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق] اي تنهمر منها الدموع ، من أجل معرفتهم إنه كلام الله وإنه حق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يقولون ربنا آمنا] أى يقولون : يا ربنا صدقنا بنبيك وكتابك

[فاكتبنا مع الشاهدين] أى مع أمة محمد عليه السلام ، الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم (جعفر بن أبى طالب) بالحبشة القرآن ، بكوا حتى اخضلوا لحاهم

[وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق] أى ما الذي يمنعنا عن الإيمان ويصدنا عن إتباع الحق ، وقد لاح لنا الصواب ، وظهر الحق المنير ؟ قالوا ذلك في جواب من عيرهم بالإسلام من اليهود ، قال في البحر : هذا انكار واستبعاد لإنتفاء الإيمان منهم ، مع قيام موجبه وهو عرفان الحق

[ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين] أى والحال إننا نطمع أن يدخلنا ربنا الجنة ، بصحبة الصالحين من عباده الأبرار

[فأثابهم الله بما قالوا] أى جازاهم على إيمانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتصديقهم وإعترافهم بالحق
[جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها] أى ماكثين فيها أبدا ، لا يحولون عنها ولا يزولون
[وذلك جزاء المحسنين] أى ذلك الأجر والثواب ، جزاء من أحسن عمله وأصلح نينه . . ثم اخبر تعالى عن حال الأشقياء فقال سبحانه
[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم] أى جحدوا بآيات الله ، وانكروا نبوة محمد(ص) ، فهم اهل الجحيم المعذبون فيها ، قال ابو السعود : وذكرهم بمقابلة المصدقين بآيات الله ، جمعا بين الترغيب والترهيب
[يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم] روى الطبري عن عكرمة قال : كان اناس من أصحاب النبى (ص) هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء ، فنزلت هذه الآية أى لا تمنعوا أنفسكم تلك اللذائذ وتقولوا حرمناها على انفسنا ، مبالغة في تركها وتقشفا وتزهدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تعتدوا] أى ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم ، بتجاوز الحلال الى الحرام

[إن الله لا يحب المعتدين] أى يبغض المتجاوزين الحد ، والإسلام يدعو الى القصد ، بدون إفراط ولا تفريط ، ولهذا قال سبحانه

[وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا] أى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله ، قال في التسهيل : أى تمتعوا بالمأكل الحلال وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لإنه أعظم حاجات الانسان

[واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون] هذا استدعاء الى (التقوى) بألطف الوجوه كإنه يقول : لا تضيعوا إيمانكم ، بالتقصير في طاعة الله عز وجل ، فتكون عليكم الحسرة العظمى ، فإن الإيمان بالله تعالى يوجب المبالغة في تقوى الله

[لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم] أى لا يؤاخذكم بما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف ، كقولكم : لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والله ، وبلى والله

[ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان] أى ولكن يؤاخذكم بما وثقتم الأيمان عليه ، بالقصد والنية اذا حنثتم

[فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم] أى كفارة اليمين عند الحنث ، أن تطعموا عشرة مساكين ، من الطعام الوسط الذي تطعمون منه أهليكم ، قال ابن عباس : أى من أعدل ما تطعمون أهليكم ، وقال ابن عمر : الأوسط الخبز والتمر ، والخبز والزبيب ، وخير ما نطعم اهلينا الخبز واللحم

[او كسوتهم] أى كسوة المساكين لكل مسكين ثوب يستر البدن

[او تحرير رقبة] أى إعتاق عبد مملوك لوجه الله ، قال في البحر : واجمع العلماء على أن الحانث مخير بين (الإطعام ، والكسوة ، والعتق)

[فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام] أي فمن لم يجد شيئا من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام متتابعة ((شرط الأحناف والحنابلة التتابع في الأيام ، وقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشافعي ومالك : لا يجب التتابع واختار الطبري أنه كيفما صامهن مفرقة أو متتابعة أجزأه كذا في الطبري))

[ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم] أى هذه كفارة اليمين الشرعية عند الحنث

[واحفظوا أيمانكم] أى احفظوها عن الإبتذال ولا تحلفوا الا لضرورة ، قال ابن عباس : أى لا تحلفوا ، وقال إبن جرير : أى لا تتركوها بغير تكفير

[كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون] أى مثل ذلك التبيين ، يبين الله لكم الأحكام الشرعية ويوضحها ، لتشكروه على هدايته وتوفيقه لكم

[يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر] قال ابن عباس : الخمر جميع الأشربة التي تسكر ، والميسر القمار كانوا يتقامرون به في الجاهلية

[والأنصاب والأزلام] أى الاصنام المنصوبة للعبادة والاقداح التي كانت عند سدنة البيت وخدام الاصنام ، قال ابن عباس ومجاهد ؟ الأنصاب حجارة كانوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذبحون قرابينهم عندها ، والازلام : قداح كانوا يستقسمون بها

[رجس من عمل الشيطان] اي قذر ونجس تعافه العقول ، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان

[فإجتنبوه لعلكم تفلحون] أى اتركوه وكونوا في جانب آخر ، بعيدين عن هذه القاذورات ، لتفوزوا بالثواب العظيم

[إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر] أى ما يريد الشيطان بهذه الرذائل ، إلا إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ، في شربهم الخمر ولعبهم بالقمار

[ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة] أى ويمنعكم بالخمر والميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم ، وعن الصلاة التي هي عماد دينكم ، قال ابو حيان : ذكر تعالى في الخمر والميسر مفسدتين : إحداهما دنيوية ، والأخرى دينية ، فأما الدنيوية فإن الخمر تثير الشرور والاحقاد وتئول بشاربها الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التقاطع ، وأما الميسر فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليبا لا شيء له ، وينتهي الى أن يقامر حتى على أهله وولده ، وأما الدينية فالخمر لغلبة السرور والطرب بما تلهي عن ذكر الله وعن الصلاة ، والميسر - سواء كان غالبا او مغلوبا - يلهي عن ذكر الله

[فهل أنتم منتهون] الصيغة للإستفهام ومعناه الأمر أى إنتهوا ، ولذلك قال عمر : إنتهينا ربنا انتهينا ! ! وهذا الإستفهام من أبلغ ما ينهى به ، كأنه قيل : قد تلي عليكم ما فيهما من المفاسد القبيحة ، التي توجب الإنتهاء ، فهل أنت منتهون ؟ أم باقون على حالكم ؟

[واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا] أى اطيعوا أمر الله وأمر رسوله ، واحذروا مخالفتهما

[فإن توليتم] أى أعرضتم ولم تعملوا بأمر الله ورسوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين] أى ليس عليه هدايتكم ، وإنما عليه تبليغكم الرسالة وجزاؤكم علينا ، قال الطبري : وهذا من الله وعيد لمن تول عن أمره ونهيه ، يقول تعالى ذكره لهم : فإن توليتم عن أمري ونهيي فتوقعوا عقابي ، واحذروا سخطي وقال ابو حيان : وفي هذا من الوعيد البالغ ما لا خفاء به ، اذ تضمن أن عقابكم انما يتولاه المرسل لا الرسول

[ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا] قال ابن عباس : لما نزل تحريم الخمر ، قال قوم : كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر ؟ فنزلت الآية ، وأخبر تعالى ان الإثم والذم ، انما يتعلق بفعل المعاصي ، والذين ماتوا قبل التحريم ليسوا بعاصين

[إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات] أى ليس عليهم إثم فيما تناولوه من المأكول والمشروب ، إذا إتقوا المحرم ، وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة

[ثم اتقوا وآمنوا] أى اتقوا المحرم وآمنوا بتحريمه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمعنى : اجتنبوا ما حرمه الله معتقدين حرمته

[ثم اتقوا واحسنوا] أى ثم استمروا على تقوى الله واجتناب المحارم ، وعملوا الأعمال الحسنة التي تقربهم من الله

[والله يحب المحسنين] أى يحب المتقربين اليه بالأعمال الصالحة ، قال في التسهيل : كرر التقوى مبالغة ، وقيل : الرتبة الأولى : إتقاء الشرك ، والثانية : إتقاء المعاصي ، والثالثة : إتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس

[يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم] أى ليختبرنكم الله في حال إحرامكم بالحج او العمرة ، بشيء من الصيد ، تنال صغاره الأيدي ، وكباره الرماح ، قال البيضاوي : نزلت في عام الحديبية ، إبتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد ، وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم ، بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون قال في البحر : وكان الصيد مما تعيش به العرب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتلذذ بإقتناصه ، ولهم فيه الأشعار والأوصاف الحسنة

[ليعلم الله من يخافه بالغيب] أى ليتميز الخائف من الله بطريق الغيب لقوة إيمانه ، ممن لا يخاف الله لضعف إيمانه

[فمن إعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم] أى فمن تعرض للصيد بعد هذا الإعلام والإنذار ، فله عذاب مولم موجع

[يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم] اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بحج او عمرة

[ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم] أي من قتل الصيد في حالة الإحرام ، فعليه جزاء يماثل ما قتل من النعم وهي (الإبل والبقر والغنم)

[يحكم به ذوا عدل منكم] أى يحكم بالمثل حكمان عادلان من المسلمين

[هديا بالغ الكعبة] أى حال كونه هديا ينحر ، ويتصدق به على مساكين الحرم ، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم ، كالعصفور والجراد فعليه قيمته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[او كفارة طعام مساكين] أى واذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم فيقوم الصيد المقتول ، ثم يشترى به طعام فيصرف لكل مسكين مد منه

[او عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره] أي عليه مثل ذلك الطعام صياما يصومه ، عن كل مد يوما ، ليذوق سوء عاقبه هتكه لحرمة الإحرام ! قال في التسهيل : عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ، ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذي يقتضيه العطف ب (او) وعن ابن عباس أنها على الترتيب

[عفا الله عما سلف] أى من قتل الصيد قبل التحريم

[ومن عاد فينتقم الله منه] أى ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم ، فينتقم الله منه في الآخرة

[والله عزيز ذو انتقام] أى غالب على أمره منتقم ممن عصاه

[أحل لكم صيد البحر] أى أحل لكم أيها الناس صيد البحر ، سواء كنتم محرمين او غير محرمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وطعامه متاعا لكم وللسيارة] أى وما يطعم من صيده كالسمك وغيره ، منفعة وقوتا لكم ، وزادا للمسافرين يتزودونه في أسفارهم

[وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما] أى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين

[واتقوا الله الذي اليه تحشرون] أى خافوا الله الذي تبعثون اليه يوم القيامة ، فيجازيكم على أعمالكم ، وهو وعيد وتهديد .

البلاغة :

1 - بين لفظ [عداوة . . ومودة] طباق وهو من المحسنات البديعية .

2 - [تفيض من الدمع] في الآية استعارة لطيفة ، أى تمتلىء بالدمع ، فاستعير له الفيض مبالغة ، او جعلت أعينهم من فرط البكاء تفيض بانفسها.

3 - [تحرير رقبة] مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد الكل أى عتق إنسان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [فهل أنتم منتهون] الإستفهام يراد به الأمر أى إنتهوا وهو من أبلغ ما ينهى به ، قال ابو السعود :

ولقد أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد ، حيث صدرت الجملة ب

" إنما " وقرنا بالأصنام والأزلام ، وسميا رجسا من عمل الشيطان ، وأمر بالإجتناب عن عينهما ، وجعل ذلك سببا للفلاح ، ثم ذكر ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية ، ثم أعيد الحث على الإنتهاء بصيغة الإستفهام [فهل أنتم منتهون] إيذانا بأن الأمر في الزجر والتحذير ، قد بلغ الغاية القصوى .

فائدة :

التعبير بقوله تعالى [فاجتنبوه] نص في التحريم ، ولكنه أبلغ في النهي والتحريم من لفظ " حرم " لان معناه البعد عنه بالكلية فهو مثل قوله تعالى : [ولا تقربوا الزنى] لان القرب منه اذا كان حراما ، فيكون الفعل محرما من باب اولى ، وكذلك هنا .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يذكر في القرآن الكريم تعليل الاحكام الشرعية إلا بالايجاز أما هنا فقد ذكرت العلة بالتفصيل ، فذكر تعالى منها إلقاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين ، والصد عن سبيل الله وذكره ، وشغل المؤمنين عن الصلاة ، ووصف الخمر والميسر بأنهما رجس ، وأنهما من عمل الشيطان ، وأن الشيطان يريد إغواء الانسان ، وكل ذلك ليشير الى ضرر وخطر هاتين الرذيلتين (القمار والخمر) فتدبر أسرار القرآن العظيم

قال الله تعالى [جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس . . الى قوله . . والله لا يهدي القوم الفاسقين] من أية (97) الى نهاية آية (108) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى في الآية المتقدمة ان الصيد على المحرم حرام ، ذكر تعالى في هذه الآية انه جعل الكعبة قياما للناس ، اذ ركز في قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى لأحد ، فكما ان الحرم سبب لأمن الوحش والطير ، فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا وا
لاخرة .

اللغة :

[البحيرة] من البحر وهو الشق قال ابو عبيدة : وهي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن في آخرها ذكر شقوا أذنها وخلوا سبيله فلا تركب ولا تحلب

[السائبة] البعير يسيب بنذر ونحوه

[وصيلة] الوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن وكان السابع ذكرا وأنثى قالوا قد وصلت اخاها فلم تذبح

[حام] : الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن يقال قد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يمنع من كلا ولا ماء

[عثر] ظهر يقال : عثرت منه على خيانة أى اطلعت وظهرت لي

[الأوليان] تثنية ولى بمعنى أحق .

سبب النزول :

ا - عن ابن عباس قال : كان قوم من المنافقين يسألون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النبي (ص) استهزاء فيقول الرجل : من أبى ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله [يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء
إن تبد لكم تسؤكم . .] الآية .

ب - وعن ابن عباس قال : كان (تميم الدارى " و " عدى بن بداء " يختلفان الى مكة وكانا نصرانيين قبلا الاسلام فخرج معهما فتى من " بني سهم " فتوفى بأرض ليس بها مسلم ، فأوصى اليهما فدفعا تركته الى أهله ، وحبسا جاما من فضة مخوصا بالذهب ، فاستحلفهما رسول الله !نه ما كتمتما ولا اطلعتما! ! ثم وجد الجام بمكة ، فقالوا : اشتريناه من عدى وتميم ، فجاء رجلان من ورثة السهمي فحلفا ان هذا الجام للسهمى ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما إعتدينا فأخذوا الجام ، وفيهم نزلت هذه الآية [يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم . .] الآية .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس] أى جعل الله الكعبة المشرفة وهي (البيت المحرم) ، صلاحا ومعاشا للناس ، يلوذ به الخائف ، ويأمن فيه الضعيف ، ويربح فيه التجار ، ويتوجه اليه

الحجاج والعمار

[والشهر الحرام] أى الاشهر الحرم (ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب) قياما لهم لأمنهم القتال فيها

[والهدي والقلائد] أى الهدي الذي يهدى للحرم من الأنعام ، والبدن (ذوات القلائد) التي تقلد من شجر الحرم جعلها الله أيضا قياما للناس

[ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وان الله بكل شيء عليم] أى جعل هذه الحرمة للبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والهدي والقلائد ، لتعلموا ان الله يعلم أمور السموات والأرض ، ويعلم مصالحكم ، لذلك جعل الحرم أمنا يسكن فيه كل شيء ، فانظروا لطفه بالعباد ، مع كفرهم وضلالهم ا ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم] أى اعلموا ايها الناس ان الله شديد العقاب لمن عصاه ، وانه غفور رحيم لمن تاب واطاع وأناب ، فلا تيئسنكم نقمته ، ولا تطمعنكم رحمته

[ما على الرسول إلا البلاغ] أى ليس على الرسول إلا أداء الرسالة ، وتبليغ الشريعة ، وقد بلغ ما وجب عليه ، فلا عذر لأحد في التفريط

[والله يعلم ما تبدون وما تكتمون] أى لا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأعمالكم ، وسيجازيكم عليها . قال ابو حيان : الجملة فيها تهديد إذ أخبر تعالى انه مطلع على حال العبد ، ظاهرا وباطنا ، فهو مجازيه على ذلك ثوابا او عقابا)

[قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث] أى قل يا أيها الرسول : لا يتساوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك ايها السامع كثرة الخبيث ، وهو مثل ضربه الله للتمييز بين الحلال والحرام ، والمطيع والعاصي ، والرديء والجيد ، قال القرطبي : اللفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عام في جميع الامور ، يتصور في المكاسب ، والأعمال ، والناس ، والمعارف من العلوم وغيرها ، فالخبيث من هذا كله ، لا يفلح ولا يتجب ولا تحسن له عاقبة ، وان كثر ، والطيب - وان قل - نافع حميد جميل العاقبة وقال ابو حيان : الظاهر ان الخبيث والطيب عامان فيندرج تحتهما المال وحرامه ، وصالح العمل وفاسده ، وجيد الناس ورديئهم ، وصحيح العقائد وفاسده ، ونظير هذه الآية قوله تعالى [والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا] [فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون] أى فاتقوا الله بأمتثال أوامره واجتناب نواهيه يا ذوي العقول ، لتفلحوا وتفوزوا برضوان الله ، والنعيم المقيم

[يا أيها الذين آمنوا لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم] أى لا تسألوا الرسول عن أمور لا حاجة لكم بها ، ان ظهرت لكم ساءتكم ، قال الزمخشري : أى لا تكثروا مسألة رسول الله (ص) حتى تسألوه عن تكاليف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شاقة عليكم ، ان أفتاكم بها وكلفكم إياها ، تغمكم وتشق عليكم ، وتتدموا على السؤال عنها)

[وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم] أى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة ، في زمان نزول الوحى ، يظهر لكم تلك التكاليف التي تكرهونها ، فلا تسالوا عنها ((وقال ابن عباس في تفسير الآية : لا تسألوا عن أشياء في ضمن الإخبار عنها مساءة لكم ، إما لتكليف شرعي يلزمكم ، واما لخبر يسوءكم مثل الذي قال أين أبي ؟ ولكن إذا نزل القران بشيء وابتدأكم ربكم بأمر فحينئذ إن سألتم عن بيانه بين لكم وأبدى!! نقلا عن تفسير البحر المحيط))

[عفا الله عنها] اي عفا الله عن مسائلكم السالفة التي لا ضرورة لها ، وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية ، فلا تعودوا الى مثلها

[والله غفور حليم] أى واسع المغفرة عظيم الفضل والاحسان ، ولذلك عفا عنكم ، ولم يعاجلكم بالعقوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قد سألها قوم من قبلكم] أى سأل أمثال هذه المسائل قوم قبلكم ، فلما أعطوها وفرضت عليهم كفروا بها ، ولهذا قال

[ثم أصبحوا بها كافرين] أى صاروا بتركهم العمل بها كافرين ، وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء ، فاذا امروا بها تركوها فهلكوا

[ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام] كان أهل الجاهلية إذ أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وحزموا ركوبها وهي (البحيرة) ، وكان الرجل يقول : اذا قدمت عن سفري او برئت من مرضي فناقتي (سائبة) ، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها ، واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم ، وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، وان ولدت ذكرا وأنثى قالوا : وصلت أخاها وهي (الوصيلة) ، واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره وهو (الحام) ، فلما جاء الاسلام أبطل هذه العادات كلها ، فلا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا حام ،

[ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون] أى ولكن الذين كفروا بالله ، يختلقون الكذب على الله ، وينسبون التحريم اليه ، فيقولون : الله أمرنا بهذا ، وأكثرهم لا يعقلون إن هذا إفتراء ، لأنهم يقلدون فيه الأباء ، ولهذا قال تعالى

[وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول] أى وإذا قيل لهؤلاء الضالين : هلموا الى حكم الله ورسوله فيما حللتم وحرمتم

[قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا] أى يكفينا دين أبائنا

[اولو كان أباوهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون] الهمزة للإنكار والغرض التوبيخ ، أى أيتبعون آباءهم فيما هم عليه من الضلال ، ولو كانوا لا يعلمون شيئا من الدين ، ولا يهتدون الى الحق ؟

[يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم] أى احفظوها عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملابسة المعاصي ، وا لإصرار على الذنوب ، والزموا إصلاحها

[لا يضركم من ضل إذا إهتديتم] أى لا يضركم ضلال من ضل من الناس إذا كنتم مهتدين ، قال الزمخشري : كان المسلمون تذهب انفسهم حسرة على الكفرة ، يتمنون دخولهم في الإسلام ، فقيل لهم عليكم أنفسكم بإصلاحها والمشي بها في طرق الهدى ، لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين ، كما قال تعالى لنبيه (ص) [فلا تذهب نفسك عليهم حسرات] وقال ابو السعود : ولا يتوهمن احد أن في الآية رخصة ، في ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن من جملة الإهتداء أن ينكر ، وقد روي أن الصديق قال يوما على المنبر : (أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ، وتضعونها غير موضعها واني سمعت رسول الله ، قال : ان النس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، عمهم الله بعقابه) ((ويؤيده حديث " ائتمروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم " أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب))

[إلى الله مرجعكم جميعا] أى مصيركم ومصير جميع الخلائق الى الله

[فينبئكم بما كنتم تعملون] أى فيجازيكم بأعمالكم ، قال البيضاوي : هذا وعد ووعيد للفريقين ، وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره

[يا أيها الذين أمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية] أى يا أيها المؤمنون اذا شارف أحدكم على الموت ، وظهرت علائمه ، فينبغي أن يشهد على وصيته

[إثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم] أى يشهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الوصية شخصين عدلين من المسلمين ، او إثنان من غير المسلمين ، غن لم تجدوا شاهدين منكم

[إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت] أى إن أنتم سافرتم فقاربكم الأجل ، ونزل بكم الموت

[تحبسونهما من بعد الصلاة] أي توقفونهما من بعد صلاة العصر ، لأنه وقت إجتماع الناس ، وكذا فعل رسول الله (ص) استحلف عديا وتميما بعد العصر عند المنبر

[فيقسمان بالله ان إرتبتم] أى يحلفان بالله إن شككتم وإرببتم في شهادتهما ، قال ابو السعود : أى إن إرتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما ، وحلفوهما بالله

[لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى] أى يحلفان بالله قائلين : لا نحابي بشهادتنا أحدا ولا نستبدل بالقسم بالله عرضا من الدنيا ، أى لا نحلف بالله كاذبين من أجل المال ولو كان من نقسم له قريبا لنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا نكتم شهادة الله إنا اذا لمن الآثمين] أى ولا نكتم الشهادة التي امرنا الله تعالى بإقامتها ، إنا إن فعلنا ذلك كنا من الآثمين

[فإن عثر على أنهما إستحقا إثما] أى فإن اطلع بعد حلفهما على خيانتهما ، او كذبهما في الشهادة

[فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان] أى فرجلان آخران من الورثة المستحقين للتركة ، يقومان مقام الشاهدين الخائنين ، وليكونا من اولى من يستحق الميراث

[فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما] اي يحلفان بالله لشهادتنا أصدق وأولى بالسماع والإعتبار ، من شهادتهما لأنهما خانا

[وما اعتدينا إنا اذا لمن الظالمين] أى وما اعتدينا فيما قلنا فيهما من الخيانة ، إنا اذا كذبنا عليهم نكون من الظالمين

[ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها] أى ذلك الحكم أقرب أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها ، من غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تغيير ولا تبديل
[او يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم] أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فينفضحوا
[واتقوا الله واسمعوا] أى خافوا ربكم وأطيعوا امره
[والله لا يهدي القوم الفاسقين] أى والله لا يهدي الخارجين عن طاعته ، ولا يرشدهم الى جنته ورحمته !
البلاغة :

---

1 - [الهدي والقلائد] عطف القلائد على الهدي من عطف الخاص على العام ، خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر ، وبهاء الحج بها أظهر.
2 -[ما على الرسول إلا البلاغ] أطلق المصدر البلاغ وأراد به التبليغ للمبالغة .
3 - [الخبيث والطيب] بينهما طباق ، وبين [أصابتكم مصيبة] جناس الإشتقاق ، وكلاهما من المحسنات البديعية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [شهادة بينكم] جملة خبرية لفظا إنشانية معنى يراد منها الأمر أى ليشهد بينكم .

الفوائد :

قال الإمام الشاطبي : الإكثار من الأسئلة مذموم وله مواضع نذكر منها عشرة :

أحدها : السؤال عما لا ينفع في الدين ، كسؤال بعضهم : من أبي ؟

ثانيها : ان يسأل ما يزيد عن الحاجة ، كسؤال الرجل عن الحج : أكل عام ؟

ثالثها : السؤال من غير إحتياج اليه في الوقت ، ويدل عليه : " ذروني ما تركتكم " .

رابعها : أن يسأل عن صعاب المسائل ، كما جاء في النهى عن الأغلوطات .

خامسها : أن يسأل عن علة الحكم في التعبدات ، كالسؤال عن قضاء الصوم للحائض دون الصلاة .

سادسها : أن يبلغ بالسؤال حد التكلف والتعمق ، كسؤال بني اسرائيل عن البقرة وما هي ؟ وما لونها ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سابعها : أن يظهر من السؤال معارضة (الكتاب والسنة) بالرأي ، ولذلك قال سعيد : أعراقي أنت ؟

ثامنها : السؤال عن المتشابهات ومن ذلك سؤال مالك عن الإستواء فقال : الإستواء معلوم . . الخ .

تاسعها : السؤال عما حصل بين السلف ، وقد قال عمر بن عبد العزيز : تلك دماء كفا الله عنها يدي ، فلا الطخ بها لساني .

عاشرها : سؤال التعنت والإفحام ، وطلب الغلبة في الخصام ، ففي الحديث الشريف : " أبغض الرجال الى الله الألد الخصم " أى المكثر من الجدال والخصام .

قال الله تعالى : [يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم . . .] الى اخر السورة الكريمة من آية (108) الى نهاية اية (120) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الوصية عند دنو الأجل وأمر بتقوى الله والسمع والطاعة ، أعقبه بذكر اليوم المهول المخيف ، وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للجزاء والحساب ، ثم ذكر المعجزات التي أيد بها عبده ورسوله " عيسى " ومنها المائدة من السماء ، وختم السورة الكريمة ببراءة السيد المسيح من دعوى الألوهية ، ردا على النصارى الضالين .

اللغة :

[كففت] منعت وصرفت ومنه الكفيف لأنه منع الرؤية

[أيدتك] قويتك مأخوذة من الأيد وهو القوة

[أوحيت] الوحي : إلقاء المعنى الى النفس خفية وهو على أقسام : وحى بمعنى الإلهام ، ووحى بمعنى الإعلام في اليقظة والمنام ، ووحى بمعنى إرسال جبريل الى الرسل عليهم السلام

[مائدة] المائدة : الخوان الذي عليه الطعام أى السفرة ، فإن لم يكن عليه طعام فليس بمائدة

[الرقيب] المراقب الشاهد على الأفعال

[أبدا] أى بلا إنقطاع .

التفسير :

[يوم يجمع الله الرسل] أى اذكروا ايها الناس ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوم الرهيب (يوم القيامة) ، حين يجمع الله الرسل والخلائق للحساب والجزاء

[فيقول ماذا أجبتم] أى ما الذي أجابتكم به أممكم ؟ وما الذي رد عليكم قومكم ، حين دعوتموهم الى الإيمان والتوحيد ؟

[قالوا لا علم لنا] أى لا علم لنا الى جنب علمك ، قال ابن عباس : أى لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا

[إنك أنت علام الغيوب] أى تعلم ما لا نعلم مما ظهر وبطن ، قال ابو السعود : وفيه إظهار للشكوى ورد للأمر الى علمه تعالى ، بما لقوا من قومهم من الخطوب وكابدوا من الكروب ، والتجاء الى ربهم في الإنتقام منهم

[إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك] قال ابن كثير : يذكر تعالى ما من به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام بما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العادات ، أى اذكر نعمتي عليك في خلقى إياك من أم بلا ذكر ، وجعلي إياك آية قاطعة على كمال قدرتي ، وعلى والدتك حيث جعلتك برهانا على براءتها مما اتهمها به الظالمون من الفاحشة وقال

القرطبي : هذا من صفة يوم القيامة ، كأنه قال : اذكر يوم يجمع الله الرسل واذ يقول لعيسى كذا وذكر بلفظ الماضى [إذ قال] تقريبا للقيامة لأن ما هو آت قريب

[إذ أيدتك بروح القدس] أى حين قويتك بالروح الطاهرة المقدسة " جبريل " عليه السلام

[تكلم الناس في المهد وكهلا] أى تكلم الناس في المهد صبيا ، وفي الكهولة نبيا

[وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل] أى واذكر نعمتي عليك حين علمتك الكتابة ، والحكمة وهي : العلم النافع مع التوراة والإنجيل

[وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني] أى واذكر ايضا حين كنت تصور الطين كصورة الطير بتيسيري وأمري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني] أى فتنفخ في تلك الصورة والهيئة فتصبح طيرا بأمر الله ومشيئته

[وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني] أى تشفى الأعمى الذي لا يبصر ، والأبرص الذي إستعص شفاؤه ، بأمري ومشيئتي

[واذ تخرج الموتى بإذني] أى تحي الموتى بأمري ومشيئتي ، وكرر لفظ [بإذني] مع كل معجزة ، ردا على من نسب الربوبية الى عيسى ، ولبيان أن تلك الخوارق من جهته سبحانه ، أظهرها على يديه معجزة له

[وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات] أى واذكر حين منعت اليهود من قتلك ، لما هموا وعزموا على الفتك بك ، حين جئتهم بالحجج والمعجزات الساطعات

[فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين] أى قال الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك : ما هذه الخوارق سحر ظاهر واضح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي]
وهذا ايضا من الإمتنان على عيسى أى واذكر حين
أمرت الحواريين وقذفت في قلوبهم ، أن آمنوا بي
وبرسولي عيسى إبن مريم
[قالوا أمنا واشهد بأننا مسلمون] أى قال الحواريون
صدقنا يا رب بما أمرتنا ، واشهد بأننا مخلصون في
هذا الإيمان خاضعون لأمر الرحمن
[إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء] أى واذكر حين
قال الحواريون : يا عيسى هل يقدر ربك على إنزال
مائدة من السماء علينا ؟ قال القرطبي : وكان هذا
السؤال في إبتداء أمرهم قبل إستحكام معرفتهم بالله عز
وجل ، ويجوز أن يكون ذلك صدر ممن كان معهم من
الجهال ، كما قال بعض قوم موسى [إجعل لنا إلها كما
لهم آلهة] وقال ابو حيان : وهذا اللفظ يقتضي ظاهره
الشك في قدرة الله تعالى ، على أن ينزل مائدة من
السماء ، وهذا ما ذهب اليه الزمخشري ((قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزمخشري : فان قلت : كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم واخلاصهم ؟ قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص ، وانما حكى ادعاءهم لهما فدعواهم كانت باطلة ، وانهم شاكين وهذا كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ! والصحيح قول الجمهور))

وأما غيره من أهل التفسير ، فأطبقوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين ، وهم (خواص عيسى) ، وأنهم لم يشكوا في ذلك ، حتى قال الحسن : لم يشكوا في قدرة الله ، وإنما سالوه سؤال مستخبر هل ينزل أم لا ؟ فإن كان ينزل فإسأله لنا فسؤالهم كان للإطمئنان والتثبت

[قال إتقوا الله إن كنتم مؤمنين] أى اتقوا الله في أمثال هذه الأسئلة إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى

[قالوا نريد أن ناكل منها وتطمئن قلوبنا] أى قال الحواريون : نريد بسؤالنا المائدة أن نأكل منها تبركا ، وتسكن نفوسنا بزيادة اليقين

[ونعلم أن قد صدقتنا] أى ونعلم علما يقينا لا يحوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حوله شائبة من الشك ، بصدقك في دعوى النبوة

[ونكون عليها من الشاهدين] أى نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس

[قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء] أجابهم عيسى الى سؤال المائدة لإلزامهم بالحجة الدامغة . . وروي أنه لما أراد الدعاء لبس جبة شعر ، ورداء شعر ، وقام يصلي ويدعو ربه ويبكى. قال ابو السعود : نادى عيسى ربه مرتين : مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ، ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع

[تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا] أى يكون يوم فرح وسرور لنا ولمن يأتي بعدنا

[واية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين] أى ودلالة وحجة شاهدة على صدق رسولك ، وارزقنا يا الله فإنك خير من يعطى ويرزق ، لأنك الغنى الحميد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال الله إني منزلها عليكم] أي أجاب الله دعاءه ، فقال إني سأنزل عليكم هذه المائدة من السماء [فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين] أى من كفر بعد تلك الآية الباهرة ، فسوف أعذبه عذابا شديدا ، لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحدا من البشر ، وفي الحديث (أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا ألا يدخروا لغد ، ولا يخونوا ، فخانوا وإدخروا ، ورفعوا لغد ، فمسخوا قردة وخنازير) قال في التسهيل : جرت عادة الله عز وجل بعقاب من كفر بعد إقتراح آية فأعطيها ، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازيز

[وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله] هذا من باب عطف القصة على القصة عطفت على قصة الحواريين [إذ قال الحواريون] [وإذ قال الله يا عيسى] قال ابن عباس : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، ليعلم الكفار أنهم كانوا على باطل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعنى : اذكر للناس يوم يخاطب الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم في الآخرة توبيخا للكفرة ، وتبكيتا لهم قائلا : يا عيسى أأنت دعوت الناس الى عبادتك والإعتقاد بألوهيتك ، وألوهية أمك ؟! قال القرطبي : إنما سأله عن ذلك توبيخا لمن إدعى ذلك عليه ، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب ، وأشد في التوبيخ والتقريع

[قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق] أى أنزهك عما لا يليق بك يا رب ، فما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله

[إن كنت قلته فقد علمته] أى إن كان ذلك صدر مني ، فإنك لا يخفى عليك شيء ، وأنت العالم بأني لم اقله ، وهذا إعتذار وبراءة من ذلك القول ، ومبالغة في الأدب وإظهار الذلة والمسكنة في حضرة ذي الجلال

[تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب] أى تعلم حقيقة ذاتي وما إنطوت عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا أعلم حقيقة ذاتك وما إحتوت عليه ، من صفات الكمال ، إنك أنت العالم بالخفايا والنوايا ، وعلمك محيط بما كان وما يكون

[ما قلت لهم الا ما أمرتني به] أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به ، قال الرازي : وضع القول موضع الامر ، [ما قلت لهم] نزولا على موجب الأدب ، لئلا يجعل نفسه وربه آمرين معا

[ان اعبدوا الله ربي وربكم] أى قلت لهم : اعبدوا الله خالقي وخالقكم ، فأنا عبد مثلكم

[وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم] أى كنت شاهدا على اعمالهم حين كنت بين أظهرهم

[فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم] أى فلما قبضتني إليك بالرفع الى السماء ، كنت يا الله أنت الحفيظ لأعمالهم ، والشاهد على أفعالهم

[وأنت على كل شيء شهيد] أى وأنت المطلع على كل شيء لا يخفى عليك شيء

[إن تعذبهم فإنهم عبادك] أى إن تعذبهم فأنت مالكهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتصرف فيهم كيف شئت ، لا إعتراض عليك

[وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم] أى وإن تغفر لمن تاب منهم ، فإنك أنت الغالب على امره (الحكيم) في صنعه

[قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم] أى يوم القيامة ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم لأنه يوم الجزاء

[لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا] أى لهم جنات تجري من تحت غرفها وقصورها أنهار الجنة ، ماكثين فيها لا يخرجون منها أبدا

[رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم] أى نالوا رضوان الله لصدقهم ، ورضوا عن الله فيما اثابهم واكرمهم به ، ذلك هو الظفر والفوز الكبير بجنات النعيم

[لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير] أي الجميع ملكه وتحت قهره ومشيئته ، وهو القادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض ولا في السماء.

تنبيه :

روى الإمام مسلم في صحيحه (أن النبي (ص) تلا قول الله عز وجل في إبراهيم [ربى إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم] وقول عيسى [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم] فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل : إذهب الى محمد - وربك أعلم - فإسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فساله فأخبره رسول الله (ص) بما قال وهو أعلم ، فقال الله يا جبريل : إذهب الى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك " .

سورة الأنعام

مكية وآياتها خمس وستون ومائة

بين يدي السورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الأنعام إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها حول العقيدة وأصول الايمان وهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية التي سبق الحديث عنها كالبقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، فهي لم تعرض لشيء من الاحكام التنظيمية لجماعة المسلمين ، كالصوم ، والحج والعقوبات ، وأحكام الاسرة ، ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين على دعوة الاسلام ، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من إليه ود والنصارى ولا على المنافقين ، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والايمان ، وهذه القضايا يمكن تلخيصها فيما يلى :

1 - قضية الألوهية

2 - قضية الوحى والرسالة

3 - قضية البعث والجزاء .

* نجد الحديث في هذه السورة مستفيضا يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة الاسلامية ، ونجد سلاحها في ذلك الحجة الدامغة ، والدلائل الباهرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبرهان القاطع في طريق الإلزام والاقناع ، لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين . ومما يلفت النظر في السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بهذه الكثرة فى غيرها من السور هما :

1 - اسلوب التقرير

2 - اسلوب التلقين .

* أما الأول : " اسلوب التقرير " فإن القرآن يعرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله ، والدلائل المنصوبة على وجوده وقدرته ، وسلطانه وقهره ، في صورة الشأن المسلم ، ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحسن الحاضر في القلب الذي لا يماري فيه قلب سليم ، ولا عقل راشد ، في انه تعالى المبدع للكائنات ، صاحب الفضل والإنعام ، فيأتى بعبارة (هو " الدالة على الخالق المدبر الحكيم ، استمع قوله تعالى [هو الذي خلقكم من طين] . . [وهو الله في السموات والأرض] . . [وهو الذي يتوفاكم بالليل] . . [وهو القاهر فوق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباده] . . [وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق . . .] الخ .

---

* أما الثانى : " اسلوب التلقين " فإنه يظهر جليا في تعليم الرسول (ص) تلقين الحجة ، ليقذف بها في وجه الخصم بحيث يأخذ عليه سمعه ، ويملك عليه قلبه فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها ، ويأتى هذا الاسلوب بطريق السؤال والجواب ، يسألهم ثم يجيب ، استمع إلى الآيات الكريمة [قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة] . . [قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم] . . [قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به] . [وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون] وهكذا تعرض السورة الكريمة لمناقشة المشركين ، وإفحامهم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة ، التي تقصم ظهر الباطل . ومن هنا كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الأنعام بين السور المكية ذات شأن في تركيز الدعوة الإسلامية ((يقول الامام الرازي : " امتازت هذه السورة بنوعين من الفضيلة : أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة ، وثانيهما أنه شيعها سبعون ألفا من الملائكة ، والسبب في هذا الامتياز أنها مشتملة على دلائل التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والمعاد ، وابطال مذاهب المبطلين والملحدين " ويقول الإمام القرطبي : إن هذه السورة اصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ، ومن كذب بالبعث والنشور ، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة)) ، تقرر حقائقها ، وتثبت دعائمها ، وتفند شبه المعارضين لها ، بطريق التنويع العجيب في المناظرة والمجادلة ، فهي تذكر توحيد الله جل وعلا في الخلق والإيجاد ، وفي التشريع والعبادة ، وتذكر موقف المكذبين للرسل ، وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم السابقين ، وتذكر شبههم في الوحي والرسالة ، وتذكر يوم البعث والجزاء ، وتبسط كل هذا بالتنبيه إلى الدلائل في الأنفس والأفاق ، وفي الطبائع البشرية وقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشدة والرخاء . وتذكر أبا الأنبياء إبراهيم وجملة من أبنائه الرسل ، وترشد الرسول (ص) إلى اتباع هداهم وسلوك طريقهم ، في احتمال المشاق وفي الصبر عليها ، وتعرض لتصوير حال المكذبين يوم الحشر ، وتفيض في هذا بألوان مختلفة . ثم تعرض لكثير من تصرفات الجاهلية التي دفعهم إليها شركهم فيما يختص بالتحليل والتحريم وتقضي عليه بالتفنيد والإبطال ، ثم تختم السورة بعد ذلك - في ربع كامل - بالوصايا العشر التي نزلت في كل الكتب السابقة ، ودعا إليها جميع الأنبياء السابقين [قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم . .] الآية . وتنتهي بآية فذة تكشف للإنسان عن مركزه عند ربه في هذه الحياة ، وهو أنه خليفة في الأرض ، وأن الله سبحانه جعل عمارة الكون ، تحت يد الإنسان تتعاقب عليها أجياله ، ويقوم اللاحق منها مقام السابق ، وأن الله سبحانه قد فاوت في المواهب بين أفراد الإنسان لغاية سامية وحكمة عظيمة وهي " الابتلاء والاختبار " في القيام بتبعات هذه الحياة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذلك شأن يرجع إليه كما له المقصود من هذا الخلق وذلك النظام [وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سربع العقاب وإنه لغفور رحيم] .

التسمية :

سميت ب " سورة الأنعام " لورود ذكر الأنعام فيها [وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا . .] ولأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين مذكورة فيها ، ومن خصائصها ما روي عن ابن عباس انه قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا ، جملة واحدة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح .

تفسيرسورة الأنعام

قال الله تعالى : [الحمد لله الذي خلق السموات والأرض . . إلى . . وهو الحكيم الخبير] من آية (1) إلى نهاية آية (18) .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يعدلون] يسؤون به غيره ، ويجعلون له عدلا
وشريكا يقال : عدل فلانا بفلان أى سواه به

[تمترون] تشكون يقال امترى في الأمر إذا شك فيه
[قرن] القرن : الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، ومنه حديث " خير القرون قرني " وأصل القرن مائة سنة ثم أصبح يطلق على الأمة من الناس التي تعيش في ذلك العصر ، قال الشاعر : إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرني فأنت غريب
[مدرارا] غزيرة دائمة
[قرطاس] القرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها
[لبسنا] خلطنا يقال لبست عليه الأمر أى خلطته عليه حتى اشتبه
[حاق] نزل بهم وأصابهم
[وليا] ناصرا ومعينا .
سبب النزول :
روي أن مشركى مكة قالوا : يا محمد والله لا نؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله ، فأنزل الله [ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين] .

التفسير :

[الحمد لله الذي خلق السموات والأرض] بدأ تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه ، تعليما لعباده أن يحمدوه بهذه الصيغة ، الجامعة لصنوف التعظيم والتبجيل والكمال ، وإعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد ، فلا بدله ولا شريك ، ولا نظير ولا مثيل ومعنى الآية : احمدوا الله ربكم المتفضل عليكم بصنوف الأنعام والإكرام ، الذي أوجد وأنشأ وابتدع خلق السموات والأرض ، بما فيهما من أنواع البدائع وأصناف الروائع ، وبما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة ، بما يدهش العقول وا لأفكار ، تبصرة وذكرى لأولي الأبصار

[وجعل الظلمات والنور] أى وأنشا الظلمات وا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنوار وخلق الليل والنهار يتعاقبان في الوجود لفائدة العوالم ، بما لا يدخل تحت حصر أو فكر ، وجمع الظلمات لأن شعب الضلال متعددة ، ومسالكه متنوعة ، وأفرد النور لأن مصدره واحد هو الرحمن منور الأكوان . قال في التسهيل : وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة ، فإن المخلوق لا يكون إلها ، ولا فاعلا لشيء من الحوادث [ثم الذين كفروا بربهم يعدلون] أى ثم بعد تلك الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة على وجود الله ووحدانيته ، يشرك الكافرون بربهم ، فيسأوون به أصناما نحتوها بأيديهم ، وأوهاما ولدوها بخيالهم ، ففي ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ، قال ابن عطية : والآية دالة على قبح فعل الكافرين ، لأن المعنى : أن خلقه السموات والأرض وغيرها قد تقرر ، وآياته قد سطعت ، وإنعامه بذلك قد تبين ، ثم بعد هذا كله قد عدلوا بربهم فهذا كما تقول : يا فلان أعطيتك وأكرمتك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحسنت إليك ثم تشتمنى ؟ أى بعد وضوح هذا كله

[هو الذي خلقكم من طين] أى خلق أباكم آدم من طين

[ثم قضى أجلا] أى حكم وقدر لكم أجلا من الزمن تموتون عند انتهائه

[وأجل مسمى عنده] أى وأجل آخر مسمى عنده لبعثكم جميعا ، فالأجل الأول : الموت ، والثاني : البعث والنشور

[ثم أنتم تمترون] أى ثم أنتم أيها الكفار تشكون في البعث وتنكرونه ، بعد ظهور تلك الدلائل والبراهين القاطعة

[وهو الله في السموات وفي الأرض] أى هو الله المعظم المعبود في السموات والأرض . قال ابن كثير : أى يعبده ويوحده ويقر له بالألوهية من في السموات وا لأرض ، ويدعونه رغبا ورهبا ، ويسمونه (الله)

[يعلم سركم وجهركم] أى يعلم سركم وعلنكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويعلم ما تكسبون] أى من خير أو شر ، وسيجازيكم عليه . . ثم أخبر تعالى عن عنادهم وإعراضهم فقال
[وما تأتيهم من آية من آيات ربهم] أى ما يظهر لهم دليل من الأدلة ، أو معجزة من المعجزات ، أو آية من آيات القرآن

[إلا كانوا عنها معرضبن] أى إلا تركوا النظر فيها ولم يلتفتوا إليها . قال القرطبي : والمراد تركهم النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله عز وجل ، والمعجزات التي أقامها لنبيه (ص) التى يستدل بها على صدقه ، في جميع ما أتى به عن ربه
[فقد كذبوا بالحق لما جاءهم] أى كذبوا بالقرآن الذي جاءهم من عند الله
[فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون] أي سوف يحل بهم العقاب إن عاجلا أو آجلا ، ويظهر لهم خبر ما كانوا به يستهزءون ، وهذا وعيد لهم بالعذاب ، والعذاب على استهزائهم . . ثم حضهم تعالى على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاعتبار بمن سبقهم من الأمم فقال سبحانه :
[ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن] أى ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم الأنبياء ؟ ألم يعرفوا ذلك ؟
[مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم] أى منحناهم من أسباب السعة والعيش ، والتمكين في الأرض ، ما لم نعطكم يا أهل مكة
[وأرسلنا السماء عليهم مدرارا] أى أنزلنا المطر غزيرا متتابعا يدر عليهم درا
[وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم] أى من تحت أشجارهم ومنازلهم ، حتى عاشوا في الخصب والريف ، بين الأنهار والبحار
[فأهلكناهم بذنوبهم] أى فكفروا وعصوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم في الأرض
[وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين] أى أحدثنا من بعد إهلاك المكذبين ، قوما آخرين غيرهم ، قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيان : وفيه تعريض للمخاطبين بإهلاكهم إذا عصوا
كما أهلك من قبلهم
[ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس] أى لو نزلنا عليك
يا محمد كتابا مكتوبا على ورق كما اقترحوا
[فلمسوه بأيديهم] أى فعاينوا ذلك ومسوه باليد ،
ليرتفع عنهم كل إشكال ، ويزول كل ارتياب
[لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين] أى لقال
الكافرون عند رؤية تلك الآية الباهرة تعنتا وعنادا : ما
هذا إلا سحر واضح ! ! والغرض أنهم لا يؤمنون ولو
جاءتهم أوضح الآيات وأظهر الدلائل
[وقالوا لولا أنزل عليك ملك] أى هلا أنزل على
محمد ملك يشهد بنبوته وصدقه ، و[لولا] بمعنى "
هلا " للتحضيض ، قال أبو السعود : أى هلا أنزل
عليه ملك ، بحيث نراه ويكلمنا أنه نبى ؟ وهذا من
أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة ، التي يتعللون بها
كلما ضاقت عليهم الحيل ، وعيبت بهم العلل
[ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر] أى لو أنزلنا الملك كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اقترحوا وعاينوه ، ثم كفروا لحق إهلاكهم ((وقيل : المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته إذ لا يطيقون رؤيته وهو منقول عن ابن عباس كذا في القرطبي)) ، كما جرت عادة الله ، بأن من طلب آية ثم لم يؤمن بها ، أهلكه الله حالا

[ثم لا ينظرون] أى ثم لا يمهلون ولا يؤخرون ، والآية كالتعليل لعدم اجابة طلبهم ، فإنهم - في ذلك الإقتراح - كالباحث عن حتفه بظلفه

[ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا] أى لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاقة لهم برؤية الملك في صورته الملكية

[وللبسنا عليهم ما يلبسون] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان ، لقالوا هذا إنسان وليس بملك ، قال ابن عباس : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور ، ثم قال تعالى تسلية للنبى (ص) :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد استهزىء برسل من قبلك] أى والله لقد استهزأ الكافرون من كل الأمم ، بأنبيائهم الذين بعثوا إليهم [فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزءون] أى أحاط ونزل بهؤلاء المستهزئين بالرسل عاقبة استهزائهم ، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار

[قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين] اي قل يا أيها الرسول لهؤلاء المستهزئين الساخرين : سافروا في الأرض فانظروا وتأملوا مإذا حل بالكفرة قبلكم ، من العقاب وأليم العذاب ، لتعتبروا بآثار من خلا من الأمم كيف أهلكهم الله وأصبحوا عبرة للمعتبرين

[قل لمن ما في السموات والأرض] أى قل يا محمد : لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا ؟ والسؤال لإقامة الحجة على الكفار ، فهو سؤال تبكيت

[قل لله] أى قل لهم تقريرا وتنبيها هي لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة لأنه خالق الكل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إما بإعترافهم ، أو بقيام الحجة عليهم
[كتب على نفسه الرحمة] أى ألزم نفسه الرحمة تفضلا وإحسانا والغرض التلطف في دعائهم إلى الإيمان وإنابتهم إلى الرحمن
[ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه] أى ليحشرنكم من قبوركم مبعوثين إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه ليجازيكم بأعمالكم
[الذين خسروا أنغسهم فهم لا يؤمنون] أى أضاعوها بكفرهم وأعمالهم السيئة في الدنيا ، فهم لا يؤمنون ولهذا لا يقام لهم وزن في الآخرة ، وليس لهم نصيب فيها سوى الجحيم والعذاب الأليم
[وله ما سكن في الليل والنهار] أى لله عز وجل ما حل واستقر في الليل والنهار ، الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه ، والمراد عموم ملكه تعالى لكل شيء
[وهو السميع العليم] أى السميع لأقوال العباد ، العليم بأحوالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل أفغير الله أتخذ وليا] الاستفهام للتوبيخ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أغير الله أتخذ معبودا ؟

[فاطر السموات والأرض] أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق

[وهو يطعم ولا يطعم] أى هو جل وعلا يرزق ولا يرزق ، قال ابن كثير : اي هو الرازق لخلقه من غير احتياج إليهم

[قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم] أى قل لهم يا محمد : إن ربي أمرني أن أكون أول من أسلم لله من هذه الأمة

[ولا تكونن من المشركين] أى وقيل لي : لا تكونن من المشركين ، قال الزمخشري ومعناه : أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك

[قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم] أى قل لهم أيضا : إنني أخاف إن عبدت غير ربي عذاب يوم عظيم ، هو يوم القيامة

[من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه] أى من يصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنه العذاب فقد رحمه الله

[وذلك هو الفوز المبين] أى النجاة الظاهرة

[وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو] أى إن تنزل بك يا محمد شدة ، من فقر أو مرض ، فلا رافع ولا صارف له إلا هو ، ولا يملك كشفه سواه

[وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير] أى وإن يصبك بخير من صحة ونعمة ، فلا راد له ، لأنه وحده القادر على إيصال الخير والضر ، قال في التسهيل : والآية برهان على الوحدانية ، لانفراد الله تعالى بالضر والخير ، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين

[وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير] قال ابن كثير : أى هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ، وهو الحكيم في جميع أفعاله ، الخبير بواضع الأشياء) .

البلاغة :

1 - [الحمد لله] الصيغة تفيد القصر أى لا يستحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحمد والثناء إلا الله رب العالمين ، فهو من باب قصر (صفة على موصوف).

2 - [جعل الظلمات والنور] فيه من المحسنات البديعية الطباق .

3 - [ثم الذين كفروا بربهم يعدلون] اسلوب تعجيب واستبعاد أن يعدلوا به غيره ، بعد وضوح آيات قدرته ، ووضع الرب [ربهم] موضع الضمير لزيادة التشنيع والتقبيح عليهم ، إذ يشركون بربهم الجليل الذي خلقهم ورباهم ، . ، ما لا يسمع ولا ينفع ! !

4 - [سركم وجهركم] بينهما طباق .

5 - [من قرن] أى أهل قرن فهو (مجاز مرسل) على حذف مضاف .

6 - [وأرسلنا السماء عليهم مدرارا] المراد بالسماء المطر ، عبر عنه بالسماء لأنه ينزل من السماء .

---

7 - [استهزىء برسل] تنكير رسل للتفخيم والتكثير.

8 - [السميع العليم] من صيغ المبالغة ، لأن فعيل "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من صيغ المبالغة .

فائدة :

في القرآن العظيم خمس سور ابتدأت ب [الحمد لله] وهي سورة الفاتحة [الحمد لله رب العالمين] والأنعام [الحمد لله الذي خلق السموات والأرضر] وسورة الكهف [الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب] وسورة سبأ [الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض] وسورة فاطر [الحمد لله فاطر السموات والأرض] والغرض منها تعليم العباد حمد الله والثناء عليه

قال الله تعالى : [قل أى شيء أكبر شهادة قل الله . . إلى . . فلا تكونن من الجاهلين] من آية (19) الى نهاية آية (35) .

المناسبة :

لما أفاض جل ذكره في إقامة الدلائل والبراهين على قدرته ووحدانيته من أول السورة الكريمة ، ذكر هنا شهادته تعالى على صدق نبوة محمد عليه السلام ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر موقف الجاحدين للقرآن المكذبين للوحي ، وحسرتهم الشديدة يوم القيامة .

اللغة :

[لأنذركم] الإنذار : إخبار فيه تخويف

[فتنتهم] الفتنة الاختبار

[أكنة] جمع كنان وهو الغطاء

[وقرا] ثقلا ، يقال : وقرت أذنه إذا ثقلت أو صمت

[أساطير] خرافات وأباطيل ، جمع أسطورة ، قال الجوهري : الأساطير : الأباطيل والترهات

[ينأون] يبعدون يقال : نأى عنه إذا ابتعد

[بغتة] فجأة يقال : بغته إذا فجأه

[فرطنا] فرط : قصر مع القدرة على ترك التقصير ، قال ابو عبيدة : فط : ضيع

[أوزارهم] ذنوبهم جمع وزر

[يزرون] يحملون

[لهو] اللهو : صرف النفس عن الجد إلى الهزل ، وكل ما شغلك فقد ألهاك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبب النزول :

ا- روي أن رؤساء مكة قالوا يا محمد : ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ، ولقد سألنا عنك إليه ود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم ؟ فأنزل الله [قل أى شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم . .] الآية .

ب - عن ابن عباس ان " ابا سفيان " و " الوليد بن المغيرة " والنضر بن الحارث " جلسوا إلى رسول الله ، وهو يقرأ القرآن ، فقالوا للنضر : ما يقول محمد ؟ فقال أساطير الأولين ، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية ، فأنزل الله [ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه . .] الآية .

ج -روي ان " الاخنس بن شريق التقى بى " أبى جهل بن هشام ، فقال له : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس عندنا أحد غيرنا! ؟ فقال ابو جهل : والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن إذا ذهب " بنو قصي ، باللواء ، والسقاية ، والحجابة ، والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فأنزل الله [قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك . .] الآية .

التفسير :

[قل أى شيء أكبر شهادة] أى قل لهم يا محمد أى شيء أعظم شهادة ، حتى يشهد لي بأني صادق في دعوى النبوة ؟

[قل الله شهيد بيني وبينكم] أى أجبهم أنت وقل لهم : الله يشهد لي بالرسالة والنبوة ، وكفى بشهادة الله بيني وبينكم ، فهي أعظم شهادة على صدق رسالتي .

[وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ] أى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة ، قال ابن جزقي : والمقصود بالآية الإستشهاد بالله - الذي هو أكبر شهادة-على صدق رسول الله (ص) وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوة سيدنا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) وإظهار معجزته الدالة على صدقه

[أإنكم لتشهدون إن مع الله آلهة أخرى] إستفهام توبيخ أى أئنكم أيها المشركون لتقرون بوجود آلهة مع الله ؟ فكيف تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الآدلة ، وقيام الحجة على وحدانية الله ؟

[قل لا أشهد] أى قل لهم لا أشهد بذلك

[قل إنما هو إله واحد] أى قل يا محمد إنما أشهد بأن الله واحد أحد فرد صمد

[وإننى بريء مما تشركون] أى وأنا بريء من هذه الأصنام . . ثم ذكر تعالى أن الكفار بين جاهل ومعاند فقال

[الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم] يعني إليه ود والنصارى الذين عرفوا وعاندوا ، يعرفون النبي (ص) بحليته ونعته ، على ما هو مذكور في التوراة والإنجيل ، كما يعرف الواحد منهم ولده ، لا يشك في ذلك أصلا ، قال الزمخشري : وهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته

[الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون] أي أولئك هم الخاسرون ، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد (ص) بعد وضوح الآيات

[ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته] الاستفهام إنكاري ومعناه النفي ، أى لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، أو كذب بالقرآن والمعجزات الباهرة ، وسماها سحرا ، وكلمة [أو] للإيذان بأن كلا من الافتراء والتكذيب وحده ، بالغ غاية الإفراط في الظلم ، فكيف وهم قد جمعوا بينهما ، فأثبتوا ما نفاه الله ، ونفوا ما أثبته ! قاتلهم الله أنى يؤفكون

[إنه لا يفلح الظالمون] أى لا يفلح المفتري ولا المكذب ، وفيه إشارة إلى أن مدعي الرسالة لو كان كاذبا ، لكان مفتريا على الله ، فلا يكون محلا لظهور المعجزات

[ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا] أى اذكر يوم نحشرهم جميعا للحساب ، ونقول لهم على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رءوس الأشهاد

[أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون] أى أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ؟ والمراد من الاستفهام التوبيخ و[تزعمون] أى تزعمونهم آلهة وشركاء مع الله ، فحذف المفعولان ، ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها

[ثم لم تكن فتنتهم] أى لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال ورأوا الحقائق

[إلا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين] أى أقسموا كاذبين بقولهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، قال القرطبي : تبرءوا من الشرك وانتفوا منه ، لما رأوا من تجاوزه ومغفرته للمؤمنين ، قال ابن عباس : يغفر الله لأهل الإخلاص ذنوبهم ، فإذا رأى المشركون ذلك ، قالوا تعالوا نقول : إنا كنا أهل ذنوب ولم نكن مشركين ، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون

[أنظر كيف كذبوا على أنفسهم] أى أنظر يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف كذبوا على أنفسهم ، بنفي الإشراك عنها أمام علام الغيوب ، وهذا للتعجيب من كذبهم الصريح

[وضل عنهم ما كانوا يفترون] أى تلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من شفاعة آلهتهم ، وغاب عنهم ما كانوا يفترونه على الله من الشركاء . . ثم وصف تعالى حال المشركين حين استماع القرآن فقال سبحانه

[ومنهم من يستمع إليك] أي ومن هؤلاء المشركين من يصغي إليك يا محمد حين تتلو القرآن

[وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه] أى جعلنا على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوا القرآن

[وفي آذانهم وقرا] أى ثقلا وصمما يمنع من السمع ، قال ابن جزي : والمعنى أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة

[وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها] أى مهما رأوا من الآيات والحجج والبينات ، لا يؤمنوا بها لفرط العناد

[حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين] أى بلغوا من التكذيب والمكابرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أنهم إذا جاءوك مجادلين يقولون عن القرآن : ما هذا إلا خرافات وأباطيل الأولين

[وهم ينهون عنه وينأون عنه] أى هؤلاء المشركون المكذبون ينهون الناس عن القرآن ، وعن اتباع محمد عليه السلام ، ويبتعدون هم عنه

[وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون] أى وما يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك ، قال ابن كثير : فهم قد جمعوا بين الفعلين القبيحين ، لا ينتفعون ، ولا يدعون أحدا ينتفع ، ولا يعود وباله إلا عليهم وما يشعرون

[ولو ترى إذ وقفوا على النار] أى لو ترى يا محمد هؤلاء المشركين ، حين عرضوا على النار ، لرأيت أمرا عظيما تشيب لهوله الرءوس ، قال البيضاوي : وجواب [لو] محذوف تقديره لرأيت أمرا شنيعا) وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع

[قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا] أى تمنوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرجوع إلى الدنيا ليعملوا عملا صالحا ، ولا يكذبوا بآيات الله

[ونكون من المؤمنين] أى إذا رجعنا إلى الدنيا نصدق ، ونؤمن بالله إيمانا صادقا ، فتمنوا العودة ليصلحوا العمل ويتداركوا الزلل ، قال تعالى ردا لذلك التمني

[بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل] أى ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم فتمنوا ذلك

[ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون] أى لو ردوا على سبيل الفرض لأنه لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت لعادوا إلى الكفر والضلال ، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان

[وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين] أي قال أولئك الكفار الفجار : ما هي الا هذه الحياة الدنيا ، ولا بعث ولا نشور

[ولو ترى إذ وقفوا على ربهم] أى لو ترى حالهم إذ حبسوا للحساب أمام رب العالمين ، كما يوقف العبد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجاني بين يدي سيده للعقاب ، وجواب [لو] محذوف للتهويل من فظاعة الموقف

[قال أليس هذا بالحق] أى اليس هذا المعاد بحق ؟ والهمزة للتقريع على التكذيب

[قالوا بلى وربنا] أى قالوا بلى والله إنه لحق

[قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون] أى ذوقوا العذاب بسبب كفركم في الدنيا وتكذيبكم رسل الله . .

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار فقال سبحانه

[قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله] أى لقد خسر هؤلاء المكذبون بالبعث

[حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة] أى حتى إذا جاءتهم القيامة فجأة ، من غير أن يعرقوا وقتها ، قال القرطبي : سميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها

[قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها] أى قالوا يا ندامتنا على ما قصرنا وضيعنا في الدنيا من صالح الأعمال

[وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم] أي والحال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنهم يحملون أثقال ذنوبهم على ظهورهم ، قال البيضاوي : وهذا تمثيل لإستحقاقهم اصار الأثام وقال [على ظهورهم] لأن العادة حمل الأثقال على الظهور ، قال ابن جزي : وهذا كناية عن تحمل الذنوب ، وقيل : أنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة ، فقد روي أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتمثل له في أحسن صورة

[ألا ساء ما يزرون] أى بئس ما يحملونه من الأوزار

[وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو] أى باطل وغرور ، لقصر مدتها وفناء لذتها

[وللدار الآخرة خير للذين يتقون] أى الآخرة وما فيها من أنواع النعيم ، خير لعباد الله المتقين من دار الفناء ، لأنها دائمة لا يزول عنهم نعيمها ، ولا يذهب عنهم سرورها

[أفلا تعقلون] أي أفلا تعقلون أن الآخرة خير من الدنيا ؟ ثم سلى تعالى نبيه لتكذيب قومه له فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون] أى قد أحطنا علما بتكذيبهم لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، قال الحسن : كانوا يقولون إنه ساحر وشاعر ، وكاهن ومجنون

[فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون] أي فإنهم في دخيلة نفوسهم لا يكذبونك ، بل يعتقدون صدقك ولكنهم يجحدون عن عناد ، فلا تحزن لتكذيبهم ، قال ابن عباس : كان رسول الله (ص) يسمى (الأمين) فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ، ولكنهم كانوا يجحدون فكان ابو جهل يقول : ما نكذبك يا محمد إنك عندنا لمصدق ، وإنما نكذب ما جئتنا به

[ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا] أى صبروا على ما نالهم من قومهم من التكذيب والاستهزاء

[وأوذوا حتى أتاهم نصرنا] أى وأوذوا في الله حتى نصرهم الله ، وفي الآية إرشاد له (ص) إلى الصبر ، ووعد له بالنصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا مبدل لكلمات الله] قال ابن عباس : أى لمواعيد الله ، وفى هذا تقوية للوعد

[ولقد جاءك من نبأ المرسلين] أى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين ، الذين كذبوا وأوذو ا كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم ؟ فتسل ولا تحزن فإن الله ناصرك كما نصرهم

[وإن كان كبر عليك إعراضهم] أى إن كان إعراضهم عن الإسلام ، قد عظم وشق عليك يا محمد

[فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض] أى إن قدرت إن تطلب سربا ومسكنا في جوف الأرض

[أو سلما في السماء فتأتيهم بآية] أى مصعدا تصعد به إلى السماء ، فتأتيهم بآية مما اقترحوه فافعل

[ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين] أى لو أراد الله لهداهم إلى الإيمان ، فلا تكونن يا محمد من الذين يجهلون حكمة الله ومشيئته الآزلية.

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - [كما يعرفون أبناءهم] فيه تشبيه يسمى " المرسل المجمل " .

2 - [الذين كنتم تزعمون] فيه إيجاز بالحذف أى تزعمونهم شركاء .

3 - [انظر كيف كذبوا] الصيغة للتعجيب من كذبهم الغريب .

4 - [وفي آذانهم وقرا] عبر بالأكنة في القلوب والوقر في الآذان ، وهو تمثيل بطريق الاستعارة لإعراضهم عن القرآن ، حيث شبههم بالعمي والصم .

5 - [يقول الذين كفروا] وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل الكفر عليهم .

6 - [ينهون وينأون] بينهما من المحسنات البديعية (الجناس الناقص) .

7 - [وإنهم لكاذبون] وردت الصيغة مؤكدة بمؤكدين " إن " و " اللام " للتنبيه على أن الكذب طبيعتهم .

8 - [وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو] فيه تشبيه بليغ ، حيث جعلت الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة ، كقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخنساء : " فإنما هي إقبال وإدبار ، .

9 - [أفلا تعقلون] الاستغهام للتوبيخ .

10 - [كذبت رسل] تنوين رسل للتفخيم والتكثير .

تنبيه :

قال الإمام الفخر : قوله تعالى [ولو ترى إذ وقفوا على النار] يقتضى له جوابا ، وقد حذف تفخيما للأمر وتعظيما للشأن ، وأشباهه كثير في القرآن والشعر ، وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره ، ألا ترى أنك لو قلت لغلامك : والله لئن قمت إليك - وسكت عن الجواب - ذهب فكره إلى أنواع المكروه من الضرب ، والقتل ، والكسر ، وعظم خوفه لأنه لم يدر أى الاقسام تبغي ، ولو قلت : والله لئن قمت إليك لأضربنك ، فأتيت بالجواب لعلم أنك لم تبلغ شينا غير الضرب ، فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرا في حصول الخوف .

قال الله تعالى : [إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله . . إلى . . والله أعلم بالظالمين] من آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(36) إلى نهاية آية (58) .

المناسبة :

لما ذكر الله تعالى إعراض المشركين عن القرآن وعن الإيمان بالنبى عليه السلام ، ذكر في هذه الآيات السبب في ذلك ، وهو أن القرآن نور وشفاء يهتدي به المؤمنون ، وأما الكافرون فهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ولا يستجيبون ، ثم ذكر اقتراح المشركين بعض الآيات ، وشبههم بالصم البكم الذين لا يعقلون .

اللغة :

[تضرعوا] التضرع من الضراعة وهي الذلة

[الباساء] من البؤس وهو الفقر

[الضراء] من الضر وهو البلاء ، قال القرطبي : الباساء في الأموال ، والضراء في الأبدان ، هذا قول الاكثر

[مبلسون] المبلس : اليائس من الخير ، من أبلس الرجل إذا يئس ، ومنه " إبليس " لأنه أبلس من رحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عز وجل

[دابر] الدابر : الآخر ودابر القوم : خلفهم من نسلهم ، قال قطرب : يعني استؤصلوا وأهلكوا ، قال الشاعر : فاهلكوا بعذاب حصق دابرهم فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

[يصدفون] صدف عن الشيء أعرض عنه

[تطرد] الطرد : الإبعاد مع الاهانة

[الفاصلين] ا لحا كمين .

سبب النزول :

عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش على رسول الله (ص) وعنده (صهيب ، وخباب ، وبلال ، وعمار) وغيرهم من ضعغاء المسلمين ، فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء من قومك ! أفنحن نكون تبعا لهم ! أهؤلاء الذين من الله عليهم ! اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك ، فأنزل الله تعالى [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه] الآية

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنما يستجيب الذين يسمعون] أى إنما يستجيب للإيمان الذين يسمعون سماع قبول وإصغاء ، وهنا تم الكلام ، ثم ابتدأ فقال

[والموتى يبعثهم الله] قال ابن كثير : يعنى بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب ، فشبههم الله بأموات الأجساد ، وهذا من باب التهكم بهم والازراء عليهم (، وقال الطبري : يعني والكفار يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولا ، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ، ولا يعتبرون بآياته ، ولا يتذكرون فينزجرون عن تكذيب رسل الله

[ثم إليه يرجعون] أى ثم مرجعهم إلى الله فيجازيهم بأعمالهم

[وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه] أى قال كفار مكة : هلا نزل على محمد معجزة تدل على صدقه ؟ كالناقة ، والعصا ، والمائدة ؟ قال القرطبي : وكان هذا منهم تعنتا بعد ظهور البراهين ، وإقامة الحجة بالقرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، الذي عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله
[قل إن الله قادر على أن ينزل آية] أى هو تعالى قادر على أن يأتيهم بما اقترحوا
[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أى لا يعلمون إن إنزالها يستجلب لهم البلاء ، لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ، ثم لم يؤمنوا ، لعاجلهم بالعقوبة بعذاب الاستئصال ، كما فعل بالأمم السابقة
[وما من دابة في الأرض] أى ما من حيوان يمشي على وجه الأرض
[ولا طائر يطير بجناحيه] أى ولا من طائر يطير في الجو بجناحيه
[الا أمم أمثالكم] أى إلا طوائف مخلوقة مثلكم ، خلقها الله وقدر أحوالها وأرزاقها وأجالها ، قال البيضاوي : والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ، ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية
[ما فرطنا في الكتاب من شيء] أى ما تركنا وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أغفلنا في القرآن شيئا من أمر الدين ، مما يحتاج الناس إليه في أمورهم إلا بيناه ، وقيل : إن المراد بالكتاب (اللوح المحفوظ) ويكون المعنى : ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئا فلم نكتبه

[ثم إلى ربهم يحشرون] أى يجمعون فيقضي بينهم ، قال الزمخشري : يعني الأمم كلها من الدواب والطير ، فيعرضها وينصف بعضها من بعض ، كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء

[والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات] أى والذين كذبوا بالقرآن فهم (صم) لا يسمعون كلام الله سماع قبول (بكم) لا ينطقون بالحق ، ثم هم خائطون في ظلمات الكفر ، قال ابن كثير : وهذا مثل أى مثلهم في جهلهم ، وقلة علمهم ، وعدم فهمهم ، كمثل أصم وهو الذي لا يسمع ، أبكم وهو الذي لا يتكلم ، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر ، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق ، أو يخرج مما هو قيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم] أى من يشأ الله إضلاله يضلله ، ومن يشأ هدايته يرشده إلى الهدى ، وبوفقه لدين الإسلام

[قل أرأيتكم أن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة] إستفهام تعجيب أى أخبروني إن أتاكم عذاب الله ، كما أتى من قبلكم أو أتتكم القيامة بغتة من تدعون ؟

[أغير الله تدعون إن كنتم صادقين] أى أتدعون غير الله لكشف الضر عنكم ؟ إن كنتم صادقين في أن الأصنام تنفعكم

[بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء] أى بل تخصونه تعالى بدعائكم في الشدائد ، فيكشف الضر الذي تدعونه إلى كشفه إن شاء كشفه

[وتنسون ما تشركون] أى تتركون الآلهة فلا تدعونها ، لإعتقادكم أن الله تعالى هو القادر على كشف الضر وحده دون سواه

[ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك] هذه تسلية لرسول الله ، اي والله لقد أرسلنا رسلا إلى أمم كثيرين من قبلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكذبوهم

[فأخذناهم بالبأساء والضراء] أي بالفقر والبؤس والأسقام والأوجاع

[لعلهم يتضرعون] أى لكي يتضرعوا إلى الله بالتذلل والإنابة

[فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا] لولا للتحضيض أى فهلا تضرعوا حين جاءهم العذاب ، وهذا عتاب على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا مع قيام ما يدعوهم إلى التضرع

[ولكن قست قلوبهم] أي ولكن ظهر منهم النقيض حيث قست قلوبهم فلم تلن للإيمان

[وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون] أى زين لهم المعاصي ، والإصرار على الضلال

[فلما نسوا ما ذكروا به] أى لما تركوا ما وعظوا به

[فتحنا عليهم أبواب كل شيء] أى من النعم والخيرات إستدراجا لهم

[حتى إذا فرحوا بما أوتوا] أى فرحوا بذلك النعيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وازدادوا بطرا

[أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون] أى أخذناهم بعذابنا فجأة فإذا هم يائسون ، قانطون من كل خير

[فقطع دابر القوم الذين ظلموا] أى استؤصلوا وهلكوا عن آخرهم

[والحمد لله رب العالمين] أي على نصر الرسل ، وإهلاك الكافرين ، قال الحسن : مكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا وفى الحديث (إذا رآيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو إستدراج ثم قرأ [فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون]

[قل أرأيتم أن اخذ الله سمعكم وأبصاركم] أى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المعاندين من أهل مكة : أخبرونى لو أذهب الله حواسكم ، فاصمكم وأعماكم

[وختم على قلوبكم] أى طبع على قلوبكم ، حتى زال عنها العقل والفهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من اله غير الله يأتيكم به] أى هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم ، إذا سلبه الله منكم ؟

[أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون] أى أنظر كيف نبين ونوضح الآيات الدالة على وحدانيتنا ، ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها فلا يعتبرون ؟

[قل ارآيتكم أن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة] أي قل لهؤلاء المكذبين : أخبروفي إن أتاكم عذاب الله العاجل فجأة ، أو عيانا بالليل أو بالنهار

[هل يهلك إلا القوم الظالمون] الإستفهام إنكاري بمعنى النفي أى ما يهلك بالعذاب إلا أنتم لأنكم كفرتم وعاندتم

[وما نرسل المرسلين إلا مبشربن ومنذرين] أى ما نرسل الرسل ، إلا لتبشير المؤمنين بالثواب ، وإنذار الكافرين بالعقاب ، وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحه الكافرون من الآيات

[فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أى فمن آمن بهم وأصلح عمله ، فلا خوف عليهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا ، والمراد أنهم لا يخافون ولا يحزنون ، لأن الآخرة دار السرور والحبور

[والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون] أى وأما المكذبون بآيات الله فيمسهم العذاب الأليم ، بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله ، قال ابن عباس : يفسقون أى يكفرون

[قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب] أى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين يقترحون عليك تنزيل الآيات ، وخوارق العادات : لست أدعى أن خزائن الله مفوضة إلى حتى تقترحوا على تنزيل الآيات ، ولا أدعي أيضا أني أعلم الغيب حتى تسألوني عن وقت نزول العذاب

[ولا أقول لكم أني ملك] أى ولست أدعي أني من الملائكة ، حتى تكلفوني الصعود إلى السماء ، وعدم المشي في الأسواق ، وعدم الأكل والشرب ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصاوي : وهذه الآية نزلت حين قالوا له : إن كنت رسولا فأطلب من ربك أن يوسع علينا ، ويغني فقرنا ، وأخبزنا بمصالحنا ومضارنا ! ! فأخبرهم أن ذلك بيد الله سبحانه لا بيده . والمعنى : أني لا أدعي شيئا من هذه الأشياء الثلاثة ، حتى تجعلوا عدم اجابتي إلى ذلك ، دليلا على عدم صحة رسالتي

[ان اتبع إلا ما يوحى إلى] أى ما أتبع فيما أدعوكم إليه إلا وحي الله الذي يوحيه إلى

[قل هل يستوي الأعمى والبصير] أى هل يتساوى الكافر والمؤمن والضال والمهتدي ؟

[افلا تتفكرون] تقريع وتوببخ أى أتسمعون فلا تتفكرون ؟

[وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم] أى خوف يا محمد بهذا القرآن المؤمنين المصدقين بوعد الله ووعيده ، الذين يتوقعون عذاب يوم الحشر ، قال ابو حيان : وكأنه قيل : أنذر بالقرآن من يرجى ايمانه ، وأما الكفرة المعرضون فدعهم ورأيهم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع] أى ليس لهم غير الله ولى ينصرهم ، ولا شفيع يشفع لهم

[لعلهم يتقون] أى أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي

[ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدواة والعشى يريدون وجهه] أى لا تطرد هؤلاء المؤمنين الضعفاء من مجلسك يا محمد ، الذين يعبدون ربهم دوما في الصباح والمساء ، يلتمسون بذلك القرب من الله ، والدنو من رضاه ، قال الطبري : نزلت الآية في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين ، قال المشركون لرسول الله (ص) : لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك) وأراد النبي ، ذلك طمعا في إسلامهم

[ما عليك من حسابهم من شيء] أى لا تؤاخذ بأعمالهم وذنوبهم كقول نوح [إن حسابهم إلا على ربي] قال الصاوي : هذا كالتعليل لما قبله ، والمعنى : لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن ارادوا بصحبتك غير وجه الله - وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون - وإلا فقد شهد الله لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإخلاص بقوله [يريدون وجهه]
[وما من حسابك عليهم من شيء] وهذا التأكيد لمطابقة الكلام ، والمعنى : لا تؤاخذ أنت بحسابهم ولا هم بحسابك فلم تطردهم ؟ وقيل إن المراد بالحساب الرزق ، والمعنى : ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم ، وإنما يرزقك ويرزقهم الله ربى العالمين
[فتطردهم فتكون من الظالمين] أى لا تطردهم فإنك إن طردتهم تكون من الظالمين ، وهذا لبيان الأحكام - وحاشاه من وقوع ذلك منه عليه السلام - قال القرطبي : وهذا كقوله تعالى [لئن أشركت ليحبطن عملك] وقد علم الله منه أن لا يشرك ولا يحبط عمله
[وكذلك فتنا بعضهم ببعض] أى ابتلينا الغني بالفقير ، والشريف بالوضيع
[ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا] أى ليقول الأشراف والأغنياء : أهؤلاء الضعفاء والفقراء ، من الله عليهم بالهداية ، والسبق إلى الإسلام من دوننا ! ! قالوا ذلك إنكارا واستهزاء كقولهم [أهذا الذي بعث الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسولا] ؟ قال تعالى ردا عليهم

[أليس الله بأعلم بالشاكرين] ؟ أى الله أعلم بمن يشكر فيهديه ، ومن يكفر فيخزيه ، والإستفهام للتقرير

[وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم]

قال القرطبي : نزلت في الذين نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم ، فكان (ص) إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من آمرني أن أبدأهم بالسلام " قال ابن كثير : أى أكرمهم بر السلام عليهم ، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ، كما أمر (ص) بأن يبدأهم بالسلام ، إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم

[كتب ربكم على نفسه الرحمة] أى ألزم نفسه الرحمة ، تفضلا منه وإحسانا

[أنه من عمل منكم سوءا بجهالة] أى خطيئة من غير قصد ، قال مجاهد : أى لا يعلم حلالا من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم] أى ثم تاب من بعد ذلك الذنب ، وأصلح عمله ، فإن الله يغفر له ، وهو وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح

[وكذلك نفصل الآيات] أى كما فصلنا في هذه السورة الدلائل والحجج على ضلالات المشركين ، كذلك نبين ونوضح لكم أمور الدين

[ولتستبين سبيل المجرمين] أي ولتتوضح وتظهر طريق المجرمين ، فينكشف أمرهم وتستبين سبلهم

[قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله] أى قل يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين : إني نهيت أن أعبد هذه الأصنام ، التي زعمتموها آلهة ، وعبدتموها من دون الله

[قل لا اتبع أهواءكم] أى في عبادة غير الله ، وفيه تنبيه على أن اتباع الهوى سبب ضلالهم

[قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين] أى قد ضللت إن اتبعت أهواءكم ، ولا أكون في زمرة المهتدين

[قل إني على بينة من ربي] أى على بصيرة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شريعة الله التي أوحاها الي

[وكذبتم به] أى وكذبتم بالحق الذي جاءني من عند الله

[ما عندي ما تستعجلون به] أى ليس عندي ما أبادركم به من العذاب ، قال الزمخشري : يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم [فأمطر علينا حجارة من السماء]

[إن الحكم إلا لله] أى ما الحكم في أمر العذاب وغيره ، إلا لله وحده

[يقص الحق وهو خير الفاصلين] أى يخبر الخير الحق ، ويبينه البيان الشافي ، وهو خير الحاكمين بين عباده

[قل لو أن عندي ما تستعجلون به] أى لو أن بيدي أمر العذاب الذي تستعجلونه

[لقضى الأمر بينى وبينكم] أي لعجلته لكم لأستريح منكم ، ولكنه بيد الله ، قال ابن عباس : أى لم أهملكم ساعة ولأهلكتكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله أعلم بالظالمين] أى هو تعالى أعلم بهم ، إن شاء عاجلهم بالعذاب وان شاء أخر عقوبتهم ، وفيه وعيد وتهديد .

البلاغة :

1 - [والموتى يبعثهم الله] فيه استعارة لأن الموتى عبارة عن الكفار لموت قلوبهم ، فاستعار لفظة " الموتى " للكفرة المجرمين ، وهي ا ستعارة بديعة .

2 - [يطير بجناحيه] تأكيد لدفع توهم المجاز ، لأن الطائر قد يستعمل مجازا للعمل كقوله [ألزمناه طائره في عنقه] أى عمله .

3 - [صم وبكم] فيه (تشبيه بليغ) ، أى هم كالصم والبكم ، في عدم السماع وعدم الكلام ، فحذفت منه الأداة ووجه الشبه ، فأصبح بليغا .

4 - [إياه تدعون] فيه قصر أى لا تدعون غيره لكشف الضر ، فهو قصر صفة على موصوف .

5 - [فقطع دابر] كناية عن إهلاكهم بعذاب الاستئصال ، حيث هلكوا عن آخرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - [الاعمى والبصير] استعارة عن الكافر والمؤمن ، وهي من بديع الاستعارات . 7- [ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء] في هاتبن الجملتين من أنواع البديع ما يسمى " رد الصدر على العجز " .

فائدة :

قال الزمخشري في قوله تعالى [ففطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمبن] هذا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة ، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم .

فائدة :

قال بعض المفسرين : إن الواجب في الدعاء الإخلاص به ، لأنه تعالى قال [يريدون وجهه] وهكذا جميع الطاعات لا ينبغي أن تكون لشيء من أغراض الدنيا ، إنما يقصد بها رضوان الله تعالى .

قال الله تعالى : [وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو . . إلى . . عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير] من آية (59) إلى نهاية آية (73) .

المناسبة :

لما أقام تعالى الأدلة والبراهين على وجوده ووحدانيته ، أعقبه بذكر الأدلة على صفاته القدسية : علمه ، وقدرته ، وعظمته ، وجلاله ، وسائر صفات الجلال والجمال ، ثم ذكر نعمته الجليلة على العباد ، بإنجائهم من الشدائد ، وقدرته على الانتقام ممن خالف أمره وعصى رسله .

اللغة :

[كرب] الكرب : الغم الذي يأخذ بالنفس

[شيعا] الشيعة : الفرقة تتبع الأخرى ويجمع على شيع وأشياع

[أبسلوا] الإبسال : تسليم الإنسان نفسه للهلاك

[عدل] فدية

[حميم] الحميم : الماء الحار

[حيران] الحيرة : التردد في الأمر لا يهتدي إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخرج منه

[الغيب] ما غاب عن الحواس

[الشهادة] ما كان مشاهدا ظاهرا للعيان

[تحشرون] تجمعون .

التفسير :

[وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو] أى عند الله خزائن علم الغيب ، وهي الأمور المغيبة الخفية ، لا يعلمها ولا يحيط بها إلا هو جل وعلا

[ويعلم ما في البر والبحر] أى ويعلم ما في البر والبحر من الحيوانات ، جملة وتفصيلا ، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته

[وما تسقط من ورقة إلا يعلمها] مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات أى لا تسقط ورقة من الشجر ، إلا يعلم وقت سقوطها ، والأرض التى تسقط عليها

[ولا حبة في ظلمات الأرض] أى ولا حبة صغيرة في باطن الأرض ، إلا يعلم مكانها ، وهل تنبت أو لا ؟ وكم تنبت ومن يأكلها ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين] أى ولا شئ فيه رطوبة أو جفاف ، إلا وهو معلوم عند الله ، ومسجل في اللوح المحفوظ قال ابو حيان : وأنظر إلى حسن ترتيب هذه المعلومات : بدأ أولا بأمر معقول ، لا ندركه نحن بالحس وهو [مفاتح الغيب] ((كتب شهيد الإسلام " سيد قطب " في تفسيره الظلال حول هذه الآية كلاما رائعا نجتزىء منه بعض فقرات ، قال طيب الله ثراه " وهذه الآية صورة لعلم الله الشامل المحيط الذي لا يند عنه شيء في الزمان ولا في المكان ، فى الارض ولا فى السماء ، فى البر ولا فى البحر إنها صورة لعلم الله الشامل المحيط ، الذي لا يند عنه شيء في الزمان ولا في المكان ، في الأرض ولا في السماء ، في البر ولا في البحر ، في جوف الأرض ولا في طباق الجو ، من حي وميت ويابس ورطب . . . إن الخيال البشري لينطلق وراء النص القصير يرتاد آفاق المعلوم والمجهول ، وراء حدود هذا الكون المشهود . . وإن الوجدان ليرتعش وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرتاد أستار الغيوب المختومة في الماضي والحاضر والمستقبل ، البعيدة الآماد والآفاق والأغوار . . مفاتحها كلها عند الله ، لا يعلمها إلا هو . . ويجول في مجاهل البر وفي غيابات البحر , المكشوفة كلها لعلم الله . ويتبع الأوراق الساقطة من أشجار الأرض , لا يحصيها عد , وعين الله على كل ورقة تسقط , هنا وهناك . ويلحظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عين الله . ويرقب كل رطب وكل يابس في هذا الكون العريض , لا يند منه شيء عن علم الله المحيط . إنها جولة تدير الرؤوس , وتذهل العقول . جولة في أغوار من المنظور والمحجوب , والمعلوم والمجهول . وهي ترسم هكذا بدقة كاملة شاملة في بضع كلمات . . ألا إنه الإعجاز !)) ثم ثانيا بأمر ندرك كثيرا منه بالحس وهو [البر والبحر] ثم ثالثا بجزأين لطيفين أحدهما علوي وهو سقوط الورقة من علو ، والثاني سفلي وهو اختفاء حبة في بطن الأرض ، فدل ذلك على أنه تعالى عالم بالكليات والجزئيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار] أي ينيمكم بالليل ، ويعلم ما كسبتم من العمل بالنهار ، قال القرطبي : وليس ذلك موتا حقيقة بل هو قبض الأرواح ، قال ابن عباس : يقبض أرواحكم في منامكم ، وفي هذا اعتبار واستدلال على البعث الأخروي

[ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى] أى ثم يوقظكم في النهار لتبلغوا الأجل المسمى لإنقطاع حياتكم ، والضمير عائد على النهار ، لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل

[ثم إليه مرجعكم] أى ثم مرجعكم إلى الله وحده يوم القيامة

[ثم ينبئكم بما كنتم تعملون] أى يخبركم بأعمالكم ويجزيكم عليها ، إن خيرا فخير ، وإن شر فشر. . ثم ذكر تعالى جلال عظمته وكبريائه فقال سبحانه

[وهو القاهر فوق عباده] أى هو الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويرسل عليكم حفظة] أى ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون ، قال ابو السعود : وفي ذلك حكمة جميلة ونعمة جليلة ، لأن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عليه ، وتعرض على رءوس الأشهاد ، كان ذلك أزجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح

[حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا] أى حتى إذا انتهى أجل الإنسان ، توفته الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ، والمعنى : أن حفظ الملائكة للأشخاص ، ينتهي عند نهاية الأجل ، فهم مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حيا ، فإذا انتهى أجله فقد انتهى حفظهم له

[وهم لا يفرطون] أى لا يقصرون في شئ مما أمروا به ، من الحفظ والتوفي

[ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق] أي ثم يرد العباد بعد البعث ، الى الله خالقهم ومالكهم ، الذي له وحده الحكم والتصرف ، والذي لا يقضي إلا بالعدل

[ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين] أى له جل وعلا الحكم وحده يوم القيامة ، وله الفصل والقضاء ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشغله حساب عن حساب ، ولا شأن عن شأن ، يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ، كما ورد به الحديث ، وروي أنه يحاسب الناس في مقدار حلب شاة ((سئل على رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد في حالة واحدة ، وفي وقت واحد ؟ فقال : كما يرزقهم في الدنيا في حال واحدة ، كذلك يحاسبهم في وقت واحد))

[قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر] أى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من ينقذكم ويخلصكم في أسفاركم من شدائد وأهوال البر والبحر ؟

[تدعونه تضرعا وخفية] أى تدعون ربكم عند معاينة هذه الأهوال مخلصين له الدعاء مظهرين الضراعة ، تضرعا بألسنتكم وخفية في أنفسكم ، قال ابن عباس المعنى : تدعون ربكم علانية وسرا قائلين

[لئن أنجانا من هذه لنكون من الشاكرين] أى لئن خلصتنا من هذه الظلمات والشدائد ، لنكون من المؤمنين الشاكرين ! ! والغرض : إذا خفتم الهلاك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دعوتموه فإذا نجاكم كفرتموه ، قال القرطبي : وبخهم الله في دعائهم إياه عند الشدائد ، وهم يدعون معه في حالة الرخاء غيره

[قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب] أى الله وحده ينجيكم من هذه الشدائد ، ومن كل كرب وغم

[ثم أنتم تشركون] تقريع وتوببخ ، أى ثم أنتم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققه ، تشركون به ولا تؤمنون

[قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم] أى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة : أنه تعالى قادر على إهلاككم ، بإرسال الصواعق من السماء ، وما تلقيه البراكين من الأحجار والحمم ، وكالرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح كما فعل بمن قبلكم

[أو من تحت أرجلكم] بالخسف والزلازل والرجفة كما فعل بقارون وأصحاب مدين

[أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض] أى يجعلكم فرقا متحزبين يقاتل بعضكم بعضا ، قال البيضاوي : أى يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شتى ، فينشب القتال بينكم وقال ابن عباس : أى يبث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا ، والكل متقارب والغرض منه الوعيد

[أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون] أى أنظر كيف نبين ونوضح لهم الآيات ، بوجوه العبر والعظات ، ليفهموا ويتدبروا عن الله آياته وبراهينه وحججه ، عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية [قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم] قال رسول الله (ص) : أعوذ بوجهك [أو من تحت أرجلكم] قال : أعوذ بوجهك [أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض] قال رسول الله (ص) : هذه أهون أو أيسر

[وكذب به قومك وهو الحق] أى وكذب بهذا القرآن قومك يا محمد - وهم قريش - وهو الكتاب المنزل بالحق

[قل لست عليكم بوكيل] أى لست عليكم بحفيظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومتسلط إنما أنا منذر

[لكل نبأ مستقر] أى لكل خبر من أخبار الله عز وجل ، وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير

[وسوف تعلمون] مبالغة في الوعيد والتهديد ، أى سوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب

[وإذا رايت الذين يخوضون في آياتنا] أى إذا رأيت هؤلاء الكفار يخوضون في القرآن ، بالطعن والتكذيب والإستهزاء

[فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره] أى لا تجالسهم وقم عنهم حتى يأخذوا في كلام آخر ، ويدعوا الخوض والاستهزاء بالقرآن ، قال السدي : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين ، وقعوا في النبي (ص) والقرآن ، فسبوه واستهزءوا به ، فأمرهم الله ألا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره (

[وإما ينسينك الشيطان] أى إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فجالستهم ثم تذكرت

[فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين] أى لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجلس بعد تذكر النهي مع الكفرة والفساق ، الذين يهزءون بالقرآن والدين ، قال ابن عباس : أى قم إذا ذكرت النهي ، فلا تقعد مع المشركين

[وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء] أى ليس على المؤمنبن شىء من حساب الكفار ، على استهزانهم وإضلالهم ، إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم

[ولكن ذكرى لعلهم يتقون] أى ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عن ما هم عليه من القبائح ، بما أمكن من العظة والتذكير) ، ويظهروا لهم الكراهة لعلهم يجتنبون الخوض في القرآن ، حياء من المؤمنين إذا رأوهم قد تركوا مجالستهم ، قال ابن عطية : ينبغي للمؤمن أن يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين وأهل الجدل والخوض فيه

[وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا] أى أترك هؤلاء الفجرة الذين اتخذوا الدين الذي كان ينبغي احترامه وتعظيمه ، لعبا ولهوا ، بإستهزائهم به

[وغرتهم الحياة الدنيا] أى خدعتهم هذه الحياة الفانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبدا
[وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت] أى وذكر بالقرآن الناس ، مخافة أن تسلم نفس للهلاك ، وترهن بسوء عملها
[ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع] أى ليس لها ناصر ينجيها من العذاب ، ولا شفيع يشفع لها عند الله
[وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها] أى وإن تعط تلك النفس كل فدية لا يقبل منها ، قال قتادة : لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يقبل منها)
[أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا] أى أسلموا لعذاب الله ، بسبب أعمالهم القبيحة ، وعقائدهم الشنيعة
[لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون] أى لهؤلاء الضالين ، شراب من ماء مغلي ، يتجرجر في بطونهم ، وتتقطع به أمعاؤهم ، ونار تشتعل بأبدانهم ، بسبب كفرهم المستمر ، فلهم مع الشراب الحميم ، العذاب الأليم ، والهوان المقيم
[قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاستفهام للإنكار والتوبيخ أى قل لهم يا أيها الرسول : أنعبد ما لا ينفعنا إن دعوناه ، ولا يضرنا إن تركناه ؟ والمراد به الأصنام

[ونرد على أعقابنا] أى نرجع إلى الضلالة بعد الهدى

[بعد إذ هدانا الله] أى بعد أن هدانا الله للإسلام

[كالذي استهوته الشياطين في الأرض] أى فيكون مثلنا كمثل الذي اختطفته الشياطين ، وأضلته وسارت به في المفاوز والمهالك ، فألقته في هوة سحيقة

[حيران] أي متحيرا ، لا يدري أين يذهب

[له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا] أى يدعونه إلى الطريق الواضح ، يقولون : ائتنا فلا يقبل منهم ، ولا يستجيب لهم

[قل إن هدى الله هو الهدى] أى قل لهؤلاء الكفار : إن ما نحن عليه من الإسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال

[وأمرنا لنسلم لرب العالمين] أى أمرنا بان نستسلم لله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عز وجل ، ونخلص له العبادة ، في جميع أمورنا وأحوالنا ، وهذا تمثيل لمن ضل عن الهدى ، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب ، قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعون إلى الله ، كمثل رجل ضل عن الطريق تائها ضالا ، إذ ناداه منابر يا فلان بن فلان هلم إلى الطريق ، وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق ، فإن اتبع الداعي الأول ، انطلق به حتى يلقيه في الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق ، يقول : مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله ، فإنه يرى إنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة

[وأن أقيموا الصلاة واتقوه] أي وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقوى الله في جميع الأحوال

[وهو الذي إليه تحشرون] أى تجمعون إليه يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله

[وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق] أى هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبحانه الخالق المالك ، المدبر للسموات والأرض ومن فيهما ، خلقهما بالحق ، ولم يخلقهما باطلا ولا عبثا

[ويوم يقول كن فيكون] أى واتقوه ، واتقوا عقابه ، واحذروا المكاره والشدائد ، يوم يقول كن فيكون ، قال ابو حيان : وهذا تمثيل لإخراج الشيء من العدم إلى الوجود وسرعته ، لا إن ثم شيئا يؤمر

[قوله الحق وله الملك] أى قوله الصدق الواقع لا محالة ، وله الملك يوم القيامة

[يوم ينفخ في الصور] أى يوم ينفخ اسرافيل في الصور (النفخة الثانية) ، وهي نفخة الإحياء

[عالم الغيب والشهادة] أى يعلم ما خفي وما ظهر ، وما يغيب عن الحواس والأبصار ، وما تشاهدونه بالليل والنهار

[وهو الحكيم الخبير] أي (الحكيم) في أفعاله ، (الخبير) بشؤون عباده .

البلاغة :

1 - [وعنده مفاتح الغيب] استعار المفاتح للأمور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغيبية ، كأنها مخازن خزنت فيها المغيبات ، قال الزمخشري : جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة ، لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المغلقة بالأقفال ، فهو سبحانه العالم بالمغيبات وحده .

2 - [وهو الذي يتوفاكم بالليل] فيها استعارة لطيفة ، استعير التوفي للنوم ، لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز .

3 - [فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين] وضع الظاهر موضع الضمير (معهم للتسجيل عليهم بشناعة ما ارتكبوا ، حيث وضعوا التكذيب والاستهزاء ، مكان التصديق والتعظيم .

4 - [ونرد على أعقابنا] كنى عن الشرك بالرد على الأعقاب ، لزيادة تقبيح الأمر وتشنيعه .

5 - [تعدل كل عدل] بينهما جناس الاشتقاق .

6 - من المحسنات البديعية الطباق في كل من [رطب ويابس] و[الليل والنهار] و[فوق وتحت] و[ينفعنا ويضرنا] و[الغيب والشهادة] والسجع في [شراب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من حميم وعذاب أليم] .

تنبيه :

قال الحاكم : دل قوله تعالى [وعنده مفاتح الغيب] على بطلان قول الإمامية : إن الإمام يعلم شيئا من الغيب ، وهذا كذب وبهتان لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

قال الله تعالى : [إذ قال إبراهيم لأبيه آزر . . إلى . . وضل عنكم ما كنتم تزعمون] من آية (74) الى نهاية آية (94) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الحجج الدامغة ، الدالة على التوحيد وبطلان عبادة الأوثان ، ذكر هنا قصة أب الأنبياء (إبراهيم " لإقامة الحجة على مشركي العرب ، في تقديسهم الأصنام ، فإنه جاء بالتوحيد الخالص ، الذي يتنافى مع الإشراك بالله ، وجميع الطوائف والملل معترفة بفضل إبراهيم وجلالة قدره ، ثم ذكر شرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسل من أبناء إبراهيم ، وأمر رسوله بالاقتداء بهديهم الكريم .

اللغة :

[ملكوت] ملك ، والواو والتاء للمبالغة قي الوصف ، كالرغبوت والرهبوت من الرغبة والرهبة

[جن] ستر بظلمته ، قال الواحدي : جن عليه الليل وأجنه الليل ، ويقال لكل ما سترته : جن وأجن ومنه الجنة ، والجن والجنون ، والجنين ، وكل هذا يعود أصله إلى الستر وا لإستتار

[بازغا] طالعا يقال : بزغ القمر إذا ابتدا في الطلوع ، قال الازهري : كإنه مأخوذ من البزغ وهو الشق ، لأنه بنوره يشق الظلمة شقا

[أفل] غاب يقال : أفل افولا إذا غاب

[سلطانا] حجة

[يلبسوا] يخلطوا ، يقال : لبس الأمر خلطه ، ولبس الثوب اكتسى به

[اجتبيناهم] اصطغيناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قراطيس] جمع قرطاس وهو الورق ، قال الشاعر :
استودع العلم قرطاسا فضيعه فبئس مستودع العلم القراطيس

[غمرات] الغمرة : الشدة المذهلة ، وأصله من غمرة الماء وهي ما يغطى الشيء

[خولناكم] أعطيناكم وملكناكم ، والتخويل : المنح والإعطاء

[ضل عنكم] ضاع وبطل .

سبب النزول :

عن سعيد بن جبير أن " مالك بن الصيف " من إليه ود جاء يخاصم النبى ص) ، فقال له النبي (ص) : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراه أن الله يبغض الحبر السمين ؟ - وكان حبرا سمينا - فغضب وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا على موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شىء ، فأنزل الله [وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشر من شيء . .] الآية.

التفسير :

[وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة] أى وأذكر يا أيها الرسول لقومك عبدة الأوثان ، وقت قول إبراهيم - الذي يدعون أنهم على ملته - لأبيه آزر منكرا عليه : اتتخذ أصناما آلهة تعبدها ؟ وتجعلها ربا دون الله الذي خلقك فسواك ورزقك ؟

[إني أراك وقومك في ضلال مبين] أي فانت وقومك في ضلال عن الحق ، مبين واضح لا شك فيه

[وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض] أى نري إبراهيم الملك العظيم ، والسلطان الباهر

[وليكون من الموقنين] أى وليكون من الراسخين في اليقين ، أريناه تلك الآيات الباهرة ، قال مجاهد : فرجت له السموات والأرض ، فرأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل

[فلما جن عليه الليل رأى كوكبا] أى فلما ستر الليل بظلمته كل ضياء ، رأى كوكبا مضيئا في السماء ، هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الزهرة) أو (المشتري)

[قال هذا ربي] أى على زعمكم ، قاله على سبيل الرد عليهم ، والتوبيخ لهم ، وإستدراجا لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله . قال الزمخشري : كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب ، فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق ، من طريق النظر والإستدلال ، ويعرفهم أن النظر الصحيح ، مؤد إلى ألا يكون شىء منها آلها ، وأن وراءها محدثا أحدثها ، ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها ، وقوله [هذا ربي] قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل ، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى الى الحق ، ثم يكر عليه فيبطله بالحجة النيرة

[فلما أفل قال لا أحب الآفلين] أى فلما غاب الكوكب ، قال : لا أحب عبادة من كان كذلك ، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والإنتقال ، لأن ذلك من صفات الأجرام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي] أى فلما رأى القمر طالعا منتشر الضوء ، قال : هذا ربي على الإسلوب المتقدم ، لفتا لأنظار قومه إلى فساد ما يعبدونه ، وتسفيها لأحلامهم

[فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين] أى فلما غاب القمر ، قال إبراهيم : لئن لم يثبتني ربي على الهدى ، لأكونن من القوم الضالين ، وفيه تعريض لقومه بأنهم على ضلال

[فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر] أى هذا أكبر من الكوكب والقمر

[فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون] أي فلما غابت الشمس ، قال لقومه : أنا بريء من إشراككم وأصنامكم ، قال أبو حيان : لما أوضح لهم أن هذا الكوكب الذي رآه لا يصلح أن يكون ربا ، ارتقب ما هو أنور منه وأضوا ، فرآى القمر أول طلوعه ، ثم لما غاب ارتقب الشمس ، إذ كانت أنور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من القمر وأضوا ، وأكبر جرما وأعم نفعا ، فقال ذلك على سبيل الاحتجاج عليهم ، وبين أنها مساوية للنجم في صفة الحدوث وقال ابن كثير : والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام " مناظرا ، لقومه ، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام ، والكواكب السيارة ، وأشدهن اضاءة (الشمس ، ثم القمر ، ثم الزهرة) فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة ، التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار ، وتحقق ذلك بالدليل القاطع [قال يا قوم إني بريء مما تشركون]

[اني وجهت وجهى] أى قصدت بعبادتي وتوحيدي

[للذي فطر السموات والأرض] أى لله الذي ابتدع العالم ، وخلق السموات والأرض

[حنيفا] أى مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق

[وما أنا من المشركين] أى لست ممن يعبد مع الله غيره

[وحاجه قومه] ((ذهب بعض المفسرين إلى أن قول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبراهيم عن الكوكب {هذا ربي } إنما كان في حال الطفولة قبل استحكام النظر في معرفة الله جل وعلا ، والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، من أن هذا القول كان في مقام " المناظرة " لقومه ، لإقامة الحجة عليهم في بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر ، وأن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم ، من أبلغ الحجج وأوضح البراهين ، ومما يدل عليه قوله تعالى {وحاجه قومه } وقوله {وتلك حجتنا اتيناها إبراهبم على قومه } فالمقام مقام مناظرة - كما قال الحافظ ابن كثير - لا مقام نظر ، وحاشا الخليل ، أن يشك في الرب الجليل ، وهو أب الأنبياء وإمام الحنفاء ، وقد ساق " الفخر الرازي " اثنتي عشرة حجة في تأييد مذهب الجمهور في تفسيره الكبير وهذا اختيار أساطين المفسرين كالقرطبى والزمخشري وأبي السعود وابن كثبر وصاحب البحر المحيط والله أعلم)) أى جادلوه وناظروه في شأن التوحيد ، قال ابن عباس : جادلوه في آلهتهم وخوفوه بها ، فأجابهم منكرا عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال أتحاجونى في الله] أي أتجادلونني في وجود الله ووحدانيته ؟

[وقد هدان] أى وقد بصرني وهداني إلى الحق ؟

[ولا أخاف ما تشركون به] أى لا أخاف هذه الآلهة المزعومة التي تعبدونها من دون الله ، لأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، وليست قادرة على شيء مما تزعمون

[إلا إن يشاء ربي شيئا] أى إلا إذا أراد ربي أن يصيبني شي من المكروه فيكون

[وسع ربي كل شيء علما] أى أحاط علمه بجميع الأشياء

[أفلا تتذكرون] استفهام للتوبيخ أى أفلا تعتبرون وتتعظون ؟ وفي هذا تنبيه لهم على غفلتهم التامة ، حيث عبدوا ما لا يضر ولا ينفع ، وأشركوا بالله مع ظهور الدلائل الساطعة على وحدانيته سبحانه

[وكيف أخاف ما أشركتم] أى كيف أخاف آلهتكم التي أشركتموها مع الله في العبادة !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا] أى وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شيء ، الذي أشركتم به ، بدون حجة ولا برهان

[فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون] أى أينا أحق بالأمن ؟ أنحن وقد عرفنا الله بأدلة قاطعة ؟ وخصصناه بالعبادة ، أم أنتم وقد أشركتم معه الأصنام ، وكفرتم بالواحد الديان ؟

[الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم] أى لم يخلطوا إيمانهم بشرك

[أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] أى لهم الأمن من العذاب وهم على هداية ورشاد ، روي أن هذه الآية لما نزلت ، أشفق منها أصحاب النبي (ص) في فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال (ص) : ليس كما تظنون وإنما هو كما قال لقمان لأبنه [يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم]

[وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه] الإشارة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما تقدم من الحجج الباهرة ، التي أيد الله بها خليله عليه السلام ، أى هذا الذي احتج به إبراهيم على وحدانية الله ، من غياب الكواكب والشمس والقمر ، من أدلتنا التي أرشدناه لها ، لتكون له الحجة الدامغة على قومه

[نرفع درجات من نشاء] أى بالعلم والفهم والنبؤة

[إن ربك حكيم عليم] أى حكيم يضع الشيء في محله ، عليم لا يخفى عليه شيء

[ووهبنا له اسحق ويعقوب] أى وهبنا لإبراهيم ولدا وولد ولد ، لتقر عينه ببقاء العقب

[كلا هدينا] أى كلا منهما أرشدناه إلى سبيل السعادة وآتيناه النبوة والحكمة ، قال ابن كثير : يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق ، بعد أن طعن في السن وأيس من الولد ، وبشر بنبوته وبأن له نسلا وعقبا ، وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة ، وكان هذا مجازاة لإبراهيم حين اعتزل قومه ، وهاجر من بلادهم لعبادة الله ، فعوضه الله عن قومه وعشيرته ، بأولاد صالحين من صلبه لتقر بهم عينه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونوحا هدينا من قبل] أى من قبل إبراهيم ، وذكر تعالى نوحا لأنه أب البشر الثاني ، فذكر شرف أبناء إبراهيم ، ثم ذكر شرف أبائه

[ومن ذريته داود وسليمان] أي ومن ذرية إبراهيم ((الضمير في {ذريته } فيه قولان : قيل إنه يرجع إلى نوح ، واختاره الفراء وابن جرير وقيل : إنه يرجع إلى إبراهيم وهو قول عطاء واختاره أبو السعود لأن مساق الآية ، لبيان شؤون إبراهيم العظيمة ، لا لبيان أولاد وذرية نوح عليه الصلاة والسلام)) هؤلاء الأنبياء الكرام ، وبدأ تعالى بذكر (داود وسليمان) لأنهما جمعا الملك مع النبوة ، وسليمان بن داود فذكر الأب والإبن

[وأيوب ويوسف] قرنهما لإشتراكهما في الامتحان والبلاء

[وموسى وهارون] قرنهما لإشتراكهما في الإخوة ، وقدم موسى لأنه كليم الله

[وكذلك نجزي المحسنين] أى مثل ذلك الجزاء الكريم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لإبراهيم ، نجزي من كان محسنا في عمله ، صادقا في إيمانه

[وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس] قرن بينهم لإشتراكهم في الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا

[كل من الصالحين] أى الكاملين في الصلاح

[وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا] إسماعيل هو ابن إبراهيم ، ويونس بن متى ، ولوط بن هاران ، وهو ابن اخ إبراهيم

[وكلا فضلنا على العالمبن] أى كلا من هؤلاء المذكورين في هذه الآية ، فضلناه بالنبوة على عالمي عصرهم

[ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم] أي وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات كثيرة

[واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم] أي اصطفيناهم وهديناهم إلى الطريق الحق ، المستقيم الذي لا عوج فيه ، قال ابن عباس : هؤلاء الأنبياء كلهم مضافون إلى ذرية إبراهيم ، وإن كان فيهم من لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلحقه بولادة من قبل أم ولا أب

[ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده] أى ذلك الهدى إلى الطريق المستقيم ، هو هدى الله يهدي به من أراد من خلقه

[ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون] أى لو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلو قدرهم ، لبطل عملهم فكيف بغيرهم ؟

[أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة] أى أنعمنا عليهم بإنزال الكتب السماوية والحكمة الربانية ، والنبوة والرسالة

[فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين] أى فإن يكفر بآياتنا كفار عصرك يا محمد ، فقد استحفظناها واسترعيناها رسلنا وأنبياءنا الكرام

((قيل إن المراد بهم أهل المدينة من الأنصار وهو قول ابن عباس وقيل هم النبيون الثمانية عشر المذكورون فى هذه الآية ، وهو قول قتادة واختيار الزجاج وابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جرير))

[أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده] أى هؤلاء الرسل المتقدم ذكرهم هم الهداة المهتدون ، فتأس واقتد بسيرتهم العطرة

[قل لا أسألكم عليه أجرا] أى قل يا محمد لقومك : لا أسألكم على تبليغ القرآن ، شيئا من الأجر والمال

[إن هو إلا ذكرى للعالمين] أى ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير لجميع الخلق

[وما قدروا الله حق قدره] أى ما عرفوا الله حق معرفته ، ولا عظموه حق تعظيمه

[إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء] أى حين أنكروا الوحي وبعثه الرسل ، والقائلون هم إليه ود اللعناء تفوهوا بهذه العظيمة الشنعاء ، مبالغة في إنكار نزول القرآن على محمد عليه السلام

[قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس] أى قل يا محمد لهؤلاء المعاندين : من أنزل التوراة على موسى ، نورا يستضاء به وهداية لبنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إسرائيل ؟

[تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا] أى تكتبونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ، تبدون منها ما تشاءون وتخفون ما تشاءون ، قال الطبري : ومما كانوا يكتمونه إياهم ما فيها من أمر محمد (ص) ونبوته

[وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا أباؤكم] أى علمتم يا معشر إليه ود من دين الله. وهدايته في هذا القرآن ، ما لم تعلموا به من قبل انتم وأباؤكم

[قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون] أى قل لهم في الجواب : الله أنزل هذا القرآن ، ثم إتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ، يهزءون ويلعبون ، وهذا وعيد لهم وتهديد ، على إجرامهم وتكذيبهم رسل الله

[وهذا كتاب أنزلناه مبارك] أى وهذا القرآن الذي أنزل على محمد (ص) كتاب مبارك كثير النفع والفائدة

[مصدق الذي بين يديه] أى يصدق كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل

[ولتنذر أم القرى ومن حولها] أى لتنذر به يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل مكة ، ومن حولها وهم سائر أهل الأرض

[والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به] أى والذين يصدقون بالحشر والنشر ، يؤمنون بهذا الكتاب لما انطوى عليه من ذكر الوعد والوعيد ، والتبشير والتهديد

[وهم على صلاتهم يحافظون] أى يؤدون الصلاة على الوجه الاكمل في أوقاتها ، قال الصاوي : خص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات

[ومن أظلم من افترى على الله كذبا] استفهام معناه النفي أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فجعل له شركاء وأندادا

[أو قال أوحي إلى ولم يوح إليه شيء] أى زعم أن الله بعثه نبيا ، كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، مع أن الله لم يرسله

[ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله] أى ومن أدعى أنه سينظم كلاما ، يماثل ما أنزله الله كقول الفجار [لو نشاء لقلنا مثل هذا] قال ابو حيان : نزلت في (النضر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن الحارث) ومن معه من المستهزئين ، لأنه عارض القرآن بكلام سخيف ، لا يذكر لسخفه

[ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت] أى ولو ترى يا محمد هؤلاء الظلمة ، وهم في سكرات الموت وشدائده ، وجواب [لو] محذوف للتهويل ، أى لرآيت أمرا عظيما

[والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم] أى وملائكة العذاب يضربون وجوههم وأدبارهم ، لتخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : خلصوا أنفسكم من العذاب ، قال الزمخشري : المعنى يقولون : هاتوا أرواحكم أخرجوها من أجسادكم ، وهذه عبارة عن العنف في السياق ، وا لإلحاح الشديد في الإزهاق ، من غير تنفيس وإمهال

[اليوم تجزون عذاب الهون] أى تجزون العذاب الذى يقع به الهوان الشديد ، مع الخزى الأكيد

[بما كنتم تقولون على الله غير الحق] أى بإفترائكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الله ، ونسبتكم إليه الشريك والولد

[وكنتم عن آياته تستكبرون] أى تتكبرون عن الايمان بآيات الله ، فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون

[ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة] أى جئتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد ، حفاة عراة غرلا ، كما ورد في الحديث (أيها الناس انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ، كما بدأنا أول خلق نعيده)

[وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم] أى تركتم ما عطيناكم من الأموال في الدنيا ، فلم تنفعكم في هذا اليوم العصيب

[وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء] أى وما نرى معكم آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم ، والذين اعتقدتم أنهم شركاء لله ، في استحقاق العبادة

[لقد تقطع بينكم] أى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم

[وضل عنكم ما كنتم تزعمون] أي ضاع وتلاشى ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زعمتوه من الشفعاء والشركاء ! !

البلاغه :

1 - [وكذلك نري إبراهيم] حكاية حال ماضية أى أريناه .

2 - [لأكونن من القوم الضالين] فيه تعريض بضلال قومه ، وبين لفظ

[الهداية والضلالة] طباق وهو من المحسنات البديعية .

3 - [وجهت وجهي] بينهما جناس الاشتقاق .

4 - [هدى الله] الإضافة للتشريف ، وبين [هدى] و[يهدي] جناس الاشتقاق أيضا .

5 - [ما أنزل الله على بشر من شيء] مبالغة في إنكار نزول شيء من الوحي على أحد من الرسل .

6 - [من أنزل الكتاب] استفهام للتبكيت والتوبيخ .

7 - [تبدونها وتخفون] بينهما طباق .

8 - [أم القرى] مكة المكرمة ، وفيها استعارة حيث شبهت بالأم ، لأنها أصل المدن والقرى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

9 - [في غمرات الموت] قال الشريف الرضي :
هذه استعارة عجيبة حيث شبه سبحانه ما يعتورهم من كرب الموت وغصصه ، بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه ، وسميت (غمرة) لأنها تغمر قلب الإنسان .
تنبيه :
ذهب بعض المفسرين إلى أن [آزر] عم إبراهيم وليس أباه وقال آخرون : إنه اسم للصنم ، والصحيح كما قال المحققون من المفسرين أنه اسم لوالد إبراهيم ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، والآية صريحة في أن (آزر) كان كافرا ، ولا يقدح ذلك في مقام إبراهيم عليه السلام ، وفي صحيح البخاري " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة . . الحديث ودعوى إيمانه مرفوضة بنص الكتاب والسنة والله أعلم .
قال الله تعالى : [إن الله فالق الحب والنوى . . إلى . . ونذرهم في طغيانهم يعمهون] من آية (95) الى نهاية آية (115) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى أمر التوحيد وأردفه بتقرير أمر النبوة ، ذكر هنا الأدلة الدالة على وجود الخالق وكمال علمه وقدرته وحكمته ، تنبيها على أن المقصود الأصلي إنما هو (معرفة الله) بذاته وصفاته وأفعاله .

اللغة :

[فالق] الفلق : الشق ، وانفلق الصبح انشق

[سكنا] السكن ما يسكن إليه الإنسان ويانس به ، والسكن : الرحمة حسبانا] أى بحساب ، قال الزمخشري : الحسبان مصدر حسب كما أن الحسبان مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران

[متراكبا] بعضه فوق بعض

[قنوان] جمع قنو وهو العذق أي عنقود النخلة

[وينعه] أى نضجه وإدراكه يقال : ينعت الشجرة وأينعت إذا نضجت

[خرقوا] اختلقوا كذبا وإفكا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بديع] مبدع وهو الخالق على غير مثال سابق ، والإبداع الإتيان بشيء لم يسبق إليه ، ولهذا يقال لمن أتى في فن من الفنون لم يسبقه فيه غيره : إنه أبدع

[نصرف] التصريف : نقل الشيء من حال الى حال .

سبب النزول :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمدا وأصحابه عن سب آلهتنا والنيل منها ، وإما ان نسب إلهه ونهجوه فنزلت [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . .] الآية وفي رواية أخرى أن المشركين قالوا يا محمد : لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنزلت .

التفسير :

عاد الكلام إلى الإحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير فقال سبحانه :

[أن الله فالق الحب والنوى] أى يفلق الحب تحت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض ، لخروج النبات منها ، ويفلق النوى لخروج الشجر منها ، قال القرطبي : أى يشق النواة الميتة ، فيخرج منها ورقا أخضر ، وكذلك الحبة

[يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحي] أى يخرج النبات الغض الطرفي من الحب اليابس ، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي ، وقال ابن عباس : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، وعلى هذا فالحي والميت (استعارة) عن المؤمن والكافر

[ذلكم الله فأنى تؤفكون] أى ذلكم الله الخالق المدبر ، فكيف تصرفون عن الحق بعد هذا البيان ؟

[فالق الإصباح] أى شاق الضياء عن الظلام وكاشفه ، قال الطبري : شق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده

[وجعل الليل سكنا] أى يسكن الناس فيه عن الحركات ويستريحون

[والشمس والقمر حسبانا] أى بحساب دقيق يتعلق به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصالح العباد ، ويعرف بهما حساب الأزمان والليل والنهار

[ذلك تقدير العزيز العليم] أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم ، تقدير الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء ، العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم

[وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر] أى خلق لكم النجوم لتهتدوا بها في أسفاركم ، في ظلمات الليل في البر والبحر ، وإنما امتن عليهم بالنجوم لأن سالكى القفار ، وراكبي البحار ، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها

[قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون] أى بينا الدلائل على قدرتنا ، لقوم يتدبرون عظمة الخالق

[وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة] أى خلقكم وأبدعكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام

[فمستقر ومستودع] قال ابن عباس : المستقر في الارحام ، والمستودع في الأصلاب ، أى لكم استقرار في أرحام أمهاتكم وأصلاب أبائكم ، وقال ابن مسعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستقر في الرحم ، ومستودع في الأرض التي تموت فيها ((وفسر المستقر أيضا بالاستقرار فوق الأرض والمستودع تحت الأرض ، واختار الطبري العموم))
[قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون] أى بينا الحجج لقوم يفقهون الأسرار والدقائق ، قال الصاوي : عبر هنا ب [يفقهون] إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما احتوى عليه ، أمر خفى ، تتحير فيه الألباب ، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد ، ولذا عبر فيها ب [يعلمون]
[وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ] أى أنزل من السحاب المطر ، فاخرج به كل ما ينبت من الحبوب والفواكه ، والثمار والبقول ، والحشائش والشجر ، قال الطبري : أى أخرجنا به ما ينبت به كل شيء ، وينمو عليه ويصلح
[فأخرجنا منه خضرا] أى أخرجنا من النبات شيئا غضعا أخضر
[نخرج به حبا متراكبا] أى نخرج من الخضر حبا متراكبا بعضه فوق بعض ، كسنابل الحنطة والشعير ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : يريد القمح والشعير والذرة والأرز

[ومن النخل من طلعها قنوان دانية] أى وأخرجئا من طلع النخل - والطلع أول ما يخرج من التمر في أكمامه - عناقيد قريبة سهلة التناول ، قال ابن عباس : يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن يجتنبها

[وجنات من أعناب] أى وأخرجنا بالماء بساتين وحدائق من أعناب

[والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه] أى وأخرجنا به أيضا شجر الزيتون وشجر الرمان ، مشتبها في المنظر ، وغير متشابه في الطعم ، قال قتادة : مشتبها ورقه مختلفا ثمره ، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار العليم المدبر

[انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه] أى انظروا أيها الناس نظر اعتبار واستبصار ، إلى خروج هذه الثمار ، من ابتداء خروجها ، إلى انتهاء ظهورها ونضجها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف تتنقل من حال إلى حال ، في اللون والرائحة والصغر والكبر ، وتأملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مرا ، وبعضه مالحا لا ينتفع بشيء منه ، ثم إذا انتهى ونضج ، فإنه يعود حلوا طيبا نافعا مستساغ المذاق ! فسبحان القدير الخلاق ! !

[إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون] أى إن في خلق هذه الثمار والزروع ، مع اختلاف الأجناس والأشكال والألوان ، لدلائل باهرة على قدرة الله ووحدانيته ، لقوم يصدقون بوجود الله ، قال ابن عباس : يصدقون أن الذي اخرج هذا النبات قادر على ان يحي الموتى)

[وجعلوا لله شركاء الجن] أى وجعلوا الجن شركاء لله حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان

[وخلقهم] أى وقد علموا أنه تعالى هو الذي خلقهم وانفرد بإيجادهم ، فكيف يجعلونهم شركاء له ؟ وهذه غاية الجهالة

[وخرقوا له بنين وبنات بغير علم] أى واختلقوا ونسبوا اليه تعالى البنين والبنات ، حيث قالوا : عزيز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن الله ، والملائكة بنات الله ، سفها وجهالة

[سبحانه وتعالى عنا يصفون] أى تنزه الله وتقدس عن هذه الصفات التي نسبها إليه الظالمون ، وتعالى علوا كبيرا

[بديع السموات والأرض] أى مبدعهما من غير مثال سبق

[أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة] أى كيف يكون له ولد وليس له زوجة ؟ والولد لا يكون إلا من زوجة

[وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم] أى وما من شيء إلا هو خالقه ، والعالم به ، ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء ! ! قال في التسهيل : والغرض الرد على من نسب لله الولد من وجهين : أحدهما : أن الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعالي عن الاجناس ، لأنه مبدعها فلا يصح أن يكون له ولد ، والثاني : أن الله خلق السموات والأرض ، ومن كان هكذا فهو غني عن الولد ، وعن كل شيء ، ثم أكد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى على وحدانيته وتفرده بالخلق والإيجاد فقال سبحانه

[ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو] أي ذلكم الله خالقكم ومالككم ومدبر أموركم ، لا معبود بحق سواه

[خالق كل شيء فاعبدوه] أي هو الخالق لجميع الموجودات ، ومن كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده

[وهو على كل شيء وكيل] أي وهو الحافظ والمدبر لكل شيء ، ففوضوا أموركم إليه وتوسلوا إليه بعبادته

[لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار] أي لا تصل إليه الأبصار ولا يحيط به ، وهو يراها ويحيط بها ، لشمول علمه تعالى للخفيات

[وهو اللطيف الخبير] أي اللطيف بعباده ، الخبير بمصالحهم ، قال ابن كثير : ونفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة ، إذ يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء ، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس ، فلا تدركه الأبصار ، ولهذا كانت عائشة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تثبت الرؤية في الآخرة وتنفيها في الدنيا ، وتحتج بهذه الآية.

[قد جاءكم بصائر من ربكم] أى قد جاءكم البينات والحجج ، التي تبصرون بها الهدى من الضلال ، وتميزون بها بين الحق والباطل ، قال الزجاج : المعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر)

[فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها] أى من أبصر الحق وآمن ، فلنفسه أبصر وإياها نفع ، ومن عمي عنه ، فعلى نفسه عمي وإياها ضر بالعمى

[وما أنا عليكم بحفيظ] أى لست عليكم بحافظ ولا رقيب ، وإنما أنا منذر ، والله هو الحفيظ عليكم

[وكذلك نصرف الآيات] أى وكما بينا ما ذكر نبين الآيات ليعتبروا

[وليقولوا درست] أى وليقول المشركون : درست يا محمد في الكتب وقرأت فيها ، وجئت بهذا القرآن ، واللام لام العاقبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولنبينه لقوم يعلمون] أى ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه

[اتبع ما أوحي إليك من ربك] أى اتبع يا محمد القرآن الذي أوحاه الله إليك ، قال القرطبى : أى لا تشغل قلبك وخاطرك بهم ، بل اشتغل بعبادة الله

[لا إله إلا هو] أى لا معبود بحق الا هو

[وأعرض عن المشركين] أى لا تحتفل بهم ، ولا تلتفت إلى آرائهم

[ولو شاء الله ما أشركوا] أي لو شاء الله هدياتهم لهداهم فلم يشركوا ، ولكنه سبحانه يفعل ما يشاء [لا يسأل عما يفعل وهم يسألون]

[وما جعلناك عليهم حفيظا] أى وما جعلناك رقيبا على أعمالهم تجازيهم عليها

[وما أنت عليهم بوكيل] أى ولست موكل على أرزاقهم وأمورهم ، قال الصاوي : وهذا تأكيد لما قبله ، أى لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الإيمان ، وهذا كان قبل الأمر بالقتال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله] أى لا تسبوا آلهة المشركين وأصنامهم

[فيسبوا الله عدوا بغير علم] أى فيسبوا الله جهلا وإعتداء ، لعدم معرفتهم بعظمة الله ، قال ابن عباس : قال المشركون : لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك ! ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم

[كذلك زينا لكل أمة عملهم] أى كما زينا لهؤلاء أعمالهم كذلك زينا لكل أمة عملهم ، قال ابن عباسى : زينا لأهل الطاعة الطاعة ولأهل الكفر الكفر

[ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون] أى ثم معادهم ومصيرهم إلى الله ، فيجازيهم بأعمالهم ، وهو وعيد بالجزاء والعذاب

[وأقسموا بالله جهد أيمانهم] أى حلف كفار مكة بأغلظ الأيمان وأشدها

[لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها] أى لئن جاءتهم معجزة ، أو أمر خارق مما اقترحوه ليؤمنن بها

[قل إنما الآيات عند الله] أى قل لهم يا محمد : أمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الآيات عند الله لا عندي ، هو القادر على الإتيان بها دوني

[وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون] أي وما يدريكم أيها المؤمنون ، لعلهم إذا جاءتهم لا يصدقون بها! !

[ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة] أى ونحول قلوبهم عن الإيمان ، كما لم يؤمنوا بما أنزل من القرآن أول مرة ، قال الصاوي : وهو استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال ، هو الله لا غيره فمن أراد له الهدى حول قلبه له ، ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها

[ونذرهم في طغيانهم يعمهون] أى ونتركهم في ضلالهم ، يتخبطون ويترددون متحيرين

البلاغة :

1 - [يخرج الحى من الميت] بين لفظ الحى والميت طباق وهو من المحسنابت البديعية وفي الآية أيضا من المحسنات ما يسمى رد العجز على الصدر في قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومخرج الميت من الحي] .

2 - [فأنى تؤفكون] استفهام انكاري بمعنى النفي ، أى لا وجه لصرفكم عن الإيمان بعد قيام البرهان .

3- [فأخرجنا به] فيه التفات عن الغيبة ، والأصل " فأخرج به " ، والنكتة هي الاعتناء بشأن المخرج ، والإشارة إلى أن نعمه عظيمة .

4 - [والزيتون والرمان] من عطف الخاص على العام ، لمزيد الشرف لأنهما من أعظم النعم .

5 - [بصائر من ربكم] مجاز مرسل من باب تسمية المسبب باسم السبب ، أى حجج وبراهين ، تبصرون بها الحقائق .

6 - بين لفظ [أبصر وعمي] طباق وبين لفظ [بصائر وأبصر] جناس الاشتقاق .

تنبيه :

قوله تعالى [لا تدركه الأبصار] الآية نفت الإحاطة ولم تنف الرؤية ، فلم يقل تعالى : لا تراه الأبصار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فم ذهب إلى عدم رؤية الله في الآخرة كالمعتزلة ، فقد جانب الحق وضل السبيل ، بمخالفة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، المتواترة ، أما الكتاب فقوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] وأما السنة فما أخرجه البخاري " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته . . " الحديث ، وكفى بالكتاب والسنة دليلا وهاديا .

قال الله تعالى : [ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى . . إلى . . وهو وليهم بما كانوا يعملون] من آية (1 1 1) إلى نهاية آية (1 27) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى دلائل التوحيد والنبوة والبعث ، واقتراح المشركين بعض الآيات على رسول الله (ص) ذكر هنا أن رؤية المعجزات لن تفيد من عميت بصيرته ، وأنه لو أتاهم بالآيات التي اقترحوها من إنزال الملائكة ، وإحياء الموتى حتى يكلموهم ، وحشر السباع والدواب والطيور وشهادتهم بصدق الرسول ، ما آمنوا بمحمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقرآن ، لتأصلهم في الضلال والطغيان .

اللغة :

[قبلا] مقابلة ومواجهة ومنه قولهم أتيتك قبلا لا دبرا أى من قبل وجهك

[وحشرنا] الحشر : الجمع مع سوق ، وكل جمع حشر ومنه

[فحشر فنادى] .

[زخرف] قال الزجاج : الزخرف : الزينة وقال ابو عبيدة : كل ما حسنته وزينته وهو باطل فهو زخرف

[ولتصغي] صغى إلى الشيء مال إليه ومثله أصغى ، وفي الحديث " فأصغى إليه الإناء " وأصله الميل

[يقترفون] اقترف : اكتسب وأكثر ما يكون في الشر ، يقال : قرف الذنب واقترفه أى اكتسبه

[يخرصون] يكذبون ، قال الازهري : أصله الظن فيما لا يستيقن)

[صغار] ذلة وهوان

[يشرح] الشرح : البسط والتوسعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حرجا] الحرج : شدة الضيق ، قال ابن قتيبة : الحرج الذي ضاق فلم يجد منفذا.

سبب النزول :

عن ابن عباس أن أبا جهل رمى رسول الله (ص) بفرث - وحمزة لم يؤمن بعد - فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل ، وهو راجع من قنصه وبيده قوس ، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس ، فقال أبو جهل : أما ترى ما جاء به ؟ سفه عقولنا ، وسب آلهتنا ، وخالف أباءنا! ! قال حمزة : ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله ، أشهد أن لا آله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فأنزل الله [أو من كان ميتا فأحييناه . .] الآية .

التفسير :

[ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى] هذا بيان لكذب المشركين ، في أيمانهم الفاجرة حين أقسموا [لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها] والمعنى : ولو أننا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه من آية واحدة من الآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بل نزلنا إليهم الملائكة ، وأحيينا لهم الموتى ، فكلموهم وأخبروهم بصدق محمد (ص) كما اقترحوا [وحشرنا عليهم كل شيئ قبلا] أى وجمعنا لهم كل شيء من الخلائق عيانا ومشاهدة

[ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله] أى لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها ، وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله ! ! والغرض من الآية التيئيس من إيمانهم

[ولكن أكثرهم يجهلون] أى ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون ذلك ، قال الطبري : أى يجهلون أن الأمر بمشيئة الله ، يحسبون أن الإيمان إليهم ، والكفر بأيديهم ، متى شاءوا آمنوا ، ومتى شاءوا كفروا ، وليس الأمر كذلك ، ذلك بيدي لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته ، ولا يكفر إلا من خذلته اضللته

[وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن] أى كما جعلنا هؤلاء المشركين أعداءك ، يعادونك ويخالفونك ، كذلك جعلنا لمن قبلك من الأنبياء ، أعداء من شياطين الإنس والجن ، فاصبر على الأذى كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صبروا ، قال ابن الجوزي : أى كما أبتليناك بالأعداء ، ابتلينا من قبلك من الأنبياء ، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى

[يوحي بعضهم إلى بعض] أى يوسوس بعضهم إلى بعض ، بالضلال والشر

[زخرف القول غرورا] أى يوسوسون لهم بالكلام المزين والأباطيل المنوهة ، ليغزوا الناس ويخدعوهم ، قال مقاتل : وكل إبليس بالإنس شياطين يضلونهم ، فإذا إلتقى شيطان الإنس بشيطان الجن ، قال أحدهما لصاحبه : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلك أنت صاحبك بكذا وكذا ، فذلك وحي بعضهم إلى بعض

[ولو شاء ربك ما فعلوه] أي لو شاء الله ما عادى هؤلاء أنبياءهم ، ولكن حكمة الله اقتضت هذا الابتلاء ، قال ابن كثير : وذلك كله بقدر الله وقضائه ، وإرادته ومشيئته ، أن يكون لكل نبى عدو من هؤلاء

[فذرهم وما يفترون] أي اتركهم وما يدبرونه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المكائد ، فإن الله كافيك وناصرك عليهم

[ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة] أى ولتميل إلى هذا القول المزخرف ، قلوب الكفرة الذين لا يصدقون بالآخرة

[وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون] أى وليرضوا بهذا الباطل ، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الأثام

[أفغير الله أيبتغي حكما] أى قل لهم يا أيها الرسول : أفغير الله أطلب قاضيا بيني وبينكم ؟ قال أبو حيان : قال معشركو قريش لرسول الله (ص) : اجعل بيننا وبينك حكما ، إن شئت من أحبار (اليهود) أو (النصارى) ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت

[وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا] أى أنزل إليكم القرآن بأوضح بيان ، مفصلا فيه الحق والباطل ، موضحا فيه الهدى من الضلال

[والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق] أى وعلماء إليهود والنصارى ، يعلمون حق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلم ، أن القرآن حق ، لتصديقه ما عندهم
[فلا تكونن من الممترين] أى فلا تكونن من الشاكين ، وهذا من باب التهييج والإلهاب وقيل : الخطاب للرسول والمراد به الأمة
[وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا] أى تم كلام الله المنزل ، صدقا فيما أخبر ، وعدلا فيما قضى وقدر
[لا مبدل لكلماته] أى لا مغير لحكمه ولا راد لقضائه
[وهو السميع العليم] أى السميع لأقوال العباد ، العليم بأحوالهم
[وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله] أى إن تطع هؤلاء الكفار - وهم أكثر أهل الأرض - يضلوك عن سبيل الهدى ، قال الطبري : وإنما قال [أكثر من في الأرض] لأنهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا والمعنى : لا تطعهم فيما دعوك إليه ، فإنك إن أطعتهم ضللت ضلالهم ، وكنت مثلهم ، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد اخطأوه
[إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون] أى ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتبعون في أمر الدين إلا الظنون والأوهام ، يقلدون أباءهم ظنا منهم أنهم كانوا على الحق ، وما هم إلا قوم يكذبون

[إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين] أى أن ربك يا محمد أعلم بالفريقين : بمن ضل عن سبيل الرشاد ، وبمن اهتدى إلى طريق الهدى والسداد قال في البحر : وهذه الجملة خبرية تتضمن الوعد والوعيد ، لأن كونه تعالى عالما بالضال والمهتدي ، هو التنبيه عن مجازاتهما)

[فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين] أى كلوا مما ذبحتم وذكرتم اسم الله عليه ، إن كنتم حقا مؤمنين . قال ابن عباس : قال المشركون للمؤمنين : إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله ، فما قتله الله - يريدون الميتة - أحق أن يأكلوه مما قتلتم أنتم ! ! فنزلت الآية

[وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه] أى وما المانع لكم من أكل ما ذبحتموه بأيديكم ، بعد أن ذكرتم اسم ربكم عليه عند ذبحه ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه] أى وقد بين لكم ربكم الحلال والحرام ، ووضح لكم ما يحرم عليكم من الميتة والدم إلخ في آية المحرمات إلا في حالة الاضطرار ، فقد أحل لكم ما حرم أيضا ، فما لكم تستمعون إلى الشبهات التي يثيرها أعدأوكم الكفار ؟

[وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم] أى وإن كثيرا من الكفار المجادلين ، ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام ، بغير شرع من الله ، بل بمجرد الأهواء والشهوات

[إن ربك هو أعلم بالمعتدين] أى المجاوزين الحد في الإعتداء ، فيحللون ويحرمون بدون دليل شرعي من كتاب أو سنة ، وفيه وعيد شديد ، وتهديد أكيد ، لمن اعتدى على حدود الله

[وذروا ظاهر الإثم وباطنه] أى اتركوا المعاصي ظاهرها وباطنها ، وسرها وعلانيتها ، قال مجاهد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هي المعصية في السر والعلانية ، وقال السدي : ظاهره الزنى مع البغايا وباطنه الزنى مع الصدائق والأخدان

[إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون] أى يكسبون الإثم والمعاصي ويأتون ما حرم الله ، سيلقون في الآخرة جزاء ما كانوا يكتسبون

[ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه] أى لا تأكلوا أيها المؤمنون مما ذبح لغير الله ، أو ذكر اسم غير الله عليه ، كالذي يذبح للأوثان

[وإنه لفسق] أى لأن الأكل منه لمعصية وخروج عن طاعة الله

[وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم] أى وإن الشياطين ليوسوسون إلى المشركين أوليائهم في الضلال ، لمجادلة المؤمنين بالباطل ، في قولهم : أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ؟ يعني الميتة

[وأن أطعتموهم إنكم لمشركون] أى وإن أطعتم هؤلاء المشركين في استحلال الحرام ، وساعدتموهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أباطيلهم ، إنكم إذا مثلهم ، قال الزمخشري : لأن من اتبع غير الله تعالى في دينه ، فقد أشرك به ، ومن حق ذي البصيرة في دينه ألا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان ، للتشديد العظيم

[أو من كان ميتا فأحييناه] قال أبو حيان : لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين ، مثل تعالى بأن شبه المؤمن بالحي الذي له نور يتصرف به كيفما سلك ، والكافر بالمتخبط في الظلمات المستقر فيها ، ليظهر الفرق بين الفريقين) والمعنى : أو من كان بمنزلة الميت ، أعمى القلب بالكفر فأحيا الله قلبه بالإيمان ، وأنقذه من الضلالة بالقرآن

[وجعلنا له نورا يمشي به في الناس] أى وجعلنا له مع تلك الهداية النور العظيم الوضاء ، الذي يتأمل به الأشياء ، فيميز به بين الحق والباطل

[كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها] أى كمن هو يتخبط في ظلمات الكفر والضلالة ، لا يعرف المنقذ ولا المخلص ؟ قال البيضاوي : وهو مثل لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقي في الضلالة لا يفارقها بحال

[كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون] أى وكما بقي هذا في الظلمات يتخبط فيها ، كذلك حسنا للكافرين وزينا لهم ، ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي

[وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها] أى وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها ، كذلك جعلنا في كل بلدة مجرميها من الأكابر والعظماء ليفسدوا فيها ، قال ابن الجوزي : وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية ، لأنهم أقرب إلى الكفر ، بما أعطوا من الرياسة والسعة

[وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون] أى وما يدرون أن وبال هذا المكر يحيق بهم

[وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله] أى وإذا جاءت هؤلاء المشركين حجة قاطعة ، وبرهان ساطع ، على صدق محمد (ص) قالوا لن نصدق برسالته ، حتى نعطى من المعجزات مثل ما أعطي رسل الله ، قال في البحر : وإنما قالوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك على سبيل التهكم والاستهزاء ، ولو كانوا موقنين غير معاندين لأتبعوا رسل الله تعالى ، وروي أن أبا جهل قال : زاحمنا بنى عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا : منا نبى يوحى إليه ! والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا ، إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه ! ! فنزلت الآية

[الله أعلم حيث يجعل رسالته] أي الله أعلم من هو أهل للرسالة فيضعها فيه ، وقد وضعها فيمن اختاره لها وهو (محمد) ، دون أكابر مكة (كأبى جهل) ، والوليد بن المغيرة

[سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون] أى سيصيب هؤلاء المجرمين الذل والهوان ، والعذاب الشديد يوم القيامة ، بسبب استكبارهم ومكرهم المستمر ، قال في البحر : وقدم الصغار على العذاب ، لأنهم تمردوا عن اتباع الرسول وتكبروا ، طلبا للعز والكرامة ، فقوبلوا بالهوان والذل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا ، ثم بالعقاب الشديد ثانيا)

[فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام] أى من شاء الله هدايته ، قذف في قلبه نورا فينفسح له وينشرح ، وذاك علامة الهداية للإسلام ، قال ابن عباس : معناه يوسع قلبه للتوحيد والإيمان ، وحين سئل رسول الله (ص) عن هذه الآية قال : (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ، قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، وا لاستعداد للموت قبل نزوله)

[ومن يرد أن يضله] أى ومن يرد شقاوته وإضلاله [يجعل صدره ضيقا حرجا] أى يجعل صدره ضيقا شديد الضيق ، لا يتسع لشيء من الهدى ، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان ، قال عطاء : ليس للخير فيه منفذ ((هذا ما فسره به الإمام الطبري وجمهور المفسرين ، أن المراد بقوله تعالى {كأنما يصعد في السماء} أي كمن يحاول الصعود الى السماء وهو غير مستطيع له . . والتعبير القراني المعجز ، يشير إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(حقيقة علمية) رائعة ، لم يكن يعرفها الناس قبل عصر اكتشاف الطيران وعصر الفضاء ، فقد اتضح للعلماء تناقص (الاكسجين) وقلة (الضغط) كلما صعد الإنسان إلى أجواء الفضاء ، فكلما ارتفع الشخص إلى الأعلى ، يشعر بعوارض الاختناق ، لقلة الأكسجين وقلة الضغط ، ويشعر بأن روحه تكاد تزهق ، وتتفجر رئتاه ، والعلاقة واضحة بين الإنسان والارتقاء في السماء ، فالصدر يحتوي على الرئتين عضوي استخلاص الأكسجين ، وحتى لا تتفجر الرئتان ، يحتاج رائد الفضاء إلى سترة تكلفتها مليونا دولار ، ليبقى في قيد الحياة ، وبذلك تظهر هذه الحقيقة العلمية ، التي لم يكن يعرفها الإنسان قبل غزو الفضاء ، والتي أخبر عنها القران الكريم في هذا التشبيه الرائع ! !))

[كانما يصعد في السماء] أي كأنما يحاول الصعود إلى السماء ، ويزاول أمرا غير ممكن ، قال ابن جرير : وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر ، في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء ، وعجزه عنه ، لأنه ليس في وسعه

[كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون] أى مثل جعل صدر الكافر شديد الضيق ، كذلك يلقي الله العذاب والخذلان ، على الذين لا يؤمنون بآياته ، قال مجاهد : الرجس كل ما لا خير فيه ، وقال الزجاج : الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة

[وهذا صراط ربك مستقيما] أي وهذا الدين الذي أنت عليه يا محمد ، هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه فاستمسك به

[قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون] أى بينا ووضحنا الآيات والبراهين لقوم يتدبرون بعقولهم

[لهم دار السلام عند ربهم] أى لهؤلاء المؤمنين الذين يعتبرون وينتفعون بالآيات (دار السلام) ، أى السلامة من المكاره وهي الجنة في نزل الله وضيافته

[وهو وليهم بما كانوا يعملون] أى هو تعالى حافظهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وناصرهم ومؤيدهم ، جزاء لإعمالهم الصالحة ، قال ابن كثير : وإنما وصف تعالى الجنة هنا بدار السلام ، لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم ، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم ، فكما سلموا من آفات الضلال أفضوا إلى دار السلام .

البلاغه :

---

1 - [ولو شاء ربك] التعرض لوصف الربوبية والإضافة إلى ضميره عليه السلام [ربك] لتشريف مقامه ، وللمبالغة في اللطف في التسلية.

2 - [فلا تكونن من الممترين] الخطاب للرسول (ص) على طريق التهييج والإلهاب .

3 - [وتمت كلمة ربك] أى تم كلامه ووحيه ، أطلق الجزء وأراد الكل فهو مجاز مرسل .

4 - [وذروا ظاهر الإثم وباطنه] بين لفظ [ظاهر] و[باطن] طباق .

5 - [أو من كان ميتا فأحييناه] الموت والحياة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنور والظلمة ، من باب الاستعارة ، فقد استعار الموت للكفر ، والحياة للإيمان ، وكذلك النور والظلمات للهدى والضلال .

6 - [يشرح صدره للإسلام] الشرح كناية عن قبول النفس للحق والهدى الذي جاء به الرسول (ص) وبين لفظ الشرح والضيق طباق وهو من المحسنات البديعية .

فائدة :

الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ ، لأنه لا يطلق إلا على العادل ، وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم ، فالله هو الحكم العدل .

تنبيه :

قال الرازي : دلت هذه الآية [وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم] على أن القول في الدين مجرد التقليد حرام ، لأن القول بالتقليد قول بمحض الهوى والشهوة ، والآية دلت على أن ذلك حرام .

قال الله تعالى : [ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قد استكثرتم من الإنس . . إلى . . قد ضلوا وما كانوا مهتدين] من آية (128) إلى نهاية آية (140) .

المناسبة :

لما ذكر سبحانه أن البشر فريقان : مهتد ، وضال ، وذكر أن منهم من شرح الله صدره ، وأنار قلبه فآمن واهتدى ، ومنهم من اتبع الهوى وسار بقيادة الشيطان ، فضل وغوى ، ذكر هنا أنه سيحشر الخلائق جميعا يوم القيامة للحساب ، لينال كل جزاءه العادل ، على ما قدم في هذه الحياة .

اللغة :

[مثواكم] مأواكم يقال : ثوى بالمكان إذا أقام فيه

[يقصون] يحكون ، يقال : قص الخبر يقصه قصا أى حكاه

[ذرأ] خلق

[الحرث] الزرع

[ليردوهم] الإرداء : الإهلاك يقال أراده يرديه أي أهلكه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حجر] الحجر : الحرام وأصله المنع ، يقال حجره
أى منعه والحخر : العقل سمي به لأنه يمنع عن
القبائح قال تعالى :

[هل في ذلك قسم لذى حجر]

[سفها] حماقة وجهالة ، والسفه : خفة العقل .

التفسير :

[ويوم يحشرهم جميعا] أى اذكر يوم يجمع الله
الثقلين : الإنس والجن ، للحساب والجزاء قابلا
[يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس] أى استكثرتم
من إضلالهم وإغوابهم ، قال ابن عباس : أضللتم منهم
كثيرا ، وهذا بطريق التوبيخ والتقريع
[وقال أوليأوهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض]
أى وقال الذين أطاعوهم من الإنس : ربنا انتفع بعضنا
ببعض ، انتفع الإنس بالجن ، بأن دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به إليها ، وانتفع الجن بالإنس ، بأن
أطاعوهم وحصلوا مرادهم
[وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا] أى وصلنا إلى الموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقبر ، ووافينا الحساب ، وهذا منهم اعتذار واعتراف بما كان منهم ، من طاعة الشياطين واتباع الهوى ، وتحسر على حالهم

[قال النار مثواكم] أى قال تعالى ردا عليهم : النار موضع مقامكم وهي منزلكم

[خالدين فيها إلا ما شاء الله] أى ماكثين في النار في حال خلود دائم ، إلا الزمان الذي شاء الله أن لا يخلدوا فيها ، قال الطبري : هي المدة التي بين حشرهم إلى دخولهم النار وقال الزمخشري : يخلدون في عذاب النار الأبد كله ، إلا ما شاء الله أى إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار ، إلى عذاب الزمهرير ، فقد روي أنهم يدخلون واديا من الزمهرير ، فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم

[إن ربك حكيم عليم] أى حكيم في أفعاله ، عليم بأعمال عباده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون] أى كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض ، نسلط بعض الظالمين على بعض ، بسبب كسبهم للمعاصي والذنوب ، قال القرطبي : وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه ، سلط الله عليه ظالما آخر ، قال ابن عباس : إذا رضي الله عن قوم ، ولى أمرهم خيارهم ، وإذا سخط الله على قوم ، ولى أمرهم شرارهم ، وعن مالك بن دينار قال : قرأت في بعض كتب الحكمة أن الله تعالى يقول : " أني أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ، ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم "

[يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى] هذا النداء أيضا يوم القيامة ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع أى ألم تأتكم الرسل يتلون عليكم آيات ربكم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وينذرونكم لقاء يومكم هذا] أى يخوفونكم عذاب هذا اليوم الشديد ؟

[قالوا شهدنا على أنفسنا] لم يجدوا إلا الاعتراف فقالوا : بلى شهدنا على أنفسنا ، بأن رسلك قد أتتنا وأنذرتنا لقاء يومنا هذا ، قال ابن عطية : وهذا إقرار منهم بالكفر ، واعتراف على أنفسهم بالتقصير ، كقولهم [قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا]

[وغرتهم الحياة الدنيا] أى خدعتهم الدنيا بنعمها وتفرجها الكاذب

[وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين] أى اعترفوا بكفرهم ، قال البيضاوي : وهذا ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم ، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيا ولذاتها الفانية ، وأعرضوا عن الآخرة بالكلية ، حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا بالشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد ، تحذيرا للسامعين من مثل حالهم

[ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غافلون] أى إنما فعلنا هذا بهم من إرسال الرسل إليهم ، لإنذارهم سوء العاقبة ، لأن ربك عادل لم يكن ليهلك قوما حتى يبعث إليهم رسولا ، قال الطبري : أى إنما أرسلنا الرسل يا محمد يقصون عليهم آياتي ، وينذرونهم لقاء معادهم ، من أجل أن ربك لم يكن ليهلكهم ، دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر

[ولكل درجات مما عملوا] أى ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته ، منازل ومراتب من عمله ، يلقاها في آخرته إن كان خيرا فخير ، وإن كان شرا فشر ، قال ابن الجوزي : وإنما سميت درجات ، لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج

[وما ربك بغافل عما يعملون] أى ليس الله غافلا ولا ناسيا لأعمال عباده ، وفي ذلك تهديد ووعيد

[وربك الغنى] أى هو جل وعلا المستغني عن الخلق وعبادتهم ، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية

[ذو الرحمة] أى ذو التفضل التام ، قال ابن عباس : ذو الرحمة بأوليائه وأهل طاعته ، وقال غيره ؟ بجميع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلق ، ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين ، قال ابو السعود : وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الإرسال ، ليس لنفعه بل لترحمه على العباد

[إن يشأ يذهبكم] أى لو شاء لأهلككم أيها العصاة بعذاب الاستئصال

[ويستخلف من بعدكم ما يشاء] أى وأتى بخلق آخر أمثل منكم وأطوع

[كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين] أى كما خلقكم وابتدأكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ، قال أبو حيان : وتضمنت الآية التحذير من بطش الله في التعجيل بالاهلاك

[إن ما توعدون لآت] أى ما توعدونه من مجيء الساعة والحشر ، لواقع لا محالة

[وما أنتم بمعجزين] أى لا تخرجون عن قدرتنا وعقابنا ، رإن ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول

[قل يا قوم اعملوا على مكانتكم] أى قل لهم يا محمد : يا قوم أثبتوا على كفركم ومعاداتكم لي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واعملوا ما أنتم عاملون ، والأمر هنا للتهديد كقوله
[اعملوا ما شئتم]
[أني عامل] أى عامل ما أمرنى به ربي ، من الثبات
على دينه

[فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار] أى فسوف
تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة في الدار الآخرة
؟ أنحن أم أنتم ؟
[أنه لا يفلح الظالمون] أى لا ينجح ولا يفوز بمطلوبه
من كان ظالما قال الزمخشري : فى الآية طريق من
الإنذار لطيف المسلك ، فيه إنصاف في المقال وأدب
حسن ، مع تضمن شدة الوعيد ، والوثوق بأن المنذر
محق ، والمنذر مبطل
[وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا] أى
جعل مشركو قريش لله تعالى ، منا خلق من الزرع
والأنعام ، نصيبا ينفقونه على الفقراء ، ولشركائهم
نصيبا يصرفونه إلى سدنتها ، قال ابن كثير : هذا ذم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا ، وجعلوا لله شركاء وهو خالق كل شيء سبحانه [وجعلوا لله مما ذرأ] أى خلق وبرا من الزرع والثمار والأنعام جزءا وقسما)

[فقالوا هذا لله بزعمهم] أى قالوا : هذا نصيب الله بزعمهم أي بدعواهم وقولهم ، من غير دليل ولا شرع ، قال في التسهيل : وأكثر ما يقال الزعم في الكذب

[وهذا لشركائنا] أى وهذا النصيب لآلهتنا وأصنامنا ، قال ابن عباس : أن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثا ، أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا ، وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو ثمرة ، أو شيء من نصيب الأوثان ، حفظوه وأحصوه ، وإن سقط منه شيء فيما سمي لله ردوه إلى ما جعلوه للوثن ، وقالوا : إن الله غنى والأصنام أحوج) ولهذا قال :

[فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله] أى ما كان للأصنام فلا يصل إلى الله منه شيء

[وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم] وما كان من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصيب الله ، فهو يصل إلى أصنامهم ، قال مجاهد : كانوا يسمون جزءا من الحرث لله وجزءا لشركائهم وأوثانهم ، فما ذهبت به الريح من نصيب الله إلى أوثانهم تركوه ، وما ذهب من نصيب أوثانهم إلى نصيب الله ردوه ، وكانوا إذا أصابتهم سنة " قحط " أكلوا نصيب الله ، وتحاموا نصيب شركائهم

[ساء ما يحكمون] أى بئس هذا الحكم الجائر حكمهم

[وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم] أى مثل ذلك التزيين ، في قسمة القربان بين الله وبين آلهتهم ، زين شياطينهم لهم قتل أولادهم ، بالواد أو بنحرهم لآلهتهم ، قال الزمخشري : كان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم ، كما حلف عبد المطلب)

[ليردوهم] أي ليهلكوهم بالإغواء

[وليلبسوا عليهم دينهم] أى وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام

[ولو شاء الله ما فعلوه] أى لو شاء الله ما فعلوا ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القبيح

[فذرهم وما يفترون] أى دعهم وما يختلقونه من الإفك على الله ، وهذا تهديد ووعيد

[وقالوا هذه أنعام وحرث حجر] هذه حكاية عن بعض قبائحهم وجرائمهم أيضا ، أى قال المشركون : هذه أنعام وزروع أفردناها لآلهتنا ، حرام ممنوعة على غيرهم

[لا يطعمها إلا من نشاء] أى من خدمة الأوثان وغيرهم

[بزعمهم] أى بزعمهم الباطل ، من غير حجة ولا برهان

[وأنعام حرمت ظهورها] أ ي لا تركب كالبحار والسوائب والحوامي

[وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها] أى عند الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام

[افتراء عليه] أى كذبا واختلاقا على الله

[سيجزيهم بما كانوا يفترون] أى سيجزيهم على ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الافتراء ، وهو تهديد شديد ووعيد

[وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا] هذا إشارة إلى نوع آخر من أنواع قبائحهم ، أى قالوا ما في بطون هذه البحار والسوائب حلال لذكورنا خاصة

[ومحرم على أزواجنا] أى لا تأكل منه الإناث

[وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء] أى وإن كان هذا المولود ميتة اشترك فيه الذكور والإناث

[سيجزيهم وصفهم] أى سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله ، في التحليل والتحريم

[أنه حكيم عليم] أى حكيم في صنعه عليم بخلقه

[قد خسر الذين قتلوا أولادهم] أى والله لقد خسر هؤلاء السفهاء الذين قتلوا أولادهم ، قال الزمخشري : نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم ، مخافة السبي أوالفقر

[سفها بغير علم] أي جهالة وسفاهة لخفة عقلهم ، وجهلهم بأن الله هو الرازق لهم ولأولادهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحرموا ما رزقهم الله] أي حرموا على أنفسهم (البحيرة والسائبة) وشبهها

[افتراء على الله] أى كذبا واختلاقا على الله

[قد ضلوا وما كانوا مهتدين] أى لقد ضلوا عن الطريق المستقيم بصنيعهم القبيح ، وما كانوا من الأصل مهتدين لسوء سيرتهم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام [قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين] .

البلاغة :

1 - [قد استكثرتم من الإنس] أى أفرطتم في إضلال وإغواء الإنس ، ففيه إيجاز بالحذف ومثله [استمتع بعضنا ببعض] أى استمتع بعض الإنس ببعض الجن ، وبعض الجن ببعض الإنس .

2 - [النار مثواكم] التعريف وتقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر ، والأصل مثواكم النار .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - [ألم يأتكم رسل] الاستفهام للتوبيخ والتقريع .
4 - [ولكل] أى لكل من العاملين فالتنوين عوض عن محذوف .
5 - [إن ما توعدون لآت] صيغة الاستقبال [توعدون] للدلالة على الاستمرار التجددي ، ودخول إن واللام على الجملة للتأكيد ، لأن المخاطبين منكرون للبعث فلذا أكد الخبر بمؤكدين .
6 - [ما رزقهم الله افتراء على الله] إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار ، لإظهار كمال عتوهم وضلالهم .

الفوائد :

الأولى : قال السيوطي في الإكليل : قوله تعالى : [وكذلك نؤتي بعض الظالمين بعضا] الآية في معنى حديث " كما تكونون يولى عليكم ، وقال الفضيل بن عياض : إذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف وانظر متعجبا ، لأن الله قال [وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا . . .] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : الجمهور على أن الرسل من الإنس ولم يكن من الجن رسول وقوله تعالى : [ألم تأتكم رسل منكم] هو من باب التغليب كقوله [يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان] وإنما يخرجان من البحر المالح دون العذب . الثالثة : ذكر القرطبي في (تفسيره أن رجلا من أصحاب النبي (ص) كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله (ص) فقال له الرسول : ما لك تكون محزونا ؟ فقال : يا رسول الله إني أذنبت في الجاهلية ذنبا فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت ! فقال له : أخبرني عن ذنبك ؟ فقال يا رسول الله : أني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت فتشفعت إلى امرأتي أن أتركها ، فتركتها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء ، فخطبوها فدخلتني الحمية ، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها ، أو أتركها في البيت بغير زوج ، فقلت للمرأة : إني أريد أن أذهب لزيارة أقربائى فأبعثها معي ، فسرت بذلك وزينتها بالحلى والثياب ، وأخذت على المواثيق بألا أخونها ، فذهبت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية بأنى أريد أن القيها في البئر ، فالتزمتني وجعلت تبكى فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت على الحمية ، حتى غلبني الشيطان قألقيتها قي البئر منكوسة ، ومكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت ، فبكى رسول الله (ص) وأصحابه وقال : لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك) .

قال الله تعالى : [وهو الذي أنشأ جنات معروشات . . إلى . . وهم بربهم يعدلون] من آية (141) إلى نهاية آية (150) .

المناسبة :

لما أخبر تعالى عن المشركين أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله ، وحكى طرفا من قبائحهم وجرائمهم ، ذكر تعالى هنا ما امتن به عليهم من الرزق ، الذي تصرفوا فيه بغير إذنه تعالى ، افتراء منهم عليه واختلاقا ، ثم أعقبه باحتجاجهم على الشرك وعدم الإيمان بالقضاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقدر ، وهذا أيضا من جملة الكذب والبهتان والافتراء على الله .

اللغة :

[ممروشات] مرفوعات على ما يحملها من العيدان

[حصاده] الحصاد : جمع الثمر كالجذاذ

[حمولة] الحمولة : الإبل التي تحمل الأبقال على ظهورها

[فرشا] الفرشى : الصغار التي لا تصلح للحمل ، كالفصلان والعجاجيل ، قال الزجاج : الفرشى صغار الإبل ، قال الشاعر : أورثنى حمولة وفرشا أمشها في كل يوم مشا

[الحوايا] قال الواحدي : هى المباعر والمصارين واحدتها حاوية وحوية وقيل : الحوايا الأمعاء التي عليها الشحوم ، سميت حوايا لأن البطن يحويها

[هلم] هاتوا

[يعدلون] يشركون به .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات]
أى هو الذي أنعم عليكم بأنواع النعم ، لتعبدوه وحده ، فخلق لكم بساتين من الكروم ، منها مرفوعات على عيدان ، ومنها متروكات على وجه الأرض لم تعرش
[والنخل والزرع مختلفا أكله] أى وأنشأ لكم شجر النخيل المثمر ، بما هو فاكهة وقوت ، وأنواع الزرع المحصل لأنواع القوت ، مختلفا ثمره وحبه ، في اللون والطعم والحجم والرائحة
[والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه] أى متشابها في اللون والشكل ، وغير متشابه في الطعم
[كلوا من ثمره إذا أثمر] أى كلوا أيها الناس من ثمر كل واحد مما ذكر ، إذا ادرك من رطبه وعنبه
[وآتوا حقه يوم حصاده] أى اعطوا الفقير والمسكين من ثمره يوم الحصاد ، ما تجود به نفوسكم وقال ابن عباس : يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله
[ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين] أى ولا تسرفوا في الأكل ، لما فيه من مضرة العقل والبدن ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطبري : المختار قول عطاء أنه نهى عن الإسراف في كل شيء

[ومن الأنعام حمولة وفرشا] أى وخلق لكم من الأنعام ما يحمل الأثقال ، وما يفرش للذبح " أي يضجع " قال ابن اسلم : الحمولة ما يركبون ، والفرش ما يأكلون وتحلبون

[كلوا مما رزقكم الله] أى كلوا من الثمار والزروع والأنعام ، فقد جعلها الله لكم رزقا

[ولا تتبعوا خطوات الشيطان] أى طريقه وأوامره في التحليل والتحريم ، كفعل أهل الجاهلية

[إنه لكم عدو مبين] أى إن الشيطان ظاهر العداوة للإنسان ، فاحذروا كيده

[ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين] أى وأنشأ لكم من الأنعام ثمانية أنواع أحل لكم أكلها ، من الضأن ذكرا وأنثى ، ومن المعز ذكرا وأنثى ، قال القرطبي : يعني ثمانية أفراد ، وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجا فيقال للذكر : زوج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وللأنثى زوج ويراد بالزوجين من الضأن : (الكبش والنعجة) ، ومن المعز : (التيس والعنز)

[قل آلذكرين حرم أم الأنثيين] ؟ هذا إنكار لما كانوا يفعلونه من تحريم ما أحل الله أى قل لهم يا أيها الرسول على وجه التوبيخ والزجر : الذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم أيها المشركون أم الأنثيين منهما ؟

[أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين] أى أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى ؟

[نبئونى بعلم إن كنتم صادقين] تعجيز وتوبيخ أى أخبروني عن الله بأمر معلوم ، لا بإفتراء ولا بترخص ، إن كنتم ضادقبن في نسبة ذلك التحريم إلى الله

[ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين] أى وأنشأ لكم من الإبل اثنين هما (الجمل والناقة) ومن البقر اثنين هما (الجاموس والبقرة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل الذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين] ؟ كرره هنا مبالغة في التقريع والتوبيخ ، قال ابو السعود : والمقصود إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الأنواع الأربعة ، وإظهار كذبهم في ذلك فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة ، وإناثها تارة ، وأولادها تارة أخرى

[أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا] زيادة في التوبيخ أى هل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم ؟ وهذا من باب التهكم

[فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم] أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فنسب إليه تحريم ما لم يحرم بغير دليل! ولا برهان

[أن الله لا يهدي القوم الظالمين] عموم في كل ظالم . . ثم أمر تعالى رسوله (ص) بأن يبين لهم ما حرمه الله عليهم فقال

[قل لا أجد فيما أوحي إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجس] أى قل يا محمد لكفار مكة : لا أجد فيما أوحاه الله إلي من القرآن ، شيئا محرما على أى إنسان ، إلا أن يكون ذلك الطعام ميتة ، أو دما سائلا مصبوبا ، أو يكون لحم خنزير ، فإنه قذر ونجس ، لتعوده أكل النجاسات

[أو فسقا أهل لغير الله به] أى أو يكون المذبوح فسقا ذبح على اسم غير الله ، كالمذبوح على النصب ، سمى فسقا مبالغة كأنه نفس الفسق ، لأنه ذبح على اسم الأصنام

[فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم] أى من اصابته الضرورة واضطرته إلى أكل شيء من المحرمات ، فلا إثم عليه ، ان كان غير باغ اي غير قاصد التلذذ بأكلها بدون ضرورة ، ولا عاد أى مجاوز قدر الضرورة التى تدفع عنه الهلاك ، فالله غفور رحيم بالعباد . . ثم بين تعالى أن ما حرمه على اليهود إنما كان بسبب بغيهم وعصيانهم فقال

[وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر] أى وعلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليه ود خاصة حرمنا عليهم كل ذي ظفر ، قال ابن عباس : هي ذوات الظلف كالإبل والنعام وما ليس بذي أصابع منفرجة أى مفتوحة ، كالبط والأوز

[ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما] أى وحرمنا عليهم أكل شحوم البقر وشحوم الغنم

[إلا ما حملت ظهورهما] أى إلا الشحم الذي علق بالظهر منهما

[أو الحوايا] أى الأمعاء والمصارين

[أو ما اختلط بعظم] كشحم الألية ، والمعنى : أن الشحم الذي تعلق بالظهور أو احتوت عليه المصارين ، أو اختلط بعظم كشحم الألية جائز لهم

[ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون] أى ذلك التحريم بسبب ظلمهم وعدوانهم الذي سبق ، من قتل الأنبياء ، وأكل الربا ، واستحلال أموال الناس بالباطل ، وإنا لصادقون فيما قصصنا عليك يا محمد ، وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله ، والتعريض بكذب اليهود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة] أى فإن كذبك يا محمد هؤلاء اليهود ، فيما جئت به من بيان التحريم ، فقل متعجبا من حالهم : ربكم ذو رحمة واسعة ، حيث لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة إجرامكم ، قال فى البحر : وهذا كما تقول عند رؤية معصية عظيمة : ما أحلم الله تعالى! وأنت تريد ما أحلمه لإمهاله العاصي . . ثم أعقب وصفه تعالى بالرحمة الواسعة بالوعيد الشديد فقال

[ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين] أى لا تغتروا بسعة رحمته ، فإنه لا يرد عذابه وسطوته ، عمن اكتسبوا الذنوب وإجترحوا السيئات ، فهو مع رحمته ذو بأس شديد ، وقد جمعت الآية بين الترغيب والترهيب ، حتى لا يقنط المذنب من الرحمة ، ولا يغتر العاصي بحلم الله .

[سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء] أى سيقول مشركو العرب : لو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أراد الله ما كفرنا ولا أشركنا ، لا نحن ولا آبأونا ، يريدون أن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله ، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله ، كما يقول الواقع في معصية إذا طلب منه الإقلاع عنها : هذا قدر الله لا مهرب ولا مفر منه ، ولا حجة في هذا لأنهم مكلفون مأمورون بفعل الخير وترك القبيح ، ولكنها نزعة جبرية يحتج بها السفهاء عندما تدمغهم الحجة ، قال تعالى في الرد عليهم

[كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا] أى كذلك كذب من سبقهم من الأمم ، حتى أنزلنا عليهم العذاب

[قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا] استفهام إنكاري يقصد به التهكم ، أى قل لهم : هل عندكم حجة أو برهان ، على صدق قولكم فتظهروه لنا

[إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون] أى ما تتبعون في ذلك إلا الظنون والأوهام ، وما أنتم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحقيقة إلا تكذبون على الله عز وجل

[قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين] أى قل لهم إن لم تكن لكم حجة ، فلله الحجة البينة الواضحة ، التي بلغت غاية الظهور والإقناع ، فلو شاء لهداكم إلى الايمان أجمعين . . بين تعالى أنه ترك للخلق أمر الاختيار ، في الإيمان والكفر ، ليتم التكليف الإلهي! ، الذي ينبني عليه أمر الجزاء بالثواب ، أو العقاب ، ولهذا ترك للإنسان حرية الاختيار [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] ثم طالبهم تعالى بالبرهان على دعواهم ، فقال سبحانه :

[قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا] أى قل لهم يا محمد : احضروا لي من يشهد لكم على صحة ما تزعمون ، أن الله تعالى حرم هذه الأشياء التي تدعونها من (البحيرة والسائبة) وغيرهما

[فإن شهدوا فلا تشهد معهم] أى فإن حضروا وكذبوا في شهادتهم وزوروا ، فلا تشهد بمثل شهادتهم ولا تصدقهم فإنه كذب بحت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة] أى ولا تتبع أهواء المكذبين بآيات الرحمن ، الذين لا يصدقون بالآخرة

[وهم بربهم يعدلون] أى وهم يشركون بالله غيره ، فيعبدون الأوثان .

البلاغة :

1 - [حمولة وفرشا] بينهما طباق لأن الحمولة الكبار الصالحة للحمل ، والفرش الصغار الدانية من الأرض كأنها فرش .

2 - [خطوات الشيطان] هذا من لطيف الاستعارة وهي أبلغ عبارة للتحذير من طاعة الشيطان والسير في ركابه .

3 - [غفور رحيم] من صيغ المبالغة أى مبالغ في المغفرة والرحمة .

4 - [ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمبن] جاءت الأولى جملة أسمية لأنها أبلغ في الاخبار من الفعلية ، فناسبت وصفه تعالى بالرحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الواسعة ، وجاءت الجملة الثانية فعلية [ولا يرد] لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين ، وباب الرحمة أوسع أفاده في البحر .

فائدة :

في قوله تعالى [قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما] إيذان بأن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى ، وأن الله جل وعلا هو المشرع للأحكام والرسول مبلغ عن الله ذلك التشريع ، لقوله سبحانه [وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى] .

قال الله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . . إلى . . بأنه لغفور رحيم] آية (151) إلى الآية (165) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما حرمه الكفار إفتراء عليه ، وذكر ما أباحه تعالى لهم من الحبوب والفواكه والحيوان ، ذكر هنا ما حرمه تعالى عليهم حقيقة من الأمور الضارة ، وختمها بذكر الوصايا العشر التي اتفقت عليها الشرائع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السماوية ، وبها سعادة البشرية ، لأنها جامعة لكل فنون الصلاح والنجاح .

اللغة :

[أتل] أقرا وأقص

[إملاق] فقر يقال : أملق الرجل إذا افتقر

[أشده] قوته وهو بلوغ سن النكاح والرشد ، والأشد جمع لا واحد له

[بالقسط] بالعدل بلا بخس ولا نقصان

[السبل] جمع سبيل وهي الطريق

[شيعا] فرقا وأحزابا جمع شيعة ، وهي الفرقة تتبع وتتعصب لمذهبها

[قيما] مستقيما لا عوج فيه

[نسكي] النسك جمع نسيكة وهي الذبيحة ، وقال الزجاج : عبادقي ، ومنه الناسك الذي يتقرب الى الله بالعبادة.

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] أى قل يا أيها الرسول لقومك : تعالوا أقرا الذي حرمه ربكم عليكم باليقين ، لا بالظن والتخمين

[ألا تشركوا به شيئا] أى لا تعبدوا معه غيره

[وبالوالدين إحسانا] أى وأحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، وذكر ضمن المحرمات ، لأن الأمر بالشىء نهيى عن ضده فكأنه قال : ولا تسيئوا إلى الوالدين ، قال ابو السعود : والسر في ذلك المبالغة والدلالة على إن ترك الإساءة إليهما ، غير كاف في قضاء حقوقهما

[ولا تقتلوا أولادكم من إملاق] أى ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر ، قال ابن الجوزي : المراد دفن البنات أحياء من خوف الفقر

[نحن نرزقكم وإياهم] أي رزقكم ورزقهم علينا ، فإن الله هو الرزاق للعباد

[ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن] أى لا تقربوا المنكرات الكبائر ، علانيتها وسرها ، قال ابن عباس : كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنى بأسا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السر ، ويستقبحونه في العلانية ، فحرمه الله في السر والعلانية

[ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق] أى لا تقتلوا النفس البريئة التى حرم الله قتلها إلا بموجب ، وقد فسره قول رسول الله (ص) : (لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)

[ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون] أى ذلكم المذكور ، هو ما أوصاكم تعالى بحفظه ، وأمركم به أمرا مؤكدا ، لعلكم تسترشدون بعقولكم إلى فوائد هذه التكاليف ، ومنافعها في الدين والدنيا ، قال ابو حيان : وفي لفظ [وصاكم] من اللطف والرأفة ، وجعلهم أوصياء له تعالى ، ما لا يخفى من الإحسان

[ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده] أى لا تقربوا مال اليتيم بوجه من الوجوه ، إلا بالخصلة التي هى أنفع له ، حتى يصير بالغا رشيدا ، والنهي عن القرب يعم وجوه التصرف ، لأنه إذا نهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى ، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله ، قال ابن عباس : هو أن يعمل له عملا مصلحا ، فيأكل منه بالمعروف

[وأوفوا الكيل والميزان بالقسط] أي بالعدل والتسوية في الأخذ والعطاء

[لا نكلف نفسا إلا وسعها] أى لا نكلف أحدا إلا بمقدار طاقته ، بما لا يعجز عنه ، قال البيضاوى : أى إلا ما يسعها ولا يعسر عليها ، وذكره بعد وفاء الكيل ، لأن إيفاء الحق على وجه التمام والكمال عسر ، فعليكم بما فى وسعكم ، وما وراءه معفو عنكم

[وإذا قلتم فإعدلوا ولو كان ذا قربى] أى اعدلوا في حكومتكم وشهادتكم ، ولو كان المشهود عليه من ذوي قرابتكم

[وبعهد الله أوفوا] اي أوفوا بالعهد إذا عاهدتم ، قال القرطبي : وهذا عام في جميع ما عهده الله إلى عباده ، ويحتمل أن يراد به ما انعقد بين (الناس) وأضيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى (الله) من حيث أمر بحفظه والوقاء به

[ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون] أى لعلكم تتعظون

[وأن هذا صراطي مستقيما فإتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] أي وبأن هذا ديني المستقيم ، شرعته لكم فتمسكوا به ، ولا تتبعوا الأديان المختلفة والطرق الملتوية ، فتغرقكم وتزيلكم عن سبيل الهدى ، عن ابن مسعود قال : (خط لنا رسول الله ، يوما خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه ويساره ، ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ [وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه . .]) الآية

[ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون] كرر الوصية على سبيل التأكيد ، أى لعلكم تتقون النار ، بإمتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، قال ابن عطية : لما كانت المحرمات الأولى لا بقع فيها عاقل جاءت العبارة [لعلكم تعقلون] والمحرمات الآخر شهوات وقد يقع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها من لم يتذكر جاءت العبارة [لعلكم تذكرون] ولما كان السير في الجادة المستقيمة يتضمن فعل الفضائل ، ولا بد لها من تقوى الله جاءت العبارة [لعلكم تتقون]

[ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن] أى أعطينا موسى التوراة ، تماما للكرامة والنعمة على من كان محسنا وصالحا ، قال الطبري : أي اتينا موسى الكتاب تماما لنعمتنا عليه ، في قيامه بأمرنا ونهينا ، فان إيتاء موسى الكتاب ، نعمة من الله عليه ، ومنة عظيمة لما سلف منه ، من صالح العمل وحسن الطاعة [وتفصيلا لكل شيء] أى وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في الدين

[وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون] أى وهدى لبني إسرائيل ورحمة عليهم ليصدقوا بلقاء الله ، قال ابن عباس : كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب

[وهذا كتاب أنزلناه مبارك] أى وهذا القرآن الذي أنزلناه على محمد ، كتابى عظيم الشأن ، كثير المنافع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، مشتمل على أنواع الفوائد الدينية والدنيوية

[فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون] أى تمسكوا به واجعلوه إماما ، واحذروا أن تخالفوه ، لتكونوا راجين للرحمة

[أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين] أي أنزلناه بهذا الوصف العظيم ، الجامع لخيرات الدنيا والآخرة ، كراهة أن تقولوا يوم القيامة : ما جاءنا كتاب فنتبعه ، وإنما نزلت الكتب المقدسة على اليهود والنصارى ، قال ابن جرير : فقطع الله بإنزاله القرآن على محمد (ص) حجتهم تلك

[وإن كنا عن دراستهم لغافلين] أى وقد كنا عن معرفة ما في كتبهم وفراستهم غافلين ، لا نعلم ما فيها لأنها لم تكن بلغتنا

[أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم] أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب ، كما أنزل على هاتين الطائفتين ، لكنا أهدى منهم إلى الحق ، وأسرع إجابة لأمر الرسول ، لمزيد ذكائنا وجدنا في العمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة] أي فقد جاءكم من الله ، على لسان محمد (ص) قرآن عظيم ، فيه بيان للحلال والحرام ، وهدى لما في القلوب ، ورحمة من الله لعباده ، قال القرطبي : أى قد زال العذر بمجيء محمد (ص) قال ابن عباس : بينة أى حجة وهو النبي (ص) والقرآن

[فمن أظلم ممن كذب بآيات الله] أى من أكفر ممن كذب بالقرآن ولم يؤمن به

[وصدف عنها] أى أعرض عن آيات الله ، قال ابو السعود : أى صرف الناس عنها ، فجمع بين الضلال والاضلال

[سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون] وعيد لهم ، أى سنجازي هؤلاء المعرضين عن آيات الله ، وحججه الساطعة ، شديد العقاب ، بسبب إعراضهم عن آيات الله ، وتكذيبهم لرسله

[هل ينظرون إلا ان تأتيهم الملائكة] أى ما ينتظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء المشركون ، إلا أن تاتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعذيبها ، وهو وقت لا تنفع فيه توبتهم [أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك] قال ابن عباس : أى يأتى أمر ربك فيهم ، بالقتل أو غيره ، وقال الطبري : المراد أن يأتيهم ربك في موقف القيامة للفصل بين خلقه ، أو يأتيهم بعض آيات ربك وهو طلوع الشمس من مغربها

[يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا] أى يوم يأتي بعض أشراط الساعة ، وحينئذ لا ينفع الإيمان نفسا كافرة آمنت في ذلك الحين ، ولا نفسا عاصية لم تعمل خيرا ، قال الطبري : أى لا ينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية ، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة وفي الحدبث الشريف (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل)

[قل انتظروا إنا منتظرون] أى انتظروا ما يحل بكم ، وهو أمر تهديد ووعيد

[إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا] أى فزقوا الدين فأصبحوا شيعا وأحزابا ، قال ابن عباس : هم (اليهود والنصارى) فرقوا دين إبراهيم الحنيف

[لست منهم في شء] أي أنت يا محمد بريء منهم

[إنما أمرهم إلى الله] أى جزاؤهم وعقابهم على الله ، هو الذي يتولى جزاءهم

[ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون] أى يخبرهم بشنيع فعالهم ، قال الطبري : أى أخبرهم في الآخرة بما كانوا يفعلون ، وأجازي كلا منهم بما كان يفعل

[من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها] أى من جاء يوم القيامة بحسنة واحدة ، جوزي عنها بعشر حسنات أمثالها ، فضلا من الله وكرما ، وهو أقل المضاعفة للحسنات ، فقد تنتهي إلى سبعمائة أو أزيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها] أى ومن جاء بالسيئة عوقب بمثلها دون مضاعفة

[وهم لا يظلمون] أى لا ينقصون من جزائهم شيئا ، وفي الحديث القدسي : (يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر) فالزيادة في الحسنات من باب (الفضل) والمعاملة بالمثل في السيئات من باب (العدل)

[قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم] أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين : إن ربي هداني إلى الطريق القويم ، وأرشدنى إلى الدين الحق دين إبراهيم

[دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا] أى دينا مستقيما لا عوج فيه ، هو دين الحنيفية السمحة ، الذي جاء به إمام الحنفاء (إبراهيم) الخليل

[وما كان من المشركين] أى وما كان إبراهيم مشركا ، وفيه تعريض بإشراك من خالف دين الإسلام ، لخروجه عن دين إبراهيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إن صلاتى] أى قل يا أيها الرسول : إن صلاتي التي أعبد بها ربي

[ونسكي] أى ذبحي ((هذا قول ابن عباس ومجاهد واختاره الطبري ، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالنسك العبادة والأول ارجح أن المراد به الذبائح ، أي أذبح لله))

[ومحياى ومماتى] أى حياتي ووفاتي ، وما أقدمه في هذه الحياة ، من خيرات وطاعات

[لله رب العالمين] أي ذلك كله لله خالصا له ، دون ما أشركتم به

[لا شريك له] أى لا أعبد غير الله

[وبذلك أمرت] أي بإخلاص العبادة لله وحده أمرت

[وأنا أول المسلمين] أى أول من أقر وأذعن ، وخضع لله جل وعلا

[قل أغير الله أبغى ربا] تقرير وتوبيخ للكفار ، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم والمعنى : قل يا محمد : أأطلب ربا غير الله تعالى ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو رب كل شيء] أى والحال هو خالق ومالك كل شيء ، فكيف يليق أن أتخذ إلها غير الله ؟

[ولا تكسب كل نفس إلا عليها] أى لا تكون جناية نفس من النفوس ، إلا عليها وحدها ، هي تحمل إثم ما اكتسبت

[ولا تزر وازرة وزر أخرى] أى لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يؤاخذ إنسان بجريرة غيره

[ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون] وهذا وعيد وتهديد أي مرجعكم إليه يوم القيامة ، فيجازيكم على أعمالكم ، ويميز بين المحسن والمسيء

[وهو الذي جعلكم خلائف الأرض] أى جعلكم خلفا للأمم الماضية والقرون السالفة ، يخلف بعضكم بعضا ، قال الطبري : أي أستخلفكم بعد أن أهلك من كان قبلكم ، من القرون والأمم الخالية ، فجعلكم خلائف منهم في الأرض ، تخلفونهم فيها

[ورفع بعضكم فوق بعض درجات] أى خالف بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحوالكم في الغنى والفقر ، والعلم والجهل ، والقوة والضعف ، وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد [ليبلوكم في ما آتاكم] أى ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، قال ابن الجوزي : أى ليختبركم فيظهر منكم ما يكون به الثواب والعقاب

[إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم] أى إن ربك سريع العقاب لمن عصاه ، وغفور رحيم لمن أطاعه ، قال في التسهيل : جمع بين الخوف والرجاء وسرعة العقاب ، إما فى الدنيا بتعجيل الأخذ ، أو في الآخرة لأن كل ما هو آت قريب .

البلاغة :

1 - [ولا تتبعوا السبل] السبل استعارة عن البدع والضلالات والمذاهب المنحرفة .

2 - [لا نكلف نفسا] التنكير لإفادة العموم والشمول .

3 - [وبعهد الله] الإضافة للتشريف والتعظيم .

4 - [يصدفون عن آياتنا] وضع الظاهر مكان الضمير [عنها] لتسجيل شناعة وقباحة طغيانهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - [قل انتظروا] الأمر للتهديد والوعيد .
6 - [لا ينفع نفسا إيمانها . .] الآية ، اشتمل هذا الكلام على النوع المعروف من علم البيان باللف وأصل الكلام : يوم يأتى بعض آيات ربك ، لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل (إيمانها بعد) ولا نفسا لم تكسب في إيمانها (خيرا قبل) ما تكسبه من (الخير بعد) إلا أنه لف الكلامين ، فجعلهما كلاما واحدا ، بلاغة واختصارا وإعجازا ، أفاده صاحب الانتصاف .
7 - بين [ظهر] و[بطن] طباق وبين [الحسنة] و[السيئة] طباق كذلك وهو من المحسنات البديعية .
8 - [ولا تزر وازرة وزر أخرى] قال الشريف الرضي : ليس هناك على الحقيقة أحمال على الظهور ، وإنما هي أثقال الآثام والذنوب ، فهو تمثيل بطريق الاستعارة اللطيفة.

فائدة :

وحد تعالى [سبيله] لأن الحق واحد وجمع [السبل] لأن طرق الضلالة كثيرة ومتشعبة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

قال الحافظ ابن كثير : كثيرا ما يقرن تبارك وتعالى في القرآن بين هاتين الصفتين [إن ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم] كقوله تعالى [نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم] إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة ، وأوصاف الجنة ، والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة ، وذكر النار وأنكالها وعذابها ، والقيامة وأهوالها ، وتارة بهما ، لينجع فى كل بحسبه .

سورة الأعراف

مكية وآياتها ست ومائتان

بين يدي السورة

سورة الأعراف من أطول السور المكية ، وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء ، ومهمتها كمهمة السور المكية ، تقرير (أصول الدعوة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامية من توحيد الله جل وعلا ، وتقرير البعث والجزاء ، وتقرير الوحي والرسالة . - ، فعرضت السورة الكريمة في بدء آياتها للقرآن العظيم " معجزة محمد " الخالدة ، وقررت أن هذا القرآن نعمة من الرحمن ، على الإنسانية جمعاء ، فعليهم أن يستمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته ، ليفوزوا بسعادة الدارين .

* ولفتت الأنظار إلى نعمة خلقهم من أب واحد ، وإلى تكريم الله لهذا النوع الإنساني ، ممثلا في أب البشر آدم عليه السلام ، الذي أمر الله الملائكة بالسجود له ، ثم حذرت من كيد (الشيطان) ذلك العدو المتربص ، الذي قعد على طريق الناس ، ليصدهم عن الهدى ويبعدهم عن خالقهم .

* وقد ذكرتعالى قصة (آدم) مع إبليس وخروجه من الجنة ، وهبوطه إلى الأرض ، كنموذج للصراع بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وبيان لكيد إبليس لآدم وذريته ، ولهذا وجه الله إلى أبناء آدم - بعد أن بين لهم عداوة إبليس لأبيهم - أربعة نداءات متتالية ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بوصف البنوة لآدم [يا بني آدم] وهو نداء خاص بهذه السورة ، يحذرهم بها من عدوهم ، الذي نشأ على عداوتهم من قديم الزمن ، حين وسوس لأبيهم آدم ، حتى أوقعه في الزلة والمخالفة لأمر الله [يا بني آدم لا يفتتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما . .] . ، كما تعرضت السورة الكريمة لمشهد من المشاهد الواقعة يوم القيامة ، مشهد الفرق الثلاثة وما يدور بينهم من محاورة ومناظرة : فرقة المؤمنين (أصحاب الجنة) وفرقة الكافرين (أصحاب النار) وفرقة ثالثة لم يتحدث عنها القرآن إلا في هذه السورة ، وهي الفرقة التي سميت ب (أصحاب الأعراف) وسميت باسمها السورة (سورة الأعراف) مشهد سوف يشهده العالم يوم البعث والجزاء ، على الحقيقة دون تمثيل ولا تخييل ، تبين ما يكون فيه من شماتة أهل الحق (أصحاب الجنة) بالمبطلين (أصحاب النار) ، وينطلق صوت علوي يسجل عليهم اللعنة والطرد والحرمان ، وقد ضرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين الفريقين بحجاب ، ووقف عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم ، يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه ونضرتها ، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وقترتها .

* وتناولت السورة قصص الأنبياء بإسهاب (نوح ، هود ، صالح ، لوط ، شعيب ، موسى " وقد ابتدأت بشيخ الأنبياء " نوح " عليه السلام ، وما لاقاه من قومه من جحود وعناد ، وتكذيب وإعراض ، وقد ذكرت بالتفصيل قصة الكليم موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية ، وتحدثت عما نال بني إسرائيل من بلاء وشدة ، ثم من أمن ورخاء ، وكيف لما بدلوا نعمة الله ، وخالفوا أمره ، عاقبهم الله تعالى بالمسخ إلى قردة وخنازير .

* وتناولت السورة كذلك المثل المخزي لعلماء السوء ، وصورتهم بأشنع وأقبح ما يمكن للخيال ان يتصوره ، صورة الكلب اللاهث الذي لا يكف عن اللهث ، ولا ينفك عن التمرغ في الطين والأوحال [ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث]
وتلك لعمر الحق اقبح صورة مزرية ، لمن رزقه الله العلم النافع فاستعمله لجمع الحطام الفاني ، وكان العلم خزيا ووبالا عليه ، لأنه لم ينتفع بهذا العلم ، ولم يستقم على طريق الإيمان وانسلخ من النعمة ، وأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

---

* وقد ختمت السورة الكريمة بإثبات التوحيد ، والتهكم بمن عبدوا ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع ، من أحجار وأصنام اتخذوها شركاء مع الله ، وهو جل وعلا وحده الذي خلقهم وصورهم ، ويعلم متقلبهم ومثواهم ، وهكذا ختمت السورة الكريمة بالتوحيد كما بدأت بالتوحيد ، فكانت الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الرب المعبود في البدء والختام .

التسمية :

سميت هذه السورة بسورة الأعراف لورود ذكر اسم (الأعراف) فيها ، وهو سور مضروب بين الجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنار يحول بين أهلهما ، روى ابن جرير عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة ، وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار ، فوقفوا هنالك على السور ، حتى يقضي الله فيهم بحكمه العادل . التفسيرسورة الأعراف

قال الله تعالى : [المص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه . . إلى . . ويحسبون أنهم مهتدون] من آية (1) إلى نهاية آية (30) .

اللغة :

[حرج] ضيق يقال : حرج المكان أو الصدر إذا ضاق

[بياتا] قال الراغب : البيات والتبييت : قصد العدو ليلا

[قائلون] من القيلولة وهو النوم وسط النهار ، والقائلة : الظهيرة

[مذءوما] مذموما يقال ذأمه أى ذمه وحقره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مدحورا] مطرودا يقال دحره أى طرده وأبعده
[سوآتهما] السوأة : العورة سميت بذلك لأن الإنسان يسوءه ظهورها
[طفقا] شرعا وأخذا يقال : طفق يطفق إذا ابتدأ وأخذ
[يخصفان] يرقعان ويلزقان
[ريشا] لباسا تتجملون به ، وأصل الريش : المال والجمال ومنه ريش الطير لأنه زينة له وجمال
[قبيله] جنوده ، وأصل القبيل : الجماعة سواء كانوا من أصل أو أصول شتى
[فاحشة] الفاحشة هي الشيء الذي تناهى قبحه ، والمراد بها هنا الطواف حول البيت (عراة) وكل أمر قبيح يسمى فاحشة ، والفحشاء ما اشتد قبحه من الذنوب كالفاحشة.

التفسير :

[المص] تقدم في أول سورة البقرة الكلام عن الحروف المقطعة وأن الحكمة في ذكرها بيان " إعجاز القرآن " وذلك للتنبيه والإشارة إلى أنه مركب من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمثال هذه الحروف ، ومع ذلك فقد عجز بلغاؤهم وفصحاؤهم وعباقرتهم عن الإتيان بمثله ، وروي عن ابن عباس ان معناه : أنا الله أعلم وأفصل ، وقال أبو العالية : الألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والصاد مفتاح اسمه صادق

[كتاب أنزل إليك] أى هذا كتاب أنزله الله إليك يا محمد وهو القرآن

[فلا يكن في صدرك حرج منه] أى لا يضق صدرك من تبليغه ، خوفا من تكذيب قومك لك

[لتنذر به وذكرى للمؤمنين] أى لتنذر بالقرآن من يخاف الرحمن ، ولتنذر وتعظ به المؤمنين لأنهم المنتفعون به

[اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم] أى اتبعوا أيها الناس القرآن ، الذي فيه الهدى والنور والبيان ، المنزل إليكم من ربكم

[ولا تتبعوا من دونه أولياء] أى لا تتخذوا أولياء من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دون الرحمن ، كالأوثان والرهبان والكهان ، تولونهم أموركم وتطيعونهم فيما يشرعون لكم

[قليلا ما تذكرون] أى تتذكرون تذكرا قليلا ، قال الخازن : أى ما تتعظون إلا قليلا

[وكم من قرية أهلكناها] أى وكثير من القرى أهلكناها ، والمراد بالقرية أهلها

[فجاءها بأسنا بياتا] أى جاءها عذابنا ليلا

[أو هم قائلون] أى جاءهم العذاب في وقت القيلولة ، وهي النوم في وسط النهار ، قال أبو حيان : وخص مجيء البأس بهذين الوقتين ، لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة ، فمجيء العذاب فيهما أشق وأفظع ، لأنه يكون على غفلة من المهلكين

[فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا] أى ما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين شاهدوا العذاب ورأوا أماراته

[إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين] أى إلا اعترافهم بظلمهم ، تحسرا وندامة ، وهيهات ان ينفع الندم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلنسألن الذين أرسل إليهم] أى لنسألن الأمم قاطبة : هل بلغكم الرسل وماذا أجبتم ؟ والمقصود من هذا السؤال التقريع ، والتوبيخ للكفار

[ولنسألن المرسلين] أى ولنسألن الرسل أيضا هل بلغوا الرسالة وأدوا الامانة ؟ قال في البحر : وسؤال الأمم تقرير وتوبيخ يعقب الكفار والعصاة نكالا وعذابا ، وسؤال الرسل تأنيس يعقب الأنبياء كرامة وثوابا

[فلنقصن عليهم بعلم] أى فلنخبرنهم بما فعلوا عن علم منا ، قال ابن عباس : يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون

[وما كنا غائبين] أى ما كنا غائبين عنهم حتى يخفى علينا شيء من أحوالهم ، قال ابن كثير : يخبر تعالى عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا ، من قليل وكثير ، وجليل وحقير ، لأنه تعالى الشهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور

[والوزن يومئذ الحق] أى والوزن للأعمال يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة كائن بالعدل ، ولا يظلم ربك أحدا

[فمن ثقلت موازينه] أى فمن رجحت موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات

[فأولئك هم المفلحون] أى الناجون غدا من العذاب ، الفائزون بجزيل الثواب

[ومن خفت موازينه] أى ومن خفت موازين أعماله بسبب الكفر واجتراح السيئات

[فأولئك الذين خسروا أنفسهم] أى خسروا أنفسهم وسعادتهم

[بما كانوا بآياتنا يظلمون] أى بسبب كفرهم وجحودهم بآيات الله ، قال ابن كثير : والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال وإن كانت إعراضا ، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما ، يروى هذا عن ابن عباس ، وقيل : يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة ، وقيل : يوزن صاحب العمل كما في الحديث (يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكل صحيح فتارة توزن الأعمال ، وتارة محالها ، وتارة يوزن فاعلها والله أعلم أقول : لا غرابة في وزن الأعمال ، ووزن الحسنات والسيئات بالذات ، فإذا كان العلم الحديث قد كشف لنا عن موازين للحر ، والبرد ، واتجاه الرياح ، والأمطار ، أفيعجز القادر على كل شيء ، عن وضع (موازين) لأعمال البشر ؟

[ولقد مكناكم في الأرض] أى جعلنا لكم أيها الناس في الأرض مكانا وقرارا ، قال البيضاوي : أى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها

[وجعلنا لكم فيها معايش] أى ما تعيشون به وتحيون ، من المطاعم والمشارب وسائر ما تكون به الحياة

[قليلا ما تشكرون] أى ومع هذا الفضل والإنعام ، قليل منكم من يشكر ربه كقوله [وقليل من عبادي الشكور]

[ولقد خلقناكم ثم صورناكم] أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ، ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم ، وإنما ذكر بلفظ الجمع [صورناكم] تعظيما له لأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو البشر

[ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم] أى ثم أمرنا الملائكة بالسجود لآدم تكريما له ولذريته

[فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين] أى سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس امتنع من السجود تكبرا وعنادا ، والاستثناء منقطع لأنه استثناء من غير الجنس ، وقد تقدم قول الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين

[قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك] أى قال تعالى لإبليس : أى شيء منعك أن تدع السجود لآدم ؟ والاستفهام للتقريع والتوبيخ

[قال أنا خير منه] أي قال إبليس اللعين أنا أفضل من آدم وأشرف منه ، فكيف يسجد الفاضل للمفضول ؟ ثم ذكر اللعين العلة في الامتناع فقال

[خلقتنى من نار وخلقته من طين] أى أنا أشرف منه لشرف عنصري على عنصره ، لأنني مخلوق من نار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والنار أشرف من الطين ؟ ! ولم ينظر المسكين لأمر من أمره بالسجود ، وهو الله تعالى ، قال ابن كثير : نظر اللعين إلى أصل العنصر ، ولم ينظر إلى التشريف والتعظيم ، وهو أن الله خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وقاس قياسا فاسدا ، فأخطأ - قبحه الله - في قياسه في دعواه أن النار أشرف من الطين ، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم ، والنار من شأنها الإحراق والطيش ، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح ، والنار محل العذاب ، ولهذا خان إبليس عنصره فأورثه الهلاك والشقاء والدمار ، قال ابن سيرين : أول من قاس إبليس فأخطأ ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس

[قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها] أى اهبط من الجنة فما يصح لك ولا يستقيم ، ولا ينبغي أن تستكبر عن طاعتى وأمري ، وتسكن دار قدسي

[فاخرج إنك من الصاغرين] أى الذليلين الحقيرين ، قال الزمخشري : وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألبسه الله الذل والصغار ، فمن تواضع لله رفعه ، ومن تكبر على الله وضعه

[قال أنظرني إلى يوم يبعثون] استدرك اللعين فطلب من الله الإمهال إلى يوم البعث ، لينجو من الموت ، لأن يوم البعث لا موت بعده ، فأجابه تعالى بقوله

[قال إنك من المنظرين] قال ابن عباس : أنظره تعالى إلى (النفخة الأولى) حيث يموت الخلق كلهم ، وكان طلب الإنظار إلى (النفخة الثانية) حيث يقوم الناس لرب العالمين ، فأبى الله ذلك عليه ويؤيده الآية الأخرى [قال فإنك من المنظربن إلى يوم الوقت المعلوم]

[قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم] أى فبسبب إغوائك وإضلالك لي ، لأقعدن لآدم وذريته على طريق الحق ، وسبيل النجاة الموصل للجنة ، كما يقعد القطاع للسابلة

[ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم] أى آتي عبادك من كل جهة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجهات الأربع لأصدنهم عن دينك ، قال الطبري : معناه لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل ، فأصدهم عن الحق ، وأحسن لهم الباطل ، قال ابن عباس : ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم ، لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى

[ثم لا تجد أكثرهم شاكرين] أى لا تجدهم مؤمنين مطيعين ، شاكرين لنعمك

[قال اخرج منها مذءوما مدحورا] أى اخرج من ملكوت السماء ، مذموما معيبا ، مطرودا من رحمتي

[لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم أجمعبن] اللام موطئة للقسم أى لمن أطاعك من الإنس والجن ، لأملان جهنم من الأتباع الغاوين أجمعين ، وهو وعيد بالعذاب لكل من انقاد للشيطان ، وترك أمر الرحمن

[ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة] أى وقلنا يا آدم اسكن مع زوجك حواء الجنة ، بعد أن أهبط منها إبليس وأخرج وطرد

[فكلا من حيث شئتما] أى كلا من ثمارها من أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكان شئتما

[ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين] أباح لهما الأكل من جميع ثمارها ، إلا شجرة واحدة عينها لهما ، ونهاهما عن الأكل منها ابتلاء وامتحانا ، فعند ذلك حسدهما الشيطان ، وسعى في الوسوسة والمكر والخديعة

[فوسوس لهما الشيطان] أى ألقى لهما بصوت خفي ، لإغرائهما بالأكل من الشجرة

[ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما] أى ليظهر لهما ما كان مستورا من العورات التي يغبح كشفها

[وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين] وهذا توضيح لوسوسة اللعين ، أى قال في وسوسته لهما : ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهية ان تكونا ملكين ، أو تصبحا من المخلدين في الجنة

[وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين] أى حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فدلاهما بغرور] أى خدعهما بما غرهما به من القسم بالله ، قال ابن عباس : غرهما باليمين ، وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحد بالله كاذبا ، فغرهما بوسوسته وقسمه لهما

[فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما] أى فلما أكلا من الشجرة ظهرت عوراتهما ، قال الكلبي : تهافت - أى سقط - عنهما لباسهما ، فأبصر كل منهما عورة صاحبه فاستحيا

[وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة] أي أخذا وشرعا يلصقان ورقة على ورقة ليستترا به ، بعد أن كانت كسوتهما من حلل الجنة . قال القرطبي : أي جعلا يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به ، ومنه خصف النعل . وقال وهب ابن منبه : كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا ، فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين] أي ناداهما الله بطريق العتاب والتوبيخ قائلا : ألم أحذركما من الأكل من هذه الشجرة ، وأخبركما بعداوة الشيطان اللعين ؟ روى أنه تعالى قال لآدم : ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة ؟ فقال : بلى وعزتك ، ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال : فوعزتي لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لا تنال العيش إلا كدا

[قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين] اعترفا بالخطيئة وتابا من الذنب ، وطلبا من الله المغفرة والرحمة ، قال الطبري : وهذه الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه

[قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو] الخطاب (لآدم ، وحواء ، وإبليس) ولهذا جاء بصيغة الجمع أى اهبطوا من سماء القدس إلى الأرض ، حال كون بعضكم عدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لبعض ، فالشيطان عدو للإنسان ، والإنسان عدو للشيطان ، كقوله سبحانه [إن الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدوا]

[ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين] أى لكم في الأرض موضع استقرار وتمتع ، وانتفاع إلى حين انقضاء آجالكم

[قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون] أى في الأرض تعيشون ، وفيها تقبرون ومنها تخرجون يوم القيامة للجزاء ، كقوله تعالى [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى] ثم ذكر تعالى ما امتن به على ذرية آدم من اللباس والرياش والمتاع فقال سبحانه

[يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ورشيا] أى أنزلنا عليكم لباسين : لباسا يستر عوراتكم ، ولباسا يزينكم وتتجملون به ، قال الزمخشري : الريش (لباس الزينة) استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولباس التقوى ذلك خير] أى ولباس الورع والخشية من الله تعالى ، خير ما يتزين به المرء ، فإن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر ، قال الشاعر : وخير لباس المرء طاعة ربه ولاخيرفيمن كان لله عاصيا

[ذلك من آيات الله] أى إنزال اللباس من الآيات العظيمة الدالة على فضل الله ورحمته على عباده

[لعلهم يذكرون] أى لعلهم يذكرون هذه النعم فيشكرون الله عليها

[يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان] أي لا يغوينكم الشيطان بإضلاله وفتنته

[كما أخرج أبويكم من الجنة] أى كما أغوى أبويكم بالأكل من الشجرة حتى أخرجهما من الجنة

[ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما] أى ينزع عنهما اللباس لتظهر العورات ، ونسب النزع إليه لأنه المتسبب ، وهذا هدف اللعين أن يهتك الستر عن الإنسان ، ويعريه من جميع الفضائل الحسية والمعنوية

[إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم] أى إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشيطان يبصركم هو وجنوده ، من الجهة التي لا تبصرونه منها ، فهو لكم بالمرصاد ، فاحذروا كيده ومكره ، لأن العدو إذا أتى من حيث لا يرى ، كان أشد وأخوف

[إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون] أى جعلنا الشياطين أعوانا وقرناء للكافرين

[وإذا فعلوا فاحشة] أى وإذا فعل المشركون فاحشة وهي الفعلة المتناهية في القبح كالطواف حول البيت عراة

[قالوا وجدنا عليها أباءنا] أى اعتذروا عن ذلك الفعل القبيح بتقليد الاباء

[والله أمرنا بها] أى أمرنا بالتجرد من الثياب ، إذ كيف نطوف فى ثياب عصينا فيها الله ! وهذا إفتراء على ذي الجلال ، قال البيضاوي : احتجوا بأمرين : تقليد الآباء ، والإفتراء على الله سبحانه ، فأعرض عن الأول لظهور فساده ، ورد الثاني بقوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إن الله لا يأمر بالفحشاء] أى قل لهم يا محمد : الله منزه عن النقص ، لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوىء الخصال

[أتقولون على الله ما لا تعلمون] الاستفهام للإنكار والتوبيخ أى أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح ؟ دون علم ونظر صحيح ؟

[قل أمر ربي بالقسط] أى بالعدل والاستقامة

[وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد] أى توجهوا بكليتكم إليه عند كل سجود

[وادعوه مخلصين له الدين] أى واعبدوه مخلصين له العبادة والطاعة ، قال ابن كثير : أى أمركم بالاستقامة في عبادته وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات ، وبالإخلاص لله في العبادة ، فإن الله تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابا موافقا للشريعة ، وأن يكون خالصا من الشرك

[كما بدأكم تعودون] أي كما بدأكم من الأرض تعودون إليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة] أى هدى فريقا وأضل فريقا منكم ، وهو الفعال لما يريد لا يسأل عما يفعل

[إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله] هذا تعليل للفريق الذين حقت عليهم الضلالة أى اتخذوا الشياطين نصراء من دون الله

[ويحسبون أنهم مهتدون] أى يظنون أنهم على بصيرة وهداية من أمرهم .

البلاغة :

1 - [حرج منه] أى ضيق من تبليغه فهو على حذف مضاف مثل [واسأل القرية] .

2 - [من ربكم] التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة لضمير المخاطبين لمزيد اللطف بهم وترغيبهم في إمتثال الأوامر .

3 - [فمن ثقلت موازينه] بين [ثقلت] و[خفت] طباق وكذلك بين [بياتا] و[قائلون] لأن البيات معناه ليلا و[قائلون] معناه نهارا وقت الظهيرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [خلقناكم ثم صورناكم] هو على حذف مضاف أى خلقنا أباكم وصورنا أباكم .

5 - [لأقعدن لهم صراطك المستقيم] استعار (الصراط المستقيم) لطريق الهداية الموصل إلى جنان النعيم .

6 - [ويا آدم] فيه ايجاز بالحذف أى وقلنا يا آدم .

7 - [ولا تقربا هذه الشجرة] عبر عن الأكل بالقرب مبالغة في النهي عن الأكل منها . .

8 - [وقاسمهما إنى لكما] أكد الخبر بالقسم وبإن واللام لدفع شبهة الكذب وهو من الضرب الذي يسمى " إنكاريا " لأن السامع شاك في الخبر .

9 - [فيها تحيون وفيها تموتون] بين الجملتين طباق وهو من المحسنات البديعية .

تنبيه :

سميت العورة سوأة لأن كشفها يسوء صاحبها ، قال العلماء : في الآية دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور ، وأنه مستهجن في الطباع ولذلك سميت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(سوأة) أقول : إن الآية قد أوضحمت هدف إبليس اللعين [ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما] فمن دعا إلى تعري المرأة ، وشجع على ذلك كما هو حال من يزعم التقدمية ، ويدعو المرأة إلى نزع الحجاب بدعوى الحرية والمساواة ، فإنما هو عدو للمرأة ، ومن أنصار وأعوان (إبليس) اللعين ، لأن الهدف واحد ، وهي دعوة مكشوفة غايتها التفسخ والإنحلال الخلقي ، وليست التقدمية بالتكشف والتعري ، وإنما هي بصيانة الشرف والعفاف ، ولله در القائل : يا ابنتي إن أردت آية حسن وجمالا يزين جسما وعقلا فانبذي عادة التبرج نبذا فجمال النفوس أسمى وأغلى يصنع الصانعون وردا ولكن وردة الروض لا تضارع شكلا

قال الله تعالى : [يا بني آدم خذوا زينتكم . . إلى . . وما كانوا بآياتنا يجحدون] من آية (31) إلى نهاية آية (51) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة آدم عليه السلام ، وذكر ما امتن به على بنيه ، وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يستر العورات ، أمر هنا بأخذ الزينة والتجمل في المناسبات ، وعند إرادة الصلاة ، ثم ذكر أحوال الآخرة وانقسام الناس إلى طوائف ثلاث : (أهل الجنة ، وأهل النار ، وأهل الأعراف) ومال كل فريق من سعادة أو شقاء ، في دار العدل والجزاء

اللغة :

[زينتكم] الزينة : ما يتزين به المرء ويتجمل من ثياب وغيرها

[الفواحش] جمع فاحشة وهي ما تناهى قبحه من المعاصى

[البغى] الظلم والاستطالة على الناس

[سلطانا] حجة وبرهانا

[سم الخياط] ثقب الإبرة

[مهاد] فراش يمتهده الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غواش] أغطية جمع غاشية ، قال ابن عباس : هي اللحف

[الأعراف] الجسر المضروب بين الجنة والنار ، مستعار من عرف الديك

[بسيماهم] بعلامتهم .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة وتقول : من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول : اليوم يبدو بعضه أوكله فما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الآية [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد] وأذن مؤذن رسول الله (ص) : " ألا يطوف بالبيت عريان " .

التفسير :

[يا بني أدم خذوا زينتكم عند كل مسجد] أى البسوا أفخر ثيابكم وأطهرها ، عند كل صلاة أو طواف

[وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] أى لا تسرفوا في الزينة والأكل والشرب ، بما يضر بالنفس والمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه لا يحب المسرفين] أى المتعدين حدود الله فيما أحل وحرم

[قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق] أى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب ، الذين يطوفون بالبيت عراة ، ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من الطيبات : من حرم عليكم التجمل بالثياب التى خلقها الله لنفعكم من القطن والصوف ، والمستلذات من المآكل والمشارب ؟ ! والاستفهام للإنكار والتوبيخ

[قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة] أى هذه الزينة والطيبات في الدنيا مخلوقة للمؤمنين ، وإن شاركهم فيها الكفار ، وستكون خالصة لهم يوم القيامة ، لا يشركهم فيها أحد ، لأن الله حرم الجنة على الكافرين

[كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون] أى نبين ونوضح الآيات التشريعية ، لقوم يتدبرون حكمة الله ويفقهون تشريعه ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن] أى قل لهم يا محمد : ما حرم الله إلا القبائح من الأشياء ، التي تفاحش قبحها وتناهى ضررها ، سواء ما كان منها في السر أو في العلن

[والإثم والبغي بغير الحق] أى وحرم المعاصى كلها والعدوان على الناس

[وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا] أى تجعلوا له شركاء في عبادته بدون حجة أو برهان

[وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون] أى تفتروا على الله الكذب في التحليل والتحريم

[ولكل أمة أجل] أى لكل أمة كذبت رسلها مدة مضروبة لهلاكها ، قال في البحر : هذا وعيد للمشركين بالعذاب اذا خالفوا أمر ربهم

[فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] أى فإذا جاء وقت هلاكهم المقدر لهم ، لا يتأخر عنهم برهة من الزمن ولا يتقدم ، لقوله [وجعلنا لمهلكهم موعدا] والساعة مثل في غاية القلة من الزمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي] المراد ببني آدم جميع الأمم ، والمعنى : أن يجئكم رسلي الذين أرسلتهم إليكم ، يبينون لكم الأحكام والشرائع

[فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] أى فمن اتقى منكم ربه ، بفعل الطاعات وترك المحرمات ، فلا خوف عليهم فى الآخرة ولا هم ولا حزن

[والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أى وأما من كذب واستكبر عن الإيمان بما جاء به الرسل ، فأولئك في نار جهنم ، ماكثون لا يخرجون منها أبدا

[فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته] الاستفهام للإنكار أى من أقبح وأشنع ممن تعقد الكذب على الله ؟ أو كذب بآياته المنزلة ؟

[أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب] أى يصيبهم حظهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الدنيا مما كتب لهم وقدر ، من الأرزاق والآجال ، وما وعدوا به من خير أو شر

[حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم] أي جاءت ملائكة الموت تقبض أرواحهم

[قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله] أى أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ ادعوهم ليخلصوكم من العذاب ، والسؤال للتبكيت والتوبيخ

[قالوا ضلوا عنا] أى قال الأشقياء المكذبون : لقد غابوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا شفاعتهم

[وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين] أى أقروا واعترفوا على أنفسهم بالكفر والضلال ، وإنما قالوا ذلك على سبيل التحسر ، والإعتراف بما هم عليه من الخيبة والخسران

[قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار] أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء المكذبين بآياته : ادخلوا مع أمم أمثالكم من الفجرة في نار جهنم ، من كفار الأمم الماضية من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنس والجن
[كلما دخلت أمة لعنت أختها] أى كلما دخلت طائفة النار ، لعنت التي قبلها ، لضلالها بها ، قال الألوسي : يلعن الأتباع القادة يقولون : أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله تعالى ، كما قال تعالى [ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا]
[حتى إذا أداركوا فيها جميعا] أى تلاحقوا واجتمعوا في النار كلهم
[قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا] أى قال الأتباع للقادة والرؤساء الذين أضلوهم : ياربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن سبيلك وزينوا لنا طاعة الشيطان
[فآتهم عذابا ضعفا من النار] أى أذقهم العذاب مضاعفا لأنهم تسببوا في كفرنا ، ونظير هذه الآية [ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب]
[قال لكل ضعف] أى لكل من القادة والأتباع عذاب مضاعف ، أما القادة فلضلالهم وإضلالهم ، وأما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأتباع فلكفرهم وتقليدهم
[ولكن لا تعلمون] أى لا تعلمون هوله ، ولهذا تسألون لهم مضاعفة العذاب
[وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل] أى قال القادة للأتباع : لا فضل لكم علينا في تخفيف العذاب ، فنحن متساوون معكم في الضلال وفي استحقاق العذاب الأليم
[فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون] أي فذوقوا عذاب جهنم بسبب إجرامكم ، قالوه لهم على سبيل التشفي ، لأنهم دعوا عليهم بمضاعفة العذاب ((ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله {فذوقوا العذاب} من كلام الله للفريقين على سبيل التوبيخ وهو اختيار الطبري ، والظاهر أنه من كلام القادة للأتباع كما في البحر المحيط ، يقولونه لهم على سبيل التشفي ، والله أعلم))
[إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها] أى كذبوا بآياتنا مع وضوحها ، واستكبروا عن الإيمان بها ، والعمل بمقتضاها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا تفتح لهم أبواب السماء] أى لا يصعد لهم عمل صالح إلى السماء ، كقوله تعالى [إليه يصعد الكلم الطيب] قال ابن عباس : لا يرفع لهم منها عمل صالح ، ولا دعاء ، وقيل : لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا قبضت أرواحهم ، ويؤيده حديث (إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا يجيئه ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة ، فلا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له) الحديث

[ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط] أى لا يدخلون يوم القيامة الجنة ، حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة ، وهذا تمثيل لإستحالة دخول الكفار الجنة ، كإستحالة دخول الجمل على ضخامنه في ثقب الإبرة على دقته ، مبالغة في التصوير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك نجزي المجرمين] أى ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي أهل العصيان والإجرام

[لهم من جهنم مهاد] أى لهم فراش من النار من تحتهم

[ومن فوقهم غواش] أي ومن فوقهم أغطية من النار

[وكذلك نجزي الظالمين] أى ومثل ذلك الجزاء الشديد ، نجزي كل من ظلم وتعدى حدود الله . . ولما ذكر تعالى وعيد الكافرين وما أعده لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فقال سبحانه

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أى والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به ربهم

[لا نكلف نفسا إلا وسعها] أى لا نكلف أحدا إلا بما يسهل عليه ، وفي حدود طاقته ، والجملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر قال في البحر : وفائدته التنبيه على أن ذلك العمل في وسعهم ، وغير خارج عن قدرتهم ، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم ما فيها يوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] أى هؤلاء المؤمنون السعداء هم المستحقون للخلود الأبدي في جنات النعيم لا يخرجون منها أبدا

[ونزعنا ما في صدورهم من غل] أى طهرنا قلوبهم من الحسد والبغضاء ، حتى لا يكون بينهم إلا المحبة والتعاطف كما ورد في الحديث (يدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل) وصيغة الماضي تفيد التحقق والتثبت

[تجري من تحتهم الانهار] أي تجري أنهار الجنة من تحت قصورهم ، زيادة في نعيمهم

[وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله] أى الحمد لله الذي وفقنا لتحصيل هذا النعيم العظيم ، ولولا هداية الله تعالى وتوفيقه ، لما وصلنا إلى هذه السعادة

[لقد جاءت رسل ربنا بالحق] أى والله لقد صدقنا الرسل فيما أخبرونا به عن الله عز وجل

[ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى وتناديهم الملائكة : أن هذه الجنة هي التي أعطيتموها ، بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا ، قال القرطبي : ورثتم منازلها بعملكم ، ودخولكم إياها برحمة الله وفضله ، وفي الحديث " لن يدخل أحد الجنة بعمله . .)ومعنى الحديث الشريف : أن دخول الجنة إنما يكون بفضل الله ورحمته ، وأما تقاسم الدرجات فيها ، فيكون بحسب الأعمال الصالحة

[ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم] هذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وعبر بالماضى عن المستقبل لتحقق وقوعه أى ينادي أهل الجنة أهل النار يقولون : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله ، من النعيم والكرامة حقا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من الخزي والهوان حقا ؟ فيجيبونهم : نعم وجدنا ذلك حقا ، قال الزمخشرى : وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم ، وشماتة بأهل النار ، وزيادة فى غمهم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين] أي أعلن معلن ونادى مناد بين الفريقين ، بأن لعنة الله على كل ظالم بالله ، ثم وصفهم تعالى بقوله

[الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا] أى الذين كانوا فى الدنيا يمنعون الناس عن اتباع دين الله ، ويبغون أن تكون السبيل معوجة ، غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد

[وهم بالآخرة كافرون] أى وهم بلقاء الله في الدار الآخرة مكذبون جاحدون

[وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم] أى بين الفريقين حجاب ، وهو السور الذي ذكره تعالى بقوله [فضرب بينهم بسور له باب] يمنع من وصول أهل النار للجنة ، وعلى هذا السور ، رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار ، بسيماهم أى بعلامتهم التي ميزهم الله بها ، قال قتادة : يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجوههم

[ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم] أى ونادى أصحاب الأعراف أهل الجنة : أن سلام عليكم فهنيئا لكم ، على ما وصلتم إليه ، قال تعالى

[لم يدخلوها وهم يطمعون] أى لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها

[وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمبن] قال المفسرون : أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار ، يحبسون هناك على السور ، حتى يقضي الله فيهم ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلموا عليهم ، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، سألوا الله ألا يجعلهم معهم ، قال أبو حيان : وفي التعبير بقوله [صرفت] دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى أهل الجنة ، وأن نظرهم إلى أصحاب النار ليس من قبلهم ، بل هم محمولون عليه ، والمعنى : أنهم إذا حملوا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صرف أبصارهم ، ورأوا ما عليه أهل النار من العذاب ، استغاثوا بربهم من أن يجعلهم معهم

[ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم] أى من أهل النار وهم رؤساء الكفرة

[قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون] أى أى شيء نفعكم جمعكم للمال ، واستكباركم عن الإيمان ؟ والاستفهام للتوبيخ

[أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة] أى أهؤلاء المؤمنون الضعفاء ، الذين كنتم في الدنيا تسخرون منهم ، وتحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة ؟ والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة ، يوبخونهم بذلك

[ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون] أى يقولون للمؤمنين ادخلوا الجنة رغم أنوف الكافرين ، قال الألوسي : هذا من كلام أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة المشار إليهم : دوموا في الجنة غير خائفين ولا محزونين ، على أكمل سرور وأتم كرامة

[ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الماء أو مما رزقكم الله] هذه المحاورة بين أهل النار وأهل الجنة ، إنما تكون بعد أن يستقر بكل من الفريقين القرار ، ينادونهم يوم القيامة أغيثونا بشيء من الماء ، لنسكن به حرارة النار والعطش ، أو أعطونا مما رزقكم الله من غيره من الأشربة ، فقد قتلنا العطش

[قالوا إن الله حرمهما على الكافرين] أى منع الله الكافرين شراب الجنة وطعامها ، قال ابن عباس : ينادي الرجل أخاه وأباه فيقول : قد احترقت فأفض على من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون : إن الله حرمهما على الكافرين ، ثم وصف تعالى الكافرين بقوله

[الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا] أى هزءوا من دين الله ، وجعلوا الدين سخرية ولعبا

[وغرتهم الحياة الدنيا] أى خدعتهم بزخارفها العاجلة وشهواتها القابلة ، وهذا شأنها مع أهلها تغر وتضر ، وتخدع ثم تصرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا] أى ففي هذا اليوم نتركهم في العذاب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، فلم يخطر ببالهم ولم يهتموا به ، قال الألوسي : الكلام خارخ مخرج التمثيل أى نتركهم في النار ، وننساهم مثل نسيانهم لقاء هذا اليوم العظيم ، الذي ينبغي أا ينسى وقال ابن كثير : أى يعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شئ : ولا ينساه [وما كانوا بآياتنا يجحدون] أى وكما كانوا منكرين لآيات الله في الدنيا ، يكذبون بها ويستهزءون ، ننساهم في العذاب ، كما نسوا هذا اليوم العظيم ، والجزاء من جنس العمل .

البلاغة :

1 - [عند كل مسجد] مجاز مرسل علاقته المحلية لأن المراد بالمسجد هنا الصلاة والطواف ، ولما كان المسجد مكان الصلاة أطلق ذلك عليه .

2 - [لا تفتح لهم أبواب السماء] كناية عن عدم قبول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمل ، فلا يقبل لهم دعاء أو عمل
3 - [حتى يلج الجمل في سم الخياط] فيه تشبيه ضمني أى لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال ، إلا إذا أمكن دخول الجمل فى ثقب الإبرة ، وهو تمثيل للاستحالة .
4 - [لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش] قال صاحب البحر : هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب كقوله [لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل] .
5 - [ما ظهر منها وما بطن] بين " ظهر " و " بطن " طباق ، وهو من المحسنات البديعية .
فائدة :
يروى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال ذلك الطبيب لأحد العلماء بحضرة الخليفة : ليس في كتابكم من علم الطب شيء ! ؟ والعلم علمان : (علم الأبدان) و(علم الأديان) فقال له العالم : قد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابنا !! قال : وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هي ؟ قال : قوله تعالى [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] فقال النصراني : ولا يؤثر عن رسولكم شيء فى الطب ؟ فقال العالم : قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة! ! قالى : وما هي ؟ قال : قوله ، : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه) الحديث ، فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا .

قال الله تعالى : [ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم . . إلى . . وما كانوا مؤمنين] من آية (52) إلى نهاية آية (72) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال الكفار الأشقياء وخسارتهم الفادحة في الآخرة ، ذكر هنا أنه لا حجة لأحد ، فقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لهداية البشرية ، ثم ذكر قصص بعض الأنبياء ، فبدأ بنوح عليه السلام شيخ الأنبياء ، ثم أعقبه بذكر هود عليه السلام ، وموقف المشركين من دعوة الرسل الكرام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[تأويله] عاقبة أمره وما يئول إليه ، من آل يئول إذا صار إليه

[استوى] الاستواء : العلو والاستقرار ، قال الجوهري : استوى على ظهر الدابة استقر ، واستوى إلى السماء قصد ، واستوى الشيء !ذا اعتدل

[يغشي] يغطى

[حثيثا] سريعا والحث : الإعجال والسرعة

[تبارك] تفاعل من البركة وهي الكثرة والإتساع ، قال الازهري : تبارك أى تعالى وتعاظم وأرتفع

[تضرعا] تذللا واستكانة ، وهو إظهار الذل الذي في النفس مع الخشوع

[وخفية] سرا

[بشرا] مبشرة بالمطر

[أقلت] حملت

[نكدا] النكد : العسر القليل

[آلاء] الآلاء النعم واحدها " إلى " كمعى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[ولقد جئناهم بكتاب] أى ولقد جئنا أهل مكة بكتاب هو القرآن العظيم

[فصلناه على علم] أى بينا معانيه ووضحنا أحكامه على علم منا ، حتى جاء قيما غير ذي عوج

[هدى ورحمة لقوم يؤمنون] أى هداية ورحمة وسعادة لمن آمن به

[هل ينظرون إلا تأويله] أى ما ينتظر أهل مكة إلا عاقبة ما وعدوا به من العذاب والنكال ، قال قتادة : تأويله عاقبته

[يوم يأتي تأويله] هو يوم القيامة

[يقول الذين نسوه من قبل] أى يقول الذين ضيعوا وتركوا العمل به في الدنيا

[قد جاءت رسل ربنا بالحق] أى جاءتنا الرسل بالأخبار الصادقة وتحقق لنا صدقهم ، فلم نؤمن بهم ولم نتبعهم ! ! قال الطبري : أقسم المساكين حين حل بهم العقاب ، أن رسل الله قد بلغتهم الرسالة ونصحت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم وصدقتهم ، حين لا ينفعهم ولا ينجيهم من سخط الله كثرة القيل والقال

[فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا] أى هل لنا اليوم شفيع ، يخلصنا من هذا العذاب ؟ استفهام فيه معنى التمني

[أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل] أو هل لنا من عودة إلى الدنيا ، لنعمل صالحا غير ما كنا نعمله من المعاصي وقبيح الأعمال ؟ قال تعالى ردا عليهم

[قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون] أى خسروا أنفسهم حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا ، بالنفيس الباقي من الآخرة ، وبطل عنهم ما كانوا يزعمونه من شفاعة الآلهة والأصنام ، ثم ذكر تعالى دلائل القدرة والوحدانية فقال سبحانه

[إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام] أى أن معبودكم وخالقكم الذي تعبدونه هو المنفرد بقدرة الإيجاد ، الذي خلق السموات والأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ، قال القرطبي : لو أراد لخلقها في لحظة ، ولكنه أراد أن يعلم العباد التثبت في الأمور

[ثم استوى على العرش] أى استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، كما هو مذهب السلف ، وكما قال الإمام مالك رحمه الله : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل ، فلا يقال : كيف ؟ ولم ؟ نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء ، وكما شاء ، بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ، أو يحدها حاد ، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ، ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل) ، وقال القرطبي : لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته

[يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا] أى يغطى الليل على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النهار فيذهب بضوئه ، ويطلبه سريعا حتى يدركه ، والتعبير جاء في روعة الإبداع الفنى ، كأن الليل والنهار فارسان يتسابقان ، كل واحد منهما يريد سبق الآخر ، وهو تعبير مدهش عن تعاقب الليل والنهار ، بطريق التمثيل الرابع

[والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره] أى الجميع تحت قهره ومشيئته وتسخيره

[ألا له الخلق والأمر] أى له الملك والتصرف التام في الكائنات

[تبارك الله رب العالمين] أى تعظم وتمجد الخالق المبدع رب العالمين

[ادعوا ربكم تضرعا وخفية] أى أدعو الله تذللا وسرا ، بخشوع وخضوع

[إنه لا يحب المعتدبن] أى لا يحب المعتدين في الدعاء ، بالتشدق ورفع الصوت ، وفي الحديث " إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا "

[ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها] أي لا تفسدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأرض بالعدوان والمعاصي ، بعد أن أصلحها الله ببعثه الأنبياء والمرسلين

[وادعوه خوفا وطمعا] أى ادعوا ربكم وتضرعوا إليه ، خوفا من عذابه ، وطمعا في رحمته

[إن رحمة الله قريب من المحسنين] أى رحمته تعالى قريبة من المطيعين ، الذين يمتثلون أوامره ويتركون زواجره

[وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته] أى يرسل الرياح مبشرة بالمطر ، ومعنى [بين يدي رحمته] أى أمام نعمته وهو المطر الذي هو من أجل النعم ، وأحسنها أثرا على الإنسان

[حتى إذا أقلت سحابا ثقالا] أى حتى إذا حملت الرياح سحابا مثقلا بالماء

[سقناه لبلد ميت] أى سقنا السحاب إلى أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها

[فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات] أى أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء العذب الفرات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأخرجنا بذلك الماء من كل أنواع الثمرات

[كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون] أى مثل هذا الإخراج نخرج الموتى من قبورهم ، لعلكم تعتبرون وتؤمنون ، قال ابن كثير : وهذا المعنى كثير في القرآن ، يضرب الله المثل ليوم القيامة ، بإحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال : [لعلكم تذكرون)

[والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه] أى الأرض الكريمة التربة ، يخرج النبات فيها وافيا حسنا ، غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره ، وهذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها

[والذي خبث لا يخرج إلا نكدا] أى والأرض إذا كانت خبيثة التربة ، كالحرة أو السبخة ((الحرة : الأرض ذات الحجارة السود ، والسبخة : الأرض ذات الملح)) لا يخرج النبات فيها إلا بعسر ومشقة ، ويكون قليلا لا خير فيه ، وهذا مثل للكافر الذي لا ينتفع بالموعظة ، قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمؤمن والكافر ، فالمؤمن طيب وعمله طيب ، كالأرض الطيبة ثمرها طيب ، والكافر خبيث ، وعمله خبيث ، كالأرض السبخة المالحة لا ينتفع بها)

[كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون] أى كما ضربنا هذا المثل ، كذلك نبين وجوه الحجج ونكررها ، آية بعد آية ، وحجة بعد حجة ، لقوم يشكرون الله على نعمه ، وإنما خص الشاكرين بالذكر ، لأنهم المنتفعون بسماع القرآن ، قال الألوسي : أى مثل هذا التصريف البديع ، نردد الآيات الدالة على القدرة الباهرة ، ونكررها لقوم يشكرون نعم الله تعالى ، وشكرها بالتفكير والاعتبار بها

[لقد أرسلنا نوحا إلى قومه] اللام جواب قسم محذوف ، أى والله لقد أرسلنا نوحا ، ونوح شيخ الأنبياء ، لأنه أطولهم عمرا ، وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس ، ولم يلق نبى من الأذى مثل نوح ، وهذه أول قصص الأنبياء في هذه السورة الكريمة ، بعد قصة خلق آدم

[فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحدوا الله ولا تشركوا به ، فما لكم إله مستحق للعبادة غيره

[إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] أى إن أشركتم به ولم تؤمنوا ، فأنا أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، هو يوم القيامة

[قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين] أى قال الأشراف والسادة من قومه : إنا لنراك يا نوح في ذهاب عن طريق الحق والصواب ، واضح جلي ، قال ابو حيان : ولم يجبه من قومه إلا أشرافهم وسادتهم ، وهم الذين يتعاصون على الرسل ، لإنغماس عقولهم بالدنيا وطلب الرياسه) ، وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة

[قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين] ((لم يأت التركيب : لست في ضلال مبين ؟ بل جاء في غاية الحسن {ليس بي ضلالة} لنفى أن يلتبس أو يختلط به ضلالة ما ، وهذا أبلغ من الانتفاء من الضلال إذ لم يتعلق به ولا ضلالة واحدة ، فهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفى للضلال بالكلية . أفاده صاحب البحر)) أى ما أنا بضال ، ولكن أنا مرسل إليكم من عند ربكم المالك لأموركم ، الناظر لكم بالمصلحة

[أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون] أي أنا أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم ، وأقصد صلاحكم وخيركم ، وأعلم من الأمور الغيبية أشياء ، لا علم لكم بها أنتم ، قال ابن كثير : وهذا شأن الرسول ، أن يكون مبلغا فصيحا ناصحا عالما ، لا يدركه أحد من خلق الله في هذه الصفات

[أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم] ؟ أى لا تعجبوا من هذا ، فإن هذا ليس بعجيب ، أن يوحي الله إلى رجل منكم من البشر ، رحمة بكم ، ولطفا واحسانا إليكم

[لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون] أى ليخوفكم هذا الرسول من العذاب إن لم تومنوا ، ولتتقوا ربكم وتنالكم الرحمة بتقواه

[فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك] أى كذبوا نوحا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع طول مدة اقامته فيهم ، فأنجاه الله والمؤمنين معه في السفينة

[وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا] أى أهلكنا المكذبين لرسولنا نوح بالغرق

[أنهم كانوا قوما عمين] أى عميت قلوبهم عن الحق ، فهم لا يبصرونه ولا يهتدون له ، قال ابن عباس : عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد

[وإلى عاد أخاهم هودا] أي وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، وكانت مساكنهم بالأحقاف باليمن

[فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أى قال لهم رسولهم : وحدوا الله ، فليس لكم إله غيره

[أفلا تتقون] أى أفلا تخافون عذابه ؟

[قال الملأ الذي كفروا من قومه] أى قال السادة والقادة منهم

[إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين] أى نراك في خفة حلم ، وسخافة عقل ، وإننا لنظنك من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكاذبين في ادعائك الرسالة

[قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين] أى ليس بي كما تزعمون نقص في العقل ، ولكني مرسل إليكم بالهداية من رب العالمين

[أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين] أى أبلغكم أوامر الله ، وأنا ناصح لكم فيما أدعوكم إليه ، أمين على ما أقول لا أكذب فيه ، قال الزمخشري : وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام ، ممن نسبهم إلى السفاهة والضلالة - بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم وترك المقابلة - أدب حسن ، وخلق عظيم ، وتعليم للعباد كيف يخاطبون السفهاء ، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ،

[أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم] أى لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم ، لينذركم لقاء الله ويخوفكم عذابه

[واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح] أى اذكروا نعمة الله عليكم ، حين استخلفكم في الأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد إهلاك قوم نوح

[وزادكم في الخلق بسطة] أى زاد في أجسامكم قوة وضخامة

[فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون] أي اذكروا نعم الله عليكم ، كي تفلحوا وتفوزوا بالسعادة

[قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا] أى أجئتنا يا هود تتوعدنا بالعذاب ؟ كي نعبد الله وحده ؟ ونهجر عبادة الآلهة والأصنام ، ونتبرا منها ؟ وهذه منهم منتهى السفاهة والغلاظة لمن يريد بهم الخير والسعادة

[فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين] أى فأتنا بما تعدنا به من العذاب ، فلن نؤمن لك إن كنت من الصادقين في قولك

[قال قد وقع عليكم من ربكم رجز وغضب] أي قد حل بكم عذاب وغضب من الله

[أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما نزل الله بها من سلطان] أى أتخاصمونني في أصنام لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضر ولا تنفع ؟ ما أنزل الله بعبادتها من حجة أو برهان ؟

[فانتظروا إنى معكم من المنتظرين] أى فانتظروا نزول العذاب ، إني من المنتظرين لما يحل بكم ، وهذا غاية الوعيد والتهديد

[فأنجيناه والذين معه برحمة منا] أى أنجينا هودا والذين معه من المؤمنين رحمة منا لهم

[وقطعنا دابر الذين كذبوا بايآتنا] أى استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم

[وما كانوا مؤمنين] أى كذبوا ولم يؤمنوا فاستحقوا العذاب ، قال ابو السعود : أى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك أبدا ، فأهلكهم الله بالريح العقيم .

البلاغة :

1 - [ألا له الخلق والأمر] الآية على قلة ألفاظها جمعت معاني كثيرة ، استوعبت جميع الأشياء على وجه الاستقصاء ، حتى قال ابن عمر : من بقي له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء فليطلبه ، وهذا الاسلوب البليغ ، الجامع المانع ، مداره على جمع الالفاظ القليلة ، للمعانى الكثيرة ، فقد جمع شئون الكون كله بهذه الآية .

2 - [سقناه لبلد ميت] وصف البلد بالموت (استعارة حسنة) استعار الموت لجدبه وعدم نباته ، بتصويره كالجسد الذي لا روح فيه ، من حيث عدم الانتفاع به .

3 - [كذلك نخرج الموتى] أى مثل إخراج النبات من الأرض ، نخرج الموتى من قبورهم فهو تشبيه (مرسل مجمل) ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه .

4 - [وقطعنا دابر] قطع الدابر (كناية لطيفة) عن استئصالهم جميعا بالهلاك .

تنبيه :

ذكر العلامة الألوسي عند قوله تعالى : [ادعوا ربكم تضرعا وخفية] عن الحسن البصري أنه قال : (لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، وذلك أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى يقول : [ادعوا ربكم تضرعا وخفية] وأنه سبحانه ذكر عبدا صالحا فقال : [إذ نادى ربه نداء خفيا] ثم قال الألوسي : وذكروا للدعاء آدابا كثيرة منها : أن يكون على طهارة ، وأن يستقبل القبلة ، وتخلية القلب من الشواغل ، وافتتاحه واختتامه بالصلاة على النبي ، ورفع اليدين نحو السماء ، وإشراك المؤمنين فيه ، وتحري ساعات الإجابة ، كثلث الليل الأخير ، ووقت إفطار الصائم ، ويوم الجمعة وغير ذلك)

قال الله تعالى : [وإلى ثمود أخاهم صالحا . . إلى . . فكيف آسى على قوم كافرين] . من آية (73) إلى نهاية آية (93) .

المناسبه :

لما ذكر تعالى في أول السورة قصة آدم ، وما أتصل بها من آثار قدرته ، وغرائب صنعته ، الدالة على توحيده وربوبيته ، وأقام الحجة الدامغة على صحة البعث بعد الموت ، أتبع ذلك بقصص الأنبياء ، وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جرى لهم مع أممهم ، فذكر (نوحا وهودا) ، ثم أعقبه هنا بذكر قصة (صالح وشعيب) ، وموقف المعاندين للرسل الكرام .

اللغه :

[ناقة] الناقة : الأنثى من الجمال ، وعقر الناقة ضرب قوائمها بالسيف

[عتوا] استكبروا عتا عتوا أى إستكبر ، والليل العاتي : الشديد الظلمة

[جاثمين] لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم ، كما يجثم الطائر

[الرجفة] الطامة التي يرجف لها الإنسان أى يتزعزع ويضطرب ، وأصل الرجف الاضطراب رجفت الأرض اضطربت

[الغابرين] الباقين في عذاب الله ، والغابر بمعنى الباقي ، وبجيء بمعنى الماضي والذاهب ، فهو من الأضداد كما في الصحاح

[يغنوا] يقيموا يقال غنى بالمكان إذا أقام به دهرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طويلا

[عفوا] كثروا ونموا من عفا النبات إذا كثر .

التفسير :

[وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أى وحدوا الله ولا تشركوا به

[قد جاءتكم آية من ربكم] أى جاءتكم معجزة ظاهرة جلية ، تدل على صحة نبوتي

[هذه ناقة الله لكم آية] هذا بيان للمعجزة أى هذه الناقة معجزتي إليكم ، وإضافتها إلى (الله) للتشريف والتعظيم لأنها خلقت بغير واسطة ، قال القرطبى : أخرج لهم الناقة حين سألوه من حجر صلد

[فذروها تأكل في أرض الله] أي اتركوها تأكل من رزق ربها

[ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم] أى لا تتعرضوا لها بشئ من السوء أصلا إكراما لها لأنها آية الله ، والعذاب الأليم : هو الهلاك الذي حل بهم حين عقروها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد] أى خلفاء في الأرض ، قال الشهاب : لم يقل (خلفاء عاد) إشارة إلي أن بينهما زمانا طويلا

[وبؤاكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا] أى أسكنكم في أرض (الحجر) تبنون في سهولها قصورا رفيعة

[وتنحتون الجبال بيوتا] أى تنحتون الجبال لسكناكم ، قال القرطبي : اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم ، فإن الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم

[فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدبن] أى اذكروا نعم الله عليكم واشكروه على ما تفضل به ، ولا تعيثوا في الأرض فسادا

[قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم] أى قال الأشراف المستكبرون من قوم صالح ، للمؤمنين المستضعفين من أتباعه

[أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه] أى أن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أرسله إلينا وإليكم ، وهذا قالوه على سبيل السخرية والاستهزاء

[قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون] أى أجابوهم بالأسلوب الحكيم بالإيمان برسالته ، قال أبو حيان : وعدولهم عن قولهم " هو مرسل " إلى قولهم [إنا بما أرسل به مؤمنون] في غاية الحسن ، إذ أمر رسالته معلوم ، واضح مسلم ، لا يدخله ريب ، لما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم ، فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته

[قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون] أى قال المستكبرون : نحن كافرون بما صدقتم به ، من نبوة صالح ، وإنما لم يقولوا (إنا بما أرسل به كافرون) إظهارا لمخالفتهم إياهم وردا لمقالتهم

[فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم] أى نحروا الناقة ، واستكبروا عن إمتثال أمر الله

[وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرسلين] أى جئنا يا صالح بما تعدنا من العذاب الذي تخوفنا به ، إن كنت حقا رسولا! ! قالوا ذلك استهزاء به وتعجيزا

[فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين] أخذتهم الزلزلة الشديدة ، فصاروا في منازلهم هامدين موتى ، لا حراك بهم ، قال في البحر : أخذتهم صيحة من السماء ، فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فقطعت قلوبهم وهلكوا

[فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين] أى أدبر عنهم صالح بعد هلاكهم ، ومشاهدة ما جرى عليهم ، وقال على سبيل التفجع والتحسر عليهم : لقد بلغتكم الرسالة وحذرتكم عذاب الله ، وبذلت وسعي في نصيحتكم ، ولكن شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم ، قال الزمخشري : [ولكن لا تحبون الناصحين] حكاية حال ماضية كما يقول الرجل لصاحبه وهو ميت - وكان قد نصحه حيا فلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسمع منه - : يا أخي كم نصحتك ؟ وكم قلت لك فلم تقبل مني ؟

[ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين] أى واذكر حين قال لوط لقومه على سبيل الإنكار والتوبيخ : أتفعلون تلك الفعلة الشنيعة المتناهية في القبح ، التى ما عملها أحد قبلكم في زمن من الازمان ؟ والفاحشة هي إتيان الذكور في الأدبار ، أنكر عليهم أولا فعلها ، ثم وبخهم بأنهم أول من فعلها . قال أبو حيان : ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ، ومركوزا في العقول فحشه أتى به معرفا بالألف واللام [الفاحشة] بخلاف الزنى ، فإنه قال فيه [إنه كان فاحشة] فأتى به منكرا ، والجملة المنفية [ما سبقكم] يدل على أنهم أول من فعل هذه الفعلة القبيحة ، وأنهم مبتكروها ، والمبالغة في [من أحد] حيث زيدت من لتأكيد نفي .الجنس ، وفي الإتيان بعموم [العالمين] بلفظ الجمع ، قال عمرو ابن دينار : ما رؤي ذكر على ذكر قبل قوم لوط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء] هذا بيان للفاحشة وهو توبيخ آخر ، اشنع مما سبق لتأكيده بإن وباللام ، أى إنكم أيها القوم لتأتون الرجال في أدبارهم شهوة منكم لذلك الفعل الخبيث المكروه ، دون ما أحله الله لكم من النساء ، ثم أضرب عن الإنكار عليهم ، إلى الإخبار عنهم بالإيغال في ارتكاب القبائح واتباع الشهوات ، فقال

[بل أنتم قوم مسرفون] أى لا عذر لكم ، بل أنتم عادتكم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء ، قال ابو السعود : وفي التقييد بقوله [شهوة] وصف لهم بالبهيمية الصرفة ، وتنبيه على أن العاقل ، ينبغى أن يكون الداعي له إلى المباشرة (طلب الولد) وبقاء النسل ، لا قضاء الشهوة

[وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون] أي ما كان جوابهم لنبيهم (لوط) إذ وبخهم على فعلهم القبيح ، إلا أن قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعضهم لبعض : أخرجوا لوطا وأتباعه المؤمنين من بلدتكم ، لأنهم أناس يتنزهون عما نفعله نحن ، من إتيان الرجال في الأدبار ، قال ابن عباس : [إنهم أناس يتطهرون] أى يتقذرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء ، قالوا ذلك سخرية واستهزاء بلوط وقومه ، وعابوهم بما يمدح به الإنسان

[فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين] أى أنجيناه من العذاب الذي حل بقومه وأهله المؤمنين ، إلا امرإته فلم تنج ، وكانت من الهالكين ، قال الطبري : أي أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به إلا امرأته ، فإنها كانت للوط خائنة ، وبالله كافرة ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط ، حين جاءهم العذاب

[وأمطرنا عليهم مطرا] أى أرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا ، هو حجارة من سجيل كما فى الآية الأخرى [وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل] وشبه العذاب بالمطر المدرار لكثرته حيث أرسل إرسال المطر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فانظر كيف كان عاقبة المجرمين] أى أنظر أيها السامع نظر تفكر وإعتبار ، إلى عاقبة هؤلاء المجرمين كيف كانت ؟ وإلى أى شئ صارت ؟ هل كانت إلا البوار والهلاك ؟ ا

[وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] أى وأرسلنا إلى أهل مدين (شعيبا) داعيا لهم إلى توحيد الله وعبادته ، قال ابن كثير : ومدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة ، وهي التي بقرب " معان " من طريق الحجاز وهم (أصحاب الأيكة) كما سنذكره ((مختصر ابن كثير ، أشار إلى قوله تعالى {كذب أصحاب الأيكة المرسلين ، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون } فأهل مدين هم أصحاب الأيكة أي الشجر الكثير الملتف))

[قد جاءتكم بينة من ربكم] أى معجزة تدل على صدقي

[فأوفوا الكيل والميزان] أي أتموا للناس حقوقهم ، بالكيل الذي تكيلون به ، والوزن الذي تزنون به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تبخسوا الناس أشياءهم] أى لا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تنقصوهم إياها

[ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها] أى لا تعملوا بالمعاصى بعد إصلاحها ببعثة الرسل

[ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين] أى ما أمرتكم به من اخلاص العبادة لله وايفاء الناس حقوقهم ، وترك الفساد في الأرض ، خير لكم إن كنتم مصدقين لي في قولي

[ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به] أى لا تجلسوا بكل طريق ، تخوفون من آمن بالقتل ، قال ابن عباس : كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب ، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه ويقولون : إنه كذاب فلا تذهب اليه ! ! على نحو ما كانت تفعله قريش مع رسول الله (ص)

[وتبغونها عوجا] أي تريدون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة ، كما يقول الضالون في هذا الزمان : " هذا الدين لا ينطبق مع العقل ، لأنه لا يتمشى مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهوائهم الفاجرة

[واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم] أى كنتم قلة مستضعفين ، فأصبحتم كثرة أعزة ، فأشكروا الله على نعمته

[وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين] هذا تهديد لهم ، أي انظروا ما حل بالأمم السابقة ، حين عصوا الرسل ؟ كيف إنتقم الله منهم ، واعتبروا بهم ؟

[وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين] أى إذا كان فريق صدقوني فيما جئتهم به ، وفريق لم يصدقوني ، فاصبروا حتى يفصل الله بحكمه العادل بيننا ، وهو خير الفاصلين ، قال ابو حيان : هذا الكلام من أحسن ما تلطف به في المحاورة ، إذ أبرز (المتحقق) في صورة (المشكوك) وهو من بارع التقسيم ، فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر ، ووعيدا للكافرين بالعقوبة والخسار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال الملأ الذين استكبروا من قومه] أى قال أشراف قومه المستكبرين عن الإيمان بالله ورسله

[لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا] أقسموا على أحد الأمرين : إما إخراج شعيب وأتباعه من الوطن ، وإما العودة إلى ملتهم إلى الكفر ، والمعنى : لنخرجنك يا شعيب ومن آمن بك من بين أظهرنا ، أو لترجعن أنت وهم إلى ديننا ، قال شعيب مجيبا لهم

[قال أولو كنا كارهين] أي أتجبروننا على الخروج من الوطن ، أو العودة في ملتكم ولو كنا كارهين لذلك ؟ والاستفهام للإنكار

[قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها] أى إن عدنا إلى دينكم ، بعد أن أنقذنا الله منه بالإيمان ، وبصرنا بالهدى ، نكون مختلقين على الله أعظم أنواع الكذب ! ! وهذا تيئيس للكفار من العودة إلى دينهم

[وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا ينبغى ولا يصح لنا أن نعود إلى ملتكم ودينكم ، إلا إذا شاء الله لنا الانتكاس والخذلان ، فيمضى فينا قضاؤه

[وسع ربنا كل شيء علما] أى وسع علمه كل الأشياء

[على الله توكلنا] أى اعتمادنا على الله وهو الكافي لمن توكل عليه

[ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين] أى أحكم بيننا وبينهم بحكمك الحق ، الذي لا جور فيه ولا ظلم وأنت خير الحاكمين

[وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون] أى قال الأشراف من قومه روساء الكفر والضلال : إذا اتبعتم شعيبا وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه ، إنكم إذا لخاسرون ، لترككم دين أبائكم وأجدادكم ، وما كانوا عليه من الهدى والرشاد ! ! جعل الأشقياء اتباع شعيب عليه السلام ضلالا ، وما هم عليه هو الهدى والاستقامة ، قال تعالى

[فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأخذتهم الزلزلة العظيمة ، فأصبحوا ميتين جاثمين على الركب

[الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها] أى أهلك الله المكذبين ، كأنهم لم يقيموا في ديارهم منعمين

[الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين] إخبار عنهم بالخسار بعد الهلاك والدمار

[فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم] قاله تأسفا لشدة حزنه عليهم ، لأنهم لم يتبعوا نصحه

[فكيف آسى على قوم كافرين] أى كيف أحزن على من لا يستحق أن يحزن عليه ا ؟ قال الطبري : أي كيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله ، وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم ؟

البلاغة :

1 - [هذه ناقة الله] الإضافة للتشريف والتكريم.

2 - [ولا تمسوها بسوء] التنكير للتقليل والتحقير أى لا تمسوها بأدنى سوء ولو كان قليلا يسيرا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - [أتأتون الفاحشة] الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتشنيع .

4 - [إنهم أناس يتطهرون] يسمى هذا النوع في علم البديع (المدح بما يوهم الذم) ولذلك قال ابن عباس : عابوهم بما يمدح به الإنسان .

5 - [على الله توكلنا] إظهار الاسم الجليل للمبالغة في التضرع ، وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر .

6 - بين لفظ [مؤمنون] و[كافرون] طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

فائدة :

الذي عقر الناقة هو " قدار بن سالف " وإنما نسب الفعل إليهم جميعا في قوله تعالى [فعقروا الناقة] لأنه كان برضاهم وأمرهم ، والراضي بالعمل القبيح ، شريك في الجريمة للفاعل ، كما أن الرضى بالكفر كفر .

قال الله تعالى : [وما أرسلنا في قرية من نبي . . . إلى . . فينظر كيف تعملون] من آية (94) إلى نهاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آية (129) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصص الأنبياء (نوح ، هود ، صالح ، لوط ، شعيب) وما حل بأقوامهم من العذاب والنكال ، حين لم تجد فيهم الموعظة ، ذكر تعالى هنا سنته الإلهية في الإنتقام ممن كذب أنبياءه ، وذلك بالتدرج معهم بالبأساء والضراء ، ثم بالنعمة والرخاء ، ثم بالبطش بهم إن لم يؤمنوا ، ثم عقب ذلك بقصة (موسى) مع الطاغية (فرعون) وفيها كثير من العبر والعظات .

اللغة :

[الباسأء] شدة الفقر

[الضراء] الضر والمرض

[عفوا] كثروا ونموا

[بغتة] فجأة

[ملأيه] أشراف قومه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أرجه] أخر

[صاغرين] أذلاء

[تلقف] تبتلع وتلتقم

[يأفكون] الإفك : الكذب

[أفرغ] الإفراغ : الصب أى أصببه علينا .

التفسير :

[وما أرسلنا في قرية من نبي] في الكلام حذف أى وما أرسلنا في قرية من نبي فكذبه أهلها

[إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء] أى عاقبناهم بالبؤس والفقر ، والمرض وسوء الحال

[لعلهم يضرعون] أى كي يتضرعوا ويخضعوا ويتوبوا من ذنوبهم

[ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة] أى ثم أبدلناهم بالفقر والمرض ، الغنى والصحة

[حتى عفوا] أى حتى كثروا ونموا

[وقالوا قد مس أباءنا الضراء والسراء] أى أبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا كفرانا لها : هذه عادة الدهر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد مس أباءنا من المصائب ومن الرخاء مثل ذلك ، وليست بعقوبة من الله ، فلنبق على ديننا ، والغرض أن الله ابتلاهم بالسيئة لينيبوا إليه فما فعلوا ، ثم بالحسنة ليشكروا فما فعلوا ، فلم يبق إلا أن يأخذهم الله بالعذاب ، ولهذا قال تعالى :

[فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون] أي أخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، من حيث لا يعلمون ولا يدرون

[ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا] أى ولو أن أهل تلك القرى ، الذين كذبوا وأهلكوا ، آمنوا بالله ورسله ، واتقوا الكفر والمعاصي

[لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض] أى لوسعنا عليهم الخير من كل جانب خيرات السماء ، وخير الأرض ، فبركات السماء المطر ، وبركات الأرض : الثمار ، قال السدي : فتحنا عليهم أبواب السماء والأرض بالرزق

[ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون] أى ولكن كذبوا الرسل ، فعاقبناهم بالهلاك بسوء كسبهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون] الهمزة للإنكار أى هل أمن هؤلاء المكذبون ، أن يأتيهم عذابنا ليلا وهم نائمون غافلون عنه ؟

[أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون] ؟ أم هل أمنوا ان يأتيهم عذابنا ونكالنا نهارا جهارا ، وهم يلهون ويشتغلون بما لا يفيد ولا ينفع كأنهم يلعبون ؟

[أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] أى أفأمنوا استدراجه إياهم بالنعمة ، حتى يهلكوا في غفلتهم ؟ فإنه لا يأمن ذلك إلا القوم الذين خسروا إنسانيتهم ، فصاروا أخس من البهائم ، قال الحسن البصري : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق خائف وجل ، والفاجر يعمل بالمعاصى وهو مطمئن آمن

[أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها] أي أولم يتضح ويتبين للذين يخلفون الأرض ، بعد هلاك أهلها الذين كانوا يعمرونها قبلهم ، والمراد بهم (كفار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكة) ومن حولهم

[أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم] أى لو أردنا لأهلكناهم بسبب ذنوبهم ، كما أهلكنا من قبلهم ، قال في البحر : أى قد علمتم ما حل بهم ، أفما تحذرون أن يحل بكم ما حل بهم ؟ فذلك ليس بممتنع علينا لو شئنا

[ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون] أى ونختم على قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تذكيرا ، ولا يسمعون سماع منتفع بهما

[تلك القرى نقص عليك من أنبائها] أى تلك القرى المذكورة نقص عليك يا أيها الرسول بعض أخبارها ، وما حصل لأهلها ، من الخسف والرجفة والرجم بالحجارة ، ليعتبر بذلك من يسمع ، وما حديث أهول وأفظع

[ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات] أى جاءتهم بالمعجزات والحجج القاطعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل] أى ما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل ، لتكذيبهم لهم قبل مجيئهم بالمعجزات ، وبعد مجيئهم بها ، فحالهم واحد في العتو والضلال ، قال الزمخشري : أى استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم ، إلى أن ماتوا مصرين على الكفر ، لا يرعوون مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات

[كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين] أى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم ، نطبع على قلوب الكافرين ، فلا تكاد تؤثر فيهم تلك النذر والآيات ! ! وفي هذا تحذير للسامعين

[وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين] أى ما وجدنا لأكثر الناس من وفاء للعهد ، بل وجدناهم خارجين عن الطاعة والإمتثال ، قال ابن كثير : والعهد الذي أخذه هو ما فطرهم عليه وأخذه عليهم في الاصلاب ، أنه ربهم ومليكهم فخالفوه وعبدوا مع الله غيره ، بلا دليل ولا حجة من عقل ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شرع

[ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا] أى ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذكرهم (موسى بن عمران) بالمعجزات الباهرات ، والحجج الساطعات

[إلى فرعون وملئه] أى أرسلناه إلى فرعون - ملك مصر - الطاغية الجبار ، وإلى أشراف قومه

[فظلموا بها] أى كفروا وجحدوا بها ظلما وعنادا

[فانظر كيف كان عاقبة المفسدين] أي انظر أيها السامع ما آل إليه أمر الفجرة المفسدين ، كيف أغرقناهم عن أخرهم ، بمرأى من موسى وقومه ؟ ! وهذا أبلغ في النكال لأعداء الله ، وأشفى لقلوب أولياء الله

[وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين] أى إنى رسول إليك من الخالق العظيم ، رب كل شيء ، وخالقه ومليكه

[حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق] أى جديربي وحق على أن لا أخبر عن الله إلا بما هو حق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصدق ، لما أعلم من جلاله وعظيم شأنه

[قد جئتكم بآية من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل]

أى جئتكم بحجة قاطعة من الله تشهد على صدقي ، فخل واترك سبيل بني إسرائيل ، حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هى وطن آبائهم ((قال المفسرون : كان سبب سكنى بني إسرائيل بمصر مع أن أباهم كان بالأرض المقدسة ، أن الأسباط - أولاد يعقوب - جاءوا مصر إلى أخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا في مصر ، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من هذا الأسر ، ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة وطن ابائهم)) قال ابو حيان : ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى بقوله [إني رسول من رب العالمين] لينبهه على الوصف الذي ادعاه وأنه فيه مبطل لا محق ، ولما كان قوله [حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق] أردفها بما يدل على صحتها وهو قوله [قد جئتكم ببينة من ربكم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولما قرر رسالته ، فرع عليها تبليغ الحكم وهو قوله

[فأرسل معي بني إسرائيل]

[قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين] أى قال فرعون لموسى : إن كنت جئت بآية من ربك كما تدعي ، فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك في دعواك ، قال ذلك على سبيل التعجيز لموسى

[فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين] أى فإذا بها حية ضخمة طويلة ، قال ابن عباس : تحولت إلى حية عظيمة ، فاغرة فاها ، مسرعة نحو فرعون و[مبين] أى ظاهر لا متخيل!

[ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين] أى أخرجها من جيبه ، فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا عجيبا ، يغلب نورها نور الشمس ، قال ابن عباس : كان ليده نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض

[قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم] أى قال الأشراف منهم - وهم أصحاب مشورته - إن هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم بالسحر ماهر فيه ، وقولهم [عليم] أى بالغ الغاية في علم السحر ، وخدعه وفنونه

[يريد أن يخرجكم من أرضكم] أى يخرجكم من أرض مصر بسحره

[فماذا تأمرون] أي بأي شيء تأمرون أن نفعل في أمره ؟ وبأي شيء تشيرون فيه ؟ قال القرطبي : قال فرعون : فماذا تأمرون ؟ وقيل : هو من قول الملأ أى قالوا لفرعون وحده [فماذا تأمرون] كما يخاطب الجبارون والرؤساء : ما ترون في كذا ،

[قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين] أى أخر أمرهما حتى ترى رأيك فيهما ، وأرسل في أنحاء البلاد من يجمع لك السحرة

[يأتوك بكل ساحر عليم] أى يأتوك بكل ساحر مثله ، ماهر في السحر ، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر

[وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغالبين] في الكلام محذوف يدل عليه السياق ، وهو : أنه بعث إلى السحرة ، وطلب أن يجمعوا له ، فلما جاءوا فرعون قالوا : إن لنا لأجرا عظيما ، إن نحن غلبنا موسى ؟ وهزمناه وأبطلنا سحره ؟

[قال نعم وإنكم لمن المقربين] أى قال فرعون : نعم لكم الأجر ، وأزيدكم على ذلك ، بأن أجعلكم من المقربين أى من أعز خاصتي وأهل مشورتي ، قال القرطبي : زادهم على ما طلبوا

[قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين] أى قال السحرة لموسى : اختر إما أن تلقي عصاك ، أو نلقى نحن عصينا ، قال الزمخشري : تخييرهم إياه أدب حسن ، كما يفعل أهل الصناعات ، إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يخوضوا في الجدال) هذا ما قاله الزمخشري ، والأظهر أنهم قالوا ذلك من باب (الاعتزاز بالنفس) وتوهم الغلبة ، وعدم الاكتراث بأمر موسى كما يقول المعتد بنفسه : أبدأ أو تبدأ ؟

[قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس] أى قال لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى : ألقوا ما انتم ملقون ، فلما ألقوا العصي والحبال ، سحروا أعين الناس ، أى خيلوا إليهم ما لا حقيقة له ، كما قال تعالى [يخيل إليهم من سحرهم انها تسعى]

[واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم] أى أفزعوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا ، حيث خيلوها حيات تسعى وجاءوا بسحر عظيم يهابه من رآه ، قال ابن اسحاق : صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه ، وفرعون في مجلسه ، مع أشراف مملكته ، فكان أول ما اختفوا بسحرهم ، بصر (موسى) وبصر (فرعون) ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يديه من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا [واوحينا إلى موسى أن الق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون] أى أوحينا إليه بأن الق عصاك فألقاها ، فإذا هي تبتلع بسرعة ما يزورونه من الكذب ، قال ابن عباس : [تلقف ما يأفكون] لا تمر بشيء من حبالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته

[فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون] أى ثبت وظهر الحق لمن شهده وحضره ، وبطل إفك السحر وكذبه ومخايله

[فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين] أى غلب فرعون وقومه في ذلك المجمع العظيم وصاروا ذليلين

[وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون] أى خروا ساجدين معلنين إيمانهم برب العالمين ، لأن الحق بهرهم ، قال قتادة : كانوا أول النهار كفارا سحرة ، وفي أخره شهداء بررة

[قال فرعون آمنتم به قبل أن أذن لكم] أى قال فرعون الجبار للسحرة آمنتم بموسى قبل أن تستأذنوني ؟ والمقصود من كلامه التوبيخ لهم والتهديد

[إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها] أى صنيعكم هذا حيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر ، قبل أن تخرجوا إلى الميعاد ، لتخرجوا منها القبط ، وتسكنوا بني إسرائيل ! ! قال هذا تمويها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الناس ، لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان
[فسوف تعلمون] أى فسوف تعلمون ما يحل بكم ، وهذا وعيد وتهديد ساقه بطريق الإجمال للتهويل ، ثم عقبه بالتفصيل فقال

[لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف] أى لأقطعن من كل واحد منكم يده ورجله من خلاف ، قال الطبري : ومعنى [من خلاف] هو أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين في القطع
[ثم لأصلبنكم أجمعين] أى ثم أصلبكم جميعا تنكيلا لكم ولأمثالكم ، والصلب التعليق على الخشب حتى . الموت
[قالوا إنا إلى ربنا منقلبون] أى إنا راجعون إلى الله بالموت لا محالة ، فلا نخاف مما تتوعدنا به ، ولا نبالي بالموت ، وحبذا الموت في سبيل الله ! ؟
[وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا] أي ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكره منا ولا تعيب علينا ، إلا إيماننا بالله وآياته ! !
كقوله سبحانه [وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد] قال الزمخشري : أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها ، وهو الإيمان
[ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين] أى افض يا رب علينا صبرا يغمرنا ، عند تعذيب فرعون لنا ، وتوفنا على ملة الإسلام غير مفتونين
[وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك] أى قال الأشراف لفرعون : أتترك موسى وجماعته ليفسدوا في الأرض ، بالخروج عن دينك وترك عبادة آلهتك ! ! وفي هذا إغراء لفرعون بموسى وقومه ، وتحريض له على قتلهم وتعذيبهم
[قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون] أى قال فرعون مجيبا لهم : سنقتل أبناءهم الذكور ، ونستبقي نساءهم للاستخدام ، كما كنا نفعل بهم ذلك ، وإنا عالون فوقهم بالقهر والسلطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا] أى قال موسى لقومه تسلية لهم ، حين تضجروا مما سمعوا : استعينوا بالله على فرعون وقومه ، فيما ينالكم من أذاهم ، واصبروا على حكم الله

[إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده] أى الأرض كلها لله يعطيها من أراد من عباده ، أطمعهم في أن يورثهم الله أرض مصر

[والعاقبة للمتقين] أى النتيجة المحمودة لمن اتقى الله

[قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا] أى أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة ، ومن بعد ما جئتنا بها! ! يعنون أن المحنة لم تفارقهم ، فهم في العذاب والبلاء ، قبل بعثة موسى وبعد بعثته

[قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون] أى لعل ربكم أن يهلك فرعون وقومه ، ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم ، وينظر كيف تعملون من الإصلاح أو الإفساد ، والغرض تحريضهم على طاعة الله ! ! وقد حقق الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجاء موسى ، فأغرق فرعون وقومه ، وملك بنى إسرائيل أرض مصر ، قال في البحر : سلك موسى طريق الأدب مع الله ، وساق الكلام مساق الرجاء.

البلاغة :

1 - [بدلنا مكان السيئة الحسنة] بين لفظ (الحسنة) و(السيئة) طباق ، وكذلك بين لفظ [الضراء والسراء] .

2 - [لفتحنا عليهم بركات من السماء] شبه تيسير البركات عليهم بفتح الأبواب في سهولة التناول فهو من (باب الاستعارة) أى وسعنا عليهم الخير من جميع الأطراف .

3 - [أفأمن أهل القرى] تكررت الجملة والغرض منها الإنذار ، ويسمى هذا في علم البلاغة الإطناب ومثلها [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله] قال ابو السعود : تكرير للنكير لزيادة التقرير ، ومكر الله (استعارة) لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [وإنكم لمن المقربين] أكد الجملة بإن واللام لإزالة الشك من نفوس السحرة ، ويسمى هذا النوع من أضرب الخبر إنكاريا .

5 - [فوقع الحق] فيه استعارة ، استعار الوقع للثبوت والحصول ، والله أعلم.

تنبيه :

لما عجز فرعون عن دفع الحجة بالبرهان ، عدل إلى البطش والفتك بالسنان ، وهكذا حال كل ضال مبتدع ، إذا أعيته الحجة مال إلى التهديد والوعيد .

قال الله تعالى : [ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات . . . إلى . . لنكونن من الخاسرين] من آية (130) إلى نهاي آية (149) .

المناسبة :

لما كانت قصة الكليم مع الطاغية فرعون ، مملوءة بالعبر والعظات ، لذلك استطردت الآبات في الحديث عنهم ، فتحدثت عما حل بقوم فرعون من البلايا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنكبات ، وما ابتلاهم الله به من القحط والجدب ، والطوفان والجراد ، وغير ذلك من المصائب ، نتيجة إصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله ، ثم ذكرت أنواع النعم ، التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ومن أعظمها إهلاك عدوهم ، وقطعهم البحر مع السلامة والأمان .

اللغة :

[السنين] جمع سنة وهي الجدب والقحط

[يطيروا] يتشاءموا والأصل يتطيروا مأخوذ من الطيرة وهي زجر الطير ثم استعمل في التشاوم

[الطوفان] السيل المتلف المدمر

[القمل] السوس وهي حشرات صغيرة تكون في الحنطة وغيرها تفسد الحبوب

[الرجز] العذاب ، والرجس بالسين : النجس ، وقد يستعمل بمعنى العذاب

[اليم] البحر

[يعكفون] عكف على الشيء أقام عليه ولزمه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[متبر] مهلك والتبار : الهلاك

[صعقا] مغشيا عليها يقال : صعق الرجل إذا أغمى عليه .

التفسير :

[ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين] اللام موطئة لقسم محذوف أى : والله لقد ابتلينا واختبرنا فرعون وأتباعه ، بالجدب والقحط

[ونقص من الثمرات] أى وابتليناهم بإذهاب الثمار من كثرة الآفات ، فكانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة ،

[لعلهم يذكرون] أى لعلهم يتعظون وترق قلوبهم ، فإن الشدة تجلب الإنابة والخشية ، ورقة القلب . . ثم بين تعالى أنهم مع تلك المحن والشدائد ، لم يزدادوا إلا تمردا وكفرا ، فقال سبحانه

[فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه] أى إذا جاءهم الخصب والرخاء ، قالوا هذه لنا وبسعدنا ونحن مستحقون لذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه] أي إذا جاءهم الجدب والشدة ، تشاءموا بموسى ومن معه من المؤمنين ، أى قالوا : هذا بشؤمهم ، قال تعالى ردا عليهم

[ألا إنما طائرهم عند الله] أى إن ما يصيبهم من خير أو شر بتقدير الله ، وليس بشؤم موسى ، قال ابن عباس : الأمر من قبل الله ، ليس شؤمهم إلا من قبله وحكمه)

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أي لا يعلمون أن ما لحقهم من القحط والشدائد والبلايا ، من عند الله بسبب معاصيهم ، لا من عند موسى

[وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين] أى قال قوم فرعون لموسى : أى شيء تأتينا به يا موسى من المعجزات ، لتصرفنا عما نحن عليه فلن نؤمن لك ! ؟ قال الزمخشري : فإن قلت : كيف سموها آية ، ثم قالوا [لتسحرنا بها] ؟ قلت : ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية ، وإنما قصدوا بذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاستهزاء والتلهي قال تعالى

[فأرسلنا عليهم الطوفان] أى أرسلنا عليهم المطر الشديد ، حتى كادوا يهلكون ، قال ابن عباس : الطوفان كثرة الأمطار المغرقة ، المتلفة للزروع والثمار

[والجراد] أي وأرسلنا عليهم كذلك الجراد ، فأكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

[والقمل] وهو السوس حتى نخر حبوبهم ، وتتبع ما تركه الجراد ، وقيل : هو القمل المشهور كان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه

[والضفادع] جمع ضفدع حتى ملأت بيوتهم وطعامهم ، وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه

[والدم] أى صارت مياههم دما ، فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما

[آيات مفصلات] أى علامات فيها عبر وعظات ، ومع ذلك استكبروا عن الإيمان

[فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين] اي استكبروا عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان بها لغلوهم في الإجرام
[ولما وقع عليهم الرجز] أى وحين نزل بهم العذاب المذكور

[قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك] أى ادع لنا ربك ليكشف عنا البلاء ، بحق ما أكرمك به من النبوة! ! قال الزمخشري : أى اسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا ، بحق ما عندك من عهد الله وكرامته لك بالنبوة ،
[لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل] اللام لام القسم ، أى والله لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه يا موسى ، لنصدقن بما جئت به ولنطلقن سراح بني إسرائيل ، وقد كانوا يستخدمونهم في أرذل الأعمال
[فلما كشفنا عنهم العذاب إلى اجل هم بالغوه] أي فلما كشفنا بدعاء موسى عنهم العذاب ، إلى وقت من الزمان هم واصلون اليه ولابد ، قال ابن عباس : هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقت الغرق

[إذا هم ينكثون] أى إذا هم ينقضون عهودهم ، ويصرون على الكفر

[فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم] أى فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر

[بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين] أي بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عنها ، وعدم مبالاتهم بها

[وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها] أى وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يستذلون بالخدمة أرض الشام ، وملكناهم جميع جهاتها ونواحيها : مشارقها ومغاربها

[التي باركنا فيها] بالخيرات وكثرة الثمرات

[وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل] أى تم وعد الله الصادق بالتمكين لبنى إسرائيل في الأرض ، ونصره إياهم على عدوهم ، قال الطبري : وكلمته الحسنى هي قوله جل ثناؤه [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة . . فى الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بما صبروا] أى بسبب صبرهم على الأذى

[ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون] أى خزينا ودمرنا القصور والعمارات ، التي كان يشيدها فرعون وجماعته [وما كانوا يعرشون] من الجنات والمزارع . . وإلى هنا تنتهي قصة فرعون وقومه ، ويبتدىء الحديث عن بني إسرائيل وما أغدق الله عليهم من النعم الجسام ، وأراهم من الآيات العظام ، تسلية لرسوله عليه الصلاة والسلام مما رأه من اليهود ، قال تعالى

[وجاوزنا ببني إسرائيل البحر] أي عبرنا ببني إسرائيل البحر وهو (بحر القلزم) عند خليج السويس الآن

[فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم] أى مروا على قوم يلازمون العكوف على عبادة أصنام لهم

[قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة] أى اجعل لنا صنما نعبده كما لهم أصنام يعبدونها ، وهذا منهم منتهى السفه والجهل ، ولذلك نسبهم نبيهم إلى الجهالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال ابن عطية : الظاهر أنهم استحسنوا ما رأوا ، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى ، وفي جملة ما يتقرب به إلى الله ، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة ونكفر بربك

[قال إنكم قوم تجهلون] أى إنكم قوم تجهلون عظمة الله ، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والنظير ، قال الزمخشري : تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى ، والمعجزة الكبرى ، فوصفهم بالجهل المطلق وأكده ، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع

[ان هؤلاء متبر ما هم فيه] أى هالك مدمر ما هم فيه من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام

[وباطل ما كانوا يعملون] أي باطل عملهم مضمحل بالكلية ، لأنهم عبدوا ما لا يستحق العبادة

[قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين] أى أأطلب لكم معبودا غير الله المستحق للعبادة ؟ والحال أن الله فضلكم على غيركم بالنعم الجليلة! ! قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطبري : فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم
[وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب] أى واذكروا يا بني إسرائيل النعم التي سلفت مني إليكم ، حين أنجيتكم من قوم فرعون ، يذيقونكم أفظع أنواع العذاب وأسوأه ، ثم فسره بقوله
[يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم] أي يذبحون الذكور ويستبقون الإناث لامتهانهن في الخدمة

[وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم] أى وفي هذا العذاب اختبار وابتلاء من الله لكم عظيم ، فنجاكم منه أفلا تشكرونه ؟
[وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة] أى وعدنا موسى لمناجاتنا بعد مضى ثلاثين ليلة ، وأكملناها بعشر ليالي فتمت المناجاة بعد أربعين ليلة ، قال الزمخشري : روي أن موسى وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم ، أنه سيأتيهم بكتاب من عند الله ، فيه بيان ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يأتون وما يذرون ، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب ، فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة ، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فمه (تغير رائحته) فتسوك فأوحى الله تعالى إليه : أما علمت أن خلوف فم الصائم ، أطيب عندي من ريح المسك ! فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة

[وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي] أى كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع

[وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين] أى وأصلح أمرهم ، ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم لله

[ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه] اي ولما جاء موسى للوقت الذي وعدناه فيه ، وناجاه ربه وكلمه من غير واسطة

[قال ربى أرني أنظر إليك] أى أرني ذاتك المقدسة أنظر اليها ، قال القرطبي : اشتاق إلى روية ربه ، لما اسمعه كلامه فسأل النظر إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني] أى أجابه ربه لن تستطيع رؤيتي في الدنيا ، فإن هذه البنية البشرية لا طاقة لها بذلك ، ولكن سإتجلى لما هو أقوى منك وهو الجبل ، فإن ثبت الجبل مكانه ولم يتزلزل فسوف تراني أى فبإمكانك ان تراني ، وإلا فلا طاقة لك

[فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا] أى فلما ظهر من نور الله قدر نصف أنملة الخنصر ، اندك الجبل وتفتت ، وسقط موسى مغشيا عليه من هول الموقف ، قال ابن عباس : ما تجلى منه سبحانه للجبل إلا قدر الخنصر ، فصار ترابا وخر موسى مغشيا عليه وفي الحديث : فساخ الجبل

[فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين] أى فلما صحا من غشيته قال : تنزيها لك يا رب ، وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ، تبت إليك من سؤالي رؤيتك في الدنيا ، وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك

[قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبكلامي] أى اخترتك على أهل زمانك بالرسالة الإلهية ، وبتكليمي إياك بدون واسطة

[فخذ ما آتيتك] أى خذ ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة

[وكن من الشاكرين] واشكر ربك على ما أعطاك من جلائل النعم ، قال ابو السعود : والآية مسوقة لتسليته عليه السلام من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل : إن منعتك الرؤية ، فقد أعطيتك من النعم العظام ، ما لم أعط أحدا من العالمين ، فأغتنمها وثابرعلى شكرها

[وكتبنا له في الألواح من كل شيء] أى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم ، من المواعظ وتفصيل الأحكام ، مبينة للحلال والحرام ، كل ذلك في ألواح التوراة

[موعظة وتفصيلا لكل شيء] أى ليتعظوا بها ويزدجروا وتفصيلا لكل التكاليف الشرعية

[فخذها بقوة] أى خذ التوراة بجد واجتهاد شأن أولي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزم

[وأمر قومك يأخذوا بأحسنها] أى وأمر بني إسرائيل بالحث على اختيار الأفضل ، كالأخذ بالعزائم دون الرخص ، فالعفو أفضل من القصاص ، والصبر أفضل من الانتصار ، كما قال تعالى

[ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور] قال ابن عباس : أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه

[سأريكم دار الفاسقين] أي سترون منازل الفاسقين - فرعون وقومه - كيف أقفرت منهم الديار ، ودمروا أنفسهم ، لتعتبروا فلا تكونوا مثلهم ، فإن رؤيتها وهى خالية عن أهلها موجبة للاعتبار والانزجار

[سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق] أى سأمنع المتكبرين عن فهم آياتى ، فلا يتفكرون ولا يتدبرون بما فيها ، وأطمس على قلوبهم ، عقوبة لهم على تكبرهم ، قال الزمخشري : وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن آيات الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتكبرهم وكفرهم بها ، لئلا . يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم

[وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها] أى وإن يشاهدوا كل آية قرآنية ، من الآيات المنزلة عليهم ، أو يروا كل معجزة ربانية لا يصدقوا بها

[وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا] أى وإن يروا طريق الهدى والفلاح لا يسلكوه

[وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا] أى وإن يروا طريق الضلال والفساد سلكوه ، والآية كقول سبحانه

[وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى]

[ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا] أى ذلك الانحراف عن هدي الله وشرعه ، بسبب تكذيبهم بآيات الله

[وكانوا عنها غافلين] أى وغفلتهم عن الآيات التي بها سعادتهم ، حيث لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون

[والذين كذبوا بآياتنا] أى جحدوا بما أنزل الله

[ولقاء الآخرة] أى وكذبوا بلقاء الله في الآخرة أى لم يؤمنوا بالبعث بعد الموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حبطت أعمالهم] أى بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها في الدئيا ، من إحسان ، وصلة رحم ، وصدقة وأمثالها ، وذهب ثوابها لعدم الإيمان

[هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] أى هل يعاقبون إلا بما عملوا في الدنيا ؟

[واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار] قال الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل ، الذي اتخذه لهم السامر من الحلي ، فشكل لهم منه عجلا جسدا لا روح فيه ، وقد احتال بإدخال الريح فيه حتى صار يسمع له خوار أى صوت كصوت البقر ومعنى [من بعده] أى من بعد ذهاب موسى إلى الطور لمناجاة ربه

[ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا] الاستفهام للتقريع والتوبيخ أى كيف عبدوا العجل واتخذوه إلها ، مع أنه ليس فيه شيء من صفات الخالق الرازق ؟ فإنه لا يملك قدرة الكلام ، ولا قدرة هدايتهم الى سبيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعادة ، فكيف يتخذ إلها ؟

[اتخذوه وكانوا ظالمين] أى عبدوا العجل واتخذوه إلها ، فكانوا ظالمين لأنفسهم ، حيث وضعوا الأشياء في غير موضعها ، وتكرير لفظ [اتخذوا] لمزيد التشنيع عليهم

[ولما سقط في أيديهم] أى ندموا على جنايتهم ، واشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل

[ورأوا أنهم قد ضلوا] أى تبينوا ضلالهم تبينا جليا كأنهم أبصروه بعيونهم

[قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا] أى لئن لم يتداركنا الله برحمته ومغفرته

[لنكونن من الخاسرين] أى لنكونن من الهالكين ، فنخسر حياتنا وسعادتنا ، قال ابن كثير : وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجافى إلى الله عز وجل

البلاغة :

1 - [فإذا جاءتهم الحسنة] بين لفظ (الحسنة) و(السيئة) طباق كما أن بين لفظ طائرهم [يطيروا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جناس الاشتقاق وكلاهما من المحسنات البديعية .
2 - [ودمرنا ما كان يصنع] عدل عن الماضى إلى المضارع لاستحضار الصورة في ذهن المخاطب ، ومثله [وما كانوا يعرشون] والأصل ما صنعوا وما عرشوا .
3 - [إنكم قوم تجهلون] أتى بلفظ تجهلون ولم يقل : جهلتم اشعارا بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة ، لا ينتقلون عنه في ماضبى ولا مستقبل .
4 - [سأريكم دار الفاسقين] فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، للمبالغة في الحض على نهج سبيل الصالحين ، والأصل ان يقال : سأريهم .
5 - [ولما سقط في ايديهم] كناية عن شدة الندم لأن النادم يعض على يده غما .
6 - بين لفظ [مشارق] و[مغارب] طباق وهو من المحسنات البديعية .
تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مذهب أهل السنة قاطبة على ان المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وانكرت المعتزلة ذلك ، واستدلوا بالآية الكريمة [لن تراني] وليس لهم في هذه الآية متمسك ، بل هي دليل لأهل السنة والجماعة على (امكان الرؤية) لأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل ، ولو كانت (الرؤية) مستحيلة لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال تعالى لنوح [فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين] فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا ، لضعف البنية البشرية عن ذلك ، قال مجاهد : ان الله قال لموسى : لن تراني ، لأنك لا تطيق ذلك ، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر واطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت ، وان لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت فعلى هذا جعل الله الجبل مثالا لموسى ، ولم يجعل الرؤية مستحيلة على الإطلاق ، وقد صرح بوقوع الرؤية في الآخرة كتاب الله [وجوه يومئذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناضرة إلى ربها ناظرة] فلا ينكرها إلا مبتدع

فائدة :

لما سمع الكليم موسى كلام الله اشتاق إلى رويته ، لأن التلذذ بسماع كلام الحبيب ، يزيد في الشوق اليه والحنين ، وقد أحسن من قال : وأفرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

لطيفة :

السعادة والشقاوة بيد الله ، فموسى بن عمران رباه فرعون فكان مؤمنا ، وموسى السامري رباه جبريل وكان كافرا ، فلم تنفع تربية جبريل الأمين لموسى السامري ، ولم تضر تربية اللعين لموسى الكليم عليه السلام ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى : إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل فقذ خاب من ربى وخاب المؤمل فموسى الذي رباه جبريل كافر وموسى الذي رباه فرزعون مرسل

قال الله تعالى : [ولما رجع موسى إلى قومه . . إلى . . إنا لا نضيع أجر المصلحين] من آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(150) إلى نهاية آية (170) .

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، وما أغدق الله عليهم من النعم ، وما قابلوها به من الجحود والعصيان ، وقد ذكرت الآيات قصة [أصحاب القرية] واعتداءهم يوم السبت بالاصطياد فيه ، وكيف أن الله تعالى مسخهم قردة! ؟ وفي ذلك عبرة للمعتبرين .

اللغة :

[أسفا] الاسف : شدة الحزن أو الغضب يقال هو أسف واسيف

[ابن أم] أصلها ابن أمي وهي استعطاف ولين

[تشمت] الشماتة : السرور بما يصيب الإنسان من مكروه وفي الحديث فى وأعوذ بك من شماتة الاعداء "

[الرجفة] الزلزلة الشديدة

[هدنا] تبنا يقال : هاد يهود إذا تاب ورجع فهو هائد ، قال الشاعر : إنى امرؤ مما جنيت هائد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إصرهم] التكاليف الشاقة ، وأصل الإصر : الثقل الذي يأصر صاحبه عن الحراك

[الأغلال] جمع غل وهو ما يوضع في العنق أو اليد من الحديد

[عزروه] وقروه ونصروه

[أسباطا] جمع سبط وهو ولد الولد أو ولد البنت ، ثم أطلق على كل قبيلة من بنى إسرائيل

[تأذن] آذن من الإيذان بمعنى الإعلام

[يسومهم] يذيقهم

[خلف] بسكون اللام من يخلف غيره بالسوء والشر ، وأما بفتح اللام فهو من يخلف غيره بالخير ، ومنه قولهم : " جعلك الله خير خلف لخير سلف " .

التفسير :

[ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا] أى ولما رجع موسى من المناجاة [غضبان] مما فعلوه من عبادة العجل [أسفا] أى شديد الحزن

[قال بئسما خلفتموني من بعدي] أى بئس ما فعلتموه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد غيبتي ، حيث عبدتم العجل
[أعجلتم أمر ربكم] أى أعجلتم عن أمر ربكم ، وهو انتظار نبيكم موسى حتى يرجع من الطور ؟ والاستفهام للإنكار

[وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه] أي طرح الألواح لما عراه من شدة الغضب ، وفرط الضجر ، غضبا لله من عبادة العجل ، وأخذ بشعر رأس أخيه هارون يجره إليه ، ظنا منه أنه قصر في كفهم عن ذلك ، وكان عليه السلام شديد الغضب لله سبحانه ، قال ابن عباس : لما عاين قومه وقد عكفوا على العجل ، ألقى الألواح فكسرها غضبا لله ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه)
[قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني] أى قال هارون يا ابن أمي - وهو نداء استعطاف وترفق - ((قال ابن كثير : وانما قال " ابن أم " ليكون أرق وأنجع عنده والا فهو شقيقه لأبيه وأمه)) إن القوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استذلوني وقهروني ، وقاربوا قتلي حين نهيتهم عن ذلك ، فأنا لم أقصر في نصحهم

[فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين] أى لا تسيء إلي حتى يسر الأعداء بي ، ويشمتوا بإهانتك إلى ، ولا تجعلني في عداد الظالمين ، بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير ، قال مجاهد :

[الظالمين] أى الذين عبدوا العجل

[قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين] لما تحقق لموسى براءة ساحة هارون عليه السلام من التقصير ، طلب عند ذلك المغفرة له ولأخيه ، فقال : [اغفر لي ولأخي] الآية ، قال الزمخشري : استغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ، ولأخيه مما عسى أن يكون فرط منه في حين الخلافة ، وطلب ألا يتفرقا عن رحمته ، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة

[إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا] أي إن الذين عبدوا العجل - ذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقر - واتخذوه إلها سيصيبهم غضب شديد من الرحمن ، وينالهم في الدنيا الذل والهوان ، قال ابن كثير : أما الغضب الذي نال بني إسرائيل ، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة ، حتى قتل بعضهم بعضا ، وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلا وصغارا في الحياة الدنيا [وكذلك نجزي المفترين] أى كما جازينا هؤلاء بإحلال الغضب والإذلال ، كذلك نجزي كل من افترى الكذب على الله ، قال سفيان بن عيينة : كل صاحب بدعة ذليل

[والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا] أى عملوا القبائح والمعاصي ، ثم تابوا ورجعوا إلى الله من بعد اقترافها ، وداموا على إيمانهم وأخلصوا فيه [إن ربك من بعدها لغفوز رحيم] أى إن ربك يا محمد من بعد تلك التوبة ، لغفور لذنوبهم رحيم بهم ، قال الألوسي : وفي الآية إعلام بأن الذنوب وإن جلت وعظمت ، فإن عفو الله بعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما ألطف قول أبي نواس غفر الله تعالى له : يا رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لايرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم ؟

[ولما سكت عن موسى الغضب] أى سكن غضب موسى على أخيه وقومه

[أخذ الألواح] أي ألواح التوراة التى كان ألغاها

[وفي نسختها هدى ورحمة] أى وفيما نسخ فيها وكتب ، هداية للحق ورحمة للخلق بإرشادهم إلى ما فيه سعادة الدارين

[للذين هم لربهم يرهبون] أى هذه الرحمة للذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على معاصيه

[واختار موسى قومه سبعن رجلا لميقاتنا] أى اختار موسى من قومه سبعين رجلا ، ممن لم يعبدوا العجل ، للوقت الذي وعده ربه ، الإتيان فيه للإعتذار عن عبادة العجل

[فلما أخذتهم الرجفة] أى فلما رجف بهم الجبل وصعقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال ربى لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى] أى قال موسى على وجه التضرع والإستسلام لأمر الله : لو شئت يا ربى أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت ، فأنا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء

[أتهلكنا بما فعل السفهاء منا] ؟ أى أتهلكنا وسائر بني إسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء السبعون ؟ في قولهم : [أرنا الله جهرة] والاستفهام استفهام استعطاف وتذلل ، فكأنه يقول : لا تعذبنا يا الله بذنوب غيرنا ، قال الطبرى : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته فأرنا ربنا ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل ؟ إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى 0 أقول : إذا كان هذا قول الأخيار من بني إسرائيل ، فكيف حال الأشرار منهم ؟ نعوذ بالله من خبث اليهود

[إن هي إلا فتنتك] أى ما هذه الفتنة التي حدثت لهم إلا محنتك وابتلاؤك تمتحن بها عبادك

[تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] أى تضل بهذه المحنة من تشاء إضلاله وتهدي من تشاء هدايته

[أنت ولينا فأغفر لنا وأرحمنا] أى أنت يا رب متولي أمورنا وناصرنا وحافظنا ، فأغفر لنا ما قارفناه من المعاصى ، وأرحمنا برحمتك الواسعة الشاملة

[وأنت خير الغافرين] أى أنت خير من صفح وستر ، تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة

[وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة] هذا من جملة دعاء موسى عليه السلام ، أى حقق لنا وأمنحنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

[إنا هدنا إليك] أى تبنا ورجعنا إليك من جميع ذنوبنا

[قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء] أى قال تعالى : أما عذابي فأصيب به من أشاء من عبادي ، وأما رحمتي فقد عمت خلقي كلهم ، قال ابو السعود : وفي نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي ، إيذان بأن الرحمة مقتضى الذات ، أما العذاب فمقتضى معاصى العباد

[فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون] أي سأجعل هذه الرحمة خاصة في الآخرة ، بالذين يتقون الكفر والمعاصى ، ويعطون زكاة أموالهم ، ويصدقون بجميع الكتب والأنبياء

[الذين يتبعون الرسول النبي الأمى] أى هؤلاء الذين تنالهم الرحمة ، هم الذين يتبعون محمدا (ص) ، النبن العربي الأمي ، أى الذي لا يقرأ ولا يكتب ، قال البيضاوي : وإنما سقاه (رسولا) بالإضافة إلى الله تعالى ، و(نبيا) بالإضافة إلى العباد

[الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل] أى الذي يجدون نعته وصفته في التوراة والإنجيل ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن كثير : هذه صفة محمد (ص) في كتب الأنبياء ، بشروا أممهم ببعثته وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم

[يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر] أى لا يأمر إلا بكل شيء مستحسن ، ولا ينهى إلا عن كل شىء قبيح

[ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث] أى يحل لهم ما حرم الله عليهم من الأشياء الطيبة بشؤم ظلمهم ، ويحرم عليهم ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير

[ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم] أى يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة ، التى تشبه الأغلال ، كقتل النفس في التوبة ، وقطع موضع النجاسة من الثوب ، والقصاص من القاتل عمدا كان القتل أو خطأ ، وشبه ذلك

[فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه] أى فالذين صدقوا بمحمد وعظموه ووقروه ونصروا دينه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتبعوا النور الذي أنزل معه] أى واتبعوا قرآنه المنير وشرعه المجيد

[أولئك هم المفلحون] أى هم الفائزون بالسعادة السرمدية

[قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا] هذا بيان لعموم رسالته (ص) لجميع الخلق أى قل يا محمد للناس : إني رسول من عند الله إلى جميع أهل الأرض

[الذي له ملك السموات والأرض] أى المالك لجميع الكائنات

[لا إله هو يحيي ويميت] أى لا رب ولا معبود بحق سواه ، فهو الإله القادر على الإحياء والإفناء

[فآمنوا بالله ورسوله] أي صدقوا بآيات الله ، وصدقوا برسوله المبعوث إلى جميع خلقه

[النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته] أي آمنوا بالنبي الأمي صاحب المعجزات ، الذي لا يقرأ ولا يكتب ، المصدق بالكتب التي أنزلها الله عليه وعلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيره من الأنبياء
[واتبعوه لعلكم تهتدون] أى اسلكوا طريقه واقتفوا أثره ، رجاء اهتدائكم إلى المطلوب
[ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون] أى ومن بني إسرائيل جماعة مستقيمون على شريعة الله ، يهدون الناس بكلمة الحق لا يجورون ، قال الزمخشري : لما ذكر تعالى الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا ، حتى أقدموا على العظيمتين : عبادة العجل ، وطلب رؤية الله ، ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ، ويدلونهم ويرشدونهم على الاستقامة
[وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما] أي وفرقنا بني إسرائيل فجعلناهم قبائل شتى ، اثنتي عشرة قبيلة ، من اثنى عشر ولدا من أولاد يعقوب ، قال أبو حيان : أى فرقناهم وميزناهم أسباطا ليرجع أمر كل سبط أى - قبيلة - إلى رئيسه ، ليخف أمرهم على موسى ، ولئلا يتحاسدوا فيقع الهرج ، ولهذا فجر لهم اثنتي عشرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عينا لئلا يتنازعوا ، ويقتتلوا على الماء ، وجعل لكل سبب نقيبا ليرجعوا في أمورهم إليه

[وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه] أى حين استولى عليهم العطش في التيه

[أن اضرب بعصاك الحجر] أى أوحينا إليه أن يضرب الحجر بعصاه فضربه

[فانبجست منه اثنتا عشرة عينا] أى انفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينا من الماء بعدد الأسباط

[قد علم كل أناس مشربهم] أي قد عرف كل سبط وجماعة منهم عينهم الخاصة بهم ، قال الطبري : لا يدخل سبط على غيره في شربه

[وظللنا عليهم الغمام] أى جعلنا الغمام يكنهم من حر الشمس ويقيهم من أذاها ، وكان الظل يسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم

[وأنزلنا عليهم المن والسلوى] أى وأكرمناهم بطعام شهي هو [المن] وهي شيء حلو ينزل على الشجر يجمعونه ويأكلونه و[السلوى] ، وهو طائر لذيذ اللحم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسمى السماني ، كل ذلك من إفضال الله وإنعامه عليهم دون جهد منهم

[كلوا من طيبات ما رزقناكم] أى وقلنا لهم : كلوا من هذا الشيء الطيب اللذيذ الذي رزقناكم إياه

[وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] في الكلام محذوف تقديره : فكفروا بهذه النعم الجليلة ، وما ظلمونا بذلك ولكن ظلموا أنفسهم حيث عرضوها بالكفر لعذاب الله

[وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم] أي واذكر لهم حين قلنا لأسلافهم : اسكنوا بيت المقدس ، وكلوا من مطاعمها وثمارها من أى جهة ، ومن أي مكان شئتم منها

[وقولوا حطة] أى وقولوا حين دخولكم : يا ألله حط عنا ذنوبنا

[نغفر لكم خطيئاتكم] اي نمح عنكم جميع الذنوب التي سلفت منكم

[سنزيد المحسنين] أى وسنزيد من أحسن عمله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإمتثال أمر الله وطاعته ، نزيده فوق الغفران دخول الجنان

[فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم] أي غير الظالمون منهم أمر الله بقولهم كلاما لا يليق ، حيث قالوا بدل [حطة] حنطة في شعيرة ، وبدل أن يدخلوا ساجدين خشوعا لله ، دخلوا يزحفون على أستاههم " أدبارهم " سخرية واستهزاء بأوامر الله

[فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون] أى فأرسلنا عليهم عذابا من السماء ، بسبب ظلمهم وعدوانهم المستمر سابقا ولاحقا ، قال ابو السعود : والمراد بالعذاب " الطاعون " روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا

[واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر] أى واسأل يا أيها الرسول اليهود عن أخبار أسلافهم ، وعن أمر القرية التي كانت بقرب البحر وعلى شاطئه ، ماذا حل بهم ؟ لما عصوا أمر الله واصطادوا يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السبت ؟ ألم يمسخهم الله قردة وخنازير ؟ قال ابن كثير : وهذه القرية هي (أيلة) وهي على شاطىء بحر القلزم

[إذ يعدون في السبت] أى يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم يوم السبت

[إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا] أى حين كانت الحيتان (الأسماك) تأتيهم يوم السبت - وقد حرم عليهم الصيد فيه - كثيرة ظاهرة على وجه الماء لكثرتها

[ويوم لا يسبتون لا يأتيهم] أى وفي غير يوم السبت وهي سائر الايام لا تأتيهم بل تغيب عنهم وتختفي

[كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون] أى مثل ذلك البلاء العجيب ، نختبرهم ونمتحنهم بإظهار السمك لهم على وجه الماء ، في اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائها عنهم في اليوم الحلال ، بسبب فسقهم وانتهاكهم حرمات الله ، قال القرطبي : روي أنها كانت في زمن داود عليه السلام ، وأن إبليس أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض ، فكانوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها ، فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء ، فيأخذونها يوم الأحد ويحتالون في صيدها

[وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا] قال ابن كثير : يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المحظور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت ، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة [لم تعظون قوها الله مهلكهم] أى لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ، فلا فائدة في نهيكم إياهم ؟

[قالوا معذرة إلى ربكم] أى قال الناهون : إنما نعظهم لنعذر عند الله ، بقيامنا بواجب النصح والتذكير

[ولعلهم يتقون] أي ينزعون عما هم فيه من الإجرام ، قال الطبري : أى لعلهم أن يتقوا الله فينيبوا إلى طاعته ، ويتوبوا من معصيتهم إياه وتعديهم الإعتداء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في السبت

[فلما نسوا ما ذكروا به] أى فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ، وأعرضوا عن قبول النصيحة إعراضا كليا

[أنجينا الذين ينهون عن السوء] أى نجينا الناهين عن الفساد في الأرض

[وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس] أى وأخذنا الظالمين العصاة بعذاب شديد ، وهم الذين ارتكبوا المنكر

[بما كانوا يفسقون] أى بسبب فسقهم وعصيانهم لأمر الله

[فلما عتوا عما نهوا عنه] أى فلما استعصوا وتكبروا عن ترك ما نهوا عنه

[قلنا لهم كونوا قردة خاسئين] أي مسخناهم إلى قردة وخنازير ؟ والمعنى : أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد ، فلما لم يرتدعوا وتمادوا في الطغيان مسخوا قردة وخنازير ، والحاصل أن أصحاب القرية انقسموا ثلاث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرق : فرقة عصت فحل بها العذاب ، وفرقة نهت ووعظت فنجاها الله من العذاب ، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تقارف المعصية وقد سكت عنها القرآن ، قال ابن عباسى : ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة أنجوا أم هلكوا ؟ قال عكرمة : فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا ، لأنهم كرهوا ما فعله أولئك ، فكساني حلة

[وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب] أي وأذكر يا أيها الرسول حين أعلم ربك اعلاما واضحا ، ليسلطن على اليهود إلى قيام الساعة من يذيقهم أسوأ العذاب ، بسبب عصيانهم ومخالفتهم أمر الله ، واحتيالهم على المحارم ، وقد سلط الله عليهم " محمدا " (ص) فطهر الأرض من رجسهم ، وأجلاهم عن الجزيرة العربية ، وسلط الله عليهم (بختنصر) فقتلهم وسباهم ، وسلط عليهم (النصارى) فأذلوهم وضربوا عليهم الجزية ، وسلط عليهم أخيرا (هتلر) فاستباح حماهم وكاد أن يبيدهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفنيهم بالقتل والتشريد في الأرض ، ولا يزال وعد الله بتسليط العذاب عليهم ساريا ، إلى أن يقتلهم المسلمون في المعركة الفاصلة ((وهو قوله (ص) في الحديث الذي رواه مسلم " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودي وراء الشجر أو الحجر ، فينطق الله الشجر والحجر ، فيقول : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله . .) وهذا الحديث من معجزات النبوة)) إن شاء الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

[إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم] أى سريع العقاب لمن عصاه ، وغفوز رحيم لمن أطاعه

[وقطعناهم في الأرض أمما] أى فرقناهم في البلاد طوائف وفرقا ، ففي كل بلدة فرقة منهم ، وليس لهم إقليم يملكونه ، حتى لا تكون لهم شوكة ، وما اجتمعوا في الأرض المقدسة في هذه الأيام ، إلا ليذبحوا بأيدي المؤمنين إن شاء الله ، كما وعد بذلك رسول الله ، حيث قال : " لا تقوم الساعة حتى يقابل المسلمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليهود 000 " الحديث . . ثم بين تعالى أنهم ليسوا جميعا فجارا ، بل فيهم الأخيار وفيهم الأشرار فقال سبحانه

[منهم الصالحون ومنهم دون ذلك] أى منهم من آمن وهم قلة قليلة ، ومنهم من انحط عن درجة الصلاح ، بالكفر والفسوق وهم الكثرة الغالبة

[وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون] أى اختبرناهم بالنعم والنقم ، والشدة والرخاء ، لعلهم يرجعون عن الكفر والمعاصي

[فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب] أى خلف من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح والطالح ، خلف آخر لا خير فيهم ، ورثوا الكتاب وهو التوراة عن آبائهم

[يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا] أي يأخذون ذلك الشيء الدنيء من حطام الدنيا من حلال وحرام ، ويقولون متبجحين : سيغفر الله لنا ما فعلناه ، وهذا اغترار منهم وكذب على الله

[وأن يأتهم عرض مثله يأخذوه] أى يرجون المغفرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم مصرون على الذنب ، كلما لاح لهم شيء من حطام الدنيا أخذوه ، لا يبالون من حلال كان أو من حرام

[ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق] الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، أى ألم يؤخذ عليهم العهد المؤكد في التوراة أن يقولوا الحق ولا يكذبوا على الله ؟ فكيف يزعمون نه سيغفر لهم مع إصرارهم على المعاصي وأكل الحرام ؟

[ودرسوا ما فيه] في هذا أعظم التوبيخ لهم أى والحال أنهم درسوا ما في الكتاب ، وعرفوا ما فيه المعرفة التامة ، من الوعيد على قول الباطل والإفتراء على الله

[والدار الآخرة خير للذين يتقون] أى والآخرة خير للذين يتقون الله بترك الحرام

[أفلا يعقلون] ؟ الاستفهام للإنكار أى أفلا ينزجرون ويعقلون ؟ والمراد أنهم لو كانوا عقلاء لما آثروا الفانية على الباقية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة] أن يتمسكون في أمور دينهم بما أنزله الله ، ويحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها

[إنا لا نضيع أجر المصلحين] أى لا نضيع أجرهم بل نجزيهم على تمسكهم وصلاحهم ، أفضل وأكرم الجزاء .

البلاغة :

---

1 - [ولما سكت عن موسى الغضب] شبه الغضب بإنسان يرعد ويزبد ، ويزمجر بصوته آمرا بالانتقام ، ثم اختفى هذا الصوت وسكت ، ففي الكلام (استعارة لطيفة) ويا له من تصوير لطيف ، يستشعر جماله كل ذي طبع سليم وذوق صحيح ! !

2 - بين لفظ " تضل " و " تهدى " طباق وكذلك بين لفظ (يحى " و " يميت " وهو من المحسنات البديعية .

3 - [يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث] فيه من المحسنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البديعية ما يسمى بالمقابلة ، وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابلها على الترتيب .

4 - [ويضع عنهم إصرهم والأغلال] استعار الإصر والأغلال للأحكام والتكاليف الشاقة ، ففيه استعارة مكنية .

5 - [أفلا تعقلون] التفات من الغيبة إلى الخطاب ، زيادة في التوبيخ والتأنيب .

فائدة :

الخلف بفتح اللام من يخلف غيره بالخير ، والخلف بسكون اللام من يخلف غيره في الشر . كقوله تعالى : [فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة] وهذه الآية [فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب] .

قال الله تعالى : [وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة . . إلى . . ويذرهم في طغيانهم يعمهون] من آية (171) إلى نهاية آية (186) .

المناسبة :

لما حكى تعالى عن بني إسرائيل عصيانهم وتمردهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أوامر الله ، حكى هنا ما عاقبهم به من اقتلاع جبل الطور ورفعه فوقهم إن لم يعملوا بأحكام التوراة ، ثم ذكر تعالى مثلا لعلماء السوء ، وهو " بلعم بن باعورا " وضرب له مثلا بالكلب اللاهث ، وكفى به تصويرا لنفسية اليهود في تكالبهم على الدنيا وعبادتهم للمال ! !

اللغة :

[نتقنا] النتق : الجذب بقوة قال ابو عبيدة : أصل النتق قلع الشيء من موضعه والرمي به

[ظلة] الظلة : كل ما أظلك من سقف أو سحابة أو جانب حائط ، والجمع ظلل وظلال

[وظنوا] علموا أو أيقنوا

[انسلخ] الإنسلاخ : الخروج يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انسلخ منه وانسلخت الحية من جلدها أي خرجت منه

[أخلد] مال إلى الشيء وركن إليه وأصله اللزوم ، ومنه الخلود في الجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يلهث] قال الجوهري : لهث الكلب يلهث إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش

[ذرأنا] خلقنا

[يلحدون] الإلحاد : الميل عن القصد والاستقامة يقال : الحد في الدين ولحد ، فهو ملحد ، لإنحرافه عن الشريعة والدين .

التفسير :

[وإذ نتقنا الجبل فوقهم] أى اذكر حين اقتلعنا جبل الطور ورفعناه فوق رءوس بني إسرائيل

[كأنه ظلة] أى كأنه سقيفة أو ظلة غمام

[وظنوا أنه واقع بهم] أى أيقنوا أنه ساقط عليهم إن لم يمتثلوا الأمر ، قال المفسرون : روي أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لشدة تكاليفها ، فرفع جبريل الطور على رءوسهم ، وقيل لهم : إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم ، فلما نظروا إلى الجبل ، خر كل واحد منهم ساجدا خوفا من سقوطه

[خذوا ما آتيناكم بقوة] أى وقلنا لهم خذوا التوراة بجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعزيمة
[واذكروا ما فيه لعلكم تتقون] أى طبقوا أحكامه واعملوا به ، لتكونوا في زمرة المتقين ! !

[وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم] قال الطبري : أى واذكر يا محمد إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم ، فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك ((للمفسرين في هذه الاية قولان : أحدهما أن الله لما خلق ادم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا وشهدوا بذلك ، وقد روي هذا المعنى عن النبي (ص) من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة والثاني : أن هذا من باب التمثيل والتخييل والمعنى انه سبحانه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته ، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم ، فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وهذا الرأي اختاره الزمخشري وأبو حيان وأبو السعود ، والأول أصح وأرجح)) قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباس : مسح الله ظهر آدم فإستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .

[وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا] أى وقررهم على ربوبيته ووحدانيته فأقروا بذلك والتزموه

[أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين] أى لئلا تقولوا يوم الحساب إنا كنا عن هذا الميثاق والإقرار بالربوبية غافلين لم ننبه عليه

[أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم] أى ولكيلا تقولوا يوم القيامة أيضا : نحن ما أشركنا وإنما قلدنا آباءنا واتبعنا منهاجهم فنحن معذورون

[أفتهلكنا بما فعل المبطلون] أى أفتهلكنا بإشراك من أشرك من آبائنا المضلين ، بعد اتباعنا مناهجهم على جهل منا بالحق ؟

[وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون] أي وكما بينا الميثاق نبين الآيات ليتدبرها الناس ، وليرجعوا عما هم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه من الإصرار على الباطل وتقليد الأباء
[وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها] أى
وأتل يا محمد على اليهود خبر وقصة ذلك العالم ،
الذي علمناه علم بعض كتب الله ، فانسلخ من الآيات
كما تنسلخ الحية من جلدها ، بأن كفر بها وأعرض
عنها
[فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين] أى فلحقه الشيطان
واستحوذ عليه حتى جعله في زمرة الضالين الراسخين
في الغواية ، بعد أن كان من المهتدين ، قال ابن
عباس : هو " بلعم بن باعوراء " كان عنده اسم الله
الأعظم وقال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل
بعثه موسى إلى ملك " مدين " داعيا إلى الله فرشاه
الملك ، وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع
الملك على دينه ، ففعل وأضل الناس بذلك
[ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع
هواه] أى لو شئنا لرفعناه إلى منزل العلماء الأبرار ،
ولكنه مال إلى الدنيا وسكن اليها ، واثر لذاتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشهواتها على الآخرة ، واتبع ما تهواه نفسه فانحط أسفل سافلين

[فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث] أى فمثله في الخسة والدناءة كمثل الكلب ان طردته وزجرته فسعى لهث ، وإن تركته على حاله لهث ، وهو تمثيل بادي الروعة ظاهر البلاغة

[ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا] أى هذا المثل السيىء ، هو مثل لكل من كذب بآيات الله ، وفيه تعريض باليهود فقد أوتوا التوراة وعرفوا صفة النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا عن حكم التوراة

[فأقصص القصص لعلهم يتفكرون] أى أقصص على أمتك ما أوحينا إليك ، لعلهم يتدبرون فيها ويتعظون ! !

[ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا] أى بئس مثلا مثل القوم المكذبين بآيات الله

[وأنفسهم كانوا يظلمون] أى وما ظلموا بالتكذيب إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهم ، فإن وباله لا يتعداها
[من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون] أى من هداه الله فهو السعيد الموفق ، ومن أضله فهو الخائب الخاسر لا محالة ، والغرض من الآية بيان أن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه

[ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس] أى خلقنا لجهنم - ليكونوا حطبا لها - خلقا كثيرا كأننا من الجن والإنس ، والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة
[لهم قلوب لا يفقهون بها] أي لهم قلوب لا يفهمون بها الحق
[ولهم أعين لا يبصرون بها] أى لا يبصرون بها بصر اعتبار دلائل قدرة الله جل وعلا
[ولهم آذان لا يسمعون بها] أى لا يسمعون بها الآيات والمواعظ ، سماع تدبر واتعاظ ، وليس المراد نفي السمع والبصر بالكلية ، وإنما المراد نفيها عما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينفعها في الدين

[أولئك كالأنعام بل هم أضل] أى هم كالحيوانات في عدم الفقه والبصر والاستماع ، بل هم أسوأ حالا من الحيوانات ، فإنها تدرك منافعها ومضارها ، وهؤلاء لا يميزون بين المنافع والمضار ، ولهذا يقدمون على النار

[أولئك هم الغافلون] أى الغارقون في الغفلة

[ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها] أى لله الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها ، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها ، فسموه بتلك الأسماء

[وذروا الذين يلحدون في أسمائه] أى اتركوا الذين يميلون في أسمائه تعالى عن الحق ، كما فعل المشركون حيث اشتقوا لآلهتهم أسماء منها (كاللات) من الله ، و(العزى) من العزيز ، و(مناة) من المتان

[سيجزون ما كانوا يعملون] أى سينالون جزاء ما عملوا في الآخرة

[وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون] أي ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض الأمم التي خلقنا ، أمة مستمسكة بشرع الله قولا وعملا ، يدعون الناس إلى الحق وبه يعملون ويقضون ، قال ابن كثير : والمراد قي الآية هذه الأمة المحمدية لحديث (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ، بل هم في كل زمان وفي كل مكان ، فالإسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه ، وإن كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة فيهم ولا صولة لهم ، وفي الحديث بشارة عظيمة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام فى علو شرف ورفعة قدر ، هو وأهله إلى قيام الساعة

[والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] أى والذين كذبوا بالقرآن من أهل مكة وغيرهم ، سنأخذهم قليلا ، قليلا ، ونقربهم من الهلاك من حيث لا يشعرون ، قال البيضاوي : وذلك بأن تتواتر عليهم النعم ، فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم ، فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغى ، حتى تحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم كلمة العذاب

[وأملي لهم] أى وأمهلهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، كما في الحديث الشريف " إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

[إن كيدي متين] أى أخذي وعقابي قوي شديد ، وإنما سماه " كيدا " لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان

[أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة] أى أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله ، ليعلموا أنه ليس بمحمد (ص) جنون ، بل هو رسول الله حقا أرسله الله لهدايتهم ، وهذا نفى لما نسبه له المشركون من الجنون في قولهم [يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون]

[إن هو إلا نذير مبين] أى ليس محمد إلا رسول منذر ، أمره بين واضح ، لمن كان له لب أو قلب يعقل به ويعي

[أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض] أي أولم ينظروا نظر استدلال فى ملك الله الواسع ؟ الذي يدل على عظمة الله وكمال القدرة ، والاستفهام للإنكار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتوبيخ
[وما خلق الله من شيئ] أى وفي جميع مخلوقات الله ، الجليل فيها والدقيق فيستدلوا بذلك على كمال قدرة صانعها ، وعظم شأن مالكها ، ووحدة خالقها ومبدعها ؟
[وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم] أى وأن يتفكروا لعل أجلهم قريب ، ليسارعوا إلى النظر والتدبر ، فيما يخلصهم من عذاب الله قبل حلول الأجل
[فبأي حديث بعده يؤمنون] أى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ؟ إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في الظهور والبيان ؟

[من يضلل الله فلا هادي له] أى من كتب الله عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد
[ويذرهم في طغيانهم يعمهون] أى ويتركهم في كفرهم وتمردهم يترددون ويتحيرون .
البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - [وإذ أخذ ربك] فيه التفات من المتكلم إلى المخاطب والأصل وإذ أخذنا والنكتة فى ذلك تعظيم شأن الرسول بتوجيه الخطاب له .

2 - [فانسلخ منها] أى خرج منها بالكلية انسلاخ الجلد من الشاة .

3- [فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث] تشبيه تمثيلي أى حاله فى السوء ، كحال أخس الحيوانات وأسفلها ، وهي حالة الكلب في دوام لهثه ، في حالتي (التعب) و(الراحة) فالصورة منتزعة من متعدد ، ولهذا يسمى (التشبيه التمثيلى) .

4 - [أولئك كالأنعام] التشبيه هنا (مرسل مجمل) لذكر أداة التشبيه ، وحذت وجه الشبه .

فائدة :

روي عن ابن عباس في قوله تعالى : [ألست بربكم قالوا بلى] أنه قال : لو قالوا " نعم ، لكفروا ، ووجهه ان " نعم " تصديق للمخبر بنفي أو ايجاب ، فكأنهم أقروا أنه ليس ربهم ، بخلاف " بلى " فإنها حرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جواب ، تصديق للمخبر بالنفى وتفيد إبطاله ، فالمعنى : بلى أنت ربنا ، ولو قالوا نعم لصار المعنى : نعم لست ربنا ، فهذا وجه قول ابن عباس ، فتتبه له فإنه دقيق .

تنبيه :

في الحديث الشريف أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " رواه الترمذي ، قال العلماء : معناه من حفظها وتفكر في مدلولها دخل الجنة ، وليس المراد حصر أسمائه تعالى في هذه التسعة والتسعين بدليل ما جاء في الحديث الآخر (أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) وقد ذكر ابن العربي عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم ، والله أعلم .

قال الله تعالى : [يسئلونك عن الساعة أيان مرساها . . . إلى . . ويسبحونه وله يسجدون] من آية (187) إلى آية (206) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما ذكر تعالى موقف المستهزئين من دعوة الرسول (ص) ، ذكر هنا طرفا من عنادهم واستهزائهم ، بسؤالهم الرسول (ص) عن وقت (قيام الساعة) ، ثم ذكر الحجج والبراهين على بطلان عقيدة المشركين ، في عبادة الأوثان والأصنام ، وختم السورة الكريمة ببيان عظمة شأن القرآن ، ووجوب الاستماع والإنصات له عند تلاوته .

اللغة :

[مرساها] استقرارها وحصولها ، من أرساه إذا أبيته وأقره ومنه رسمت السفينة إذا ثبتت ووقفت

[يجليها] يظهرها ، والتجلية : الكشف والإظهار

[حفى] الحفى : المستقصي للشيء المعتنى بأمره ، قال الأعشى : فإن تسألنى عنى فيارب سائل حفى على الأعشى به حيث أصعدا والإحفاء الاستقصاء ، ومنه إحفاء الشوارب ، وحفي بالشيء : إذا بحث للتعرف عن حاله

[العرف] المعروف وهو كل خصلة حميدة ترتضيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقول وتطمئن إليها النفوس

[الآصال] جمع أصيل قال الجوهري : والأصيل

الوقت من بعد العصر إلى المغرب0

سبب النزول :

روي أن المشركين قالوا للنبي (ص) : إن كنت نبيا فأخبرنا عن الساعة متى تقوم ؟ فأنزل الله [يسألونك عن الساعة أيان مرساها] .

التفسير :

[يسألونك عن الساعة] أى يسألونك يا محمد عن القيامة

[أيان مرساها] أى متى وقوعها وحدوثها ؟ وسميت القيامة (ساعة) لسرعة ما فيها من الحساب

[قل إنما علمها عند ربي] أى قل لهم يا محمد : لا يعلم الوقت الذي يحصل قيام القيامة فيه ، إلا الله سبحانه ، ثم أكد ذلك بقوله

[لا يجليها لوقتها إلا هو] أى لا يكشف أمرها ولا يظهرها للناس إلا الرب سبحانه بالذات ، فهو العالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بوقتها

[ثقلت في السموات والأرض] أى عظمت على أهل السموات والأرض حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها

[يسألونك كأنك حفى عنها] أى يسألونك يا محمد عن وقتها ، كأنك كثير السؤال عنها شديد الطلب لمعرفتها

[قل إنما علمها عند الله] أى لا يعلم وقتها إلا الله لأنها من الأمور الغيبية التي استأثر بها علام الغيوب

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أى لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت ! ! قال الإمام الفخر : والحكمة في اخفاء الساعة عن العباد ، أنهم إذا لم يعلموا متى تكون ، كانوا على حذر منها ، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة ، وأزجر عن المعصية

[قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله] أي لا أملك أن اجلب إلى نفسي خيرا ، ولا أدفع عنها شرا إلا بمشيئته تعالى ، فكيف أملك علم الساعة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولو كنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير] أى لو كنت أعرف أمور الغيب ، لحصلت كثيرا من منافع الدنيا وخيراتها ، ودفعت عني آفاتها ومضراتها

[وما مسني السوء] أى ولو كنت أعلم الغيب لاحترست من السوء ، ولكن لا أعلمه ، فلهذا يصيبني ما قدر لي من الخير والشر

[إن أنا إلا نذير وبشير] أى ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة

[لقوم يؤمنون] أى لقوم يصدقون بما جئتهم به من عند الله

[هو الذي خلقكم من نفس واحدة] أي هو سبحانه ذلك العظيم الشأن ، الذي خلقكم جميعا من [نفس واحدة] هي آدم عليه السلام

[وجعل منها زوجها] أى وخلق منها حواء

[ليسكن إليها] أى ليطمئن إليها ويستأنس بها

[فلما تغشاها حملت حملا خفيفا] أى فلما جامعها حملت بالجنين حملا خفيفا دون إزعاج ، لكونه نطفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في بادىء الأمر ، فيكون أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك

[فمرت به] أى استمرت به إلى حين ميلاده

[فلما أثقلت] أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة لكبر الحمل في بطنها

[دعوا الله ربهما] أى دعوا الله مربيهما ومالك أمرهما

[لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين] أى لئن رزقتا ولدا صالحا سوى الخلقة ، لنشكرنك على نعمائك

[فلما آتاهما صالحا] أى فلما وهبهما الولد الصالح السوي

[جعلا له شركاء فيما آتاهما] أي جعل أبناء آدم وذريته ، شركاء مع الله فعبدوا الأوثان والأصنام

((ذهبنا إلى هذا الرأي لجلائه ووضوحه ، وهو ما رجحه المحققون من أهل العلم ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الاية في " ادم وحواء " وأن الضمير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قوله تعالى : {جعلا له شركاء} يعود إليهما ، ورووا في ذلك أحاديث وآثارا ، منها ما روي عن سمرة مرفوعا قال : " لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه : " عبد الحارث " فانه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان " قال الحافظ ابن كثير : وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه وقد وضحها رحمه الله ورجح أن الحديث موقوف ، وضعف ما ورد من اثار ، ثم روى بسنده عن الحسن البصري أنه قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بأدم ثم قال ابن كثير : وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق " آدم وحواء " وإنما المراد المشركون من ذريته ، بدليل قول الله بعده {فتعالى الله عما يشركون } أقول : وهو الحق الذي لا محيد عنه ، لأن نسبة أدم إلى الشرك وهو نبى كريم أمر خطير))

[فتعالى الله عما يشركون] أى تنزه وتقدس الله عما ينسبه إليه المشركون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أيشركون ما لا يخلق شيئا] الاستفهام للتوبيخ أى أيشركون مع الله ما لا يقدر على خلق شيء أصلا

[وهم يخلقون] أى والحال إن تلك الأوثان والألهة مخلوقة ، فكيف يعبدونها مع الله ؟

[ولا يستطيعون لهم نصرا] أى لا تستطيع هذه الأصنام نصر عابديها

[ولا أنفسهم ينصرون] أى ولا ينصرون أنفسهم ممن أرادهم بسوء ، فهم في غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة ؟

[وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم] أى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى خير أو رشاد ، لأنها جمادات

[سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون] أى يتساوى في عدم الافادة ، دعاؤكم لهم وسكوتكم ؟ قال ابن كثير : يعني أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، وسواء لديها من دعاها ومن دحاها ، كما قال إبراهيم [يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يغني عنك شيئا]

[إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم] أى أن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام ، وتسمونهم آلهة ، مخلوقون مثلكم بل الأناس أكمل منها ، لأنها تسمع وتبصر وتبطش ، وتلك لا تفعل شيئا من ذلك ، فلهذا قال

[فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين] أمر على جهة التعجيز والتبكيت أى ادعوهم في جلب نفع أو دفع ضر ، إن كنتم صادقين في دعوى أنها الهة ((قال الحافظ ابن كثير : أسلم (معاذ بن جبل) و(معاذ بن عمرو بن الجموح) وكانا شابين فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتخذانها حطبا ، وكان لعمرو بن الجموح - وهو سيد قومه - صنم يعبده ويطيبه فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة - النجس - فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ، ويضع عنده سيفا ويقول له : انتصر ، ثم يعودان لمثل ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعود إلى صنيعه ، حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه في بئر هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك ، علم أن ما عليه من الدين باطل فأنشد يقول : " تالله لوكنت إلها مستدن لم تك والكلب جميعا في قرن) ثم اسلم فحسن إسلامه ، وقتل يوم أحد شهيدا ، رضي الله عنه وأرضاه . تفسير ابن كثير))

[ألهم أرجل يمشون بها] توبيخ إثر توبيخ ، أي هل لهذه الأصنام أرجل تقدر على المشي

[أم لهم أيد يبطشون بها] أى أم هل لهم أيد تفتك وتبطش بمن أرادها بسوء ؟

[أم لهم أعين يبصرون بها] أى أم هل لهم أعين تبصر بها الأشياء ؟

[أم لهم أذان يسمعون بها] أى أم هل لهم آذان تسمع بها الاصوات ؟ والغرض بيان جهلهم وتسفيه عقولهم ، في عبادة جمادات لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني عن عابدها شيئا ، لأنها فقدت الحواس ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، والإنسان أفضل بكثير من هذه الأصنام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوجود العقل والحواس فيه ، فكيف يليق بالأكمل الأشرف أن يشتغل بعبادة الأخس الأدون ، الذي لا يحس منه فائدة أبدا ، لا في جلب منفعة ولا في دفع مضرة ؟!

[قل ادعوا شركاءكم] أى قل لهم يا محمد ادعوا أصنامكم ، واستنصروا واستعينوا بها علي

[ثم كيدون فلا تنظرون] أى ابذلوا جهدكم أنتم وهم في الكيد لي ، وإلحاق الآذى والمضرة بي ، ولا تمهلوني طرفة عين ، فإني لا أبالي بكم لاعتمادي على الله ، قال الحسن : خوفوا الرسول (ص) بآلهتهم ، فأمره تعالى أن يجابههم بذلك

[ن وليي الله الذي نزل الكتاب] أى إن الذي يتولى نصري وحفظى ، هو الله الذي نزل علي القرآن

[وهو يتولى الصالحين] أى هو جل وعلا يتولى عباده الصالحين ، بالحفظ والتأييد ، وهو وليهم في الدنيا والآخرة

[والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهم ينصرون] كرره ليبين أن ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر

[وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا] أى وان تدعوا هذه الأصنام إلى الهداية والرشاد ، لا يسمعوا دعاءكم ، فضلا عن المساعدة والإمداد

[وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون] أى وتراهم يقابلونك بعيون مصورة ، كأنها ناظرة وهي جماد لا تبصر ، لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئا

[خذ العفو] أمر له عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق ، أى خذ بالسهل اليسير في معاملة الناس ومعاشرتهم ، قال ابن كثير : وهذا أشهر الأقوال ويشهد له قول جبريل للرسول (ص) " إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك ،

[وأمر بالمعروف] أي بالمعروف والجميل ، المستحسن من الأقوال والأفعال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأعرض عن الجاهلين] أى لا تقابل السفهاء بمثل سفههم بل أحلم عليهم ، قال القرطبي : وهذا وإن كان خطابا لنبيه عليه الصلاة والسلام ، فهو تأديب لجميع خلقه

[وإن ينزغنك من الشيطان نزغ] أى وإما يصيبنك يا محمد طائف من الشيطان بالوسوسة ، والتشكيك في الحق

[فاستعذ بالله] أى فاستجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك

[إنه سميع عليم] أى سميع لما تقول عليم بما تفعل

[إن الذين اتقوا] أى الذين اتصفوا بتقوى الله

[إذا مسهم طائف من الشيطان] أى إذا أصابهم الشيطان بوسوسته ، وحام حولهم بهواجسه

[تذكروا] أى تذكروا عقاب الله وثوابه

[فإذا هم مبصرون] أى يبصرون الحق بنور البصيرة ، ويتخلصون من وساوس الشيطان

[وإخوانهم يمدونهم في الغي] أى إخوان الشياطين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين لم يتقوا الله ، وهم الكفرة الفجرة ، فإن الشياطين تغويهم وتزين لهم سبل الضلال

[ثم لا يقصرون] أى لا يمسكون ولا يكفون عن إغوائهم

[وإذا لم تأتهم بآية] أى وإذا لم تأتهم بمعجزة كما اقترحوا

[قالوا لولا اجتبيتها] أى هلا اختلقتها يا محمد ؟ واخترعتها من عند نفسك ؟! وهو تهكم منهم لعنهم الله

[قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى] أى قل لهم يا أيها الرسول : ليس الأمر إلى حتى آتى بشئ من عند نفسي ، وإنما أنا عبد أمتثل ما يوحيه الله إلى

[هذا بصائر من ربكم] أي هذا القرآن الجليل حجة بينة ، وبراهين نيرة ، يغني عن غيره من المعجزات ، فهو بمنزلة البصائر للقلوب ، به ينصر الحق ويدرك

[وهدى ورحمة لقوم يؤمنون] أى وهداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم المقتبسون من أنواره ، والمنتفعون من أحكامه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا] أى وإذا تليت آيات القرآن فاستمعوها بتدبر وإمعان ، واسكتوا عند تلاوته إعظاما للقرآن وإجلالا له

[لعلكم ترحمون] اي للاكي تفوزوا بالرحمة

[واذكر ربك في نفسك] أى واذكر ربك سرا مستحضرا لعظمته وجلاله

[تضرعا وخيفة] أى متضرعا الىه وخابفا منه

[ودون الجهر من القول] أى وسطا بين الجهر والسز

[بالغدو والاصال] أى في الصباح والعشي

[ولا تكن من الغافلين] أى ولا بغفل عن ذكر الله

[ان الذين عند ربك] أى الملائكة الاطهار

[لا يستكبرون عن عبادته] أى لا يتكبرون عن عبادة ربهم

[ويسبحونه] اي ينزهونه عما لا يليق به

[وله يسجدون] أى لا يسجدون إلا لله عز وجل ! !

البلاغة :

1 - [كانك حفى عنها] التثبيه (مرسل مجمل) لذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اداة التشبيه وحذف وجه الشبه .

2 - [فلما تغثعاها] التغشي هنا كناية عن الجماع ، وهو من الكنايات اللطيفة .

3 - [الهم ارجل يمشون بها . .] الخ هذا الاسلوبب يسمى " الاطنابب ، وفاندته زيادة التقريع والتوبيخ .

4 - [بنزفئك من الشيطان نزغ] شنه وسوسة الثيطان واغراءه الناس على المعاصي بالنزغ ، وهو ادخال الابرة وما شابهها في الجلد ، ففيه استعارة لطيفة .

5 - [هدا بصابر من ربكم] فيه تشبيه بليغ واصله هذا كالبصائر ، حذفت اداة النشبيه ووجه الشبه فهوبليغ .

لطيفة :

حكي ان بعض السلف قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا ؟ قال : اجاهده ، قال : فان عاد ؟ قال : اجاهده قال : فان عاد ؟ قال : اجاهده ، قال ان هذا يطول ، ارايت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ، ومنعك من العبور ما تصنع ؟ قال : اكابده وارده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهدي ! ! قال : هذا يطول عليك ، ولكن استنث بصاحب الغنم ، يكفه عنك ، فهذه فايدة الاستعاذة من الشيطان الرجيم .

سورة الأنفال

الأنفال مدنية وآياتها خمس وسبعون

بين يدي السورة

سورة الأنفال إحدى السور المدنية التي عنيت بجانب التشريع ، وبخاصة فيما يتعلق بالغزوات والجهاد في سبيل الله ، فقد عالجت بعض النواحي الحربية التي ظهرت عقب بعض الغزوات ، وتضمنت كثيرا من التشريعات الحربية ، والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين إتباعها في قتالهم لأعداء الله ، وتناولت جانب السلم والحرب ، وأحكام الأسرى والغنائم .

" نزلت هذه السورة الكريمة في أعقاب (غزوة بدر) التي كانت فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام المجيد ، وبداية النصر لجند الرحمن ، حتى سماها بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحابة " سورة بدر " لأنها تناولت أحداث هذه الموقعة بإسهاب ، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال ، وبينت ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من (البطولة والشهامة) والوقوف في وجه الباطل ، بكل شجاعة وجرأة ، وحزم وصمود . ومن المعلوم من تاريخ الغزوات التي خاضها المسلمون أن غزوة بدر كانت في " رمضان " من السنة الثانية للهجرة ، وكانت هي الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل ، ورد البغي والطغيان ، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين قعد بهم الضعف في مكة ، وأخذوا في الضراعة إلى الله أن يخرجهم من القرية الظالم أهلها ، وقد إستجاب الله ضراعتهم فهيأ لهم ظروف تلك الغزوة ، وبها عرف أنصار الباطل انه مهما طال أمده ، وقويت شوكته ، وامتد سلطانه ، فلا بد له من يوم يخر فيه صريعا أمام جلال الحق وقوة الإيمان ، وهكذا كانت غزوة بدر نصرا للمؤمنين ، وهزيمة للمشركين . " وفي ثنايا سرد أحداث بدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين ست مرات بوصف الإيمان [يا أيها الذين آمنوا] كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله ، وكتذكير لهم بأن هذه التكاليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به ، وأن النصر الذي حازوا عليه ، كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال .

أما النداء الاول : فقد جاء فيه التحذير من الفرار من المعركة [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار] وقد توعدت الآيات المنهزمين أمام الأعداء بأشد العذاب .

وأما النداء الثاني : فقد جاء فيه الأمر بالسمع والطاعة ، لأمر الله وأمر رسوله [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون] كما صورت الآيات الكافرين بالأنعام السارحة ، التي لا تسمع ولا تعي ، ولا تستجيب لدعوة الحق .

وأما النداء الثالث : فقد بين فيه تعالى أن ما يدعوهم إليه الرسول ، فيه حياتهم وعزتهم وسعادتهم في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآخرة [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . .] فالدين حياة ، والكفر موت .

وأما النداء الرابع : فقد نبههم فيه إلى أن إفشاء سر الأمة للأعداء خيانة لله ولرسوله ، وخيانة للأمة ايضا [يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون] .

وأما النداء الخامس : فقد لفت نظرهم فيه إلى ثمرة التقوى ، وذكرهم بأنها أساس الخير كله ، وأن من أعظم ثمرات التقوى ذلك النور الرباني ، الذي يقذفه الله في قلب المؤمن ، وبه يفرق بين الرشد والغي ، والهدى والضلال [يا ايها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم] .

وأما النداء السادس : وهو النداء الأخير فقد وضح الله لهم فيه طريق العزة ، وأسس النصر ، وذلك بالثبات أمام الأعداء ، والصبر عند اللقاء ، وإستحضار عظمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله التي لا تحد ، وقوته التى لا تقهر ، والإعتصام بالمدد الروحي الذي يعينهم على الثبات ، ألا وهو ذكر الله كثيرا [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون] .

وختمت السورة الكريمة ببيان الولاية الكاملة بين المؤمنين ، وأنه مهما تناءت ديارهم ، واختلفت أجناسهم ، فهم أمة واحدة ، وعليهم نصر الذين يستنصرونهم في الدين ، كما أن ملة الكفر أيضا واحدة ، وبين الكافرين ولاية قائمة على أسس البغي والضلال ، وأنه لا ولاية بين المؤمنين والكافرين [والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير] . " هذه خلاصة ما أشارت اليه السورة الكريمة من أهداف ، وما أرشدت اليه من دروس وعبر ، نسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الفهم والبصر .

تفسير سورة الأنفال

قال الله تعالى : يسألونك عن الأنفال قل الأنفال . . إلى . . لتولوا وهم معرضون] من آية (1) الى نهاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آية (23) .

اللغه :

[الأنفال] الغنائم جمع نفل بالفتح ، وهو الزيادة وسميت الغنائم به لأنها زيادة على القيام بحماية الدين والأوطان ، وتسمى صلاة التطوع نفلا ، وولد الولد نافلة لهذا المعنى ، قال لبيد : إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل

[وجلت] الوجل : الخوف والفزع

[ذات الشوكة] الشوكة : السلاح وأصلها من الشوك ، قال ابو عبيدة : ومجاز الشوكة الحد يقال : ما اشد شوكة بني فلان أى حدهم

[تستغيثون] الاستغاثة : طلب النصرة والعون

[مردفين] متتابعين يتلو بعضهم بعضا ، وردف وأردف بمعنى واحد أى تبع قال الطبرى : العرب تقول : أردفته وردفته بمعنى تبعته وأتبعته قال الشاعر : إذا الجوزاء أردفت الثريا

[بنان] البنان : جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والرجلين ، قال عنترة : وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كل بنان

[زحفا] الزحف : الدنو قليلا ، مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على أليته قليلا قليلا ، ثم سمي به الجيش الكثير العدد ، لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف زحفا

[متحيزا] منضما يقول : تحيز أى انضم واجتمع الى غيره

[باء] رجع

[موهن] مضعف

[تستفتحوا] استفتح : أى طلب الفتح والنصرة على عدوه .

سبب النزول :

ا - عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ، : من قتل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ، فاما المشيخة فثبتوا تحت الرايات وأما الشبان فتسارعوا الى القتل والغنائم فقال المشيخة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشبان : أشركونا معكم ، فإننا كنا لكم ردءا ، ولو كان منكم شيء للجأتم الينا ، فأبوا واختصموا الى النبي (ص) فنزلت [يسألونك عن الأنفال] الآية فقسم (ص) الغنائم بينهم بالسوية .

ب - روي أن النبي (ص) أخذ قبضة من تراب يوم بدر فرمى بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه فما بقي أحد من المشركين ، إلا أصاب عينيه ومنخريه تراب من تلك القبضة ، وولوا مدبرين ، فنزلت [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . .] .

التفسير :

[يسألونك عن الأنفال] أى يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها من بدر لمن هي ؟ وكيف تقسم

[قل الأنفال لله والرسول] أى قل لهم : الحكم فيها لله والرسول لا لكم

[فاتقوا الله] أى اتقوا الله بطاعته وإجتناب معاصيه

[واصلحوا ذات بينكم] أى اصلحوا الحال التي بينكم بالائتلاف وعدم الاختلاف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأطيعوا الله ورسوله] أى أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في الحكم في الغنائم . . قال عبادة بن الصامت : نزلت فينا أصحاب بدر ، حين اختلفنا وساءت أخلاقنا ، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ، ، فقسمها على السواء ، فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وإصلاح ذات البين

[إن كنتم مؤمنين] شرط حذف جوابه أى إن كنتم حقا مؤمنين كاملين في الإيمان فأطيعوا الله ورسوله

[إنما المؤمنون] أى انما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه

[الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم] أى إذا ذكر اسم الله فزعت قلوبهم لمجرد ذكره ، استعظاما لشأنه ، وتهيبا منه جل وعلا

[وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا] أى اذا تليت عليهم آيات القرآن ازداد تصديقهم ويقينهم بالله

[وعلى ربهم يتوكلون] ((قال ابن الخطيب : ليقرأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الآية وليتدبرها كل مؤمن ، وليعرضها على نفسه ، فان وجدها تنطبق على صفاته فليهنأ بما آتاه الله من فضل ، وما وهبه من خير ، وان وجدها في واد وهو في واد ، فليلجأ إلى الرحيم الودود ، وليجأر الى اللطيف الحميد ، أن يصفي قلبه ويزيده إيمانا وتوكلا ، ويوفقه لإقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، فنعم القريب ونعم المجيب ، وليكن هذا باخلاص قلب وصدق طوية))

أي لا يرجون غير الله ولا يرهبون سواه ، قال في البحر : أخبر عنهم باسم الموصول بثلاث مقامات عظيمة هي : (مقام الخوف) و(مقام الزيادة في الإيمان) و(مقام التوكل على الرحمن)

[الذين يقيمون الصلاة] أى يؤدون الصلاة على الوجه الأكمل بخشوعها وفروضها وآدابها

[ومما رزقناهم ينفقون] أى وينفقون في طاعة الله مما أعطاهم الله ، وهو عام في الزكاة ونوافل الصدقات

[أولئك هم المؤمنون حقا] أى المتصفون بما ذكر من الصفات الحميدة ، هم المؤمنون إيمانا حقا لأنهم جمعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين الإيمان وصالح الاعمال

[لهم درجات عند ربهم] أى لهم منازل رفيعة في الجنة

[ومغفرة] أى تكفير لما فرط منهم من الذنوب

[ورزق كريم] أى رزق دائم مستمر ، مقرون بالإكرام والتعظيم

[كما أخرجك ربك من بيتك بالحق] الكاف تقتضي مشبها ، شبهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته ، بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال وكراهتهم لما وقع فيها ، والمعنى : حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب وقال الطبري :

المعنى : كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين ، والحق الذي كانوا يجادلون فيه النبي (ص) بعدما تبينوه هو القتال

[وإن فريقا من المؤمنين لكارهون] أى والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج لقتال العدو ، خوفا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القتل أو لعدم الإستعداد

[يجادلونك في الحق بعد ما تبين] أى يجادلونك يا أيها الرسول في شأن الخروج للقتال بعد أن وضح لهم الحق وبان ، وكان جدالهم هو قولهم : ما كان خروجنا إلا للعير ، ولو عرفنا لاستعددنا للقتال

[كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون] قال البيضاوي : أى يكرهون القتال كراهة من ينساق الى الموت وهو يشاهد أسبابه ، وذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم ، وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم

[وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم] أى اذكروا حين وعدكم الله يا أصحاب محمد ، إحدى الفرقتين أنها لكم غنيمة ، إما (العير) او (النفير)

[وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم] أى وتحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها وهي العير لأنها كانت محملة بتجارة قريش ، قال المفسرون : روي أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عير قريش أقبلت من الشام ، وفيها تجارة عظيمة برآسة أبي سفيان ، ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد : إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير وإما قريشا ، فاستشار الرسول ، أصحابه ، فاختاروا العير لخفة الحرب وكثرة الغنيمة ، فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة ، فنادى أبو جهل : يا أهل مكة النجاء النجاء ، عيركم أموالكم إن أصابها محمد ، لن تفلحوا بعدها أبدا ، فخرج المشركون على كل صعب وذلول ، ومعهم أبو جهل حتى وصلوا بدرا ، ونجت القافلة فأخبر الرسول ، أصحابه وقال لهم : إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقالوا يا رسول الله : عليك بالعير ودع العدو ، فغضب رسول الله فقام (سعد بن عباده) فقال : امض بنا لما شئت فإنا متبعوك ، وقام سعد بن معاذ فقال : والذي بعثك بالحق ، لو خضت بنا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ، وقال لأصحابه : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إحدى الطائفتين ، واالله لكأني انظر الى مصارع القوم
[ويريد االله أن يحق الحق بكلماته] أى يظهر الدين
الحق وهو الإسلام ، بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر
[ويقطع دابر الكافرين] أى يستأصل الكافرين ويهلكهم
جملة من أصلهم ، قال في البحر : والمعنى أنكم
ترغبون في الفائدة العاجلة ، وسلامة الأحوال ،
وسفساف الأمور ، واالله معالى يريد معالي الأمور ،
وإعلاء الحق ، والفوز في الدارين ، وشتان ما بين
المرادين ، ولذلك اختار لكم ذات الشوكة ، وأراكهم
عيانا كيف خذلهم ، فنصركم وهزمهم ، واذلهم واعزكم
[ليحق الحق ويبطل الباطل] متعلق بمحذوف تقديره :
ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل ، والمراد
إظهار الإسلام وإبطال دابر الكفر
[ولو كره المجرمون] أي ولو كره المشركون ذلك
أى إظهار الإسلام وإبطال الشرك
[إذ تستغيثون ربكم] أى اذكروا حين تطلبون من
ربكم الغوث بالنصر على المشركين ، روي أن رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله (ص) نظر الى المشركين وهم الف ، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر ، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض ، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ! ! فنزلت هذه الآية

[فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة] أى استجاب الله الدعاء بأني معينكم بألف من الملائكة

[مردفين] أى متتابعين يتبع بعضهم بعضا ، قال المفسرون : ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين الجيش ، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش ، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في (بدر) ، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة ، لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل "

[وما جعله الله إلا بشرى] أى وما جعل إمدادكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر

[ولتطمئن به قلوبكم] أي ولتسكن بهذا الإمداد نفوسكم

[وما النصر إلا من عند الله] أى وما النصر في الحقيقة إلا من عند الله العلي الكبير ، فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وعدتكم

[إن الله عزيز حكيم] أى غالب لا يغلب ، يفعل ما تقضي به الحكمة

[إذ يغشيكم النعاس أمنة منه] أى يلقي عليكم النوم أمنا من عنده سبحانه وتعالى ، وهذه معجزة لرسول الله ، حيث غشي الجميع النوم في وقت الخوف ! ! قال علي رضي الله عنه : (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم ، إلا رسول الله يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح) قال ابن كثير : وكأن ذلك كان للمؤمنين عند شدة البأس ، لتكون قلوبهم أمنة مطمئنة بنصر الله

[وينزل عليكم من السماء ماء] تعديد لنعمة أخرى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر فأنزل الله عليهم المطر حتى سالت الأودية ، وكان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر

[ليطهركم به] أى من الاحداث والجنابات

[ويذهب عنكم رجز الشيطان] أى يدفع عنكم وسوسته وتخويفه إياكم من العطش ، قال البيضاوي : روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر ، تسوخ فيه الأقدام على غير ماء ، وناموا فاحتلم اكثرهم ، فوسوس إليهم الشيطان وقال : كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجنبين ، وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ؟ فأنزل الله المطر حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة

[وليربط على قلوبكم] أى يقويها بالثقة بنصر الله

[ويثبت به الأقدام] أى يثبت بالمطر الأقدام حتى لا تسوخ في الرمل ، قال الطبري : ثبت الله بالمطر أقدامهم لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء ، فلبدها المطر حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها

[إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم] تذكير بنعمة أخرى أى يوحي الله إلى الملائكة بأني معكم بالعون والنصر

[فثبتوا الذين آمنوا] أى ثبتوا المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم

[سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب] أى سأقذف في قلوب الكافرين الخوف والفزع حتى ينهزموا

[فاضربوا فوق الأعناق] أى اضربوهم على الأعناق كقوله [فضرب الرقاب] وقيل : المراد الرءوس لأنها فوق الأعناق

[واضربوا منهم كل بنان] أى اضربوهم على أطراف الأصابع ، قال في التسهيل : وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله

[ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله] أى ذلك العذاب الفظيع واقع عليهم ، بسبب مخالفتهم وعصيانهم لأمر الله وامر رسوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب] أى ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله بالكفر والعناد ، فإن عذاب الله شديد له

[ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار] أى ذلكم العقاب فذوقوه يا معشر الكفار في الدنيا ، مع أن لكم العقاب الآجل في الآخرة وهو عذاب النار

[يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا] أى إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون زحفا

[قلا تولوهم الأدبار] أى فلا تنهزموا أمامهم ، بل اثبتوا واصبروا

[ومن يولهم يومئذ دبره] أى ومن يولهم يوم اللقاء ظهره منهزما

[الا متحرفا لقتال] أى إلا في حال التوجه إلى قتال طائفة أخرى ، او بالفر للكر بأن يخيل الى عدوه أنه منهزم ليغره مكيدة ، وهو من باب " الحرب خدعة "

[او متحيزا الى فئة] أى منضما الى جماعة المسلمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستنجد بهم

[فقد باء بغضب من الله] أى فقد رجع بسخط عظيم

[ومأواه جهنم] أى مقره ومسكنه الذي يأوي اليه نار جهنم

[وبئس المصير] أى بئس المرجع والمآل

[فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم] أى فلم تقتلوهم أيها المسلمون ببدر بقوتكم وقدرتكم ، ولكن الله قتلهم بنصركم عليهم ، وإلقاء الرعب في قلوبهم

[وما رميت إذ رميت] أى وما رميت في الحقيقة أنت يا محمد أعين القوم بقبضة من تراب ، لأن كفا من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير ، قال ابن عباس : أخذ رسول الله (ص) قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم إلا اصاب عينيه ومنخريه من تلك الرمية ، فولوا مدبرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن الله رمى] أى بإيصال ذلك اليهم فالأمر في الحقيقة من الله

[وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا] أى فعل ذلك ليقهر الكافرين وينعم على المؤمنين بالأجر والنصر والغنيمة

[إن الله سميع عليم] أى سميع لأقوالهم ، عليم بنياتهم وأحوالهم

[ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين] أى ذلك الذي حدث من قتل المشركين ونصر المؤمنين حق ، والغرض منه إضعاف وتوهين كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم قائمة

[إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح] هذا خطاب لكفار قريش أي إن تطلبوا يا معشر الكفار الفتح والنصر على المؤمنين ، فقد جاءكم الفتح وهو الهزيمة والقهر ، وهذا على سبيل التهكم بهم ، قال الطبري : قال ابو جهل يوم بدر : اللهم أينا كان أفجر ، وأقطع للرحم ، فأحنه اليوم - أي أهلكه فأنزل الله

[إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح] فكان أبو جهل هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المستفتح

[وإن تنتهوا فهو خير لكم] أي وإن تكفوا يا معشر قريش عن حرب الرسول ومعاداته ، وعن الكفر بالله ورسوله فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم

[وإن تعودوا نعد] أى وإن تعودوا لحربه وقتاله ، نعد لنصره عليكم

[ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت] أى لن تدفع عنكم جماعتكم التي تستنجدون بها شيئا من عذاب الدنيا ، مهما كثر الأعوان والأنصار

[وأن الله مع المؤمنين] أى لأن الله سبحانه مع المؤمنين بالنصر والعون والتأييد

[يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله] أى دوموا على طاعة الله وطاعة رسوله ، يدم لكم العز الذي حصل ببدر

[ولا تولوا عنه] أى لا تعرضوا عنه بمخالفة أمره ، وأصله " تتولوا " حذفت منه إحدى التاءين تخفيفا

[وأنتم تسمعون] أى تسمعون القرآن والمواعظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون] أى لا تكونوا كالكفار الذين سمعوا بآذانهم دون قلوبهم ، فسماعهم كأنه معدوم ، لأن الغرض من السماع التدبر والاتعاظ

[إن شر الدواب عند الله] أى شر الخلق وشر البهائم التي تدب على وجه الأرض

[الصم البكم] أى الصم الذين لا يسمعون الحق ، البكم أي الخرس الذين لا ينطقون به

[الذين لا يعقلون] أى الذين فقدوا العقل الذي يميز به المرء بين الخير والشر ، " نزلت في جماعة من بني عبد الداركانوا يقولون : نحن صم بكم عما جاء به محمد " وتوجهوا لقتال الرسول (ص) مع أبى جهل ، وفي الآية غاية الذم للكافرين ، بأنهم أشر من الدواب والحمير ، لأنهم لم يستفيدوا من حواسهم فصاروا اخس من كل خسيس

[ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم] أى لو علم الله فيهم شيئا من الخير لأسمعهم سماع تفهم وتدبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون] أى ولو فرض أن الله أسمعهم -وقد علم أن لا خير فيهم -لتولوا وهم معرضون عنه جحودا وعنادا ، وفي هذا تسلية للنبي ، على عدم إيمان الكافرين .

البلاغة :

1 - [أولئك هم المؤمنون] الإشارة بالبعيد عن القريب لعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في ا لشرف .

2 - [لهم درجات عند ربهم] إستعارة لطيفة ، فقد استعار (الدرجات) للمراتب الرفيعة ، والمنازل العالية في الجنة .

3 - [كأنما يساقون إلى الموت] التشبيه هنا تمثيلى ، لأنه منتزع من متعدد .

4 - [أن يحق الحق] بينهما جناس الاشتقاق .

5 - [ذات الشوكة] استعيرت الشوكة للسلاح بجامع الشدة والحدة بينهما .

6 - [ويقطع دابر الكافرين] كناية عن استئصالهم بالهلاك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - [اذ تستغيثون] صيغة المضارع لاستحضار صورتها الغريبة في الذهن .

8 - [وينزل عليكم من السماء ماء] تقديم الجار والمجرور على المفعول به للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر .

9 - [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح] الخطاب للمشركين على سبيل السخرية والتهكم كقوله تعالى [ذق إنك انت العزيز الكريم] .

---

10 - [إن شر الدواب عند الله] شبه الكفار بالبهائم بل جعلهم شرا منها ، وذلك منتهى البلاغة ونهاية الإعجاز ، إذ أن الكافر لا يسمع الحق ، والبهائم لا تسمع ، ولا ينطق به والبهائم لا تنطق ، ويأكل والبهائم تأكل ، بقي أنه يضر والبهائم لا تضر ، فكيف لا يكون شرا منها ؟

تنبيه :

ذكر تعالى في هذه السورة أنه أمد المؤمنين بألف من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملائكة ، وذكر في سورة آل عمران أنه أمدهم بثلاثة آلاف ، ولا تعارض بين الآيات فإنه تعالى ذكر هنا لفظ [مردفين] ومعناه متتابعين ، فأمدهم أولا بألف ، ثم بثلاثة آلاف والله الموفق .

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول . . إلى . . نعم المولى ونعم النصير] من آية (24) إلى نهاية آية (40) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الكافرين ، وشبههم بالأنعام السارحة لأنهم أعرضوا عن قبول دعوة الله ، أمر المؤمنين هنا بالاستجابة لله والرسول ، وقبول دعوته التي فيها حياة القلوب ، وبها السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة .

اللغة :

[مكاء] المكاء : الصفير قال أبو عبيدة : والكثير في الأصوات أن تكون في " فعال " كالصراخ والخوار والدعاء والنباخ

[تصدية] التصدية : التصفيق يقال : صدى تصدية إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفق بيديه ، وأصله من الصدى وهوالصوت الذي يرجع من الجبل

[فيركمه] الركم : الجمع قال الليث : هو أن تجمع الشيء فوق الشيء حتى تجعله ركاما مركوما كما يكون فى الرمل والسحاب

[سلف] مضى

[سنة الأولين] عادة الله وسنته في إهلاك المكذبين من الأمم السالفة

[مولاكم] ناصركم ومعينكم . سبب النزول :

أخرج ابن جرير عن الزهري أن رسول الله (ص) لما حاصر يهود بني قريظة طلبوا الصلح ، فأمرهم أن ينزلوا على حكم (سعد بن معاذ) فقالوا : ارسل لنا (أبا لبابة) فبعثه رسول الله (ص) اليهم فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى ؟ أننزل على حكم سعد ؟ فأشار الى حلقه يعنى أنه (الذبح) ، قال ابو لبابة : والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسوله فقال : لا والله ، لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فنزلت الآية [يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول . .] الآية ثم نزلت توبته .

التفسير :

[يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم] أى أجيبوا دعاء رسوله إذا دعاكم للإيمان والقرآن ، الذي به تحيا النفوس ، وبه تحيون الحياة الأبدية ، قال قتادة : هو القرآن فيه الحياة ، والثقة ، والنجاة ، والعصمة ، في الدنيا والآخرة

[واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه] أى اعلموا انه تعالى المتصرف في جميع الأشياء ، يصرف القلوب كيف يشاء بما لا يقدر عليها صاحبها ، فيفسخ عزائمه ، ويغير مقاصده ، ويلهمه رشده ، أو يزيغ قلبه عن الصراط السوي ، وفي الحديث : " يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك " قال ابن عباس : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيان : وفي ذلك حض على المراقبة ، والخوف من الله تعالى ، والمبادرة الى الاستجابة له جل وعلا

[وأنه اليه تحشرون] أى وأنه سبحانه اليه مرجعكم ومصيركم فيجازيكم بأعمالكم

[واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة] أى احذروا بطش الله وانتقامه إن عصيتم أمره ، واحذروا فتنة إن نزلت بكم ، لم تقتصر على الظالم خاصة بل تعم الجميع ، وتصل الى الصالح والطالح ، لأن الظالم يهلك بظلمه وعصيانه ، وغير الظالم يهلك لعدم منعه وسكوته عليه ، وفي الحديث الشريف (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده) قال ابن عباس : أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم الله بالعذاب ، فيصيب الظالم وغير الظالم

[واعلموا أن الله شديد العقاب] هذا وعيد ، أى شديد العذاب لمن عصاه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض] أى اذكروا نعمة الله عليكم وقت أن كنتم أقلة أذلة ، تستضعفكم الكفار في أرض مكة ، فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم بالأذى والمكروه

[تخافون أن يتخطفكم الناس] أى تخافون المشركين أن يتخطفوكم بالقتل والسلب ! ! والخطف : الأخذ بسرعة

[فآواكم] أى جعل لكم مأوى تتحصنون به من أعدائكم ، وهو المدينة المنورة

[وأيدكم بنصره] أى أعانكم وقواكم يوم بدر ، بنصره المؤزر حتى هزمتموهم

[ورزقكم من الطيبات] أى منحكم غنائمهم حلالا طيبة ، ولم تكن تحل لأحد من قبل

[لعكم تشكرون] أى لتشكروا الله على هذه النعم الجليلة ، والغرض التذكير بالنعمة ، فإنهم كانوا قبل ظهور الرسول ، في غاية القلة والذلة ، وبعد ظهوره صاروا في غاية العزة والرفعة ، فعليهم أن يطيعوا الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويشكروه على هذه النعمة

[يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول] أى لا تخونوا دينكم ورسولكم بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين

[وتخونوا أماناتكم] أى ما ائتمنكم عليه من التكاليف الشرعية ، قال ابن عباس : خيانة الله سبحانه بترك فرائضه ، والرسول بترك سنته وإرتكاب معصيته ، والأمانات : الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد "

[وأنتم تعلمون] أى تعلمون أنه خيانة وتعرفون تبعة ذلك ووباله

[واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة] أى محنة من الله ليختبركم كيف تحافظون معها على حدوده ، قال الإمام الفخر : وإنما كانت فتنة لأنها تشغل القلب بالدنيا ، وتصير حجابا عن خدمة المولى

[وأن الله عنده أجر عظيم] أى ثوابه وعطاؤه خير لكم من الاموال والأولاد ، فاحرصوا على طاعة الله

[يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن أطعتم الله واجتنبتم معاصيه ، يجعل لكم هداية ونورا في قلوبكم ، تفرقون به بين الحق والباطل كقوله [ويجعل لكم نورا تمشون به] وفي الآية دليل على أن التقوى تنور القلب ، وتشرح الصدر ، وتزيد في العلم والمعرفة

[ويكفر عنكم سيئاتكم] أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم

[ويغفر لكم] أى يسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها

[والله ذو الفضل العظيم] أى واسع الفضل عظيم العطاء

[وإذ يمكر بك الذين كفروا] هذا تذكير بنعمة خاصة على الرسول (ص) بعد تذكير المؤمنين بالنعمة العامة عليهم ، والمعنى : اذكر يا محمد حين تآمر عليك المشركون في دار الندوة

[ليثبتوك] أى يحبسوك

[او يقتلوك] أى بالسيف ضربة رجل واحد ليتفرق دمه (ص) بين القبائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[او يخرجوك] أى من مكة

[ويمكرون ويمكر الله] أى يحتالون ويتآمرون عليك يا محمد ، ويدبر لك ربك ما يبطل مكرهم ويفضح أمرهم

[والله خير الماكرين] أى مكره تعالى أنفذ من مكرهم وابلغ تأثيرا ، قال الطبرى في روايته عن ابن عباس : إن نفرا من أشراف قريش اجتمعوا في (دار الندوة) فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال شيخ من العرب ، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ، ولن يعدمكم مني رأي ونصح ، قالوا : أجل فادخل ، فقال انظروا في شأن هذا الرجل - يعنى محمدا (ص) - فقال قائل : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك ، فصرخ عدو الله وقال : والله ما هذا لكم برأي ، فليوشكن أن يثب أصحابه عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فقال قائل : اخرجوه من بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج فلن يضركم ما صنع وأين وقع ، فقال عدو الله : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه القلوب بحديثه ؟ والله لئن فعلتم لتجتمعن عليكم العرب ، حتى يخرجوكم من بلادكم ويقتلوا أشرافكم ، قالوا : صدق ، فانظروا رأيا غير هذا ، فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره ! قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما شابا جلدا ، ونعطي كل واحد سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل كلها ، ولا أظن بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها " فيقبلون الدية ونستريح منه ونقطع عنا أذاه ، فصرخ عدو الله إبليس : هذا والله الرأي لا أرى غيره ، فتفرقوا في ذلك ، فأتى جبريل النبي (ص) فأخبره ، وأمره أن لا يبيت في مضجعه ، وأذن له بالهجرة ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك . . .]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية

[وإذا تتلى عليهم آياتنا] أى واذا قرئت عليهم آيات القرآن المبين

[قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا] أى قالوا مكابرة وعنادا : قد سمعنا هذا الكلام ولو أردنا لقلنا مثله

[إن هذا إلا أساطير الأولين] أى ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا ، إلا أكاذيب وأباطيل وحكايات الأمم السابقة ، سطروها وليس كلام الله تعالى ، وهذا غاية المكابرة ونهاية العناد ، كيف لا ، ولو استطاعوا لما تأخروا فما الذي كان يمنعهم وقد تحداهم عشر سنين ؟ وقرعوا على العجز ، ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوه ، مع انفتهم ، وفرط استنكافهم أن يغلبوا لا سيما في باب البيان

[وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك] أى إن كان هذا القرآن حقا منزلا من عندك

[فأمطر علينا حجارة من السماء] أى أنزل علينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاصبا وحجارة من السماء ، كما أنزلتها على قوم لوط [أو ائتنا بعذاب أليم] أى بعذاب مؤلم موجع ، تهلكنا به ، وهذا تهكم منهم واستهزاء ، قال ابن كثير : وهذا من كثير جهلهم ، وشدة تكذيبهم وعنادهم ، وكان الأولى لهم أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا له ووفقنا لإتباعه ، ولكنهم استعجلوا العقوبة والعذاب لسفههم

[وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم] هذا جواب لكلمتهم الشنيعة ، وبيان للسبب الموجب لإمهالهم أي إنهم مستحقون للعذاب ، ولكنه تعالى لا يعذبهم وأنت فيهم إكراما لك يا محمد ، فقد جرت سنة الله وحكمته ألا يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها ، قال ابن عباس : لم تعذب أمة قط ونبيها فيها ، والمراد بالعذاب عذاب الاستئصال

[وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون] أى وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون الله ، وهو إشارة إلى إستغفار من بقي بين أظهرهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين المستضعفين ، قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : نبي الله (ص) ، والاستغفار ، أما النبى فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة

[وما لهم ألا يعذبهم الله] وأى شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم ؟ وكيف لا يعذبون وهم على ما هم عليه من العتو والضلال ؟

[وهم يصدون عن المسجد الحرام] أى وحالهم الصد عن المسجد الحرام ، كما صدوا رسول الله ، عام الحديبية ، وكما اضطروه والمؤمنين الى الهجرة من مكة ،

[وما كانوا أولياءه] أى ما كانوا أهلا لولاية (المسجد الحرام) مع إشراكهم

[إن أولياوه إلا المتقون] أى إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أى ولكن اكثرهم جهلة سفلة ، فقد كانوا يقولون : نحن ولاة البيت والحرم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصد من نشاء ، وندخل من نشاء ! ! والغرض من الآية بيان استحقاقهم لعذاب الاستئصال بسبب جرائمهم الشنيعة ، ولكن الله رفعه عنهم إكراما لرسوله عليه السلام ، ولإستغفار المسلمين المستضفين

[وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية] هذا من جملة قبائحهم أى ما كانت عبادة المشركين وصلاتهم عند البيت الحرام الا تصفيرا وتصفيقا ، وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم ، والمعنى أنهم وضعوا مكان الصلاة والتقرب الى الله التصفير والتصفيق ، قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون [فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون] أى فذوقوا عذاب القتل والأسر ، بسبب كفركم وأفعالكم القبيحة ، وهو إشارة الى ما حصل لهم يوم بدر

[إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله] أي يصرفون أموالهم ويبذلونها لمنع الناس عن الدخول في دين الإسلام ، ولحرب محمد عليه السلام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الطبري : لما أصيب كفار قريش يوم بدر ، ورجع فلهم الى مكة قالوا : يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعنا ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ! ! فنزلت الآية

[فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة] أى فسينفقون هذه الأموال ثم تصير ندامة عليهم ، لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما كانوا يطمعون به من إطفاء نور الله ، وإعلاء كلمة الكفر

[ثم يغلبون] إخبار بالغيب أى ثم نهايتهم الهزيمة والاندحار [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي]

[والذين كفروا إلى جهنم يحشرون] أى والذين ماتوا على الكفر منهم يساقون الى جهنم ، فأعظم بها حسرة وندامة ، لمن عاش منهم ومن هلك ! !

[ليميز الله الخبيث من الطيب] أى ليفرق الله بين جند الرحمن وجند الشيطان ، ويفصل بين المؤمنين الأبرار والكفرة الأشرار ، والمراد بالخبيث والطيب : الكافر ، والمؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويجعل الخبيث بعضه على بعض] أى يجعل الكفار بعضهم فوق بعض

[فيركمه جميعا] أى يجعلهم كالركام متراكما بعضهم فوق بعض لشدة الازدحام

[فيجعله في جهنم] أى فيقذف بهم في نار جهنم

[أولئك هم الخاسرون] أى الكاملون في الخسران ، لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم . . ثم دعاهم تعالى إلى التوبة والإنابة ، وحذرهم من الإصرار على الكفر والضلال ، فقال سبحانه

[قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف] أى قل يا محمد لهولاء المشركين من قومك : إن ينتهوا عن الكفر ، ويؤمنوا بالله ويتركوا قتالك ، وقتال المؤمنين ، يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب والآثام

[وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين] أى وإن عادوا إلى قتالك وتكذيبك ، فقد مضت سنتي في تدمير وإهلاك المكذبين لأنبيائي ، فكذلك نفعل بهم ! ! وهذا وعيد شديد لهم بالدمار ، إن لم يقلعوا عن المكابرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعناد

[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة] أى قاتلوا يا معشر المؤمنين أعداءكم المشركين حتى لا يكون شرك ، ولا يعبد إلا الله وحده ، قال ابن عباس الفتنة : الشرك ، أى حتى لا يبقى مشرك على وجه الأرض ، وقال ابن جريج : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه

[ويكون الدين كله لله] أى تضمحل الأديان الباطلة ولا يبقى إلا دين الإسلام ، واضمحلالها إما بهلاك أهلها جميعا ، أو برجوعهم عنها خشية القتل ، لقوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) الحديث

[فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير] أى فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله مطلع على قلوبهم ، يثيبهم على توبتهم وإسلامهم

[وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم] أى وإن لم ينتهوا عن كفرهم ، وأعرضوا عن الإيمان ، فاعلموا يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معشر المؤمنين أن الله ناصركم ومعينكم عليهم ، فثقوا بنصرته وولايته ، ولا تبالوا بمعاداتهم لكم

[نعم المولى ونعم النصير] أي نعم الله أن يكون مولاكم فإنه لا يضيع من تولاه ، ونعم تعالى أن يكون النصير لكم ، فإنه لا يغلب من نصره الله .

البلاغة :

1 - [يحول بين المرء وقلبه] الكلام من باب (الاستعارة التمثيلية) ، شبه تمكنه تعالى من قلوب العباد وتصريفها كما يشاء ، بمن يحول بين الشيء والشيء ، وهي استعارة لطيفة .

2 - [وإذ يمكر بك] صيغة المضارع لاستحضار الصورة العجيبة ، من تآمر المشركين على صاحب الرسالة عليه السلام .

3 - [ويمكر الله] إضافة المكر إليه تعالى على طريق " المشاكلة " بمعنى إحباط ما دبروا من كيد ومكر ، والمشاكلة أن يتفق اللفظ ، ويختلف المعنى وقد تقدم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - [وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاة وتصدية]
تأمل التعبير الرائع في أسلوب القرآن حيث وضعوا المكاء والتصدية (التصفير والتصفيق) موضع الصلاة التي ينبغي أن تؤدى عند البيت ، فكانوا كالأنعام التي لا تفقه معنى العبادة ، ولا تعرف حرمة بيوت الله ، وهو على حد قول القائل : " تحية بينهم ضرب وجيع " .

5 - [الخبيث من الطيب] الطيب كناية عن (المؤمن) والخبيث كناية عن (الكافر) وبين لفظ " الخبيث " و " الطيب ، طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

تنبيه :

روى الحافظ ابن كثير عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي فمر بي النبي (ص) فدعاني ، فلم آته حتى صليت ، ثم أتيته فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم] ؟ ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج ، فذهب رسول الله ، ليخرج فذكرت له ذلك فقال [الحمد لله رب العالمين] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . لطيفه : حكي عن معاوية رضي الله عنه أنه قال لرجل من سبأ : ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال الرجل : أجهل من قومي قومك حين قالوا لرسول الله ، حين دعاهم الى الحق [اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم] ولم يقولوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ! ! فأسكت معاوية رضي الله عنه واخجله .

قال الله تعالى : [واعلموا أنما غنمتم من شيء . . إلى . . يوف اليكم وأنتم لا تظلمون] من آية (41) الى نهاية آية (60) .

المناسبة :

لما أمر تعالى بقتال المشركين ، وذكر فيما تقدم طرفا من غزوة بدر ، وكان لا بد بعد القتال من أن يغنم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجاهدون الغنائم - وهي أموال المشركين - على طريق القهر والظفر ، ذكر سبحانه هنا حكم (الغنائم) وكيفية قسمتها ، ثم سرد بقية الأحداث الهامة في تلك الغزوة المجيدة " غزوة بدر " .

اللغة :

[العدوة الدنيا] عدوة الوادي : جانبه وشفيره ، والدنيا تأنيث الأدنى أى الأقرب والمراد ما يلي جانب المدينة

[العدوة القصوى] القصوى : تأنيث الأقصى أى الأبعد ، وكل شيء تنحى عن شيء فقد قصا والمراد ما يلي جانب مكة

[نكص] النكوص : الإحجام عن الشيء

[كدأب] الدأب : العادة ، وأصله في اللغة إدامة العمل يقال : فلان يدأب في كذا أى يدوم عليه ويواظب ، ثم سميت العادة دأبا لأن الإنسان مداوم على عادته

[تثقفنهم] قال الليث : يقال ثقفنا فلانا في موضع كذا أى أخذناه وظفرنا به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فشرد] التشريد : التفريق والتبديد يقال : شردت القوم إذا قاتلتهم وطردتهم عنها حتى فارقوها .

التفسير :

[واعلموا أنما غنمتم من شيء] أى اعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتوه من أموال المشركين في الحرب ، سواء كان قليلا او كثيرا

[فأن لله خمسه] قال الحسن : هذا مفتاح كلام ، الدنيا والآخرة لله . . يريد أن ذكر اسم الله جاء على جهة (التبرك والتعظيم) كقوله تعالى [والله ورسوله أحق أن يرضوه] . قال المفسرون : تقسم الغنيمة خمسة أقسام ، فيعطى الخمس لمن ذكر الله تعالى في هذه الآية ، والباقي يوزع على الغانمين

[وللرسول] أى سهم من الخمس يعطى للرسول (ص)

[ولذي القربى] أي قرابة الرسول ، وهم (بنو هاشم " و " بنو المطلب "

[واليتامى والمساكين وابن السبيل] أى ولهؤلاء الأصناف من اليتامى الذين مات آباؤهم ، والفقراء من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذوي الحاجة ، والمنقطع في سفره من المسلمين

[إن كنتم آمنتم بالله] جواب الشرط محذوف بقديره : إن كنتم آمنتم بالله ، فاعلموا أن هذا حكم الله في الغنائم ، فامتثلوا أمره بطاعته

[وما أنزلنا على عبدنا] أى وبما أنزلنا على محمد (ص)

[يوم الفرقان] أي يوم بدر لأن الله فرق به بين الحق والباطل

[يوم التقى الجمعان] أى جمع المؤمنين وجمع الكافرين ، والتقى فيه جند الرحمن بجند الشيطان

[والله على كل شيء قدير] أى قادر لا يعجزه شيء ، ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم

[إذ أنتم بالعدوة الدنيا] هذا تصوير للمعركة ، أى وقت كنتم يا معشر المؤمنين بجانب الوادي القريب إلى المدينة

[وهم بالعدوة القصوى] أى وأعداؤكم المشركون بجانب الوادي الأبعد عن المدينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والركب أسفل منكم] أى والعير التي فيها تجارة قريش في مكان أسفل من مكانكم فيما يلي ساحل البحر [ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد] أى ولو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال ، لاختلفتم له ، ولكن الله بحكمته يسر وتمم ذلك ، قال كعب بن مالك : إنما خرج رسول الله ص والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد قال الرازي : المعنى لو تواعدتم أنتم وأهل مكة على القتال لخالف بعضكم بعضا لقلتكم وكثرتهم ،

[ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا] أى ولكن جمع بينكم على غير ميعاد ، ليقضي الله ما أراده بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، فكان أمرا متحققا واقعا لا محالة ، قال ابو السعود : والغرض من الآية أن يتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ، ليس إلا صنعا من الله عز وجل ، خارقا للعادات ، فيزدادوا إيمانا وشكرا ، وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ليهلك من هلك عن بينة] أى فعل ذلك تعالى ليكفر من كفر عن وضوح وبيان

[ويحيا من حي عن بينة] أى ويؤمن من آمن عن وضوح وبيان ((ذهب الطبري إلى أن المعنى : ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره ، وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها ، وما ذهبنا إليه هو اختيار الجلالين وابن كثير ، وهو أوضح ويؤيده {لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين } ، فالمراد بالحى المؤمن ، فالإيمان حياة للقلوب ، والكفر هلاك لها ودمار!)) ، فإن وقعة بدر من الآيات الباهرات على نصر الله لأوليائه ، وخذلانه لأعدائه

[وإن الله لسميع عليم] أى (سميع) لأقوال العباد (عليم) بنياتهم

[إذ يريكهم الله في منامك قليلا] أى اذكر يا محمد حين أراك الله في المنام أعداءك قلة ، فأخبرت بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحابك حتى قويت نفوسهم ، وتشجعوا على حربهم ، قال مجاهد : أراه الله إياهم في منامه قليلا ، فأخبر النبي أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم

[ولو اراكهم كثيرا لفشلتم] أى ولو أراك ربك عدوك كثيرا لجبن أصحابك ولم يقدروا على حرب القوم ، وانظر إلى محاسن القرآن فإنه لم يسند الفشل إليه (ص) لأنه معصوم ، بل قال [لفشلتم] إشارة إلى أصحابه

[ولتنازعتم في الأمر] أي ولاختلفتم يا معشر الصحابة في أمر قتالهم

[ولكن الله سلم] أى ولكن الله أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والتنازع

[إنه عليم بذات الصدور] أى عليم بما في القلوب يعلم ما يغير أحوالها من الشجاعة والجبن ، والصبر والجزع

[وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم] هذه الرؤية باليقظة لا بالمنام أى واذكروا يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معشر المؤمنين حين التقيتم في المعركة ، فقلل الله عدوكم في أعينكم لتزداد جرأتكم عليهم ، وقللكم في أعينهم حتى لا يستعدوا ويتأهبوا لكم ، قال ابن مسعود : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل : أتراهم يكونون مائة ؟ وهذا قبل التحام الحرب ، فلما التحم القتال كثر الله المؤمنين في أعين الكفار فبهتوا وهابوا ، وقلت شوكتهم ، ورأوا ما لم يكن في الحسبان ، وهذا من عظائم آيات الله في تلك الغزوة [ليقضي الله أمرا كان مفعولا] أى فعل ذلك فجرأ المؤمنين على الكافرين ، والكافرين على المؤمنين ، لتقع الحرب ويلتحم القتال ، وينصر الله جنده ، ويهزم الباطل وحزبه ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى

[وإلى الله ترجع الأمور] أى مصير الأمور كلها الى الله ، يصرفها كيف يريد ، لا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد ،

[يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا] هذا إرشاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى سبيل النصر في مبارزة الأعداء أى إذا لقيتم جماعة من الكفرة ، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا

[واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون] أى اكثروا من ذكر الله بألسنتكم ، لتستمطروا نصره وعونه وتفوزوا بالظفر عليهم

[وأطيعوا الله ورسوله] أى في جميع أقوالكم وأفعالكم ولا تخالفوا أمرهما في شيء

[ولا تنازعوا فتفشلوا] أى ولا تختلفوا فيما بينكم فتضعفوا وتجبنوا عن لقاء عدوكم

[وتذهب ريحكم] أى تذهب قوتكم وبأسكم ، ويدخلكم الوهن والخور

[واصبروا إن الله مع الصابرين] أى واصبروا على شدائد الحرب وأهوالها ، فإن الله مع الصابرين بالنصر والعون

[ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس] أى لا تكونوا ككفار قريش حين خرجوا لبدر عتوا وتكبرا ، وطلبا للفخر والثناء ، والآية إشارة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قول أبي جهل : (والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنشرب فيها الخمور ، وننحر الجزور ، وتعزف علينا القيان - المغنيات - وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدا) . . قال الطبري : فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان

[ويصدون عن سبيل الله] أى ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام

[والله بما يعملون محيط] أي وهو سبحانه عالم بجميع ذلك وسيجازيهم عليه

[وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم] أى واذكر حين حسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة ، من الشرك وعبادة الأصنام ، وخروجهم لحرب الرسول عليه السلام

[وقال لا غالب لكم اليوم من الناس] أى لن يغلبكم محمد وأصحابه

[وإني جار لكم] أى مجير ومعين لكم

[فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه] أى فلما تلاقى الفريقان ، ولى الشيطان هاربا موليا الأدبار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال إني بريء منكم] أى بريء من عهد جواركم ، وهذا مبالغة في الخذلان لهم

[إني أرى ما لا ترون] أي أرى الملائكة نازلين لنصرة المؤمنين وأنتم لا ترون ذلك ، وفي الحديث (ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ، ولا أدحر ، ولا أحقر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، إلا ما رأى يوم بدر ، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة ؟!) أى يصفها للحرب

[إني أخاف الله والله شديد العقاب] أى إني أخاف الله أن يعذبني لشدة عقابه ، قال ابن عباس : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ، في صورة " سراقه بن مالك " فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله قبضة من التراب ، فرمى بها وجوه المشركين ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام الى إبليس ، فلما راه - وكانت يده في يد رجل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين - انتزع يده ثم ولى مدبرا مع شيعته ، فقال الرجل : يا سراقة أتزعم أنك لنا جار ؟ فقال : إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله ، وكذب عدو الله ، فإنه علم إنه لا قوة له ولا منعة ، وذلك حين رأى الملائكة

[إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض] أي حين قال أهل النفاق الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر لضعف اعتقادهم بالله

[غر هؤلاء دينهم] أي اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به ، قال تعالى في جوابهم

[ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم] أى ومن يعتمد على الله ويثق به ، فإن الله ناصره ، لأن الله (عزيز) أى غالب لا يذل من استجار به ، (حكيم) في افعاله وصنعه

[ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة] أى لو رأيت وشاهدت أيها السامع حالتهم ببدر ، حين تقبض ملائكة العذاب أرواح الكفرة المجرمين ، وجواب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لو] محذوف للتهويل أى لرأيت أمرا فظيعا وشأنا هائلا ، قال ابو حيان : وحذف جواب (لو) جائز بليغ حذفه في مثل هذا ، لأنه يدل على التهويل والتعظيم أى لرأيت أمرا فظيعا لا يكاد يوصف

[يضربون وجوههم وأدبارهم] أي تضربهم الملائكة من أمامهم وخلفهم ، على وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد

[وذوقوا عذاب الحريق] أى ويقولون لهم : ذوقوا يا معشر الفجرة عذاب النار المحرق ، وهذه بشارة لهم بعذاب الآخرة ، وقيل : كانت معهم أسواط من نار يضربونهم بها فتشتعل جراحاتهم نارا

[ذلك بما قدمت أيديكم] أي ذلك العذاب بسبب ما كسبتم من الكفر والآثام

[وأن الله ليس بظلام للعبيد] أى وانه تعالى عادل ، لا يظلم أحدا من العباد فيعذبه بغير ذنب ، وصيغة [ظلام] ليست للمبالغة وإنما هي للنسب ، أى ليس منسوبا إلى الظلم ، فقد انتفى أصل الظلم عنه تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتدبره

[كدأب آل فرعون والذين من قبلهم] أى حال هؤلاء الكفرة في الإجرام ، يعنى عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه ، كعمل وطريق آل فرعون ومن تقدمهم من الأمم ، كقوم (نوح وعاد وثمود) في العناد والتكذيب ، والكفر والإجرام

[كفروا بآيات الله] أي جحدوا ما جاءهم به الرسل من عند الله

[فأخذهم الله بذنوبهم] أى أهلكهم بكفرهم وتكذيبهم

[إن الله قوي شديد العقاب] أى قوي البطش شديد العذاب ، لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب

[ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم] أى ذلك الذي حل بهم من العذاب ، بسبب أن الله عادل في حكمه ، لا يغير نعمة أنعمها على أحد ، إلا بسبب ذنب ارتكبه ، وأنه لا يبدل النعمة بالنقمة

[حتى يغيروا ما بأنفسهم] أى حتى يبدلوا نعمة الله بالكفر والعصيان ، كتبديل كفار قريش نعمة الله عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، من الخصب والسعة والأمن والعافية ، بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ، قال السدي : نعمة الله على قريش (محمد) (ص) فكفروا به وكذبوه ، فنقله الله الى المدينة ، وحل بالمشركين العقاب "

[وأن الله سميع عليم] أى وأنه سبحانه (سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون

[كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم] كرره لزيادة التشنيع والتوبيخ على إجرامهم أى شأن هؤلاء وحالهم كشأن وحال المكذبين السابقين ، حيث غيروا حالهم ، فغير الله نعمته عليهم

[فأهلكناهم بذنوبهم] أى أهكلناهم بسبب ذنوبهم ، بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالحجارة ، وبعضهم بالغرق ، ولهذا قال تعالى

[وأغرقنا آل فرعون] أى أغرقنا فرعون وقومه معه

[وكل كانوا ظالمين] أى وكل من الفرق المكذبة ، كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي ، حيث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عرضوها للعذاب

[إن شر الدواب عند الله] أى شر من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه

[الذين كفروا فهم لا يؤمنون] أى الذين اصروا على الكفر ورسخوا فيه ، فهم لا يتوقع منهم إيمان لذلك ، قال ابن عباس : نزلت في " بني قريظة ، من اليهود ، منهم (كعب بن الأشرف) وأصحابه عاهدهم رسول الله (ص) ألا يحاربوه فنقضوا العهد

[الذين عاهدت منهم] أى الذين عاهدتهم يا محمد على ألا يعينوا المشركين

[ثم ينقضون عهدهم في كل مرة] أى يستمرون على النقض مرة بعد مرة

[وهم لا يتقون] أى لا يتقون الله في نقض العهد ، قال المفسرون : كان رسول الله (ص) قد عاهد يهود (بني قريظة) ألا يحاربوه ولا يعاونوا عليه المشركين ، فنقضوا العهد ، وأعانوا عليه كفار مكة بالسلاح يوم بدر ، ثم قالوا : نسينا وأخطأنا ، فعاهدهم مرة أخرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنقضوا العهد ومالئوا الكفار يوم الخندق
[فإما تثقفنهم في الحرب] أى فإن تظفر بهم في الحرب
[فشرد بهم من خلفهم] أى فاقتلهم ، ونكل بهم تنكيلا شديدا ، يشرد غيرهم من الكفرة المجرمين
[لعلهم يذكرون] أى لعلهم يتعظون بما شاهدوا فيرتدعوا ، والمعنى : اجعلهم عبرة لغيرهم ، حتى لا يبقى لهم قوة على محاربتك
[وإما تخافن من قوم خيانة] أى وإن أحسست يا محمد من قوم معاهدين خيانة للعهد ، ونكثا بأمارات ظاهرة
[فانبذ إليهم على سواء] أى اطرح اليهم عهدهم على بينة ووضوح من الأمر ، قال النحاس : هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله ، على اختصاره وكثرة معانيه ، والمعنى : وإما تخافن من قوم - بينك وبينهم عهد - خيانة فانبذ اليهم العهد أى قل لهم قد نبذت إليكم عهدكم ، وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء ، ولا تقاتلهم وبينك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبينهم عهد ، وهم يثقون بك ، فيكون ذلك خيانة وغدرا

[إن الله لا يحب الخائنين] وهذا كالتعليل للأمر بنبذ العهد أى لا يحب من ليس عنده وفاء ولا عهد

[ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا] أى لا يظنن هؤلاء الكفار أنهم فاتونا ، وأننا لا نقدر عليهم ، بل هم في قبضتنا ، وتحت مشيئتنا وقهرنا

[إنهم لا يعجزون] كلام مستأنف أى إنهم لا يعجزون ربهم ، بل هو قادر على الانتقام منهم في كل لحظة وحين ، لا يعجزه أحد من الخلق

[وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة] أى أعدوا لقتال أعدائكم جميع أنواع القوة : (المادية ، والمعنوية) ، قال الشهاب : وإنما ذكر القوة هنا لأنه لم يكن لهم في بدر استعداد تام ، فنبهوا على أن النصر من غير استعداد لا يأتي في كل زمان

[ومن رباط الخيل] أي الخيل التى تربط في سبيل الله

[ترهبون به عدو الله وعدوكم] أى تخيفون بتلك القوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفار ، أعداء الله وأعداءكم

[وآخرين من دونهم] أى وترهبون به آخرين غيرهم ، قال ابن زيد : هم " المنافقون " وقال مجاهد : هم اليهود من بني قريظة ، والأول أصح لقوله

[لا تعلمونهم الله يعلمهم] أى لا تعلمون ما هم عليه من النفاق ، ولكن الله يعلمهم

[وما تنفقوا من شيء في سبيل الله] أى وما تنفقوا في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات

[يوف إليكم] أى تعطون جزاءه وافيا كاملا يوم القيامة

[وأنتم لا تظلمون] أى لا تنقصون من ذلك الأجر شيئا.

البلاغة :

---

1 - [من شيء] التنكير للتقليل أى ولو كان شيئا زهيدا .

2 - [على عبدنا] ذكره (ص) بلفظ (العبودية)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإضافته إلى (الله) للتشريف والتكريم .

3 - [بالعدوة الدنيا] بين لفظ " الدنيا " و " القصوى " طباق .

4 - [ليهلك ويحيا] استعار الهلاك والحياة للكفر والإيمان ، وبين " يهلك ، و " يحيا " طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

5 - [وتذهب ريحكم] أى تذهب قوتكم وشوكتكم وهو من باب الاستعارة أيضا .

تنبيه :

يأمرنا الله تعالى بإعداد القوة لقتال الأعداء ، وقد جاء التعبير عاما [من قوة] ليشمل القوة المادية ، والقوة الروحية ، وجميع أسباب القوة ، وقد قصر المسلمون في هذا الواجب ، فلم يعدوا العدة ، فكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية ، وهو لا يرى عندنا معامل للأسلحة ، وذخائر للحرب ، بل كلها مما يشتريه المسلمون من بلاد العدو ؟ فلا بد لنا من العودة إلى تعاليم الإسلام ، إذا ما أردنا حياة العزة والكرامة ، بأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعتمد في السلاح على أنفسنا

قال الله تعالى : [وإن جنحوا للسلم فاجنح لها. . إلى. . إن الله بكل شيء عليم] من آية (61) إلى آية (75) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما أمر الله تعالى بإعداد العدة لإرهاب الأعداء ، أمر هنا بالسلم بشرط العزة والكرامة ، متى وجد السبيل إليه ، لأن الحرب ضرورة اقتضتها ظروف الحياة ، لرد العدوان ، وحرية الأديان ، وتطهير الأرض من الظلم والطغيان ، ثم تناولت الكريمة حكم الأسرى ، وختمت السورة بوجوب مناصرة المؤمنين بعضهم لبعض ، بسبب الولاية الكاملة وأخوة الإيمان بين فئات المسلمين .

اللغة :

[جنح] مال يقال : جنح الرجل إلى فلان إذا مال إليه وخضع له ، وجنحت الإبل : إذا مالت أعناقها في السير ، ومنه قيل للأضلاع جوانح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[السلم] المسالمة والصلح ، قال الزمخشري : وهي تؤنث تأنيث ضدها وهي الحرب ، قال الشاعر : السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع

[حرض] التحريض : الحث على الشيء وتحريك الهمة نحوه كالتحضيض

[يثخن] قال الواحدي : الإثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته ، يقال : قد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه ، وأثخنته الجراح ، والثخانة : الغلظة ، والمراد بالإثخان هنا المبالغة في القتل والجراحات.

سبب النزول :

ا - عن عمر رضي الله عنه قال : لما هزم الله المشركين يوم بدر ، وقتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون ، استشار النبي أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة ، وإني أرى ان تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله : ما ترى يا ابن الخطاب ! قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن (عليا) من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن (حمزة) من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة على المشركين ، هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوي رسول الله (ص) ما قال (أبو بكر) ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد ، غدوت إلى رسول الله ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان ، فقلت يا رسول الله : أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت ، فقال (ص) : (أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء ، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) لشجرة قريبة ، فأنزل الله [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . . .] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - لما وقع العباس عم النبي (ص) في الأسر كان معه (عشرون أوقية) من ذهب ، فلم تحسب له من فدائه ، وكلف أن يفدي ابني أخيه ، فأدى عنهما (ثمانين اوقية من ذهب) وقال النبي (ص) " أضعفوا على العباس الفداء " فأخذوا منه ثمانين أوقية ، فقال العباس لرسول الله (ص) : لقد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت ! ! أى أحتاج إلى معونتهم وسؤالهم . . فقال له (ص) : وأين الذهب الذي تركته عند أم الفضل ؟ فقال : أى الذهب ؟ فقال : إنك قلت لها : إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولولدك ، فقال ابن أخي : من أخبرك بهذا ؟ قال : الله أخبرني ! ! فقال العباس : أشهد أنك صادق ، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم ، وأمر ابني أخيه فأسلما ففيهما نزلت [يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى . .] الآية. . قال العباس : فأعطاني الله مكان العشرين أوقية عشرين عبدا ، كلهم في يده مال يضرب به أى يتاجر به وربحه لي ، مع ما أرجو من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مغفرة الله عز وجل

التفسير :

[وإن جنحوا للسلم فاجنح لها] أى إن مالوا إلى الصلح والمهادنة ، فمل إليه وأجبهم إلى ما طلبوا إن كان فيه مصلحة

[وتوكل على الله] أى فوض الأمر إلى الله ، ليكون عونا لك على السلامة

[إنه هو السميع العليم] أى هو سبحانه السميع لأقوالهم العليم بنياتهم

[وإن يريدوا أن يخدعوك] أي وإن أرادوا بالصلح خداعك ليستعدوا لك

[فإن حسبك الله] أى فإن الله يكفيك وهو حسبك . . ثم ذكره بنعمته عليه فقال

[هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين] أى قواك وأعانك بنصره ، وشد أزرك بالمؤمنين ، قال ابن عباس : يعنى الأنصار

[وألف بين قلوبهم] أى جمع بين قلوبهم على ما كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينهم من العداوة والبغضاء ، فأبدلهم بالعداوة حبا ، وبالتباعد قربا ، قال القرطبي : وكان تأليف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب ، من آيات النبي (ص) ومعجزاته ، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عليها ، وكان أشد خلق الله حمية ، فألف الله بينهم بالإيمان ، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين

[لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم] أى لو أنفقت في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال ، ما قدرت على تأليف قلوبهم ، واجتماعها على محبة بعضها بعضا

[ولكن الله ألف بينهم] أى ولكنه سبحانه بقدرته البالغة ، جمع بينهم ووفق ، فإنه المالك للقلوب ، يقلبها كيف يشاء

[إنه عزيز حكيم] أى غالب على أمره لا يفعل شيئا إلا عن حكمة

[يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين] أى الله وحده كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أحد ، وقال الحسن البصري : المعنى حسبك أي كافيك الله والمؤمنون ((القول الأول معناه : حسبك الله وحده وحسب أتباعك وقد اختاره الزمخشري ونصره ابن القيم في مقدمة " زاد المعاد " بأدلة مقنعة ، والقول الثاني معناه : يكفيك الله والمؤمنون الذين معك ، روي عن مجاهد والحسن البصري واختاره السيوطي والمحلي في تفسير الجلالين ، والأول أرجح ، والله أعلم))

[يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال] أى حض المؤمنين ورغبهم بكل جهدك على قتال المشركين

[إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين] قال ابو السعود : هذا وعد كريم منه تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم والمعنى : إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابرون على شدائد الحرب ، يغلبوا مائتين من عدوهم ، بعون الله وتأييده

[وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا] أى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإن يوجد منكم مائة - بشرط الصبر عند اللقاء - تغلب ألفا من الكفار بمشيئة الله

[بأنهم قوم لا يفقهون] الباء سببية أى سبب ذلك بأن الكفار قوم جهلة ، لا يفقهون حكمة الله ، ولا يعرفون طريق النصر وسببه ، فهم يقاتلون على غير احتساب ، ولا طلب ثواب ، فلذلك يغلبون ، قال ابن عباس : كان ثبات الواحد للعشرة فرضا ، ثم لما شق ذلك عليهم نسخ ، وأصبح ثابت الواحد للاثنين فرضا

[الآن خفف الله عنكم] أى رفع عنكم ما فيه مشقة عليكم

[وعلم أن فيكم ضعفا] أي وعلم ضعفكم فرحمكم في أمر القتال

[فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين] أى إن يوجد منكم مائة صابرة على الشدائد يتغلبوا على مائتين من الكفرة

[وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين] أى وإن يوجد منكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألف صابرون في ساحة اللقاء ، يتغلبوا على ألفين من الأعداء

[بإذن الله] أى بتيسيره وتسهيله

[والله مع الصابرين] هذا ترغيب في الثبات وتبشير بالنصر أى والله معهم بالحفظ والرعاية والنصرة ، ومن كان الله معه فهو الغالب

[ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض] عتاب للنبي (ص) وأصحابه على أخذ الفداء والمعنى : لا ينبغي لنبى من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى ، إلا بعد أن يكثر القتل ويبالغ فيه

[تريدون عرض الدنيا] أى تريدون أيها المؤمنون بأخذ الفداء حطام الدنيا ومتاعها الزائل ؟

[والله يريد الآخرة] أى يريد لكم الباقي الدائم ، وهو ثواب الآخرة ، بإعزاز دينه وقتل اعدائه

[والله عزيز حكيم] أى (عزيز) في ملكه ، لا يقهر ولا يغلب (حكيم) في تدبير مصالح العباد

[لولا كتاب من الله سبق] أى لولا حكم الله السابق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو الا يعذب المخطىء في اجتهاده

[لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم] أى أصابكم في أخذ الفداء من الأسرى عذاب عظيم ، وروي أنها لم أنزلت قال عليه السلام " لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر "

[فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا] أى كلوا يا معشر المجاهدين مما اصبتموه من أعدائكم من الغنائم في الحرب ، حال كونه حلالا أى محللا لكم [طيبا] أي من أطيب المكاسب ، لأنه ثمرة جهادكم ، وفي الصحيح " وجعل رزقي تحت ظل رمحي "

[واتقوا الله] أى خافوا الله في مخالفة أمره ونهيه

[إن الله غفور رحيم] أى مبالغ في المغفرة لمن تاب ، رحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم

[يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى] أى قل لهؤلاء الذين وقعوا في الأسر من الأعداء ، والمراد بهم أسرى بدر

[إن يعلم الله في قلوبكم خيرا] أى إن يعلم الله في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلوبكم إيمانا وإخلاصا ، وصدقا في دعوى الإيمان [يؤتكم خيرا مما أخذ منكم] أى يعطكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء

[ويغفر لكم] أى يمحو عنكم ما سلف من الذنوب

[والله غفور رحيم] أى واسع المغفرة ، عظيم الرحمة لمن تاب وأناب ، قال البيضاوي : نزلت في العباس رضي الله عنه حين كلفه رسول الله (ص) أن يفدي نفسه وابني أخويه " عقيل " و " نوفل " فقال يا محمد : تركتني أتكفف قريشا ما بقيت ، فقال : أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها : إني لا أدري ما يصيبني في جهتي هذه ، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعيالك ! ! فقال العباس : ما يدريك ؟ قال : أخبرني به ربي تعالى ، قال : فأشهد أنك صادق ، وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله ، والله لم يطلع عليه أحد ، ولقد دفعته إليها في سواد الليل ! ! قال العباس : فأبدلني الله خيرا من ذلك ، وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال مكة ، وأنا أنتظر المغفرة من ربي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- يعني الموعود - بقوله تعالى [ويغفر لكم]

[وإن يريدوا خيانتك] وإن كان هؤلاء الأسرى يريدون خيانتك يا محمد ، بما أظهروا من القول ودعوى الإيمان

[فقد خانوا الله من قبل] أى فقد خانوا الله تعالى قبل هذه الغزوة (غزوة بدر)

[فأمكن منهم] أى فقواك ونصرك الله عليهم ، وجعلك تتمكن من رقابهم ، فإن عادوا إلى الخيانة فسيمكنك منهم أيضا

[والله عليم حكيم] أى عالم بجميع ما يجري ، يفعل ما تقضي به حكمته البالغة

[إن الذين آمنوا] أى صدقوا الله ورسوله

[وهاجروا] أى تركوا وهجروا الديار والأوطان ، حبا في الله ورسوله

[وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله] أى جاهدوا الأعداء بالأموال والأنفس ، لإعزاز دين الله ، وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المهاجرون

[والذين آووا ونصروا] أى آووا المهاجرين في ديارهم ، ونصروا رسول الله وهم الأنصار

[أولئك بعضهم أولياء بعض] أى أولئك الموصوفون بالصفات الفاضلة بعضهم أولياء بعض في النصرة والإرث ، ولهذا آخى ، بين المهاجرين والأنصار

[والذين آمنوا ولم يهاجروا] أى آمنوا وأقاموا بمكة فلم يهاجروا إلى المدينة

[ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا] أى لا إرث بينكم وبينهم ولا ولاية ، حتى يهاجروا من بلد الكفر

[وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر] أى وإن طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين ، فعليكم أن تنصروهم على أعدائهم لانهم إخوانكم

[إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق] أي إلا إذا استنصروكم على من بينكم وبينهم عهد ومهادنة ، فلا تعينوهم عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله بما تعملون بصير] أي رقيب على أعمالكم فلا تخالفوا أمره . . ذكر تعالى المؤمنين وقسمهم إلى ثلاثة اقسام : (المهاجرون ، والأنصار ، والذين لم يهاجروا) ، فبدأ بالمهاجرين لأنهم أصل الإسلام ، وقد هجروا الديار والأوطان ابتغاء رضوان الله ، وثنى بالأنصار لأنهم نصروا الله ورسوله ، وجاهدوا بالنفس والمال ، وجعل بين المهاجرين والأنصار الولاية والنصرة ، ثم ذكر حكم المؤمنين الذين لم يهاجروا ، وبين أنهم حرموا الولاية حتى يهاجروا في سبيل الله . . وبعد ذكر هذه الأقسام الثلاثة ، ذكر تعالى حكم الكفار فقال سبحانه

[والذين كفروا بعضهم أولياء بعض] أى هم في الكفر والضلالة ملة واحدة ، فلا يتولاهم إلا من كان منهم

[إلا تفعلوه] أى وإن لم تفعلوا ما أمرتم به ، من تولي المؤمنين وقطع الكفار

[تكن فتنة في الأرض وفساد كبير] أى تحصل في الأرض فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة ، لأنه يترتب على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين ، ثم عاد بالذكر والثناء على المهاجرين والأنصار فقال سبحانه

[والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله] وهم المهاجرون أصحاب السبق إلى الإسلام

[والذين آووا ونصروا] وهم الأنصار أصحاب الإيواء والإيثار

[أولئك هم المؤمنون حقا] أى هؤلاء هم الكاملون في الإيمان ، المتحققون فى مراتب الإحسان

[لهم مغفرة ورزق كريم] أى لهم مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في جنات النعيم ، قال المفسرون : ليس في هذه الآيات تكرار ، فالآيات السابقة تضمنت (الولاية والنصرة) بين المؤمنين ، وهذه تضمنت (الثناء والتشريف) ، والرزق الكريم فى دار النعيم

[والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم] هذا قسم رابع وهم المؤمنون الذين هاجروا بعد الهجرة الأولى ، فحكمهم حكم المؤمنين السابقين في الثواب والأجر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله] أى أصحاب القرابات بعضهم أحق بإرث بعض من الأجانب في حكم الله وشرعه ، قال العلماء : هذه ناسخة للإرث بالحلف والأخاء

[إن الله بكل شيء عليم] أى أحاط بكل شيء علما ، فكل ما شرعه الله حكمة وصواب وصلاح ، لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد ، وهو ختم للسورة في غاية البراعة والإبداع !

البلاغة :

---

1 - [وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم] هذا الأسلوب يسمى ب " الإطناب " وفائدته التذكير بالمنة الكبرى والنعمة العظمى على الرسول والمؤمنين ، حيث جمعهم بعد شتات ، ونصرهم بعد ضعف ، وألف بين قلوبهم بالإيمان .

2 - [إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مائتين . .] الآيات قال في البحر : انظر إلى فصاحة هذا الكلام ، حيث أثبت قي الشرطية الأولى قيد الصبر ، وحذف نظيره من الثانية ، وأثبت في الثانية قيد كونهم من الكفرة ، وحذفه من الأولى ، ولما كان الصبر شديد الطلب أثبته في جملتي التخفيف ، ثم ختمت الآيات بقوله [والله مع الصابرين] مبالغة في شدة المطلوبية ، وهذا النوع من البديع يسمى " الاحتباك " . فلله در التنزيل ما أحلى فصاحته وأنضر بلاغته ! !

سورة التوبة

مدنية وآياتها تسع وعشرون ومائة

بين يدي السورة

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع ، وهي من أواخر ما نزل على رسول الله (ص) فقد روى البخاري عن البراء بن عازب أن آخر سورة نزلت سورة براءة ، وروى الحافظ ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير : أن أول هذه السورة نزلت على رسول الله (ص) عند مرجعه من غزوة تبوك ، وبعث أبا بكر الصديق أميرا على الحج تلك السنة ، ليقيم للناس مناسكهم ، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله (ص) ما فيها من الأحكام نزلت في (السنة التاسعة) من الهجرة ، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله (ص) لغزو الروم ، واشتهرت بين الغزوات النبوية ب (غزوة تبوك) وكانت في حر شديد ، وسفر بعيد ، حين طابت الثمار ، وأخلد الناس إلى نعيم الحياة ، فكانت إبتلاء لإيمان المؤمنين ، وامتحانا لصدقهم وإخلاصهم لدين الله ، وتمييزا بينهم وبين المنافقين . .

ولهذه السورة الكريمة هدفان أساسيان - إلى جانب الأحكام الأخرى - هما : أولا : بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين ، وأهل الكتاب . ثانيا : إظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول لغزو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الروم . " أما بالنسبة للهدف الأول فقد عرضت السورة إلى عهود المشركين فوضعت لها حدا ، ومنعت حج المشركين لبيت الله الحرام ، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين ، ووضعت الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في الجزيرة العربية ، وإباحة التعامل معهم ، وقد كان بين النبي (ص) والمشركين عهود ومواثيق ، كما كان بينه وبين أهل الكتاب عهود أيضا ، ولكن المشركين نقضوا العهود وتآمروا مع اليهود عدة مرات على حرب المسلمين ، وخانت طوائف اليهود " بنو النضير " و " بنو قريظة " و " بنو قينقاع " ما عاهدوا عليه رسول الله (ص) ونقضوا عهودهم مرات ومرات ، فلم يعد من الحكمة أن يبقى المسلمون متمسكين بالعهود وقد نقضها أعداؤهم ، فنزلت السورة الكريمة بإلغاء تلك العهود ونبذها إليهم على وضوح وبصيرة ، لأن الناكثين لا يتورعون عن الخيانة كلما سنحت لهم الفرصة ، وبذلك قطع الله تعالى ما بين المسلمين والمشركين من صلات ، فلا عهد ، ولا صلح ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعاهد ، ولا سلم ، ولا أمان ، بعد أن منحهم الله فرصة كافية هي السياحة في الأرض (أربعة أشهر) ينطلقون فيها آمنين ، ليتمكنوا من النظر والتدبر في أمرهم ، ويختاروا ما يرون فيه المصلحة لهم . . وفي ذلك نزل صدر السورة الكريمة [براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . .] الآيات . ثم تلتها الآيات في قتال الناقضين للعهود من أهل الكتاب [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. .] الآية ، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من عشرين آية ، كشف الله سبحانه فيها القناع عن خفايا أهل الكتاب ، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ، ومكر ، وحقد على الإسلام والمسلمين . " وعرضت السورة للهدف الثاني ، وهو شرح نفسيات المسلمين حين استنفرهم رسول الله (ص) لغزو الروم ، وقد تحدثت الآيات عن المتثاقلين منهم والمتخلفين ، والمثبطين وكشفت الغطاء عن فتن المنافقين ، باعتبار خطرهم الداهم على الإسلام والمسلمين ، وفضحت أساليب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفاقهم ، وألوان فتنتهم وتخذيلهم للمؤمنين ، حتى لم تدع لهم سترا إلا هتكته ، ولا دخيلة إلا كشفتها ، وتركتهم بعد هذا الكشف والإيضاح تكاد تلمسهم أيدي المؤمنين ، وقد استغرق الحديث عن المنافقين معظم السورة بدءا من قوله تعالى [لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك . .] إلى قوله تعالى [لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم] ولهذا سماها بعض الصحابة " الفاضحة " لأنها فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم ، قال سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال : تلك الفاضحة ، ما زال ينزل : (ومنهم) (ومنهم) ، حتى خفنا ألا تدع منهم أحدا ، وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال : إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحدا من المنافقين إلا نالت منه ، وهذا هو السر في عدم وجود البسملة فيها ، قال ابن عباس : سألت علي بن أبي طالب لم لم يكتب في براءة [بسم الله الرحمن الرحيم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

؟ قال : لأن [بسم الله الرحمن الرحيم] أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، ليس فيها أمان ، وقال سفيان بن عيينة : إنما لم تكتب البسملة في صدر هذه السورة ، لأن التسمية رحمة ، والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت بالمنافقين ، وبالسيف ، ولا أمان للمنافقين .

وبالجملة فإن هذه السورة الكريمة قد تناولت " الطابور الخامس " المندس بين صفوف المسلمين ألا وهم (المنافقون) الذين هم أشد خطرا من المشركين ، ففضحتهم وكشفت أسرارهم ومخازيهم ، وظلت تقذفهم

بالحمم حتى لم تبق منهم ديارا ، فقد وصل بهم الكيد في التآمر على الإسلام ، أن يتخذوا بيوت الله أوكارا للتخريب والتدمير ، وإلقاء الفتنة بين صفوف المسلمين ، في مسجدهم ، الذي عرف باسم (مسجد الضرار) وقد نزل في شأنه أربع آيات في هذه السورة [والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل . .] الآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يكد النبي (ص) يتلقى الوحي حتى قال لأصحابه : (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه) فهدموه وكفى الله الإسلام والمسلمين شرهم ، وكيدهم ، وخبثهم ، وفضحهم إلى يوم الدين .

التسمية :

تسمى هذه السورة بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسرين إلى أربعة عشر اسما ، قال العلامة الزمخشري : لهذه السورة عدة أسماء : (براءة ، والتوبة ، والمقشقشة ، والمبعثرة ، والمشردة ، والمخزية ، والفاضحة ، والمثيرة ، وا لحافرة ، والمنكلة ، والمدمدمة ، وسورة العذاب) قال : لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وهي تقشقش من النفاق أي تبرىء منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين ، وتبحث عنها ، وتثيرها وتحفر عنها ، وتفضحهم ، وتنكل بهم ، وتشردهم ، وتخزيهم ، وتدمدم عليهم .

تفسيرسورة التوبة

قال الله تعالى : [براءة من الله ورسوله إلى الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاهدتم من المشركين . . إلى . . أجر عظيم] من آية (1) إلى نهاية آية (22) .

اللغة :

[براءة] برئت من الشيء : إذا قطعت ما بينك وبينه من سبب وأزلته عن نفسك ، قال الزجاج : برئت من الرجل والدين براءة ، وبرئت من المرض بروءا

[فسيحوا] السياحة : السير في الأرض والذهاب فيها للتجارة أو العبادة أو غيرهما

[أذان] الأذان : الإعلام ومنه أذان الصلاة

[مرصد] المرصد : الموضع الذي يرقب فيه العدو من قولهم : رصدت فلانا إذا ترقبته قال الشاعر : إن المنية للفتى بالمرصد

[استجارك] طلب جوارك أى أمانك

[إلا] الإل : العهد والقرابة وأنشد أبو عبيدة : أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الإل وأعراف الرحم

[نكثوا] النكث : النقض وأصله في كل ما فتل ثم حل

[وليجة] بطانة ودخيلة ، قال أبو عبيدة : كل شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، وأصله من الولوج ، فالداخل في القوم وليس منهم يسمى وليجة وقال الفراء : الوليجة : البطانة من المشركين يفشي إليهم سره ، ويعلمهم أمره .

سبب النزول :

روي أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر ، وفيهم " العباس بن عبد المطلب " فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ، فعيروهم بالشرك ، وجعل (علي بن ابى طالب) يوبخ (العباس) بقتال رسول الله (ص) وقطيعة الرحم ، فقال العباس : ما لكم تذكرون مساوءنا وتكتمون محاسننا ؟ فقال : وهل لكم من محاسن ؟ فقال : نعم ، إنا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ، ونسقي الحجيج ، ونفك العانى - الأسير - فنزلت هذه الآية [ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر . .] الآية.

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين] أى هذه براءة من المشركين ومن عهودهم كائنة من الله ورسوله ، قال المفسرون : أخذت العرب تنقض عهودا عقدتها مع رسول الله (ص) فأمره الله بإلقاء عهودهم إليهم ، فبعث رسول الله (ص)(أبا بكر) أميرا على الحج ، ليقيم للناس المناسك ، ثم أتبعه (عليا) ليعلم الناس بالبراءة ، فقام علي فنادى في الناس بأربع : (ألا يقرب البيت الحرام بعد العام مشرك ، وألا يطوف بالبيت عريان ، وأنه لا يدخل الجنة إلا مسلم ، ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسوله

[فسيحوا في الأرض أربعة أشهر] أي سيروا آمنين أيها المشركون مدة أربعة أشهر ، لا يقع عليكم منا مكروه ، وهو أمر إباحة وفي ضمنه تهديد

[واعلموا أنكم غير معجزي الله] أى لا تفوتونه تعالى وإن أمهلكم هذه المدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأن الله مخزي الكافرين] أى مذلهم في الدنيا بالأسر والقتل ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد

[وأذان من الله ورسوله الى الناس] أى إعلام إلى كافة الناس ، بتبرىء الله تعالى ورسوله من المشركين

[يوم الحج الأكبر] أى يوم عرفة الذي هو أفضل أيام المناسك . . وصف تعالى الحج (بالأكبر) لأن العمرة تسمى (الحج الاصغر)

[أن الله بريء من المشركين ورسوله] أى إعلام لهم بأن الله بريء من المشركين وعهودهم ، ورسوله بريء منهم أيضا

[فإن تبتم فهو خير لكم] أى فإن تبتم عن الكفر ورجعتم إلى توحيد الله فهو خير لكم من التمادي في الضلال

[وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله] أى وإن أعرضتم عن الإسلام ، وأبيتم إلا الإستمرار على الغي والضلال ، فاعلموا أنكم لا تفوتون الله طلبا ، ولا تعجزونه هربا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبشر الذين كفروا بعذاب أليم] أى بشر الكافرين بعذاب مؤلم موجع يحل بهم . . جعل الإنذار بشارة على سبيل الإستهزاء بهم ، وفي هذا وعيد عظيم لهم

[إلا الذين عاهدتم من المشركين] أى إلا الذين عاهدتموهم ولم ينقضوا العهد فأتموا إليهم عهدهم ، وهو استثناء بمعنى الاستدراك أى لكن من وفى ولم ينكث فأتموا إليهم عهدهم ، ولا تجروهم مجراهم ، ولا تجعلوا الوفى كالغادر

[ثم لم ينقصوكم شيئا] أى لم ينقصوا من شروط الميثاق شيئا

[ولم يظاهروا عليكم أحدا] أى لم يعينوا عليكم أحدا من أعدائكم

[فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم] أى وفوا العهد كاملا إلى انقضاء مدته

[إن الله يحب المتقين] أى يحب المتقين لربهم ، الموفين لعهودهم ، قال البيضاوي : هذا تعليل وتنبيه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان قد بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر ، فأتم (ص) إليهم عهدهم

[فإذا انسلخ الأشهر الحرم] أى مضت وخرجت الأشهر الأربعة التي حرم فيها قتالهم

[فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم] أى اقتلوهم في أى مكان أو زمان من حل او حرم ،

[وخذوهم] أي بالأسر

[واحصروهم] أى احبسوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد ، قال ابن عباس : ان تحصنوا فاحصروهم أى في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل او الإسلام

[واقعدوا لهم كل مرصد] اي اقعدوا لهم في كل طريق يسلكونه ، وارقبوهم في كل ممر يجتازون منه في أسفارهم ، وهذا تنبيه على أن المقصود إيصال الأذى إليهم بكل وسيلة بطريق القتال أو بطريق الاغتيال

[فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة] أى فإن تابوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الشرك وأدوا ما فرض عليهم من الصلاة والزكاة

[فخلوا سبيلهم] أى كفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم

[إن الله غفور رحيم] أى واسع المغفرة والرحمة لمن تاب وأناب

[وإن أحد من المشركين استجارك] أى ان استأمنك مشرك وطلب منك جوارك

[فأجره حتى يسمع كلام الله] أى أمنه حتى يسمع القرآن ويتدبره ، قال الزمخشري : المعنى إن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر ، لا عهد بينك وبينه ، واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر أقول : هذا غاية في حسن المعاملة وكرم الأخلاق ، لأن المراد ليس النيل من الكافرين ، بل إقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه ، ويتركوا ما هم عليه من الضلال

[ثم أبلغه مأمنه] أى ثم إن لم يسلم فأوصله إلى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله ، من غير غدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا خيانة

[ذلك بأنهم قوم لا يعلمون] أى ذلك الأمر بالإجارة للمشركين ، بسبب أنهم لا يعلمون حقيقة دين الإسلام ، فلا بد من أمانهم حتى يسمعوا ويتدبروا . . ثم بين تعالى الحكمة من البراءة من عهود المشركين فقال

[كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله] استفهام بمعنى الإنكار والإستبعاد ، أى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله ورسوله ؟ ثم استدرك فقال [إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام] أى لكن من عاهدتم من المشركين عند المسجد الحرام ولم ينقضوا العهد ، قال ابن عباس : هم (أهل مكة) وقال ابن اسحاق : هم (قبائل بنى بكر) كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله ، وبين قريش ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده منهم [فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم] أى فما داموا مستقيمين على عهدهم فاستقيموا لهم على العهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله يحب المتقين] أى يحب من اتقى ربه ، ووفى عهده ، وترك الغدر والخيانة

[كيف وإن يظهروا عليكم] تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أى كيف يكون لهم عهد وحالهم هذه أنهم إن يظفروا بكم

[لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة] أى لا يراعوا فيكم عهدا ولا ذمة ، لأنه لا عهد لهم ولا أمان ، قال ابو حيان : وهذا كله تقرير واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد

[يرضونكم بأفواههم] أى يرضونكم بالكلام الجميل إن كان الظفر لكم عليهم

[وتأبى قلوبهم] أى وتمتنع قلوبهم من الإذعان والوفاء بما أظهروه ، قال الطبري : المعنى يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء ، وتأبى قلوبهم أن يذعنوا بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم

[وأكثرهم فاسقون] أى واكثرهم ناقضون للعهد خارجون عن طاعة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا] أى استبدلوا بالقرآن عرضا يسيرا من متاع الدنيا الخسيس

[فصدوا عن سبيله] أى منعوا الناس عن اتباع دين الإسلام

[إنهم ساء ما كانوا يعملون] أى بئس هذا العمل القبيح الذي عملوه

[لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة] أى لا يراعون في قتل مؤمن لو قدروا عليه عهدا ولا ذمة

[وأولئك هم المعتدون] أى وأولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة ، هم المجاوزون الحد في الظلم والبغي

[فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة] أى فإن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وأعطوا الزكاة

[فإخوانكم في الدين] أى فهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم ، وعليهم ما عليكم

[ونفصل الآيات لقوم يعلمون] أى ونبين الحجج والأدلة لأهل العلم والفهم ، والجملة اعتراضية للحث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على التدبر والتأمل

[وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم] أى وإن نقضوا عهودهم الموثقة بالأيمان

[وطعنوا في دينكم] أى عابوا الإسلام بالقدح والذم

[فقاتلوا أئمة الكفر] أى قاتلوا رؤساء وصناديد الكفر

[إنهم لا أيمان لهم] أى لا أيمان لهم ولا عهود يوفون بها

[لعلهم ينتهون] أى كي يكفوا عن الإجرام ، وينتهوا عن الطعن في الإسلام ، وهو متعلق بقوله (قاتلوا) أى ليكن غرضكم في المقاتلة الإنتهاء عما هم عليه ، لا إيصال الأذية بهم ، كما هي طريقة المؤذين

[ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم] تحريض على قتالهم أى ألا تقاتلون يا معشر المؤمنين قوما نقضوا العهود وطعنوا في دينكم ؟

[وهموا بإخراج الرسول] أى عزموا على تهجير الرسول (ص) من مكة حين تشاوروا بدار الندوة على إخراجه من الوطن ، او قتله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم بدءوكم أول مرة] أى هم البادئون بالقتال حيث قاتلوا حلفاءكم (خزاعة) ، والبادىء أظلم ، فما يمنعكم أن تقاتلوهم ؟

[اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه] ؟ أى أتخافونهم فتتركون قتالهم ، خوفا على انفسكم منهم ؟ فالله أحق أن تخافوا عقوبته إن تركتم أمره

[إن كنتم مؤمنين] أي إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه ، فقضية الإيمان الصحيح ألا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه . . ثم بعد الحض والحث أمرهم بقتالهم صراحة فقال سبحانه

[قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم] اي قاتلوهم يا معشر المؤمنين ، فقتالكم لهم عذاب بأيدي أولياء الله ، وجهاد لمن قاتلهم

[ويخزهم] اي يذلهم بالأسر والقهر

[وينصركم عليهم] أى يمنحكم الظفر والغلبة عليهم

[ويشف صدور قوم مؤمنين] اي يشف قلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين بإعلاء دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم ، قال ابن عباس : هم قوم من اليمن قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا ، فشكوا إلى رسول الله (ص) فقال : أبشروا فإن الفرج قريب

[ويذهب غيظ قلوبهم] أى يذهب ما بها من غيظ ، وغم ، وكرب ، وهو كألتاكيد لشفاء الصدور ، وفائدته المبالغة في جعلهم مسرورين بما يمن الله عليهم من تعذيب أعدائهم ، أمر تعالى بقتالهم ، وذكر فيه خمسة أنواع من الفوائد ، وهي (إذلالهم ، وتعذيبهم ، والإنتصار عليهم ، وشفاء صدور المؤمنين ، وإذهاب غيظ القلوب) كل واحد منها يعظم موقعه إذا إنفرد ، فكيف بها إذا اجتمعت

[ويتوب الله على من يشاء] كلام مستأنف أى يمن الله على من يشاء منهم بالتوبة والدخول في الإسلام كأبي سفيان

[والله عليم حكيم] أى عالم بالأسرار لا تخفى عليه خافية ، (حكيم) لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابو السعود : ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على أجمل ما يكون ، فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة

[ام حسبتم ان تتركوا] ام منقطعة بمعنى (بل) اي بل اظننتم يا معشر المؤمنين ان تتركوا بغير امتحان وابتلاء ، يعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه ؟

[ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم] أى والحال انه لم يتبين المجاهد منكم من غيره ، والمراد بالعلم هنا : (علم ظهور) لا علم خفاء ، فانه تعالى يعلم ذلك غيبا ، فاراد اظهار ما علمه ليجازي على العلم

[ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة] أى جاهدوا في سبيل الله ولم يتخذوا بطانة واولياء من المشركين ، يفشون اليهم اسرارهم ويوالونهم من دون المؤمنين . . والغرض من الاية : ان الله تعالى لا يترك الناس دون تمحيص ، يظهر فيه الطيب من الخبيث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله خبير بما تعملون] أى يعلم جميع اعمالكم ، لا يخفى عليه شيء منها

[ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله] أى لا يصح ولا يستقيم ولا يليق بالمشركين ان يعمروا شيئا من المساجد

[شاهدين على انفسهم بالكفر] أى حال كونهم مقرين بالكفر ، ناطقين به باقوالهم وافعالهم ، حيث كانوا يقولون في تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، بملكه وما ملك) يعنون الاصنام ، وكانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت ، وكانوا يطوفون عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام والمعنى : لا يصح لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين : عمارة مساجد الله ، مع الكفر بالله وبعبادته

[اولئك حبطت اعمالهم] أى بطلت اعمالهم بما قارنها من الشرك

[وفي النار هم خالدون] أى ماكثون في نار جهنم ابدا

[انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر] اي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انما تستقيم عمارة المساجد وتليق بالمؤمن المصدق بوحدانية الله ، الموقن بالاخرة

[واقام الصلاة واتى الزكاة] أى اقام الصلاة المكتوبة بحدودها ، وادى الزكاة المفروضة بشروطها

[ولم يخش الا الله] اي خاف الله ولم يرهب احدا سواه

[فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين] أى فعسى ان يكونوا في زمرة المهتدين يوم لقيامة ، قال ابن عباس : كل " عسى " في القران واجبة قال الله لنبيه [عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا] يقول : ان ربك سيبعثك مقاما محمودا وهي الشفاعة وقال ابو حيان : و(عسى) من الله تعالى واجبة حيثما وقعت في القرآن ، وفي التعبير بعسى قطع لاطماع المشركين أن يكونوا مهتدين ، اذ من جمع هذه الخصال الاربعة ، جعل حاله حال من ترجى له الهداية ، فكيف بمن هو عار منها ؟ وفيه ترجيح الخشية على الرجاء ، ورفض الاغترار بالاعمال الصالحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله] الخطاب للمشركين والاستفهام للانكار والتوبيخ والمعنى : اجعلتم يا معشر المشركين سقاية الحجيج ، وسدانة البيت ، كإيمان من امن بالله وجاهد في سبيله ؟ وهو رد على العباس حين قال : (لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة ، فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي الحاج) فنزلت ، قال الطبري : هذا توبيخ من الله تعالى لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت الحرام ، فاعلمهم ان الفخر في الايمان بالله ، واليوم الاخر ، والجهاد في سبيله

[لا يستوون عند الله] أى لا يتساوى المشركون بالمؤمنين ، ولا اعمال اولئك باعمال هولاء ومنازلهم

[والله لا يهدي القوم الظالمين] هذا كالتعليل أى لا يوفق الظالمين الى معرفة الحق ، ومعنى الاية : انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين ، واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة ، ولما نفى المساواة بينهم ، اوضحها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بان الكافرين بالله هم (الظالمون) ظلموا انفسهم بعدم الايمان ، وظلموا المسجد الحرام ، اذ جعلوه متعبدا لاوثانهم ، واثبت للمؤمنين الهداية في الاية السابقة ، ونفاها عن المشركين هنا فقال [والله لا يهدي القوم الظالمين] ثم قال تعالى :

[الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله] هذا زيادة توضيح وبيان لاهل الجهاد والايمان والمعنى : ان الذين طهروا انفسهم من دنس الشرك بالايمان ، وطهروا ابدانهم بالهجرة من الاوطان ، وبذلوا انفسهم واموالهم للجهاد في سبيل الرحمن ، هؤلاء المتصفون بالاوصاف الجليلة اعظم اجرا ، وارفع ذكرا من سقاة الحاج ، وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون [واولئك هم الفائزون] أى وأولئك هم المختصون بالفوز العظيم في جنات النعيم

[يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان] أى يبشرهم المولى برحمة عظيمة ، ورضوان كبير من رب عظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجنات لهم فيها نعيم مقيم] أى وبساتين عالية ، قطوفها دانية ، لهم في تلك الجنات نعيم دائم لا زوال له

[خالدين فيها ابدا] أى ماكثين في الجنان الى ما لا نهاية

[ان الله عنده اجر عظيم] أى ثوابهم عند الله عظيم ، تعجز العقول عن وصفه ، قال ابو حيان : لما وصف المؤمنين بثلاث صفات : (الايمان ، والهجرة ، والجهاد بالنفس والمال) ، قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاثة : (الرحمة ، والرضوان ، والجنان) ، فبدأ بالرحمة لانها اعم النعم في مقابلة الايمان ، وثنى بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة الجهاد ، وثلث بالجنان في مقابلة الهجرة وترك الاوطان وقال الالوسي : ولا يخفى ان وصف الجنات بأن لهم فيها نعيم مقيم ، جاء في غاية اللطافة ، لان الهجرة فيها السفر ، الذي هو قطعة من العذاب .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - [براءة من الله ورسوله] التنوين للتفخيم والتقييد بأنها من الله ورسوله لزيادة التفخيم والتهويل .

2 - [وبشر الذين كفروا بعذاب اليم] هذا يسمى (الاسلوب التهكمي) لان البشارة بالعذاب تهكم به .

---

3 - [فاذا انسلخ الاشهر الحرم] استعارة لطيفة ، شبه مضي الاشهر وانقضاءها بالانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده ، واستعار الانسلاخ للمضى والانقضاء .

4 - [والله عليم حكيم] ذكر الاسم الجليل مكان الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة في القلب .

5 - [وأولئك هم الفائزون] الجملة مفيدة للحصر أى هم الفائزون لا غيرهم ، فهو من باب قصر (صفة على موصوف) .

6 - [وأقام الصلاة وآتى الزكاة] في تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر تفخيم لشأنهما وحث على التنبه لهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - [برحمة منه ورضوان] تنكير ألرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم أى برحمة لا يبلغها وصف واصف .

فائدة :

عمارة المساجد نوعان : حسية ، ومعنوية ، فالحسية بالتشييد والبناء ، والمعنوية بالصلاة وذكر الله ، وقد ربط الباري جل وعلا بين العمارة والايمان ، وفي الحديث (اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بألايمان لأن الله تعالى يقول [انما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الاخر] فالعمارة الحقيقية بالصلاة وذكر الله .

لطيفة :

ذكر القرطبي ان اعرابيا قدم المدينة المنورة فقال : من يقرئني مما انزل على محمد (ص) فأقرأه رجل سورة براءة حتى اتى الاية الكريمة [أن الله بريء من المشركين ورسوله] فقرأها عليه بالجر و " رسوله " فقال الاعرابي : وانا ايضا ابرأ من رسوله ، فاستعظم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس الامر وبلغ ذلك عمر فدعاه فقال يا اعرابي : اتبرأ من رسول الله (ص) ؟ فقال يا أمير المؤمنين : قدمت المدينة فأقرأني رجل سورة براءة فقلت : ان يكن الله برىء من رسوله فانا ابرأ منه ، فقال : ما هكذا الاية يا اعرابي ؟ قال : فكيف يا امير المومنين ! فقرأها عليه بالضم [ورسوله] فقال الاعرابي : وانا والله ابرأ مما برىء الله ورسوله منه ، فامر عمر الا يقرىء الناس الا عالم بلغة العرب .

قال الله تعالى : [يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء . . الى . . ولو كره المشركون] من اية (23) الى نهاية اية (33) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قبائح المشركين ، واثنى على المهاجرين المؤمنين ، الذين هجروا الديار والاوطان حبا في الله ورسوله ، حذر هنا من ولاية الكافرين ، وذكر ان الانقطاع من الاباء والاقارب واجب بسبب الكفر ، ثم استطرد الى تذكير المؤمنين بنصرهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مواطن كثيرة ليعتزوا بدينهم ، ثم عاد الى الحديث عن قبائح أهل الكتاب للتحذير من موالاتهم ، وانهم كالمشركين اعداء يسعون لاطفاء نور الله .

اللغه :

[اولياء] جمع ولي : وهو الناصر والمعين الذي يتولى شئون الغير وينصره ويقويه

[عشيرتكم] العشيرة : الجماعة التي يعتز ويحتمي بها الانسان ، قال الواحدي : عشيرة الرجل اهله الأدنون وهو من العشرة أى الصحبة لأنها من شأن القربى

[كسادها] كسد الشيء كسادا وكسودا اذا بار ولم يكن له نفاق

[عيلة] فقرا ، يقال : عال الرجل يعيل اذا افتقر ، قال الشاعر : وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

[الجزية] ما اخذ من اهل الذمة سميت جزية لأنهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن

[يضاهئون] يشابهون والمضاهاة : المماثلة والمحاكاة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يؤفكون] يصرفون عن الحق ، والافك : الصرف يقال : افك الرجل أى قلب وصرف .

سبب النزول :

قال الكلبي : لما امر رسول الله (ص) بالهجرة الى المدينة ، جعل الرجل يقول لابيه واخيه وامرأته : لقد امرنا الله بالهجرة ، فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ، ومنهم من تتعلق به زوجته وولده فيقولون له.
ناشدناك الله لا تدعنا من غير شيء فنضيع ، فيرق فيجلس معهم ، ويدع الهجرة فنزلت الاية تعاتبهم [يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء . .] الاية .

التفسير :

[يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء] النداء بلفظ الايمان للتكريم ولتحريك الهمة للمسارعة الى امتثال اوامر الله ، قال ابن مسعود : (اذا سمعت الله تعالى يقول : يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانه خير تؤمر به ، او شر تنهى عنه) والمعنى : لا تتخذوا اباءكم واخوانكم الكافرين انصارا وأعوانا تودونهم وتحبونهم

[ان استحبوا الكفر على الايمان] أى ان فضلوا الكفر واختاروه على الايمان ، واصروا عليه اصرارا

[ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون] قال ابن عباس : هو مشرك مثلهم ، لان من رضي بالشرك فهو مشرك

[قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم] أى ان كان هؤلاء الاقارب من (الاباء ، والأبناء ، والاخوان ، والزوجات) ومن سواهم

[وعشيرتكم] أى جماعتكم الذين تستنصرون بهم

[واموال اقترفتموها] أى واموالكم التي اكتسبتموها

[وتجارة تخشون كسادها] أى تخافون عدم نفاقها

[ومساكن ترضونها] أى منازل تعجبكم الاقامة فيها

[احب اليكم من الله ورسوله] هذا هو جواب الشرط أى ان كانت هذه الاشياء المذكورة احب اليكم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهجرة الى الله ورسوله

[وجهاد في سبيله] أى وأحب اليكم من الجهاد لنصرة دين الله

[فتربصوا] اي انتظروا وهو وعيد شديد وتهديد

[حتى يأتي الله بأمره] أى بعقوبته العاجلة او الاجلة

[والله لا يهدي القوم الفاسقين] أى لا يهدي الخارجين عن طاعته الى طريق السعادة . . وهذا وعيد لمن آثر اهله ، او ماله ، او وطنه ، على الهجرة والجهاد ، ثم ذكرهم تعالى بالنصر على الاعداء في مواطن اللقاء فقال

[لقد نصركم الله في مواطن كثيرة] أى نصركم في مشاهد كثيرة ، وحروب عديدة

[ويوم حنين] أى ونصركم ايضا يوم حنين ، بعد الهزيمة التي منيتم بها بسبب اغتراركم بالكثرة

[اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا] أى حين اعجبكم كثرة عددكم فقلتم : لن نغلب اليوم من قلة ، وكنتم اثني عشر الفا واعداؤكم أربعة الاف ، فلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنفعكم الكثرة ولم تدفع عنكم شيئا

[وضاقت عليكم الارض بما رحبت] أى وضاقت الارض على رحبها وكثرة اتساعها بكم من شدة الخوف

[ثم وليتم مدبرين] أى وليتم على ادباركم منهزمين ، قال الطبري : يخبرهم تبارك وتعالى ان النصر بيده ومن عنده ، وانه ليس بكثرة العدد ، وانه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ، ويخلي القليل فيهزم الكثير ، قيل للبراء بن عازب : افررتم عن رسول الله (ص) يوم حنين ؟ فقال البراء : اشهد ان رسول الله (ص) لم يفر ، ولقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها يقودها فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول : انا النبى لاكذب انا ابن عبد المطلب ثم اخذ قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه المشركين وقال : شاهدت الوجوه ففروا ، فما بقي احد الا ويمسح القذى عن عينيه ، وقال البراء : كنا والله اذا حمي البأس نتقي برسول الله (ص) وان الشجاع منا الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحاذيه

[ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين] أى أنزل بعد الهزيمة الامن والطمانينة على المومنين حتى سكنت نفوسهم ، قال ابو السعود : أى انزل رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها

[وانزل جنودا لم تروها] قال ابن عباس : يعني الملائكة

[وعذب الذين كفروا] أى بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري

[وذلك جزاء الكافرين] أى ذلك عقوبة الكافرين بالله .

[ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء] أى يتوب على من يشاء فيوفقه للاسلام ، وهو اشارة الى اسلام هوازن

[والله غفور رحيم] أى عظيم المغفرة واسع الرحمة

[يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس] أى قذر لخبث باطنهم ، قال ابن عباس : أعيانهم نجسة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالكلاب والخنازير ، وقال الحسن : من صافح مشركا فليتوضأ ، والجمهور على ان هذا على التشبيه أى هم بمنزلة النجس او كالنجس ، لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله ، جعلوا كأنهم النجاسة بعينها ، مبالغة في الوصف على حد قولهم : علي اسد أى كالاسد

[فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا] أى فلا يدخلوا الحرم ، اطلق المسجد الحرام وقصد به الحرم كله ، قال ابو السعود : وقيل : المراد المنع عن الحج والعمرة أى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا ، وهو عام تسع من الهجرة ويؤيده حديث (والا يحج بعد هذا العام مشرك) وهو العام الذي نزلت فيه سورة براءة ، ونادى بها على في الموسم

[وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله] اي وان خفتم ايها المؤمنون فقرا بسبب منعهم من دخول الحرم او من الحج ، فان الله سبحانه يغنيكم عنهم بطريق اخر من فضله وعطائه ، قال المفسرون : لما منع المسلمون من تمكين المشركين من دخول الحرم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان المشركون يجلبون الاطعمة والتجارات اليهم في المواسم ، القى الشيطان في قلوبهم الحزن فقال لهم : من اين تأكلون ؟ وكيف تعيشون ؟ وقد منعت عنكم الارزاق والمكاسب ؟ فأمنهم الله من الفقر والعيلة ، ورزقهم الغنائم والجزية

[ان شاء] أى يغنيكم بارادته ومشيئته

[ان الله عليم حكيم] اي (عليم) بما يصلحكم ، (حكيم) فيما حكم في المشركين . . ولما ذكر حكم المشركين ذكر حكم اهل الكتاب فقال

[قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر] أى قاتلوا الذين لا يؤمنون ايمانا صحيحا بالله واليوم الاخر ، وإن زعموا الايمان ، فإن اليهود يقولون عزير ابن الله ، والنصارى يعتقدون بالوهية المسيح ويقولون بالتعليث

[ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله] أى لا يحرمون ما حرم الله في كتابه ، ولا رسوله في سنته ، بل يأخذون بما شرعه لهم الاحبار والرهبان ، ولهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستحلون الخمر والخنزير وما شابههما

[ولا يدينون دين الحق] أى لا يعتقدون بدين الاسلام الذي هو دين الحق

[من الذين أوتوا الكتاب] هذا بيان للمذكورين أى من هؤلاء المنحرفين من اليهود والنصارى الذين نزلت عليهم التوراة والانجيل

[حتى يعطوا الجزية عن يد] أى حتى يدفعوا اليكم الجزية منقادين مستسلمين

[وهم صاغرون] أى اذلاء حقيرون مقهورون بسلطان الاسلام . . ثم ذكر تعالى طرفا من قبائحهم فقال سبحانه

[وقالت اليهود عزير ابن الله] اي نسب اللعناء الى الله الولد ، فقالوا : ان عزيرا ابن الله ! ! وهو واحد احد فرد صمد ، قال البيضاوي : وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد بختنصر من يحفظ التوراة ، فلما احياه الله بعد مائة عام ، أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما هذا الا لانه ابن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالت النصارى المسيح ابن الله] أى وزعم النصارى-اعداء الله -ان المسيح ابن الله ، قالوا : لان عيسى ولد بدون اب ، ولا يتصور ان يكون ولد بدون اب ، فلا بد ان يكون ابن الله ، قال تعالى ردا عليهم [ذلك قولهم بأفواههم] أى ذلك القول الشنيع هو مجرد دعوى باللسان من غير دليل ولا برهان ، قال في التسهيل : يتضمن معنيين : احدهما الزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك ، والثاني انهم لا حجة لهم في ذلك ، وانما هو مجرد دعوى ، كقولك لمن تكذبه : هذا قولك بلسانك

[يضاهئون قول الذين كفروا من قبل] أى يشابهون بهذا القول الشنيع ، قول المشركين قبلهم حيث قالوا : الملائكة بنات الله [تشابهت قلوبهم] في الكفر والضلال

[قاتلهم الله أنى يؤفكون] دعاء عليهم بالهلاك ، أى اهلكهم الله كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ، بعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضوح الدليل ، حيث جعلوا لله ولدا! قال الرازي : الصيغة للتعجب وهو راجع الى الخلق على عادة العرب في مخاطبابهم ، والله تعالى عجب نبيه من تركهم الحق واصرارهم على الباطل

[اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله] اي اطاع اليهود احبارهم ، والنصارى رهبانهم في التحليل والتحريم ، وتركوا امر الله ، فكأنهم عبدوهم من دون الله والمعنى : اطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم ، وهو التفسير المأثور عن رسول الله (ص) قال عدي بن حاتم : اتيت رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي ، اطرح عنك هذا الوثن ، قال وسمعته يقرأ سورة براءة [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله] فقلت يا رسول الله : لم يكونوا يعبدونهم ! ! فقال عليه السلام : أليس يحرمون ما احل الله تعالى فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيستحلون ؟ ! فقلت : بلى ، قال : فذلك عبادتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والمسيح ابن مريم] أى اتخذه النصارى ربا معبودا

[وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا] أى والحال ان اولئك الكفرة ما امروا على لسان الانبياء ، إلا بعبادة اله واحد هو الله رب العالمين

[لا اله الا هو] لا معبود بحق سواه

[سبحانه عما يشركون] اي تنزه الله عما يقول المشركون وتعالى علوا كبيرا

[يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم] أى يريد هؤلاء الكفار من المشركين واهل الكتاب ، ان يطفئوا نور الاسلام وشرع محمد عليه السلام ، بأفواههم الحقيرة ، بمجرد جدالهم وافترائهم ، وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء فمثلهم في ذلك كمثل من يريد ان يطفىء شعاع الشمس ونورها الساطع بنفخه بفمه ، وهي حماقة ليس بعدها حماقة! !

[ويأبى الله إلا أن يتم نوره] اي ويابى الله إلا ان يعليه ويرفع شأنه

[ولو كره الكافرون] أى ولو كره الكافرون ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق] أى ارسل محمدا (ص) بالهداية التامة ، والدين الكامل وهو الاسلام

[ليظهره على الدين كله] أى ليعليه على سائر الاديان

[ولو كره المشركون] أى ولو كره المشركون ظهوره وانتشاره ! !

البلاغه :

1 - [فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] صيغته أمر ، وحقيقته وعيد كقوله تعالى [اعملوا ما شئتم] .

2 - [ويوم حنين] من باب عطف الخاص على العام ، للتنويه بشأنه حيث جاء النصر بعد اليأس ، والفرج بعد الشدة .

3 - [وضاقت عليكم الارض بما رحبت] شبه ما حل بهم من الكرب والهزيمة والضيق النفسي ، بضيق الارض على سعتها ، على سبيل الاستعارة .

4 - [انما المشركون نجس] الصيغة لافادة الحصر واللفظ فيه تشبيه بليغ أى كالنجس في خبث الباطن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخبث الاعتقاد ، حذفت منه اداة الشبه ووجه الشبه فاصبح بليغا ومثله [اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا] أى كالارباب في طاعتهم وامتثال اوامرهم في التحريم والتحليل .

5 - [فلا يقربوا المسجد] عبر عن الدخول بالقرب للمبالغة في النهى .

6 - [يطفئوا نور الله] اراد به نور الاسلام فان الاسلام بنوره المضيء وحججه القاطعة ، يشبه الشمس الساطعة في نورها وضيائها ، فهو من باب الاستعارة ، وهي من لطائف الاستعارات . لطيفه : قال العلامة القرطبي دل قوله تعالى [لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء] على أن القرب قرب الاديان ، لا قرب الأبدان ، وقد انشدوا في ذلك ابياتا : يقولون لي دار الاحبة قد دنت وانت كئيب ان ذا لعجيب فقلت : وما تغني ديار قريبة اذا لم يكن بين القلوب قري

قال الله تعالى : [يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان . . إلى . . فهم في ريبهم يترددون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من اية (34) الى نهاية اية (45) .

المناسبه :

لما وصف تعالى رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وإدعاء الربوبية ، وصفهم هنا بالطمع والجشع ، والحرص على أكل اموال الناس ، تحقيرا لشأنهم وتسفيها لاحلامهم ، لانهم اتخذوا الدين مطية لنيل الدنيا ، وذلك نهاية الذل والدناءة ، ثم ذكر تعالى قبائحهم وقبائح المشركين ، ثم دعا الى النفير العام وذكر موقف المنافقين المثبطين عن الجهاد في سبيل الله .

اللغه :

[الأحبار] علماء اليهود

[الرهبان] علماء النصارى ، قال العالم الصالح العابد ابن المبارك : وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها

[يكنزون] اصل الكنز في اللغة : الجمع والضم ومنه حديث (الا اخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصالحة) أى يضمه لنفسه ويجمعه ، ثم غلب استعماله على المدفون من الذهب والفضة ، قال الطبري : الكنز كل شيء مجموع بعضه الى بعض في بطن الارض كان او على ظهرها

[تكوى] الكى : إلصاق المحمي من الحديد وشبهه بالعضو ، حتى يتمزق الجلد وفي الأمثال " آخر الدواء الكى "

[والنسيء] التأخير يقال : نسأه وأنسأه اذا أخره ومنه حديث " وينسأ له في أثره " أى يؤخر له في أجله ، قال الزمخشري : النسيء : تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر

[ليواطئوا] أى ليوافقوا والمواطأة : الموافقة يقال : تواطأ القوم : اذا اتفقوا على امر خفية

[انفروا] النفر : الخروج بسرعة ومنه

[ولوا على أدبارهم نفورا]

[اثاقلتم] أصله تثاقلتم بمعنى تباطأتم ولم تسرعوا

[عرضا] العرض : ما يعرض للانسان من منافع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا سمي عرضا لانه لا يدوم ، وفي الحديث الشريف (الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر)

[الشقة] المسافة البعيدة التي لا تقطع الا بمشقة قال الجوهري : الشقة السفر البعيد ، وكأنه مأخوذ من المشقة يقال : شقة شاقة أى مسافة صعبة . .

سبب النزول :

لما رجع رسول الله ، من الطائف وغزوة حنين ، امر الناس بالجهاد ، لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من المال ، وجدب من البلاد ، وشدة من الحر ، حين أثمرت النخل ، وطابت الثمار ، فعظم على الناس غزو الروم ، واحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال ، وشق عليهم الخروج الى القتال فانزل الله [يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض . .] الآية .

التفسير :

[يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الاحبار والرهبان]

أى يا ايها الذين صدقوا الله ورسوله ، ان كثيرا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علماء اليهود (الاحبار) وعلماء النصارى (الرهبان)
[ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله] اى ليأخذون اموال الناس بالحرام ، ويمنعونهم عن الدخول في دين الاسلام ، قال ابن كثير : والمقصود التحذير من علماء السوء ، وعباد الضلال ، قال ابن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى

[والذين يكنزون الذهب والفضة] اي يجمعون الاموال ويدخرون الثروات

[ثم لا ينفقونها في سبيل الله] أى لا يؤدون زكاتها ولا يبذلون منها في وجوه الخير! ! قال ابن عمر : الكنز ما لم ئود زكاته ، وما أديت زكاته فليس بكنز

[فبشرهم بعذاب أليم] اسلوب تهكم أى اخبرهم بالعذاب الاليم في دار الجحيم ، وإنما قرن بين الكانزين وبين اليهود والنصارى تغليظا عليهم ، ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ، ومن لا يعطي من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين من طيب ماله ، سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم

[يوم يحمى عليها في نار جهنم] أى يوم يحمى عليها بالنار المستعرة حتى تصبح حامية كاوية

[فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم] أى تحرق بها الجباه والجنوب والظهور بالكى عليها ، قال ابن مسعود : والذي لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز ، فيمس دينار دينارا ، ولا درهم درهما ، ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته ، وخصت هذه الاعضاء بالكى ، لان البخيل يرى الفقير قادما فيقطب جبهته ، فاذا جاءه أعرض بجانبه ، فاذا طالبه باحسان ولاه ظهره ، وقال القرطبي : الكى في الوجه أشهر وأشنع ، وفي الظهر والجنب آلم وأوجع ، فلذلك خصها بالذكر من بين سائر الاعضاء

[هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون] أى يقال لهم تبكيتا وتقريعا : هذا ما كنزتموه لانفسكم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فذوقوا وبال ما كنتم تكنزونه ، وفي صحيح مسلم (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله ، الا جعل له يوم القيامة صفائح من نار ، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، ثم يرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار)

[إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا] أى ان عدد الشهور المعتد بها عند الله في شرعه وحكمه ، هي اثنا عشر شهرا على منازل القمر ، فالمعتبر به الشهور القمرية ، اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية

[في كتاب الله] أى في اللوح المحفوظ

[يوم خلق السموات والارض] قال ابن عباس : كتبه يوم خلق السموات والارض في الكتاب الإمام الذي عند الله

[منها أربعة حرم] أى منها اربعة شهور محرمة هي : (ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب) وسميت حرما لانها معظمة محترمة ، تتضاعف فيها الطاعات ، ويحرم القتال فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك الدين القيم] أى ذلك الشرع المستقيم

[فلا تظلموا فيهن انفسكم] اي لا تظلموا في هذه الاشهر المحرمة انفسكم بهتك حرمتهن ، وارتكاب ما حرم الله من المعاصي والاثام

[وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة] أى قاتلوهم جميعا مجتمعين غير متفرقين كما يقاتلكم المشركون جميعا

[واعلموا أن الله مع المتقين] أى معهم بالنصرة والتأييد ، وهي بشارة وضمان لاهل التقوى والايمان

[إنما النسيء زيادة في الكفر] أى انما تأخير حرمة شهر لشهر آخر ، زيادة في الكفر ، لانه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه ، فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم ، قال المفسرون : كان العرب اهل حروب وغارات ، وكان القتال محرما عليهم في الاشهر الحرم ، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون ، شق عليهم ترك المحاربة ، فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر ، كانهم يستقرضون حرمة شهر لشهر غيره ، فربما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحلوا المحرم وحرموا صفر ، حتى يكمل في العام اربعة اشهر محرمة

[يضل به الذين كفروا] أى يضل الله بسببه الكافرين ضلالا على ضلالهم

[يحلونه عاما ويحرمونه عاما] أى يحلون المحرم عاما والشهر الحلال عاما ، فيجعلون هذا مكان هذا ، والعكس

[ليواطئوا عدة ما حرم الله] اي ليوافقوا عدة الاشهر الحرم الاربعة

[فيحلوا ما حرم الله] أى فيستحلوا بذلك ما حرمه الله ، قال مجاهد : كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام الى الموسم على حمار له ، فيقول ايها الناس : اني لا اعاب ولا اجاب ، ولا مرد لما اقول ، انا قد حرمنا المحرم ، واخرنا صفر ، بم يجيء العام المقبل ويقول : إنا قد حرمنا صفر واخرنا المحرم ، فذلك قوله تعالى [ليواطئوا عدة ما حرم الله

[زين لهم سوء أعمالهم] أى زين الشيطان لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعمالهم القبيحة حتى حسبوها حسنة

[والله لا يهدي القوم الكافرين] أى لا يرشدهم الى طريق السعادة

[يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض] استفهام للتقريع والتوبيخ ، وهو توبيخ على ترك الجهاد ، وعتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك ، والمعنى : ما لكم ايها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا لجهاد اعداء الله ، تباطأتم وتثاقلتم ، وملتم الى الدنيا وشهواتها ، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ؟ !

[أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة] أى ارضيتم بنعيم الدنيا ومتاعها الفاني ، بدل نعيم الاخرة وثوابها الباقي ؟

[فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل] أى فما التمتع بلذائذ الدنيا في جنب الاخرة ، إلا شيء مستحقر قليل لا قيمة له ، ثم توعد على ترك الجهاد فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما] أى ان لا تخرجوا الى الجهاد مع رسول الله ، يعذبكم الله عذابا اليما موجعا ، باستيلاء العدو عليكم في الدنيا ، وبالنار المحرقة في الاخرة ، وقال ابن عباس : هو حبس المطر عنهم

[ويستبدل قوما غيركم] اي يهلككم ويستبدل قوما اخرين خيرا منكم ، يكونون اسرع استجابة لرسوله واطوع

[ولا تضروه شيئا] اي ولا تضرون الله شيئا بتثاقلكم عن الجهاد ، فانه سبحانه غني عن العالمين

[والله على كل شيء قدير] اي قادر على كل شيء اراده ، ومنه الانتصار على الاعداء بدونكم ، قال الرازي : وهو تنبيه على شدة الزجر ، من حيث انه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز ، فاذا توعد بالعقاب فعل

[إلا تنصروه فقد نصره الله] أى ان لا تنصروا رسوله ، فان الله ناصره وحافظه ، وجواب الشرط محذوف تقديره : فسينصره الله دل عليه قوله [فقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصره الله] والمعنى : إن لم تنصروه انتم فسينصره الله ، الذي نصره حين كان ثاني اثنين ، حيث لم يكن معه انصار ولا اعوان

[إذ أخرجه الذين كفروا] أى حين خروجه من مكة مهاجرا الى المدينة ، وأسند اخراجه الى الكفار ، لانهم الجئوه الى الخروج وتآمروا على قتله ، حتى اضطر الى الهجرة

[ثاني إثنين] اي احد إثنين لا ثالث لهما هو " ابو بكر الصديق "

[اذ هما في الغار] أى حين كان هو والصديق مختبئين في النقب في جبل ثور

[اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا] أى حين يقول لصاحبه وهو (الصديق) تطمينا وتطييبا : لا تخف فالله معنا بالمعونة والنصر ، روى الطبري عن انس ان ابا بكر رضي الله عنه قال (بينا انا مع رسول الله (ص) في الغار ، واقدام المشركين فوق رءوسنا فقلت يا رسول الله : لو ان احدهم رفع قدمه لأبصرنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال : يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟) وكان سبب حزن أبى بكر ، خوفه على رسول الله ، ان يروه فيقتلوه ، فطمأنه الرسول تسكينا لقلبه

[فانزل الله سكينته عليه] أى انزل الله السكون والطمأنينة على رسوله

[وأيده بجنود لم تروها] أى قواه بجنود من عنده من الملائكة يحرسونه في الغار لم تروها انتم

[وجعل كلمة الذين كفروا السفلى] أى جعل كلمة الشرك سافلة دنيئة حقيرة ، اذل بها الشرك والمشركين

[وكلمة الله هي العليا] أى وكلمة التوحيد (لا اله الا الله) هي الغالبة الظاهرة ، اعز الله بها المسلمين ، واذل الشرك والمشركين

[والله عزيز حكيم] أى قاهر غالب لا يغلب ، لا يفعل الا ما فيه الحكمة والمصلحة

[انفروا خفافا وثقالا] أى اخرجوا للقتال يا معشر المؤمنين شيبا ، وشبابا ، مشاة وركبانا ، في جميع الظروف والاحوال ، في اليسر والعسر ، والمنشط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمكره

[وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله] اى جاهدوا بالاموال والانفس لاعلاء كلمة الله

[ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون] أى هذا النفير والجهاد نصرة لدين الله ، خير من التثاقل الى الارض والخلود اليها ، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا ، ان كنتم تعلمون ذلك ، قال في البحر : والخيرية في الدنيا بغلبة العدو ، ووراثة الارض ، وفي الاخرة بالثواب العظيم ورضوان الله. . ثم ذكر تعالى احوال المخلفين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وموقف المثبطين المنافقين منهم ، فقال سبحانه

[لو كان عرضا قريبا] أى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال

[وسفرا قاصدا] أى وسفرا وسطا ليس ببعيد

[لاتبعوك] أى لخرجوا معك لا لوجه الله ، بل طمعا في الغنيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن بعدت عليهم الشقة] أى ولكن بعدت عليهم الطريق والمسافة الشاقة ، ولذلك اعتذروا عن الخروج ، لما في قلوبهم من النفاق

[وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم] أى وسيحلفون لكم معتذرين ((هذا إخبار بغيب أي سيحلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين بهذه الاقوال الكاذبة وقد حصل كما أخبر القرآن فكان ذلك من أوضح المعجزات القرآنية)) باعذار كاذبة ، قائلين : لو قدرنا على الخروج معكم لما تأخرنا ، ولو كان لنا سعة في المال او قوة في الابدان ، لخرجنا للجهاد معكم ! ! قال تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم

[يهلكون انفسهم] أى يوقعون انفسهم في الهلاك بأيمانهم الكاذبة

[والله يعلم انهم لكاذبون] أى لكاذبون في دعواهم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا

[عفا الله عنك لم أذنت لهم] تلطف تعالى في عتاب الرسول ، حيث قدم العفو على العتاب اكراما له عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام ((قال المفسرون : من هذه الاية يعرف الانسان مكانة الرسول (ص) عند ربه ، وعلو قدره ، وسمو منزلته ، بشره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب ، ولو قال له معاتبا : لم أذنت لهم ؟ لخيف عليه أن ينشق قلبه حزنا وكمدا. قال عون : هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ؟ ناداه بالعفو قبل المعاتبة ، أقول : وما ذكره الزمخشري سوء أدب في مقام الرسول (ص) حيث لم يحسن التعبير ، ولا أدرك سر الإجلال والإكبار في الآية)) والمعنى : سامحك الله يا محمد ، لم اذنت لهؤلاء المنافقين ، في التخلف عن الخروج معك بمجرد الاعتذار ! !

[حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين] أى هلا تركتهم حتى يظهر لك الصادق منهم في عذره ، من الكاذب المنافق ، نزلت في المنافقين قال أناس منهم : استأذنوا رسول الله ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا ، فقد كانوا مصرين على القعود عن الغزو ، وإن لم يأذن لهم ، فهم كاذبون في اعتذارهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا اخبر تعالى أنه لا يستأذنه اهل الايمان فقال

[لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر] أى لا يستأذنك يا محمد عن الجهاد ، من يؤمن بالله واليوم الاخر

[أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم] أى كراهية الجهاد بالمال والنفس ، لانهم يعلمون ما أعده الله للمجاهدين الابرار من الاجر الجزيل ، فكيف يتخلفون عنه ؟

[والله عليم بالمتقين] أى عليم بهم ، لانهم مخلصون في الايمان متقون للرحمن

[انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر] أى انما يستأذنك يا محمد المنافقون ، الذين لم يثبت الايمان في قلوبهم

[وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون] أى شكت قلوبهم في الله وثوابه ، فهم يترددون حيارى لا يدرون ما يصنعون ا !

البلاغة :

1 - [يحلونه عاما ويحرمونه عاما] بين يحلون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومحرمون طباق وهو من المحسنات ا لبديعية .

2 - [ما لكم اذا قيل لكم] استفهام يقصد به الانكار والتوبيخ .

3 - [أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة] فيه ايجاز بالحذف أى أرضيتم بنعيم الدنيا ولذائذها بدل نعيم الاخرة .

---

4 - [فما متاع الحياة الدنيا] أظهر اللفظ في مقام الإضمار ، لزيادة التقرير والمبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها بالنسبة للاخرة .

5 - [يعذبكم عذابا] بينهما جناس الاشتقاق .

6 - [وجعل كلمة الذين كفروا السفلى] في قوله (كلمة) استعارة لطيفة ، ففي قوله [كلمة الذين كفروا] استعارة عن الشرك ، كما ان " كلمة الله " استعارة عن الايمان والتوحيد .

7 - [خفافا وثقالا] بينهما طباق أى في اليسر والعسر ، والمنشط والمكره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - [بعدت عليهم الشقة] استعار الشقة للمسافة الطويلة البعيدة التي توجب المشقة على النفس .

9 - [عفا الله عنك] فيه تقديم المسرة على المضرة ، وقد أحسن من قال : إن من لطف الله بنبيه ، أن بدأه بالعفو قبل العتب .

فائدة :

روي ان اعرابيا قال لابن عمر : أخبرني عن قول الله تعالى [والذين يكنزون الذهب والفضة] فقال ابن عمر : من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له ، انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة ، فلما انزلت جعلها الله طهرة للأموال ، وما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهبا أزكيه ، وأعمل فيه بطاعة الله تعالى

تنبيه :

دلت الآية [إذ يقول لصاحبه لا تحزن] على عظيم فضل الصديق وجليل قدره ، اذ جعله الله صاحب الرسول في الغار ، ورفيقه في الهجرة ، ولهذا قال العلماء : من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر ، لانه رد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتاب الله تعالى. لطيفه : عن حيان بن زيد قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، فرأيت شيخا كبيرا هرما ، قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فاقبلت عليه فقلت : يا عم لقد أعذر الله اليك ! ا قال : فرفع حاجبيه فقال يا ابن اخي : استنفرنا الله خفافا وثقالا ، ألا إنه من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده الله فيبقيه ، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يطع إلا الله عز وجل . اقول : رحم الله تلك الانفس الزكية التي باعت ارواحها في مرضاة الله تعالى .

قال الله تعالى : [ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة . . الى . . . والله عليم حكيم] من آية (46) الى نهاية آية (60) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى المنافقين وتباطؤهم عن الخروج للجهاد ، ذكر هنا بعض اعمالهم القبيحة من الكيد ، والمكر ، واثارة الفتن بين المسلمين ، والفرح بأذاهم . . وذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى انهم لو خرجوا مع المؤمنين ما زادوا الجيش الا ضعفا واندحارا بتفريق الجماعة وتشتيت الكلمة ، وذكر كثيرا من مثالبهم وجرائمهم الشنيعة .

اللغة :

[انبعاثهم] الانبعاث : الانطلاق في الامر

[فثبطهم] التثبيط : رد الانسان عن الفعل الذي هم به

[خبالا] الخبال : الشر والفساد في كل شيء ومنه المخبول للمعتوه الذي فسد عقله

[ولأوضعوا] الايضاع : سرعة السير قال الراجز :

ياليتنى فيه جذع اخب فيهاوأضع يقال : وضع البعير اذا أسرع السير ، وأوضع الرجل إذا سار بنفسه سيرا حثيثا

[يجمحون] جمح : نفر بإسراع من قولهم فرس جموح أى لا يرده اللجام

[يلمزك] اللمز : العيب يقال : لمزه اذا عابه قال الجوهري : واصله الاشارة بالعين ونحوها ورجل لماز أى عياب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الغارمين] الغارم : المديون ، قال الزجاج : اصل الغرم لزوم ما يشق ، والغرام العذاب اللازم الشاق ، وسمي العشق غراما لكونه امرا شاقا ولازما ، وسمي الدين غراما لكونه شاقا على الانسان .

سبب النزول :

لما اراد (ص) الخروج الى تبوك قال " للجد بن قيس " -وكان منافقا-يا ابا وهب : هل لك في جلاد بني الاصفر-يعنى الروم - تتخذ منهم سراري ووصفاء ؟ فقال يا رسول الله : لقد عرف قومى اني مغرم بالنساء ، واني اخشى ان رأيت بني الاصفر ألا اصبر عنهن ، فلا تفتني وأذن لي في القعود وأعينك بمالي ، فأعرض عنه النبي (ص) وقال : قد أذنت لك ، فأنزل الله [ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني] الآية .

التفسير :

[ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة] أى ولو أراد هؤلاء المنافقون الخروج معك للجهاد ، او كانت لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نية في الغزو ، لاستعدوا له بالسلاح والزاد ، فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف

[ولكن كره الله انبعاثهم] أى ولكن كره الله خروجهم معك

[فثبطهم] أى كسر عزمهم وجعل في قلوبهم الكسل

[وقيل اقعدوا مع القاعدين] أى اجلسوا مع المخلفين من النساء والصبيان واهل الاعذار ، وهو ذم لهم لإيثارهم القعود على الخروج للجهاد ، والآية تسلية له (ص) على عدم خروج المنافقين معه ، اذ لا فائدة فيه ولا مصلحة ، بل فيه الاذى والمضرة ولهذا قال

[لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا] أى لو خرجوا معكم ما زادوكم الا شرا وفسادا

[ولأوضعوا خلالكم] أى أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة

[يبغونكم الفتنة] أى يطلبون لكما الفتنة بإلقاء العداوة بينكم

[وفيكم سماعون لهم] اي وفيكم ضعفاء قلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصغون الى قولهم ويطيعونهم ((وقال مجاهد : المعنى وفيكم عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم ، والمعنى الأول أظهر وهو الأشهر ، واليه ذهب قتادة واختاره ابن كثير))

[والله عليم بالظالمين] أى عالم بالمنافقين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم

[لقد ابتغوا الفتنة من قبل] أى طلبوا لك الشر بتشتيت شملك وتفريق صحبك عنك ، من قبل غزوة تبوك كما فعل ابن سلول حين انصرف باصحابه يوم احد

[وقلبوا لك الأمور] أى دبروا لك المكايد والحيل ، وأداروا الآراء في إبطال دينك

[حتى جاء الحق وظهر أمر الله] أى حتى جاء نصر الله وظهر دينه ، وعلا على سائر الاديان

[وهم كارهون] أى والحال أنهم كارهون لذلك لنفاقهم

[ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني] أى ومن هؤلاء المنافقين من يقول لك يا محمد ائذن لي في القعود ، ولا تفتني بسبب الأمر بالخروج ، قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نزلت في " الجد بن قيس " حين دعاه الرسول (ص) الى جلاد بني الاصفر ، فقال يا رسول الله : ائذن لي في القعود عن الجهاد ولا تفتني بالنساء

[ألا في الفتنة سقطوا] اي الا انهم قد سقطوا في عين الفتنة ، فيما ارادوا الفرار منه ، بل فيما هو اعظم وهي فتنة التخلف عن الجهاد ، وظهور كفرهم ونفاقهم ، قال ابو السعود : وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة ، تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة ، المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين

[وإن جهنم لمحيطة بالكافرين] اي لا مفر لهم منها لانها محيطة بهم من كل جانب ، إحاطة السوار بالمعصم ، وفيه وعيد شديد

[إن تصبك حسنة تسؤهم] أى ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ، سواء كانت ظفرا او غنيمة ، يسؤهم ذلك

[وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل] أى وإن تصبك مصيبة من نكبة وشدة ، او هزيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومكروه يفرحوا به ويقولوا : قد احتطنا لانفسنا واخذنا بالحذر والتيقظ ، فلم نخرج لقتال ، من قبل ان يحل بنا البلاء

[ويتولوا وهم فرحون] أى وينصرفوا عن مجتمعهم وهم فرحون مسرورون

[قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا] أى لن يصيبنا خير ولا ضر ، ولا خوف ولا رجاء ، ولا شدة ولا رخاء ، الا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله

[هو مولانا] أى ناصرنا وحافظنا

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أى ليفوض المؤمنون امورهم الى الله ، ولا يعتمدوا على احد سواه

[قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين] أى قل لهم : هل تنتظرون بنا يا معشر المنافقين الا احدى العاقبتين الحميدتين : إما النصر ، وإما الشهادة ، وكل واحدة منهما شيء حسن ! !

[ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا] أى ونحن ننتظر لكم أسوا العاقبتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوخيمتين : ان يهلككم الله بعذاب من عنده ، يستأصل به شأفتكم ، او يقتلكم بأيدينا

[فتربصوا إنا معكم متربصون] أى انتظروا ما يحل بنا ونحن ننتظر ما يحل بكم ، وهو امر يتضمن التهديد والوعيد

[قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم] أى قل لهم انفقوا يا معشر المنافقين طائعين او مكرهين ، فمهما انفقتم الاموال فلن يتقبل الله منكم ، قال الطبرى : وهو أمر معناه الخبر كقوله [استغفر لهم او لا تستغفر لهم] والمعنى لن يتقبل منكم سواء انفقتم طوعا او كرها

[إنكم كنتم قوما فاسقين] تعليل لرد إنفاقهم أي لأنكم كنتم عتاة متمردين خارجين عن طاعة الله ، ثم أكد هذا المعنى بقوله

[وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله وبرسوله] أى وما منع من قبول النفقات منهم إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كفرهم بالله ورسوله

[ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى] أى ولا يأتون الى الصلاة الا وهم متثاقلون

[ولا ينفقون الا وهم كارهون] أى ولا ينفقون اموالهم الا بلإكراه لانهم يعدونها مغرما ، قال في البحر : ذكر تعالى السبب المانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر ، وأتبعه بما هو مستلزم له وهو إتيانهم الصلاة كسالى ، وإيتاء النفقة وهم كارهون ، لانهم لا يرجون بذلك ثوابا ولا يخافون عقابا ، وذكر من اعمال البر هذين العملين الجليلين وهما : (الصلاة ، والنفقة) لأن الصلاة أشرف الأعمال البدنية ، والنفقة في سبيل الله أشرف الاعمال المالية ((أقول : جعل تعالى المانع من قبول صدقاتهم ثلاثة أمور : الأول : الكفر ، الثاني : التثاقل عن الصلاة ، الثالث : كراهيتهم للانفاق قي سبيل الله لعدم إيمانهم بوعد الله ، وجميعها مخازى وشرور))

[فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا] أى لا تستحسن ايها السامع ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا ، وبما انعمنا عليهم من الاموال والاولاد ، فظاهرها نعمة ، وباطنها نقمة ، انما يريد الله بذلك استدراجهم ليعذبهم بها في الدنيا ، قال البيضاوي : وعذابهم بها بسبب ما يكابدون لجمعهما وحفظها من المتاعب ، وما يرون فيها من الشدائد والمصائب

[وتزهق انفسهم وهم كافرون] أى ويموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع بزينة الدنيا ، عن النظر في العاقبة ، فيشتد في الاخرة عذابهم

[ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم] أى ويقسمون بالله لكم انهم لمؤمنون مثلكم ، وما هم بمؤمنين لكفر قلوبهم

[ولكنهم قوم يفرقون] أى ولكنهم يخافون منكم ان تقتلوهم كما تقتلون المشركين ، فيظهرون الاسلام تقية ، ويؤيدونه بالايمان الفاجرة

[لو يجدون ملجأ] أى حصنا يلجأون اليه

[او مغارات] أى سراديب يختفون فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[او مدخلا] أى مكانا يدخلون فيه ولو ضيقا

[لولوا اليه وهم يجمحون] أى لأقبلوا اليه يسرعون اسراعا ، كالفرس الجموح ، والمراد من الآية تنبيه المؤمنين الى ان المنافقين لو قدروا على الهروب منهم ، ولو في شر الأمكنة وأخسها ، لفعلوا لشدة بغضهم لكم ، فلا تغتروا بأيمانهم الكاذبة أنهم معكم ومنكم

[ومنهم من يلمزك في الصدقات] أى ومنهم من يعيبك يا محمد في قسمة الصدقات

[فإن اعطوا منها رضوا] أى فإن اعطيتهم من تلك الصدقات استحسنوا فعلك

[وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون] أى وإن لم تعطهم منها ما يرضيهم ، سخطوا عليك وعابوك ، قال المفسرون : كان رسول الله (ص) يقسم غنائم حنين فجاء اليه رجل من المنافقين يقال له (ذو الخويصِرة) فقال : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، فقال (ص) : " ويلك ان لم اعدل فمن يعدل ؟ " ، الحديث

[ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله] أى ولو ان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء الذين عابوك يا محمد رضوا بما اعطينهم من الصدقات وقنعوا بتلك القسمة وِان قلت ، قال ابو السعود : وذكرُ الله عز وجل للتعظيم ، والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بأمره سبحانه ،

[وقالوا حسبنا الله] أى كفانا فضل الله وانعامه علينا [سيؤتينا الله من فضله ورسوله] أى سيرزقنا الله صدقة أو غنيمة اخرى ، خيرا واكثر مما آتانا [إنا الى الله راغبون] اي إنا إلى طاعة الله وافضاله وِاحسانه لراغبون ، وجواب [لو] محذوف تقديره لكان خيرا لهم ، قال الرازي : وترك الجواب في هذا المعرض ، أدل على التعظيم والتهويل وهو كقولك للرجل : لو جئتنا . . ثم لم تذكر الجواب أى لو فعلت ذلك لرأيت أمرا عظيما ، ثم ذكر تعالى مصرف الزكاة فقال :

[انما الصدقات للفقراء والمساكين] قال الطبري : أى لا تُعطى الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله جل ثناؤه والآية تقتضي حصر الصدقات وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية ، فلا يجوز . .. يعطى منها غيرهم ، والفقير الذي له بلْغة من العيش ، والمسكين الذي لا شيء له ، قال يونس : سألت إعربيا أفقير أنت ؟ فقال : لا والله بل مسكين ، وقيل : المسكين احسن حالا من الفقير ، والمسألة خلافية

[والعاملين عليها] أى الجباة الذين يجمعون الزكاة

[والمؤلفة قلوبهم] هم قوم من أشراف العرب اعطاهم (ص) ليتألف قلوبهم على الاسلام ، روى الطبري عن (صفوان بن امية) قال : لقد أعطانى رسول الله (ص) وإنه لأبغض الناس الى ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الناس الى

[وفي الرقاب] اي وفي فك الرقاب لتخليصهم من الرق

[والغارمين] اى المديونين الذين أثقلهم الدينُ

[وفي سبيل الله] اىَ المجاهدين والمرابطين وما تحتاج اليه الحرب من السلاح والعتاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وابن السبيل] أى الغريب الذي انقطع في سفره

[فريضةَ من الله] أى فرضها الله جل وعلا وحددها

[والله عليم حكيم] أى عليم بمصالح العباد ، حكيم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ، قال فى التسهيل : وإنما حصر مصرف الزكاة في تلك الاصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه في المعنى بآية اللمز في الصدقات.

البلاغة :

1 - [وأعدوا له عُدة] بينهما جناس الاشتقاق وكذلك في قوله [اقعدوا مع القاعدين] .

2 - [ولأوضعوا خلالكم] قال الطيبي : في الآية استعارة تبعية حيث شبه سرعة افسادهم ذات البين بطريق النميمة بسرعة سير الراكب ، ثم استعير لها الايضاع وهو للإبل ، والأصل ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم .

3 - [وإن جهنم لمحيطة بالكافرين] فيه استعارة حيث شبه وقوعهم في جهنم ، بإحاطة العدو بالجند ، او

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السوار بالمعصم ، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار .

4 - [ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة. .] الآية فيها من المحسنات البديعية ما يسمى با لمقابلة .

5 - [وعلى الله فليتوكل] تقديم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ، واظهار الاسم الجليل مكان الاضمار ، لتربية الروعة والمهابة في النفوس .

6 - [طوعا أو كرها] بينهما طباق وكذلك بين الرضا والسخط في قوله [رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون] . 7- [عليم حكيم] صيغة فعيل للمبالغة أى عظيم العلم والحكمة.

لطيفة :

قال الزمخشري في قوله تعالى [وقيل اقعدوا مع القاعدين] هذا ذم لهم وتعجيز ، وإلحاق بالنساء والصبيان الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت على حد قول القائل : دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنبيه :

قال ابن كثير : لما قدم النبي (ص) المدينة رمته العرب عن قوس واحدة ، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته قال ابن أبى واصحابه : هذا أمر قد توجه- يعني أقبل - فدخلوا في الاسلام ظاهرا ، ثم كلما اعز الله الاسلام واهله ، اغاظهم ذلك وساءهم ولهذا قال تعالى [حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون]

قال الله تعالى : [ومنهم الذين يؤذون النبي . . الى . . . من ولي ولا نصير] من آية (61) الى نهاية آية (74) .

المناسبة :

لا تزال الايات الكريمة تتحدث عن المنافقين توضيحا لخطرهم ، وتحذيرا للمؤمنين من مكائدهم ، وفي هذه الآيات ذكر تعالى نوعا اخر من قبائحهم ، وهو ايذاؤهم للرسول (ص) ، واقدامهم على الأيمان الكاذبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، واستهزاؤهم بآيات الله وشريعته المطهرة ، الى غير ما هنالك من الاعمال المنكرة ، والافعال الخبيثة ، التي كان عليها المنافقون !

اللغه :

[أذن] شال الجوهري : يقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوي فيه الواحد والجمع وقال الزمخشري : الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ، ويقبل قول كل احد ، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع . قال الشاعر : قد صرت أذنا للوشاة سميعة ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا

[يحادد] المحادة : المخالفة والمعاداة كالمشاقة وهي ان يكون كل واحد من المتخاصمين في حد وشق ، غير ما عليه صاحبه

[بخلاقهم] الخلاق : النصيب كقوله

[وما له في الآخرة من خلاق] وقد تقدم

[وخضتم] الخوض : الدخول في اللهو والباطل ، وهو مستعار من الخوض في الماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حبطت] بطلت وذهب ثوابها

[والمؤتفكات] الائتفاك : الانقلاب ويراد بهم قوم لوط ، لأن ارضهم ائتكفت بهم اي انقلبت ، وقيل هو مجاز عن انقلاب حالها من الخير الى الشر كقول ابن الرومي : وما الخسف ان تلقى أسافل بلدة أعاليها بل ان تسود الاراذل

سبب النزول :

ا-كان جماعة من المنافقين يؤذون رسول الله ويقولون فيه ما لا ينبغي ، فقال بعضم : لا تفعلوا فإنا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا ، فقال " الجلاس بن سويد " : نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول ، فإنما محمد أذن سامعة ، فأنزل الله [ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن . .] .

ب - قال مجاهد : كان المنافقون يعيبون رسول الله (ص) فيما بينهم ثم يقولون : عسى الله ان لا يفشى سرنا ، فأنزل الله [يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم . .] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[ومنهم الذين يؤذون النبي] أى ومن المنافقين أناس يؤذون الرسول باقوالهم وافعالهم

[ويقولون هو أذن] أى يصدق بكل خبر يسمعه

[قل أذن خير لكم] أى هو أذن خير لا أذن شر ، يسمع الخير فيعمل به ، ولا يعمل بالشر اذا سمعه

[يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين] أى يصدق الله فيما يقول ، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به ، لعلمه إخلاصهم

[ورحمة للذين آمنوا منكم] أى وهو رحمة للمؤمنين ، لانه كان سبب إيمانهم

[والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم] أى والذين يعيبون الرسول ويقولون ما لا يليق بجنابه الشريف ، لهم عذاب موجع في الاخرة

[ويحلفون بالله لكم ليرضوكم] اي يحلفون لكم انهم ما قالوا شيئا فيه انتقاص للرسول ، ليرضوكم بتلك الأيمان

[والله ورسوله أحق ان يرضوه] أى والحال انه تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسوله أحق بالإرضاء ، ولا يكون ذلك الا بالطاعة ، والمتابعة ، وتعظيم أمره عليه السلام

[إن كانوا مؤمنين] أى ان كانوا حقا مؤمنين ، فليرضوا الله ورسوله

[ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله] أى ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه من يعادي ويخالف الله والرسول ، والاستفهام للتوبيخ

[فأن له نار جهنم خالدا فيها] أى فقد حق دخوله جهنم وخلوده فيها

[ذلك الخزي العظيم] اي ذلك هو الذل العظيم ، والشقاء الكبير ، المقرون بالفضيحة حيث يفتضحون على رءوس الاشهاد

[يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم] أى يخشى المنافقون ان تنزل فيهم سورة تكشف عما في قلوبهم من النفاق

[قل استهزئوا] أى استهزئوا بدين الله كما تشتهون ، وهو امر للتهديد كقوله [اعملوا ما شئتم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله مخرج ما تحذرون] أى مظهر ما تخفونه وتحذرون ظهوره من النفاق ، قال الزمخشري : كانوا يستهزئون بالاسلام ويحذرون ان يفضحهم الله بالوحي ، حتى قال بعضهم : والله لا أرانا الا شر خلق الله ، ولوددت أني جلدت مائة جلدة ، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا

[ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب] أى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين ، عما قالوا من الباطل والكذب ، في حقك وفي حق الاسلام ، ليقولون لك : ما كنا جادين ، وإنما كنا نمزح ونلعب ، للترويح عن النفس ، قال الطبري : بينما رسول الله (ص) يسير في غزوته الى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين ، فقالوا : انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات ! ! فأطلع الله نبيه فأتاهم فقال : قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله : انما كنا نخوض ونلعب فنزلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون] أى قل لهؤلاء المنافقين : أستهزئون بدين الله وشرعه ، وكتابه ورسوله ؟ والاستفهام للتوبيخ ، ثم كشف تعالى امرهم وفضح حالهم فقال

[لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] أى لا تعتذروا بتلك الأيمان الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور أمركم ، فقد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول بعد اظهاركم الايمان

[إن نعف عن طائفة منكم] أى ان نعف عن فريق منكم لتوبتهم وإخلاصهم

[نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين] أى نعذب فريقا آخر لأنهم اصروا على النفاق والاجرام

[المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض] أى المنافقون والمنافقات صنف واحد ، وهم متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان ، كتشابه اجزاء الشيء الواحد ، قال في الكشاف : وأريد بقوله [بعضهم من بعض] نفي ان يكونوا من المؤمنين ، وتكذيبهم في قولهم [ويحلفون بالله إنهم لمنكم] ثم وصفهم بما يدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على مخالفة حالهم لحال المؤمنين فقال

[يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف] أى يأمرون بالكفر والمعاصي ، وينهون عن الإيمان والطاعة

[ويقبضون أيديهم] أى يمسكون ايديهم عن الانفاق في سبيل الله

[نسوا الله فنسيهم] أى تركوا طاعته ، فتركهم من رحمته وفضله ، وجعلهم كالمنسيين

[ان المنافقين هم الفاسقون] أى الكاملون في التمرد والعصيان ، والخروج عن طاعة الرحمن ، وكفى به زجرا لأهل النفاق

[وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم] أى وعد الله المنافقين والمتجاهرين بالكفر ، بإحراقهم في نار جهنم

[خالدين فيها] اي ماكثين فيها أبدا

[هي حسبهم] أى هي كفايتهم في العذاب ، إذ ليس هناك عذاب يعادلها

[ولعنهم الله] أى ابعدهم من رحمته واهانهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولهم عذاب مقيم] أى دائم لا ينقطع

[كالذين من قبلكم] أى حالكم يا معشر المنافقين ، كحال من سبقكم من المكذبين ، وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب

[كانوا أشد منكم قوة] أى كانوا اقوى منكم اجساما واشد بطشا

[وأكثر أموالا وأولادا] اي وكانوا أوفر اموالا ، وأكثر اولادا ، ومع ذلك اهلكهم الله ، فاحذروا ان يحل بكم ما حل بهم

[فاستمتعوا بخلاقهم] أى تمتعوا بنصيبهم وحظهم من ملاذ الدنيا

[فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم] أى استمتعتم بملاذ الدنيا وشهواتها كما استمتع اولئك الذين سبقوكم بنصيبهم منها

[وخضتم كالذى خاضوا] أى وخضتم في الباطل والضلال ، كما خاضوا هم فيه ، قال الطبري : المعنى سلكتم ايها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بالدنيا كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استمتع الامم الذين كانوا من قبلكم ، وخضتم في الكذب والباطل على الله ، كخوض تلك الامم قبلكم ، فاحذروا ان يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم

[اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والاخرة] أى اولئك الموصوفون بما ذكر من قبيح الفعال ، ذهبت اعمالهم باطلا ، فلا ثواب لها الا النار

[واولئك هم الخاسرون] أى واولئك هم الكاملون في الخسران

[ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم] أى ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الامم السابقين ، حين عصوا الرسل ماذا حل بهم من العقوبة ؟

[قوم نوح وعاد وثمود] أى هم قوم نوح الذين اهلكوا بالطوفان ، وقوم هود " عاد " الذين اهلكوا بالريح ، وقوم صالح " ثمود " الذين أهلكوا بالصيحة

[وقوم ابراهيم] الذين اهلكوا بسلب النعمة

[وأصحاب مدين] قوم شعيب الذين أهلكوا بعذاب يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظلة

[والمؤتفكات] قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم ، فصار عاليها سافلها ، وامطروا حجارة من سجيل

[أتتهم رسلهم بالبينات] أى جاءتهم رسلهم بالمعجزات فكذبوهم

[فما كان الله ليظلمهم] أى فما اهلكهم الله ظلما انما اهلكهم بإجرامهم

[ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أى ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر وارتكاب المعاصى ، أفأمن هؤلاء المنافقون ان يسلك بهم في الانتقام ، سبيل أسلافهم المكذبين من اهل الاجرام ؟ ولما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة ، أعقبها بذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال

[والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] أى هم اخوة في الدين يتناصرون ويتعاضدون

[يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] اي يأمرون الناس بكل خير وجميل يرضي الله ، وينهونهم عن كل قبيح يسخط الله ، فهم على عكس المنافقين ، الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف

[ويقيمون الصلاة] أى يؤدونها على الوجه الكامل

[ويؤتون الزكاة] أى يعطونها الى مستحقيها ابتغاء وجه الله

[ويطيعون الله ورسوله] أى في كل أمر ونهي

[أولئك سيرحمهم الله] أى سيدخلهم في رحمته ، ويفيض عليهم جلائل نعمته

[إن الله عزيز] أى غالب لا يغلب ، يعز من أطاعه ويذل من عصاه

[حكيم] أى يضع كل شيء في موضعه على اساس الحكمة ، في النعمة والنقمة

[وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار] اي وعدهم على ايمانهم بجنات وارفة الظلال ، تجري من تحت قصورها الانهار

[خالدين فيها] أى لابثين فيها ابدا ، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد

[ومساكن طيبة في جنات عدن] أى ومنازل يطيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها العيش في جنات الخلد والاقامة ، قال الحسن : هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد

[ورضوان من الله أكبر] أى وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله ، وفي الحديث يقول الله تعالى لاهل الجنة : (يا اهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ! فيقول : اعطيكم افضل من ذلك فيقولون : واي شيء افضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا اسخط عليكم بعده ابدا

[ذلك هو الفوز العظيم] أى ذلك هو الظفر العظيم الذي لا سعادة بعده

[يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين] قال ابن عباس : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان

[واغلظ عليهم] أى اشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب

[ومأواهم جهنم] أى مسكنهم ومثواهم جهنم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبئس المصير] أى بئس المكان الذي يصار اليه جهنم

[يحلفون بالله ما قالوا] أى يحلف المنافقون أنهم ما قالوا الذي بلغك عنهم من السب ، قال قتادة : نزلت في (عبد الله بن أبي) وذلك انه اقتتل رجلان : جهنى وانصاري ، فعلا الجهنى على الانصاري ، فقال ابن سلول للانصار : ألا تنصرون أخاكم ؟ والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل " سمن كلبك يأكلك " فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي (ص) فأرسل اليه يسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية "

[ولقد قالوا كلمة الكفر] هي قول ابن سلول (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)

[وكفروا بعد إسلامهم] أى اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهموا بما لم ينالوا] قال ابن كثير : هم نفر من المنافقين هموا بالفتك بالنبي (ص) عند عودته من تبوك وكانوا بضعة عشر رجلا

[وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله] أى ما عابوا على الرسول وما له عندهم من ذنب ، إلا ان الله اغناهم ببركته ، ويمن سعادته ، وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب . . ثم دعاهم تبارك وتعالى الى التوبة فقال

[فإن يتوبوا يك خيرا لهم] أى فإن يتوبوا عن النفاق ، يكن رجوعهم وتوبتهم خيرا لهم وافضل

[وإن يتولوا] اي يعرضوا ويصروا على النفاق

[يعذبهم الله عذابا أليما] أى يعذبهم عذابا شديدا

[في الدنيا والآخرة] اي في الدنيا بالقتل والأسر ، وفي الآخرة بالنار وسخط الجبار

[وما لهم في الأرض من ولى ولا نصير] اي ليس لهم من ينقذهم من العذاب ، او يشفع لهم فيخلصهم وينجيهم يوم الحساب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

1 - [هو أذن] أصله هو كالأذن يسمع كل ما يقال له ، فحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه ، فصار تشبيها بليغا مثل زيد أسد.

2 - [يؤذون رسول الله] أبرز اسم الرسول ولم يأت به ضميرا " يؤذونه " تعظيما لشأنه عليه السلام ، وجمعا له بين الرتبتين العظيمتين (النبوة) و(الرسالة) واضافته اليه زيادة في التكريم والتشريف.

3 - [ذلك الخزي العظيم] الاشارة بالبعيد عن القريب للإيذان ببعد درجته في الهول والفظاعة .

4 - [ويقبضون أيديهم] قبض اليد كناية عن الشح والبخل ، كما ان بسطها كناية عن الجود والكرم .

5 - [نسوا الله فنسيهم] من باب المشاكلة لان الله لا ينسى أى تركوا طاعته فتركهم تعالى من رحمته .

6 - [كالذين من قبلكم] التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة التقريع والعتاب .

7 - [فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعم بخلاقكم . .] الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها اطناب ، والغرض منه الذم والتوبيخ ، لاشتغالهم بالمتاع الخسيس ، عن الشيء النفيس .

8 - [وما نقموا إلا أن أغناهم الله . .] في الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول القائل : ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب .

فائدة :

روى ابن كثير عن علي كرم الله وجهه قال : بعث رسول الله (ص) بأربعة أسياف : سيف للمشركين [فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين] وسيف لأهل الكتاب [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . .] وسيف للمنافقين [جاهد الكفار والمنافقين] وسيف للبغاة [فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله] .

لطيفة :

قال الامام الفخر : لما وصف تعالى المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ، ذكر بعده خمسة أمور بها يتميز المؤمن ، عن المنافق ، فالمنافق يأمر بالمنكر ، وينهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن المعروف ، ولا يقوم الى الصلاة الا بكسل ، ويبخل بالزكاة وسائر الواجبات ، واذا امر بالمسارعة الى الجهاد فإنه يتخلف ويثبط غيره ، والمؤمن بالضد منه ، فإنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويؤدي الصلاة على الوجه الأكمل ، يؤتي الزكاة ، ويسارع الى طاعة الله ورسوله ، ولهذا قابل تعالى بين صفات المؤمنين ، وصفات المنافقين بقوله

[والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله] كما قابل في الجزاء بين نار جهنم ودار النعيم ، فكانت مقابلة لطيفة

قال الله تعالى : [ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله . . الى. . فهم لا يعلمون] من آية (75) الى نهاية آية 93 .

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن المنافقين ، وتفضح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اسرارهم ، وتكشف احوالهم ، باعتبار خطرهم الداهم على الاسلام والمسلمين ، لينتبه اهل الايمان الى ضررهم وخطرهم ، فيحذروهم .

اللغه :

[أعقبهم] قال الليث : يقال أعقبت فلانا ندامة اذا صارت عاقبة امره ذلك ، ويقال : أكل أكلة اعقبته سقما أى حصل له بها السقم ، قال الهذلي : أودى بنى وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

[سرهم] السر : ما ينطوي عليه الصدر

[نجواهم] النجوى : ما يكون بين شخصين او اكثر من الحديث ، مأخوذ من النجوة وهو الكلام الخفي ، كأن المتناجيين منعا ادخال غيرهما معهما

[يلمزون] يعيبون واللمز : العيب

[المخلفون] المخلف ، المتروك الذي تخلف عن الجهاد

[الطول] الغنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[المعذرون] جمع معذر كمقصر ، وهو الذي يعتذر بغير عذر ، قال الجوهري : هو الذي يعتذر بالكذب وأصله من العذر ، وفي الامثال (أعذر من أنذر) أى بالغ في العذر من تقدم اليك فأنذرك .

سبب النزول :

1 - روي ان رجلا يسمى " ثعلبة " جاء الى النبي (ص) فقال يا رسول الله : ادع الله أن يرزقني مالا فقال : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره ، خير من كثير لا تطيقه ، فقال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا ، لأعطين كل ذي حق حقه ، فلم يزل يراجعه حتى دعا له ، فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها ، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت حتى ترك الجمعة والجماعة ، فسأل رسول الله (ص) عنه فاخبروه بخبره فقال : يا ويح ثعلبة ثلاثا ، فأنزل الله [ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن . .] الآية فهلك في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلافة عثمان . .

2 -عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبى ، جاء ابنه الى رسول الله ، فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فأعطاه ، ثم سأله ان يصلي عليه ، فقام رسول الله (ص) ليصلى عليه ، فقام عمر فقال يا رسول الله : أعلى عدو الله تصلي ؟ فقال : أخر عني يا عمر ، اني خيريت فاخترت فقيل لي [استغفر لهم] الآية ولو اعلم اني لو زدت على السبعين غفر له لزدت ، ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره ، فما كان إلا يسيرا حتى انزل الله [ولا تصل على أحد منهم مات أبدا . . . الآية .

التفسير :

[ومنهم من عاهد الله] أى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه

[لئن آتانا من فضله] أى لئن اعطانا الله من فضله ووسع علينا في الرزق

[لنصدقن ولنكونن من الصالحين] اي لنصدقن على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفقراء والمساكين ، ولنعملن فيها بعمل اهل الخير والصلاح

[فلما آتاهم من فضله] اي فلما رزقهم الله واغناهم من فضله

[بخلوا به وتولوا وهم معرضون] أى بخلوا بالانفاق ونقضوا العهد ، واعرضوا عن طاعة الله ورسوله

[فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه] أى جعل الله عاقبتهم رسوخ النفاق في قلوبهم الى يوم لقاء الله

[بما أخلفوا الله ما وعدوه] أى بسبب اخلافهم ما عاهدوا الله عليه من التصدق والصلاح

[وبما كانوا يكذبون] أى وبسبب كذبهم في دعوى الايمان والاحسان

[ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم] الاستفهام للتوبيخ والتقريع أى ألم يعلم هؤلاء المنافقون ان الله يعلم اسرارهم واحوالهم ؟ ما يخفونه في صدورهم ، وما يتحدثون به بينهم ؟

[وأن الله علام الغيوب] أى لا يخفى عليه شيء مما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غاب من الاسماع والابصار والحواس ؟

[الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات] أى يعيبون المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في صدقاتهم

[والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم] أى ويعيبون الذين لا يجدون الا طاقتهم فيهزءون منهم . . روى الطبري عن ابن عباس قال : جاء (عبد الرحمن بن عوف) بأربعين اوقية من ذهب الى النبي ، ، وجاء رجل من الانصار بصاع من تمر ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء ، وان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع ، فنزلت

[سخر الله منهم] أى جازاهم على سخريتهم ، وهو من باب المشاكلة

[ولهم عذاب أليم] أى عذاب موجع ، هو عذاب الآخرة المقيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[استغفر لهم او لا تستغفر لهم] أمر ومعناه الخبر أى سواء يا محمد استغفرت لهؤلاء المنافقين ، ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم

[إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم] قال الزمخشري : والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير والمعنى مهما اكثرت من الاستغفار لهم ، وبالغت فيه فلن يغفر الله لهم ابدا

[ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله] أى عدم المغفرة لهم بسبب كفرهم بالله ورسوله كفرا شنيعا ، حيث اظهروا الايمان وابطنوا الكفر

[والله لا يهدي القوم الفاسقين] أى لا يوفق للايمان الخارجين عن طاعته ، ولا يهديهم الى سبيل السعادة

[فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله] أى فرح المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في (غزوة تبوك) بقعودهم بعد خروج الرسول (ص) مخالفة له حين سار وأقاموا

[وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أى وكرهوا الخروج الى الجهاد ، ايثارا للراحة وخوف اتلاف النفس والمال ، لما في قلوبهم من الكفر والنفاق [وقالوا لا تنفروا في الحر] أى قال بعضهم لبعض : لا تخرجوا الى الجهاد في وقت الحر ، وذلك ان النبي (ص) استنفرهم الى هذه الغزوة في حر شديد ، قال ابو السعود : وانما قال [وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله] على قوله " وكرهوا أن يخرجوا الى الغزو " ايذانا بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب ، وأشرف المطالب ، التى يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه ، كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله ، وقالوا لاخوانهم تواصيا فيما بينهم بالشر والفساد لا تنفروا في الحر ، فقد جمعوا ثلاث خصال من الكفر والضلال : " الفرح بالقعود ، وكراهية الجهاد ، ونهي الغير عن ذلك " ، قال تعالى ردا عليهم

[قل نار جهنم أشد حرا] أى قل لهم يا محمد : نار جهنم التي تصيرون اليها بتثاقلكم عن الجهاد ، اشد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرا مما تحذرون من الحر المعهود ، فإن حر الدنيا يزول ولا يبقى ، وحر جهنم دائم لا يفتر ، فما لكم لا تحذرون نار جهنم ؟ قال الزمخشري : وهذا استجهال لهم ، لان من تصون من مشقة ساعة ، فوقع بذلك التصون فى مشقة الابد ، كان أجهل من كل جاهل

[لو كانوا يفقهون] أى لو كانوا يفهمون لنفروا مع الرسول (ص) في الحر ، ليتقوا به حر جهنم ، الذي هو اضعاف اضعاف هذا ولكنهم (كالمستجير من الرمضاء بالنار)

[فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا] أمر يراد به الخبر ، معناه : فسيضحكون قليلا ، وسيبكون كثيرا ، قال ابن عباس : الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا الى الله عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع ابدا

[جزاء بما كانوا يكسبون] اي جزاء لهم على ما اجترحوا من فنون المعاصى

[فإن رجعك الله الى طائفة منهم] أى فإن ردك الله من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(غزوة تبوك) الى طائفة من المنافقين ، الذين تخلفوا
بغير عذر
[فاستأذنوك للخروج] أى طلبوا الخروج معك لغزوة
اخرى
[فقل لن تخرجوا معي أبدا] أى قل لهم لن تخرجوا
معي للجهاد ابدا
[ولن تقاتلوا معى عدوا] أى لن يكون لكم شرف
القتال معي لاعداء الله ، وهو خبر معناه النهي للمبالغة
، جار مجرى الذم لهم لاظهار نفاقهم
[إنكم رضيتم بالقعود أول مرة] أى قعدتم عن
الخروج معي اول مرة ، حين لم تخرجوا الى تبوك
[فاقعدوا مع الخالفين] أى فاقعدوا مع المتخلفين عن
الغزو من النساء والصبيان
[ولا تصل على أحد منهم مات أبدا] أى لا تصل يا
محمد على أحد من هؤلاء المنافقين اذا مات ، لان
صلاتك رحمة ، وهم ليسوا اهلا للرحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تقم على قبره] أى لا تقف على قبره للدفن ، او للزيارة والدعاء

[إنهم كفروا بالله ورسوله] أى لانهم كانوا في حياتهم منافقين ، يظهرون ايمان ويبطنون الكفر
[وماتوا وهم فاسقون] اي وماتوا وهم على نفاقهم ، خارجون من الاسلام ، متمردون في العصيان ، نزلت في ابن سلول
[ولا تعجبك أموالهم وأولادهم] أى لا تستحسن ما انعمنا به عليهم من الاموال والاولاد
[إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا] أى لا يريد الله بهم الخير ، انما يريد ان يعذبهم بها في الدنيا بالمصائب والنكبات
[وتزهق أنفسهم وهم كافرون] أى تخرج ارواحهم ويموتوا على الكفر ، منشغلين بالتمتع بالاموال والاولاد ، عن النظر والتدبر في العواقب
[وإذا أنزلت سورة] التنكير للتفخيم أى واذا انزلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة جليلة الشأن

[أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله] أى بأن آمنوا بالله بصدق ، يقين ، وجاهدوا مع الرسول لنصرة الحق واعزاز الدين

[استأذنك أولوا الطول منهم] أى استأذنك في التخلف أولو الغنى والمال الكثير

[وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين] أى دعنا نكن مع الذين لم يخرجوا للغزو ، وقعدوا للعذر ، قال تعالى تقبيحا لهم وذما

[رضوا بأن يكونوا مع الخوالف] أى رضوا بأن يكونوا مع النساء والمرضى والعجزة الذين تخلفوا في البيوت

[وطبع على قلوبهم] أى ختم عليها

[فهم لا يفقهون] أى فهم لا يفهمون ما في الجهاد ، وطاعة الرسول من السعادة ، وما في التخلف عنه من الشقاوة

[لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأنفسهم] قال الرازي : لما شرح حال المنافقين ، بين حال الرسول والمؤمنين بالضد منه ، حيث بذلوا المال والنفس ، في طلب رضوان الله والتقرب اليه

والمعنى : ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا ، فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نية واعتقادا

[وأولئك هم المفلحون] أى الفائزون بالمطلوب

[أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار] أى اعد الله وهيأ لهم على ايمانهم وجهادهم ، بساتين تجري من تحت قصورها الانهار

[خالدين فيها] أى لابثين في الجنة ابدا

[ذلك الفوز العظيم] أى ذلك هو الظفر العظيم الذي لا فوز وراءه

[وجاء المعذرون من الأعراب] أى جاء المعتذرون من الاعراب ، الذين انتحلوا الاعذار وتخلفوا عن الجهاد

[ليؤذن لهم] أى في ترك الجهاد ، وهذا بيان لاحوال المنافقين من الاعراب ، بعد بيان احوال المنافقين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اهل المدينة ، قال البيضاوي : هم " أسد " و " غطفان " استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال

[وقعد الذين كذبوا الله ورسوله] أى وقعد عن الجهاد الذي كذبوا الله ورسوله في دعوى الايمان ، وهم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم

[سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم] وعيد لهم شديد اي سينال هؤلاء المتخلفين الكاذبين في دعوى الايمان ، عذاب اليم بالقتل والأسر في الدنيا ، ونار جهنم في الآخرة

[ليس على الضعفاء ولا على المرضى] أى ليس على الشيوخ المسنين ، ولا على المرضى العاجزين ، الذين لا يستطيعون الجهاد لعجزهم او مرضهم

[ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون] اي الفقراء الذين لا يجدون نفقة للجهاد

[حرج] أى إثم في القعود

[إذا نصحوا لله ورسوله] أى : اخلصوا الايمان والعمل الصالح ، فلم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم ، ولم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يثيروا الفتن ، فليس على هؤلاء حرج ، اذا تركوا الغزو لانهم اصحاب اعذار

[ما على المحسنين من سبيل] أى ليس عليهم جناح ، ولا الى معاتبتهم سبيل ، وصفهم بالمحسنين لانهم نصحوا لله ورسوله ، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم وهذا من بليغ الكلام لان معناه : لا سبيل لعاتب عليهم ، وهو جار مجرى المثل

[والله غفور رحيم] أى عظيم المغفرة والرحمة ، حيث وسع على اهل الاعذار

[ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم] نزلت في البكائين الذين ارادوا الغزو مع رسول الله ، ولم يجد الرسول (ص) ما يحملهم عليه ، قال البيضاوي : هم " البكاءون ، سبعة من الانصار أتوا رسول الله (ص) وقالوا : قد نذرنا الخروج فاحملنا نغزو معك ، فقال عليه الصلاة والسلام : " لا اجد ما احملكم عليه " فتولوا وهم يبكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قلت لا أجد ما أحملكم عليه] أى ليس عندي ما أحملكم عليه من الدواب

[تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا] أى انصرفوا واعينهم تسيل دمعا من شدة الحزن

[ألا يجدوا ما ينفقون] أى لانهم لم يجدوا ما ينفقونه لغزوهم ، ولم يكن عند الرسول ما يحملهم عليه

[إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء] أى انما الاثم والحرج على الذين يستأذنوك في التخلف ، وهم قادرون على الجهاد وعلى الانفاق لغناهم

[رضوا بأن يكونوا مع الخوالف] اي رضوا بان يكونوا مع النساء والمرضى والعجزة

[وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون] أى ختم عليها فهم لذلك لا يهتدون الى الحق ، ولا يعرفون سبيل النجاة!

البلاغة :

1 - [يعلم . . وعلام الغيوب] بين (يعلم) و(علام) جناس الاشتقاق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - [ولهم عذاب أليم] التنوين في عذاب للتهويل والتفخيم .

3 - [استغفر لهم او لا تستغفر لهم] بينهما طباق السلب ، وقد خرج الامر عن حقيقته الى التسوية ، للاقناط من المغفرة لهم .

4 - [فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا] فيه من المحسنات البديعية ما يسمى (بالمقابلة) المقابلة بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

5 - [رضوا بأن يكونوا مع الخوالف] الخوالف : النساء القواعد ، بطريق الاستعارة ، وانما سمي النساء خوالف تشبيها لهن بالأعمدة تكون في اواخر بيوت الحي .

6 - [ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم] هو من عطف الخاص على العام ، اعتناء بشأنهم ، أفاده الالوسى .

فائدة :

قال الزمخشري عند قوله تعالى [إن تستغفر لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبعين مرة] لفظ السبعين جار مجرى المثل في كلام العرب للتكثير ، قال علي بن أبى طالب : لأصبحن العاص وابن العاصى سبعين ألفا عاقدي النواصي فذكرها ليس لتحديد العدد ، وانما هو للمبالغة ، جريا على اساليب العرب .

تنبيه :

انما منع (ص) من الصلاة على المنافقين ، لان الصلاة على الميت دعاء واستغفار واستشفاع له ، والكافر ليس بأهل لذلك . لطيفه : اشتهر " حذيفة بن اليمان " بانه صاحب سر الرسول (ص) وقد قال له (ص) : إني مسر اليك سرا فلا تذكره لاحد ، اني نهيت ان اصلي على فلان وفلان ، لرهط ذوي عدد من المنافقين ، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يأتيه فيقول : اسألك بالله ، هل عدني رسول الله (ص) من المنافقين ؟ ! رضي الله عنه وارضاه

قال الله تعالى : [يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم . . الى . . والله عليم حكيم] من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آية (94) الى نهاية آية (110).

المناسبة :

لا تزال الآيات تتحدث عن المنافقين ، الذين تخلفوا عن الجهاد ، وجاءوا يؤكدون تلك الاعذار بالأيمان الكاذبة ، وقد ذكر تعالى من مكائد المنافقين " مسجد الضرار " الذي بنوه ليكون وكرا للتآمر على الاسلام والمسلمين ، وحذر نبيه (ص) من الصلاة فيه ، لانه لم يشيد على اساس من التقوى ، وانما بني ليكون مركزا لاهل الشقاق والنفاق ، ولتفريق وحدة المسلمين ، وقد اشتهر باسم " مسجد الضرار " لقوله سبحانه [اتخذوا مسجدا ضرارا] .

اللغة :

[انقلبتم] رجعتم

[رجس] الرجس : الشيء الخبيث المستقذر ، وقد يطلق على النجس

[ومأواهم] قال الجوهري : المأوى كل مكان يأوي اليه الانسان ، ليلا او نهارا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الاعراب] جمع أعرابي قال اهل
اللغة :

يقال رجل عربي اذا كان من العرب ، وجمعه العرب ، ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ، سواء كان من العرب او من مواليهم ، فمن استوطن القرى العربية فهؤلاء عرب ، ومن نزل البادية فهم أعراب

[أجدر] أولى وأحق

[مغرها] المغرم : الغرم والخسران ، واصله من الغرام وهو لزوم الشيء

[مردوا] ثبتوا واستمروا واصل الكلمة من اللين والملامسة والتجرد ، فكأنهم تجردوا للنفاق ، ومنه رملة مرداء لا نبت فيها ، وغصن أمرد لا ورق عليه ، وغلام أمرد لا لحية له

[مرجون] الإرجاء : التأخير يقال : ارجأته أى أخرته ومنه المرجئة لأنهم أخروا العمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ضرارا] الضرار : محاولة الضر ، وفي الحديث (لا ضرر ولا ضرار)

[إرصادا] الارصاد : الترقب والانتظار يقال أرصدت له كذا اذا أعددته مرتقبا له به

[شفا] الشفا : الحرف والشفير ومنه اشفى على كذا إذا دنا منه

[جرف] : ما تجرفه السيول من الاودية ويبقى على الاطراف طين مشرف على السقوط ، واصله من الجرف وهو اقتلاع الشيء من اصله

[هار] ساقط يقال : تهور البناء اذا سقط واصله هائر.

سبب النزول :

روي ان " ابا عامر الراهب " كان قد تنصر في الجاهلية وترهب ، فلما خرج رسول الله (ص) عاداه لانه ذهبت رياسته وقال : لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم - وسماه النبي ص ابا عامر الفاسق - فلما انهزمت هوازن في حنين خرج الى الشام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب الى قيصر ، فآتي بجند الروم فأخرج محمدا واصحابه ، فبنوا مسجدا الى جانب (مسجد قباء) وأتوا رسول الله (ص) فقالوا : انا بنينا مسجدا لذي العلة ، والحاجة ، والليلة المطيرة ، وانا نحب ان تأتينا فتصلي لنا فيه ، فدعا بثوبه ليلبسه فيأتيهم فنزل عليه القرآن ، واخبر الله رسوله خبر " مسجد الضرار " وما هموا به ، فدعا (ص) بعض الصحابة وقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله واحرقوه ، فذهبوا اليه فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه اهله ، وفيه نزلت [والذين اتخدوا مسجدا ضرارا . .] الآية .

التفسير :

[يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم] أى يعتذر اليكم هؤلاء المتخلفون عن غزوة تبوك ، اذا رجعتم اليهم من سفركم وجهادكم

[قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم] أى قل لهم لا تعتذروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلن نصدقكم فيما تقولون

[قد نبأنا الله من أخباركم] أى قد اخبرنا الله باحوالكم وما في ضمائركم من الخبث والنفاق

[وسيرى الله عملكم ورسوله] أى وسيرى الله ورسوله عملكم فيما بعد ، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟

[ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة] أى ثم ترجعون بعد مماتكم الى الله تعالى ، الذي يعلم السر والعلانية ، ولا تخفى عليه خافية

[فينبئكم بما كنتم تعملون] أى فيخبركم عند وقوفكم بين يديه باعمالكم كلها ، ويجازيكم عليها الجزاء العادل

[سيحلفون بالله لكم] أى سيحلف لكم بالله هؤلاء المنافقون

[إذا انقلبتم إليهم] أى اذا رجعتم اليهم من تبوك ، معتذرين بالاعذار الكاذبة

[لتعرضوا عنهم] أى لتصفحوا عنهم ولتعرضوا عن ذمهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأعرضوا عنهم] أى فأعرضوا عنهم إعراض مقت واجتناب ، وخلوهم وما اختاروا لانفسهم من الكفر والنفاق ، قال ابن عباس : يريد ترك الكلام والسلام. .

ثم ذكر تعالى العلة فقال :

[إنهم رجس] أى لانهم كالقذر لخبث باطنهم

[ومأواهم جهنم] أى مصيرهم الى جهنم هي مسكنهم ومأواهم

[جزاء بما كانوا يكسبون] أى جزاء لهم على نفاقهم في الدنيا ، وما اكتسبوه من الآثام

[يحلفون لكم لترضوا عنهم] كرره لبيان كذبهم وللتحذير من الاغترار بمعاذيرهم الكاذبة ، أى يحلفون لكم بأعظم الايمان لينالوا رضاكم

[فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين] أى فإن رضيتم عنهم فإن رضاكم لا ينفعهم ، لأن الله ساخط عليهم ، قال ابو السعود : ووضع " الفاسقين " موضع الضمير للتسجيل عليهم بالفسق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والخروج عن الطاعة

[الأعراب أشد كفرا ونفاقا] الاعراب - اهل البدو - اشد كفرا واعظم نفاقا من اهل الحضر ، لجفائهم وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لاهل الخير والصلاح

[وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله] أى وهم أولى بألا يعلموا ما انزل الله على رسوله من الاحكام والشرائع ، قال في البحر : وانما كانوا اشد كفرا ونفاقا ، لفخرهم وطيشهم ، وتربيتهم بلا سائس ولا مؤدب ، فقد نشأوا كما شاءوا ، ولبعدهم عن مشاهدة العلماء ، ومعرفة كتاب الله وسنة رسوله ، فكانوا اطلق لسانا بالكفر من منافقي المدينة

[والله عليم حكيم] أى عليم بخلقه حكيم في صنعه

[ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما] أى ومن هؤلاء الاعراب الجهلاء ، من يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ، غرامة وخسرانا ، لانه لا ينفقه احتسابا فلا يرجو له ثوابا

[ويتربص بكم الدوائر] أى ينتظر بكم مصائب الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليتخلص من اعباء النفقة

[عليهم دائرة السوء] جملة اعتراضية للدعاء عليهم أى عليهم يدور العذاب والهلاك

[والله سميع عليم] أى (سميع) لاقوالهم (عليم) بافعالهم

[ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر] أى ومن الاعراب من يصدق بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت ، على عكس اولئك المنافقين

[ويتخذ ما ينفق قربات عند الله] أى ويتخذ ما ينفق في سبيل الله ، ما يقربه من رضا الله ومحبته

[وصلوات الرسول] أى دعاء الرسول واستغفاره له

[ألا إنها قربة لهم] (ألا) اداة استفتاح للتنبيه على الاعتناء بالامر اي ألا إن هذا الإنفاق قربة عظيمة ، تقربهم لرضا ربهم ، حيث انفقوها مخلصين

[سيدخلهم الله في رحمته] أى سيدخلهم الله في جنته التي اعدها للمتقين

[إن الله غفور رحيم] أى غفور لاهل طاعته ، رحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهم حيث وفقهم للطاعة

[والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار] أى والسابقون الأولون في الهجرة والنصرة ، الذين سبقوا الى الايمان من الصحابة ((روي عن الشعبي أنهم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقيل : هم الذين صلوا إلى القبلتين وما ذكرناه أنهم جميع الصحابة ، وهم السابقون في الهجرة والنصرة ، هو ما رجحه الطبري ، والشوكاني ، واختاره الفخر الرازي ، ورجحه على سائر الأقوال))

[والذين اتبعوهم بإحسان] أى سلكوا طريقهم واقتدوا بهم في سيرتهم الحسنة ، وهم التابعون ومن سار على نهجهم الى يوم القيامة

[رضي الله عنهم ورضوا عنه] وعد لهم بالغفران والرضوان أى رضي الله عنهم وارضاهم ، وهذا ارقى المراتب التي يسعى اليها المؤمنون ، ويتنافس فيها المتنافسون ، ان يرضى الله تعالى عنهم ويرضيهم ، قال الطبري : رضي الله عنهم لطاعتهم اياه وإجابتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نبيه ، ورضوا عنه لما اجزل لهم من الثواب على الطاعة والايمان

[واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار] أى وأعد لهم في الاخرة جنات تجري من تحت اشجارها وقصورها الانهار

[خالدين فيها ابدا] أى مقيمين فيها من غير انتهاء

[ذلك الفوز العظيم] أى ذلك هو الفوز الذي لا فوز وراءه ، قال في البحر : لما بين تعالى فضائل الاعراب المؤمنين ، بين حال هؤلاء السابقين ، ولكن شتان ما بين الثناءين ، فهناك قال [ألا إنها قربة لهم] وهنا قال [وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار] وهناك ختم [إن الله غفور رحيم] وهنا ختم [ذلك الفوز العظيم]

[وممن حولكم من الأعراب منافقون] أى وممن حولكم يا اهل المدينة منافقون من الاعراب ، منازلهم قريبة من منازلكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن أهل المدينة] أى ومن اهل المدينة منافقون ايضا

[مردوا على النفاق] أى لجوا في النفاق واستمروا عليه ، قال ابن عباس : مرنوا عليه وثبتوا ، منهم ابن سلول ، والجلاس ، وابو عامر الراهب
[لا تعلمهم نحن نعلمهم] أى لا تعلمهم انت يا محمد لمهارتهم في النفاق ، بحيث يخفى امرهم على كثيرين ، ولكن نحن نعلمهم ونخبرك عن احوالهم
[سنعذبهم مرتين] أى في الدنيا بالقتل والاسر ، وعند الموت بعذاب القبر
[ثم يردون إلى عذاب عظيم] اي ثم في الآخرة يردون الى عذاب النار ، الذي اعده الله للكفار والفجار
[وآخرون اعترفوا بذنوبهم] اي وقوم آخرون اقروا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة ، قال الرازي : هم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك ، لا لنفاقهم بل لكسلهم ، ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا] أى خلطوا جهادهم السابق وخروجهم مع الرسول ، لسائر الغزوات بالعمل السيىء ، وهو تخلفهم عن غزوة تبوك هذه المرة

[عسى الله أن يتوب عليهم] أى لعل الله يتوب عليهم ، قال الطبري : و(عسى) من الله واجب ومعناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه في كلام العرب بمعنى الترجي على ما وصفت

[إن الله غفور رحيم] أى ذو عفو لمن تاب ، عظيم الرحمة لمن اناب

[خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها] أى خذ يا محمد من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة ، تطهرهم بها من الذنوب والذنس ، وتنمي بتلك الصدقة حسناتهم ، حتى يرتفعوا بها الى مراتب المخلصين الابرار

[وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم] أى وادع لهم بالمغفرة فإن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم ، قال ابن عباس : [سكن لهم] رحمة لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله سميع عليم] أى سميع لقولهم عليم بنياتهم
[ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده]
الاستفهام للتقرير ، أى ألم يعلم اولئك التائبون ان الله
تعالى هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده ،
[ويأخذ الصدقات] أى يتقبلها ممن اخلص النية
[وأن الله هو التواب الرحيم] أى وان الله وحده
المتفرد بقبول التوبة والرحمة ، لقوله تعالى [غافر
الذنب قابل التوب]
[وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون]
صيغة امر متضمنة للوعيد ، أى اعملوا ما شئتم من
الاعمال فاعمالكم لا تخفى على الله ، وستعرض يوم
الحساب على الرسول والمؤمنين
[وستردون الى عالم الغيب والشهادة] أى وستردون
الى الله الذي لا تخفى عليه خافية
[فينبئكم بما كنتم تعملون] أى فيجازيكم على اعمالكم
ان خيرا فخير ، وان شرا فشر
[وآخرون مرجون لأمر الله] أى وآخرون من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتخلفين ، مؤخرون الى ان يظهر امر الله فيهم ، قال ابن عباس : هم " كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن امية " لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار ، وكانوا من اصحاب بدر ، فنهى النبي (ص) عن كلامهم والسلام عليهم ، فصاروا مرجئين لأمره تعالى الى ان يتجاوز عن سيئاتهم ، فهو تعالى وحده الذي يقبل التوبة ، ويتوب على العبد دون غيره

[إما يعذبهم وإما يتوب عليهم] أى اما ان يعذبهم ان لم يتوبوا ، واما ان يوفقهم للتوبة ويغفر لهم

[والله عليم حكيم] أى عليم باحوالهم ، حكيم فيما يفعله بهم ، وهؤلاء الثلاثة المذكورون في قوله تعالى

[وعلى الثلاثة الذين خلفوا] وقد وقف امرهم خمسين ليلة ، وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد

[والذين اتخذوا مسجدا ضرارا] أى ومن المنافقين جماعة بالغوا في الاجرام ، حتى ابتنوا مجمعا يدبرون فيه الشر ، وسموه " مسجدا " مضارة للمؤمنين ، وقد اشتهر باسم " مسجد الضرار "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكفرا] أى نصرة للكفر الذي يخفونه
[وتفريقا بين المؤمنين] أى يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين ، ويصرفونهم عن مسجد قباء

[وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل] أى ترقبا وانتظارا لقدوم " أبى عامر الفاسق " الذي قال لرسول الله : لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ، وهو الذي امرهم ببناء المسجد ، ليكون معقلا له ، قال الطبري في رواية الضحاك : هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء ، يضارون به نبى الله والمسلمين ، وكانوا يقولون : اذا رجع ابو عامر صلى فيه ، واذا قدم ظهر على " محمد " وتغلب عليه
[وليحلفن إن أردنا الا الحسنى] اي وليقسمن ما اردنا ببنائه الا الخير والاحسان ، من الرفق بالمسكين ، والتوسعة على المصلين
[والله يشهد أنهم لكاذبون] أى والله يعلم كذبهم في ذلك الحلف ، وأتى بإن واللام لزيادة التأكيد . . ثم نهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار فقال

[لا تقم فيه أبدا] أى لا تصل فيه يا محمد أبدا ، لأنه لم يبن الا ليكون معقلا لأهل النفاق

[لمسجد أسس على التقوى] اللام لام القسم أى لمسجد قباء الذي بني على تقوى الله وطاعته

[من أول يوم] أى من اول يوم ابتدىء في بنائه

[أحق أن تقوم فيه] أى أولى وأجدر بأن تصلي فيه من مسجد الضرار

[فيه رجال يحبون أن يتطهروا] أى في هذا المسجد رجال اتقياء - وهم الانصار - يحبون ان يتطهروا من الذنوب والمعاصي

[والله يحب المطهرين] أى المبالغين في الطهارة ، الظاهرة والباطنة ، ثم اشار تعالى الى الفارق بين مسجد التقوى ، ومسجد الضرار بتمثيل فقال :

[أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان] الاستفهام للانكار ، والمعنى : هل من اسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار] أى هل ذلك خير ؟ ام هذا الذي اسس بنيانه على طرف واد متصدع مشرف على السقوط ؟

[فانهار به في نار جهنم] أى فسقط به البناء في نار جهنم

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أى لا يوفق الظالمين الى السداد ، ولا يهديهم سبيل الرشاد ، والآية الكريمة على سبيل " التشبيه والتمثيل " لعمل اهل الاخلاص ، والايمان ، وعمل اهل النفاق والضلال ، والمعنى هل من اسس بنيان دينه على التقوى والاخلاص ، كمن اسسه على الباطل والنفاق ، الذي يشبه طرف الوادي او الجبل الذي شارف على السقوط ؟

[لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم] أى لا يزال في قلوب اهل مسجد الضرار شك ونفاق ، وغيظ وارتياب بسبب هدمه ، يحسبون انهم كانوا في بنائه محسنين ، روي ان النبي (ص) بعث الى ذلك المسجد ، من هدمه وحرقه ، وامر بالقاء الجيف والنتن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقمامة فيه ، اهانة لاهله ، فلذلك اشتد غيظ المنافقين وحقدهم

[إلا أن تقطع قلوبهم] أى لا يزالون في ارتياب وغيظ إلا ان تتصدع قلوبهم فيموتوا

[والله عليم حكيم] أى والله سبحانه عليم باحوال المنافقين ، حكيم في تدبيره اياهم ومجازاتهم بسوء نياتهم .

البلاغة :

1 - [الغيب والشهادة] بين الكلمتين طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

2 - [لا يرضى عن القوم الفاسقين] الاظهار في موضع الاضمار لزيادة التشنيع والتقبيح ، واصله لا يرضى عنهم .

3 - [سيدخلهم في رحمته] فيه مجاز مرسل أى يدخلهم في جنته التي هي محل الرحمة ، وهو من اطلاق الوصف وارادة المحل .

4 - [عملا صالحا وآخر سيئا] بين [صالحا وسيئا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طباق .

5 - [إن صلاتك سكن لهم] فيه تشبيه بليغ حيث جعل الصلاة نفس السكن والاطمئنان مبالغة ، واصله كالسكن حذفت اداة التشبيه ووجه الشبه فاصبح بليغا .

6 - [هار فانهار] بينهما جناس ناقص ، وهو من المحسنات البديعية .

7 - [أفمن أسس بنيانه على تقوى] في الكلام (استعارة مكنية) حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليها البنيان ، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو التأسيس.

تنبيه :

كلمة " عسى " من الله واجب قال الامام الرازي : وتحقيق القول فيه ان القرآن نزل على عرف الناس في الكلام ، والسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيئا ، فإنه لا يجيبه الا على سبيل الترجي مع كلمة " عسى " او " لعل " تنبيها على انه ليس لاحد ان يلزمه بشيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بل كل ما يفعله فإما هو على سبيل " التفضل والتطول " وفيه فائدة اخرى وهو ان يكون المكلف على باب الطمع والاشفاق ، لانه ابعد من الاتكال والاهمال.

لطيفة :

روى الاعمش ان اعرابيا جلس الى " زيد بن صوحان " - وهو يحدث اصحابه - وكانت يده اصيبت يوم (نهاوند) فقال الاعرابي : والله ان حديثك ليعجبنى ، وان يدك لتريبنى فقال زيد : ما يريبك من يدي انها الشمال ، فقال الاعرابي : والله ما ادري اليمين يقطعون ام الشمال ! ! فقال زيد : صدق الله [الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله . .] الآية ، معنى " تريبني " اي تدخل الى قلبي الشك ، هل قطعت في سرقة ؟ وهذا غباء وسفه ، حيث ظن انه سارق قطعت يده في السرقة ، وهذا يدل على مبلغ جهل الاعرابي !.

قال الله تعالى : [إن الله اشترى من المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهم . . الى . . وهو رب العرش العظيم] من آية (111) الى آية (129) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى احوال المنافقين ، المتخلفين عن الجهاد ، المثبطين عنه ، ذكر صفات المؤمنين المجاهدين ، الذين باعوا انفسهم لله . . ثم ذكر قصة " الثلاثة " الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وتوبة الله عليهم ، وختم السورة بتذكير المؤمنين بالنعمة العظمى ، ببعثة السراج المنير ، النبي العربي ، الذي ارسله الله رحمة للعالمين !

اللغة :

[اواه] كثير التأوه ومعناه الخاشع المتضرع ، يقال : تأوه الرجل تأوها إذا توجع ، قال الشاعر : اذا ما قمت ارحلها بليل! تأوه آهة الرجل الحزين

[حليم] الحليم : الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذنب ويصبر على الاذى

[العسرة] الشدة وصعوبة الامر ، وتسمى غزوة تبوك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" غزوة العسرة " لما فيها من المشقة والشدة

[يزيغ] الزيغ : الميل : يقال زاغ قلبه اذا مال عن الهدى والايمان

[ظمأ] الظمأ : شدة العطش

[نصب] النصب : الإعياء والتعب

[مخمصة] مجاعة شديدة يظهر بها ضمور البطن

[ينالون] يصيبون ، نال الشيء اذا ادركه واصابه

[غلظة] شدة وقوة وحمية

[عزيز] صعب وشاق

[عنتم] العنت : الشدة والمشقة .

سبب النزول :

1 - لما بايع الانصار رسول الله ، ليلة العقبة - وكانوا سبعين رجلا- قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ، قالوا : فاذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع لا نقيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا نستقيل - أى لا نقبل رد البيع ولا نطلب نحن ذلك - فنزلت [إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم . .] الآية .

2 - لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه رسول الله (ص) وعنده ابو جهل ، وعبد الله بن أبي امية ، فقال : أى عم قل " لا اله الا الله " كلمة اشهد لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وابن أبى امية : يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى ان يقول " لا اله الا الله " فقال رسول الله (ص) : أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين . .] ونزلت [إنك لا تهدي من أحببت] .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة] أى اشترى اموال المؤمنين وانفسهم بالجنة ، وهو تمثيل في ذروة البلاغة والبيان لأجر المجاهدين ، مثل تعالى جزاءهم بالجنة على بذلهم الاموال والانفس في سبيله ، بصورة عقد فيه بيع وشراء ، قال الحسن البصري : بايعهم فأغلى لهم الثمن وانظروا الى كرم الله ، انفسا هو خلقها ، واموالا هو رزقها ، بثم وهبها لهم ، بثم اشتراها منهم بهذا الثمن الغالي ، فانها لصفقة رابحة ، وقال بعض العلماء : ناهيك عن بيع البائع فيه المؤمن ، والمشتري فيه رب العزة ، والثمن فيه الجنة ، والصك فيه الكتب السماوية ، والواسطة فيه محمد عليه الصلاة والسلام

[يقاتلون في سبيل الله] أى يجاهدون لاعزاز دين الله لم اعلاء كلمته

[فيقتلون ويقتلون] أى في حالتي الظفر بالاعداء بقتلهم ، او الاستشهاد في المعركة بموتهم

[وعدا عليه حقا] أى وعدهم به المولى وعدا قاطعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[في التوارة والإنجيل والقرآن] أى وعدا مثبتا في الكتب المقدسة (التوراة ، والانجيل ، والقرآن)
[ومن أوفى بعهده من الله] الاستفهام انكاري بمعنى النفي ، أى لا احد اوفى من الله جل وعلا! ! قال الزمخشري : لان اخلاف الميعاد قبيح ، لا يقدم عليه الكرام من الخلق ، فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح ؟ ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ
[فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به] أى ابشروا بذلك البيع الرابح ، وافرحوا به غاية الفرح
[وذلك هو الفوز العظيم] هو الفوز الذي لا فوز اعظم منه
[التائبون العابدون الحامدون] كلام مستأنف ، قال الزجاج : مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله [وكلا وعد الله الحسنى] والمعنى التائبون عن المعاصي ، العابدون اي المخلصون في العبادة ، الحامدون لله في السراء والضراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[السائحون] أى السائرون في الارض للغزو ، او طلب العلم ، من السياحة ، وهي السير والذهاب في المدن والقفار للعظة والاعتبار ((فسر بعضهم " السائحون " بأنهم الصائمون وقال عطاء : هم الغزاة وقال ابن زيد : هم المهاجرون وما ذهبنا إليه هو ما رجحه الفخر الرازي وهو الأولى بتفسير الاية الكريمة ويدل عليه {فسيحوا فى الأرض } والله أعلم))

[الراكعون الساجدون] أى المصلون

[الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر] أى الداعون الى الله ، يدعون الناس الى الرشد والهدى ، وينهونهم عن الفساد والردى

[والحافظون لحدود الله] أى المحافظون على فرائض الله ، المتمسكون بما شرع الله من حلال وحرام ، قال الطبري : أى المؤدون فرائض الله ، المنتهون الى امره ونهيه

[وبشر المؤمنين] أى بشرهم بجنات النعيم ، وحذف المبشر به اشارة الى انه لا يدخل تحت حصر ، بل لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين] أى لا ينبغي ولا يصح للنبي والمؤمنين ان يطلبوا من الله المغفرة للمشركين

[ولو كانوا أولي قربى] أى ولو كان المشركون اقرباء لهم

[من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم] أى من بعد ما وضح لهم انهم من اهل الجحيم لموتهم على الكفر ، والآية نزلت في أبي طالب

[وما كان استغفار ابراهيم لأبيه] هذا بيان للسبب الذي حمل ابراهيم على الاستغفار لأبيه آزر أى ما اقدم ابراهيم على الاستغفار

[إلا عن موعدة وعدها إياه] أى إلا من أجل تقدم له بقوله [سأستغفر لك ربى] وانه استغفر له قبل ان يتحقق من اصراره على الشرك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه] أى فلما تبين لإبراهيم ان أباه مصر على مخالفته ومستمر على الكفر ، تبرأ من ابيه بالكلية فضلا عن الاستغفار له ، ثم بين تعالى بان الذي حمل ابراهيم على الاستغفار هو فرط ترحمه وصبره على ابيه فقال

[إن إبراهيم لأواه] أى كثير التأوه من فرط الرحمة ورقة القلب

[حليم] أى صبور على ما يعترضه من الاذى ، ولذلك حلم عن ابيه مع توعد آزر له بقوله [لئن لم تنته لأرجمنك] فليس لغيره ان يتأسى به في ذلك ، قال ابو حيان : ولما كان استغفار ابراهيم لابيه بصدد ان يقتدى به ، بين تعالى العلة في استغفار ابراهيم لابيه ، وهو الوعد الذي كان وعده به ، فكان يرجو ايمانه ، فلما تبين له من جهة الوحي انه عدو لله ، وانه يموت كافرا ، وانقطع رجاؤه منه ، تبرأ منه وقطع استغفاره

[وما كان الله ليضل قوما] نزلت الآية في قوم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين استغفروا للمشركين ، فخافوا على انفسهم من ذلك ، فنزلت الآية تانيسا لهم أى ما كان الله ليقضى على قوم بالضلال

[بعد إذ هداهم] أى بعد ان وفقهم للايمان

[حتى يبين لهم ما يتقون] أى حتى يبين لهم ما يجتنبونه ، فان خالفوا بعد النهي استحقوا العقوبة

[إن الله بكل شيء عليم] أى عليم بجميع الاشياء ومنها انه يعلم من يستحق الهداية ، ومن يستحق الاضلال

[إن الله له ملك السموات والأرض] أى له سلطان السماوات والارض وملكهما ، وكل من فيهما عبيده ومماليكه

[يحيي ويميت] أى بيده وحده حياتهم وموتهم

[وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير] أى ما لكم ايها الناس من احد غير الله تلجأون اليه ، او تعتمدون عليه قال الألوسي : لما منعهم سبحانه عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى ، وتضمن ذلك وجوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التبري عنهم ، بين لهم ان الله سبحانه مالك كل موجود ، ومتولي امره ، والغالب عليه ، ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصر الا منه تعالى ، ليتوجهوا اليه بكليتهم ، متبرئين عما سواه ، غير قاصدين الا اياه

[لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار] أى تاب الله على النبى من اذنه للمنافقين في التخلف ، وتاب على المهاجرين والانصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في (غزوة تبوك) ، حيث تباطأ بعضهم ، وتثاقل عن الجهاد اخرون ، والغرض التوبة على من تخلفوا من المؤمنين عن (غزوة تبوك) ثم تابوا وانابوا ، وعلم الله صدق توبتهم فقبلها منهم ، وصدرها بتوبته على رسوله وكبار صحبه جبرا لقلوبهم ، وتنويها لشأنهم ، وبعثا للمؤمنين على التوبة ، وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار ، حتى النبي والمهاجرون والانصار

[الذين اتبعوه في ساعة العسرة] أى اتبعوه في غزوة تبوك وقت العسرة في شدة الحر ، وقلة الزاد ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والضيق الشديد . . روى الطبري عن عمر رضي الله عنه قال : (خرجنا مع رسول الله (ص) الى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش ، حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع ، حتى ان الرجل لينحر البعير ، فيعصر فرثه فيشربه ، فقال ابو بكر يا رسول الله : ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا ، قال : تحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سكبت السماء ، فملأوا ما معهم ، فرجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر

[من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم] أى من بعد ما كادت قلوب بعضهم تميل عن الحق وترتاب ، لما نالهم من المشقة والشدة

[ثم تاب عليهم] أى وفقهم للثبات على الحق ، وتاب عليهم لما ندموا

[إنه بهم رءوف رحيم] أى لطيف رحيم بالمؤمنين

[وعلى الثلاثة الذين خلفوا] أى وتاب كذلك على الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو ، وهم " كعب ، وهلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ومرارة "

[حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت] أى ضاقت عليهم مع سعتها

[وضاقت عليهم أنفسهم] أى ضاقت نفوسهم بما اعتراها من الغم والهم ، بحيث لا يسعها انس ولا سرور ، وذلك بسبب ان الرسول عليه السلام دعا لمقاطعتهم ، فكان أحدهم يفشي السلام لأقرب اقربائه فلا يرد عليه ، وهجرتهم نساؤهم وأهلوهم واهملوهم ، حتى تاب الله عليهم

[وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه] أى وايقنوا انه لا معتصم لهم من الله ومن عذابه ، الا بالرجوع والانابة اليه سبحانه

[ثم تاب عليهم ليتوبوا] أى رجع عليهم بالقبول والرحمة ، ليستقيموا على التوبة ويدوموا عليها

[ان الله هو التواب الرحيم] أى المبالغ في قبول التوبة ، وإن كثرت الجنايات وعظمت ، المتفضل على العباد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالرحمة الشاملة

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين] أى راقبوا الله في جميع اقوالكم وافعالكم ، وكونوا مع اهل الصدق واليقين ، الذين صدقوا في الدنيا ، نية وقولا وعملا

[ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله] عتاب لمن تخلف عن (غزوة تبوك) اي ما صح ولا استقام لاهل المدينة ومن حولهم من سكان البوادي ان يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله (ص)

[ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه] أى لا يترفعوا بأنفسهم عن نفسه ، بأن يكرهوا لها المكاره ، ولا يكرهون ذلك له عليه السلام ، بل عليهم ان يفدوه بالمهج والارواح ، وان يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب ، قال الزمخشري : أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء ، وان يلقوا من الشدائد ما تلقاه نفسه ، علما بأنها اعز نفس على الله واكرمها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه ، لا ان يضنوا بأنفسهم على ما سمح بنفسه عليه ، وهذا نهي بليغ ، وتهييج لمتابعته عليه السلام

[ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ] أى ذلك النهي عن التخلف ، بسبب أنهم لا يصيبهم عطش

[ولا نصب] أى ولا تعب

[ولا مخمصة] أى ولا مجاعة

[في سبيل الله] أى في طريق الجهاد

[ولا يطأون موطئا] أى ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بأرجلهم ، او حوافر خيولهم

[يغيظ الكفار] أى يغضب الكفار وطؤها

[ولا ينالون من عدو نيلا] أى ولا يصيبون اعداءهم بشيء ، بقتل او اسر او هزيمة ، قليلا كان او كثيرا

[إلا كتب لهم به عمل صالح] أى الا كان ذلك قربة لهم عند الله

[إن الله لا يضيع أجر المحسنين] أى لا يضيع اجر من احسن عملا

[ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة] قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمرة فما فوقها

[ولا يقطعون واديا] أى ولا يجتازون للجهاد في سيرهم أرضا ذهابا او إيابا

[إلا كتب لهم] أى أثبت لهم اجر ذلك

[ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون] أى ليجزيهم على كل عمل لهم جزاء احسن اعمالهما ، قال الالوسي : على معنى ان لاعمالهم جزاء حسنا وجزاء احسن ، وهو سبحانه اختار لهم احسن جزاء

[وما كان المؤمنون لينفروا كافة] أى لا ينبغي خروج جميع المؤمنين للغزو ((هذا هو معنى الآية ، وقيل : المراد أن ينفروا لطلب العلم ، وما ذكرناه اصح وأوضح)) بحيث تخلو منهم البلاد ، روي عن ابن عباس انه تعالى لما شدد على المتخلفين ، قالوا : لا يتخلف منا احد عن جيش او سرية ابدا ، فلما قدم الرسول المدينة وارسل السرايا الى الكفار ، نفر المسلمون جميعا الى الغزو ، وتركوه وحده بالمدينة ، فنزلت هذه الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة] أى فاذا لم يصلح نفير الجميع ولم يكن فيه مصلحة ، فهلا نفر من كل جماعة كثيرة فئة قليلة

[ليتفقهوا في الدين] أى ليصبحوا فقهاء ، ويتكلفوا المشاق في طلب العلم

[ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون] أى وليخوفوا قومهم ويرشدوهم اذا رجعوا اليهم من الغزو ، لعلهم يخافون عقاب الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، قال الالوسي : وكان الظاهر ان يقال " ليعلموا " بدل [لينذروا] و " يفقهون " بدل [يحذرون] لكنه اختير ما في النظم الجليل ، للاشارة الى انه ينبغي ان يكون غرض المعلم : الارشاد والانذار ، وغرض المتعلم : اكتساب الخشية لا التبسط والاستكبار

[يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار] أى قاتلوا القريبين منكم ، وطهروا ما حولكم من رجس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين ، ثم انتقلوا الى غيرهم ، والغرض ارشادهم الى الطريق الاصوب والاصلح ، وهو ان يبتدئوا بالاقرب فالاقرب ، حتى يصلوا الى الابعد فالابعد

[وليجدوا فيكم غلظة] أى وليجد هؤلاء الكفار منكم شدة عليهم

[واعلموا أن الله مع المتقين] أى واعلموا ان من اتقى الله ، كان الله معه بالنصر والعون

[وإذا ما أنزلت سورة] أى من سور القرآن

[فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا] أى فمن هؤلاء المنافقين من يقول استهزاء : أيكم زادته هذه ايمانا ؟ على وجه الاستخفاف بالقرآن ، كأنهم يقولون : أي عجب في هذا ؟ وأي دليل في هذا ؟ يقول تعالى :

[فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا] أى فأما المؤمنون فزادتهم تصديقا ، وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والادلة عند نزول كل سورة

[وهم يستبشرون] أى وهم يفرحون لنزولها ، لانه كلما نزل شيء من القرآن ازدادوا ايمانا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأما الذين في قلوبهم مرض] أى واما المنافقون الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله

[فزادتهم رجسا الى رجسهم] اي زادتهم نفاقا الى نفاقهم ، وكفرا الى كفرهم ، فازدادوا رجسا وضلالا ، فوق ما هم فيه من الرجس والضلال

[وماتوا وهم كافرون] أى ماتوا على الكفر

[أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين] الهمزة للإنكار والتوبيخ أى أولا يرى هؤلاء المنافقون الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة او مرتين حين ينزل فيهم الوحي ؟

[ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون] أى ثم لا يرجعون عما هم فيه من النفاق ولا يعتبرون

[وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا] أى واذا انزلت سورة من القرآن فيها عيب المنافقين ، وهم في مجلس النبي (ص) نظر بعضهم لبعض ، هل يراكم احد من المسلمين لننصرف ؟ فإنا لا نصبر استماعه وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفضحنا ، ثم قاموا فانصرفوا

[صرف الله قلوبهم] جملة دعائية أى صرفها عن الهدى والايمان

[بأنهم قوم لا يفقهون] أى لأجل انهم لا يفهمون الحق ولا يتدبرونه ، فهم حمقى غافلون

[لقد جاءكم رسول من أنفسكم] أى لقد جاءكم أيها القوم رسول عظيم القدر ، من جنسكم ، عربي قرشي ، يبلغكم رسالة الله

[عزيز عليه ما عنتم] أى يشق عليه عنتكم وهو المشقة ولقاء المكروه

[حريص عليكم] اي حريص على هدايتكم

[بالمؤمنين رءوف رحيم] أى رءوف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين ، شديد الشفقة والرحمة عليهم ، قال ابن عباس : سماه باسمين من اسمائه تعالى

[فإن تولوا فقل حسبي الله] أى فإن اعرضوا عن الايمان بك يا محمد فقل يكفيني ربي

[لا اله الا هو] أى لا معبود بحق سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عليه توكلت] اي عليه اعتمدت فلا ارجو ولا اخاف احدا غيره

[وهو رب العرش العظيم] أى هو سبحانه رب العرش ، المحيط بكل شيء ، لكونه اعظم الأشياء ؟ الذي لا يعلم مقدار عظمته الا الله تعالى .

البلاغة :

1 - [إن الله اشترى] استعارة تبعية شبه بذلهم الاموال والانفس ، واثابتهم عليها بالجنة ، بالبيع والشراء ، فكأن هناك سلعة للبيع والشراء .

2 - [فيقتلون ويقتلون] فيه جناس ناقص لاختلافهما في الشكل والحركات ، وهو من المحسنات البديعية .

---

3 - [الراكعون الساجدون] يعني المصلون فيه " مجاز مرسل " من اطلاق الجزء وارادة الكل ، وخص الركوع والسجود بالذكر ، لشرفهما كما في الحديث " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " .

4 - [وبشر المؤمنين] الاظهار في مقام الاضمار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للاعتناء بهم وتكريمهم .

5 - [موعدة وعدها] بينهما جناس الاشتقاق .

6 - [ليضل . . إذ هداهم] بينهما طباق ، وكذلك بين [يحيي . . ويميت] وكذلك بين [ضاقت . . ورحبت] .

7 - [التواب الرحيم] من صيغ المبالغة ، أى كثير التوبة ، عظيم الرحمة .

8 - [يطأون موطئا] بينهما جناس الاشتقاق وكذلك [ينالون نيلا] .

9 - [صغيرة ولا كبيرة] فيه طباق .

10 - [فزادتهم رجسا إلى رجسهم] قال في تلخيص البيان : السورة لا تزيد الارجاس رجسا ، ولا القلوب مرضا ، بل هي شفاء للصدور وجلاء للقلوب ، ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عمى ، حسن ان يضاف ذلك الى السورة ، على طريق الاستعارة .

تنبيه :

روي ان ابا خيثمة الانصاري رضي الله عنه بلغ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بستانه وكانت له امرأة حسناء ، فرشت له في الظل ، وبسطت له الحصير ، وقربت اليه الرطب والماء البارد ، فنظر فقال : ظل ظليل ، ورطب يانع ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله ، في الحر والريح ! ما هذا بخير ، فقام فرحل ناقته ، وأخذ سيفه ورمحه ، ومر كالريح ، فنظر رسول الله (ص) خلفه فإذا براكب وراء السراب ، فقال : " كن أبا خيثمة! فكان ، ففرح به رسول الله (ص) واستغفر له " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com